قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

بقلم خليل قلفاط

عفي عنه

بنفقته ونفقة جرجي جـ...

مدير المطبـ...

اعادة الطبع ...

مجلد ثاني

طبع بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٦

كانت حالة ياس وعذاب وذكرى وترداد ونوح كعادة سلاطين العشاق ولا سيما الذين مثلها قد تركت بلادها واباها واخوتها وتمسكت بحبيبها والقت كل رجائها عليهِ فبعد عنها وخلفها وحدها . هذا وفي اليوم الثاني من غياب الامير حمزة اجتمع الفرسان باجمعهم في صيوان الملك النعمان وعملوا ديوانًا كيف يفعلون ومن اين يدركون ما هم عليهِ الاعجام وكان فيما بينهم عمر العيار فقال لهم اني ساذهب من هذه الساعة الى المدائن وادخل على كسرى انوشروان واجس اخباره ومن ثم اخبر الوزير بزرجمهر بغياب الامير حمزة واستشيرهُ بذلك . فقالوا بارك الله فيك يا عمر فاننا الى مثل ذلك نحتاج وغيرك لا يقدر ان ياتي بالمطلوب فانت مقدام جيشنا وعلة نجاحهِ ولولاك لما نفع العرب بامر . ثم ان عمر ودعهم وذهب الى مهردكار ودعها واخبرها بانهُ يقصد بلاد ابيها ليسال بزرجمهر عن الامير حمزة وهل يطول غيابهُ ومن اي جهة ياتي . فسرت لذلك ومدحتهُ . ثم وكل بخدمتها كبير عياريهِ واوصاهُ بالمحافظة عليها وذهب الى بيتهِ فغير لبسهُ وتزيا بزي الاعجام وتكحل بالميل الذي جاء بهِ من رجال الصومعة واخذ كل ما يحتاج اليهِ في سفرهِ وسار عن مكة المطهرة عدة ايام وليالٍ حتى وصل الى المدائن فوجد لا يزال في ضواحيها العساكر مجتمعة وقد ضربوا خيامهم حولها فدخل بينهم واجتاز فيهم ولا احد منهم يعرفهُ ودخل من الباب وجاء الديوان فراى كسرى جالسًا على حسب عادتهِ بين وزيريهِ والديوان محتبك من كل امير وسيد وسمع كسرى يقول لبختك اني مضطرب من وقوعنا بعداوة العرب ولولاك لما كانت هذه العداوة ولا خرج الامير حمزة عن طاعتي وكان بيدي كالخاتم ادبرهُ كيف شئت ولو زوجتهُ بابنتي لكنت ملكت بهِ الارض بالطول والعرض وعززت دولة الفرس وقهرت كل جبار عنيد ولولاك ايضًا لما اجتمع عندهُ كل هذه الفرسان والابطال والعساكر لانك ارسلتهُ الى معقل البهلوان فكان منهُ ان سعى في خدمتهِ مع رجالهِ وصاروا من احزابهِ وارسلتهُ الى اندهوق ابن سعدون فصالحهُ وانتظم في سلك رجالهِ وقاتل بين يديهِ وبعثتهُ لجمع الميرة والاخرجة فطاعهُ قسم كبير من بلادي وخادمهُ المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وغيرهما وجيش جيشًا ملكيًا وجمع من الاموال ما لا تاكلهُ النيران وهو محافظ عليهِ . فقال لهُ بختك اني اعرف حق المعرفة

واوكد انك لو اكرمت العرب اكثر مما اكرمتهم لحرقت حرمتك وذهب الملك من يدك واندثرت شوكة العجم بارجل العرب واذا شئت فجرب الان وصالحهم . قال الان بعد هذا الاخراق لا وسيلة للمصالحة بعد لكني اقول لو كان من الاول لكنت الان بخير وحيث قد اغتصبوا بنتي وكسروا عساكري لا بد اذا طلبت منهم صلحًا طمعوا بيّ واقترحوا عليّ شروطًا لا طائل تحتها مع اني لا ازال قادرًا ان اجمع اضعاف اضعاف العساكر التي جمعتها في كل من الشرق ومن الغرب ودام الحديث الى اخر النهار وعمر يسمع ذلك حتى انتهى النهار ونهض بزرجمهر الى الباب وركب بغلته وسار الخدام بين يديهِ فسار عمر بينهم فراهُ بزرجمهر وعرفهُ فضحك منهُ وبقي سائرًا حتى دخل قصرهُ وصرف الخدم واذ ذاك جاء اليهِ عمر العيار وقبل يديهِ فترحب بهِ وقال لهُ ما وراءك من الاخبار يا ساعي العرب ودليلهم . فاخبره بما كان من امر الامير حمزة وكيف انهُ سافر ورحل عنهم وقد ظنوا انهُ سافر مع الراعد على غير علم منهم ولذلك جاء اليهِ يسالهُ عنهُ وهل تطول سفرتهُ لانهُ اعطي من الحكمة ومعرفة الغيب ما خصّ بهِ الانبياء الكرام فقال لهُ لا تخفوا على الامير فان المكتوب ما منهُ مهروب وان الله قدر عليهِ سفرًا طويلاً الاَّ انهُ سيعود منهُ سالمًا غانمًا منصورًا ويكون طريق مجيئهِ من بلاد مَراكش فتلاقيهِ العرب الى طنجه الغرب وتذهب الفرس الى هناك ويحصل حرب عظيمة بين الفيئتين لم يسبق ان وقع مثلها قط فاقرِ العرب جميعًا مني السلام ومعتدي السواحل واندهوق وباقي الفرسان خصوصًا واخبرهم ان لا يتكدروا من غياب الامير وان يبقوا كما كانوا حيث ان شوكة العرب ستقوى بهم ويعزز شرفهم وفي الاخير يذلون الاعجام ويستعبدونهم والسلام

فسرّ عمر من كل ما سمع ورجع في طريقهِ بعد ان ودّع الوزير بزرجمهر وشكره وقبل اياديهِ ولا زال في طريقهِ وهو بصفة عجمي يختطف طوال الطرق بسرعة جريهِ فيقصر من اعمارها حتى وصل الى المدينة المقصودة وشاهد الوطن فدخلهُ مشرح الصدر مسرور الفؤاد وجاء الفرسان وهم مجتمعون الى بعضهم واعاد عليهم كلام الوزير حرفًا بحرف . فلما سمعهُ الفرسان اثنوا على غيرة هذا الرجل الفاضل الحكيم وقال اندهوق ان كان الوزير بزرجمهر وهو عمدة اقوام كسرى واعيانهِ العظام يحافظ على قيام الكلمة العربية فكم بالحري نحن فاذا كان الامير حمزة سيد العرب وقائدهم قد سافر بارادة منهُ تعالى فلا يلام على تركنا وحدنا ولو لم يعرف اننا من فرسانهِ المخلصين وان بنا الكفاءة لحماية العرب في غيابهِ وحرب كسرى لما سافر عنا وصار من الواجب ان لا نضيع ظنهُ بنا وان نخدمهُ في غيابهِ باكثر مما كنا نخدمهُ في حال حضوره . واقام بعد ذلك العربان في ذاك المكان ينتظرون ما ياتي عليهم من بطن الايام القادمة .

قال فهذا ما كان من العرب وسنعود الى حديثهم في غير هذا المكان واما ما كان من امر

الامير حمزة فانهُ بقي محمولاً على عاتق الراعد مدة ايام ينزل بهِ في المساءِ وياتي لهُ بالآكل فياكل ويشرب ثم يحملهُ ويطير بهِ بسرعة نحو بلادهِ حتى انتهى بهِ اخيرًا الى ارض كثيرة الرياض حسنة المناخ يانعة الاشجار فنزل بهِ في ذاك المكان. وهو على حالهِ السابق وجاءهُ بالطعام فاكل وقال للراعد اريد ان ابقى في هذه الارض مدة يومين فقد اعجبني مناخها وطيب هوائها فاجابهُ ونام هناك تلك الليلة وفي الصباح نهض ونظر الى شرقي المدينة فوجد البحر يتصل بتلك الارض فانبهج وقال للراعد يظهر ان هذه النواحي واقعة على البحر ولا بد من اتيان المراكب والسياح اليها. قال ان هذه البلاد بعيدة عن المكان الساكنة بهِ الانس وهو لا يصل اليهِ احد من سكان ارضكم ولا تصل اليهِ قط المراكب. وفي تلك الساعة نظر الى احدى جهات البحر فراى شراعها عن بعد يعلو مركبًا سائرة مسير البرق الخاطف فقال للراعد انت تقول لي ان المراكب لا تقرب الى هذه النواحي مع اني ارى مركبًا عن بعد. فقال لهُ الراعد هذه ليست مركب بل هي سمكة من نوع الاسفرني بقدر المركب الكبير تطفو احيانًا على وجه الماء وتسير ثم تغيب تحت الماء ولعدم وجود من ياتي الى هذا البحر ويصطاد منهُ تكبر بهِ الاسماك والسلحفاة فتصير الواحدة بقدر المركب لا بل بقدر الجزيرة فتعجب الامير من صنع الله سبحانهُ وتعالى وكيف ان لا احد ياتي الى تلك النواحي ولم يكتشف بني الانسان ذاك القسم من الارض الموجودين عليها. ونهض بعد ذلك وطاف في الرياض فكان يرى اشجارًا كبيرة ضخمة متنوعة الاثمار فعجب منها العجب الكلي وقال للراعد هل هذه الاشجار كبيرة العمر. قال نعم انها كبيرة واصغرها يبلغ عمرهُ ١٥ الف سنة وهذه لم يكن منها في نواحيكم وهي لذيذة الاثمار ثم مد الراعد يدهُ وجعل يقتطف منها ويناول الامير حمزة وهو ياكل بقابلية شهية فيرى فيها لذة عجيبة لم يذق مثلها طول زمانهِ. واذ ذاك قال للراعد اريد منك ان ترجع بي من هذه الطريق وتنزلني بها لاني اريد ان اخذ منها اثمارًا لمهردكار ولفرساني على سبيل الهدية كي اقاسمهم بهذه اللذة. قال لا بد من مرورنا منها وساحمل على عاتقي ما يكفي عسكرك برمتهِ حال رجوعنا

وكان الامير حمزة يفتكر انهُ سيرجع بوقت قريب ولا تطيل غيبتهُ ولم يكن يعرف ان الزمان لا يسمح لهُ ان الطريق الذي سار عليهِ يرجع منهُ. وبعد ان صرف باقي اليومين على الفرجة والتطواف من مكان الى مكان مسرورًا بوجودهِ فيها ويتمنى التطويل والراعد بين يديهِ يرجو التقصير والسرعة بالمسير حملهُ وطار بهِ ولا زال سائرًا في الجو الاعلى مدة حتى انزلهُ في ارض مقفرة بين ثلاثة طرق وقال لهُ اعلم يا سيدي ان من هنا بداية حكم عمي وما عدت اقدر اظهر قط ولا اقدر ان اري احدًا نفسي لئلاَّ اهلك ولا عدت تراني الا بعد موت عمي فادعو الله ان يساعدك على غايتي. ثم تركهُ واختفى في الجوّ الاعلى فاندهش الامير حمزة من عملهِ وسرعة غيابهِ

واحتار في امره كيف يبقى منفرداً وحيداً وتكدر من عمل الراعد وذمه في ذاته . واخيراً رأى ان لا بد من تقدمه فشكر الله سبحانه وتعالى وصلى له وسأله المساعدة والاغاثة فارتاح لذلك ضميره ووجد من نفسه لذة وراحة . وبعد ان انتهى من الصلاة اراد المسير فنظر امامه ثلاث مرات فوقف مبهوتاً متحيراً وقال كان واجب من الراعد على الاقل ان يدلني على الطريق ويخبرني كيف اعمل لاصل الى عمي واين يوجد غير انه اخيراً سار في احدى الطرق ومشى على رجليه مدة ست ساعات فجلس مرتاحاً من التعب نحو نصف ساعة ثم قام ومشى حتى وصل الى ارض رملية محرقة تلتهب ارضها كالنار وحجارها تفرقع من شدة الحرارة والالتهاب فسار عليها الا انه ما لبث ان شعر بشدة تلك الحريق والتهب جسمه وضاقت روحه وايقن انه هالك اذا اقام نصف ساعة على تلك الحالة وطالت تلك الارض وكان كلما تقدم يرى ان الحر يشتد والارض تزيد التهاباً حتى اصبح لا يقدر ان يلقي برجليه عليها فزادت عليه الحال وعظم المصاب وظهر له قرب فنائه فانحدرت الدموع من عينيه وقال نعم ان الله قصد هلاكي بهذه الارض وقضى عليّ ان اموت غريباً بعيداً عن اهلي ووطني فلتكن ارادته ولا اخالفه ثم جعل يدعو الله ويصلي ويسأله ان يعفو عنه ولا يميته في ارض هي جهنم النيران

وفيما هو على مثل ذلك غائب الذهن ضائع الافكار مشتت البال لا يرى ما امامه ولا ما وراءه واذا به شعر بانخفاض الحرارة من جسمه ثم اخضراراً بعينيه وجعل الوعي يزوره بالتدريج شيئاً فشيئاً حتى قدر ان يبصر جيداً واذا تحت رجليه ارض خضراء غير تلك الارض الرملية وامامه فارس شيخ بثياب خضراء وعليه وشاح اخضر لامع ذي لحية بيضاء جداً يحيط بها هالة من النور وعليه من المهابة والوقار والجلال ما يأخذ بالابصار فاندهل وحار وتذكر انه رأى ذات مرة مثل ذاك الرجل فتقدم الى نحوه بعدة خطوات واراد ان يسأله عن الماء قبل كل شيء ليبل ريقه فسبقه وقال له اطمئن يا حمزة العرب فانا الخضر الاخضر ابو العباس مغيث المتعبين ومشفي المجروحين ومسقي الظمئانين وناصر المظلومين من رجال الله انا خادم الحق ونقمته على الكافرين والجاحدين فتقدم واشرب ثم اخرج له قربة من الماء كانت تحته على الجواد ودفعها اليه فشرب الامير حمزة حتى ارتوى وهو مسرور من لذة تلك الماء ودنا من الخضر ليقبل يديه وسجد له فانتهره وقال له لا يليق السجود لغير الله سبحانه وتعالى فهو الواحد الاحد الفرد الصمد لا والد له ولا والد خلقك وخلقني لنسبحه ونسجد له وها اني احرسك ما زلت في هذه الارض وغيرها لانك من الامناء على دين الله فاعطني سيفك الان فناوله حمزة سيفه الذي اخذه من قلعة النيل فاخذه منه وغطه بالماء واعاده له وقال هذا السيف اصبح نافعاً لك فما زلت حامله تهرب منك مردة الجان والكهان وعفاريت السيد سليمان وما من واحد منهم عاد يقدر ان يقرب منك او

يدنو اليك بسوء فسر الامير حمزة من ذلك وسقط هم عظيم عن قلبهِ واراد ان يقبل يدهُ فلم يرهُ غير انهُ شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفهِ فخرّ لله ساجدًا وشكرهُ على حبهِ لهُ واعتنائهِ بهِ وبكى من ذلك فرحًا وقال من انا لينظر اليّ ويهتم بي الست انا من احقر عبادهِ واضعفهم فسبحانهُ لا يترك احدًا ولا يتخلى عن احد

ثم نهض متقويًا ومشى في طريقهِ شيئًا فشيئًا حتى دخل بين الرياض فسرّ جدًا من مناخ الارض وحسن هوائها ورطوبة ارضها وشكر الله على خلاصهِ من ذلك الرمل الحار ولا زال سائرًا حتى دخل بين القصور والبيوت وهي شواهق مرتفعة لحد السحاب فتعجب منها الاّ انهُ كان لا يريد ان يميل عن طريقهِ ولا يعرج الى جهة وهو يرى طوائف من الجان والعفاريت تنتقل من مكان الى مكان غير ملتفتة اليهِ او معتنية بهِ حتى قادتهُ الصدف الى قصر اليون شاه عم الراعد فنظر اليهِ عن بعد فوجد الارهاط مجتمعة عندهُ بما يدل انهُ قصر الملك فعرف ذلك وقال قد هداني الله اليهِ بدون ان اسال احدًا عن ذلك غير انهُ قبل ان يقرب من الابواب نظرهُ اولئك الارهاط فتقدموا منهُ متعجبين كيف ان واحدًا من الانس قدر ان يصل الى تلك الجهة وارادوا ان يجتمعوا عليهِ وحواليهِ فاستل سيفهُ وهجم عليهم فهربوا من وجههِ وتفرقوا عنهُ وهم يصيحون الامان الامان يا سيد سليمان سلطان الانس والجان ودخل قوم منهم الى اليون شاه وهو جالس على كرسيهِ وقالوا اعلم يا سيدنا اننا راينا رجلاً من الانس يتقدم الى جهة القصر فتعجبنا منهُ واردنا ان نقرب اليهِ ونتفرج عليهِ وننظر في امرهِ واذا بهِ قد استل من وسطهِ سيفًا وصوبهُ الى جهتنا فشاهدنا فيهِ نارًا مبرقة تقصدنا بشرارها فانهزمنا من امامهِ خوفًا من الاحراق ولا ريب ان هذا من بقايا السيد سليمان لهُ السلطة الكبرى على الجان . فقال لهم اني ساحضرهُ وانظر في امرهِ . وفيما اليون شاه مع خدمهِ بمثل هذا الكلام واذا بالامير حمزة قد دخل من باب القاعة وصاح ويلك يا اليون شاه انزل عن هذه الكرسي وسلم نفسك اليّ واجلس ابن اخيك الراعد عليها لانهُ اخي وجئت لنصرتهِ . فلما سمع اليون شاه هذا الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام واراد ان يسحق الامير حمزة في الحال فتناول عمدًا ثقيلاً من الحديد كان الى جانبهِ وحذف بهِ الامير حمزة وقال لهُ ويلك يا قطاع الانس هل وصلت بكم القحة الى المطاولة علينا ودوس بساطنا . فمال الامير عن مرمى العمد وصاح بصوت ارتجت منهُ اركان القصر واشهر بيدهِ السيف وقمز كالغزال حتى وصل امام اليون شاه وضربهُ بهِ في صدرهِ فلعبت بهِ النيران وصاح اعوز من كيد القصار ووقع الى الارض كومة رماد

وفي تلك الساعة سقط الراعد الى الوسط وصاح لا شلت يداك يا اخي حمزة الزمان ثم اخذ بيدهِ عمدهُ ومال على اولئك الارهاط وقال ويلكم اوغاد من طاعني فقد نجا ومن عصاني

فجزاؤهُ الهلاك والاعدام وفعل الامير كفعلهِ واشهر بيدهِ الحسام فصاح الارهاط وكل من كان في الديوان الامان ياراعد فاننا عبيدك وخدام ابيك من قبلك ولا ذنب علينا فكف عنهم وقال لحمزة العرب ارجع يا اخي فانهم طائعون وما من رجل عاصٍ منهم فاغمد سيفهُ واجلسهُ على الكرسي وتقدمت منهُ سادات الجان واظهرت الطاعة والخضوع له طول ذاك النهار وعند المساء اولم الراعد وليمة للامير حمزة ودعا كل انواع الطوائف ليتفرج عليها فكان يرى ما يدهش بصرهُ منهم من هم طوال كالنخل الباسق وقصار اقصر من الانسان فبعضهم كبار الدماغ وبعضهم مدور العينين وبعضهم طويلها وبعضهم عيونهم في امراسهم وبعضهم في وجوههم او اقفيتهم وجيءَ الى الوليمة بكل انواع الفواكه الموجودة في جبال قاف منها ما هو كرؤوس الانسان بعينين وفم ووجه ومنها ما هو كفاكهة الانس والامير ياكل من كل نوع واحد ويعجب من طيبة طعمها وحسن شكلها . وبعد ان انقضت الوليمة قال الامير للراعد ها قد انتهيت من عمك وقتل ونلت ما تتمناهُ واني سأقيم عندك سبعة ايام وفي اليوم الثامن اريد منك ان تذهب بي الى بلادي الى مكة المطهرة لانك عرفت ما اصابني وما لحق بي من كدر قومي ولا ريب انهم باضطراب من اجلي فاذا كان لك عدوًّا فاخبرني بهِ لاقتلهُ قبل ان اذهب من هذه البلاد . قال اني اشكرك يا اخي على جميلك هذا ولا انساهُ الى الابد وسوف اذهب بخدمتك الى بلادك واعيدك الى قومك اي يوم شئت واما قولك ان كان لي عدو فالحمد لله ما من عدو لي اخشاهُ ولا قدرة لي عليهِ الاَّ عمي الذي قتلتهُ لو كان اشد الجان باسًا وكهانة وها ان جبال قاف بين يديك فطف بها وتفرج عليها في هذه السبعة ايام وساكون بخدمتك على الدوام . فشكرهُ الامير حمزة ومدح منهُ واقام مدة سبعة ايام في كل يوم يذهب بهِ الراعد الى جهة يفرجهُ على بلادهِ وعلى عجائب خلق الله وصنعهِ الذي لا يدركهُ العقل الانساني الى ان مضت المدة وانتهى الاجل وبات الامير حمزة وفي نيتهِ ان يعود الى بلادهِ في صباح اليوم الثامن وقلبهُ مملوءٌ من الفرح والمسرة على تسهيل مصلحتهِ دون ان يحصل له عائق يعيقهُ وصار يحدث نفسهُ بانهُ قريبًا يصل الى مكة المطهرة ويشاهد اباهُ ورجالهُ ويحمل اليهم من فاكهة تلك الارض وكذلك يلاقي مهردكار ويجمع بها ويريح بالها عن غيابهِ . ونام تلك الليلة مطمئنًا مرتاح البال وعند الصباح نهض باكرًا وتقدم من الراعد ليسالهُ ان ينهض بهِ ويرجعهُ من حيث اتى فوجد الدم سائلاً الى الارض وقد قطع الراعد قطعتين وهو جسد بلا روح فصاح من الغيظ والكدر وشعر ان روحهُ قد انسحبت من جسدهِ وامتشق سيفهُ وطاف في الغرفة فلم يرَ احدًا فخرج الى الخارج واذا بهِ يرى عند الباب ماردًا طرف ارجلهِ في التراب وراسهُ في السحاب فهجم عليهِ واراد ان يضربهُ بالحسام ففرَّ من امامهِ الى بعيد فزاد غيظهُ وصاح بهِ وقال لهُ ويلك من فعل هذه الافعال ومن

الذي قتل الراعد وهو في حمايتي وتحت عنايتي . فقال له ان الذي فعل ذلك ياسيدي هي اسما برّي بنت اليون شاه .

قال وكانت هذه اسما برّي بنت اليون شاه ذات قد معتدل وحسن يحسب بين طوائف الجان من الدرجة الاولى لم يكن اجمل منها ولا اقدر نفوذاً في قومها مسموعة الكلمة رفيعة القدر بينهم ولها طائفة من المردة تخدمها على الدوام وكبير هذه الطائفة مارد طويل عريض اذا وقع على جبل سحقه او وقع في البحر طاف ماءهُ على اليابسة وهي على الدوام تنتقل من ناحية الى اخرى مع خادمها الاكبر كندك المارد المذكور فلما زار الامير حمزة جبال قاف في هذه المرة كانت غائبة في داخل البلاد حسب عادتها وعند عودتها دخلت المدينة فلقيها بعض خدمها وعزاها بابيها فاسودت الدنيا في عينيها وارغت وازبدت وقالت من الذي قدر ان يقتل ابي ويتجاسر على ارتكاب مثل هذا الامر الخطير . فقالوا لها ان ا.. عمك الراعد ذهب الى بلاد الانس وجاء برجل من العرب اسمهُ الامير حمزة فدخل على ابيك وقتله واقام الراعد مكانهُ وصارت البلاد بيده وهو يحكم فيها . فقالت لا بد لي من هلاك الراعد والذي جاء معهُ وطارت في الحال مع كندك المارد حتى جاءت قصر ابيها ودخلت على الراعد وهو نائم وقلبها يلتهب من عمله وقالت لكندك اضربهُ بسيفك فاقطعهُ نصفين ففعل حسب امرها وضربهُ بسيفهِ ففصل راسهُ عن جسدهِ واندفق دمهُ كالبحر الزاخر وهو نائم وانتهت حياتهُ . ثم تقدمت الى ناحية الامير حمزة وفي ظنها انها تقدر على هلاكهِ وقالت لكندك المارد اضربهُ بسيفك والحقهُ برفيقهِ فتقدم منهُ ثم رجع وقال ياسيدتي لا اقدر ان اصل اليهِ لانهُ محاط بسور من اللهيب والنار ولا ريب اذا اردت قتلهُ احرقني اللهيب . فامعنت اسما برّي بهِ واحدقت بوجههِ فرأتهُ صبوح الوجه مشرقهُ ناعم الخد ومعتدل القد حسن الهيكل فاخذت ان تحلهُ من قلبها محل الغرام وولعت بهِ وبمدة ساعة من الزمان اصبحت تتمنى وصالهُ وترغب في قربهِ . فقالت لكندك المارد اقم انت عند الباب فلا بد للامير عند الصباح من ان ينهض ويرى الراعد مقتولاً فيتكدر ويسال عن الذي فعل معهُ ذلك فقل لهُ اسما بري وانها كانت تريد ان تاخذ بثار ابيها منك غير انها اشفقت عليك فعفت عنك وتركت هلاكك واذ ذاك احضر لهُ اما ففعل كما امرتهُ

وفي الحال ظهرت اسما برّي امام الامير حمزة وقالت لهُ لا تتكدر من قتل الراعد فاني اخذت بثاري منهُ حيث كان السبب بقتل ابي واما انت فقد نزلت من قلبي منزلاً عظيماً وحنت اليك كل جوارحي ولذلك طلبت القرب منك وان تتزوج بي اما حلالاً واما حراماً وغير ذلك لا يمكن ان ترتاح في هذه البلاد فاغتاظ الامير حمزة من كلامها وقال لم يبقَ عليَّ الاَّ ان اتزوج ببنات الجان ثم زجرها عن ذلك وقال لا تطمعين نفسك بالمحال فما من امل بقبول

ما تعرضينهُ عليَّ الاَّ اذا اوصلتيني الى بلادي وهناك ازف نفسي عليك عند زواجي بهردكار واتخذك كباقي الزوجات حلالاً . قالت لا اريد ان تتزوج بي الاَّ في هذه البلاد وفي هذه الايام ولا صبر لي عن ذلك الى حين زواجك بهردكار وفي بلادك فزاد غيظ الامير حمزة منها والتفت الى احد المردة وقال له احملني وسر بي وانا اجازيك بان اساعدك واوصلك الى كل ما تطلب . فانتهرت اسما بري مردة الجان وقالت كل من حملهُ قتلتهُ ثم طردتهم من هناك ولم تترك الاَّ كندك المارد وقالت للامير ان بلادك بعيدة من هنا عدة سنوات ولا يمكن الوصول اليها فيمكن ان تموت في هذه البلاد قبل ان ترى وطنك الاَّ انك اذا اجبت طلبي بعثت ماردي فهوصلك بوقت قريب . فقال لها لا يمكن ان اكون اسير غايتك ولا ارضى بما تطلبينهُ وحدثتهُ نفسهُ ان يسير ماشيًا على رجليهِ ولا بد ان يسخر لهُ الله من يوصلهُ الى بلاده ولذلك ترك القصر ومشى في طريقهِ عائدًا من المكان الذي جاء منهُ وهو لا يعرف الطريق تمامًا وسال الله ان يسهل لهُ سبيلهُ ولا زال سائرًا حتى خرج من المدينة فالتفت الى الوراء فراى اسما بري بعيدة تتاثرهُ وهي في اثرهِ وبين يديها كندك المارد فقالت لهُ لا تطمع نفسك بالمحال فما من امل بوصولك الى بلادك الاَّ بي . فقال لها خير لي ان اموت او ابقى ماشيًا على رجليَّ عدة سنوات من ان اتزوج بك في هذه البلاد . ودام على مسيرهِ الى المساء فجلس على الارض تعبًا واخذ يشعر بالجوع لان لازاد معهُ لياكل واذا بكندك المارد قد قدم اليهِ الطعام والماء وقال لهُ كل ياسيدي فان اسما بري اوصتني بان اخدمك وآتيك باحتياجاتك . قال اذا شئت ان تعمل معي معروفًا فاوصلني الى بلادي فيجازيك الله عني خيرًا . قال اني خادم امين لسيدتي فلا اقدر ان اخالفها ولا اريد ان اعمل لها ما يغيظها فاصغَ الى كلامها واقبل بزواجها فتصل الى بلادك بوقت قريب وما من سبب يمنعك عن موافقتها قال هذا لا اريدهُ الان ما زلت قادرًا على المشي وعلى عدم القبول . وبقي تلك الليلة نائمًا وفي الصباح نهض والسيف الى جانبهِ وسار في طريقهِ على حسب عادتهِ من الصباح الى المساء وفي المساء جاءهُ كندك بالطعام واسما بري تتاثرهُ ميقنة كل التيقن ان الامير حمزة لا بد ان يشعر بالتعب فيلتزم ان يرضى بها ويرى نفسهُ محتاجًا الى معونتها . وكان كلما جفاها وامتنع عليها كلما زادت غرامًا وهيامًا بهِ وزاد شوقها الى وصالهِ وقربهِ حتى انها اخيرًا عاودتهُ وقالت لهُ اني اقسم انك بربك اني لا اقيم معك الاَّ سبعة ايام فقط وبعد ذلك اوصلك الى بلادك واهلك . فقال لها هذا لا يكون مطلقًا واخذ السيف واراد ان يضربها بهِ ففرت من بين يديهِ متكدرة الا انها عادت فسالتهُ الرحمة وقالت لهُ اني مغرمة بك هائمة بحبك فاشفق عليَّ وارحم حبي . فقال لها اني لا احبك ولا اريدك فاسمعي مني واشفقي على بغضي لك وعدم حبي وعيني كرهي لك . فزاد غيظها منهُ واستشارت كندك في امرها . فقال

لها يا سيدتي انك ما زلت تقدمين له الطعام في الصباح والمساء فلا يمكن ان ينقاد لك ويشعر التعب لانهُ قوي البنية والطعام يقويهِ ولا يضعف من جسمهِ وعندي ان تتركيهِ مدة ايام بلا طعام فيجوع وتخور قواهُ ويحل بهِ الضعف ويتأكد عندهُ الفناء فيلتزم ان يوافقك قالت لقد حسنت فاتركهُ من بعد عنهُ ولا عدت نقدم لهُ شيئاً من الطعام والشراب ففعل امرها وبعد عن الامير وما عاد قدم لهُ شيئاً من المآكل

وانتظر الامير حمزة في المساء وفي ظنهِ ان الطعام يأتيهِ على حسب العادة فلم يقرب منهُ كذلك وغاب عن عينيهِ . فقال في نفسهِ لقد قطعت عني اسباب المعيشة ولا بد لي من الشعور بالجوع والضعف غير ان الله سبحانهُ وتعالى لا يقطع بي بل يساعدني دائماً على هذا الضعف ويرسل لي من يعولني ونام تلك الليلة الى الصباح وفي الصباح نهض ومشى وبارح تلك الارض وهو لا يعرف في اي طريق سائر ولا الى اين ينتهي واخذ الجوع يرمي سهامهُ بقلبهِ وهو يشعر بهِ شيئاً فشيئاً غير انهُ كان يعد نفسهُ ويعللها بقرب الفرج وما برح سائراً طول ذاك النهار الى المساء فجلس الى الارض كالمائت خائر القوى ضعيف الحيل والجوع يشتد بهِ ويلقي عليهِ بكل اثقالهِ وهو يتحمل حتى اصبح لا يقدر ان يتحمل وصلى في تلك الليلة يطلب الفرج منهُ تعالى وبات الى الصباح تارة يقلق من شدة الجوع وطوراً ينام او يتناوم ليغيب عن وعيهِ وينسى حالة انهُ جائع . وفي صباح اليوم الثالث نهض وجرَّ نفسهُ وهو يؤمل ان يرى امامهُ صومعة او بلداً او فاكهة فلم يرَ الا ارضاً مجدبة قاحلة ولم يرَ غير مردة تطاير في الجو ثم تختفي وهو يوحد الله من شرهم وبيدهُ لا تفارق سيفهُ وكان كلما سار قليلاً كلما اشتد عليهِ الجوع وصعب عليهِ الامر وانحط من قواهُ الا انهُ اخيراً شعر بانحطاط قوي وايقن انهُ هالك لا محالة حيث كانت ركابهُ اخذت في ان ترتجف وتخل ويقل من قواها وتضعف ضعفاً سريع الانحطاط واذ ذاك اخذت افكارهِ تضرب الى جهة اسما بري وعملها معهُ وانها لا تنفك عنهُ ما لم يتزوج بها وحدثتهُ نفسهُ ان يجيبها الى طلبها فتوصلهُ الى بلادهِ غير انهُ خطر لهُ اخيراً انهُ اذا تزوج بها وصار زوجها ربما لا تعود تسمح لهُ ان يرى بلادهُ ومهردكار ورجالهُ ويزيد طمعها بهِ ولذلك بقي محتاراً ومرتاباً ومضطرباً من عملهِ وهو بحالة يرثى لها من شدة الحنق والغيظ والجوع والضعف يفضل الموت على الحياة والهلاك على الطاعة لاسما بري وفيما هو على مثل هذه الحالة واذا بهِ يرى الخضر عليهِ السلام قد ظهر امامهُ على حسب العادة وناداهُ باسمهِ فاجابهُ وقد اشتدت اعصابهُ وتقوى عند سماعهِ صوتهُ ووجد راحة في داخلهِ لتأكدهِ بقرب الاغاثة وانهُ جاءهُ الذي يقدر على اغاثتهِ . فقال لهُ لا تخف من زواج اسما بري ولا تهتم بعذاب هذا الطريق ومشقات السفر . فان الله العلي العظيم قد قدَّر عليك اموراً لا بد من وقوعها عليك ولا ينفعك امر ولا يقدر احد ان

عنها ولا يدفعها غير انها ستكون في النهاية لخيرك لا لشرك وتصل الى قومك وتنقضي عنك كل هذه المشاق التي تتفجر منها الان . قال اني اعرف يا سيدي ان لا شيّ ينتهي عليّ الاّ بمقاصده تعالى واني صبور على المصائب جلود عليها غير ان ما يكدرني ويحط من جلدي الجوع الذي لا طاقة لي على احتماله ولا احد يقدر ان يقوم في وجهه او يثبت لدى مقاومته . قال اني اعرف ذلك ولذلك اعطيك الان حصاة ضعها في فمك تحت لسانك فهي تغنيك عن الطعام لانها ما زالت في فمك لا تشعر بالجوع ولا تشتاق الى الطعام ثم ان الخضر عليه السلام ناوله حصاة وامره ان يضعها تحت لسانه فاراد حمزة ان يدنو منه ليقبل يديه فلم يجد له اثرًا غير انه شمّ رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفه فوضع الحصاة في فمه وفي الحال شعر بالشبع واخذت قواهُ في ان تشتد واصبح بعد قليل كعادته واسرع في جريه الى المساء وفي المساء جلس على التراب ليرتاح ونام قليلاً والسيف عند جانبه لا يفارقهُ ولا احد يقدر ان يقربهُ من الجان وجماعة اسما بري وعند الصباح نهض ومشى الى المساء وفي المساء جلس على الارض وبعد ان صلى نام نومًا مريحًا الى الصباح فنهض ومشى الى المساء وبقي على ذلك نحو عشرة ايام وفي كل يوم تفتكر اسما بري ان الجوع يضعفهُ ويقلل من عزمه فلا يعود يقدر على المشي فيلتزم ان يطلب اليها المعونة والمساعدة فترغمهُ على الزواج بها ومن ثم يصبح زوجها ويكون منقادًا لها شرعًا ولما طال المطال ولم تنتهِ غايتها وضاق صدرها وتعجبت كل العجب كيف انهُ لم يشعر بالجوع ولا بالضعف بل هو باقٍ على حاله شديد الجري قوي الاعصاب واذ ذاك دعت اليها كندك المارد ومدبريها وشرحت لهم حالها وقالت لهم اني اريد ان استشيركم في امر هذا الانسي الذي قتل ابي وكادني ولم اقدر ان انال منهُ غايتي وصرفت الجهد الى اذلاله واجباره على الزواج بي فلم اقدر ان اكيدهُ واجبره على طاعتي واخيرًا منعت عنهُ الاكل وقصدت بذلك ان اضعف قواهُ من الجوع فلم يؤثر فيه ذلك وصرف اكثر من عشرة ايام ولم ارهُ يذوق طعامًا وهو على حاله وهذا من العجب عجائب الناس ان يقيم الواحد منهم اكثر من يوم بلا طعام

وحينئذٍ تقدم منها احد خدمها وقال لها اني اعرف يا سيدتي سبب ثباته على الحالة التي هو فيها واؤكد لك انهُ لو صرف العمر ولم يذق طعامًا لما اثر فيه ولا جاع وهو انهُ بينما كان سائرًا حضر عليه رجل على جواد اخضر من الخيول الجياد اسمهُ الخضر وهو من رجال الله فشكى اليه الجوع والضعف فاعطاهُ حصاة وامرهُ ان يضعها في فمه وان تبقى على الدوام لا يخرجها من تحت لسانه ولذلك هو الان شبعان لا يشعر بالجوع ولا بمخافة واني كنت اسمع الكلام الذي دار بينهُ وبين الخضر الاخضر الذي ذكرتهُ لك . فعظم عليها الحال وقالت لا ريب ان حمزة هذا مسعود الطالع موفق من الله والاّ لما كان بعولة الخضر الاخضر وتساعدهُ رجال الله ولهذا ارى حبهُ يشتد في

قلبي ولا اريد ان اضيع من يدي مثل هذا الرجل وان كان من الانس واريد منكم ان تنظروا في امري وامره وتروا ما هي الطريقة الى تضييع هذه الحصاة من فمهِ . فقال لها احد قومهِ اعلمي يا سيدتي اني اكفل لك ضياع هذه الحصاة منهُ ومتى اخذت منهُ رجع الى الجوع فيلتزم ان ينقاد اليك فمدحتهُ وخولتهُ بهذه المهمة . ومن ثم سار هذا الجني الى امام الطريق السائر عليها الامير حمزة وتزيا بزي درويش من رجال الانس اي انهُ مزق ثيابهُ واسبل شعرهُ وجاء بوعاء وضع فيهِ سمكًا مقليًا وخبزًا وتركهُ امامهُ وجلس الى ان راى الامير قد كاد يشرف على تلك الجهة فجلس للصلاة وكان الامير سائرًا على حسب عادتهِ لا يعرف بخدعة هذا الماكر فراهُ جالسًا للصلاة غير ملتفت اليهِ فتقدم منهُ وصبر عليهِ الى ان فرغ من الصلاة وحينئذٍ اظهر التعجب والحيرة من وجود الامير وجعل يوحد الله وقال لهُ اراك من طائفة الانس فما الذي اوصلك الى هنا فقال لهُ الامير حمزة ان التقادير القتني في هذا المكان غير اني اتعجب منك بانك درويش من الانس وموجود في بلاد الجان بعيدًا عن قومك وابناء جنسك قال ان قصتي عجيبة من عجائب الايام وهو ان ابي كان يسكن في مدينة الشام وكان في اول عمره من الاغنياء العظام اصحاب البيوت واهل الاحسان فضعف حالهُ وقلّ مالهُ ووقع في حفرة الفقر والفاقة حتى كاد يشتهي الخبز مرارًا مع عائلتهِ فذات يوم وهو جالس يتامل بحكمتهِ تعالى كيف ينزل الانسان من حالة الثروة الى حالة الفقر ويفكر كيف انهُ لم يعد الى حالهِ حينما كان مالهُ كثيرًا واذا برجل مغربي عليهِ سمة المهابة والوقار قد تقدم من ابي فحياهُ وقال لهُ لا تفكر بهذا الفقر الذي انت فيهِ فان الغنى قريب منك فانشرح صدر ابي وقال من اين ذلك . قال اعلم ان لي زمان طويل وانا ابحث على كنز في جبال قاف فوقعت عليهِ في هذه الايام واردت ان افتحهُ فلم اقدر فبحثت بمعرفتي وحكمتي على وجه من يفتح هذا الكنز فظهر لي ان المال الذي فيهِ لا يخرج الأ في يد ابنك ففرحت وشكرت الله على ذلك واتيت اليك اقاسمك في هذا الكنز فان بهِ من الذهب والتبر ما لا يوجد عند مالك العالم باسرها . قال لهُ ابي ومن اين يمكني ان اسلمك ولدي وهو وحيد لي قال اني اكفل لك ذلك واقسم بالله العلي العظيم ان اعيدهُ اليك واقاسمك الكنز وما من غرض لي بابنك بعد ذلك . فانقاد اليهِ ابي لضعف حالهِ وفقره وقال وهل يبقى ابني معك الى زمان طويل قال كلاَّ بل الى عشرة ايام فحرك ابي طمعهُ بالثروة وبغضهُ بالفقر فسلمني الى المغربي بعد ان قبلني وودعني وبكى وقال لي اني اودعتك بيد الله يا ولدي فسر مع هذا الرجل عساها ان نتخلص من الفقر ويسهل الله امرنا فاخذني المغربي بعد ان دفع لابي شيئًا من الذهب ليصرفهُ في غيابنا وجاء بي الى هذا الجبل العالي الذي تراهُ امامك على سرير طار بنا في الجوّ الاعلى وبعد ان فتح الكنز اخذ منهُ شيئًا كثيرًا من الذهب والتبر ثم رجع من حيث اتى وقال لي ابقَ انت هنا الى ان

يوافيك الاجل اذ ما من وسيلة بعد لرجوعك الى ابيك وتركي حزيناً كئيباً في هذه الديار غير ان كلمة الايمان لم تفارقني قط فشكرت الله ودعونهُ لاغاثتي وبكيت على فراق والديّ وعلى فعل هذا المغربي مع ابي الذي كان بحالة الفقر المدقع وليس لهُ سلوة الاَّ بي - ومن ثم نزلت من الجبل الى هذه الارض وداومت الصوم والصلاة وانا اسالهُ تعالى ان لا يتركني اموت جوعاً . وبعد ان نمت تلك الليلة سمعت الوحي يقول لي لا تخف فاني اتيك بكل ما يلزمك من المأكل والاطعمة التي تطلبها نفسك فاذا اشتهيت شيئاً اطلبهُ فتراهُ امامك وانك ستبقى في هذه البلاد زماناً طويلاً الى ان تمرَّ الايام المقدرة عليك وياتي امير العرب الى هذه البلاد فياخذك معهُ الى بلادهِ ولهذا تراني قائماً في هذه الارض على تلك الحالة في كل يوم اطلب طعاماً فاراهُ امامي واشكر الله الذي لا يترك نفساً بغير عناية حتى مضت عليّ السنون والايام ولما كان في هذا الصباح سالت الله الطعام حسب العادة واذا بهذا السمك الذي تراه امامك فتعجبت عند ما رايتهُ زائداً عن العادة واذ انتهيت من الصلاة ورايتك ثبت عندي ان هذا نصيبك من الطعام بحيث تكون ضيفي في هذا اليوم واذا كنت انت هو امير العرب صرت معك الى بلادي لاني من حين بقائي في هذه الارض ما رايت قط انسياً ولا فترت عن السوال من الله ان يبعد عني طوائف الجن . ففرح الامير حمزة عند سماعهِ كلامهُ وصدقهُ وانطلت عليهِ حيلتهُ وقال لهُ نعم انا هو امير العرب وساذهب بك الى بلادي وتكون رفيقي في سفرتي ثم ان الدرويش دعا الامير حمزة الى الطعام فجلس عليهِ وهو مشتاق لهُ جداً واخرج الحصاة من فمهِ ووضعها على الارض واخذ ياكل هو والدرويش وفيما هو ملتهٍ بالاكل واذا بالدرويش الذي هو الجني قد مدَّ يدهُ وتناول الحصاة وضرب رجليهِ بالارض بسرعة عجيبة خوفاً من ان يلحقهُ حمزة بضربة من سيفهِ ولما صار بعيداً قال لهُ ها ان الحصاة ذهبت منك ولم يبقَ لك بعد ما يقيتك فاسمع مني واقبل بزواج اسما بري ولا تصرف كل عمرك بالعذاب ولا تقدر ان تخرج من حدود بلادها لو صرفت العمر ماشياً على قدميك

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد ان تلك حيلة وقعت عليهِ زاد بهِ الغضب وعمي بصرهُ وغاب صوابهُ واصبح بحالة العدم نحواً من ساعة وهو يعض اصابعهُ ندماً وياسف على تلك الحصاة وثبت عندهُ ان اسما بري لا تتركهُ وانهُ وحيد وانها هي وقومها محتاطون بهِ لا يفارقونهُ يحاربونهُ تارة بالحيلة والخدعة وطوراً بالتهكم والعناد . وبعد ان وعى الى نفسهِ فكر بكلمة الخضر عليهِ السلام ان ما من باس بزواج اسما بري قط ومن ذلك الوقت راى ان ينهي عذابهُ بقبولهِ بها وان يشرط عليها بان توصلهُ الى بلادهِ ولذلك قال للجني ادعُ لي اسما بري لاعرض عليها شروطي وفي الحال ظهرت اسما بري امامهُ وقالت لهُ اني مرافقتك ياسيدي ولا ابعد عنك قط حتى اذا

وافقتني ورحمتني وشفقت على حالتي رجعت بك الى بلدي وزففت نفسي عليك . قال اني قبلت بطلبك ورضيتك لي زوجة انما بشرط انك بعد خمسة عشر يومًا ترسليني مع كندك المارد الى بلادي لاني تركتهم بالحرب مع الاعجام واخاف ان يصابوا بمصيبة ويشتغلوا لطول غيابي . قالت اني اعدك ان اوصلك الى بلادك بعد مرور خمسة عشر يومًا من زفافك وكفاني ان أكون زوجة لك وان اقيم معك هذه المدة وفي الحال رجع من حيث اتى وسلم نفسه الى كندك المارد فحمله الى قصر اسما بري وهناك اجتمع اليها رجال ابيها وهنأوها بنوال غايتها وهي مسرورة السرور الذي ما عليه من مزيد واخذت تهتم بعمل الزفاف وتعد معداته وحينئذٍ قال لها الامير حمزة اني لا ارضى ان ازف عليك الاّ اذا ارسلت خادمك كندك ياتيني بقاضي مكة بهلول الناقوش لكي يجري الزفاف حسب سنة العرب . فقالت سمعًا وطاعة فكيف شئت اجري الزفاف فالنتيجة حصولي عليك باي طريقة كانت . ثم انها قالت له اكتب كتابًا الى بهلول القاضي المذكور ليحضر مع كندك . فكتب الى ابيه ابراهيم يخبره بكل ما جرى عليه ويسأله ان يرسل القاضي بهلول وعمر العيار مع كندك المارد لحضور زفافه وانه بعد خمسة عشر يومًا يكون في مكة المطهرة ويهدي سلامه الى فرسانه وابطاله

فاخذ كندك الكتاب وطار به حتى جاء مكة المطهرة ودخل على الامير ابراهيم فارتاع في الاول منه الاّ انه اخيرًا اطمأن باله عندما عرف انه رسول ولده واخذ منه الكتاب وبعد ان قرأه وعرف ما هو جارٍ على ولده شكر الله على سلامته ثم قال لكندك ان العرب قد ذهبوا عن مكة الى بلاد الغرب وليس هنا الاّ القاضي فخذه وحده . ثم حمل كندك القاضي وذهب به الى جبال قاف واحضره امام الامير حمزة فلما راه نهض اليه وقبل يديه واجلسه على كرسي من العاج ثم اخذ يسأله عما كان من العرب والعجم بعد غيابه وكيف لم يحضر معه عمر العيار فقال ان الفرسان بعد غيابك ارسلوا عمرًا الى المدائن واستشاروا الوزير بزرجمهر في امرك وامرهم وكيف يفعلون فقال له ان الامير حمزة ياتي من بلاد الغرب عن طريق طنجه ومن الصواب ان تلاقوه الى هناك وبناء على امر الوزير بزرجمهر المذكور رحلت العرب عن مكة وسارت الى الغرب ومعهم عمر العيار . فقال الامير حمزة لكندك اذهب الى طريق الغرب واين وجدت العرب احضر لي من بينهم اخي عمر العيار بكل سرعة وعجلة بحيث يحضر زفافي ويرجع في نفس اليوم الذي ازف فيه اذ لا ابدي عملاً الاّ برايه فهو دالول العرب وصاحب ازمتهم ففارقه كندك وسار في طلب عمر العيار

قال وكان من امر العرب كما تقدم معنا سابقًا ان عمر العيار عاد اليهم واخبرهم ان الامير حمزة سياتي من طريق بلاد العرب وانه سيقع هناك حروب واهوال عظيمة واخبر العرب ان

من الموافق ان يوافوهُ الى تلك الارض حيث يجتمعون به وعليهِ فقد رحلوا عن مكة وساروا بالاحمال والانعام يقصدون بلاد الغرب وامامهم عمر العيار وكانت جواسيس كسرى تراقبهم فرأوهم وقد فارقوا مكة وعرفوا انهم سائرون على طريق طنجة الغرب ومعهم مهردكار ولم يبقوها في مكة ولما بعدوا ثلاثة ايام عاد جواسيس كسرى وقالوا له ان الامير حمزة قد غاب عن مكة وعن فرسانهِ الى جبال قاف وان العرب رحلوا من تلك الارض الى بلاد الغرب ليلاقوهُ هناك وقد اخذوا معهم كل الاموال والانعام وذهبوا بمهردكار على هودجها معهم يحتاط بها عمر وجماعة من الفرسان . فقال بختك ان من الصواب ملاحقتهم في الطريق وتبديد شملهم ما زال الامير حمزة بعيدًا عنهم واخذ الاموال ومهردكار منهم . فارسل كسرى ولدهُ فرمزتاج وزوبين الغدار مع ثلثمائة الف فارس واوصاهم بمفاجئة العرب وقطع الطريق عليهم وتبديد شملهم فوعداهُ بذلك وان يعودا بمهردكار واموالهِ التي جمعها العرب من بلادهِ . وزحفا بتلك الجيوش وقاطعا للعرب على الطريق الذي كانوا يسيرون منهُ وما مضت على ذلك عدة ايام حتى التقى الفريقان وعرف العرب ان الاعجام علموا بسيرهم فربطوا لهم الطريق ومرادهم ان يمنعوهم عن التقدم وان يوقعوا بهم ولذلك جمع اندهوق فرسان العرب واوصاهم بالتيقظ وقال لا بد من ان تقصد طوائف العجم حربنا وقد قادها الطمع الى ذلك فمن الواجب ان نحارب محاربة الاسود ولا نبقي من الاعداء واحدًا فلا يجسرون على العود ثانيًا وانا ايقن ان بنا الكفاءة لابادة الفرس اجمعهم وان كان اميرنا غائبًا عنا . فقال له الجميع ان ليس امامنا الا سيوف قواطع وهمم دوافع ومن دنا اجلهُ فلا يقدر ان يدافع . وفيما هم على مثل ذلك واذا برسول فرمزتاج قد دخل على العرب وسلم كتابة الى الملك النعمان يقول له فيهِ

من هرمزتاج بن كسرى انوشروان الى الملك النعمان ملك العربان

اعلم ايها الجاهل قدر نفسك انك كنت في الاول عاملاً لابي مكرمًا تصرف عمرك على الراحة والهناء والكرامة فخالفت عليهِ وانقدت الى الامير حمزة وعاندت ابي وفي نيتك ان تجعل نفسك مقارنًا للملوك الكبار فوقعت في سوء عملك ولاقيت عوض الراحة عذابًا وعوض الهناء عناء فصرفت ما بقي من عمرك غريبًا مشتتًا تنتقل من مكان الى مكان ومن مشرق الارض الى مغربها ومع كل ذلك لا ترجع عن غيك ولا تترك العرب وتفرقهم وقد سلبتم اموالنا واستوليتم على انعامنا وسبيتم اختي مهردكار فريدة زمانها ونادرة المثال بين ربات الجمال ولذلك جئت اليك بهذا العسكر الجرار ومعي زوبين الغدار وانتم تعرفون شدة بسالتهِ وقوة سلطتهِ وعظمتهِ وتعلمون ايضًا ان ابي قد خطبهُ من اختي مهردكار ووعدهُ بزواجها فنطلب اليكم تسليمها مكرمة وان تسوقوا سائر الجنائب والاموال التي لنا وتعترفوا بخطاكم فنعفوا عنكم ويرجع كل

شيء ابن خالهِ ومتى جاء الامير حمزة ورآكم متفرقين لا يعود يطمع بحرب ولا قتال فتكونون قد ازلتم من عداوة اكبر ملوك هذا العالم واعظم سلاطينهِ الذي لا يمكن ان يترككم حتى تبادوا عن اخركم

ولما قرأ الملك النعمان هذا الكتاب على رؤوس الفرسان ما منهم الاَّ من اضطرب واغتاظ وهاجت نار الانتقام في قلبهِ وحركتهُ نخوتهُ الى خوض معمعة القتال والفتك بالاعجام الانذال فهاجوا وماجوا ووقف اندهوق بن سعدون على رجليهِ وقال للرسول اذهب لسيدك واخبرهُ انهُ بطول عمرهِ لم يعد يرى مهردكار فهي اصبحت اختنا ونسيبتنا وخطيبة فارسنا وبطلنا واننا سنقاتل عنها ونحميها من كل طالب ولو مالت علينا الجبال في صفوف الرجال وسيلاقينا في الغد ويعلم منا صدق ما اقوالنا الان وينظر ما يحل بصهره الكذاب زوبين الغدار. فرجع الرسول وهو مندهش من فرسان العرب وماخوذ بهيبتهم وسطوتهم ولما وقف بين يدي سيدهِ اعاد عليهِ ما سمعهُ من اندهوق فاشتعل في قلبهِ اللهيب وغاب وعيهُ وحركتهُ حبهُ لاختهِ الى مراها وانفطرت مرارتهُ كيف قيل لهُ انهُ لم يعد قادرًا على رؤيتها بطول عمره ونهض الى صيوانهِ وانفرد بذاتهِ وجعل يشرب الخمرة كي يذهب عن نفسهِ الهدس فلم يقدر بل كان على الدوام يزيد شوقًا الى مهردكار حتى زين لهُ السكر اخيرًا ان يذهب بين قبائل العرب بصفة بدوي ويدخل عليها ويراها وربما تسهل لهُ ان ياتي بها من بين اعدائهِ. ولذلك نهض وغير زيهُ ودخل بين قبائل العرب وجعل يطوف من مكان الى مكان ولا احد يراهُ او يعرفهُ انهُ فرمزتاج حتى مرَّ من امام صيوان عمر العيار فوقعت عينهُ عليهِ وفي الحال عرفهُ حق المعرفة فضحك من عملهِ. ثم دخل صيوان مهردكار وكان بالقرب من صيوانهِ يحافظ عليها ويحرسهُ ولا يترك احدًا يقرب منهُ وقال لها ان اخاك فرمزتاج اصبح في يدي فماذا تريدين ان افعل بهِ. فقالت لهُ دعني يا عمر من اخي وابي وسائر اهلي فاني لا اعرف احدًا ما زال الامير غائبًا عني فانتم اخوتي وابي لانكم تشفقون عليَّ وترحموني وتمنعون كل ما يضرني وتعبدون الله العزيز الجبار ولا تعبدون مثلهم النار. فرجع عند ذلك الامير عمر وجاء من خلف فرمزتاج ورفسهُ برجلهِ فالقاهُ الى الارض وانقض عليهِ فشد وثاقهُ وقادهُ الى بين ايادي سادات العرب وحكى لهم امرهُ وعرفهم بهِ فتعجبوا من عملهِ وقال الملك النعمان لو لم يكن سكرانًا لما هان عليهِ ركوب مثل هذه المخاطر فماذا يجب ان نفعل بهِ الان فقال اندهوق ارسلوا رسولاً الى مهردكار واسالوها ماذا تريد ان نفعل بهِ فاذا امرتنا بقتلهِ قتلناهُ او طلبت اطلاق سبيلهِ اطلقناهُ لانهُ اخوها فلا نخالفها بهِ فسار عمر اليها واخبرها بكلام اندهوق واستشارها بامر اخيها. فقالت ابقوهُ عندكم الى حين عودة الامير حمزة فهو ينظر في امرهِ ويفعل ما يريدهُ فاعجبهُ جوابها ورجع الى امراء العرب واخبرهم بما قالتهُ فسلموهُ الى عمر

العيار وقالوا له حافظ عليهِ واحرسهُ الى ان يصل الينا اخوك فقادهُ الى صيوانه ووضعهُ فيهِ ووكل جماعة من عياريهِ ان يحرسوهُ حين غيابهِ

قال وفي تلك الليلة افتقد زوبين الغدار فرمزتاج في صيوانهِ فلم يرهُ فتكدر وسأل عنهُ فلم يجبهُ احد فارسل الجواسيس الى بيوت العرب علَّ احدهم يقف لهُ على خبر وبعد ساعات قليلة رجع اليهِ الجواسيس واخبروهُ انهم سمعوا بين العرب بوجود فرمزتاج بينهم اسيرًا وهو في يد عمر العيار ولا نعرف كيف كان اسرهُ فاضطرب زوبين الغدار من ذلك وتعجب كيف قدروا ان يصلوا الى ابن كسرى وخاف على نفسهِ مزيد الخوف ولم يرَ لهُ طريقًا لخلاصهِ وحملهُ خوفهُ الى الرجوع بمن معهُ الى المدائن ليخبر كسرى باسر ابنهِ وانهُ لو بقي الى اليوم الثاني لاسرهو ايضًا وتفرقت جيوشهُ وعلى ذلك نهض الى جوادهِ فركبهُ وامر القواد ان تسير بالجيوش خلفهُ قبل ان تشرق شمس اليوم القادم وبنحو ساعتين من بعد ذلك لم يبقَ للعجم اثر في تلك الارض ولا تركوا عفالاً بها غير اثار حوافر خيلهم

وفي صباح اليوم الثاني نهضت العرب ونظرت الارض خاوية خالية وما من عجمي في كل تلك النواحي فثبت عندهم ان زوبين هرب خوفًا على نفسهِ ورجع من حيث اتى وعليهِ امر اندهوق فرسان العرب ان تنهض من ساعتها وتسير في طريقها فقد رفع القتال والحرب والنزال فركب الجميع ورفعوا الاحمال وساروا من تلك الارض وامامهم عمر العيار يقود فرمزتاج وهو محمول على جواد من خيول العرب موثوق الايدي وكلما قربوا من مدينة او قلعة دخل عمر على فرمزتاج واجبرهُ ان يكتب كتابة موقعة منهُ ومختومة بخاتم المملكة تؤذن بتسليم العامل وتامرهُ بعدم المدافعة وترك القتال

وهكذا كانت العرب تسير بلا قتال ولا حرب ولا نزال حتى مروا على عدة بلدان وكل بلد دخلوها اخذوا منها احتياجهم ومؤن طريقهم وما برحوا على مثل ذلك حتى جاءوا الى قلعة قطمين وهي من القلاع الحصينة المنيعة مسورة بالطوب لا يقدر الطائر ان يدخل اليها. فدخل عمر على فرمزتاج وقال لهُ اكتب لي كتابًا الى حاكم هذه القلعة ان يسلم في الحال فاجابهُ الى طلبهِ وكان فرمزتاج في كل مرة يكتب كتابًا الى عمر العيار فياخذهُ منهُ ويقراهُ حتى انهُ اخيرًا ما عاد يقرأ الكتابة لما راها كلها على نسق واحد ولم يخطر لهُ ان فرمزتاج وهو اسير بيد العرب يجسر على الغدر بهِ ولذلك في هذه المرة اخذ الكتاب منهُ وسار الى حاكم القلعة فدفعها اليهِ فاخذها وفضها وقراها واذا بها

من فرمزتاج بن كسرى انوشروان الى حاكم قلعة قطمين

اعلم اني اخذت اسيرًا مع العرب فاذاقوني العذاب الاليم وكلما قربوا من مدينة او قلعة

زعموني ان أكتب الى صاحبها بالتسليم فافعل غصباً عني حتى فتحوا عدة بلدان وقد امن لي عمر العيار الواصل اليك فلم يعد يقرا كتاباتي ولذلك كتبت له هذه المرة عكس ما طلب فاني امنعكم من التسليم وان تسعوا بخلاصي حالاً هذا بعد ان تقبضوا على عمر العيار حامل هذا الكتاب لانه راس العرب وعلة نجاحهم فاذا غاب عنهم او اصيب بنائبة تفرقوا وضعفت احوالهم لانهم بدونه لا يعرفون كيف يسيرون ولا يقدرون على نوال مطالبهم ولا يمكن ان يقدروا على فتح هذه القلعة فيرجعون خائبين متفرقين وحالما تقبضون عليه اقتلوه ولا تتهاملوا بامره والا تخلص ونجا ولا تقدر هذه الحصون المنيعة ان تمنعه من المرور الى قومه فهو شيطان في صورة إنسان لا يصطلى له بنار

فلما قرأ حاكم القلعة الكتاب قال لعمر مرحبًا بك فاني عن قريب اسلم القلعة اجابة لطلب فرمزتاج بن كسرى الملك الاكبر . ثم اشار بالسر الى قومه ان تقبض عليه فانقضوا عليه من كل ناح ومسكوه بالرغم عنه وفي الحال اوثقوه بالحبال وشدوه بكل قوتهم ولم يتركوا له سبيلاً للدفاع ولما راه الامير وقد صار بيده قال يجب ان نقتله في الحال فخذوه الى عالي الاسوار وادعوا العرب ان يتفرجوا على موت مدبرهم ودليلهم والقوه على دولاب الهواء وانفضوه مدفوعاً بقوة الدولاب الى الجو الاعلى فانه يرجع عن السور ميئات من الاقدام ثم يسقط الى بينهم ممزق من شدة الارياح ويعرف فرمزتاج بموته وكذلك تضمحل قوة العرب ولا تعود تقوم لهم قائمة . وفي تلك الساعة سحبوا عمر العيار مكتوفًا ونحوًا من عشرين رجل تحيط به وكلهم ماسكون بالحبال يضيقون عليه ولا يفرجون عنه حتى جاءوا الاسوار فصعدوا عليها وجاءوا اعلاها وركبوه تركيبًا محكمًا لجهة العرب ووضعوا عليه عمر العيار وهو مكتوف ومربوط الايدي والارجل ووقف كبيرهم ونادى قبائل العرب هيا ايها القوم المعتدون وانظروا ما يحل بقائدكم عمر العيار الذي تفتخرون به ففي هذا اليوم موته وهلاكه وخلوص ايامه

قال وكانت العرب تنتظر عودة عمر العيار اليهم وان يطلب اليهم الدخول حيث كانوا يتصورون ان فرمزتاج بعث بكتاب كالعادة يامر حاكم القلعة بالتسليم واذا بهم قد راوا جماعة من فرسان القلعة قد رفعوه على الاسوار وفعلوا ما فعلوا فغاب صوابهم وضاعت عقولهم فزحفوا الى ناحية الاسوار وهم يصيحون ويصرخون ويلكم ايها الاوباش خلوا عن عمر العيار فنترك لكم القلعة واشتروا انفسكم به والا فاننا لا نترككم ولا نبقي على انسان بها فلم يصغ الرجال الى كلامهم لعلمهم انهم لا يقدرون على فتح القلعة ولا على خرق الاسوار ولا يمكنهم ان يصلوا اليهم بل انهم اخذوا يد اللولب ودفعوه دفعة واحدة فدار كالبرق وباسرع من هبوب النسيم ضرب على عمر العيار فرفعه الى الجو الاعلى حتى كاد لا يرى من الارض وقد ايقن اهل القلعة انه يموت

وهو في الهوى وكذلك العرب ظنت انهُ ربما يقع داخل المدينة واما هو فانهُ ايقن بالموت والهلاك وثبت عندهُ ان تلك الدقيقة هي اخر حياتهِ حيث بعد ان ينتهي من الارتفاع بقوة دفع دولاب الهواء لا بد لهُ من السقوط فيموت شر ميتة وقد تألم وتوجع من لطمة الدولاب ولو لم يكن من اجلد الناس على المصائب والاهوال واكثرهم مخاطرة لمات في الحال الاَّ انهُ في تلك الثانية صادف وصول كندك المارد فتناولهُ بالهواء وطار بهِ في الجوّ وعاد من حيث اتى وقد تقدم معنا ان الامير حمزة قد بعثهُ لياتي بهِ ويحضر زفافهُ ولم ينتبه عمر الى كندك بل ظن نفسهُ انهُ دخل باب الهلاك وبعد قليل غاب عن هداهُ وكندك سائر بهِ ولا زال حتى وضعهُ امام اخيهِ حمزة فنظر اليهِ وهو على تلك الحالة فشغل بالهُ وتعجب منهُ وسال كندك عن امرهِ فقال لهُ اني نظرت العرب نازلين في ناحية من الارض عند قلعة قطمين فقصدت النزول عليهم واذا رايتهُ على السور ورجال القلعة مرادهم ان يهلكونهُ وقد نادوا العرب لتنظر موتهُ ورموهُ الى السحاب بدولاب الهواء فاسرعت اليهِ وهو غائب عن الهدى ميقن بالموت واتيت بهِ من العلى. فتكدر الامير حمزة وتقدم من عمر ونادهُ ففتح عينيهِ وراى الامير حمزة فظن انهُ بالجنة وان اخاهُ مات وهو هناك. فقال لهُ الحمد لله يا اخي الذي اجتمعت بك في دار الاخرة فواحسرتاهُ على العرب ماذا يا ترى يحل بهم بعدنا وماذا يجرى على مهردكار في دار الفناء واني مسرور الذي لحقت بك لاني كنت اظن انا والعرب انك حيٌ وما علمنا بموتك وانتقالك الى دار الاخرة. فعرف الامير حمزة انهُ لا يزال ضائع العقل فامر ان يوتى لهُ بكاس من الشراب فاحضر لهُ فسقاهُ واجلسهُ على صدرهِ وقال لهُ انظر جيداً فاننا لا نزال في هذه الدنيا واننا في جبال قاف وقد حضرت مع الراعد وبعثت كندك المارد فجاء بك وانت على اسوار قلعة قطمين. فلما سمع عمر انهُ بجبال قاف وعى الى نفسهِ والتفت يميناً وشمالاً فلم يرَ الاَّ جاناً ومردة فقال لهُ لماذا ارسلت فاتيت بي الى هذا المكان وكيف صادف ذلك وانا على اخر نفس من الحياة وثبت لي اني صرت في دار الاخرة حيث ارتفعت عن الارض نحو الف قدم وقد اغمضت عينيَّ كي لا ارى الارض ولا اشاهد كيف اموت فقال لهُ اني اتيت هذه البلاد مع الراعد ووقع لي كذا وكذا بها. ثم انهُ اعاد عليهِ قصتهُ من الاول الى الاخر واخبرهُ بكل ما جرى لهُ مع اسما بري الى ان قال لهُ اني قد ارسلت اولاً كندك المارد الى مكة فجاء بالقاضي بهلول ولم يرك هناك واخبر القاضي انك مسافر الى الغرب مع العرب فارسلت كندك حالاً لياتي بك ويرجع بيوم واحد فتحضر زفافي وترى العروس. قال خيراً فعلت فاني اريد ان اشاهد هذه التي تقول انها تريد ان تتزوج بك فاذا كانت موافقة لك وتحب العرب وافقتك والا تركناها ورجعنا فنادى الامير اسما بري فحضرت امام اخيهِ فنظر اليها وقال في الحال الى اخيهِ اني لا اقبل لك هذه العروس ولا اريدك ان تزف عليها واذا فعلت

ذلك قبلتك . فضحك الامير من كلامهِ وعرف انهُ يريد منها النقد ولذلك اشار الى اسما بري ان ترضيهُ . فقالت لا تفعل هذا يا عمر فاني لا اترك اخاك واحبهُ كثيرًا ولاجل حبهِ احب العرب اجمعهم واني ارضيك بكل شيء وسامليء لك صندوقًا من الذهب تاخذهُ معك الى العرب . قال اني لا اريد ان تملء لي صندوق بل اريد ان تملي لي هذا الجراب الصغير . ثم مد يدهُ الى وسطهِ فاخرج جراب اسماعيل منهُ وفتح لها فمهُ . فاستصغرتهُ وقالت اتبعني فاني مالئتهُ لك مرتين وثلاث مرات ودخلت الى غرفة من قصرها وفتحت صندوقًا كبيرًا مملوءًا من الذهب وقالت خذ مهاشئت منهُ واملي جرابك . قال افرغي لي انت وانا افتح فاهُ . ثم انهُ فتح باب الجراب واخذت اسما بري تضع فيهِ الذهب وهو لا يبان وهي تتعجب حتى فرغ الصندوق كلهُ فقالت لعمر كيف لا يملئ الجراب ومدت يدها اليهِ فراحت كلها في جوفهِ ولم تعثر بالذهب قط فطار عقلها ونظرت الى خارج الجراب فرانهُ صغيرًا لا يساع اكثر من كنها فكادت تفقد عقلها وجاءت الى الامير حمزة وعمر يضحك منها وقالت لهُ ما هذا الجراب فانهُ كاد باخذ عقلي وما ظننت انهُ يسع اكثر من ربع الصندوق . فقال لها يكفيهِ ما اعطيتهِ فانك لا تقدرين ان تملي الجراب فانهُ لو وضعت بهِ جبال قاف برمتها لما بانت فهو جراب اسماعيل . ثم نادى عمر وقال لهُ يكفاك ما اخذت من الذهب قال اني راضٍ بهِ فهو يكفي جماعتي الى زمان طويل وعليهِ فاني اسمح ان تزف على اسما بري فهي كريمة وموافقة واجعل ذلك ان ينتهي بوقت قريب حيث مرادي ان ارجع في صباح الغد الى العرب لانهم بدون شك في بكاء ونحيب من اجلي وربما هم بضيقة من جرى امتناع حاكم القلعة عليهم

قال ومنذ ذلك الحين اعدت اسما بري معدات الزفاف ودعت كل المردة وكبراء الجان ورؤساء الطوائف فحضروا اليها وحينئذٍ تقدم القاضي بهلول وزف الامير حمزة على اسما بري وبارك للامير بها وكذلك جميع الطوائف واظهروا فرحهم وسرورهم بملكتهم وانقضاء غايتها . ثم ان الامير بعد انقضاء السهرة دخل على اسما بري وجاءها ونام عندها تلك الليلة وهو مسرور بما لاقى منها الى الصباح وعند الصباح جاء قصرها فوجد اخاهُ عمر بانتظاره . فقال لهُ ارسلني الان الى قلعة قطين فاني مشغل البال على العرب وانت بعد ايام تتبعني . قال اصبر لاكتب الكتب الى العرب واطمنهم عني واني ساذهب اليهم بعد خمسة عشر يومًا فيذهبون في طريقهم ولا يتعوقون فقال لهُ اكتب ما شئت ولا تجعلها بيضة الديك فاخذ وكتب في الاول الى الملك النعمان والى اندهوق بن سعدون والى المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر واصفران الدربندي كل واحد كتابًا خصوصيًا باسمهِ يشرح لهُ حالهُ ويطمنهُ عنهُ وبعدهُ انهُ بعد ايام قليلة يكون عندهم ويامرهم بالثبات في القتال وان يبقوا يدًا واحدة ولا ينفرطوا وبعد ان

يتملكوا قلعة قطمين يداوموا السير حتى يصلوا الى طنجة الغرب حيث يكون قد سبقهم الى هناك بحسب اشارة الوزير بزرجمهر وان تكون كل غايتهم الاعتناء بهردكار وان لا يدعوا الاعداء يصلوا اليها واخيرًا كتب كتابًا لها يقول لها فيه

من حبيبك الملذوع بقرب النوى والمحروق بكيد الزمان وعناد البعاد من رمتهُ يد الايام الى اخر الدنيا فاصبح بينهُ وبين من احب جبال وبلاد لا يعرف عظم اتساعها الاَّ الله سبحانهُ وتعالى ابيت على حالة الياس وشخص جمالك يرافقني ويسامرني وخيالك يبات في عيني ولا يبارحني فاذا نهضت في الصباح رايت ذكرك يتردد في فمي وعين جمالك يناجي قلبي فاصرف اكثر الاوقات بين ذكرى وشكوى . كل هذا لا يخفاك ولا تبعد عنك معرفتهُ لاني اعرف من داخل قلبي ما تلاقي انت ايضًا وكيف حالتك حيث ان شخص بهاك ما زارني مرة الاَّ وعاتبني على هذا الانقطاع ونسب اليَّ الظلم وسبب هذا البعد فعرفت ذنبي وتاكدت اني الظالم وانك المظلومة . نعم انا كنت السبب في كل ما جرى وكان من هذا البعاد وعلى الدوام وانا الذي سببت لك الهم والحزن . ابعدتك عن اهلك وحملتك مشاق الاسفار والاوجاع والغربة والاهوال بعد ذاك الترفه والتنعم والدلال والعز الذي كنت عليهِ في بيت ابيك وفوق كل ذلك لم افِ حق حبك ولا اتمت بواجباتك لاعيضك بدل ما تلاقينهُ فاعذريني ولا تلوميني بل سامحيني فان قلبي باقٍ على الحب ولي امل وثيق ان كل هذه الاهوال والمصائب والعذابات ستكون هناء وراحة وسعادة لي ولك فسامح الله اباك الذي اراد ان يقهر غايتنا ويدوس راحتنا ويجلب كل هذا العناء لي ولك لا بل لعن الله بختك الوزير الخائن الناكث الخادع اذ انهُ منبع العداوة واصل كل هذه الشرور ولولاهُ الان لكانت باقية في المدائن وكان انتهى زفافنا منذ زمان وكنا بجانب بعضنا نلاقي لذة المعيشة وهناء الزواج واني اسال الله ان يقدرني من الوصول اليهِ لاشفي غليل قلبي منهُ واذيقهُ الموت الاحمر جزاء على اعمالهِ والان قد بعثت بالكتب الى سائر الفرسان اوصيهم بالمحافظة على راحتك اذ لا شيء يشغلني عنك وامرك افضلهُ على كل امر واريدك على الدوام ان تكوني مرتاحة مطمئنة البال من نحوي فاني بعد قليل من الايام اكون عندك واشرح لك العذاب الذي لقيتهُ في سفرتي هذه غير انهُ قد انقضى وزال واصبحت براحة عظيمة وقد التزمت بالرغم عني ان اتزوج باحدى بنات الجان وهي بنت الملك الذي قتلهُ واسمها اسما بري لانها وقفت في طريق رجوعي الى بلادي وحاربتني محاربة عظيمة ولولا تاكدي ان زواجها قدر عليَّ وانهُ لا بد منهُ لفضلت الموت عليهِ وساتركها بعد خمسة عشر يومًا حيث اشرطت عليها ان لا اقيم معها اكثر من هذه المدة فعدي نفسك بقرب وصولي اليك وكوني براحة مع اخوتك فرساني وها ان اخي عمر قد عاد اليكم بعد ان خطر لكم وتوهمتم انهُ مات واوصيتهُ الوصية الكبرى

ان يكون بخدمتك كما كان وهو يخبرك بحالي انا الغريب عنك وعن رجالي فمهما حصل لي من الراحة بانا على هذا البعاد فاحسبه ويلاً وعذابًا وكدرًا ممزوجًا بالشقاء فراحتي ان ارى في كل صباح ومساء وهنائي ان اسمع عذوبة الفاظك في كل آن فتنزل على مسمعي وعلى قلبي اشهى من كل شيء وارد من الماء الزلال فسقيًا لتلك الايام القليلة التي صرفناها في ارض مكة المطهرة اراك وتريني واسمع كلامك وتسمعين كلامي وكل واحد منا يقدم للاخر قلبهُ ويطرح بين يديهِ نفسهُ اني اتذكرها ودموعي لا تنقطع دقيقة وقلبي يخفق على تلك الساعات التي كظل الخيال . ثم كتب في اخر التحرير

فؤادٌ كما يهوى هواك معذبُ ... وقلبٌ على جمر الاسى يتقلبُ
وعين اذا ما جفت الحزن دمعها ... انت بدموع من دم القلب تسكب
تيقنت ان لا صبر لي عنك ساعة ... فاقصيتني اذ ليس لي عنك مذهب
وذلت بحكم الحب نفسي ولم تكد ... وليس لمن يهوى عن الذل مهرب
وعلمتني كيف التوجع والبكا ... وكيف اداري الكاشحين وارهب
واعرضت فاخترت الحمام على البقا ... وورد الردى لي دون بعدك يعذب
فان تردني الاشواق مت بحسرتي ... وان تبقني قاسيت ما هو اصعب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم ... واين من المشتاق عنقاء مغربُ
غريب غريب الهم والقلب والهوى ... ونفسي التي تهوى الردى لي اغرب
تري الماء كالسم الزعاف مع الظما ... اذا كان من كف المقطب يشرب
اقول لحرٍّ يبتغي صفو ساعة ... من الدهر ان النجم من ذاك اقرب
انطلب في الدنيا الدنية راحة ... وانت كريم النفس حرٌّ مهذبُ
سقاني نقيع السم في الشهد ريقها ... على انني طبٌّ بها ومجربُ
تغرُّ بزور ثم تفتك بالفتى ... وقد يخدع الوغد الشجاع فيضرب
فلا تركنن منها لسلم تريكهُ ... فكم غادر يبدي الرضى وهو مغضب
تلين خداعًا للمقلب كشحها ... كما لان بطن الافعوان فتسلب
تجنبت اخلاق اللئام فخانني ... وعاقبني دهري كاني مذنب
فكم قائل فيك انقباض ووحشة ... فقلت لهُ لا بل من الذل اهيب
كأن على الايام حزني واجب ... فيا كبدي ذوبي فذلك اوجب

وبعد ان فرغ الامير حمزة من كتابة الكتاب دفعهُ الى اخيهِ عمر العيار وقال لكندك المارد اوصلهُ الى القلعة التي جئت بهِ منها ولا تفارقهُ الى بعد ان تاخذ العرب القلعة هذا بعد

ان توصل القاضي الى مكة المطهرة فاطاع كندك المارد امرهُ وفي الحال حمل الاثنين وطار بهما حتى جاء مكة فوضع القاضي هناك واما عمر فانهُ لم يقبل ان ينزل عند مكة بل قال للمارد خذني الى ناحية القلعة وانزلني بعيداً عن معسكر العرب بنحو ساعتين فاجاب سوالهُ وسار بهِ حتى اوصلهُ الى قرب قلعة قطمين فانزلهُ هناك واقام بعيداً عنهُ لا يظهر نفسهُ لاحد فمشى الى ناحية العرب ليظهر لهم نفسهُ

قال وكانت جماعة العربان بعد ان راوا ما راوا من مصاب عمر وشاهدوهُ وقد دفع الى السحاب ولم يروهُ فيما بعد فثبت عندهم كل الثبوت انهُ مات لا محالة وانهُ وقع في غير جهة من المدينة فلطموا على خدودهم وبكوا وناحوا واقاموا لهُ عزاء لم يسبق ان وقع مثلهُ لاعظم ملوك ذاك الزمان وكان اعظم الجميع كدراً مهردكار لانها كانت تتسلى بهِ وكانت امينة على نفسها من غدر الاعداء ما دام هو قريب منها ولذلك ندبتهُ وبكتهُ بكاء مراً ولبست عليهِ الحداد وصرفوا نحواً من ثلاثة ايام والعرب تطوف حول الخيام وتندب عمراً مقدامها وقد تقطعت ظهورهم وشعروا بشدة احتياجهم اليهِ وهم لا يعرفون ماذا تصل اليهِ حالتهم . وفي اليوم الرابع ضاق خلق اندهوق بن سعدون من الحالة التي هو فيها وفكر ان الامير حمزة هو في جبال قاف وان الامير عمر قد قتل وان مهردكار هي معهم ولا يمكنهم ان يتركوها ولا يعلموا في اي وقت ياتي حمزة واذا اتى فماذا ياترى يقولون لهُ اذا سالهم عن عمر العيار الذي يحبهُ محبة عظيمة وخاف من ان الفرسان تتفرق وتضعف قوتهم ويقل املهم فينشتتون ويتبددون ولهذا خرج من بين الخيام واوسع في البر ليبعد عن فكرهِ هذه الاوهام ويلتهي بالصيد والقنص ذاك النهار وفي المساء يجمع العرب ويحلفهم بالله ان لا يترك بعضهم بعضاً الى ان تعود اليهم ايام الهناء ويرجع الامير من سفرهِ . وفيما هو سائر بالفلاة واذا قد راهُ عمر العيار فقرب منهُ وصاح بهِ وقال لهُ اهلاً باخي اندهوق فما بالك لابس السواد وانا اخوك عمر العيار قد عدت اليكم سالماً فارتاع اندهوق عند سماعهِ هذا الصوت . ونظر الى جهتهِ فشاهد عمر فلم يخطر لهُ انهُ هو بنفسهِ بل ظن ان خيالهُ يعارضهُ ليثقل عليهِ بالحالة التي هو فيها . فقال لهُ ابعد عني ايها الخيال فقد كفانا ما لقينا لمصرع عمر وما لحق العرب من الحزن لاجلهِ واذرف دمعهُ على خدهِ ومال بوجههِ الى جهة ثانية وسار فيها . فعرف عمر ان العرب بحزن عليهِ وقد لبسوا السواد وان بكل نيتهم انهُ قتل وشرب كاس الافات . فاسرع الى ناحية اندهوق وقال لهُ اي خيال هنا انا اخوك عمر وقد جئت برسمي وجسمي واسمي واتيتكم ببشارة عن الامير حمزة ومكتوب لك منهُ ثم لمسهُ وعارضهُ ودفع اليهِ المكتوب فنظر فيهِ اندهوق وتاكدهُ وثبت لديهِ انهُ عمر فرمى بنفسهِ عن الجواد وجعل يقبلهُ وقال لهُ اين كنت هذه المدة وما الذي اوصلك الى الامير حمزة . قال اقرأ اولاً الكتاب وسر فخبر العرب

بقدومي وسوف تسمع قصتي وقصة الامير حمزة فعاد اندهوق ركضاً على جواده حتى دخل بين العرب وهو من الفرح في برج عظيم وجعل ينادي هيا يا امراء العرب وساداتها وقوادها فابشروا واهناءوا فقد عاد اليكم عمر العيار راس العرب وفخرهم فاسرعوا الى ملاقاته واشكروا الله على ما قد اعطاكم فهو الرحيم المعين . وفي الحال قامت الضجة من العرب واكثروا من الصراخ والصياح وانحدروا الى ناحية اندهوق فجعل يشير اليهم بيديهِ ويقول لهم هيا اسرعوا من هذه الطريق فهو بانتظاركم ان تصلوا اليه فاخذوا يركضون افواجاً افواجاً وصياحهم قد ملأ الارض ولما راوهُ رفعوهُ على ايديهم وجعلوا يتناقلونهُ ويغنون ويزرغطون ولا سيما جماعة العيارون فانهم كانوا لا يعلمون ماذا يفعلون فداروا بهِ من كل مكان والسنتهم تبربر وايديهم تصفق وعادوا بهِ فرحين مسرورين الى ان التقوا بالفرسان وهم المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل والباقين فنزلوا اليهِ وسلموا عليهِ وسالوهُ عن حالهِ فاعطى كل واحد كتابة من الامير ففضهُ وقراه وشكروا الله على سلامتهِ وساروا الى صيوان الملك النعمان واجتمعوا واستعادوا منهُ الحديث فاخبرهم بكل ما كان من امره من حين فارقهم ودخل القلعة وكيف ان حاكم القلعة غدر بهِ وربطهُ وامر بقتلهِ وكيف ان كندك كان قد جاء في تلك الدقيقة من قبل اخيهِ ليذهب بهِ الى جبال قاف واعاد عليهم ايضاً قصة اخيهِ حمزة وانهُ تزوج في جبال قاف بالرغم عنهُ بشرط ان يقيم مع اسما بري خمسة عشر يوماً وبعد ذلك توصلهُ الى بلادهِ فشكروا الله على سلامتهِ وقال لهُ اندهوق ان موتك جاء بنفع وخير لنا فكم بالحري حياتك فلا زلت علة خير ونجاح ودليل سعادة واقبال واننا في الصباح سنباكر اهل القلعة وناخذ لانفسنا منهم بالثار ونسير الى طنجة الغرب لنلاقي اميرنا وفارسنا هناك فاننا بشوق الى رؤياهُ وقلوبنا كادت تنفطر عليهِ . ثم تركهم وسار الى مهردكار

وكانت مهردكار في صيوانها فبلغها بغتة خبر وصول عمر فطار قلبها ولم تعد تعي الى نفسها وكانت بحزن من اجلهِ فنهضت على غير وعي وخرجت من الصيوان الى الخارج تنتظر قدومهُ وهي لا تصدق بذلك وبقيت واقفة تسمع صياح العرب وصراخهم ومناداتهم بالافراح والمسرات فثبت عندها ذلك ودخلت فنزعت عنها ثوب الحداد وصارت تدخل الى الصيوان وتخرج منتظرة وصولهُ اليها وقد ضاق صدرها وعيل صبرها فارادت ان تعرف ماذا جرى عليهِ ولا زالت الى ان وصل اليها فحياها وسلم عليها وقال لها ان غيابي كان نافعاً قد عدت اليك بخبر عن اخي الامير فطفح السرور بزيادة على قلبها وقالت ابن اخوك وما هو الخبر الذي جئتني بهِ منهُ قال ان اخي هو في جبال قاف عند اسما بري ولهُ حديث طويل وعما قليل من الايام يكون عندك واعطاني هذا الكتاب لك . ثم ناولها الكتاب فاخذتهُ منهُ ووضعتهُ بيدها لتقراهُ

بانفراد وجعل قلبها يخفق شوقًا الى مطالعتهِ والوقوف على كل ما تضمنهُ والنظر الى تلك الاسطر التي كتبها حبيبها . وبعد ان فرغ من اعادة حديث اخيهِ عليها تركها وذهب الى جماعتهِ العيارين وقال لهم اتبعوني الى الفلا فاني احضرت لكم من ذهب جبال قاف الكبير العيار شيئًا كثيرًا وسار امامهم فساروا من خلفهِ حتى جاء اكمة في تلك الناحية فصعد عليها وقلبهُ فرح مسرور ببذل الاموال لهم واخرج الجراب من وسطهِ ووضعهُ امامهُ وجعل ياخذ قبضة بعد قبضة ويرشها عليهم وهم يتسابقون الى التقاطها وهو يضحك منهم ويسرّ من مسارعتهم وفرحهم بعطائهِ حتى فرغ الجراب فاسود قلبهُ وحزن على فراغهِ وتمنى ان لا ينقطع عن هذا العمل كل عمره حيث كان كريمًا نهابًا وهابًا . وبعد ذلك رجع الى المعسكر ومن خلفهِ جماعتهُ وكل واحد منهم قد اصابهُ ما يكفي لغناهُ وهم يشكرونهُ ويثنون عليهِ ويمدحونهُ حتى جاءوا خيامهم واقاموا بها واقام عمر على حراسة مهردكار والتطواف بالمعسكر كالعادة كانهُ لا راح ولا جاء

واما مهردكار فانها بعد ان ذهب عنها عمر العيار اخذت بيدها الرسالة وجلست على سريرها وهي تتنشق منها رائحة الراحة وتتوسم بها الفرح والمسرة وفضتها بايدٍ ترتجف والقت بنظرها على التوقيع وقرأت اسم حبيبها حمزة فالقت راسها الى الوسادة وقد خارت قواها وخفق قلبها كان الامير قد وافاها بعد غيبتهِ ولبثت نحوًا من نصف ساعة وهي ملقاة على الوسادة حتى قدرت ان تضبط نفسها وتنهض جالسة الى قراءة التحرير فاخذتهُ بيدها واعادت بنظرها عليهِ وتجلدت كل التجلد ووضعت يدها اليمنى على قلبها لتمسكهُ عند ما يطلب الغور والخور وبدأت من اولهِ تقرأ سطرًا وتصبر نحو خمس دقائق لتقدر على قراءة السطر الثاني وما برحت حتى وصلت الى اخره وهي على ما تقدم واذ ذاك عادت الى حالة الاضطراب الذي يحدث عند اشتداد الفرح واتكأت على سريرها تكرر معاني الفاظ حبيبها الرقيقة وقالت لا ريب ان شعورهُ واحساساتهِ من نحوي على الدوام حية وهذا الذي يسليني ويتركني اعلق الامل الكبير العظيم بان ما انا بهِ من المشاق ينتهي الى الراحة هو يحمل هم سفري مع انهُ بعيد عني الوف والوف الوف من الفراسخ بل وملايين الوف من الفراسخ فليهنأ قلبي وليفرح بمن احب ولو لم يكن اهلاً لان احبهُ لكان خيرًا لي ان اموت من ان اعيش على عناد ابي ومخالفة اهلي وترك بلادي لكنهُ هو افضل من الجميع وارق على ضعفي من ابي واخي وامي ولكن بماذا ماترى اقدر ان اكافيهُ على مثل هذا الحب والخلوص اني احبهُ نعم ولكن لا فضل لي بحبهِ لان ذلك من موحيات عشقي وتدللات قلبي فلا فضل لي بهِ فيارب كافئهُ عني بما تختارهُ لهُ واجعل ايامهُ طويلة مقرونة بالسعادة والاقبال . وصرفت كل ذاك النهار وتلك الليلة وهي على مثل هذه الافكار تارة تاخذ الكتاب فتعيد قراءتهُ وتمعن بهِ وطورًا تضعهُ على صدرها وتضمهُ بيدها وتلقي نفسها على السرير وافكارها سارحة الى ناحية جبال

فاق وفي الاخير وجدت نفسها مضطرة الى مناشدة الاشعار فاشارت تقول

لا وبرد اللقا ومرّ الفراقِ | ما لقلبي من لسعة البين راقِ
كيف يخفى حريق وجد فؤادٍ | صيرالجفن دايم الاغراقِ
كتمتهُ جوارحي فنشاهُ | ناطق الدمع صامت الاماقِ
يا غزالاً عن المحب نفورًا | وشهابًا في البعد والاحراقِ
كم اناديك ضرني ما دهاني | كم اناديك شفني ما الاقي
فاجرني من الجفون فقلبي | مات صبرًا من النفوس الرقاق
واغثني من القدود فاني | لست اقوى على الرماح الرشاق
لست ارضى سواك مالك رقي | لا تسمني بذلة الاعناق
سامح الله حاجبيك واسما | رشقتني باسهم الاحداق
وحمى واضح الجبين لحسنٍ | لسناهُ اهلة الافاقِ
كم قطعنا به ليالي وصلٍ | في استلام رلذة واعتناقٍ
وشربنا من الوجوه خمورًا | في الدياجي شديدة الاشراقِ
ورشقنا من الثغور كؤوسًا | راحها فيه راحة العشاق
وهصرنا من القدود غصونًا | طارحتها بلابل الاشواقِ
يافؤادي عن القطيعة صبرًا | قد قضى البين بيننا بفراقِ
لا تكن عندما تصاب حزينًا | ليس بعد الفراق الاّ التلاقي

وعادت منذ ذلك اليوم وان كانت تتذكر الامير على الدوام انما علقت الامل بان في نفس ذاك الشهر يصل اليها كما افاد في تحريرهِ لها

ولما كان غد ذاك اليوم نهض العرب من مراقدهم وتقدم عمر العيار في الاول وصاح بهم ان يتبعوهُ ليسلمهم القلعة وكان الى جانبهِ كذلك المارد وهو عازم على قلع الابواب والفتك بالذين داخل القلعة وفي الحال زحفت الابطال والفرسان وسائر الرجال من كبار وصغار وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وهجم كذلك على الابواب ففتحها واندفعت العرب الى الداخل وهي مسرورة بذاك الفتح المبين وعمر العيار كانهُ شعلة نار يصيح ويهجم من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار حتى دخل على حاكم القلعة وقال لهُ ويلك ياخبيث ياغدار اظننت ان عمر العيار يموت وهو محروس بعناية العزيز الجبار فانما قتال اليوم عاش في الغد فارتاع الحاكم واراد ان يدافع عن نفسهِ فلم يمهلهُ بل ضربهُ بالخنجر في صدرهِ اطلعهُ من ظهره وبمدة ساعة ملك العرب القلعة واعتلوا اسوارها وغنموا كل ما فيها وقتلوا كثيرًا من اهلها وبعد ذلك فرقوا بالرجال في كل

نواحيها واجتمع الفرسان الى قصر الحاكم فوجدوا عمرًا هناك وقد قتلهُ فجلسوا وشكروا من عمر وكندك المارد وقالوا لهُ لولاك لما سهل علينا فتح هذه القلعة لانها حصينة جدًا لا يمكن الدخول اليها الاَّ بالتسليم فقال اني ملزوم بخدمة سيدي الامير حمزة وقد اوصاني ان لا ارجع عنكم ما لم تفتحوها وها قد تم الغرض واريد الذهاب والرجوع الى جبال قاف في هذه الساعة فكتب كل فارس منهم كتابًا الى الامير يخبرونهُ بما كان من امرهم ويشكون اليهِ اشواقهم ويسالونهُ سرعة العودة اليهم قبل ان تاتيهم رجال كسرى وعساكره لانهُ يجمع الفرسان ليسير في اثرهم . وكتبت اليهِ مهردكار كتابًا تشكو من طول بعادهِ وتثني على اهتمامهِ بها وهو بعيد عنها فاخذ كندك المكاتيب وعاد الى جبال قاف ودخل على الامير حمزة وسلمهُ اياها فاخذها وقراها واحدًا بعد واحد وهو متاثر من بعادهِ عن قومهِ وحجره بالرغم عنهُ في جبال قاف وصبر على امل انهُ بعد فراغ المدة تصدق اسما بري فترفعهُ الى بلادهِ وقومهِ في الحال وبعد نهاية المدة طلب اليها ان تامر كندك المارد ان يوصلهُ الى قومهِ فحاولتهُ وقالت لهُ يجب ان تصبر بعد ايام قليلة واحسب نفسك سائرًا في البرية فانك صرت زوجي ولا بد من . اعنك لكن ليس الان فاشفق عليَّ واقم ايامًا قليلة فتكدر منها الاَّ انهُ صبر حتى مضى شهر تمام سالها الانجاز فقالت لهُ لا بد منهُ فكن مرتاحًا ولا بد من ايصالك الى بلادك ووطنك وتجتمع بقومك لكن ليس في هذه الايام وعما قليل تري نفسك بين قومك فصبر ولا زالت تحاولهُ اسبوعا بعد اسبوع وشهرًا بعد شهر ويومًا بعد يوم حتى مضى عليهِ سنة وهو عندها فضاق صدرهُ وعيل صبرهُ لم يعد يسعهُ البقاء وتذكر حالة العرب وقال لا بد انهم ينفرطون ويتفرقون وقد يئستهم اني اكون عندهم بعد ايام قليلة فطالت المدة ولا بد ان يشتغل بالهم من اجلي ولا سيما مهردكار فانها تموت كمدًا

ولما اشتد عليهِ الحال نهض واصرَّ على الذهاب وسال كندك المارد ان يحملهُ فامتنع وكذلك باقي المردة فاغتاظ منهم وقال لاسما بري قد غششتني وسمعت قولك وكذبت بهِ . فقالت اني لا اقبل بعد ان تصير زوجي تفارقني وتبعد عني وصار من الواجب ان تبقى عندي وهل ان التي تحبها هي احق بك مني فتكدر منها وخرج ماشيًا على قدميهِ وترك القصر واستلم الطريق وهو يلوم نفسهُ كيف سمع منها وانقاد لها وطاعها في امر الزواج حتى ابعدتهُ كل هذه المدة عن قومهِ وانهُ لو بقي سائرًا لا بد ان يكون قد لقي الفرج ووصل الى قومهِ وفي المساء قدم لهُ كندك المارد الطعام فاكل ونام وعند الصباح نهض ومشى وقد خالف الطريق على امل ان يرى الفرج وبقي عدة ايام حتى مرَّ على صومعة في لحف جبل فانشرح صدرهُ وقال ان هذا المحل لا بد ان يكون بهِ رجال من الانس مستخدمي الجان الذين يقال لهم حكماء وكهان فعرج الى تلك الصومعة وهو منشرح الصدر يسال الله ان يكون الفرج هناك ولما وصل اليها طرق بابها فخرج اليهِ

خدمة من الجان فسلم عليهم وقال لمن هذه الصومعة ومن يسكنها فقالوا لهُ هي لاميرنا جوكدان وهو في الداخل فادخل عليهِ واسالهُ غرضك فيجيبك اليهِ في الحال. ففرح ودخل على الامير جوكدان وسلم عليهِ وقال لهُ اني اتيتك لاجل قضاء مصلحتي فاعني وارحمني فقال لهُ مرحبًا بك ثم امر ان يقدم لهُ الطعام فاكل وهو مسرور لانهُ راى في جوكدان سمة اللطف والكرامة وبعد ذلك استعاد منهُ حديثهُ فحكاهُ لهُ من الاول الى الاخر وما جرى لهُ مع اسما بري وسالهُ ان يتسبب بوصولهِ الى بلادهِ. فقال لهُ مرحبًا بك فلا بد من ان اوصلك الى بلادك بوقت قريب فاني اعطيك جوادًا سريع الجري وهو يوصلك لكن ينبغي ان تحافظ عليهِ. فوعدهُ بذلك وفي الحال امر ان تدفع اليهِ فرس توصلهُ الى بلادهِ فسلمهُ الخدم الفرس فسرَّ بها وشكرهُ على معروفهِ وركب الفرس وسار واطلق لها العنان فطارت بهِ على وجه الارض مسير الريح الى ان امسى المساء فنزل الى الارض واذا بكندك المارد قدم لهُ الطعام فاكل ونام مسرورًا وفي ظنهِ ان يصل الى بلدهِ قريبًا وفيما هو نائم سمع صوت صهيل قوي فنهض مرتاعًا واذا بهِ يرى جوادًا بقدر الفيل الكبير لم يرَ مثلهُ بطول عمرهِ يعلو ظهر الفرس وقد جاءها من البر فاستل سيفهُ وضربهُ فقتلهُ وكانت قد علقت منهُ والامير لا يعلم بذلك بل بقي باقي تلك الليلة نائمًا وفي اليوم الثاني ركب الفرس وسار كالنجم اذا طار حتى كان المساء قام وهو ميقن انهُ ما عاد يحتاج الى اسما بري ولا يفكر فيها فيما بعد كونهُ راى منها الغدر والغش والخيانة وفي الصباح نهض وطلب الفرس فلم يجدها فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ لها اثرا فاغتاظ وتكدر جدًا واذا باسما بري تناديهِ وتقول لهُ لا تفتش على الفرس فهي عندي وقد سرقتها منك في الليل فلا تطمع نفسك بان احدًا يقدر ان يوصلك الى بلدك وقومك غيري فاسمع مني وارجع الى قصري سبعة ايام اخر وبعد ذلك ارسلك الى المكان الذي تطلبهُ فقال لها اني ما عدت اصدقك قط لانك كما كذبت في الاول تكذبين في الاخير واني سأسير ماشٍ واستل سيفهُ وهجم على اسما بري فهربت فاحترق فوادهُ منها وذهب في طريقهِ ماشيًا مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم منهُ كندك المارد وقال لهُ اعلم ياسيدي ان اسما بري وضعت بنتًا وقد طلبت اليَّ ان اخبرك بذلك فهل تريد ان ترجع اليها وتنظرها فتحركت احشاء الامير حمزة وكان لم يرَ الاولاد بعد وحنَّ الى روية بنتهِ الجديدة فقال لكندك ارجعني لاراها فحملهُ في الحال وعاد بهِ الى جبال قاف الى قصر اسما بري كانهُ ما قطع شيئًا من الطريق ولما دخل القصر وجد انها ولدت بنتًا كما اخبرهُ كندك فاخذها على ساعدهِ وقبلها وهو فرح بها وسماها قريشة ووجد نفسهُ مضطرًا ان يقيم عند زوجتهِ وبنتهِ مدة ايام اخر فسرَّ ذلك اسما بري وبقيت معهُ بسرور وفرح تكرمهُ وهي من شدة عشقها بهِ لا تكاد تعرف ما تصنع معهُ وتتمنى ان يبقي كل عمره عندها وبعد ان صرف مدة طويلة قال لها يكفي

هذه المدة فاني باضطرار الى الذهاب والوصول الى قومي فانهم بحاجة اليَّ فقالت ان الوقت لم يحن بعد ومن الضرورة ان تبقى عندي وعند بنتك ودع عنك العرب ومن هناك فهذا نصيبك ان تعيش هنا وتموت هنا فتكدر منها واقسم بالله العظيم انهُ ما عاد يرجع الى جبال قاف وانهُ سيسير في طريقهِ اما يموت واما يعيش ويصل الى رجالهِ وسار من هناك ومشى اياما عديدة وهو صابر على نفسهِ ياكل ويشرب من كنده المارد ولا يعرف من اين يصل ولا ماذا يوصلهُ الى بلادهِ حتى كان في صباح ذات يوم نهض واذا باسما بري واقفة امامهُ فقال لها ماذا تريدين مني فارجعي عني واتركيني فكفى كل ما وصل اليَّ منك . قالت اني اتيت بامر فيهِ الخير والنجاح لك وهو ان الفرس التي اخذتها من عند جوكدان ولدت مهرًا لا يوجد لهُ نظير لا بين خيول الانس ولا بين خيول الجان ولا بد اذا رايته فضلتهُ على كنوز الارض وهذا هو الجواد الذي يوصلك الى بلادك فاذا رجعت واقمت عندي مدة ايام الى ان يكبر سرت عليهِ او اوصلك انا . فطار عقل حمزة عند سماعهِ هذا الكلام وتعلق قلبهُ بهذا المهر ومالت نفسهُ الى ان يراهُ لان قلبهُ كان معلقًا عند الفرس وهو يحب ويرغب ان تكون معهُ في بلادهِ ليحارب عليها لشدة جريها وقوة قوائمها . فقال لاسما بري ارجعيني الى قصرك لارى هذا المهر وقد نوى انهُ يحتال ليحصل على الفرس فيركبها ويسير عليها وياخذها مع ولدها فسرّت من كلامهِ ورجعت بهِ حالاً وهي مسرورة بان يبقى عندها بعض ايام اخر وبعد ان استقر بهِ القيام قال لها اريني المهر فذهبت بهِ الى الاصطبل وارتهُ الفرس وفلوها فلما راها طار عقلهُ ونظر الى المهر وهيئتهُ وامعن في شكلهِ فاعجبهُ جدًا ونسي امهُ عندهُ وكان بظهره ريشة اذا قوّمها تخرق الحديد وفي وجههِ وبين عينيهِ صبحة بيضاء تشير الى ان راكبهُ مسعود . مقلم الاذان واسع الكفل فدعاهُ غزال الجان . وقال لاسما بري اني ابقى عندك الى حين يكبر هذا الجواد حيث مرادي ان اربيهُ على يديَّ واعتني بهِ بنفسي ففرحت من ذلك وقالت لهُ افعل ما شئت وعرفت انهُ لا بد ان يحتاج ذلك الى عدة شهور او بالحري سنة كاملة لبينما يمكنهُ ان يركبهُ واقامت معهُ على حسب العادة تصرف اكثر وقتها بجانبهِ وتخدمهُ وتقدم لهُ احتياجاتهِ وبنتهُ قريشة تكبر وتترعرع وهو منصرف بكل همتهِ الى الاعتناء بغزال الجان اي جوادهِ الصغير وامهِ حتى مضى على ذلك عدة اسابيع وشهور حتى اصبح للامير من حين خروجهِ من مكة المطهرة الى ذاك اليوم مدة سنتين ونصف تمامًا

فذات يوم كانت اسما بري غائبة عن القصر وهو منفرد بنفسهِ تذكر اهلهُ وقومهُ ومهرد كار فبكى وحزن حزنًا عظيمًا ولعن تلك الساعة التي جاء بها مع الراعد ونهض الى القصر فاخذ منهُ زادًا لطريقهِ فوضعهُ على الفرس وركبها واطلق لها العنان في مسلكهِ الاول فجرت بهِ كالبرق الخاطف ومن خلفها ولدها غزال الجان يسبقها بالجري وحمزة فرحان بهِ الفرح الزائد ولا برح

يجد السير حتى مضى عليهِ نحو عشرين يومًا وهو مسرور انهُ عن قريب يصل الى بلادهِ وقومهِ وفي اليوم الحادي والعشرين نهض من نومهِ فوجد الفرس مقتولة ومقسومة الى قسمين والمهر واقف بجانبها ينظر اليها حزينًا فطار صوابهُ وغاب عقلهُ واستل سيفهُ وصاح من الذي فعل هذا الفعل لاقطع ايادِيهِ واعدمهُ الحياة . فظهرت اسما بري عن بعد وقالت لهُ انا التي قتلتها كي لا تصل بك الى بلادك . فقال لها يا بنت الحرام ونسل اللئام الى متى هذا العذاب لا تاخذيني الى قومي ولا تدعي احدًا يصل بي اليهم فلعن الله اليوم الذي عرفتك بهِ ورايت وجهك هذا المنحوس الطالع فلا عدت تطمعين نفسك قط برجوعي بعد ان قطعت هذه المسافة ولو كنت اموت واذوق كاس الفناء والبلاء

ثم انهُ اخذ لجام الفرس وسرجها واسرج المهر ووضع اللجام في فمهِ وركبهُ وسار في طريقهِ متكدرًا جدًا من عمل اسما برى وحزينًا على الفرس فتركتهُ لترى النهاية وامرت كندك ان يقدم لهُ كل ما يحتاجهُ من طعام وشراب حتى مضى على ذلك عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر نهض حسب عادتهِ واراد ان يركب غزال الجان فلم يرهُ فاغتاظ جدًا وخاف ان يكون قد افلت وسار في البر فاراد ان يفتش عليهِ واذا باسما بري ظهرت عن بعد وهي تضحك وقالت لهُ عبثًا ترجو ايها الامير فانك ما عدت ترى جوادك بعد الان الاّ اذا كنت ترجع معي الى بلادي فاحضره لك لاني سرقتهُ منك وبعثتهُ الى كنوز السيد سليمان . فقال لها قبحك الله من خبيثة محتالة قلت لك اني لا ارجع فلا ارجع ولو هلكت ومت فقد يئست من الحياة وصار شرب كاس الحمام احب عليَّ جدًا من النظر الى قباحة هيئتك . ثم اعرض عنها ومشى في طريقهِ وهو يكاد لا يرى الطريق لشدة غيظهِ وكدرهِ وحزنهِ وكل اميالهِ وحواسهِ عند الجواد كيف انهُ بعد ان تعب التعب العظيم بتربيتهِ والاعتناء بهِ تاخذهُ وتبعدهُ عنهُ وزاد كرههُ بها حتى صار اذا فكر بها شعر بان الدنيا اسودت في وجههِ وجعل يمشي وهي تحاولهُ وتريد ان تقنعهُ ليرجع عن غيهِ وهي تاتي لهُ بالجواد اذا اقام بعد عندها سبعة ايام اخر وهو لا يرعوي ولا يصغي ولا يسمع بل يسير هائمًا على وجههِ مرة الى اليمين ومرة الى الشمال حتى مضى عليهِ نحو ستة اشهر تقريبًا وهي ترجع الى جبال وتوكل بهِ كندك المارد ثم تعود الى محاولتهِ ومراوغتهِ فيطردها ويشتمها

قال وفيما هو سائر على تلك الحالة اذ لاحت لهُ عن بعد قلعة مبنية في جانب من الطريق فهلع قلبهُ وطار فوادهُ وامل ان يرى هناك من يساعدهُ ويعينهُ على الوصول الى معسكر العرب ولا زال سائرًا حتى دنا من القلعة فوجدها مقفلة وهي بباب من الحديد فاستل سيفهُ وضربهُ بهِ فخرقهُ ثم اعاد عليهِ الضرب ثانيًا وثالثًا حتى فتح بهِ نافذة فدخل منها وصار في الداخل وجعل يطوف فيها من مكان الى مكان فوجد ماردًا من الجان مقيدًا بالسلاسل في احدى الغرف فترحب

و وقال له ادنُ مني وحلّ لي هذه السلاسل فقال له لماذا انت مقيد هنا وما هو السبب الذي اوجب حبسك في هذا المكان . قال هو اني كنت احب اسما بري وعاشق لها وطلبت من ابيها ان اتزوج بها فسالها في ذلك فامتنعت ورفضت طلبي فاردت ان اجبرها عليه لاني اقدر منها فدخلت باب الخداع وابدت قبولها وجاءت عندي واسكرتني وبالاخير امرت قومها بتقييدي بهذه السلاسل وانا ثامل وقليل القوى وجاءت بي الى هذا المكان فحبستني به فاذا حللت قيودي كان لك الخير العظيم ومهما طلبته اقدمه لك . قال واذا اطلقتك ماذا تعمل باسما بري . قال اذا كانت لا تزال بكرًا تزوجت بها ورغمتها ان تقبل بي . فقال اذا كان هذا ظنك فالاوفق ان تبقى مقيدًا . قال ولماذا . قال كي لا تقرب من اسما بري ولا تطمع نفسك بها حيث صارت لغيرك . قال ومن تزوجها . قال تزوجها الامير حمزة فارس برية الحجاز وقاتل ابيها واعاد عليه القصة من اولها الى اخرها . فقال له اني قلت لك انها ان كانت بكرًا تزوجت بها والا فلا عدت اقربها لاني احب الله وارهب جانبه ولا اسلك طريق الحرام والتعدي على الغير فقال اذا وعدتني بذلك اطلقتك تحت شرط انك توصلني الى كنوز السيد سليمان بن داود فاقسم له بالله ان يفعل ذلك فتقدم منه وكسر قيوده واطلق سراحه وقال له فِ لي بوعدك فاجابه وحمله في الحال وطار به وبايام قليلة اوصله الى كنوز السيد سليمان وتركه هناك وذهب عنه فدخل بين تلك القصور الشاهقة وهو ماخوذ من حسن ابنيتها وارتفاع جدرانها واكثرها مصفح بالذهب والفضة ومشغول بالاشغال العجيبة ومنقوش النقش البديع بما ياخذ العقول وهو لا يرى احدًا يقرب منه او ينظر اليه ليسأله عن حاله وعن محل الجواد وجعل يدور من مكان الى مكان وهو بحيرة عظيمة لا يعرف كيف يفعل ولا في اي جهة يكون الجواد ويتكدر من عمل اسما بري واخيرًا ضاق عليه الحال وعيل صبره وشعر بالجوع والانفراد فصاح من صميم فواده والدموع تنسكب من عينيه . اه ياخضر الاخضر يا ابو العباس اجعل حدًا لهذا العذاب وهذا المشاق الذي الاقيه الم تنتهِ هذه الايام المقدرة بعد . وفي تلك الساعة ظهر عليه الخضر عليه السلام كالعادة وقال له ابشر يا حمزة فقد قرب زمن رجوعك الى بلادك وانقضت الايام وما قدر عليك من لدنه تعالى ان تبقى مشتتًا ثلاث سنوات فخر حمزة بين يديه فامره ان يقف وان لا يسجد لغير الله تعالى وقال له ادخل الى هذا القصر فتجد بابًا مقفلاً فادفعه بيدك فينفتح وترى جوادك هناك وأتِ به فاني الك بالانتظار . ففعل ما امره به وذهب الى داخل القصر وفتح الباب المقفل واذا به يرى الجواد فرمى نفسه عليه وهو طائر الفواد وجعل يقبله والجواد يمرغ راسه عليه وبعد ذلك قاده وجاء به امام الخضر فمد يده ولمس ظهره فذهبت الريشة عنه وكان قد سمن وكبر حتى صار يقدر الرجل ان ينام على ظهره بالعرض ومن ثم قال الخضر عليه السلام ادخل يا حمزة هذا القصر

واشار الى قصر اخر بالقرب من ذاك فتجد فيهِ عدة لهذا الجواد كان يركب عليها السيد سليمان مرصعة بالجواهر والماس لا تثمن بثمن ولا توجد عند احد ملوك الارض فاتِ بها واسرج الجواد فدخل فرحانًا وجاء بما امره بهِ الخضر وسرج المهر والجمهُ بلجام سليمان بن داود وكان كلا السرج واللجام مرصعين بسائر انواع الحجارة الكريمة مع اختلاف الوانها حتى يخيل للرائي انهُ كالشمس يضيء بانوار متنوعة . وبعد ذلك التفت الخضر ونادى اسما بري ان تحضر فحضرت بين يديهِ فقال لها اذهبي واتِ زوجك بثوب السيد سليمان الملكي الذي كان يلبسهُ اثناء المواسم والاعياد وهو الثوب الكنوزي المعد لهُ منذ زمان قديم فغابت نحوًا من خمس دقائق ثم عادت والثوب معها وهو برهج كانهُ الشمس في رابعة النهار ياخذ بالعقول والابصار . فامر الامير حمزة ان يلبسهُ فلبسهُ وهو مندهش منهُ وفرحان بهِ . وظن بنفسهِ كانهُ ملك اربع اقطار الدنيا واخيرًا قال الخضر عليهِ السلام لاسما بري كفاك ما فعلت معهُ فارفعيهِ الان واذهبي بهِ وبالجواد الى حد جبل السد بالقرب من بلاد الانس وهو يذهب من هناك راكبًا جواده فيلتقي بقومهِ ولاعدت تعارضين امرهُ وما انتهى الخضر من كلامهِ حتى اختفى عن العيان وانتشرت رائحة البخور من بعدهِ . وفي الحال تقدمت اسما بري وقبلت يدي الامير حمزة وقالت لهُ اني تحت امرك الان وفي قبضة يدك واسالك المعذرة والعفو عما سبق مني فقال اني عفوت عنك ولولم تاتِ بالجواد الى هذه الكنوز لما حصلت على هذه العدة وهذا الثوب . فارفعيني الان وسيري بي الى المكان الذي امرك الخضر عليهِ السلام فامرت كندك المارد ان يحملهُ ويضعهُ عند جبال السد ففعل ورفعهُ هو والجواد وسار بهِ الى ذاك السد الفاصل بين بلاد الانس والجان فودعتهُ وودعها ودفعت لهُ زادًا كافيًا لعدة ايام ورجعت الى بلادها واقام الامير امام السد كل ذاك النهار الى المساء وفي المساء نام وهو متعجب كيف يقدر ان يخترق ذاك السد ويمر منهُ وصرف ليلهُ مهمومًا وفي الصباح نهض فوجد الخضر عليهِ السلام واقفًا هناك فقال لهُ تقدم يا حمزة وارفع السد بيدك فاعينك لتمر من تحتهِ ولا تخشَ باسًا فان الله معك . فتقدم من السد وهو فرحان الفرح العظيم ووضع يدهُ عليهِ وطلب معونة الله سبحانهُ وتعالى ونادى الخضر الاخضر فارتفع السد في الحال الى فوق راسهِ وهو رافعهُ بيدهِ فمر الجواد من تحتهِ وعليهِ حمزة حتى صار في الجهة الثانية وتخلص من تحتهِ فترك السد فوقع في مكانهِ فنظر اليهِ حمزة متعجبًا كيف قدر ان يرفع مثل هذا الجبل العظيم وشكر الله الذي ساعدهُ على المرور من تحتهِ وفيما هو كذلك سمع الجواد يشرب من الارض وكان ظمآنًا فنظر فلم يرَ ماء فتعجب غاية العجب وفيما هو كذلك واذا بصوت الوحي يناديهِ وقائل يقول لهُ ان جوادك يعيش كثيرًا يا حمزة حيث شرب من ماء الحياة واما انت فلا نصيب الك بهِ فادعهِ يقظان منذ الان . فسماهُ يقظان وتكدر كيف ان جوادهُ سبقهُ الى شرب تلك الماء قبل ان هربت ينابيعهُ

ومن ثم سار وخرج من تلك الارض وبقي سائرًا حتى جاء ارضًا مخصبة فنزل عن جواده واكل وشرب من مائها وكان معهُ زادًا يكفيهِ لعدة ايام فركب وسار مدة ثم عاد في المساء فنزل واكل ونام وبقي على مثل هذه الحالة مدة عشرة ايام وقلبهُ مملوءٌ بالفرح حيث كان يرى من ابناء جنسهِ الانس في طريقهِ وتامل قرب الوصول الى قومهِ والاجتماع بهم وفي اليوم الحادي عشر اشرف على مدينة كبيرة جدًّا ذات اسوار وحصون وبساتين فعرج نحوها ليقيم فيها اياما علهُ يعرف شيئًا عن العرب وهل هم قريبون من تلك الجهة وعندما وصل الى المدينة وجد موكبًا عظيمًا خارجًا منها وفي وسطهِ رجل جليل راكب على جواد مسروج بالسرج الذهبي وحواليهِ الخدم والعبيد والى جانبهِ غلام وكانت تلك المدينة مدينة الملك النجاشي ملك الحبشة وذاك الرجل هو نفس الملك ومعهُ ولدهُ ابراهيم ومن عادتهِ ان يخرج في كل صباح الى التنزه ومن ثم يعود مع ولدهِ الى المدينة فصادف في ذاك اليوم خروجهُ عند اتيان الامير حمزة البهلوان ووصولهِ الى قرب الابواب

قال ولما راى النجاشي الامير وشاهد ما عليهِ من الماس والجواهر ونظر الى ذاك الجواد العجيب ووراءه سرجهُ المرصع باليواقيت والجواهر تعجب وطار عقلهُ وطمع باخذ هذا الجواد تعشقًا عظيمًا وعاد لا يقدر ان يرفع نظرهُ منهُ وارسل احد خدمهِ اليهِ وقال لهُ اعطِ مهما شئت بشرط ان يسمح بالجواد واذا اصرَّ على الامتناع فتهددهُ اني اخذهُ منهُ جبرًا فتقدم الرجل من الامير وسلم عليهِ وقال لهُ ان سيدي الملك النجاشي صاحب هذه البلاد وسلطان سلاطين الحبشة واسع البلاد وغزير الاجناد وقد ارسلني لاعدك انهُ يعطيك مائة سيف ومائة ناقة ومائة صولجان وعشرين الف ذهب اذا قدمت لهُ هذا الجواد ويكرمك الاكرام الزائد والاَّ اخذهُ منك بالرغم عنك . فاغتاظ الامير حمزة عند سماعهِ هذا الكلام واحمرت عيناهُ في ام راسهِ وقال للرجل ارجع الى مولاك وقل لهُ ان هذا الجواد اخذتهُ بيوم يثير بهِ عثار الخيل الى السماء ولا اسلمهُ الاَّ بيوم تتدفق بهِ الادمية وتجري بحورها فيسبح بها وغير ذلك لا مطمع لاحد بجوادي . فعاد الرجل واخبر سيدهُ وكان النجاشي فارسًا عظيمًا وبطلاً جسيمًا فقال مرحبًا بهِ واني ساخذهُ منهُ حسب ما يقول . ثم استل سيفهُ وهجم على حمزة وهو يقول لهُ خلِّ عن هذا الجواد وسلمني اياهُ فاعفو عنك واعطيك مهما تريد والاَّ فتذهب حياتك بسببهِ . فضحك الامير عند سماعهِ هذا الكلام وتعجب منهُ كل العجب ولم يبدِ كلمة بل استل من وسطهِ سيفهُ المعهود واخذ الطارقة بيسارهِ وتلقاهُ وكان ولدهُ ابراهيم لما راى عمل ابيهِ خاف عليهِ فهجم هو ايضًا مع سائر الموكب على الامير ودار بين الفريقين دولاب الحرب والقتال والطعن والضراب وكل واحد يصيح من ناحية وهجم على فارس العرب وهو يهدر كما تهدر الجمال ويزأر كما تزأر اسود الدحال ويطعن في الصدور

فيمدد الرجال على بساط الرمال وكان قد اشتاق الى الحرب وملاقات الابطال . ففعل فعال المردة في ذاك اليوم الكثير الاهوال وهو كلما انقض على واحد قطعه قطعتين واما قبض عليه ورماهُ الى الارض فتنكسر اعضاهُ ولا يقدر على القيام حتى التقى بابراهيم بن ملك الحبشة فصاح به وخبله ونقل السيف من يدهِ اليمين الى يده اليسار ومد يدهُ وقبضهُ من صدره باسرع من لمح البصر ورفعهُ عن ظهر الجواد ورماهُ الى الارض واراد ان يدوسهُ بجوادهِ واذا بالملك النجاشي قد صاح الامان يا حمزة العربان فقد ارتكبنا خطاءً وفعلنا غلطاً فاترك قتالنا واغفر ذنبنا واعطنا الزمام فتعجب الامير عند سماعهِ هذا الكلام ورجع الى الوراء وقال للملك النجاشي من اين عرفتني ولم اخبرك عن اسمي ولا قلت لك اني حمزة فقال اعلم ياسيد فرسان هذا الزمان وفخر ملوكها وساداتها انهُ موجود بكتب علمائنا القدماء ان فارس برية الحجاز سيمر من هذه البلاد وهو يكون موفق الاعمال فيذل الفرس ويرفع شان العرب ومن كان ملكاً على بلادهِ سيسير في ركابهِ ويخدمهُ ويقاتل بين يديهِ الى مثل ذلك من الشرح الطويل المستوفي فكنت اتمنى ان اكون انا ذاك الذي اصادفك حتى لاقيت ما تمنيت واني اعدك ان اكون في خدمتك ومن اباديك انا وجيوشي الغزيرة الجرارة فنقاتل كل عدو لك وندفع عنك كل من يقصد ضرك حيث موجود في كتبنا انك ستهدينا الى الدين الحقيقي . فقال الامير واي اله تعبدون وعلى اي دين انتم . قال عندنا آلهة صنمية نقدم لها الضحايا ونعبدها وهي التي اخذناها من ابائنا واجدادنا وفوق كل ذلك فاننا نقدم عبادتنا وسجودنا على الدوام الى زحل الاله الاكبر . فقال لهُ ان هذه العبادة فاسدة وانكم على غير الحق ومن الواجب ان تعبدوا العزيز الجبار خالق الليل والنهار وواجد الوجود فهو الكلمة والحق ونور من ذاته وفي ذاته القدرة واحد يرى ولا يرى وقد تنزه على كل شيء فهو الذي بكلمة واحدة اوجد زحل وكل ما في السموات والارض . واخذ حمزة في ان يزيدهُ عن الله سبحانهُ وتعالى وعن صفاتهِ حتى استنار عقلهُ وراى الحق ففتح الله لهُ الصواب فقال لحمزة اني اشكرك على مثل هذه العبادة وقد جلي الامر وصحت لي الحقيقة وقد امنت بالله تعالى وصرت منذ الان وصاعداً على دينهِ فشرّف المدينة لنبطل منها كل عبادة غير عبادة الله وتاكل ضيافتنا وترتاح عندنا مدة ايام

فاجاب الامير حمزة طلبهُ وسار واياهُ وقومهُ الى المدينة وكلهم فرحون بالامير حمزة متعجبون من قوة باسهِ وشدة بسالتهِ وقد احبهُ الجميع وقبلوا دينهُ وعند دخولهم المدينة جاءوا قصر الملك فاولم الولائم ودعا بجميع كبار بلادهِ وفهمهم بالامير حمزة وانهُ هذا هو الرجل المنتظر الذي قيل عنهُ في كتبنا وقد وجدنهُ قادماً فاردت ردع جوادهُ فلاقيت منهُ الاهوال فثبت عندي انهُ هو وقد علمني العبادة الحقيقية فمن اجاب كان لهُ الخير والصلاح ومن امتنع كان جزاؤهُ الاعدام فسجد

الجميع لله وتعلموا عبادته وكسروا الاصنام وصارت بلاد الحبشة منذ ذلك الوقت تعبد العزيز الجبار وصرف الامير حمزة مدة ثلاثة ايام عند النجاشي وهو على آكرام واعتبار تذبح له الذبائح وتاتي لزيارته الامراء . وفي اليوم الرابع قال الامير للنجاشي اني اريد السفر الى قومي واحب ان اسالك هل من خبر عندك بامر العرب والعجم . قال اعرف ان كسرى هو قد تاثر العرب بجيوش جرارة كالجراد الزاحف ومنذ مدة قد بعث اليّ برسله يطلب ذهابي اليه بجيوشي فمنعت طلبة ورددت رسله بالخيبة . قال اذن اسالك ان تجمع بعساكرك وتتبعني الى طنجة الغرب حيث العرب هناك واني ارغب الذهاب اليهم حالاً قبل ان يصابوا بمصيبة وعندي انهم يقدرون على حرب كسرى عدة سنوات ثم انه ودعه على امل ان يتبعه بعد مدة قليلة وسار على جواده اليقظان وهو مومل بالخير والنجاح ومسرور بمصادقة ملك الحبشة حيث ان جنوده كثيرة ولا زال في مسيره يجد السير عدة ايام حتى وصل الى برية واسعة ملتفة الاشجار كثيرة الانهار والعيون كانها الجنة في خمائلها فاكل ما اكل منها وفي المساء لجأ الى مدينة بالقرب من تلك البرية كان قد اكتشفها في النهار وجاء الى احد الفنادق فبات فيه وسال صاحب الفندق عن تلك المدينة فقال له هي لفارس الفرسان وحامي حومة الميدان من يهتز عند ذكر اسمه طوائف الانس والجان عمر الاندلسي المشهور بين اهل هذا الزمان . فسكت الامير حمزة عند ذلك ولم يرد ان يظهر نفسه وفي نيته ان يقيم اليوم التالي في المدينة ليتفرج عليها ومن بعده يسافر في طريقه . وعند الصباح خرج من الفندق وطاف في الاسواق وهو لا يفارق الجواد خوفاً عليه وجعل يتفرج على الابنية والعمران وعلى منتزهات تلك المدينة والناس تتعجب منه ومن ... وشكله ومن لباسه المرصع باليواقيت وعن سرج جواده المذهب المحجر بالحجارة الكريمة وصرف باقي يومه على مثل ذلك وفي المساء رجع الى الفندق على نية ان يسافر في الصباح وكان بعض جماعة عمر الاندلسي حاكم المدينة قد راوا الامير حمزة وراوا جواده فوصفوه له فتاقت نفسه الى الجواد واستخبر عن مكان وجوده فعرف وارسل في صباح اليوم التالي رسله لتشتريه منه فجاءوا الفندق بينما كان الامير مزمعاً على الركوب والسفر وقالوا له ان سيدنا بعثنا لنشتري لهُ منك هذا الجواد وندفع لك مهما شئت ثمنه فاطلب الذي تريده ونحن ناتيك به حالاً فتسلمنا هذا الجواد . فقال لهم ارجعوا الى سيدكم وقولوا له ان صاحب هذا الجواد لا يسلمه الا بيوم يسود به نور شمسه من غبار الحوافر ويظلم نهاره . فليقصر عنه والاّ لاقى شرّ عمله . فعادوا الى عمر يخبرونه وركب الامير حمزة وخرج من المدينة وفي كل نيته ان الفرسان ستتبعه بوقت قريب فهيا نفسه وجعل يمشي الهوينا الى ان نظر عمر قد خرج من المدينة ومعه نحو اربعين فارساً من فرسان الاندلس العظام لان رسله كانوا اخبروه بخبر الامير حمزة وجوابه فتكدر واخذ هولاء الفرسان واستقصى خبر الامير فوجد انه قد بارح

المدينة فتاثرهُ ليغتصب الجواد منهُ و يذيقهُ كاس الممات غير ان الامير حمزة دار بجواده وقوم سنانهُ واطلق عنانهُ عند سماعهِ صياح الاندلسيين و باقل من ساعة التقى الاثنان في حومة الميدان ودار بينهما الحرب والطعان وهما كانهما اسدان او ذئبان يتناطحان . تارة يفترقان وتارة يلتحمان . كانهما جبلان راسيان . وكان الامير عمر الاندلسي من الفرسان المشهورة فاقام بين يدي الامير حمزة من الصباح الى قرب العصر فتعجب الامير من شدة باسهِ وسرعة قتالهِ فثبت عندهُ انهُ فارس شديد فزاد معهُ بالقتال واظهر لهُ كل ما تعلمهُ من فنون الحرب وفي الاخير ضربهُ عمر الاندلسي حمزة ضربة ظنَّ انها القاضية فضيعها بمعرفتهِ وخبرتهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ وخاف ان يمضي النهار ولا ينال من خصمهِ مرامًا فيلتزم ان يبقى الى الغد وهو يرغب في السرعة والانجاز ولذلك صاح بصوت ارتجت منهُ السهول والوديان وهجم على عمر الاندلسي وقد ارعبهُ وضيع عقلهُ ومد يدهُ الى جلباب درعهِ واقتلعهُ من بحر سرجهِ واراد ان يضرب بهِ الارض فصاح الزمام الزمام يا حمزة الكرام فاني دخيل عليك ووقيع امامك ولو عرفتك منذ الاول لما اشهرت في وجهك الحسام . فتعجب الامير حمزة كيف ان الجميع يعرفونهُ وهو لم يظهر نفسهُ فانزل عمر واعادهُ الى جوادهِ وقال لهُ من اين عرفتني واني لم اظهر نفسي قال ان جماعتي المغاربة قد اخبروني ان في هذه الايام يمر على مدينتنا الرجل المسعود فارس فرسان هذا الزمان وهو الامير حمزة الذي سيذل العجم ويرفع مقام العرب وسالوني ان انرقبهُ لاخدمهُ واكون في ركابهِ حيث ان الملك كسرى انوشروان منذ مدة بعث برسلهِ اليَّ وطلب مني ان اجمع العساكر واوافيهِ الى طنجة فسالت حكماء بلادي المغاربة فمنعوني وقالوا لي ان كنت مع كسرى تفرقت عساكرك ولاقيت الاهوال فاصبر الى حين مرور الامير حمزة و[illegible] مع العرب فتنال خيرًا وتكون على الدوام منصورًا وحيث وجدت من قتالك ما لم اجدهُ من غير[illegible]من فرسان العالم قط علمت يقينًا انك الرجل الذي اخبرت عنهُ وها انا الان عتيق سيفك [illegible] امرك. ثم انهُ نادى فرسانهُ ان تقدم من الامير وتطلب اليهِ المسامحة والغفران ففعلوا فاصطلح معهم الامير وشكرهم وقال لعمر اذًا اجمع رجالك لحرب العجم قال اريد منك ان تصبر عليَّ [illegible] ايام لبينما اكاتب جماعتي وانظر جيشي واحضر لهُ المؤن والذخائر فابقَ عندنا الى حين انتهي من ذلك . قال لا يمكن ان اصبر دقيقة واحدة فافعل ما انت فاعل واتبعني ولا بد للملك النجاشي ان يمرَّ من هنا فتسيران معًا وقد وقع لي معهُ ما وقع لي معك

ثم ان الامير حمزة ودع عمر الاندلسي وقومهُ بعد ان اوصاهم ان يخلصوا ضمائرهم لجهة العرب ويذلوا كسرى الى اخر الايام وسار من هناك في طريق طنجة وهو يتفرج على بلاد الغرب ومدنها وبلادها ويسال اين صار كسرى وفي اي جهة هو فبعض الناس كان يخبرهُ انهُ آتٍ على

الطريق ولم يصل بعد الى العرب وبعضهم كان يخبرهُ بانهُ لا يزال يجمع الجيوش لانَّ مرادهُ ان يزحف على العرب مرة واحدة فيبيدهم ويبددهم فتاكد ان عدوهُ لا يزال بعيدًا عن قومهِ ولذلك اطمئن بالهُ وارتاح ضميرهُ وصار يؤمل ان يصل الى قومهِ عن قريب . وبقي يتقدم الى ناحية العرب حتى كاد يقرب منهم

قال وكانت جماعة العرب بعد ان فارقوا قلعة قطمين ساروا من هناك يقصدون البلاد التي قيل لهم ان الامير حمزة ياتي منها ولم يصادفوا قط مانعًا في طريقهم وهم يظنون ان حمزة سيكون بعد ايام قليلة عندهم وداموا في مسيرهم نحو ثلاثة اشهر ينزلون في المدن والبلدان فيقيمون بها عدة ايام ثم يعودون الى المسير وقد ملأت اخبارهم تلك الارض وطاعهم الكبير والصغير وفي الاخير وصلوا الى طنجة وكشفوا البحر المالح فضربوا خيامهم في تلك الجهات وخرج حاكم المدينة وسلم عليهم وعرض عليهم طاعتهُ وبلادهُ لتكون تحت امرهم وقال ان كسرى مكروه منا ولذلك نريد ان نكون في يد العرب حيث من المنتظر انهم هم الذين يخلصون من ذل الاعجام كل مظلوم فشكروهُ على عملهِ ومدحوهُ واثنوا عليهِ ولا زالوا بانتظار الامير وهم لا يعلمون لماذا تاخر عنهم بعد ان كان وعدهم انهُ بعد خمسة عشر يومًا يكون عندهم وعدا عن ذلك فانهم كانوا ينتظرون وصول اخبار كسرى اليهم فكانوا يسمعون عنهُ اخبارًا مختلفة الاَّ انهُ كان موكدًا لديهم انهُ لا بد ان يتاثرهم ويصل اليهم عاجلاً كان او اجلاً وصرفوا الاوقات والشهور على مثل هذا الامر وهم على غير الاستواء مشغلون الفكر والضمير ومرتابون في وصول الامير حتى مضت مدة طويلة فاجتمعوا الى بعضهم ودعوا عمرًا وقالوا لهُ لقد مضى اكثر من سنة ونصف على يوم مفارقتك اميرنا ولم نسمع عنهُ خبرًا ولا وصل الينا ولا بد ان يكون قد اصيب بمصيبة والاَّ ما كان يتقاعد ويصبر الى هذه الايام ويترك مساعدتنا . قال اني اعرف انهُ لا بد ان يصل الينا على ما اخبرنا الوزير بزرجمهر الا اني اظن انهُ بعذاب مع اسما بري لانها تريد بقاءهُ عندها ومراوغتهُ واذا اراد المجيء تخلى عنهُ كما فعل بالاول فانها عذبتهُ عذاب الهون في طريقهِ لا تحملهُ الينا ولا تدع احدًا يحملهُ وهذا هو الامر الذي يعيقهُ ومع كل ذلك فان ضميري يخبرني انهُ في هذه الايام يكون عندنا واني ساذهب في كل صباح الى الفلاة وانظر في المرآة التي اخذتها من رجال الصومعة فان كان في الطريق على وجه الارض او تحت الارض كشفتهُ . فقال لهُ اننا متكلون عليك نطلب منك النظر في امره لنعرف خبرًا عنهُ فتركهم وسار الى الخارج وصعد على اكمة ودار وجه المرآة الى وجه الارض ونظر فيها فتبين لهُ كلما على وجه الارض وما تحتها فجعل ينظر في طرقات الغرب ومعابرها فراى حمزة راكبًا على جوادهِ الجديد وهو بذاك السرج والثوب المزركشين بالذهب وقد اسمرَّ وجههُ من حرارة الشمس وطال شعرهُ في السفر فخفي حالهُ ولم يعرفهُ ولما لم يرَ

احداً تعجب ورجع مأيوساً وقال في نفسهِ لا بد ان يكون باقٍ في جبال قاف او هو طائر على اكتاف الجان في السماء وبقي على حراسة مهردكار والقبيلة تلك الليلة . وفي اليوم الثاني خرج حسب العادة فرأى الرجل اللابس الملابس الذهبية ينهب الارض ركضاً على ذلك الجواد فكان ينظر اليهِ بتعجب وهو لا يعرفهُ ويتعجب من امره ورجع اخيراً كاليوم الاول. وفي اليوم الثالث عاد الى مكانهِ فنظر فرأى حمزة على حالهِ يتقدم في ذلك الطريق وهو يقرب منهم فتكدر منهُ وقال لا ارى الاَّ هذا الرجل على حالة السفر وهو يتقدم الى جهة البلد الذي نحن فيهِ فماذا كان يضر لو كان هو اخي الامير حمزة وتمنى ان يكون واصلاً اليهِ ليرشقهُ بنبلة في صدره وينزع عنهُ ذلك الثوب ويسلب منهُ الجواد وعاد ذلك اليوم مكدراً اكثر من الاولين فسالهُ الفرسان ماذا رايت يا امير عمر فقال لهم اني ما رايت الامير قط ولا شاهدتهُ على وجه واني متعجب من ذلك ومع كل هذا فلا بد من وصولهِ بعد ايام لاني اظنهُ في الجوّ على اكتاف الجان يحملونهُ ليوصلوهُ الينا

واما مهردكار فانها كانت في كل هذه المدة تحت الامل والريب تعد نفسها في الاول بان ترى حبيبها ويراها وتمحي سواد تلك الايام الماضية وتغسل اقذار الغربة والفراق بمشاهدتهِ وقيامهِ بالقرب منها وعند اعينها غير ان هذا الامل انقضى وذهب بعد مضي سنة وقطعت الرجاء وجعلت ايامها ايام يأس وكدر فلم تعد تقبل ان تقابل احداً او تجتمع باحد وزاد عليها الغيظ والغضب من اسيا ...ي وخافت ان يكون قضي عليهِ عندها او انها ارغمتهُ الى البقاء في جبال قاف فنسي قومهُ ونسيها وترك بالرغم عنهُ ذلك الحب الذي كان موسساً على الصفاء والطهارة والراحة وهي في كل يوم تدعو بعمر اليها وتسالهُ عن اخباره فيعدها المواعيد الفارغة من انهُ لا بد ان يأتي ولو طال المطال وهي لا تقنع بتلك المواعيد حتى اصبح نهارها ليلاً وشمسها ظلاماً وضعفت وانتحل جسمها ورق جداً واخذت وردة جمالها تذبل شيئاً فشيئاً وصارت تشعر من نفسها بالضعف والانحطاط وايقنت انها في النهاية ستموت اذا كان يطول غياب حبيبها وبقيت الى ان كان اليوم الاخير الذي ذهب بهِ عمر الى البرية ورجع مكدراً فدعتهُ اليها وسالتهُ فقال لها ما رايتهُ ولا سمعت عنهُ خبراً وليس هو على وجه الارض مطلقاً فشعرت كأن خنجراً وقع باحشائها بزقها وكدرتها جداً الحالة التي رات عمراً بها وحسبت انهُ ما كان مأيوساً الاَّ وفي صدره خبر مكدر والاَّ ما كان على هذه الحالة مع انهُ بطول زمانهِ ما كان يتكدر ولا قطع رجاءهُ من اتيان اخيهِ وبعد ان اعرض عنها وسار الى الخارج جاءت الى سريرها ورمت بنفسها عليهِ خائرة القوى ضعيفة الحيل فاقدة الحواس وتيقنت ان اواخر حياتها سيكون مكدراً مؤلماً وانهُ اذا ما جاء الامير بعد ايام قليلة ستكون عرضة للفناء فتموت ويدفنها العرب في تلك الارض

وتكون قد وفت حق حبها وما قبلت ان تكون لغيره ولا نست دقيقة واحدة ما عليها من فروض الوفاء لما اعطته قلبها ولم تنسب قط طول غيابه الى فتور في حبها او برود في صفاته او نسيان في مودته بل كان كل ظنها ان اسما بري التي احبته وزاحمتها فيه هي من الجان وهي قادرة على حجر الامير عندها طول عمره وبدونها لا يقدر ان يقطع بلاد الجان ويأتي من تلك النواحي اليها وهذا الذي كان يزيد اشواقها ويمزج الامها بأكدارها ويجعلها مقطوعة الامل وكانت على سريرها الى اخر الليل وكان كلما اسود الليل كلما زاد عليها الامر واشتدت الحال وفي الاخير جعلت تندب حظها وتبكي نصيبها وتردد ذكر مصائبها وهي كمودعة لهذه الدنيا تنظر الى كل ما حولها نظر المفارق الحزين المأيوس وقد انشدت بغزارة دمعها

فوالله لا يشفي نزيف هواكم ... سوى خمر انس كان منكم بها سكري
وان يخلُ من تكرار ذكر حديثكم ... فلم يخل يومًا من مديحكم شعري
اطالب نفسي بالتصبر عنكم ... واول ما افقدت بعدكم صبري
فان كان عصر الانس منكم قد انقضى ... فوالعصر اني بعد ذلك في خسرِ
فكيف بقي انسان عيني وقد مضى ... على ذلك الانسان حين من الدهرِ
سقى الروضة السعد من ارض بابل ... سحاب ضحوك البرق منتحب القطرِ
ورب نسيم مرَّ بي من دياركم ... ففاح لنا من طيه طيب النشرِ
واذكرني عهدًا وما كنت ناسيًا ... ولكنه تجديد ذكر على ذكرِ
تجاذبني الاشواق نحو دياركم ... واحذر من كيد العدو الذي يدري
مخافة مذَّاق اللسان يسرُّ لي ... ضروب الردى بين البشاشة والبشرِ
وينثر لي حب الوفاء تملقًا ... وينصب لي من تحته شرك الغدرِ
منازل ما لقيت فيها ندامة ... سوى انني قضيت في غيرها عمري
فيا ايها المولى الذي وصف فضله ... يجلُّ عن التعداد والحد والحصرِ
ابثك بالاشعار فرط تشوقي ... ولا انعاطى حصر وصفك بالشعرِ

وما وصلت مهردكار الى اخر هذا البيت حتى نهضت واقفة كأن قوة طبيعية حركتها ودفعتها الى الاطمئنان فوقفت مبهوتة تنظر في نفسها وقد وجدت راحة في داخلها على غير قصد منها فتكدرت من نفسها كيف ان ضميرها خالفها وعاندها فطلبت ان تعود الى حالتها الاولى فتبكي وتندب فلم تطاوعها عيونها ولا عادت نزلت دموعها فارتاعت من ذلك وجعلت تنظر في صيوانها والفجر قد بعث بطلائع جيوشه الى مفاجئة الارض دفعة واحدة . فقالت متعجبة ما لي على غير الواجب في هذا الليل كان سلطان الهم والغم يقترب مني ويدنو الى ويناديني ويهدد

عني كل راحة وامل والان ارى ذاك السلطان يحب ان يبعد عني خوفاً من انتقم منهُ لماذا تبارحني الاكدار والويلات وانا اطلبها ولا اريد ان اكون بعد من احبهُ قلبي في غير طريق الياس والحزن صرفت ميلي وحالي اسود من سوادهِ راحتي مغطى بكثافة النوح والتعداد فلما عند اتيان الصباح اشرق بدر الامل ولاحت شمس الارتياح وانعكست كل تلك الاحوال نعم اني كنت في هذه الليلة خائرة القوى ضعيفة الحيل اندب حظي واطلب المعونة للتحرك وانا فاقدتها وقد شعرت بان هذه الحياة عدوة لي وايقنت ان الموت سيكون قريباً مني والان ارى تلك الغيوم الكثيفة قد انشقت وانجلت انوار بدورها من خلفها رويداً رويداً وقوتي قد عادت بالرغم عن احزاني وعن طلبي مفارقة هذه الدنيا لا بد ان الله سبحانهُ وتعالى قد اراد اظهار امر جديد ما هو يا ترى هل يريد تقويتي وتسليتي عن حبيبي فيساعدني ويريد ان اطرد احزاني كلاً كلاً لا تدعني يا الهي اعيش بعدهُ دقيقة لا اطيق المعيشة ستكون حياتي معذبة مهما اردت ان اتسلى وتسليني فالانسانية بالاتباع بهِ والراحة بالقيام عندهُ ابن كان وفي اية حالة وجد مائتاً او غريباً او معذباً . وصرفت مهردكار نحو ثلاث ساعات من اليوم المذكور وفيما هي على ذلك واذا طرق ذهنها اصوات التهليل من قومها فاصغت لتسمع واذا بها سمعت العبيد يصفقون ويقولون جاء الامير جاء الامير . فوقعت الى الارض من الفرح واسندت راسها الى السرير وغابت عن هداها

قال وكان في صباح ذلك اليوم نهض عمر العيار واخذ مرآتهُ وخرج من المعسكر ونظر فيها بعد ان وجهها الى جهة البر فراى حمزة يدنو منهُ وهو آتٍ على ظهر ذاك الجواد وقد اصبح بعيداً عنهُ نحو ساعة فاطمأن باله وقال لا بد لي من ملاقاتهِ ونزع ما عليهِ فان لي اربعة ايام ارهُ يدنو الينا وقصدهُ المرور من ناحيتنا فاغلق المرآة ووضعها في جيبهِ واخذ قوسهُ وسهمهُ واطلق ساقيهِ الى جهة الامير حمزة وهو كالبرق الخاطف وقد حدثتهُ نفسهُ بالانتقام منهُ ولا يعلم انهُ اخوهُ وكان الامير يتقدم بسرعة البرق على ذاك الجواد وهو يختطف مسرعاً في جريهِ حتى كادا يصلان الى بعضهما واذ ذاك اراد عمران يضع سهمهُ بقوسهِ وبوترهُ واذا بحمزة قد ناداهُ وكان ادرك غايتهُ وقال لهُ لا تفعل ياوجه القرد فاذا كنت خلصت من الجان فكيف اقتل منك . فلما سمع صوتهُ عرفهُ فقفز في الهواء وصفق من الفرح وانطلق حتى قرب من اخيهِ فرمى نفسه عليهِ وهو يقبلهُ والامير يفعل كذلك وكلٌّ منهما يبكي ثم ان عمراً تركهُ وكرّ راجعاً حتى دخل المعسكر وجاء صيوان الملك النعمان والفرسان مجتمعون في ذاك المكان . فلما راوهُ قالوا ما وراءك من الاخبار قال لهم اني موكد ان اخي حمزة مات وشرب كاس الافات . فقال لهُ اندهوق بن سعدون ان حالتك حالة مسرة وفرح فبشرنا بالخبر اليقين ولك مني خمسمائة دينار قال اجمع المال من

الجميع فاخبركم ان اخي حمزة قد جاء فقالوا واين هو الان قال منى قبضت المال اخبرتكم عنهُ فدفعوا لهُ كل واحد خمسمائة دينار فقال لهم اتبعوني لتروهُ وهو على ذاك الجواد بهيئة الملك سليمان بن داود وكرَّ امامهم وكرت العرب من خلفهِ وقد عم الخبر الكبير والصغير والسيد والحقير فتحرك الجميع للاقاتهِ وهم لا يصدقون ان يروهُ بعد ذاك الغياب الطويل فمنهم من كان يركض ماشيًا ومنهم من كان يركب برذونًا بسرج ومنهم بلا سرج ولا لجام واكثرهم كان يركض بلا حذاء حافي الاقدام مكشوف الراس ليسبق غيرهُ الى تقبيل ايديهِ والسلام عليهِ وكان صياح العرب اشبه بغوغاء الحرب عند اشتدادها حتى كان لا يعي الاخ على اخيهِ ولا الوالد على ولدهِ ولا الرفيق على رفيقهِ وبعد قليلة التقوا بالامير حمزة وهو كالكوكب الوضاح يضيء بانوار ما عليهِ من الماس والجواهر والحجارة الكريمة وحالما وصولهم اليهِ جعلوا يقبلون يديهِ وهو يسلم عليهم ولما راى الملك النعمان واندهوق بن سعدون والمستدي حامي السواحل واسطون الحكيم وباقي الاعيان تقدم منهم وسلم عليهم وسلموا عليهِ وفرحوا بهِ وشكروا الله على رجوعهِ سالمًا ووصولهِ اليهم قبل وصول الاعجام

وبعد ذلك عادوا جميعًا الى الخيام وهم من الفرح في ما لا مزيد عليهِ وشعروا براحة البال واطمئنان الخاطر وحسن المستقبل ولما وصلوا الى صيوان الملك النعمان دخلوا اليهِ وجلس كل واحد في مكانهِ وجعل الامير يسال عن عموم الفرسان والرجال وهو يشكر الله الذي ما فقد احد منهم ولا تبدد شملهم ولا تفرقوا قبل مجيئهِ حتى انهُ راهم مثل ما فارقهم واخيرًا سالهم عن العجم وعن كسرى فقال لهُ اندهوق بن سعدون اننا كل هذه المدة بانتظارهِ ولم يصل الينا ولا قدم علينا بل اننا على الدوام نسمع الاخبار من السياح والتجار ان العساكر ترد اليهِ وتجتمع عندهُ وهو يتعدد ويتهيأ ومرادهُ ان ياتي الينا بجيش عظيم جدًّا لا يعرف اولهُ من اخرهِ وفي نيتهِ ان يبيدنا دفعة واحدة والحمد لله الذي جئت قبل مجيئهِ لاننا وان كنا نعرف ان بنا الكفاءة لحرب كسرى ورجالهِ مهما كان عددهم وكانت قوتهم غير اننا نعلم اننا نتعب ويطول علينا المطال لان العرب اذا ما سمعوا صوتك وراوا قتالك اشتدت اعصابهم وقاتلوا قتال الابطال وبالعكس الفرس اذا ما سمعوا صوتك في وسط المعمعة تضعف عزائمهم ولا يعود لهم رجاء وما ذلك الا من الله سبحانهُ وتعالى وفضلًا عن ذلك فان رجال العرب وانت بينهم يقاتلون كالاسود واذا بعدت عنهم يقاتلون قتال الياس . فقال لهم اني اثق بالله تعالى واتامل ان لا عدت من الان وصاعدًا افارق جيشي ولا بد من قضاء لامر بيننا وبين العجم في هذه المرة وقتل بختك اللعين الذي يحرك النار ويضرمها في كل آن وزمان

وما صدق الامير حمزة ان انتهى من السلام على العرب حتى نهض وسار الى صيوان مهردكار

ولا يمكننا ان نقدر على تفصيل ما وقع بينهما عند الملاقاة فان كلاً منهما كان لا يقدر ان يبسط بسمة ولا يمسك قبلة ولا يحبس دمعة ولا يعقل عقالة بل عند ملاقاتهما ارتميا على بعضهما يقبل الواحد الاخر بدون وعي و بدون فكر وقد دعتهما دواعي الحب والتلاقي الى وجوب شفا العليل وقتل مس البعاد والجوى بالحب منهما وهما في اديد عيش ساعة ثم عزّ عليهما بعد الذ منها وهما تارة يبتسمان ويتعانقان وتارة يجلسان وينظران الى بعضهما ولا يصدقان بهذ التلاقي وادمعهما ترسل من الاماقي على الخدود استبشارًا وفرحا والسنتهما معقودة عن الكلام. حتى ان مهردكار كانت قد نسيت كل ما مضى [illegible] البعاد ولا فكرت بان تعاتبه على طول غيابه بل [illegible] وبالاخير تكلم الامير فقال لها [illegible] اني [illegible] وان [illegible] اري [illegible] ولا وجهك بعض تعبير واني اعرف [illegible] وقلت الي عبراتي كنت [illegible] في الجيش ولا عدت افارقك الى [illegible] قبل مفارقتك قالت [illegible] ملاقيه [illegible] الآن ووجودك عندي وكيف ان [illegible] مائتة فحسب وضالة ووجدت [illegible] اوقات هذا الاجتماع فلا تذكرلي شيئًا [illegible] رواحك في هذا الوقت فمدح الامير منها [illegible] السهرة وقد تناول الطعام معها وشرب الخمار وصرف وقتًا عجيبًا [illegible] في اخر الليل دخل الى صيوانه ونام مطمئنًا مرتاحًا [illegible] قد نزع عنه ذلك التوب ونسي كل ما لاقى

وفي الصباح خرج الى الصيوان [illegible] رجال [illegible] وقال اريد منكم ايها السادات ان لا احد منكم [illegible] امري [illegible] الى كسرى [illegible] ولا بد [illegible] ان لا احد [illegible] الى ذلك وامروا سائر المعسكر ان [illegible] على الملك [illegible] ياتي في الصباح الى الصيوان [illegible] يرجع الى صيوان مهردكار فيأكل [illegible] وما من احد من العرب يذكر في [illegible] ذكر [illegible]

به وهو كانهُ غائب عنهم . وفي كل يوم يذهب الامير عمر العيار الى البر فيسال ممن راهُ عن كسرى وعن اخباره ويستعلم من كل رائح وات . حتى اخبر اخيرًا ان بعض المسافرين راى جيوش كسرى تتقدم الى تلك الجهات وهي بعدد رمل البحار وقد غطت السهول والوعور والجبال والاحراش فبلغ هذا الخبر حمزة فاخذ في تدبير امر الجيوش وتهيئتها وتقسيمها وهو يعرف ان تلك الحرب ستكون شديدة وقوية ويكون لهُ فيها ذكر يذكر ومضى على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن ذهب عمر لاكتشاف الاخبار وبعد عن معسكر العرب مقدار ست ساعات وفيما هو على ظهر اكمة من الاكام نظر الى البر فراى عن بعد الاعلام الكسروية تخفق وبينهم العلم الاكبر المخصوص بكسرى المعروف ببيكار الاشنهار وهو يلوح بالهواء والغبار يثير الى الجوّ ثم يتبدد باندفاع الاهوية فيمتد تارة فوق الجيوش فيغطيها فلا تعود ترى ثم ينجلي وتظهر من تحته تلك العساكر الفارسية وهي تتقدم شيئًا فشيئًا فوقف عمر نحو ساعة وهو ينظر الى تلك العساكر ليرى اخرها وجناحيها فلم يقدر لانها كانت منتشرة ممتدة في كل ناحٍ ولكثرة عددها لا يقدر ان يرى اشد الناس نظرًا الى اخرها او كان واقفًا في وسطها فعرف ان العرب ستلاقي شدائد واهوال من هذه الحرب لان الكثرة ان لم تغلب الشجاعة لا بد ان تضعفها وتتعبها وبعد ذلك كرّ راجعًا الى العرب ودخل على الامير حمزة وهو في الصيوان فاخبرهُ بكل ما نظر وراى . فقال لا يهمني كثرت العساكر او قلت ولا بد من تبديد شملهم وتفريقهم لكني اريد منكم كتم امري الى حين اظهر فان مرادي افاجأ كسرى في مركزه وانزع بيكار الاشنهار من حاملهِ والقي في رجال العجم ومن معهم الرعب والخوف بغتة وتم يظنون اني غائب ولا يظهر امري لاحد منهم الاّ في وسط المعمعة ثم امر ان تنهض الفرسان كل واحد الى رجالهِ في ذاك اليوم وان تجتمع في اليوم الثاني وهو يكون متفقدٍ ففعلوا وسار كل واحد الى ناحية يفرق المؤن والذخائر ويتفقد اسلحة رجالهِ وخيولهم ومن كان منهم يحتاج الى شيء دفع اليهِ

وما جاء مساء ذلك اليوم حتى كان كسرى قد وصل الى مقابل العرب وراهم وهم بذلك الجيش القليل ففرح واطمأن وكان في كل ذهنهِ ان حمزة غائب عن العرب ولذلك كان يرجو الفوز والانتصار واسترجاع بنتهِ مهردكار واموالهِ التي اخذتها العرب ونهب كل ما معهم ولذلك ضرب الخيام في تلك الناحية ومدها من الشرق الى الغرب وسرحت الخيول ونصب صيوان كسرى في الوسط وهو مرتفع على كل المعسكر وعليهِ الجواهر والماس يضيءُ بلمعان وكان يساوي مدينة المدائن بحسن اتقانهِ وزخرفتهِ وما تزين بهِ من الاطالس والحرائر وعواميد الذهب نفسها وترصيعها بكل حجر كريم وضرب امام الصيوان المذكور بيكار الاشنهار وعليهِ العلم الكبير وهو ايضًا عجبة من عجائب الزمان تضرب بهِ الامثال في حسن صنعتهِ وما حواهُ من الذهب

الخالص والنقش البديع وكان الوف من الحرس تحيط بالصيوان وبالعلم المذكور وكلهم من ابطال الفرس يحملون على الدوام السلاح مشهرًا بايديهم فلا يقدر الطيران يتعدى على احدهم الا ان يكون باذن كسرى سيدهم ولا سيما في زمن الحرب خوفًا من ان يحتال عليهِ العدو او يصاب بما لم يكن في الحساب

قال وفي الصباح نهضت العرب ونظرت الى البر فارتاعت من كثرة العساكر ومن انتشارها ورات صيوان كسرى الكبير يضيء كانهُ عشرين شمسًا بوقت واحد لا يقدر الراءي ان يحدق بهِ او ينظر فيهِ دون ان يبهر نظرهُ وكذلك بكار الاشتهار واجتمع العرب في صيوان الملك النعمان واخذوا يتحدثون في امر كسرى فقال الامير حمزة قلت ولا بد من اتمام قولي فاني ساحرم كسرى من بيكار الاشتهار واقيمهُ بين العرب لانهُ يساوي خزائن العالم مع هذا الصيوان الذي يحق لكسرى ان يفتخر بهِ على كل ملوك العالم . فقال اندهوق اني ساسير خلفك ياسيدي على فيلي واضمن لك انك ستاخذ هذا العلم ولوكان دونهُ الوف وكرات من حجاب كسرى انوشروان وعندي انهُ ايضًا بعد تفريق جيوش كسرى سنجتهد الى اخذ الصيوان لنجعلهُ لك قال لوكان لي مثل هذا الصيوان اكون اعظم من كسرى شانًا وفيما هو على مثل ذلك واذ بهِ سمع صوت قرقعة في الخارج فنظر واذا بكندك المارد قد سقط من الجوّ ووقف عند باب الصيوان وسلم على الامير حمزة وباقي الفرسان الذين حواليهِ وقال لهُ اعلم يا سيدي ان سيدتي اسما بري حيث عرفت انك ستقاتل اكبر ملوك الانس وهو كسرى انوشروان وانك بعد ان حصلت على ثياب السيد سليمان التي لا نظير لها في عالمي الانس والجان وكذلك اليقظان وعدتهُ بعثتني اليك بصيوان ابيها اليون شاه الذي اذا رايتهُ انبهرت واندهشت منهُ فهو اعظم من صيوان كسرى بالوف مرات وعليهِ في كل عامود من عواميدهِ الذهبية جوهرة بقدر البطيخة لا مثل لها ابداً كان يجلس فيهِ في ايام المواسم والاعياد فتاتي ملوك الجان لتهنئتهِ وكان يفتخر بهِ على كل ملوك الجان ولهُ سبعة ابواب من الحرير الاحمر المقصب بالزخارف الذهبية وفيهِ ٩٠ كرسي من الكراسي الذهبية التي لا يوجد عند بني الانس مثلها ففرح حمزة بذلك الصيوان وخرج في الحال من صيوان الملك النعمان وامر بنصب صيوان اليون شاه في وسط المعسكر فنصب في الحال وهو كانهُ الافق يتلألأ بلمعان جواهره كتلألاء الكواكب فيهِ وقد اشرقت منهُ تلك النواحي وزاد بهاء واشراقًا على اشراق الشمس . ودخل اليهِ الامير حمزة وهو مسرور منهُ وجلس على كرسي اليون شاه ابي اسما بري ومن حولهِ الفرسان والابطال واذ ذاك مدح من اسما بري وشكرها على عملها هذا وقال لكندك اهدها مني السلام واخبرها ان عملها هذا سرني جدًا ولا انساهُ لها وقد عرفت صدق محبتها ومودتها وحسن اهتمامها بي

٥ قال واما كسرى فانهُ في صباح ذلك اليوم نهض الى صيوانهِ واجتمع اليهِ وزراؤهُ واعيانهُ وفي اولهم بختك الوزير الفارسي وحينئذٍ قال انهُ معروف وثابت عندنا ان حمزة غائب عن العرب وانهم الان كالغنم دون راعٍ ولا قائد ولذلك لا بد ان يكونوا باضطراب وقلق يرغبون في التسليم والطاعة ولا سيما بعد ان لحقناهم الى هذه البلاد لانهم هربوا من بلادهم ولم يخطر لهم قط اننا نتاثرهم ويعلمون اذا انكسروا لا يقدرون بعد ان يهربوا الى مكان اخر او بلاد تقيهم مما واريد منك يا بختك ان تكتب كتاباً الى ملك العرب تدعوهُ الى الطاعة وتهددهُ بكثرة العساكر والموت والصلب اذا امتنع عن التسليم فاخذ بختك وكتب الى الملك النعمان

من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة والسلطان وسيد ملوك هذا الزمان الى خادمهِ واقل عمالهِ النعمان حاكم العربان

انت تعلم ايها العاصي الخائن اني ملكت الارض من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها وحكمي نافذ في كل جهة فمن لم يدخل في خدمتي يخشى باسي ويدفع لي الهدايا في كل عام وانت كنت من جملة خدمي واعواني الذين ياتون الى تقبيل يديَّ في كل مدة حاملاً الجزية فضلاً عن الهدايا حتى ظهر حمزة العربان فاكرمته وقدمته مني واما اظن ان اكرامي هذا يحل محله و بسببهِ رفعت مقامك وقدمتك في ديواني بعد ان كنت تجلس بين الخدم والحجاب وقد نهاني مراراً وزيري الامين بختك بن قرقيش وبين لي ان اكرام العرب ينتهي بخلعهم طاعتي وجحدهم الجميل فلم اصغَ اليهِ حتى ثبت عندي بعد ذلك عصيانكم ونكرانكم المعروف وطمعكم بمالي وعرضي فاخذتم بنتي كسبية وجعلتم تفرون بها من مكان الى مكان تقاسي عذاب السفر ومشاق الطرقات واهوال الغربة والانتقال بعد ان كانت قد تربت على الدلال والترفه وسعة المعيشة وكان بخدمتها كثير من مثل ملوك العرب وقد وقع بيني وبينكم الحرب لما كان حمزة بينكم وبسببهِ انكسرت عساكري ورجعت الى المدائن فجمعت في مدة اكثر من ستين الف الف وسبعمائة الف فارس من ابطال الفرس وشجعان الديلم وغيرهم من الامم وعندي زوبين الغدار الذي لا يصطلى لهُ بنار وقد عزمت ان ابيدكم عن اخركم وانزع اسم العرب من الدنيا غير ان شفقتي عليكم حملتني على التردد في ذلك فارسلت هذا التحرير اطلب اليكم ان تضعوا المناديل برقابكم وتاتوا لتقبيل اقدامي صاغرين طائعين نادمين على كل ما وقع منكم وما ابديتموهُ من المخالفة والعناد ويكون بينكم ولدي فرمزتاج الذي اسرتموهُ وجسرتم على تقييدهِ وفوق كل ذلك فانكم ترجعون اليَّ بنتي مهردكار مع جميع ما وصل اليكم من الاموال واعدكم اني اعفو عنكم واعيدكم الى مناصبكم ولا اواخذ احداً بجريمتهِ حيث ان الذنب بذلك على حمزة وانتم اخلصتموهُ الود بعد ان تغلب عليكم فهذا اخر ما عندي والاَّ تصادفون الشر والوبال

وبعد ان وقع كسرى على هذا الكتاب بعثهُ الى الملك النعمان وفرسان العرب فوصلوا اليهم وقرأوهُ وكان الامير حمزة بينهم وهو مختفٍ فاجاب الرسول اذهب الى سيدك واخبرهُ انهُ وان كان اميرنا غائبًا عنا الاَّ ان كل واحد منا بهِ الكفاءة لان يقوم مقامهُ وسوف ترى منا ابطالاً لا يخافون الموت ولا يرهبون المنايا ولا يفوتهم عن قبض النفوس فوت وهذا جوابهُ عندنا وفي الغد يقوم بيننا الحكم الفاصل والقاضي العادل وهو السيف اليمان الذي يقضي بالحق والانصاف. فرجع رسول كسرى اليهِ واعاد عليهِ كل ما سمعهُ من العرب فاغتاظ وتكدر واضطرب وقال ان العرب لفي ضلال مبين واجلهم يعلمهم الكبر والعظمة ولا ريب ان دولتهم ستنقرض وتغضب عليها النار ذات الشرار واني احسب ان هذه الامة ما كانت على وجه الارض ولا دخلت بين ممالكي. ثم قال لبختك اريد منك ان تنشر اعلانًا في كل العساكر ان صباح الغد يبتدئ القتال واني سمحت بدماء العرب وسلبهم ونهبهم فلتزحف العساكر مرة واحدة عليهم ولهرقوا ويهبوا ويقتلوا ويعذبوا كل من وقع بايديهم من اعدائنا دون شفقة ولا رحمة ففعل بختك في الحال واخذت الفرسان تستعد وتتاهب الى اليوم القادم وبات الفريقان الى ان اشرقت شمس ذاك اليوم المنتظر من العرب والعجم

وما بزغ الفجر حتى ضربت طبول العرب فارتجت لها الجبال والوديان واجابتها طبول كسرى انوشروان تنذر الابطال والفرسان بالاسراع الى الاستعداد. والتهيء لخوض معامع الطراد. فنهض كل ذي حماسة الى سلاحهِ فافرغهُ عليهِ وتعدد وتدرع وجاء الى جوادهِ فركبهُ وانضم الى صفهِ فانتظم بهِ وهو مشهر حسامهُ ينتظر الاذن بالهجوم والقتال وما اشرقت الشمس حتى كان اصطف الصفان. وترتب الفريقان. وركب كسرى انوشروان وامامهُ بيكار الاشهار ومن حواليهِ الحراس والفرسان. وركب حمزة العرب ومن عندهُ من الفرسان. وحالما وقعت العين على العين تحركت الضغائن من المعسكرين. فصاحوا وحملوا وهاجوا وماجوا وفي ايديهم الاشطان. والعواميد الحديدية وعيدان الزان. وراج سوق المنايا اي رواج. واحتاط بالفريقين من جيش الفناء واتخذ له من جيوش العدم امتن سياج. فتدفقت الادمية كالانابيب. وتحدرت من ينابيع الرقاب والصدور كتحدر الماء في المياذيب. واتخذ كل فارس من الابطال لنفسهِ مقامًا في سوق المجال. فباع واشترى. واجرى الدماء انهرا. ولا سيما فرسان العرب وابطالها المشاهير. فانهم اخترقوا تلك الجماهير. وفعلوا افعال المردة الطيارة والجن السيارة. غير ان كثرة العساكر كانت تضيق عليهم المجال فلا يقتل الفارس فارسًا الاَّ انحدر اليهِ اثنان في الحال. لان عساكر العجم كانت كما تقدم تتجاوز ١٧ كرة وعساكر العرب دون الثلثمائة الف فارس وعلى هذا فقد عرف اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل و باقي فرسان العرب انهم اذا ثبتوا هم اشتد جيشهم وتقوى واذا قصروا ضعف واتحل ولحق به الفناء ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان يقاتل قتال الاسود ويخط على الجيوش انحطاط البواشق فيشردها ذات اليمين وذات الشمال وهو متخف عنها لا ينادي باسمهِ ولا يفتخر بنفسهِ والعجم تزدحم عليهِ ولا تفارقهُ وهي لا تعلم انهُ بلوة الانس والجان ولو عرفتهُ لتفرقت منهُ واشترت ارواحها بالفرار والبعد عنهُ ومن المعلوم انهُ اثناء القتال انهُ لا يثبت في مكان لانهُ كان يخاف ان تصاب جيوشهُ بالاضمحلال او يلحق باحد فرسانهِ سوء فيتفقد الجميع واين كانت جيوش الاعداء مجتمعة فرقها وقد تعب في ذاك اليوم التعب الكلي ليحفظ نظام معسكره الذي كادت تتغلب عليهِ الكثرة واخذ في الرجوع الى الوراء ولولا اعمالهِ واعمال رجالهِ لانقرض واختار التشتيت على البقاء امام اعدائهِ الكثيرين وكان الملك كسرى على الدوام يبعث باوامره بين عساكره يحرضهم على الثبات وان ينهوا امر العرب في ذاك النهار وكذلك بختك الخبيث الغدار فانهُ كان مطمأن البال بالفوز والانتصار . لما راى قلة العرب وكثرة جيشهِ الجرار . وكان اكبر رجائهِ بزو بين الغدار . نسل اللئام الاشرار . حيث كان وعدهُ انهُ في ذاك النهار . لا بد من وصولهِ الى مهردكار واسترجاعها الى عساكر الاعجام بقوة الصارم البتار . وكانت جهنم تشتعل بقيصان لهيب النار فتلتهم كل من يقدم ضحية الفناء والبوار

قال وبينما كانت عساكر العرب في وسط المعمعة وهي ضيقة الانفاس لكثرة الازدحام ومضايقة الاعداء وفرسانها تخبط في عباب ذاك البحر المتلاطم بامواج الاهوال وعساكر العجم وان كانت ترى قتلاها تزداد على الدوام الاَّ انها كانت تتقدم مؤملة انها لا بد من ان تضعف العرب وفي كل ظنها ان غياب الامير حمزة وسيلة كبرى لفوزها وتقدمها والاَّ لو سمعت بذكر اسمهِ فقط لوقع الرعب في قلوبها وخافت من التقدم وكسرى وبختك مسرورين من بعض النجاح الذي نالهُ العجم واذا برايات اندلسية تخفق وجيوش حبشية تتقدم وفوارس لا تخاف المنية وقد اسرعوا المسير ومن فوقهم الغبار قد علا وثار حتى حجب شمس النهار ثم انقسمت تلك الجيوش الى قسمين قسم مال الى جهة الشمال وقسم الى جهة الجنوب فالقسم الاول كان في مقدمتهِ عمر الاندلسي المتقدم ذكرهُ ومعهُ نحو ثمانين الفاً من عساكر الاندلس وقد صاح وحمل لما راى الحرب قائمة على ساق وقدم وهو ينادي انا عتيق سيف حمزة البهلوان وخادمهُ طول الزمان ومثلهُ كان يفعل صاحب القسم الثاني وهو النجاشي سلطان الحبشة ومعهُ مائة وعشرون الفاً من رجالهِ وابطالهِ وفي الحال باشروا الحرب والقتال وخاضوا ساحة ذاك المجال فارتاع كسرى من اعمالهم وامر ان ترجع عساكرهُ الى الوراء والاَّ احاط بها الاعداء ووضعوها في الوسط وانزلوا بها البلاء وقد تكدر من ذلك وتعجب كيف ان هذين الملكين جاءا لعضد اعدائهِ وداست

الحرب الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى الخيام لا يصدقون بالخلاص من شر ذاك اليوم الكثير الزحام ورجع كسرى فنزل في صيوانهِ وضرب امامهُ العلم الاكبر وبعد ان تناول الطعام وشرب الشراب جاءهُ الوزراء والاعيان وشرح كل واحد حالة الجيش وما عرفهُ منهُ فقال بختك اني كنت ارى في الاول ان النصر سيكون لنا في هذا اليوم وان في صباح الغد لا بد ان نتفرق عساكر الاعداء ولذلك كنت مسرورًا جدًّا وكان عندي من الفرح ما لا مزيد عليهِ ونفسي تطلب سرعة النهاية ولكن النار في هذا اليوم لم تكن راضية عنا على حسب الواجب فلم تخولنا النصر التام وقد حفظتهُ اما الى اليوم الاتي او الذي بعدهُ . فقال كسرى اني اعجب من عمر الاندلسي والملك النجاشي فاني انا الذي قد بعثت ودعوتهما الى نصرتي ومعونتي فاعتذرا عن الحضور والان قد انضما الى العرب وجاءا لنصرتهم ولولاهما لكنا فزنا بالمطلوب في هذا النهار ولا اعلم ما هي الرابطة التي دعتهما الى مساعدة العرب لان مثل الملك النجاشي اذا كان مع العرب يقوي شوكتهم ويزيد عتوهم لانهُ كثير الجنود والاعوان وملك عظيم قوي السلطان . قال ان هذا لا يهمنا يا سيدي فانهُ لو اجتمع مع العرب كل اهل الارض بالطول والعرض فاننا نحن الفائزون عليهم المنتصرون ما زال حمزة غائبًا من بينهم فكن باطمئنان وراحة وسوف تجلي لك حرب الغد الحقيقة . فصبر كسرى وهو مشغل الفكر لا يعرف ماذا يلاقي من حرب اعدائهِ وقد رآهم زادوا عددًا وكثروا مددًا وان اكثر عساكر بلاد العرب وجميع جيوش بلاد الحبشة تحارب معهم

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا الى الخيام مسرورين بقدوم هذه النجدة القوية وحال وصولهم الى الخيام اجتمع المقيمون بالاتين وسلموا على بعضهم البعض وشكروا من الملك النجاشي وعمر الاندلسي . وسألها حمزة عن سبب اجتماعهما ببعضهما . فقال النجاشي اني بعد مفارقتك اخذت ان اجمع جيوشي بسرعة عظيمة وفي مدة ثلاثة ايام اجتمع عندي جيش عظيم فاخذت قسمًا منهُ وسرت في اثرك تحت امل اجتمع بك في الحال حيث ما عدت اقدر ان اطيق صبرًا على فراقك وما زلت سائرًا حتى وصلت الى بلاد الاندلس فرايت عمر الاندلسي قد جمع بعساكره وخرج من المدينة وسار على طريق مراكش فاجتمعت بهِ وعرف كل منا الاخر واننا سائران الى خدمتك وعجلنا مسيرنا حتى وصلنا في هذا اليوم الكثير الاهوال فلم نقبل ان

الى هنا انتهى الجزء السابع من قصة الامير حمزة
ويليهِ الثامن عما قليل ان شاء الله

الجزء الثامن

من قصة الامير حمزة البهلوان

تضيع الوقت فباشرنا الحرب . فقال حمزة بارك الله فيكما فانكما نصيرا الحق وعندي اننا في الغد نقهر جيوش كسرى ونرجعه مبدداً مشتتاً . فقال اندهوق ما زلت لا تظهر نفسك فجيش العجم لا يتفرق ولا يرتعب ولا ينكسر ولو قتل وفني عن اخره لان ظهورك يلقي الخوف على كل واحد منهم فتنحل اعصابه ويرجف قلبه ويخاف من البقاء قال اني لا اظهر نفسي ما لم اقبض على علم بيكار الاشتهار واحرم كسرى منه فيعرف ان حمزة لا يغيب ويقدر على كل ما يقول . فقال له كن انت في الغد امامي فاحمي ظهرك واجعل عمراً بين يديك فلا يفارقك ولا يفارقني واننا ناتي بالمقصود . ثم نظر حمزة الى كامل الفرسان فراى معقل البهلوان غائباً فسأل عنه فقال له عمر اني منذ الغد ما رايته ولا شاهدته ولا عرفت اين هو وانا اظن انه ليس في الخيام حتى انه في هذا اليوم ما باشر معنا القتال ولا الحرب والنزال . فقال سر انت واسال عنه في رجاله وبين قومه . فسار عمر وطاف كل العرب وهو يسال الكبير والصغير وما من واحد منهم افاده عنه او عرف اين هو موجود او راه فعاد الى اخيه واخبره ان معقلاً غائب عن المعسكر ولا احد يعرف بمكان وجوده فقال اخاف ان يكون نزل في هذا اليوم وشرب كاس الافات وانحدرت دمعة الامير حمزة على خده فقال له عمر لا تخف فان معقلاً لم يباشر الحرب واني في صباح هذا اليوم طفت كل المعسكر قبل اشتباك الحرب وفتشت الكبير والصغير فما رايته قط وفكرت انه لا بد ان يكون منذ الغد او قبله في الصيد ولم يرجع بعد فشغل بال الجميع من اجله وباتوا تلك الليلة يتحارسون الى ان اشرقت شمس اليوم التالي فاصطف الصفان وتقدم العسكران ورفعت رايات الابطال والفرسان وباقل من ساعة انتشبت نار الوغى واضطرمت واشتبكت الجيوش واصطدمت . ووقفت جيوش عزرائيل في كل ناح وقد تهيئات لقبض الارواح . وهي فرحة بذلك النهار الكثير الاهوال . حيث تيسر لها فناء الوف من الرجال ووقف عزرائيل واخذ بيده بوقه لينفخ فيه وبدد جماعته وتحثهم في اعمالهم حتى لا يفوتهم احد من محاربي ذلك النهار

هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . ونفوس المحاربين مسرعة الى العدم . والكل بين السنة لهيب جهنم . تدفعهم اسنة الرماح . وتشرحهم البيض الصفاح . وما برح السيف يعمل

والدم يبذل والرجال تقتل . ونيران الوغى تشعل . حتى ارتفع الغبار الى العنان . وحجبت الشمس عن العيان . واصفر وجه كل جبان . عند مشاهدته هول تلك الوقعة الكثيرة الاخطار . والعظيمة الاهوال والاضرار . واحمر وجه كل شجاع . في موقع القتال والصراع . من كثرة ما رش من ادمية الفرسان . التي كانت تندفق من الاعناق وتشيب الابطال والشجعان . فتصبغهم بازكى الالوان . وتغير من شكلهم عما كان . ثم تنحدر الى بساط الصحصحان . وتجمع في افنية ذاك المكان . وتسير مجدولة كينابيع الغدران . وكثيرًا ما تطفو على وجه الارض فتغرق بها الخيل او تشرف على الغرق . وقد قل من المتقاتلين النفس والرمق . واخذهم الاضطراب والقلق . وسبحت منهم بحور العرق . وما عاد يرى الاَّ خيولاً غائرة . وادمية فائرة . واكفًا طائرة . واعينًا غير ناظرة . وقد رافقت رجال عزرائيل رجال العربان . وسعت في ركابهم من مكان الى مكان . وهم يسلبونها من ارواح الاعجام . ويكثرون لها من العمل والشغل في ذاك المقام . لان كل فارس من العرب تكون ضربتهُ قاضية في الحال . فيقع خصمهُ دون تاخير ولا امهال . وقبل ان يصل الى الارض . تخطف روحهُ وترسل للحسبان في يوم العرض . فلله در المعتدي حامي السواحل وما فعل في ذاك اليوم الكثير الاهوال . وكم قتل وكم اسر من الابطال . وكذلك قاهر الخيل فقد مدد الرجال . على بساط الرمال . وانزل عليهم الدمار والوبال . ولم تكن افعال باقي الفرسان اقل من افعالهِ . ولا اعمالهم دون اعمالهِ . ولا سيما عمر الاندلسي فانهُ اراد ان يظهر لحمزة صدق خدمتهِ . وعظائم فعلهِ اثناء المعركة وحسن براعتهِ . فبدد الاعداء وانزل عليهم ميازيب العناء . وارماهم في حمر الفناء . وهو ينادي رقومة من وراء تقاتلب وتضارب . انا عمر الاندلسي عتيق سيف حمزة فارس المشارق والمغارب . وكذلك الملك النجاشي فقد فتك بجماعتهِ فتكًا لا ينتسى ذكرهُ الى آخر الزمان . وبالاختصار ان تلك الوقعة كانت اعظم الوقائع التي مضت على العرب والعجم . لا بل وعلى غيرها من القبائل والامم . من سكان تلك الاعصر العظيمة الوقائع . والكثيرة المعامع . حيث كان عدد المتقاتلين يزيد عن الخمس والعشرين كرة وفيهم مشاهير الرجال والابطال العظام ما لم يات مثلهم في غير ايام . ولذلك تغطت الارض بالقتلى وحامت عليها غربان الجوّ ووحوش الفلا طالبة رزقها في ذاك المكان ناظرة فيهِ ما يشبعها ويكفيها الى آخر الازمان . منتظرة النهاية لتاخذ نصيبها من تلك الاجسام وتذخرها الى غير ايام . كل هذا وكسرى ينظر ويرى ويشاهد ما يحل برجالهِ رما يقع على ابطالهِ . وهم يقعون ويقومون . ويجرحون ويقتلون . ورماح العرب تخرق صدورهم . وسيوفهم تغمد في نحورهم . وهم تائهون في ديجور تلك المعمعة لا يعرفون ماذا يعملون ولا من يقاتلون ولذلك اسودت الدنيا في عينيهِ . وانطبقت اربع جهات الارض عليهِ وقال لبختك ها ان

عساكري ستنقرض في هذا النهار و يحل بها الفناء والبوار . والعناء والدمار . وتتشتت في الاربع اقطار . والتزم الى الهرب والفرار وركوب طريق الذل والعار . فقال لهُ بختك شد عزمك يا سيدي ولا تؤخذ بالظواهر . فلا بد من استظهار فرساننا بالاخر . لان عمل العرب هذا ومن والاهم سيلقيهم اخيرًا في التعب وتضعف قواهم ويكون لقومنا عليهم الثار . فيبطشون بهم بطش الليث الجبار . قال وفيما هما على مثل ذلك واذا بجيش الحرس قد اضطرب وارتبك وجفل ومال من اليمين الى الشمال واخذ في التقهقر والتاخير والاضمحلال وسمع كسرى من وسطهِ صوتًا تميل لهُ الجبال . وترجف عند سماعهِ اسود الدحال . وتضطرب العواصم والبلاد والحصون والاطواد . وقائل يقول ويلكم لئام غير كرام قد جاكم فارس الفرسان . وبطل هذا الزمان . وسيد ساداتهِ الشجعان . ونقمة كسرى انوشروان . ومطوع جبابرة الانس والجان . الامير حمزة البهلوان

قال ولا يخفى ان الامير حمزة من حين مباشرة القتال اتكل على فرسانهِ واوصاهم بالمحافظة على بعضهم البعض وان يساعد احدهم الاخر . وخاض هو ذاك البحر العجاج . المتلاطم بالامواج ومن خلفهِ اندهوق بن سعدون . البطل الميمون . فاخترقا الصفوف . وشردا المئات والالوف وانزلا عليها الحتوف . وهما تارة يميلان الى جهة اليمين وتارة الى جهة الشمال . والفرسان تزدحم عليهما وتطلبهما الابطال . وحمزة يضرب في صدورها . فيرسلها الى قبورها . واخوهُ عمر يخطف بين يدي جوادهِ اليقظان ويضرب بالخنجر في صدور الخيول فيرميها الى الارض وتقع عن ظهورها الفرسان . وما برح على هذا العمل وقد قتل الوفًا من الابطال وجرح كثيرًا من الرجال واندهوق يحمي ظهرهُ فلا احد يقرب منهُ الى ان فات الظهر وكلما شردت العساكر عنهُ بعدت ثم عادت وتجمعت من حواليهِ وهي ترى قتالهُ قتال الامير حمزة انما كانت لا تعرفهُ ولذلك كانت نفوسها تتألمها بقتلهِ وفناهُ وهو يتقدم الى الامام حتى كاد يقرب من بيكار الاشتهار وهو العلم الاكبر وابطال العجم من حواليهِ والحراس تدور بهِ من مكان الى مكان حتى انهُ اخيرًا صاح وتكنى باسمهِ ونادى انا حمزة البهلوان نقمة كسرى انوشروان . فلما سمع العجم صوتهُ وقع الرعب في قلوبهم وتيقنوا انهُ هو نفسهُ فطاروا من بين يديهِ اخرهم يضرب باولهم يتسابقون الى الفرار وهو يضرب باقفيتهم حتى سمع كسرى ذاك الصوت وراى ما حل بحرسهِ فارتاع وخاف وقال لبختك ويلك ياخبيث يا غدار تقول ان حمزة في جبال قاف وها هو في وسط عساكري وقد فرّق حرسي وكاد يصل اليَّ . قال اني اخاف ياسيدي ان يكون احد فرسانهم قد تكنى باسمهِ فجفلت منهُ عساكرنا لانهُ لو كان بينهم لما هربوا الى هذه الجهات وفيما هما على ذلك واذا بحمزة قد وصل من بيكار الاشتهار فضرب بحسامهِ كل الذين حواليهِ وتناولهُ بالرغم عن كل ممانعة

ومدافعة وقد صارت مزاحمة قوية عندهُ وتكردس القتول كالتلول ولما صار العلم في يدهِ سلمهُ الى اندهوق وعاد الى مداومة القتال واذ ذاك صاح كسرى بحجابهِ وقال لبختك ويلك عجل بالهرب والفرار والاَّ دفعنا با يدي حمزة ونال منا مرادهُ فان الهلاك قريب منا فقال بختك صدقت ان هذا اليوم يوم بئس ونحوس والنصر بهِ للاعداء فسارعوا الى الهرب . ثم انهُ امر الحجاب ان ترفع كسرى والصيوان وتسرع في التقهقر والفرار ففعلت في الحال ودارت باقفيتها للعرب وطلبت الخلاص من جهنم سيوف الامير حمزة ورفاقهِ وراى باقي العجم ما فعل كسرى وحرسهُ فجاروهم على عملهم وطاروا ذات اليمين وذات اليسار . هذا والعرب قد شكرت من حمزة على هذه النصرة فجودت الطعن والضرب ورامت ان تشفي غليلها من الاعداء ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان مشتاقًا الى وقوعهِ في مثل هذه المعمعة ليشفي غليل قلبهِ بعد غيابهِ وبقاعدهِ عن القتال ثلث سنوات ولذلك كانت القتلى حوله كالتلال وهو غارق ببحر من الدماء ويحيط عليهِ من الاربع جهات وهو يطعن ويضرب ويصيح . ينادي باسمهِ والرعب يتوغل بقلوب الهاربين وكل واحد منهم يظن من نفسهِ انهُ وراءهُ يدوي باذان كل واحد يرن ودام العرب في جدهم واجتهادهم حتى حجب الظلام عن اعينهم اخصامهم فكروا راجعين بعد ان ابعدوا عن مواقعهم مسافة طويلة فامر الامير حمزة ان تجمع الاسلاب والمكاسب وتوخذ الخيام وترفع الى المعسكر فدار العرب الى جمع الخيول الشاردة ونزع اسلحة من المقتولين وقلع الخيام وما فيها من الاوان والامتعة فكان شيئًا كثيرًا يعجز القلم عن وصفهِ

فامر الامير حمزة ان يقسم على كل من افراد العساكر وضباطهم ولا يترك احد بدون ان ياخذ نصيبهُ منهم واول ان اجتمع في صيوان البهلوان شاه واجتمعت سائر الفرسان والملوك اخذوا في ان يهنوا بعضهم البعض بهذه النصرة ويمدحوا من الامير حمزة على ما اجراهُ في ذاك النهار حيث شيد لهم اسمًا لا يمحى مدى الدوران فقال لهم ان كل هذه النصرة وعواقبها لا تساوي في عيني ما زال اخي معقل البهلوان غائبًا ولا نعلم مكانهُ واذا كان اصيب بضرٍ فهو خير من رجال الفرس كبيرهم وصغيرهم . فقال لهُ اندهوق عندي ان معقلاً بعد عن المعسكر بقصد الصيد فعرض لهُ امر عاقهُ عن الرجوع الينا . فقال الامير حمزة اني لا ارتاح ولا يهدأ لي بال ما لم اعرف شيئًا عن اخبارهِ وربما كان اسيرًا في احدى الجهات او يكون جرى عليهِ حيلة او خدعة القتهُ في احدى المتاعب والمهالك ولذلك ساعهد الى اخي عمر العيار بالتفتيش عليهِ والبحث والاستقصاء من سائر النواحي ولا بد ان يكون احد الناس عرف شيئًا من اخباره فقال لهُ الامير عمر اني سآتيك بخبرهِ عن قريب واخرج عنك هذه الكربة والضيقة

ثم ان حمزة بعد ذلك نهض الى مهردكار فاكل الطعام عندها وهنئتهُ بالنصر والظفر وقالت

له لو لم يكن انه معك لما قدرت على مثل هذا الانتصار العجيب العظيم بمدة يومين فقط مع انه لو كان غيرها [illegible] وايامًا [illegible] دون ان ينال المراد . فقال لها اقاتل وقلبي مكمود وملوح [illegible] التي [illegible] بيني وبين ابيك وجعل احب الناس عندي عدوًا لي [illegible] يقع بيدي بخنك الوزير جرثومة الشر والفساد والكيد [illegible] هذا الذي اريدهُ واتمناهُ واعرف اكيدًا انك اذا قتلت بخنك او ابعدتهُ عن [illegible] الوفاق والان اسالك ان لا تنسى اخي [illegible] اكرامًا [illegible] لا تدعهُ بالعذاب فقال اني افتكر بذلك ولا [illegible] البهلوان ان اكرمهُ واجعل لهُ مقامًا عندنا والان هو بخير وقد [illegible] وبعد ان صرف وقتًا من السهرة عندها [illegible] تطلب ان يغتنم الفرصة بالاقتران بها [illegible] فوائده [illegible] العالم انهُ تزوج بها ونال ما تمناهُ [illegible] عن الرجوع الى الحرب ويعود الى دوام الحب والالفة والسلام

قال [illegible] نهض الامير عمر [illegible] جماعتهُ بالاهتمام والسهر اذا طال غيابهُ وخرج من المعسكر [illegible] والبحث عن الامير معقل البهلوان وقد اختار الطريق الاقل اطرافًا [illegible] ان الامير معقل البهلوان لا يمكن ان يسلك الا منفردًا بنفسهِ وما زال سائرًا حتى قرب نصف النهار [illegible] في اي جهة [illegible] واي بلد يقصد في الاول وبينما هو على مثل هذا الامر [illegible] الى جهة البر فوجد فارسًا يسير الى جهتهِ ومن خلفهِ هودج على بازل يقودهُ جماعة من العبيد فاطلق سائقهُ الى ناحية ذاك الفارس وقلبهُ يدلهُ انهُ هو الامير معقل [illegible] قبل ان [illegible] منهُ عرفهُ وتاكدهُ وعرف ان غيابهُ كان لهذا السبب ولما وصل منهُ [illegible] وقال لهُ ان غيابك احدث اطرابًا بالعرب ولا سيما عند اخي الامير حمزة [illegible] زائد [illegible] علیك بعد ان تبدد شمل كسرى وانجلى عن هذه الاراضي [illegible] فقال الامير معقل وانذهش وقال [illegible] ما نقول كيف يمكن تفريق مثل هذه العساكر العظيمة بمدة [illegible] ثلاثة ايام . قال ان العرب قاتلت فقتال الاسود لما شاهدت اتصال اميرها [illegible] ان يبدد الالوف شرقًا وغربًا حتى وصل الى بيكار الاشتهار [illegible] من [illegible] عن كل [illegible] منذ الان ينصب امام صيوان الامير حمزة

قال وكان [illegible] غياب معقل البهلوان هو انهُ كان قد خرج الى الصيد واوسع بالبر وهو

منفرد بنفسهِ لا احد راهُ ولا رافقهُ وفيما هو يطارد الوحوش والغزلان راى غزالة قد مرّت بجانبهِ ونفرت مسرعة كالبرق الخاطف فاطلق من خلفها جوادهُ وقد خفق قلبهُ ومالت اميالهُ الى مسكنها والقبض عليها وما برح يطاردها وهي شاردة بين ايديهِ حتى دخلت في روض ملتف الاشجار حول قصر قائم في تلك الجهة فدخل خلفها ومالبث الى ان راها قد دخلت القصر واختفت فوقف هناك متعجبًا من عمل الغزالة ومحرقًا كيف تخلصت منهُ واخذ في ان يتامل في ذلك المكان ويحب ان يعرف من داخلهُ ولمن هو وفيما هو على مثل ذلك واذا بطاقة القصر قد فتحت وتغنت بها صبيّة من نساء المغاربة ذات خد احمر ووجه جميل رائق وعيون سوداء كبيرة تجرح من اول نظرة فانعطف قلبهُ اليها ومالت اميالهُ الى معرفة اخبارها فوقف محدقًا بها الى ان بدئتهُ بالكلام وحيتهُ بالسلام فاجابها على تحيتها وقد اخذ عقلهُ بعذوبة الفاظها . فقالت ما الذي اوصلك الى هذا القصر وماذا اضعت عندهُ فاني اراك محيرًا . قال اعلمي ياوجه القمر ان غزالة كنت اطاردها فطارت من بين يدي ودخلت في هذا القصر وقد اوصلتني اليهِ ولم اعد اراها بعد ذلك واحترمت حمى صاحب القصر فلم اعد اسال عن صيدها ولكن قلبي كان لا يطيق فراقها وتركها ولذلك كنت واقفًا بارتباك بين قلبي وارادتي . قالت فعلت حسنًا فانت الآ من كرام الناس وامرائهم وساداتهم فان الغزالة دخلت في حماي وهي لي فهل لك ان تبدل غزالتك بغزالٍ وتشرف محلنا فتاكل طعامنا . فسلب عقلهُ وكاد يغيب عن صوابهِ وقال لها من ابن لي هذا الشرف واما غريب عنك وانت لا تعرفي من انا ولا سالتني عن اسمي . قالت ان دلائل الكرام تظهر على وجوههم ولا تخفى عن بصائر اولي الالباب فضلاً عن انهُ ليس من كرم الاخلاق ان اسالك عن نسبك قبل ان تاكل الطعام وترتاح من مشاق الصيد وتعرف من انا

فدخل الامير معقل وهو مسرور الفؤاد وقد اسرع اليهِ الخدم فاخذوا منهُ الجواد وصعدوا بهِ الى اعالي القصر فترحب بهِ صاحبتهُ وتلقتهُ بالاكرام والبشاشة ودخلت بهِ الى غرفة الاستقبال فاجلستهُ على كرسي من الحرير الاحمر محشوة بالريش النعام وهي من خشب الابنوس فجلس واخذ لنفسهِ الراحة ردحة ثم قدم لهُ الشراب فشرب وبعد ذلك قدم لهُ الطعام فاكل وهي معهُ تظهر لهُ كل انس ولطف وسرور بوجودهِ عندها ولا يخفى ان الامير معقل كان جميل الخلقة عظيم الهيكل بهي الطلعة وقورها فعلقت بهِ الفتاة وقدمت لهُ كل ما في وسعها من الترحاب واخيرًا سالها عن اهلها وما سبب وجودها في ذاك القصر . فقالت لهُ ان اسمي ذات الجمال بنت حاكم طينور الغرب وهو صاحب هذه البلاد وهذه الاراضي وقد ابتنى هذا القصر منذ ازمان يقيم فيهِ في زمن اشتداد الحر ولما كبر وشاخ ما عاد يطلع اليهِ فسالتهُ ان يسمح لي اقيم فيهِ كل

سنة منذ ثلاثة اشهر فاجابني وصار كل سنة يرسلني اليهِ مع جماعة من خدمي فاقيم بهِ ويزورني في اكثر الاحيان واريد منك ان تخبرني من انت لاني موكدة انك من قوم العرب النازلين بجوارنا لا بل من ساداتهم واعيانهم . قال لقد اصبت فاني من رفقاء الامير حمزة العرب سيد القبائل وفارس الفرسان واسمي معقل البهلوان صاحب قلعة تيزان وقد جئنا الى هذه الديار البلاقية من سفرتهِ فتبعنا كسرى انوشروان بعد ان وصل الينا ا يرنا ولا بد من ان نبطش بهِ ونذله مع قومهِ كما فعلنا معهُ بالسابق . فقالت لهُ نعم الرجل فانت من السادات العظام ولذلك لم يخطئ قلبي وقد اصاب بتعلقهِ بك ومعك ولا ريب انك اذا كنت من كرام الناس لا ترد طلبي ولا تمنع سوالي واريد منك ان تصرف هذه الليلة عندي وفي الصباح تذهب الى قومك ومتى انتهيتم من حرب كسرى بعثت الى ابي فاخذتني منهُ زوجة لك ولا ريب انهُ يجيبك الى ذلك . قال حبًّا بك وكرامة وهذا الذي تريدينهُ فاني متشوق اليهِ واذا اطعتيني سرت بك الى قبيلتي من هذه الساعة وارسلت من هناك الى ابيك رسولاً في الحال وسالتهُ زواجك بي . قالت اخاف ان ابي ينسب اليَّ العصيان وطاعتي بالمسير معك يحط من قدري عند قومي فاجابها الى طلبها واقام معها على حظ ومسرة وقد صفت الخمور واحضرت الكاسات والزجاجات ورتبت النقل والازهار واقامت معهُ على مثل هذه الحالة كل تلك الليلة نعاطيهِ ويعاطيها وهما بجنة من النعيم

قال ولما دخل الامير معقل القصر وعرف بنفسهِ ذات الجمال كان احد الخدم واقفًا يسمع ويرى فاسرع الى مدينة طيفور واخبر اباها بوجود احد امراء العرب عند بنتهِ وانهُ كان يطارد غزالة فجاءت القصر ودخلتهُ ومن ثم دخل هو واقام عند ذات الجمال . فلما سمع هذا الكلام اضطرب واغتاظ في داخلهِ الاَّ انهُ استعمل الحكمة والدراية وجمع اليهِ اعيان قومهِ وعرض عليهم امر بنتهِ ومعقل البهلوان وسالهم كيف السلوك في هذا الامر الخطر فقال لهُ احد عقلاء قومهِ انت تعرف ان العرب قد جاءوا هذه البلاد منذ زمان طويل وما من احد قدر على عنادهم ومطاردتهم او اشهر بوجههم حسامًا والآن قد تبعهم كسرى الى هذه البلاد لاجل محاربتهم ولا ريب ان احد المتحاربين يتغلب على الآخر وعندي اننا نذهب الى قصر بنتك ونحتال على هذا الفارس العربي ونقبض عليهِ ونأتي بهِ الى المدينة فاذا انتصر الفرس سرنا بهِ الى كسرى وسلمناهُ اياهُ ونلنا منهُ المكافاة واذا انتصر العرب اعتذرنا اليهِ وسلمناهُ بنتك اذ لا بد لهُ من اخذها واصطلحنا معهُ ومع العرب واما الآن فليس من العدل ان نظهر عداوتنا لاحد حفظًا لبلادنا واموالنا من الخراب والنهب وليس من الصواب ايضًا ان نترك هذا العربي عند بنتك على هذه الحالة حفظًا لناموسنا . فاجاب الجميع الى هذا الرأي وساروا الى قصر ذات

الجمال وفيما هي مع حبيبها على حظ وفرح وسرور وانشراح وشرب عقار ومناشدة اشعار واذا باحد خدمها قد دخل عليها واخبرها ان اباها قد دخل القصر مع بعض اعيانه فارتاعت واضطربت . فقال لها معقل البهلوان لا تخفي ولا ترتاعي فاني اعرف كيف اتصرف مع ابيك فاذا قصد عنادي اخذتك بالرغم عنهم جميعهم وسرت بك الى قبائل العرب واذا وافق على اكرامي اخبرته بالقصة وسالته زواجك وطلبتك منه وكانت هذه الفرصة احسن الفرص وانسبها واذ ذاك دخل ابوها الغرفة مع قومه فنهض لهم معقل واقفا على الاقدام وهو مدجج بالسلاح . فبش حاكم طيفور في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً بك ايها الامير فقد شرفت محلنا على غير انتظار واتيت منزلك فعلى الرحب والسعة واني حالما عرفت بقدومك اسرعت لخدمتك لان قومك العرب نزلوا ضيوفًا في بلادنا ومن موجبات الضيف الاكرام . ومثل ذلك فعل باقي قومه وتقدموا من الامير معقل وسلموا عليه واكرموه ومدحوه فشكرهم واثنى عليهم وهو يظن صفاء بواطنهم ولم يفكر بهم الغش والخداع . ثم زادوا من الخمرة وشربوا جميعا وهو يشرب معهم مستحيًا بنفسه بينهم لعظم اكرامهم له وكذلك ذات الجمال فانها كانت لا [illegible] ان تلاقي من ابيها مثل هذه المعاملة وما برح الامير معقل هناك الى المساء واذ ذاك [illegible] مكانه وقد دارت الخمرة براسه وكاد يغيب عن هداه فحملوا عليه ومسكوه [illegible] على [illegible] ورجعوا من القصر وجاؤوا ايضًا بذات الجمال دون ان يهانوها على عملها [illegible] ابوها بعاملها بالبشر والانس . حتى وصلوا المدينة ودخلوا [illegible] حاكم طيفور [illegible] رسولاً الى العرب براقب اعمالهم مع كسرى ويأتيهم في النهاية بالخبر اليقين وما يكون [illegible] من الرابح ومن الخاسر فسار ذاك الرسول واقام بين العرب [illegible] الروم [illegible] في المساء ودخل الى حاكم طيفور فقال له [illegible] هذا اليوم ما كدت لا اصدقه واكذب نظري فلا ريب [illegible] صناديد ولا سيما اميرهم حمزة فاني رايته واما في [illegible] منهزمة كانه الموت الاحمر لا [illegible] كانهم النار الشديدة الاضطرام اذا وقعت على القش [illegible] ان تكر معقل البهلوان وتعتذر اليه وتترضاه وتتباعد من [illegible] فانهم لا يتركون [illegible] عليه ومتى عرفوا بما حصل له [illegible] زحفوا على المدينة [illegible] مع كثرتهم وعددهم الذي لا يحصى [illegible] فانا [illegible] بقومك ان تفعل . فلما سمع حاكم طيفور كلام رسوله قال [illegible] العرب ونصطلح مع معقل البهلوان [illegible] الى القصر

الذي فيهِ معقل ودخل عليهِ فوجدهُ يزأر كانة الاسد وهو مغتاظ من الغدر بهِ ووقوعهِ في ايدي حاكم طيفور . فسلم عليهِ . فقال لهُ معقل لم يكن بعهدي ان تسلكوا سبيل الغدر والخيانة وتاخذوني وانا امين منكم ولو انكم اسرتموني وانا على ظهر جوادي لما صعب عليَّ ولكن لا بد ان يتوصل الامير عمر العيار الى معرفة مكاني فياتي مع العرب لخلاصي وتجازون على شرّ اعمالكم فقال ابو ذات الجمال انا ما غدرنا بك لشر ولاقصدنا لك ضرًّا غير ان بعض قومي حكى بعرضي فكدرني ففعلت ما فعلت خوفًا من ان تترك بنتي وتذهب الى حالك ويبقى اسم المذلة والعار عليَّ . والان الحمد لله قد ثبت لدينا انك من كرام الناس واوفاهم مروَّة وكرامة وشهامة وقد جئت اليك وانت صاحٍ لاعرض عليك صداقتنا واني ارغب في ان تكون صهري وتكون القرابة والنسابة بيننا ولا اكون فعلت امرًا مكدرًا . قال اني ارغب في بنتك ذات الجمال واريد ان تكون لي زوجة غير اني لا اريد ان اقرب منها وازف عليها الاَّ في قبائل العرب عند قومي . قال كفانا ان نعقد عقد الزفاف عندنا ونسلمك اياها فتصبح زوجتك واخلص من اللوم وبعد ذلك فلك الخيار ان ابتنها عندنا او ذهبت بها الى قومك . فوافقهُ معقل على ذلك وحينئذٍ احضروا ذات الجمال وعقدوا زواجهُ عليها وسلموهُ اياها مع البستها وحلاها وخدمها وكل ما هو لها وامر ان يسلم اليهِ جوادهُ فدفع اليهِ فاخذهُ وسار بعروسهِ الجديدة يقصد العرب وهو لا يعرف ما جرى عليهم حتى التقى بعمر العيار كما تقدم معنا الكلام فسار واياهُ الى المعسكر حتى وصلا ودخل معقل على الامير ففرح بهِ وسلم عليهِ وسالهُ عن سفرتهِ فاخبرهُ بكل ما توقع لهُ وما جرى مع ذات الجمال وانهُ جاء بها لعمل عرسهِ هناك

قال فلما سمع حمزة ذلك تحركت بهِ دواعي حبهِ لمهردكار واطرق مدة الى الارض . ثم رفع راسهُ بين قومهِ وقال لهم انتم تعلمون انني لاقيت كثيرًا وحاربت كثيرًا لاجل مهردكار وانتم تتعذبون بسببي وتحاربون وتتنقلون من مكان الى مكان وقد احرمتم الراحة وبعدتم عن الاهل والاوطان اكرامًا لي ولذلك لا انسى انكم من اكرم ما خلق الله صفاتًا ومروّة وحيث الان قد انتهينا من امر العجم وانهزم كسرى وانجلت اثار رجالهِ عن هذه الارض وقد طفح الكيل ومضى قسم من العمر اريد ان اغسل وسخ هذه المصائب والمصاعب والاتعاب بقيام العرس والفرح مدة خمسة عشر يومًا فيها ازف انا على مهردكار وعلى الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل ويزف الامير معقل على درة الصدف بنت ملك مصر وعلى ذات الجمال هذه التي جاء بها الان ومن ثم نسير من هنا الى مدينة حلب نقيم بها الى ان يظهر لنا خبر كسرى وما يريد ان يعمل . فقال الملك النعمان وباقي الامراء والفرسان لقد اصبت يا حمزة فاننا نرغب لك مثل هذه الايام ونتمنى زواجك بمهردكار وطالما اردنا ان نشترك بهِ بار واحدا واني اشكر الله الذي بعد

كل هذه المتاعب منّ علينا بكل ما نطلبهُ ونسالهُ بهِ والان انشر بين قبائل العرب وكل المجمعين عندنا من حلفائنا ان ايام الافراح ستبتدئ من الغد ويكون الفرح في كل ناحية وفي كل جهة من جهات المعسكر وكل ذلك يصرف من اموال كسرى المحفوظة عندنا التي جمعناها من بلادهِ وعمالهِ ويسلم امر تدبير الزفاف الى اندهوق بن سعدون وعمر الاندلسي ومن اراد من الامراء ان يكون مساعدًا لها فلا يتاخر لعلمي ان الجميع يسرون من خدمة زفاف اميرهم وفارسهم واذ ذاك تقدم عمر العيار وقال اني لا اريد ولا اوافق على زواج اخي حمزة ولا ارغب فيهِ الان . فقال حمزة اني اعرف غاياتك وامتناعك لاي سبب هو ولا بد بعد زمان ان يصبح مال العرب باجمعهِ عند جماعتك العيارين فتاخذ اموال السادات وتدفعها للعبيد . فقال نعم كل واحد يسأل عن مخصصيهِ ورجالهِ وجماعتي مساكين يخدمونني بكد واجتهاد ولم اكافهم حتى اليوم . فامر الملك النعمان ان يدفع الى عمر من كل شخص خمسمائة دينار وان يقدم لجماعتهِ ما يكفيهم من الخمور والنوق والاغنام لتكون لهم في ايام العرس فعل ودفع حمزة لعمر ثلاثة آلاف دينار لهُ ولقومهِ العيارين وقال لهُ هذه مقابل اكرامي لهم في مثل هذا الزفاف فكاد عمر يطير فرحًا وماصدق ان قبض الاموال حتى دعى بجماعتهِ وسار امامهم وساروا من خلفهِ كسرب القطا حتى جاء اكمة ونثرها عليهم حسب عادتهِ وهم يلتقطونها حتى فرغ وبعد ذلك قال لهم اعلموا ايها العبيد ان في الغد يبتدئ عرس حمزة فامسكوا واخمروا وارغوا وارقصوا وافعلوا كل ما تريدون من اسباب الحظ والمسرات والافراح والتهاني فصفقوا وقالوا انا الى مثل هذا الامر ننتظر وعادوا جميعًا

قال ثم ان الامير حمزة امر في الحال ان يقدم اليهِ فرمزتاج بن كسرى فاتى بهِ وحالما دخل الى الصيوان نهض حمزة واقفًا وتقدم اليهِ وفك وثاقهُ بيدهِ وقال لهُ لم يهن عليّ ايها الملك العظيم ان تهان ويصل اليك الاذى وانت ابن كسرى انوشروان واخوهرمز دكار وانا نحن العرب وان تكن الحرب بيننا وبينكم قائمة وقد فزنا عليكم وفي وسعنا ان نبيد دولتكم لكننا لا نزال نعتبركم حق اعتباركم ونعرف مقامكم فهو مقدم على كل مقام ولو نظر ابوك مودتي النظر ووعى الى صالح نفسهِ لما عمل على عداوتنا بعد ان خدمتهُ حق الخدمة وخلصت لهُ بلادهُ من عدوين خارقين فقال لهُ فرمزتاج لعنت النار بختك الف لعنة وسرت روح ابيهِ بحال الثلج فهو جرثومة الشر ولولاهُ لما كانت كل هذه العداوة بل كان ابي بخير ونعمة يكون بدا عيهِ وساقيهِ . ثم ان حمزة اجلس فرمزتاج بمكان مرتفع على الجميع وامر ان يقدم اليهِ كل اكرام واحتفال وعظم شانهُ . ثم قال لهُ اخيرًا اني كنت احب ان ارسلك من هذه الساعة الى المدائن باحتفال وتعظيم غير اني اريد ان تشاركنا بزفاف اختك وتفرح معنا ومن ثم تسير فتخبر اباك بذلك عساهُ يرجع

من السعي في خرابهِ وهلاك قومهِ و يعرف ايضاً زوبين الغدار ان املهُ قد انقطع وان الذي يعلق آمالهُ بزواجها قد تزوجها من هو احق بها . فشكره فرمزتاج وكان يظن قبل ذلك ان حمزة لا يبقي عليهِ ولا بد ان يقتلهُ جزاء لابيهِ وكيداً لهُ فصادف خلاف ما افتكر وملئ قلبهُ فرحاً وسروراً . واقام مع العرب الى المساء وفي المساء ذهب بهِ الى صيوان مهردكار ولما رأتهُ بكت فرحاً بهِ وقبلتهُ وسرت بعمل حمزة وشكرتهُ مزيد الشكر . وقالت لهُ اني لا اقدر ان اكافيك يا سيدي على مثل هذه النعمة العظيمة . فقد عاملتني معاملة الحنو والرفق بحيث شفقت على اخي واكرمتهُ وما اهنتهُ . قال اني اعرف قدر ملوك العجم واحترمهم مهما عملوا بي وانا اعرف اني اقدر على كيدهم وقهرهم ولكن لا سمح الله ان اكون انا البادئ بالشر واني حتى الساعة اذا سلمني ابوك بخنك سرت اليهِ بنفسي وقدمت لهُ طاعتي وخدمتهُ كان ما صدر منهُ مكروه بحقي وضدي . فقال فرمزتاج لاختهِ اني اراك مصيبة بحبك لحمزة فهو رجل من اكرم الناس وارقهم مع انهُ من اشد الفرسان واشجعهم وانا منذ هذه الساعة اخاصم كل من يخاصمهُ واحب كل من يحبهُ ولا سيما حيث عاملني هذه المعاملة وما كنت اظن قبل الان الا بالموت والهلاك والقتل حتى سمح لي الله ان احضر زفافهُ في هذه الايام وفي هذه البلاد

وكانت مهردكار مسرورة جداً بعمل اخيها وما الاتفاق الذي رأتهُ بين الامير وبينهُ وهي لا تعرف من نفسها بماذا تكافئ الامير على معاملتهِ اخيها تلك المعاملة ومحبتهِ لهُ واملت ذاتها انهُ ربما ينتهي الخصام بين العرب والعجم اذا رجع فرمزتاج الى ابيهِ واخبرهُ بما عملهُ معهُ وتاملهُ بهِ حمزة . وبعد ان ذهب الامير الى ... رقدت هي على مثل هذه الافكار وقد نام اخوها بسرير اعد لهُ وهي جالسة تفكر فيما سنلاقي في هذا الزفاف وما يكون لها مع الامير من الراحة والرفاهية وتنظر في كل مستقبلها بنظر السعادة والاقبال كانها كانت تريد ان تدفن الماضي في تلك الساعة وتطلب ان تنسى كل ما وقع عليها ولم يخطر لها قط ان الزمان كثير الغدر وان ما املتهُ من ان بزفافها تكون نهاية مصائبها بل ان بهذا الزفاف تزيد اكدارها ومصائبها ويكثر من حولها الاكدار والاهوال لان حول ابيها رجال المكر والكيد فلا يدعون بالهُ يهدأ او ينزل عن بغضهِ ويرجع عن عنادهِ بل كل ما طالت الايام يطيل اصرارهُ على الانتقام من العرب . وما برحت نحواً من ساعة تفكر في مثل هذه الامور وهي تارة ترتاع من زواجها هذا كيف سيكون بعيداً عن بلادها واهلها وليس عندها من نساء قومها او قوم الامير حمزة من تتسلى بهِ او يصلح شانها وليس عندها الا البنات اللاتي سيكون نصيبهن مثل نصيبها ان كل واحدة ستشرب الكاس التي ستشربها هي وطوراً تتسلى من نفسها بنفسها وتقول في ذاتها يكفاني ان يقال باني صرت زوجة لحمزة العرب مهما كان دون ذلك من العذاب والمشاق والوحدة والانفراد واني ساكون

سعيدة بالقرب منهُ واني ساقوم بشان نفسي وما هي الاَّ مدة ايام قليلة تنقضي وبعد ذلك اصبح زوجة شرعية ويكون لي ولمن احبهُ قلبي ما يكون من روابط الزوجين غير اني لا ريب ساكون من افرح عباد الله منذ هذه الساعة وكل ما كنت اتمناهُ سالاقيهِ وانا لهُ بالرغم عن كل حاسد وعدو فقد خلا لنا الجو ولم يبقَ بيننا الان من يكدر عيشنا ويمنع قراننا فبشراك ياقلبي بشراك ستضم في ليالٍ قليلة الى من احببت وتنتهي بذلك احزانك وابدا ايام سعودك لاتضطرب ولا ترتع عند ذكر الماضي فكل ما مضى لا يحسب بشيء في جنب ساعة واحدة من الساعات والايام والشهور والسنين التي اعدت لك من حبيبك وصفيك ثم جعل السرور يطفح على فوادها ويزيد سرورها وتردد ناشدة

لا بلغ الحاسد ما تمنى فقد قضى وجدًا ومات منا
ولا اراهُ الله ما يرو مهُ فينا ولا بلغ سوءًا عنا
اراد برمي بيننا لبيننا فجاء في القول بما اردنا
ابلغكم اني اجحدت حبكم اصاب في اللفظ واخطأ في المعنى
ظن حبيبي راضيًا بسعيهِ فشن غارات الاذى وسنا
فمذ راى حبي اليَّ محسنًا اساءني فعلاً وساء ظنًا
يا من غدا للنيرين ثالثًا وثانيَ الغصن اذا تثنى
ومن سالنا منهُ منا بالمنى فمنَّ بالوصل منا ومنا
اشمتني بالضد بعد شدة ومن تعنى بالهوى تهنا
فعد بوصل واغنم طيب الشا فان ذا يبقى وذاك يفنى

وهي تدفع بكل قواها الفكرية والفوادية ثقل ذاك الليل الطويل وتتمنى انقراضهُ ومحوهُ وهي قليلة الصبر الى ملاقاة اليوم القادم اي اليوم الذي سيبتدى بهِ الفرح . وتسمع بين تلك الجموع المتنوعة اصوات الافراح والتهاليل بداعي زفافها على من احبتهُ وهي تتصور بهاءهُ وحسن طلعتهِ وكيف سيكون مشرقًا وضاحًا بين قومهِ ومكللاً باكاليل البهاء والسناء ولا يكون نظيرهُ احد فينار جميع من يقرب منهُ من شروق شمس جمالهِ وكان لسان حالهِ يقول

الوجد منك عن الصواب يضلني واذا ضللت فانهُ يهديني
وتميتني الالحاظ منك بنظرةٍ واذا اردت بنظرةٍ تحييني
وكذاك من مرض الجفون بليتي واذا مرضت فانها تشفيني
فلذاك اشري الوصل منك بمهجتي وابيع دنيائي بذاك وديني

وصرفت كل ليلها على مثل هذه الحالة تفكر فيما تقدم وفيما تكون فيهِ في اليوم الثاني . والذي بعدهُ في

مدة الزفاف ولا ترى كيف نظرت وكيف رات باعين افكارها الآن جمال من احبت يجلي سوداء قلبها ويسهل عليها كل صعب وبعدها بسعادة دائمة وراحة منتظرة

ولم تكن سلوى اخت المعتدي حامي السواحل اقل منها شوقاً الى ملاقاة الامير وطلب سرعة الزواج والوصول اليهِ وهي بنفس الافكار التي كانت عليها مهردكار غير انها كانت تزيدها بفكر كان لا يخطر لتلك وهو كيف سيكون لها في من تحبهُ ويكون زوجاً لها مشاركاً وقريناً وكانت تتكدر من وجود مهردكار وكم كانت تحسب نفسها سعيدة لو لم تكن مهردكار محبوبة من الامير وحق لهذه ان تحسد تلك وتتكدر منها لان مهردكار كانت موكدة انهُ لو وجد للامير الف زوجة لا يفضل واحدة عليها وسيقدمها على الجميع ويخصص لها اكثر اوقاتهِ ولهذا كانت لا تتكدر من سلوى ولا تفتكر انها ستزاحمها بحبيبها نعم انها ستكون زوجتهُ لكن قلبهُ لا يكون لها بل يبقى في يدها بخلاف سلوى التي كانت تعلم انها ستلاقي بعد زواج الامير بها بروداً وفتوراً منهُ مهما كان بينها وبينهُ من الحب والمودة وقد مرَّ عليها كثير من البراهين الدالة على ذلك حيث ان الامير كان يمضي بعض ايام لا ياتي لزيارتها مع انهُ كان لا يطيق تمضية ليلة واحدة لا يزور فيها مهردكار ولا يقدر على النوم دون ان ياتي صيوانها يراها وتراهُ ويسامرها فضلاً عن ان اكلهُ وشربهُ على الدوام عندها وبقربها . وكانت لا تعرف كيف يكون حالها مع مهردكار وهل تقدر تحولهُ عنها اذا اصبح زوجها واصرَّت بفكرها اخيراً انها ان كانت مكرمة عندهُ بعد زواجها مثل مهردكار وعاملها معاملة واحدة بقيت عندهُ والاَّ سالتهُ ان يرسلها الى مكة الى ابيهِ تقيم هناك

واما درة الصدف وذات الجمال محبوبتا الامير معقل البهلوان فان كل واحدة منها كانت تهتم بنفسها وتفتكر بامرها وتدبير احوالها واصلاح شانها غير ان درة الصدف كانت اكثر اهتماماً واعظم سعياً ونظراً باحتياجها لانها كانت غريبة وليس امامها احد من اهلها ليساعدها في مثل هذا الزفاف بخلاف ذات الجمال فانها في بلادها وكل ما ستحتاجهُ يصل اليها ولا بد من ان تاتيها نساء قومها . والحاصل ان كل فتاة من تلك الفتيات كانت قلقة في ذاك الليل ولم ياخذها نوم لعظم تراكم الافكار شأن كل فتاة في ليلة زفافها أو قبلها بليلة ولا سيما اذا كان الرجل المزمعة ان تقترن بهِ محبوباً عندها ومعظماً في اعينها

ونهض رجال العرب في صباح ذاك اليوم نهوض المهتم بالافراح واجتمع الامراء والسادات الى صيوان الملك النعمان فجئ لهم بالطعام والشراب فشربوا وخمروا وطربوا كل ذاك النهار وكذلك باقي الانفار فانهم انقسموا الى فرق وجماعات وكل فرقة عندها من اسباب الحظ ما يكفيها ويرضيها فكان الفرح سائداً في كل الجهات وقد عم الكبير والصغير والملك والامير

وكان عمر العيار يطوف فيما بينهم يراقب احوالهم وينظر في من كان منسياً فياتيهِ بالاغنام والمدام وباقي الاسباب وقد قدم لجماعتهِ العيارين كل ما يلزم لهم ليكونوا افرح اهل الحلة واكثرهم سروراً وطرباً وحبوراً وعلى هذا فكانت اصوات الطبول والزمور والموسيقات تضرب في كل ناحية من المعسكر والرقص وتصفيق الايدي عامل في كل فرقة حتى كان المساء فوقع الجميع سكارى وناموا الى ثاني الايام فعادوا الى ما كانوا عليهِ مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن اجتمع الفرسان والابطال ونصبوا ميداناً في وسط الساحة وركب كل ذي ساعد قوي من بطل وشجاع واخذوا في لعب الجريد وضرب الرماح وقد جردوها من الاسنة واظهر كل واحد بسالتهُ واقدامهُ وشجاعتهُ فتنوعوا بفنون الحرب وانواع الطعن والضرب وركب الخيل والغارات حتى كان ذاك اليوم يوم القيامة وكان اندهوق ينازل المعتدي حامي السواحل وهما بمنزلة واحدة لا يزيد الواحد عن الآخر مقدار ذرة فتعجب منهما الكبير والصغير كل هذا وحمزة راكب على جوادهِ اليقظان كأنهُ من ملوك بني حمير او فراعنة مصر تحيط بهِ الخدم والعبيد والسادات والملوك وصرفوا على مثل هذه الحال مدة خمسة ايام حتى كل اكثر الفرسان ومع ذلك فهم بسرور زائد وفرح لا يوصف الى ان صدر امر الامير حمزة بترك القتال وفي اليوم السادس اي اليوم الثالث عشر نصب الامير عمر صيوان اليمون شاه ملك جبال قاف الذي جاء بهِ كندك المارد من اسما بري في وسط القبيلة ونصب عند بابهِ علم كسرى المعروف ببيكار الاشتهار وهو يلوح ويخفق وعلى راسهِ بيضة توقد من الماس لا تقدر النواظر تحدق بها مقامة على عامود من الذهب الاصفر مصقول من راسهِ الى اسفلهِ ومنقوش بالنقوش البديعة الصنعة وفي مقدار كل قيراطين بقعة من الترصيع تجمع كثيراً من الحجارة الكريمة كل واحدة بلون واحد من اخضر واحمر وزمردي وابيض وغير ذلك وعلى ارتفاع ذراع من الارض معلق ببيكار الاشتهار سرير من الذهب عليهِ افرشة من الحرير محشوة بالقطن الناعم كان يجلس عليها كسرى في وقت الافراح وفي اخر ذاك العلم اربعة قوائم من الذهب كانت تحمل بها رجال كسرى وحجابهُ عندما كان يسير ويجلس على السرير او كان في وقت الحرب وقد طلب الانهزام خوفاً من ان ينفرد بنفسهِ فيعلم قومهُ انهُ تحت بيكار الاشتهار فيسيران من حواليهِ الى ان يخلصوا من العدو . فكان ذاك الصيوان وذاك العلم بهجة للناظرين تاتي قبائل العرب وطوائفها للفرجة عليها

ولم يكن الاَّ القليل حتى جاء حمزة بثياب الملك سليمان المرصعة بالجواهر واليواقيت وقد تقدم الكلام عنها في محلهِ وجلس على كرسيهِ في الصدر ومن ثم دخل الصيوان الملوك والفرسان وجلسوا في مواضعهم وكل واحد منهم بالزينة الفاخرة والاثواب البهجة فاصبح ذاك الصيوان يعج بالزين ويضج بالفرسان ولما تم اجتماع الامراء وانتظموا طلب الملك النعمان قاضي العرب

الذي كان في قومه ان يعقد للامير حمزة على عروسيه مهردكار وسلوى ولمعقل البهلوان على عروسيه درة الصدف وذات الجمال ففعل وشهد كل الحضور قبول المتعاقدين والمتعاقدات ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح . ثم بعد ذلك تقدم الملك النجاشي من الامير حمزة وهناه بهذا الزفاف السعيد وقال اني اشكر عناية المولى سبحانه وتعالى الذي سهل لي ان اقاتل بين يديك اهل الكفر والطغيان وسهل لي ان احضر زفافك واشاهد فرحك واقاسمك به وافرح لفرحك فزاد الله عظمتك وجعل كل ايامك مقرونة بالفرح والسعادة والاقبال . ثم انشد وقال

تبسم ثغر الافق عن شنب الفجر ... فهيج اشواقي الى لعس الثغر
وشقت جلابيب الشقيق يد الصبا ... كما مزقت جيب الرياض يد النهر
وناحت على العيدان هاتفة الضحى ... فجالت عيون الطل في انجم الزهر
وغضت عيون النرجس الغض عندما ... تبسم ثغر الزهر عن حبب القطر
وابدت نهود الجلنار اشعة ... مركبة في سم ا‌ء ءطابه الاخضر
لدى روضة ابدت سماء زمردٍ ... عليها نجوم قد طلعن من التبر
وحيث الدجى ولى بادهم ليله ... وقد جد الى ادراكها اشهب الفجر
وحيث تولى بعده القلب خافقاً ... كود كئيب غالة حادث الدهر
وحيث السهى قد رق من عظم شوقه ... لروئية بدر التم في رابع العشر
وحيث سهيل مقتفٍ اثر زهرة ... كحادٍ شوق قد اطل على قفر
وحيث ترى الجوزاء في افق غربها ... وشاح لجين قد ادير على خصر
وحيث ترى الاكليل في مفرق الضحى ... كانم ورد كللت اوجه النسر
اجل ملوك الارض جداً ووالداً ... وحسبك آباء خضارمة الجبر
تملك رق الجود واستخدم الغنا ... فلم يبق عان يشتكي الم الفقر
بنيل محبيه ويغني عداته ... فياتي على الحالين بالنجح والنصر
لطيف المعاني كامل الحسن والبها ... حليف المعالي طاهر السر والجهر
فما الصبح الا ما ابان من الرضى ... وما الليل الا ما ابان من النجر
وان رام مداح الثنا وصف مدحه ... فاوصافه تملي والاقلام تجري
معاليه لا تحصى لفرط اعتلائه ... كذاك معانيه تجل عن الحصر
من القوم حلوا كل آفاق دولة ... فهم في سماء العز كالانجم الزهر
سراة المعالي زهر افاق سعدها ... جبابرة الهيجا اكاسرة الدهر

فحبك يا فرع المكارم والعلا اصول زكت في روضة المجد والفخر
اهنيك بالافراح يا ركن عزها وقهر عدوّ الله طاغية الكفر
بقيت بقاء الدهر فينا اذ انقضت اواخر عصر عاودت مبتدا عصر
ولا زلت ذا فعل جميل مصدق بقول مطاع النهى ممتثل الامر

وبعد ان فرغ الملك النجاشي من شعره مدحة الامير حمزة وشكر من حيه وغيرته واثنى عليه مزيد الثناء . وبعد ان جلس في مكانه تقدم بعده عمر الاندلسي وبعد ان ادى ما هو واجب عليه من فروض الهناء انشد فقال

لا زال سعدك دائمًا ونحور ضدك داميه
وعدو ملكك هائمًا وسحاب جودك هاميه
وحسود فضلك سائمًا وسعود مجدك ساميه
والنصر حولك حائمًا وصدور ضدك حاميه
مولاي ان اكُ شائمًا تلك البروق الساميه
اغدو لجدك راميًا ويد النوى لي راميه

ثم ابدى بعده الملك النعمان الهناء للامير حمزة واظهر سروره وافراحه بنوال غايته وانشد فقال

بنيت العلا قبل هذا البناء لذلك اضحى محل الهناء
رحيب الفناء رفيع البناء مشيد الثناء عزيز السناء
فاصبح وهو مقيل الضيوف عرين الاسود كناس الظباء
فلا زلت تلبس فيه الغنى وتسمع فيه لذيذ الغناء

وبعد ذلك تقدم اندهوق بن سعدون من الامير وقبله وازرف دموع الفرح وقال اني لمثل هذا اليوم السعيد كنت اشتهي واريد حتى منّ الله عليّ به واوصلني اليه ولذلك فانا الان من افرح عباد الله اشكره على مثل هذه النعمة التي لا تعد ولا تحصى فساعة من ساعات هذا النهار كافية لان تنسينا كل ما مضى علينا من المصائب والاهوال والغربة والمشاق ومحاربة الاعداء . ثم انه انشد

يا زهر روض يقتطف وهلال تم في سدف
اشرب هنيئًا فالطلا احلا شراب يرتشف
وانشق ازاهر روضة خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنايا غادةٍ حوت الملاحة والطرف

واطع نصيحك في الهوى ودع التحمل والتكلف
يا من علا اعلى شرف اذ حاز بالنسب الشرف
اصبحت منهاج الهدا ونهجت منهج من سلف
اوضحت شاكلة الصوا ب فكنت عن سلف خلف
وطلعت في افق الزما ن طلوع نجم في سدف
لو لم تكن روضاً لما ابديت زهرًا يقتطف
يا بدر مجدٍ قد اضا وسحاب جود قد وكف
لا زلت تبقى جامعًا جمل المحاسن والظرف
ولقيت اسباب الهنا ووقيت دائرة التلف
ما مد زاخر راجزٍ وابان درًّا في صدف

فشكر الامير حمزة من محبة اندهوق واثنى عليهِ مزيد الثناء لعظم ما ابداهُ نحوهُ من الشعور والاحساسات الصادقة التي لم تكن وقعت بين اخوين او صديقين قبلهما . ثم جلس اندهوق في كرسيهِ فتقدم بعدهُ المعتدي حامي السواحل وقبل الامير واظهر مزيد سروره وفرحه بزفافهِ وشعورًا بذلك انشد

آلى الزمان عليهِ ان يواليكا يثني عليك ولا ياتي بثانيكا
فان سطا فباحكام تنفذها وان سخا فبفضل من مساعيكا
ليهن ذا العرس حظ منهُ حين غدت علاهُ ثم حلاهُ من اياديكا
مجملاً بأيادٍ منك فائقة معطرًا بغوالٍ من غواليكا
وافى يهني بك الدنيا ونحن بهِ يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من يضاهيك فيما حزت من شرف ومن يدانيك في حكم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهي قاصرة عن بعض ايسر شيء من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجدٍ فمن علياك مكتسبٌ وكل فخر نراهُ من حواشيكا
وما حكى السلف الماضي وحدثنا بهِ من الفضل بعض من معاليكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة ويحسد الفلك الاعلى معانيكا

ثم بعد ان جلس المعتدي حامي السواحل نهض قاهر الخيل وهنأ الامير واظهر فرحهُ وسرورهُ واشار مادحًا

يا ابن الاماجد انت من اي الافاضل وابن من
كذب الذي حسب الزما ن اني بمثلكم وظن
ايقاس ما غرس العلا يومًا بخضراء الدمن
والال بالغيث المغيـ ـث اذا توالى او هتن
والمجد سار الى جنا بك من ابيك على سنن
وبك المناصب فخرها دون الورى من قبل ان
فاليك مني روضة بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطير بي الرجا ء الى حماك مدى الزمن
وبذرت لي حب المنا ونصبت لي شرك المنن
وملكت رق مدائحي بالخلق والخلق الحسن

وما برحت الفرسان واحدًا بعد واحد تهني الامير وتمدحهُ حتى فرغ الجميع وانقضى النهار وجاء الليل وصرفت السهرة على مثل ذلك ومن ثم جاء الامير حمزة صيوان مهردكار فوجدهُ مزينًا بالزين الفاخرة ومكللاً بالزهور الزكية الرائحة البهية الالوان وروائح العطر والند تنبعث منهُ ونظر الى مهردكار فوجدها كانها البدر في رابعة النهار وقد برزت بحلة مزركشة نظيفة ووضعت على راسها اكليل من الزهور البيضاء يتخللها بعض زهرات حمراء وزرقاء ومتورية وافرغت عليها ايضًا كل حلاها وجواهرها التي جاءت فيها من بيت ابيها حين خروجها مع اندهوق بن سعدون حتى خيل لهُ انها من ابدع حوريات الجنان قد جاءت اليهِ نعمة من ربهِ ولما رائهُ وكانت بانتظارهِ وقفت اكرامًا لهُ وتقدمت منهُ وقبلت يديهِ فقبلها في خدها وكان بشوق زائد الى قتل هيامهِ وغرامهِ وما لاقى من شدة الفراق والوله في السنين الماضية فتناولها وصرف ليلة على الحظ والراحة والهناء والمسرة يقوم ويقعد ويسكر ويخمر وهي تبدي لهُ كل ما في وسعها لسرورهِ وانشراح صدره غائبة عن الصواب لعظم ما نالها من المسرات لا تصدق انها في نفس تلك الليلة ولا تصدق ان الامير قد قرب منها واصبح زوجها شرعًا وفعلاً وصارت منذ ذلك الحين امرائهُ المعروفة عند الخاص والعام وما برحا على مثل تلك الحالة حتى اغاظتهما مفاجئة الصباح وكدرتهما وحلة الليل الذي كان عليهما اقصر من شبر النملة . وحينئذٍ نهض الامير الى ثيابهِ فلبسها وتزين وخرج بعد ان وعد مهردكار الى العودة في غير ليلة وجاء الى صيوانهِ فوجد امراء العرب وملوكها بانتظارهِ فترحبوا بهِ وهنوهُ بما لاقى وبانقضاء اشواقهِ . ومهردكار تحبل من الامير بولد ذكر يدعى اسمهُ قباط ويكون سلطان العرب وحكمًا فيهم وفي نفس تلك الليلة دخل الامير معقل ايضًا بدرة الصدف ولاقى كل ما يسرهُ وخرج مسرورًا منشرح الصدر فهناه

الامراء والاعيان

قال وصرف العرب ذاك اليوم بالفرح والمسرة والهناء والغناء وقد ذبحوا الاغنام والنوق وفرقوها على عموم الرعية واطعموا الفقراء والمساكين وما بقي طرحوها في الفلاة لتاتي وحوش البر وطيور السماء فتشبع وتمتلئ بطنها فتدعو لصاحب هذه الوليمة وتشكره وتهنيه بزفافه وتعلم انه تزوج بمهردكار وعند انصراف السهرة ذهب الامير معقل الى صيوان ذات الجمال ودخل بها وصرف ليلة بالمسرة والانشراح ومعقل البهلوان هذا لم ياتِهِ ولد ذكر قط لا من ذات الجمال ولا من درة الصدف . وجاء الامير حمزة في نفس تلك الليلة الى صيوان الاميرة سلوى فكان مزينًا بكل زينة فاخرة ولم يكن اقل بهاء من صيوان مهردكار فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وابدت له كل مؤانسة وملاطفة واستئناس وجلست واياه على صفرة المدام الى ان لعبت الخمرة براسيهما فنهضا الى المنام وقد تقدم معنا ان الاميرة سلوى كانت باعلى درجة من الجمال والاقدام فسلمت بنفسها الى الامير وكان حظها منه في تلك الليلة نفس حظ مهردكار الى ان اشرق الصباح فخرج الى الصيوان العام وكان ذاك اليوم هو الاخير من ايام الافراح فبعد التهنية والثناء على الامير ختم العرب افراحهم بالصلاة والشكر لله على توفيقهم ونجاحهم وعلى ما اولاهم من الفوز والنصر والتوفيق ودعوا لاميرهم بالبقاء وطول العمر ودوام السعادة والاقبال وبقي العرب عدة ايام بعد ذلك في تلك الارض والامير يصرف اكثر وقته عند مهردكار وهو لا يمتلئ من حسنها ولا يفتر عن اشتداد غرامه وكانت هي ترى من نفسها انها في مجرى السعادة والاقبال وان العذاب والمشاق قد انقضى ولم يعد اليها الدهر بما تكرهه ولا ترغب فيه وقد غاب عنها ان الدهر كثير الغدر ان اضحك يومًا ابكى ايامًا وان اذاقها ساعة حلاوة عيشة اشبعها سنين مرارات غدر وكيد فما كانت تلك الايام الا وسيلة عذاب تتذكرها عند اشتداد احزانها ومصائبها وتتمنى بحرق رجوعها وتندم على فواتها ولتقيس بينها وبين ما تلاقي في زمنها الاتي اذ ما من وسيلة لرجوع السلام بين ابيها وبعلها

واما الاميرة سلوى فانها كانت تصرف كل عنايتها وجهدها لتجعل الامير ينصف بينها وبين مهردكار فلم تنتفع من ذلك ولا قدرت عليه لان الامير لم يكن ظالمًا غير ان قلبه كان مولعًا كل الولوع ببنت كسرى وما صدق ان نال مراده منها وصارت زوجته فكان لا ياتي سلوى الا في الاسبوع مرة او في كل اسبوعين مرة وهي صابرة عليه مؤملة بان هذا الحب لا بد ان يقل من جهة مهردكار ويضعف فيعاملها مثلها غير انها كانت في الاخير تراه قد اشتد وكثر وعظم وفتر من جهتها وبرد فاغاظها ذلك ورات نفسها انها حامل ففرحت واقسمت انها تفارق الامير والعرب وتذهب الى مكة فتلد هناك ولهذا عندما زارها الامير وجدها قد هيأت ملابسها

وكل احتياجاتها فتعجب منها وقال لها لما ذلك قالت اني اريد ان اذهب الى مكة المطهرة الى امك وابيك وانتظر هناك قدومك وانا بانتظارك لاسالك ان تبعثني الى هناك قال هذا لا يمكن ولا اريد ان تفارقيني قالت اني وطدت العزم ونويت كل النية فاذا شئت ان ترحمني ولا تظلمني لا تمنعني من غايتي والا فاني اموت في الحال فلا خير في البقاء فجعل يتلطف بها ويعدها بكل خير وهي لا تقبل ولا ترضى ان ترجع عن عزمها . وفي الصباح اخبر اخاها بذلك وسالهُ ان يترضاها ويسالها البقاء بين العرب فذهب اليها واخبرها بما طلبهُ الامير فابت وقالت اني لا اطيق البقاء واريد من كل قلبي ونيتي ان اذهب الى الحجاز واقسمت الاقسام العظيمة اني لابد ان اسافر او اموت . ولما راى الامير ان لا بد من مبارحتها ومسيرها الى مكة دعا بالامير عقيل وطلب اليهِ ان يسير الى مكة المطهرة مع الامير سلوى وان يصحب معهُ كل ما يحتاجهُ من المؤن والخدم والرفاق ودفع اليهِ كل شيء ثم ان الامير ودع سلوى و بكى لفراقها وخرج مع اخيها وباقي الاعيان لوداعها مدة يوم كامل وعاد حزيناً على بعدها لانها زوجتهُ واخت اكبر فرسان قومهِ ومساعدهِ في ضيقاتهِ وشداتهِ . وبعد ان رجع دعا بفرمزتاج اخا مهردكار وقال لهُ انت مخير الان بالبقاء عندنا وبالذهاب الى بلاد ابيك فاختر لنفسك ما يحلو . قال اريد ان تسمح لي بالذهاب الى بلادي لاخبر ابي بما فعلت معي من الجميل واريد ان اكون واسطة صلح بينك وبينهُ عسى ان الصدف تساعدني فاكيد بختك وافوز بالمطلوب . فاجاب الامير حمزة طلبهُ وجهزهُ بموكب عظيم من خدم وعبيد ومواشٍ ونوق يستعين بها في سفره وخرج مع سائر ملوك العرب وفرسانهم لوداعهِ وودعهُ اختهُ وبكت لفراقهِ وبكى لفراقها وسالتهُ ان يجهد نفسهُ الى مصالحة العرب والعجم

قال وصرف العرب مدة ستة اشهر في طنجه الغرب بعد تفريق جيش كسرى وارتياح ضمائرهم وهم براحة واطمئنان . وبعد ذلك اجتمع العرب باجمعهم في صيوان الملك النعمان وتفاوضوا فيما يفعلون اذ ليس من الصواب ان يبقوا في تلك الارض وان من الضرورة ان يعرفوا غاية كسرى وماذا يقصد وهم مؤكدون انهُ بعد هذه الكسرة لا يسكت ولا بد من العود ثانياً الى القتال او استعمال وسائط اخر لاذلالهم وكيدهم فقال الامير عمران من رأيي الذهاب من هنا الى مدينة حلب فنقيم هناك ونستخبر عن العجم وملكهم ونعرف هل في نيتهم القتال او الصلح والسلام . فاجاب الجميع هذا الطلب وراؤه عين الصواب وعليهِ صدر امر الامير حمزة بالاستعداد للركوب والمسير عن تلك البلاد ليروا ما كان من امر عدوهم . فاهتم العرب بالرحيل واستعد كل واحد الى السفر حتى كان صباح يوم ركب الامير حمزة على جواده اليقظان وتقدم في اول الفرسان وركب من بعده كل فارس وبطل وركب النجاشي برجالهِ الحبشة وعمر

الاندلسي بابطالهِ الاندلسيين ورحلوا عن تلك الارض وبارحوها بعد ان اقاموا بها عدة سنين وقد ملأُوا السهل والجبل ومواشيهم ونوقهم وانعامهم تكاد لا تحصى كلها من اموال كسرى انوشروان وما نهبوا وسلبوا منهُ وداموا على مسيرهم مدة ايام وشهور حتى وصلوا من مدينة حلب وتبينوا اسوارها فبعثوا برسول الى نصير حاكم المدينة فسرَّ جدًّا بقدومهم وكذلك اهل البلد لانهم كانوا من الطمع على جانب عظيم يحبون الارباح فيكسبون من العرب الاموال عند حلولهم عندهم

ثم ان نصيرًا خرج برجالهِ واعيانهِ الى ملاقاة الامير حمزة وقومهِ ولما التقى بهم ترجل وترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ثم ساروا حتى وصلوا من ضواحي المدينة فضربوا خيامهم وتفرقوا من حواليها كل فرقة في ناحية . وبعد ان اقاموا مدة ثلاثة ايام دعت العرب بنصير الحلبي وقالوا لهُ نريد ان نعرف ماذا جرى على كسرى وهل عندك طرف من اخباره . قال ان اخباره كانت قد انقطعت عنا ولم نعد نسمع عنهُ شيئًا مدة طويلة غير ان بعض المسافرين في هذه الايام الاخيرة اخبرانهُ راى عساكر قد جاءت الى مدينة المدائن ونزلت حواليها ولا اعرف غير ذلك . فقال حمزة ان كشف اخبار العجم لا بد منهُ ولا يقدر على ذلك الا عمر العيار فقد يمكنهُ الذهاب وكشف الاخبار دون ان يطلع على امره احد ثم امرهُ بالمسير الى بلاد كسرى واوصاهُ بان يقبل عنهُ ايادي بزرجمهر ويستشيره في كل اعمالهم . فاجاب وفي الحال غير ملابسهُ وتزيا بزي الاعجام وانطلق في براللهِ الاقفرمدة ايام وليالٍ حتى وصل الى المدائن فراى العساكر متجمعة هناك وقد سدت الفضاء شرقًا وغربًا جنوبًا وشمالاً فثبت عندهُ ان كسرى لا يزال على عناده فتخلل الجيوش وهو يتدرج عليها حتى جاء ابواب المدينة ودخل منها فلم يعرفهُ احد ثم جاء الايوان ووقف بين الحجاب يراقب اعمال كسرى وقد لاحت منهُ التفاتة الى الداخل فراى كسرى كعادتهِ جالسًا في صدر الايوان وحولهُ وزراءهُ واعيانهُ وراى رجلاً عظيمًا عن يمين الملك يقاربهُ بالعظمة والجلال وهو لابس ملابس الملوك الكبار اصحاب التيجان والصولجان وعن يسار كسرى ايضًا غلامًا امرد الوجه ابيضهُ لا نبات بعارضيهِ وعليهِ ملابس كبار الفرس وكسرى يقدم لهما الاكرام والاحترام . فقال في نفسهِ لابد ان يكون من عظماء الفرس وقد دعاهما لمعونتهِ وصبر الى المساء ليسال من بزرجمهر عنهما وما صدق ان اقبل المساء وارفض المجلس وذهب كل واحد في ناحية فسار عمر في اثر بزرجمهر الى ان دخل قصرهُ فقرب منهُ وحياهُ وقبل يديهِ فعرفهُ وفرح بهِ وسالهُ عن اخيهِ والعرب فقال لهُ هم بخير وقد جاءوا الى مدينة حلب يراقبون اعمال كسرى وقد بعث بي الامير حمزة اليك لاستشيرك في امر القتال ولاقف منك على حال الاعجام وما كان من امرهم وماذا يقصدون ان يعملوا . قال ان كسرى

بعد ان انهزم من امام وجه العرب جاء سبنير مدينة الاكاسرة التي اصلهم منها فاقام هناك مريضاً ستة اشهر ولما شفي وعادت اليه صحتهُ جاء المدائن وهو مكدر مغتاظ من عظم ما لحق به وبختك يزيد في غيظهِ ويعظم في وجههِ ذنبكم وفي ذاك الوقت وصل اليهِ ابنهُ فرمزتاج واخبره بما كان من امر زواج اخيك بهردكار وعرسهِ فزاد هذا من غيظ كسرى ولم يسمع لنصيحة ابنهِ الذي سالهُ ان يترضى العرب ويحصم النزاع بينهما بل سمع الى بختك حيث قال لهُ على ما يظهر ان العرب ينوون خلع ملكك وخراب بلادك وربما موتك ولو كانوا كما يزعم فرمزتاج لما هجموا على صيوانك واخذوا بكار الاشتهار وهو العلم الفارسي الذي من ملكة ملك العجم وكان حاكمها وعلى هذا فيكون في نية حمزة ان يجلس على كرسيك اما في حياتك واما بعد موتك حيث ان نسبهُ قد اتصل بنسبك وتزوج ببنتك وجميع قبائل العرب والعجم تخافهُ وتخشاه فلا يرى مانعاً ولا مدافعاً ففي صلحهِ خطر عظيم علينا اكثر مما في حربهِ فمال كسرى اليهِ ونوى على تجدد الحملة على العرب وكاتب البلدان ان يمدوه بما امكن من العساكر والجيوش والفرسان فوردت عليهِ ولا تزال ترد . قال اني ارجوك ياسيدي ان تفيدني عن الرجل العظيم الذي كان جالساً الى يمين كسرى وعن الغلام الذي كان الى يساره فانهما على ما يظهر من الاجلاء الفخام اصحاب المناصب العالية . قال اصبت فان الرجل هو ابن كسرى واسمهُ افلنطوش واما الذي تقول عنهُ غلام فهي انثى لا ذكر غير انها تدعي انها من الابطال وقد تعهدت لكسرى ووعدتهُ بقتل الامير حمزة واسمها طوربان بنت افلنطوش اي بنت ابن عم كسرى والان كل الرجاء والمعول عليها وقد تعلقت الامال بها ويتقن كسرى ان طوربان قادرة على قتل الامير

فضحك عمر وقال أكان من امر البنات ان يعدن بقتل الامير حمزة ولا بد اذا سمع بذلك يغتاظ ويقصد العجم الى هذه البلاد ليرفع الطمع من رؤوسهم ثم ان عمرًا استشار الوزير في كيف يكون القتال فقال لهُ ان كسرى لا بد ان يقصد حلب فالقوةُ هناك ولا بد ان الله سبحانهُ وتعالى يزيد في نجاحك واني على الدوام ادعو لكم لتذلوا دولة الكفر وترفعوا كلمة الايمان فاقرِ مني السلام ملوك قومك ولا سيما اخاك واوصيهِ ان يبقى على عناد كسرى الى ان يفوز بالمطلوب فان هذه غاية الحق سبحانهُ وتعالى نعم انهُ سيمر عليكم ايام نحوس وتلاقون تاخيرًا في اماكن كثيرة غير ان الله معكم ولا يسلم باخيك للاعداء مهما جرى عليهِ . فشكر عمر من الوزير وقبل يديهِ وخرج من عندهِ وجاء الى مدينة حلب ودخل على العرب فتلقوهُ وترحبوا بهِ وشكروا سعاهُ بسرعة القدوم وقال لهُ حمزة اخبرنا ماذا رايت وهل ان كسرى على نية القتال . قال انهُ لا يزال مصرًا على اخذ الثار وجمع القوات وقد رايت حول المدائن جيوشاً كثيرة جمعت

مجدداً فوق التي انهزمت معهُ ولما جعت الى الايوان رايت ملكاً عظيماً الى جانب كسرى وغلاماً الى يسارهِ وسالت بزرجمهر اجابني ان الرجل المهاب هو افلنطوش ابن عم كسرى والغلام هو بنتهُ وتدعي البسالة والاقدام وقد وعدت بكسر العرب وقتل فرسانهم على اني رايت منها جمالاً وبهاء وانا اظنها فتى اعجبني فقلت في نفسي جعلها الله من نصيب العرب لانها اشبه الناس بهردكار في تقاطيع جسمها ولون وجهها وسود عينيها ومن لا يحقق النظر بينهما لا يعرف الواحدة من الثانية . فقال الامير حمزة وهل هذه وعدت بقتلي . قال نعم . ثم اخبرهُ ايضاً بما قال الوزير عن ايام النحوس وعن البقاء بحلب . فقال حمزة من يعرف الى اي زمان تكون مدة اقامتنا واعرف جيداً ان كسرى يحب التطويل لانهُ في بلادهِ ونحن غرباء في هذه الارض ومرادي انهي امر هذه الحرب وارجع الى مكة المطهرة اقيم عند ابي واهلي فهلمَّ بنا نركب في الحال ونسير في عرض البر ونفاجأ كسرى دفعة واحدة فنمتلك بلادهُ ونطردهُ عنها فالوقت اصبح على النهاية بيننا و بينهُ . ثم ان حمزة نهض واعلن بين العرب الاستعداد للرحيل بعد قليل من الايام وكان اكثر الفرسان والابطال والقواد والجنود قد اتخذوا لهم زوجات من نساء حلب واختلطوا بهم كل الاختلاط

وبعد نحو خمسة ايام ركب العرب باجمعهم مع من انتصر لهم وساروا عن مدينة حلب يقصدون المدائن وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو كانهُ البرج المشيد مدجج بالسلاح ومن تحتهِ جوادهُ اليقظان كانهُ السرحان وفوق راسهِ بيكار الاشتهار يلوح ويخفق ويلمع بما عليهِ من الذهب والجواهر ويظهر للرائي انهُ من اعظم الاكاسرة واكابر الملوك العظام وبين يديهِ عمر العيار نقمة الانس والجان وعفريت ذاك الزمان وهو يقفز كالغزال وينطلق باسرع ريح الشمال تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وقد وزع بعيارهِ تسير بين ايادي الفرسان وامام هوادج النساء وما برحوا يتقدمون حتى جاءوا المدائن ونيوا اسوارها وراوا ما حولها من الفرسان فعرجوا الى ناحية متسعة وضربوا خيامهم بها ونصب الامير حمزة صيوان اليونن شاه في وسط المعسكر وضرب عند بابهِ علم بيكار الاشتهار وضربت صواوين الامراء والملوك من حواليهِ وسرحت من خلفهم النوق والفصلان

و بلغ كسرى خبر اتيان العرب ففرح وقال لقد قربوا علينا الطريق ولا بد من هلاكهم في هذه الارض لاننا في بلادنا نقاتل براحة واطمئنان وننام عند نسائنا وفي اسرتنا . ثم امر ان تخرج امراؤهُ وتضم الى المعسكر فخرج الجميع وخرج هو ايضاً وضرب لهُ صيوان في نصف المعسكر ونظر الى جهة العرب فراى انتشارهم وكثرتهم وشاهد صيوان حمزة وهو كانهُ الكوكب اللامعة تضيء في وسط الظلام فاستصغر نفسهُ وحكتهُ احساساتهُ بفضل الامير حمزة وانهُ مسعود

الطالع موفق الاعمال وإن شانهُ بعلو ويرتفع على الدوام - ولما وقعت عينهُ على بيكار الاشتهار وراهُ مضروباً امام الصيوان انفطرت مرارتهُ وكاد يغيب عن صوابهِ والتفت الى وزيرهِ بختك وقال لهُ الم ترَ الى صيوان حمزة وحسنهِ وكيف ان بيكار الاشتهار مضروب امامهُ فقد غاب عني وعيي وطار عقلي . قال الم اقل لك ان العرب يحبون العظمة والفخار وانهم يقصدون ملك نزع سلطنتك شيئاً فشيئاً لتكون لهم ويقيمون الامير حمزة مكانك فما انهُ يقتدي بك ويظهر بعظمتك حتى كل من راهُ لا يظن انهُ انقص مقاماً منك لا سيما وقد اخذ علم العجم الذين يجتمعون تحتهُ وهو من عهد اجدادك وابائك . الاّ اني اعدك ان في هذه المدة لا بد من ابادة العرب وكسر شوكتهم وإنزراضهم وعندي ببركة النار ان تكون هذه الايام اخر ايامهم فنجعل بطون ارضنا مدافن لهم . وكان افلنطوش حاضراً . فقال اني اقسم بالنار والنور وتربة جدنا سابور لا بد لي من اذلال العرب وهلاك الامير حمزة وكل من انتصر لهُ في هذه المرة ونزع بيكار الاشتهار باقرب وقت ونهب كل الاموال والامتعة التي معهم ولا سيما هذا الصيوان الذي اراهُ اعظم من صيوانك وابهى

قال وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان على نية ان يباكروا الى الحرب والقتال وفي الصباح نهض كسرى من منامهِ وركب جوادهُ وتقدم في الوسط محاطاً من الحجاب والحراس وركب افلنطوش وبنتهُ طوربان وزوبين الغدار وهو الى جانبها ينظر اليها وقد وقعت من قلبهِ وحركهُ خبثهُ الى زواجها فاراد ان يريها قتالهُ في ذاك النهار . وكذلك ركب العرب من كبيرهم الى صغيرهم وتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم الامير حمزة البهلوان فارس الانس والجان وهو على جوادهِ اليقظان . اعظم من كسرى انوشروان . ولما راى ان جيوش العجم قد صارت في وسط الميدان اطلق لجوادهِ العنان ولما صار في الوسط التفت الى جيوشهِ واشار اليهم بالحسام ان يحملوا من اليمين والشمال ويتبعوهُ في الحال . واقتحم ذاك البحر العجاج المتلاطم باعظم الامواج . وهو ينادي ويلكم ياعبدة النار ونسل الاوباش والاشرار . قد عدتم الى الحرب بعد ذاك الانكسار . وما وعيتم الى افعال حمزة مذل كل جبار ومبيد كل فارس مغوار . فاليوم آخر الايام عليكم فاستعدوا للفناء والبوار . ولم يكن الاّ قليل من الوقت حتى انتصب سوق القتال واضطرمت نارهُ بلهيب الاشتعال . وقامت القيامة من كل ناح وعلا الصراخ والصياح . والتقى كل خصم بخصمهِ . يقصد اعدامهُ ومحو اسمهِ . فغنى السيف القرضاب . في محكم الرقاب . واتخذ لهُ في الصدور مقاماً رفيعاً . وفصل بين الاجساد والارواح فصلاً سريعاً . فكم من راس قد طار . في ذاك النهار . وكم من دم قد فار . واندفق الى الارض كالانهار . فعظم الخطب وعم الكبار والصغار . ووقع السلب والقتل في كل ناح تحت ذاك الغبار . الذي ارتفع وانسح

بالانتشار . وحجب من الشمس الانوار . واخفاها عن الابصار . حتى ضاقت انفاس الفرسان وتمنت الموت والقلعان . وشرب كاس الهوان . ولا الرجوع بالخيبة والخذلان . وكان زوبين يقاتل في ناحية منفردة من المعسكر وهو يلحق بطوربان . وهي تبعد عنهُ وتنفرد من مكانٍ الى مكان . حتى اخيرًا تركت القتال وضجرت من فعل هذا الخبيث الخوان . لان نفسها ضجرت كل الضجر وكرهت في الحياة من ان ترى ذاك الوجه القبيح المهان . واما الامير حمزة فانهُ اجهد نفسهُ بالحرب . وجود الطعن والضرب . فقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن . وبدد الفرق في كل الجهات . وانزل عليهم ميازيب الويلات والحسرات . ورماهم بشهب الهلاك والممات . وبرماح الفناء والشتات فكان اينما حلَّ تفرقوا واضطربوا ومالوا من امامهِ وهربوا املاً بالنجاة وطمعًا بالحياة لان عزرائيل الاكبر كان يرافق حسامهُ فلا ينفك عنهُ لرواج عملهِ ومهنتهِ وكان الفرس اينما ساروا يروا حمزات العرب واقفة فان اندهوق بن سعدون لم يقصر في ذاك النهار . وقاتل قتال كل صنديد جبار . وفعل مثلهُ المعتدي نسل الاخيار . وقاهر الخيل البطل المغوار . ومعقل البهلوان وعمر الاندلسي وكل فارس كرار . وما صدق الاعجام ان مالت الشمس الى الغروب وضربت طبول الانفصال . حتى تركوا الحرب والنزال وعرجوا عن ساحة القتال . ورجع فرسان العرب كاسود الدحال . متكدرين من فراغ ذاك النهار . وانقراضهِ دون نوال المراد من الاعجام الاشرار

قال وبات الفريقان يتحارسان الى ان اشرق صباح اليوم الثاني فعادوا الى ما كانوا عليهِ من القتال وخوض معامع النزال فاقتتلوا والتحموا وصرفوا ذاك اليوم بحالة اليوم الاول بل اعظم منهُ الى المساء فرجعوا عن القتال الى اليوم الثالث وداموا على مثل ذلك مدة عشرة ايام حتى وقع النقص بالعجم وراوا سرعة انقراضهم وعرفوا آكيدًا انهم اذا قاتلوا مدة خمسة ايام اخر لا يبقى منهم ولا نفر ولذلك دعا كسرى بقومهِ وقال لهم ان النصر سيكون للعرب على كل حال لانهم قد طالوا واستطالوا ونالوا كل ما تمنوهُ وعن قريب يدخلون المدينة ويجلسون على كرسي الاكاسرة فانظروا في امر نرى بهِ الفرج والاَّ دخلنا وقفلنا الابواب وحاصرنا في الداخل الى ان نرى الفرج وتنعم علينا النار ببركتها وتبعث لنا بالنصر . فقال بختك اني ادبر هذا الامر بنفسي وفي الغد يكون النصر ان شاء الله عن يد زوبين الغدار فيقتل حمزة وتتبدد من بعدهِ قومهُ وكان زوبين في كل هذه المدة مشغل البال من جهة طوربان ومتكدر من نفورها منهُ وكرهها فيهِ وتركها القتال وقد قرب منها ذات يوم وقال لها لما هذا النفار ياذات الجمال الا تعلمي اني سيد في قومي وعليَّ المعول في حرب العرب والعجم قالت اني اكرهك كل الكره ولا اريد انظر في وجهك ولذلك تراني ارغب البعد عنك وانت تتبعني وتقصد القرب مني

قاصداً بذلك عذابي فارجوك ان تبعد عني ولا تدنو مني . قال لما هذا البغض الا تعلمين ان الملك كسرى الذي هو سيد ملوك الارض كان راضٍ في ان يجعلني صهرهُ ويقربني منهُ ويزوجني بمهردكار فهل انت اعظم من بنت عمك . قالت اني اكره فيك لانك رجل غدار وقبيح المنظر فما عمي كسرى الاَّ مجنون حيث يريد ان يجعلك صهرهُ ويترك مثل الامير حمزة الذي لا نظير لهُ في هذا الزمان ثم اعرضت عنهُ واظهرت لهُ الجفاء فانفطرت مرارتهُ واغتاظ كل الغيظ وقال في نفسهِ اني ساصرف الجهد الى مراضاتها واسال بختك في ان يساعدني في ذلك والاَّ غدرت بها واغتصبتها وجعلتها عبرة لغيرها واذللتها فتلتزم ان ترضى بي دفعاً لمصيبتها وكان خبثهُ وخداعهُ يزين لهُ كل عمل شرير

ولما كان ذاك اليوم راى باباً للفرج في ان يخبر بختك اذا انفرد بهِ وعندما وعد بختك كسرى بان النصر سيكون على يدهِ فرح وقال لا بد ان يكون قد دبر حيلة على هلاك حمزة فصبر الى ان دعاهُ بختك وذهب بهِ الى داخل المدينة وجاء بصندوق ففتحهُ واخرج منهُ ثلاث حراب وقال لهُ اعلم يازوبين ان ذخائر الفرس في يدي وتحت امري وانا الموكل عليها ولذلك اريد ان تعرف فعل هذه الحراب فهي حادة سامة اذا لمست الجسم سرى السم اليهِ كلهِ ولذلك ابرز في الغد الى الامير واسالهُ ان تضربهُ ثلاث ضربات بها واغدر بهِ واجهد نفسك ان تصيبهُ فانهُ لا يلبث ان يموت بمدة اربع وعشرين ساعة . قال اني اعرف ان في ذلك خطر عظيم غير اني ساسلكهُ فقط اريد منك المساعدة بامر واحد . قال وما هو . قال اني كنت مؤمل قبلاً بزواج مهردكار حتى خرجت من يدي وتزوجها حمزة ولم يبقَ لي قط مطمع بها ولذلك علقت نفسي واملي بطوربان بنت افلنطوش واريد منك المساعدة بان ازف منها . قال اني ساجهد النفس في ذلك وهذا امر سهل علينا ولا اظن انها تمتنع عنك . قال اني الحظ منها نفوراً وجفاء ثم اعاد عليهِ امرها . فقال انها وان تكن قد امتنعت فان اباها سيحل هذه العقدة ويجبرها بطلبي وطلب الملك كسرى الى القبول فهي في يدنا وتحت امرنا ومتى قتلت حمزة كان لك اكبر حق على مملكة الفرس فلو طلبت نصفها سلمناهُ اليك وفوضناك امرهُ . فانشرح صدر زوبين وفرح مزيد الفرح بوعد بختك واخذ الحراب الثلاث وهو مضطرب البال يرغب في النجاح لينال المراد ويرى امامهُ صعوبة عظيمة بالوقوف في ساحة القتال امام الامير حمزة عدوهُ الالد لاسيما وان لهُ عليهِ اعظم ثار وهو يتمنى ان يراهُ وكان يعرف من نفسهِ انهُ لا يقدر ان يثبت امامهُ ولا هو ممن يلقاهُ في ساحة المجال غير انهُ وطد العزم على الخداع وهوّن لهُ حبهُ سلوك سبيل الخطر والخوف

ولما كان صباح اليوم التالي ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الجيشان وعول

حمزة على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد صار في الوسط وصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال فامتلأ قلب حمزة فرحًا وسرّ مزيد السرور وامل انهُ في نفس ذاك يوم ياخذ بثاره منهُ ولذلك اطلق لجوادهِ العنان حتى صار مقابل زوبين وقال لهُ لقد فعلت حسنًا في هذا النهار لاني كنت في وقت القتال افتش عليك فلا اراك والان ترى الفرسان ما يكون بيني وبينك ويعرف العام والخاص والحقير والامير نتيجة الغدر كيف تكون . قال اعلم اني ما برزت الاَّ بقصد قتالك واني اريد ان ابارزك على مرأى من الجميع لا طمعًا بان افوز بالنصر عليك بل كرهًا بالحياة لاني اعرف انك اشد باسًا مني ولا اقدر على قتالك وحربك ونزالك ولا احد من فرسان هذا الزمان يثبت امامك وينال الغرض منك . نعم اني غدرت بك في الاول وانا اجهل قدر شجاعتك وارغب في زوجتك واما الان وقد اختبرت كرمك وانصافك في القتال وقطعت الامل من الوصول الى مهردكار فاردت ان اقتتل واياك ساعة واحدة لا غير ولابدّ لاحدنا ان يفوز بالمطلوب فلا نحارب ضربًا وطعنًا ذهابًا وايابًا الى غير ذلك بل اني اريد ان تضربني برمحك او بسيفك او بهما شئت ثلاث ضربات حتى اذا خلصت منها وبقيت حيًا عدت فضربتك بثلاث حربات معي واذا لم ابلغ المراد عدت الى ما كنت عليهِ اي استئنفنا الضرب الى ان يفوز احدنا بالظفر . فقال حمزة اني منصف بالقتال فلا امنع خصمي من ارادة شيءٍ يريدهُ ويتمناهُ فافعل ما انت فاعل فاضربك برمحي وانت تضربني بحرابك . وكان زوبين يعرف جيدًا ان حمزة كثير الانصاف وعظيم المروَّة فلا يقبل ان يكون هو البادي ولذلك اراد ان يحاولهُ بعملهِ خداعًا فقال لهُ اعلم ايها الامير اني لا اريد ان اكون البادي بالعمل فاضرب بدورك وانا استعد للمدافعة عن نفسي . فقال الامير حمزة هذا لا اريدهُ ولا اقبلهُ ولا يمكن ان اكون البادي فاضرب حرابك اولاً ومن ثم اعود بدوري . فاجاب زوبين وهو مسرور في الداخل وقد انتهى لهُ كل ما اراد . ثم انهُ اطلق لجوادهِ العنان حتى راهُ كل من الفرسان ثم وقف امام حمزة وتناول حرابهُ ورفعها بيدهِ وزج بها الامير فكان اسرع من البرق غطس تحت بطن الجواد واضاعها في الهواء وباقل من لح البصر عاد الى بحر سرجهِ وصاح بخصمهِ هات الثانية ولا تبطئ فتكدر زوبين من عدم نجاحهِ غير انهُ امل بالثانية فاخذها بيدهِ ولعب بالهواء وزج بها الامير فمال عنها وعينهُ تراقبها فراحت بالارض حتى امتلأ زوبين غيظًا وكدرًا وكادت تشق مرارتهُ وتنفطر ولذلك نوى على الغدر والخيانة وقال في نفسهِ اني لو سربت الثالثة بالامير فلا ريب انها تذهب سدى لانهُ فارس صنديد سريع الخفة بالقتال سبق سرعة وقوع الحربة فلا ينال منهُ المراد ولهذا من الواجب ان لا اضيع هذه الحربة فعوضًا ن اصوب بها الى جسمهِ ارمي بها جوادهُ فاقتلهُ من تحتهِ فيقع الى الارض فانحط عليهِ واضربهُ

بالرمح او بالحسام وإنال منهُ الغاية ومن ثم رفع الحربة بيدهِ بعد ان صال وجال وكان الامير يظن انهُ يضربهُ بها حتى راها وقد خرجت من يدهِ الى صدر الجواد فطار صوابهُ وثبت في ذهنهِ باسرع من لمح البصر انها قاتلة الجواد اذا لحقت بهِ واذلك ارسل برجلهِ بخفة عجيبة وعارض بين الحربة والجواد حرصًا عليهِ فاصابت الحذاء وخرقتهُ وجاءت باللحم فجرحتهُ وفي الحال شعر الامير بان نارًا التهبت في كل بدنهِ وشعلت في احشائهِ وتمزقت عروق جسمهِ فرمى بنفسهِ على رقبة الجواد فكر راجعًا الى الوراء وكان زوبين قصد ان ينهي على الامير لما شاهد حالهُ غير ان نبلة خرجت من يد عمر العيار الى جوادهِ فرمتهُ من تحتهُ ووقع الى الارض واراد عمر ان ينقض عليهِ وياخذ بثار اخيهِ الاَّ انهُ التهي بما راى من ضياع الامير وما حل بهِ وخاف من ان يقع عن ظهر الجواد الى الارض فاسرع اليهِ ومسكهُ وكانت مثلهُ الفرسان قد ركضت وجاءت حول الامير واخذتهُ من عن ظهر الجواد وهي منفطرة الفواد على حالتهِ وهو لا يعي على احد وقد امتلأ كل جسدهِ من سم تلك الحربة وايقن انهُ هالك لا محالة فانزلوهُ في صيوان مهردكار وجاء اسطون وجعل يضع لهُ المبردات والادوية ليسكن بها مرضهُ وهو بحالة الغيبوبة لا يشعر بغير الالم والوجع وقام الصياح في العرب من كل ناح وهم يظنون ان الامير قد مات . وفي تلك الساعة حملت فرسان العجم فرحة مسرورة مؤملة بالنجاح والنصر والاصلاح فكدر ذلك فرسان العرب وتكدر اندهوق بن سعدون فنادى بابطال العرب وقال ويلكم لاتدعوا المساء ياتي وفي العجم بقية رمق والاَّ فموتوا في كيدكم وارسل لنبلهِ العنان وصاح المعتدي حامي السواحل من ملءِ راسهِ وهو يضطرم بنار الغيظ وكذلك الملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر والامير معقل وكل فارس وبطل فالتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزعزعت الجبال ومالت من عظم صياح الابطال فكانت وقعة عظيمة الاهوال تشيب لهولها رؤوس الاطفال واندهوق يخط على تلك الخلائق انحطاط الصواعق وهو يفرق الفرسان ويبدد الشجعان ويطلب ان يرى زوبين الغدار في الميدان فلم يقدر على ذلك ولا قدر ان براهُ لانهُ ترك القتال ورجع الى الوراء وكذلك المعتدي حامي السواحل فانهُ اجرى الدماء من صدور الرجال والقى الرعب على الفرسان والابطال وقلبهُ مشتعل واي اشتعال على ما لحق بالامير حمزة يطلب ان ياخذ لهُ بالثار في نفس ذلك النهار والحاصل ان كل فرسان العرب كانت تقاتل بجد واجتهاد طالبة ان تقع بزوبين الغدار فلم تنل من ذلك المراد وما برحت حتى ادخلت الاعجام الى الخيام وانزلت عليها مصائب الحرب والصدام ولو لم يسرع الظلام لما رجعوا عن الحرب ولا تركوا الطعن والضرب غير انهُ حالما اسود الليل العساكر ضربت طبول الانفصال ورجعت العرب على اعقابها مسرعة الى صيوان اميرها ترى كيف حالهُ

وما صار بهِ في غيابها

قال وكان الامير حمزة في حالة يرثى لها وهو ملقى على فراشهِ يصيح من الالم ويتوجع الوجع الشديد لا يقدر على التقلب على جنبيهِ لا تبرد لهُ غلة ولا يروى لهُ كبد واسطون الحكيم يداويهِ ويضع لهُ الضمادات على جرحهِ ويسقيهِ المبردات فيمنع اشتداد الالم كثيرًا لكن كان لا يخف عن حالتهِ ولا يسكن الالم . ولما راى عمر العيار رجوع العرب منصورين قال لاندهوق ابق انت عند اخي لا تفارقهُ الى ان اعود اليهِ بالدواء من الوزير بزرجمهر لان هذا الداء علاجهُ عندهُ . فقال لهُ اسرع بهِ قبل ان تحل بالامير مصيبة فنخسرهُ فترك عمر العيار العرب بعد ان غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام . وجاء صيوان الوزير بزرجمهر فراهُ فيهِ فقبل يديهِ واخبرهُ بغرضهِ قال ان الدواء حاضر وكنت اعرف انك لا بد ان تاتي بطلبهِ فهيئتهُ . غير اني قلت لك قبلاً ان لا تاتوا المدائن ولا تحاربوا كسرى في هذه الايام فكيف جئتم وخالفتم الزمان الا تعلمون ان الانسان تمرُّ عليهِ الايام والليالي فبعضها يحمل خيرًا و بعضها يحمل شرًّا وهذه الايام تحمل لكم الاذى والنحوس ومن اللازم ان تنتظروا الايام التي بها السعود والاقبال قال ان الحق بذلك على اخي لاني اخبرتهُ بذلك فقال ان المقدور ما منهُ مفرٌّ وان قيامهُ بحلب يكون سنين واعوام فاراد حسم الحرب والرجوع الى مكة بامان واطمئنان . قال هذا بعيد عنهُ فان كل ايامهِ تنقضي بين السيف والقنا فلا يرتاح الاَّ عندما ياذن الله باذلال الاعجام وقهرهم والان خذ هذا الدواء واسرع الى اخيك في الحال وامر العرب ان يرحلوا في هذه الليلة ويقيموا في حلب الى ان ياتيهم الفرج منهُ تعالى واياهم ان يباشروا حربًا قبل ان ياتي صاحب الفرج فان كل واحد يموت من العرب ظلمًا مسئول بهِ الامير واما على حياتهِ فلا خوف فهو سينهض من هذه المرة ايضًا كما في المرة الاولى . فسرَّ عمر من كلام الوزير وقبل يديهِ وشكرهُ على معروفهِ وخرج من بين يديهِ بعد ان كتب كتابًا الى اسطون الحكيم يقول لهُ فيهِ ان يسهر على حياة سيد العرب ويشير اليهِ في كيفية استعمال العلاج

ولما وصل عمر الى المعسكر وجاء صيوان اخيهِ وجد الناس لا تزال باضطراب وهي مزدحمة بكثرة حولهُ وكلهم يصيحون ياالله ويطلبون الى الله شفاء اميرهم فسكن خوفهم وقال ان الامير بخير ولا يلبث ان يشفى ويعود الى ما كان . ثم دخل الصيوان وقرب من اخيهِ وهو يتوجع ويتالم ودفع زجاجة الدواء والرسالة الى اسطون فاخذهما وسكب على جرحهِ من الدواء وسقاهُ حسبما اشار بزرجمهر وباقل من دقيقة سكن الالم وخف قليلاً وجعل ان يهدأ روعهُ شيئًا فشيئًا . واذ ذاك قال عمر لاندهوق ان الوزير يامرنا ان نرحل عن هذه الارض في نفس هذه الليلة حتى اذا جاء الصباح لا يكون لنا اثر هنا وما ذلك الاَّ لعلمهِ اننا لا نفوز بالانتصار

وان يكن لنا بعض نصرات غير ان هذه لا تقف في وجه النحوس المقدرة علينا وهو يحتم بوجوب بقائنا في حلب الى ان يصل الينا الفرج المنتظر . فاجاب اندهوق وقال ان امر الوزير لا بد منه وهو نصوح للعرب محب لخيرهم ونجاحهم . ولا ريب ان قيامنا بحلب الى حين شفاء الامير اوفق من القيام هنا ومداومة الحرب . وفي الحال اعتمد ملوك العرب وفرسانهم على الرحيل الى حلب والبقاء هناك الى ان ياذن الله بالفرج فسار كل واحد الى رجاله وقومه . وما مضى نحو ساعتين من اواخر ذاك الليل حتى اقلعت العرب عن تلك الديار وسارت في طريق حلب بعد ان حملوا الامير في سريره على هودج محمول على ظهري ناقتين وعنده اسطون الحكيم على الدوام وفي النهار ايضًا مهردكار تلازمه ولا تفارقه

فهذا ما كان من امر العرب واما ما كان من امر كسرى انوشروان ورجاله فانهم في المساء بعد الفراغ من القتال اجتمعوا الى بعضهم وجاء بختك وزوبين وجلسوا كل منهم في مكانه وبختك مفتخر بنفسه وبعمل رفيقه وقال لكسرى الان قد تحقق لنا النصر والظفر وفزنا بما نريد من قتل الامير حمزة . فقال كسرى وهل ثبت قتله واخاف ان يشفى ويرجع الى اخذ ثاره قبل ان نبدد قومه . قال ان الحربة التي جرح بها هي سامة فاذا لمست الجسم سرى اليه السم فكم بالحري وقد جرح بها وعندي من المؤكد الثابت ان حمزة لا يعيش هذا الليل وفي الصباح نتاكد كلامي ويظهر لك صدق قولي فلله در هذا البطل زوبين فانه ضربه ضربة صائبة وقعت في قسم من جسده فالفضل الاكبر له ولا زال يمنع عنا الشدائد ويدفع المصائب والنوائب وكان بفكرنا ان نجازيه قبلاً بزواجه بمهردكار فلم نصل اليها لانها هربت الى العرب وسارت معهم اينما ساروا واخيرًا تزوجت من الامير حمزة مغضوبة من النار مكروهة من قومها وعندي ان لا بد من زواجه بسيدة تقابلها وتقارنها وتكون افضل منها عقلاً وادبًا وغيرة على قومها وابناء جنسها . فقال كسرى ان صح ما قلته من موت حمزة فلا بد من تفريق العرب بعده واذ ذاك أعد زوبين اني ازوجه من طوربان وازيده فوق ذلك الانعام والاكرام . قال سوف ترى ما يكون في الغد . ولما سمع زوبين هذا الكلام فرح غاية الفرح وسرّ مزيد السرور وانشرح صدره وامل نوال غايته وكيد طوربان التي رفضت جدًا ونظر اليها متبسمًا ليرى دلائل وجهها فوجدها قد قطبت في الاول واضطربت ثم اظهرت عدم الاكتراث ونظرت اليه باستهزاء وسخرية واعرضت بوجهها كانها تقول له اذا مت ولقيت العناء لا يمكن ان تنال مني المراد . فزادت هذه الحالة قلقه واضطرابه واغتاظ منها ولولا شدة حبه لعمل على الغدر بها واغتصبها في نفس تلك الليلة غير ان وعد كسرى له واملة ببختك واقتداره على مساعدته حملة على الصبر والرضوخ الى استعمال الوسائط الحسنة فيكيدها ويرغمها على الزواج به . وما صدق ان انقضت

النهرة حتى ذهب مع بختك وقال لهُ ان وعد كسرى لي جعلني بامان غير ان امتناعها يخيفني ويجعلني بارتياب من نجاح طلبي ولولاك ولولا ثقتي بحبك لتاكد عندي كل التاكيد ان هذا الوعد لا ينتهي . قال كن باطمئنان قبلت اولم تقبل فلا بد من زفافك عليها بالرغم او بالرضى فكن براحة وما علينا الاَّ تفريق العرب لان حمزة سيموت لا محالة وضميري يخبرني بذلك ويدلني عليهِ وعندي انهُ لا يغشني قط . قال اني متكل على وعدك وقد لاح لي بعد ان نصرف الجهد الى اقناعها فاذا امتنعت غدرت بها ذات ليلة واغتصبتها وارغمتها ان تقبل بي بعد ذلك بالرغم على انفها وماذا يا ترى يقول ابوها والملك كسرى . فقال بختك ان هذا العمل يغيظها ولكن افعلهُ سرًّا فلا يعرفان بهِ وهي لا يمكن ان تخبر عن نفسها بهِ بل تظهر قبولها عن رضا واختيار ولكن من ابن لك ان نتوصل اليها ونقدر على اغتصابها وهي قادرة على مقاومتك وعنادك . قال اني لا اجيئها جهارًا وافاجئها وهي نائمة فاربطها بالحبل واخرج بها مع خادمي تحت ظلام الليل لانها تنام في صيوانها لوحدها وبعد ذلك اعيدها . قال حسنًا تفعل لكن هذا ابقهِ الان الى حين فراغنا من حرب العرب وتبديد شملهم وبعد العجز عن نوال المراد والزواج بها والاَّ ما زال الملك بعدك وانا اساعدك فلا بد لنا من الوصول الى المطلوب والغاية الوحيدة هي ان تصل اليها وتكون زوجتك . ولم يكن بختك اقل غدرًا وخيانة من زوبين الغدار وقد استحسن فعلهُ هذا ووافقهُ عليهِ عن رداءة طبع وشرّ موجود في قلبهِ لا يفارقهُ على الدوام وهو لا يعرف الفضيلة ولا عمل الخير ولا يرى من الحسن السلوك على طرق الاداب والمحافظة على الناموس

وبعد ذلك ذهب زوبين الى صيوانهِ ودخلهُ وقلبهُ مملوءٌ من حب طوربان وغير شخصها لا يلوح لهُ ولا يفتكر بمعنى غير معنى جمالها وقد زاد بهِ الغرام والهيام ومن المقرر ان الجفاء يزيد بالمغرمين اسباب الغرام ويمكنهم من ان يثبتوا عليهِ اذا كان في قلوبهم جرثومتهُ ولاسيما زوبين فانهُ فرغ من مهردكار وقطع رجاءهُ منهُ وقلبهُ يكاد ينفطر كيف فضلت البدوي الاجنبي وعاندت اباها وتركت بلادها ولم توافقهُ على الزواج وهو كان يعد نفسهُ بالسعادة حالاً اي بالحصول عليها وبالتقرب من اكبر ملوك العالم وهو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان بحيث يصبح صهرهُ ويصير صاحب الامر والنهي في بلادهِ . وانقطع املهُ منها بزواجها وقلب حبهُ بغضًا وصار يتمنى ان ينتقم منها ومن الامير حمزة لو امكنهُ وبقي صابرًا على نوال المراد حتى تسنى لهُ ان يرى طوربان ويشاهد فيها المعنى المنتظر من وحدانية جمالها ورقة الفاظها وهي اصغر سنًّا من مهردكار لا تبلغ الثالثة عشر من العمر وصرف ليلهُ قلقًا بين الرجاء والامل فلما يفكر بوعد كسرى يطمأن بالهُ ويقول نعم انى ساكون زوجها وهي تكون لي وفي يدي ولا تقدر ان

تخالف عمها وإباها ثم يطرق ذهنهُ ما كان منها وكيف نظرت اليهِ مستهزئة ساخرة بهِ وبوعد الملك فيسود قلبهُ ويتردد في اتمام املهِ ويقول انها غير راضية من هذا ولولا اصرارها على العناد لما فعلت ما فعلت

ولما كان الصباح نهض كسرى انوشروان وجلس في صيوانهِ ونهضت فرسان الاعجام على نية القتال في ذاك النهار فلم يروا اثرًا لاعدائهم وروا ان العرب قد بارحوا تلك الديار ورحلوا منها. فاخبروا كسرى بذلك. فقال لقد صدق بختك واصاب ولولا موت حمزة لما رحلت العرب لانهم قد فازوا وقربوا من النجاح التام حتى لو كان حمزة حيًّا وانقرض العرب باجمعهم وبقي هو وحدهُ في قيد الحياة لما انهزم وترك القتال فقال بختك اني اعرف جيدًا ان الحرب ستنتهي بالاخير بالفوز لنا لاننا اكثر رجالاً واعظم ملكًا ووسائط النجاح عندنا كثيرة ولا سيما بيننا مثل زوبين الغدار صاحب البطش والاقتدار والمجد والفخار واريد منك ان لا تنسى لهُ هذه الخدمة ولا تتقاعد عن مكافاتهِ. قال اني اعرف فضلهُ واعترف بهِ واوكد مساعدتهُ لك الان. ولكن انت تعلم ان العرب لم يزلوا متجمعين وربما عادوا الينا ومن الصواب ان نرسل العساكر في اثرهم اذا عرفنا باي طريق ساروا واعظم غايتي هي حصولي على بيكار الاشتهار ولولاه لكنت اتغاضى الان عن العرب واترك قصاصهم ولكنهم هربوا واخذوهُ معهم وفي نيتهم ان يداوموا على العصيان ولو كان فيهم من العقل مقدار ذرة لكانوا ارسلوا اليَّ بهِ وابدوا طاعتهم واعترفوا بذنبهم وانا اعرف ان الحق بذلك كلهِ على الامير حمزة. فقال بختك لا ريب ان العرب رجعوا الى حلب ليروا بامر انفسهم هناك فارسل في اثرهم العساكر مع زوبين وافلنطوش حتى اذا وصلوا اليهم سالوهم ان يسلموا بالعلم وبهردكار وبالطاعة فاذا اجابوا امنوهم على انفسهم وتركوا حربهم والاَّ فاجشوهم وباغتوهم بالقتال ونزعوا منهم كل راحة وبددوا شملهم قبل ان يرتاحوا. فاستحسن كسرى هذا الراي وطلب من زوبين ان يستعد للرحيل في اليوم الاتي مع عساكره ومع ابن عم كسرى افلنطوش وبنتهِ طوربان ويتاثروا العرب الى حلب واين كانوا ثم اوصى افلنطوش ان يكون في راس الجيوش ويسير الى حلب وان يعتمد على زوبين ويتكل عليهِ في كل الامور

وفي اليوم التالي ركب افلنطوش بعساكره وجيوشهِ وركب زوبين برجالهِ وفرسانهِ بعد ان اخذوا المؤن والذخائر وما يحتاجون اليهِ في هذه السفرة وفي كل نيتهم ان حمزة قد مات وشرب كاس الافات وصار يعد من سكان المقابر وان العرب بعدهُ ستسلم الى كسرى وتنقضي هذه الحرب ولا زالوا سائرين مدة ايام وليالٍ حتى جاءوا حلب وشاهدوا ان العرب هناك وقد وصلوا اليها قبلهم بيومين ودخلوا المدينة واقاموا بها وكان الامير حمزة قد اتجه الى الصحة والعافية

وصار يقدر على الخروج الاَّ ان اثار الجرح لا تزال في جسدهِ ولم تضمد بعد . فامر افلنطوش ان ينصبوا خيامهم في ضواحي المدينة وان يسرحوا بانعامهم في مراعيها بينما يكون قد بعث بكتاب الى العرب . وفي اليوم الثاني كتب كتاباً الى الملك النعمان يقول لهُ فيهِ

من افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان الى ملك العربان

قد بعثني اليك الملك الاكبر لاعرض عليك طاعتهُ واخبرك بغايتهِ وهي ان تسلموا علم بيكار الاشتهار صاغرين . وتعترفوا بذنبكم وترجعوا مهردكار الى ابيها ليقتص منها على عنادها لهُ وخروجها عن طاعتهِ واما انتم فقد اذن لي ان اعفو عنكم واسلم برجوع كل واحد منكم الى منصبهِ وبلادهِ لان لا حق عليكم بل كل الحق على الامير حمزة الذي قتل و بقتلهِ نرى ان القتال انتهى وما من عداوة بينكم و بين العجم واذا ابيتم او امتنعتم فاني اباكركم بالقتال ولا انفك حتى ابدد شملكم ولا يكون بعد ذلك من امل لكم بحلم كسرى وعفوهِ ورحمتهِ . ثم بعث الكتاب مع رسول مخصوص وهو الرسول الذي كان قد اخذ للعرب الكتاب في مكة المطهرة عندما كانت العجم تظن ان حمزة قتل ايضاً في ذاك الوقت

ولما وصل الرسول الى ابواب المدينة دخل وجاء قصر الاحكام حيثما كان الامير حمزة والامراء والملوك مجتمعين ولما وصل الى الديوان تقدم من الملك النعمان فسلمهُ الكتاب ففضهُ وقراه وعرف فحواه . ثم ارجعهُ اليهِ وقال لهُ ادفعهُ الى الامير حمزة فارس العرب وسيدهم ليعرف ما تضمنهُ وبماذا يجيب فاضطرب الرسول ونظر ذات اليمين وذات الشمال فرأى ان الامير حمزة جالس في مكانهِ كانهُ الاسد الكاسر لا يزال عليهِ دلائل المرض والضعف فتقدم منهُ وقبل يديهِ وسلمهُ الكتاب . فاخذ الكتاب وقراه وعرف رموزهُ وكل ما تضمنهُ . وقال للرسول ايظن كسرى اني اموت و بالعجم بقية رمق . فاخبر سيدك افلنطوش اني رجعت الى الحياة بعد الموت ولا بد من الرجوع الى ثل عرش كسرى وخراب ديارهِ واما زوبين الغدار فلا بد من موتهِ وهلاكهِ بخنك الخبيث الخائن وكل آتٍ قريب . ثم امر ان يدفع الى الرسول الف دينار وقال لهُ هذه اجرتك عن تعبك ومجيئك الينا وكان الرسول فصيحاً اديباً فشكر من حمزة ومدحهُ وخرج مسروراً بما نالهُ حتى جاء الى معسكر الاعجام فراى افلنطوش بانتظارهِ فقال لهُ ما وراءك من الاخبار اهل اجاب العرب بالايجاب . قال كيف يمكن ان يجيب العرب الى الطاعة وكلهم فرسان وابطال ولا سيما ان اميرهم حمزة لا يزال حيًّا وقد رايتهُ في مجلسهِ اعظم من كسرى في ايوانهِ وقد كاد يشفى من الجرح ولم يبقَ الاَّ اثارهُ وقد انعم عليَّ بالف دينار واخبرني ان اخبركم انهُ لا يموت و بالعجم بقية رمق ولا بد من الانتقام من زوبين على غدرهِ وفعلهِ فهذا الذي سمعتهُ منهُ ورايتهُ هناك . فلما سمع افلنطوش ان حمزة لا يزال حيًّا عرف ان الحرب ستطول

وخاب امله وظنه وتكدر مزيد الكدر وعزم كل العزم على محاصرة المدينة قبل ان يقدر الامير حمزة على الركوب وعلى الحرب . واسودت الدنيا على زوبين الغدار فخفق قلبه وتكدر مزيد الكدر ولعب بقلبه داعي الخوف والهلع ونهض من صيوان افلنطوش الى صيوانه لا يعرف يمينه من شماله ولا يرى ما بين يديه ولا سيما عند ما فكر ان امله قد بعد وربما انقطع من طوربان لانها لا تقبل به ولا يقدر على اجبارها ما زالت الحرب قائمة بين العرب والعجم وما يراهُ منها من النفور الزائد جعله على ان يوطد العزم والنية على اتمام غايته ومراقبة طوربان الى ان يغتصبها ويرغمها على القبول به بعد ذلك وصار منذ ذلك الحين يراقب اعمالها وحركاتها ويقصد ان يتمكن من الانفراد بها وهي نائمة ويغتنم الفرصة باغفال خدمها ليدخل الصيوان وهي لاهية عن ذلك لا تفكر به ولا تعتني بامره وقد خطر لها كل الخاطر انه اذا كان ابوها او كسرى اجبراها على الزواج به قتلت نفسها اوفعلت كابنة عمها مهردكار وجعلت اتكالها على العرب واختارت واحداً منهم فان ذلك خير من زواجها بزوبين وهي تراهُ في عينيها كاكبر عدو وتنظر الى اعماله نظر القبح والكره فتعلم انه خائن غدار خبيث مكار لا يعرف الناموس والشرف وهي على غير ذلك

وفي ثاني الايام امر افلنطوش ان يحاصروا المدينة فحاصروها وقصدوا الهجوم عليها فارجعهم العرب بضرب النبال عن الاسوار ولا سيما عمر العيار فانه اقام مع عياريه يرشقون النبال وكانوا اعرف اهل الارض بذلك فوقعت على الاعجام كوقوع الامطار فالتزموا الرجوع الى الوراء . وفي اليوم الثاني خرج العرب وصارت موقعة عظيمة من الصباح الى المساء وفيه رجعوا ودخلوا المدينة وكان الامير حمزة يريد ان يركب ويخرج الى الحرب فمنعه عمر العيار وقال له لا تخرج فانك لا تزال مريضاً والتعب يعيدك الى الضعف ولا سيما ان بزرجمهر منعني من ان ادعك تباشر حرباً واوصاني كثيراً بذلك ولو انقرضت العرب الى ان ياذن الله بالفرج فان الضيقة محاطة بنا في هذه الايام ولا تزول هذه النحوس الاَّ على يد غير منظورة الان منا . فاصغَ الى كلام هذا الوزير ولا تخالف فتندم . فراى حمزة ان من الصواب السكوت عن هذا الامر وما برح القتال عاملاً بين العرب والعجم على غير اهمية كبرى فيوماً تخرج العرب وعشرة ايام لا تخرج ينتظرون باب الله والفتح حتى كان ذات يوم وقد ضجرت العجم من القيام في تلك الارض وضاق عليها الحال وطال المطال فباكرت وفي نيتها القتال العظيم وكذلك العرب فانهم خافوا ان يبقوا داخل المدينة وتطول مدة الحصار فيفرغ منهم الزاد والمؤن ويقعون في الضيق والضنك ولذلك قال الامير حمزة لقومه الى متى هذا المطال فاني ارى ان العجم مكتفون بالحصار والذخائر والمون قد قلت فاذا بقينا على هذه الحالة عدة ايام اخر فرغت فنحتاج بالرغم

عنا الى الخروج اما للحرب واما للحياة وعندي حيث صرت قادرًا ان اركب جوادي واحارب وما من وجع بي يمنعني ان انزل ساحة النزال واطرد الاعداء عنا فان نفسي سئمت من المطاولة والاستنظار . فقال عمر لا تطمع نفسك بالقتال فما من وسيلة الى ذلك ولا بد ان ينتهي قول الوزير بزرجمهر واما من جهة فرسانك فدعهم يقاتلون ويناضلون ولا ريب ان قوة الاعجام تضعف واذا تاخروا عادوا الى المدينة وانت ما زلت بالحياة لا يحسب تاخرهم فشل او انكسار. فقال اندهوق اني اعدك في هذا النهار بالفوز فكن بامان واطمئنان وليرتح بالك علينا فكلنا بخدمتك وخروجك الى الحرب يغيظنا ويكدرنا ولا نريد ان نفعل خلاف ما اشار عمر وخلاف ما امرنا الوزير بزرجمهر . فسكت الامير وقال افعلوا ما شئتم واما اصغى الآن اليكم بالرغم عليّ والموت اهون جدًّا من ان اشاهد الاعداء تحاصرني واما امتنع عن طردهم واتقاعد عن اذلالهم

قال ثم ان العرب خرجت الى قتال الاعجام وباقل من ساعة نادى منادي القتال فاشتبك الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وتحدر الدم وسال . واختلط الاعراب بالاعجام . اختلاط الظلام بالظلام . وارتفع فوقهما كثيف القتام . فاخفى عنهما نور السلام والقاهما في ديجور الحمام . فلم يكن يسمع الاَّ اصوات السيوف على الدرق . ولا يرى الاَّ طعنات الاسنة في النحور والحدق فكم من فارس انكب ووقع . وكم من دم انهمر وهمع . وسال كالانابيب في ذلك الموضع . ولم تكن الاعجام تسمع صوت حمزة قط فتاكد عندها انهُ غائب عن القتال . فثبتت ثبات أسود الدحال . وقاتلت قتال صناديد الابطال . فاتسع سوق المجال . وعظمت المصائب والاهوال وضاقت في وجوه القوم الامور والاحوال . فعرف كل واحد منهم انهُ سائر في طريق الهلاك والوبال وانهُ على شفير الانتقال . ولم ترَ العرب التاخير والاذلال . بامر الله الواحد المتعال . بالرغم عن اجتهاد اندهوق والمعتدي وباقي الرجال . الذين كانت اسنتهم تفعل ايشم الافعال . وتخترق الصدور باسرع من ريح الشمال . ورات الاعجام انها ان نجحت في ذاك اليوم فازت الفوز العظيم . وانزلت على اعدائها البلاء الجسيم فلا يعود بعد ذلك للعرب ثبات . ويلتزمون الى التفريق والشتات . وطمعوا بالنصر وحركهم غياب حمزة الى توطيد العزم فداروا باعدائهم من كل ناح . واكثروا فيهم الصراخ والصياح . كل هذا وزوبين الغدار مع طوربان في معالجة ومحاولة وقد راها انفردت الى ناحية ولم تباشر القتال فلم يعد لهُ صبر عن مفاتحتها فقال لها لمَ اراك ياذات الجمال تتركين القتال وتنفردين على الدوام بنفسك فاني اراقب ذلك حيث اريد ان اكون بالقرب منك احفظك وارعاكِ ولا بد ان لذلك سبب من اعظم الاسباب فابدِ ولا تخفي شيئًا فاني صفيك ولا اظهر مرادك . قالت نعم ان السبب الاكبر هو وجودك

في المعسكر وفي المعمعة فهذا الذي يثقل عليّ ويدفعني الى الوراء ويجعلني ان اكره القتال والا لولا ذلك لرايتني الان في اول المحاربين فترى الفرسان والابطال افعالي فارجع عن سوالي ولا تكلمني مرة ثانية ولولا الخوف من غضب ابي لما اتيت مع المعسكر ولا احتملت صعوبة النظر الى وجهك القبيح ولا بد لي من ان ابعد بسوالي عن صيوان ابي الى اطراف المعسكر فلا اجتمع معكم ولا اراك لا في مساء ولا صباح فاقصر اذن . قال اني اعجب كيف تكرهين النظر الي واني ارغب التقرب منك وافضل الموت بجانبك على الحياة بالبعد عنك . فاتركي هذا العناد واصغي الى ما اقوله لك واجيبي سوالي ولا تظني انه يتيسر لك قرين مثلي صاحب عظمة وسلطان ومقدم من عمك كسرى انوشروان اكثر من سائر الابطال والفرسان . ومع ان العالم في هذه الايام اتفقوا ان الامير حمزة هو افرس ممن ركب الجواد فقد كبحته مرتين وجرحته جرحين وفي كل مرة يشرف على الممات ولهذا اكون انا اشد منه باسًا وتشهد لي بذلك ابطال الفرس ونفرها وعالها ودونها . فضحكت منه وقالت انك لا تعرف من نفسك الخيانة والغدر فاين انت من حمزة وقد شاهدت حربك معه وخياناتك فلو قاتلته قتال الابطال لما ثبت امامه ساعة واحدة فارجع عني الان والاّ طعنت قلبك بهذا السنان فانفطرت مرارته واحترق قلبه ولم يسعه ان يبدي لها كلمة واضمر لها الشر واصرّ في فكره على اتمام عمله في تلك الايام وهم بضواحي حلب واعرض الى غير جهة

هذا والحرب ما برحت بالاضطرام . والفرسان عاملة على الحرب والصدام . وطوائف العرب تتاخر امام طوائف الاعجام . واندهوق والمعتدي وباقي الفرسان يقاتلون قتال الجان ويناد ون العرب بالثبات في الميدان وان يفضلوا الهلاك والقلعان . على التاخير والخذلان . فلا يفيدهم ذلك شيء بل داوموا على الرجوع الى الوراء شيئًا فشيئًا قاصدين ان يدخلوا الابواب وقد قتل منهم خلق كثير في ذاك اليوم الكثير العذاب . وفيما هم على مثل هذا الامر والشان . والاعجام تطاردهم وتزاحمهم من كل ناحية ومكان وهي فرحة بذاك التقدم الذي لم ترها قبل ذاك الان وقد قارب الوقت العصر واذا بصياح من ناحية البر قد ملأ الفلاة وبيارق قد ظهرت ومن تحتها جيوش كسرب القطاء وفي المقدمة غلام امرد لم ينبت الشعر بعارضيه وهو فوق جواد مسرج بالسرج الافرنجي وعليه من الحديد ما لا يطيق حملة الجبال ولما راى ان الحرب عقدت بنودها . وقد حكمت قضاتها وتركت شهودها . صاح بلغته وحمل كانه قضاء الله اذا نزل فاخترق الصفوف . وفرق الميئات والالوف . وقد راى ان الاعجام تطارد العرب وعرف منهم ذلك . فانزل عليهم ميازيب المهالك . وقد حملت من خلفه ابطالة وفرسانه وعددهم نحو الثلاثين الفًا وكان يفعل في الاعداء كما تفعل النار في القش اليابس فجفلت من بين يديه الفرسان

وراًت من قتالهِ انهُ اشبه بقتال حمزة البهلوان فخافتهُ كل الخوف ورجعت الى الوراء متحسرة على ضياع ذاك النصر والظفر ومتكدرين من مجيء تلك العساكر والابطال فدافعت عن انفسها وقاتلت قتالاً عظيمًا وراًت العرب تلك النجدة وتاخر الاعجام فعادت الى الامام ولا سيما عندما سمعت عمر العيار يخترق الجموع وهو ينادي بالعرب ان تطارد اعداءها ويقول لهم هوذا الفرج المنتظر قد جاء فجودوا الطعن واكثروا من الضرب ومن رجع ارديتهُ قتيلاً . وما جاء اخر النهار الا وحلّ بالاعجام البلاء وذاقوا كاس العناء . ومن ثم ضربت طبول الانفصال فرجع العرب الى المدينة فرحين بالنصر الاخير وهم من التعب على جانب عظيم لا يصدقون بنزع العدد عن اجسادهم ووصولهم الى الجلوس على اسرتهم . وعرجت تلك العساكر التي جاءت الى ناحية من تلك الارض وضربت خيامها واقامت لوحدها تنتظر ما يكون في الصباح وبعد ان هدأ بالها واكلت الطعام نهض اميرها الغلام واتجه الى جهة المدينة وهو راكب على جواده ومدجج بالسلاح

ولما كان المساء اجتمع سادات العرب في مكان واحد واخذوا في ان يحكوا للامير ما كان من حرب تلك النهار وما لاقوا منها وكيف انهم كانوا يتاخرون الى ان جاءهم الفرج بالنجدة التي كان يتقدمها ذاك الغلام الامرد ثم اخذ كل واحد ان يتكلم عما راى منهُ وما شاهد من حربهِ وقتالهِ وهم ساهون ويبالغون . فقال الامير عمر العيار اني تاكدت عن بعد ان هذه العساكر هي يونانية لا ريب فيها ولا ارتياب لكن فارسها الذي تعنون عنهُ لم يكن يونانيًا وقد رابني قتالهُ وقد نظرت منهُ بطلاً لا كالابطال وفارسًا لا كالفرسان فهو اشبه في حربهِ ونزالهِ وحملاتهِ على اعدائهِ باخي حمزة حيث كان لا يستقر في مكان ولا يقاتل في جهة واحدة بل يدخل من الشرق فيخرج من الغرب والرجال تتبدد بين يديهِ على بساط الرمال وتقع تحت حوافر الخيل ولا يجسر احد منهم ان يقرب اليهِ او يدنو منهُ او يبقى واقفًا امامهُ . فقال الامير حمزة لقد شوقتموني الى ملاقاة هذا الغلام حتى انهُ اخذ في فوادي مكانًا عاليًا وصار لهُ عندي ارفع مقام وكان من الواجب ان ترسلوا اليهِ الرسل وتدعوهُ يدخل المدينة وينضم الينا برجالهِ لانهُ جاء لنصرتنا وهذا هو الفرج الذي اشار اليهِ الوزير بزرجمهر لاننا لم نكن بانتظار مساعد ولا معين غير ان الله بعث الينا من نعرف فضلهُ ونعترف بهِ لنبقى شانهُ مرفوعًا بين العرب والعجم واريد الان منك ياعمر ان تذهب الى هذا المعسكر وتنظر لنا في اخبارهِ وتدعو هذا الغلام ان ياتي الينا لنرى في امرهِ ومن هو واذا ابى عن الاتيان الينا سرنا نحن اليهِ وسلمنا عليهِ وشكرنا فعلهُ . فاجاب الامير عمر طلب الامير حمزة وكرّ سائرًا الى ان قرب من باب المدينة وقبل ان بفتحهُ سمع صوت طرقهِ فسال البواب من هذا فاجاب الطارق هذا انا الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة العرب فوقع

هذا الصوت في اذان الامير عمر العيار فطار فوادهُ شعاعًا وراى في معنى الصوت لهجة اخيهِ ثم سمع الطارق يقول افتح الباب حالاً واذهب الى عمي عمر العيار وقل له ان ياتي اليّ لاذهب واياهُ الى ابي . فاسرع عمرُ الى الباب وفتحهُ ونظر واذا بهِ يرى الغلام الذي كان يقاتل في ذاك النهار . فدنا منهُ وسلم عليهِ وعرفهُ بنفسهِ وقال له ابشر يا ابن اخي فاني انا عمر العيار ولكن ابن من انت ومن هي امك لاني كنت في هذه الساعة ذاهبًا اليك لادعوك ان تاتي الى خدمة امير العرب وسيدهم . قال اني اتيت لارى ابي حيث قد عرفت انهُ مجروح وانهُ جاء من المدائن الى هذه البلاد وانا بشوق زائد الى مرآه فاخبرني هل هو بخير وهل صار قادرًا على نقل السلاح واما سوالك عن امي فهي زهر بان بنت استفانوس اليوناني . فلما سمع الامير عمر هذا الكلام تحقق عندهُ انهُ ابن الامير فزاد فرحهُ وقال له ان اباك بسلام وعما قليل تراهُ فسارا الى حيث اجتمع العرب

قال وكان السبب في مجيء عساكر اليونان مع عمر اليوناني هو انهُ كان كما تقدم معنا في ما مضى ان الامير حمزة عند ما كان يجمع الاخرجة ويلم الميرة جاء بلاد اليونان وتزوج بزهر البان بنت ملك البلاد وانها رجعت الى بلاد ابيها واقامت هناك وهي تؤمل انهُ عند عودته من سفرته ورجوعهِ الى بلادهِ يرسل فياخذها اليهِ وتقيم عندهُ وكانت حامل منهُ وبعد مضي اشهر الحمل ولدت غلامًا كانهُ القمر في تمامهِ صبوح الطلعة مسعود الطالع كامل الهيئة فسرّت بهِ مزيد السرور ولا سيما عند ما رات انهُ يشبه اباهُ كثيرًا وارسلت فاخبرت اباها استفانوس فجاء اليها ونظر الغلام وهو في اللفافة واخذهُ على يديهِ وقال لامهِ اعلمي ان هذا الغلام هو يشبه اباهُ ولا بد عند كبرهِ اذا علم بانهُ ابن الامير حمزة تركك وذهب الى اهلهِ ونحن لا نعرف ان كان زوجك يعود فياخذك ثانيًا او يبقى باقي عمرهِ مشغلاً بالحروب مع كسرى وغيره فلا يفكر بك فتنسلين بهذا المولود ولذلك اريد منك ان لا تلفظي امامهُ ولا مرة واحدة اسم ابيهِ ولا ابن من هو بل قولي له ان اباك اسطفانوس فاربيهِ كاب له الى ان ياذن الله بالفرج ونرى كيف يكون من امر ابيهِ وهل يمكن ان ياتي بلادنا مرة ثانية او يرسل فياخذك اليهِ . قالت اني اعرف انهُ لا بد من ان يدعوني اليهِ وياخذني عندهُ عند ما يعود الى بلادهِ ويرتاح ضميرهُ من حرب كسرى . قال ان ذلك بعيد المدة طويلها ولا نعلم ما تكون عاقبة هذه الحروب ومن يكون الفائز من المتحاربين لان العرب وان كانوا شديدو البطش والبسالة الاّ ان كسرى قوي السلطان كثير الاجناد يقدر ان يقاتل العرب خمسين سنة وهو يجرد العساكر حيث يملك على اكثر اقسام الدنيا شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا . ثم ترافقا على ان يخفيا عليهِ امر ابيهِ واوصيا الخدم والجواري والمراضع بان تقول على الدوام بان اباهُ اسطفانوس وقد دعيا اسمهُ عمر اليوناني على

ثم عمر العيار . وصار الغلام يكبر ويترعرع منذ ذلك الحين ولما بلغ سنة من العمر كان يمشي ويخرج الى خارج القصر ويتكلم وكل من راهُ لا يظن الاَّ انهُ ابن اربع سنوات . ولما صار عمره اكثر من سنتين طلبت زهر البان من ابيها ان ياتيهُ بالاساتذة والمؤدبين فوضع لهُ المعلمين يعلمونهُ العلوم فكان يتعلم بوقت قريب ولا يضيع الوقت بالباطل وما ادرك العشر سنوات حتى كان قد درس كل الدروس والعلوم اليونانية والعربية والفارسية وفاق بها على من سواهُ وتعجب منهُ الخاص والعام . ومن بعد ذلك صار يخرج الى الساحات ومحلات الاجتماعات ويشاهد الفرسان والعساكر وهي شاكة السلاح فتحرك بهِ المطرق العربية الى تعلم فن القتال فاتخذ لهُ اعواناً وصار يتعلم منهم ركوب الخيل ولعب الرمح وضرب السيف وبمدة سنتين اصبح كانهُ افرس فارس في بلاد اليونان ولم يعد يقدر ان يثبت امامهُ احد من الابطال والفرسان وهو يفتخر بنفسهِ ويتشامخ على ابناء جنسهِ وما من رجل يقدر ان يعلمهُ ان اباهُ حمزة وانهُ وان كان على ما هو عليهِ فلا عجب من ذلك ولازال يشتد ساعدهُ ويقوى باعهُ وهو يظن ان اباهُ اسطفانوس ولا يعرف غير ذلك ولا خطر لهُ ان يكون ابن عربي و [illegible]ار يخرج الى البراري والقفار يطارد الوحوش ويبعد في جهات الارض ولا يخاف من احد وامهُ وجدهُ لا يخافان عليهِ بعد ان رايا ما هو عليهِ من الاقدام والبسالة الى ان كان ذات يوم عاد من الصيد والقنص ومعهُ شيء كثير من الذي اصطادهُ فراى امهُ جالسة وحدها منفردة بنفسها تبكي ودموعها تتساقط على خديها فارتاع وجفل قلبهُ فدنا منها وقبل يديها وقال لها لا ابكاك الزمان يا اماه فما الداعي لذلك اهل مات احد اقاربنا ام اصبت بوجع فاخبريني لان بكاك افطر قلبي فرادت بالبكاء رغماً عن جلدها وتكفكف دموعها فالقى بنفسهِ عليها وبكى وقال اني اقسم عليك بحيات ابي ان تخبريني الصحيح ما هو الداعي لهذا البكاء . فقالت لهُ اعلم يا ابني ان لكل بداية نهاية وان لا يصح في هذه الدنيا الاَّ الصحيح ولا بد من اطلاعك على امر ابيك لتعرفهُ وتعرف من هو . قال ماذا تقولين وما طرأ عليك اليس ابي اسطفانوس حاكم هذه البلاد وملكها قالت كيف يكون اسطفانوس اباك وهو ابي فعي الى ذلك واعلم ان اباك الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ومبيد الاكاسرة . فنهض واقفاً وقال ماذا تقولين اني سمعت كثيراً عن هذا الرجل انهُ فارس لا نظير لهُ في هذا الزمان وانا اتوقع ان اسير اليهِ واقاتلهُ لاعرف من ما اشد موقعاً في ساحة القتال . فكيف يكون ابي ومن جاء بهِ الى هذه البلاد . فاعادت عليهِ زهر البان كل ما كان من امر ابيهِ وامرها وكيف جاء الى تلك البلاد وفصلت لهُ الواقعة تماماً وكيف ان كسرى يحاربهُ وقالت لهُ اني ما برحت من حين ذهابهِ وانا اطلب كل من يكون في سفر وفي سياحة فاستخبرهُ عن حالة العرب والعجم فتصلني الاخبار مسرة وقد كسر جيوش كسرى عدة مرار و [illegible]دها وتزوج بنتهِ

بالرغم عليه واخيرًا اخبرني احد التجار وكان قد ذهب الى بلاد العجم فجاء ببضائع منها ليبيعها في هذه البلاد انهُ سمع ان اباك بعد ان كان قد حصر كسرى وكاد ينهي امرهُ غدر بهِ زوبين الغدار فرماهُ بحربة سامة كادت تميتهُ فحملهُ فرسان العرب وتركوا المدائن وجاءوا بهِ حلب لاجل مداواته وهو بحالة خطرة بين الموت والحياة ولذلك تراني ابكي كيف اني بعيدة عن ابيك ولا اقدر على خدمتهِ وربما اصيب بنكبة وهو لا يراك وانت ابنهُ وكم كان يسر اذا راك وشاهدك فهذا الذي ابكاني ويبكيني ولا اعرف ماذا جرى عليهِ

قال فلما سمع عمر كلام امهِ صاح من ملءِ راسهِ وهو يرغي ويزبد وقال ويلكم وويل جدي ايريد ان يخفي عني امر ابي وهو الامير حمزة فارس الارض من تناقل اخبارهُ الركبان وانا قاعد عن التقرب منهُ وراضٍ ان يكون ابي هذا الشيخ اسطفانوس وكيف اكون انا بهناء وراحة وابي يخوض معامع القتال ويحارب الاعجام فلا بد لي من المسير الى حلب لارى ماذا حلَّ بهِ فاذا كان لا يزال حيًّا سرت اليهِ وقاتلت بين يديهِ والاَّ سرت الى المدائن واخذت لهُ بالثار ولا ارضى على نفسي العار ويقال عني اني تقاعدت عن نصرة ابي فاستعدي للسفر وانا اذهب الى جدي واسالهُ ان يسافر حالاً بالعساكر لندرك حلب باقرب وقت . ففرحت بذلك ودعت لهُ . ثم انهُ جاء قصر الاحكام ودخل على جدهِ وهو عابس الوجه قاطب فارتاع لذلك وقال لهُ ماذا حل بك ياولدي ولما انت على هذا الامر . قال لهُ من هو ولدك ولاي سبب اخفيت عني امر ابي وهو حمزة العرب . قال من اخبرك بهِ . قال اخبرتني بهِ امي ولذلك اريد منك ان تخرج من هذه الساعة الى المعسكر وتامرهُ بالركوب فما عدت اصبر عن الرحيل دقيقة واحدة فقال اني كنت اخفي عنك ذلك بالاول خيفة عليك لانك لا تزال صغيرًا وتتوق نفسك الى ابيك وانت عاجز عن مساعدتهِ اما الان وقد صرت تعد من فرسان هذا الزمان فما من خوف عليك فاذهب الى امك وفي الصباح نركب بالعساكر ونسير الى حيث تريد لاني مشتاق الى ابيك واحبهُ كشوقك اليهِ . فاطمأَن بال عمر اليوناني وعاد الى امهِ فاخبرها بواقعة الحال فهيئت كل ما هو لازمها من ثياب وجواهر وحلي وهي تؤكد انها لا تعود ثانيًا فترى تلك البلاد ومن فيها وقلبها يخفق من السرور والفرح لمشاهدة زوجها التي لم تكن رأتهُ واقامت مدة الا اياماً قليلة جدًا . وفي صباح اليوم الثاني ركب اسطفانوس بثلاثين الفًا من العساكر وركب عمر اليوناني في المقدمة وهو يريد ان يطير ليصل الى حلب ويشاهد اباهُ ورفعت زهربان على هودج عالٍ من الحرير الغالي وسار الجميع عدة ايام وليالٍ الى ان وصلوا مدينة حلب وراعوا الحرب قائمة على ساق وقدم فخاضوا معمعة القتال وجرى ما تقدم ذكرهُ بين الفريقين وفي المساء سار الامير عمر اليوناني الى ان التقى بعمهِ الامير عمر العيار

ــ ولما وصل عمر من القصر المقيم بهِ الفرسان ومعهُ ابن اخيهِ دخل ونادى اخاهُ بشراك يا اخي فان هذا الغلام الذي انتم باضطراب وقلق من اجل معرفة اصلهِ وفصلهِ فهو ابنك الامير عمر اليوناني ابن زهر البان بنت اسطفانوس ملك اليونان وقد جاء امهُ وابو امهِ وها هو معي . ولما وقع صوت عمر في اذان الامير نهض بالرغم عن وعيهِ وقلبهُ طائر ونظر الى ولدهِ ورمى بنفسهِ عليهِ وهو فرح كل الفرح ومسرور كل السرور وجعل يقبلهُ ودموعهُ تذرف وكذلك فعل الامير عمر اليوناني فانهُ قبل ايادي ابيهِ والقى بنفسهِ على صدره وكل منهما يضم الاخر وحمزة لا يفتر عن شكر الله . وهذا هو الولد الاول الذي راهُ وشاهدهُ وذاق لذة محبتهِ وحنوه ودارت بهما الفرسان من كل ناحٍ وهم يطلبون ان يبعد الامير عن ولدهِ ليتقدم كلٌّ منهم اليهِ ويسلم عليهِ ويتعرف بهِ ومن ثم اخذ يسلم عليهم واحداً بعد واحد وكلهم يتعجبون من صغر سنهِ وبسالتهِ واقدامهِ وما منهم الاَّ من يصفق من الفرح واجلسوا الامير عمر الى جانب ابيهِ وهو ينظر اليهِ لا يرفع نظرهُ منهُ وقد سالهُ عن امهِ وجدهِ فاعاد عليهِ ما كان من امرهم جميعاً وحينئذٍ امر الامير ان تخرج الفرسان في صباح اليوم الاتي مع العساكر والرجال الى خارج المدينة وينصبون خيامهم في ضواحي المدينة الى جانب عساكر اليونان ليصرف بعض ايام بالهناء والولائم اكراماً لولدهِ ولزوجتهِ وقال لهم ايضاً ان الفرج المنتظر قد جاء وهذا الذي كان قد اشار اليهِ الوزير بزرجمهر واي فرج للعرب اعظم من هذا الفرج الذي جاءنا وحلَّ علينا بوجود وادي فارس اليونان ومجلي الكروب عن العرب . وصرفوا اكثر ذاك الليل بالحديث والاستخبار ولم ينم رجال العرب الاَّ القليل حتى جاء النهار فنهض كلٌّ منهم واستعد برجالهِ وقومهِ وانتظروا الى ان خرج الامير راكبًا على جوادهِ اليقظان وهو كانهُ في عظمتهِ الملك سليمان او كسرى انوشروان وخرج من بعدهِ الملك النجاشي والملك النعمان وعمر الاندلسي واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر وكل فارس وبطل مع العبيد والخدم وضربوا الخيام وسرحوا الانعام واصبحوا يجون ويموجون في تلك الارض وقد ملأُوا السهول والجبال وجاء الامير حمزة من الملك اسطفانوس فسلم عليهِ وترحب بهِ وشكر من معروفهِ واعتنائهِ بولدهِ واهتمامهِ بتربيتهِ الى ان خرج بطلاً صنديداً ودنا من زوجتهِ فسلم عليها وبكى عندما راها وحركتهُ محبتهُ القديمة نحوها واعتذر اليها . فقالت لهُ اني اعرف ان قصورك ما كان عن خاطر منك او ارادة فاني كنت على الدوام اسأَل عنك واطلب الى كل غادٍ ورائحٍ ان ياتيني باخبار العرب فتصلني على الدوام وكنت اجازي الجميع واكافيهم بالعطاء ليعودوا ثانية الى الوقوف على ما يكون من امركم . وانا مشغلة بتربية ابني ومهتمة بتهذيبهِ لا اظهر لهُ اسمك وامرك حتى ادرك اشدهُ وصار آفة من آفات الزمان . واذ ذاك بلغني خبر جرحك

من زوبين الغدار فلم يعد في وسعي الاخفاء فبحت لولدي بما كنت آكتمهُ عنهُ الى الان وعرضت اليهِ واقعة الحال بالتفصيل فكان منهُ ان ارغم ابي اسطفانوس على المجي الى هنا والحمد لله الذي رايناك بخير وصحة جيدة . ثم ان الامير حمزة جاء بزهر البان الى مهردكار وتعرفت كل واحدة بالاخرى

قال وانعكف الامير على عمل الولائم وقيام الافراح والمسرات وقد شغل عن الاعجام وتركهم وشانهم مدة ايام وقال ان الحرب لاتفوتنا ولا بدّ ان نهلك العجم عن قريب بعد ان نصرف ايام هنائنا ونرى ما يكون من اعدائنا . فذات يوم بينما كان الامير عمر العيار يدور حول المعسكر حسب عادتهِ خوفًا من وقوع امر لم يكن في الحسبان واذ جاءهُ ابن اخيهِ وقال لهُ يا عماه اني ارى الاعداء حولنا ولذلك اريد منك ان تذهب بي الى معسكر الاعجام لاتفرج فيهِ وانظر هذا زوبين الغدار ومن هناك من الابطال والفرسان . فقال لهُ هلم بنا لنذهب ولكن لا تبدِ حركة هناك ولا تتظاهر بانك من العرب فيعرفونك ونقع بايديهم فاخذهُ وسار بهِ بعد ان غيرا زيهما وعندما قربا من معسكر الاعجام نظر عمر اليوناني جماعة من الفرس يلعبون بالجريد ويمرحون في تلك الارض فحركتهُ جهلهُ الى الدخول بينهم وقد احتقرهم ولما صار فيما بينهم جاءتهُ جريدة فاصابتهُ فطار الشرار من عينيهِ وكان يظن بنفسهِ انهُ وحدهُ يفني جيش العجم برمتهِ ولذلك صاح و يلكم اوغاد غير امجاد فقد جاءكم الفناء والهلاك ثم استل سيفهُ وهجم عليهم فوعوا اليهِ وعرفوا من صوتهِ انهُ عربي فمالوا اليهِ وجردوا بسيوفهم فالتقاهم واخذ بينهم الضرب والطعن وهو يقتل فيهم ويبددهم على بساط الرمال وينادي انا الامير عمر اليوناني ابن حمزة البهلوان والفرسان تتقاطر من كل ناحية ومكان وتزدحم حواليهِ وترسل باسنتها اليهِ وهو يطعن فيها طعن الابطال ويشردها ذات اليمين وذات الشمال وعمر العيار يختطف الارواح بضربات خنجرهِ ويحمي ظهر ابن اخيهِ الاَّ انهُ لما راى ان الفرسان تتكاثر خاف من ان تحمل عساكر العجم فيقع مع ابن اخيهِ في قبضتهم وراى من المناسب ان يتركهُ قليلاً ما زال قادرًا ان يدافع عن نفسهِ و يذهب الى اخيهِ الامير حمزة يدعوهُ لنصرتهِ فاطلق ساقيهِ للريح حتى جاء معسكر العرب ونادى اخاهُ وقال لهُ ادرك ابنك فهو يحارب الاعداء وكرّ راجعًا الى محل القتال واسرع حمزة وكل الفرسان الى خيولهم فركبوها وتطايروا من خلفهِ فادركوا عمر اليوناني وهو يطارد الفرسان ويطردهم بين يديهِ كانهُ الباشق يفتك باضعف العصافير هذا ولما وصلت الفرسان ورأت ما رأت صاحت وحملت وهي متعجبة من افعال عمر اليوناني ومن حملاتهِ التي لا يقدر عليها الاَّ ابوهُ . ولا يزالوا يقاتلون وقد ردوا الاعجام الى الوراء وفي المساء رجعوا الى الخيام وقد قال الامير حمزة لابنهِ كيف جئت الى معسكر الاعداء ودخلت بينهم دون ان يكون عندنا علم بذلك فما هذهِ الا

مخاطرة عظيمة . ثم التفت لعمر العيار وقال له يا وجه القرد كيف اطعت ولدي ورميت بهِ بين الاعداء الا نعرف غدرهم وخداعهم وجهل ولدي وهو لا يعرف الحرب وخدعتها فقال عمر اليوناني لا تغضب يا ابي على عمي فانا الذي سرت والتزم ان يسير معي ولا تحسب مسيرنا غلطاً فما الاعجام الا أشبه بالنساء ولو لم تاتوا اليّ لما لحق بي خطر بل كنت افنيت منهم كثيرًا وعدت منصورًا فائزًا

واقام الجميع في الخيام بعد ذلك مدة ثلاثة ايام وفي نية الامير حمزة ان يعودوا الى القتال فيبدد اولئك الذين جاءوا من قبل كسرى وهو مملوء من الفرح والسرور لا يمتلئ من النظر الى ولدهِ وفي اليوم الرابع جاءهُ ابنهُ وقال لهُ لما يا ابتاه نتقاعد عن القتال ونترك امامنا الاعداء ونحن قادرون ان نبيدهم بيوم واحد قال لهُ ان هذه الايام ايام افراح بقدومك علينا واجتماعنا ببعضنا ولذلك لا اريد ان يشوبهُ كدر ولا اريد ان آكون فيها انا البادئ بالشر اذ كل بادي بالشر خسران وهلاك الطائفة التي امامنا لا يفوتنا . فسكت عمر وهو يتوق الى الحرب وجاء عمهُ عمر العيار وقال لهُ قد عرفت يا عماه ان عندك مكحلة اذا تكحل فيها الانسان وطلب ان يغير زيهُ ويتزيا باي زي اراد يصير لهُ وانا اريد منك ان تكحلني بها لاصير كواحد من الاعجام فاذهب بينهم وانفرج عليهم وارى زوبين الغدار واعرف كيف هو ومثلهُ باقي فرسان الفرس . قال هذا لا يمكن ابدًا لاني اعرف جيدًا انك لا تقدر ان تضبط نفسك فمتى صرت بين الاعجام ونظرت افلنطوش وجماعتهُ وسمعتهم يسبون العرب او يتكلمون مثل هذا الكلام لا تصبر على الاهانة ويدفعك جهلك الى اظهار نفسك واخذ حقك منهم فتقع بايديهم ويكون ذلك ويلاً علينا ويعتب ابوك عليَّ ويغضب مني . قال هذا لا بد منهُ واني اعدك اني لا افوه بكلمة مهما سمعت ومهما رايت قال لا تطمع نفسك بالمحال فما من وسيلة لان اجيبك الى طلبك . فقال وانا لا اتركك ولا بد من ان اذهب واياك الى الفرجة على ترتيب الاعجام ومن مشاهدة زوبين الغدار وافلنطوش . واكرر لك القسم بك وبابي اني لا افوه بكلمة ولا ابدي حركة ولو سمعت الف كلمة وافعل كما تفعل انت

ولا زال عمر اليوناني يلح على عمر العيار حتى سمع لهُ ووافقهُ على طلبهِ ووعد انهُ يذهب واياه واشرط عليهِ ان لا يظهر نفسهُ وان يتغاضى عن كل ما يسمع ويرى ثم كحلهُ بالمكحلة وتكحل هو فصار الاثنان كانهما من الاعجام لا شك بهما ولا ارتياب . ولبسا ملابس الحجاب وسارا من معسكر العرب ودخلا بين الاعداء ولا زالا سائرين حتى وصلا الى ديوان افلنطوش فنظر اليهِ عمر اليوناني وراى ملابسهُ وعظمتهُ وقال لرفيقهِ اني اراهُ يفتخر بنفسهِ كثيرًا قال هكذا عادة الاكاسرة يحبون العظمة والفخار ثم نظر الى زوبين الغدار وهو الى جانب افلنطوش فتعجب من

قباحة منظرهِ وكآبة طلعتهِ وكبر شدقيهِ وتشامخ انفهِ وتجعد خدهِ فلعبت نار الغضب في قلبهِ منهُ وقال ان هيئتهُ تدل على الله اكثر الناس غدرًا واحتيالاً ونظر الى عمهِ وقال لهُ اني سمعت من خالتي مهردكار ان طوربان بنت عمها عند ابيها وهي تشبهها جمالاً وكمالاً الا انها تزيدها بسالة واقدامًا فاين هي الان فاني لم ارها بين الفرسان . قال اني متعجب من ذلك لانها كانت تجلس دائمًا بجانب ابيها والان لا اراها قط ولا اعرف اين هي . وفيما هما على مثل ذلك سمع افلنطوش يقول اني اتعجب الان من بنتي طوربان فانها لم تحضر حتى الان ولا جاءني منها خبر عن سبب غيابها . فاستدرك زوبين الكلام وقال اني سالت عن ذلك يا سيدي فقيل لي انها ذهبت في هذا الصباح الى الصيد والقنص وستعود في المساء وقد نسيت ان ابدي لك ذلك وانت تعرف رغبتها في فن الصيد ولا ريب ان خدمها ذهبوا بمعيتها فهي بامان من العرب الان وتعرف ان لا حرب في هذا اليوم . وعلى ما اظن ان العرب الاوباش خائفون منا لا يباشرون القتال والحرب والنزال وكان بظني انهم يسارعون الى اقتطاف ثمرة ذاك الانتصار ولا بد ان يكون لذلك من سبب عظيم وعليهِ فاني عولت ان اباشر الحرب في الغد واذيق العربان كاس الهوان واقتل حمزة البهلوان واذيقهُ كاس المذلة وافعل فعلاً يذكر بعدي الى اخر الازمان . لاني اطلت روحي كثيرًا ولم يعد في وسعي الصبر والسكوت من ذل العرب وابادتهم . وكان بفكر زوبين ان يشغل افلنطوش عن السوال عن بنتهِ . فاغاظ كلامهُ هذا عمر اليوناني وقدحت عيونهُ شرار النار وقد احمر واخضر واصفر فوضع يدهُ على سيفهِ وفي نيتهِ ان يجردهُ فلحظ منهُ عمر العيار ذلك فارتاع ودنا منهُ في الحال وقال لهُ لا تفعل والاَّ هلكنا واخرج من هذا المكان وقد اقسمت بابيك ان لا تبدي حركة . فخرج عمر اليوناني وهو يرغي ويزبد . فقال لهُ لما فعلت ذلك قال اني قصدت ان اقتل زوبين وافلنطوش معًا ولو قتلت فيما بعد ولولاك لفعلت ذلك . قال اني اشكر الله حيث قدرت ان تكظم غيظك فاذهب بنا الان من حيث جئنا . وكان عمر اليوناني لا يريد ان يذهب قبل ان يرى طوربان فاراد محاولة عمهِ وقال لهُ اني سمعت منك فاصغَ اليَّ واسمع مني حيث اريد ان اطوف بعد بين طوائف الفرس اري الخاص والدون حتى ناتي على اخر المعسكر فنخرج من هناك وناتي بعيدين في البر حتى نصل الى معسكرنا قال افعل ما بدا لك ولو اقمت شهرًا بين الاعداء فابقى معك لكن بشرط ان تحافظ على السكينة وتبقى كاتمًا امرك فان من النظر لا احد يعرفنا . قال اني اعتدت ان اسكت وسوف ترى مني ما تريدهُ ثم جعل يطوف واياهُ حتى اخر المعسكر وخرجا من هناك وافكار عمر اليوناني مشتغلة مضطربة كيف لم يتيسر لهُ ان يرى طوربان فوقف يتامل وفي نيتهِ ان يعود ثانيًا الى بين المعسكر غير انهُ فكر ان يقنع عمهُ انهُ يعود بهِ مرة ثانية فتكون قد عادت من الصيد فمشى الى جانب عمر

العيار واوسعا في البر فصعد اكمة عالية ثم نزلاً الى حضيض متشعب فرايا صيواناً مضروباً وعند بابهِ عبد واقف وآخر بعيد قليلاً عنهُ فقصد عمر العيار وتبعهُ رفيقهُ ولما قرب من العبد الاول واراد أن يجتازهُ الى جهة الصيوان منعهُ وقال لهُ ارجع مع رفيقك ولا تقرب من الصيوان فهو لسيدي زوبين الغدار وقد اوصى ان لا ندع احداً لا من العجم ولا من غيرهم يقربهُ والاَّ غضب منهُ وانزل بهِ العبر فارجع الى الوراء قبل ان يعجل بك الاجل وتشاهد الموت ولا بد انهُ قريباً يكون هنا . فما تركهُ عمر العيار ان يتم كلامهُ حتى ارسل خنجرهُ الى صدره فرماهُ قتيلاً ولما راى العبد الواقف على الباب ما حل برفيقهِ خاف على نفسهِ من الهلاك فصاح الى عبد اخر كان داخل الصيوان ان يخرج ويتبعهُ وهرب من ناحية ثانية فلم يلحقهُ عمر بل بقي سائراً الى ان وقف في باب الصيوان الامير عمر اليوناني وحالما وقف نظر الى داخلهِ واذا بفتاة هناك كأنها الشمس بالاشراق او البدر عند تمامهِ لم يخلق الله احسن منها جمالاً ولا ابهى كمالاً ولقد صح ما قيل فيها

البدر طلعتها والغصن قامتها   والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كأنها افرغت من ماء لؤلؤةٍ   في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وحالما راتهما الصبية صاحت مستغيثة واظهرت لهما انها موثوقة بالحبال وقالت بلغتها الفارسية هلا ادركاني وخلصاني يا اولي المروَّة فاني . اكافيكما على فعلكما لاني انا طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان ملككم وسيدكم وقد غدر بي زوبين الغدار واحتال عليَّ وانا في فراشي غافلة عن كيدهِ وبعث بي مع خدمهِ الى هذه البرية وفي نيتهِ ان يفعل القبيح فحملاني قبل ان ياتي المساء وياتي هذا المكان وكانت تتكلم وعمر اليوناني واقفاً ينظر اليها ويحدق بها وهولا يعي الى ما تقول ولا ماذا تريد بل راها موثوقة فبهت متعجباً من امرها ماخوذاً من جمالها الباهر ولونها الابيض المتشرب حمرة ومن عينيها السوداوين اللتين يعلوهما حاجبان لا نحيفان ولا رفيعان وامواج النور تتوارد من وجهها وتتدفق فضاع من ذلك عقلهُ وحار لبهُ واصبح لسان حالهِ ينشد

بدت تختال في ذل النعيم   كما مال القضيب مع النسيمِ
واشرق صبح واضحها فولى   هزيع الليل في جيش هزيمِ
وكف الصبح قد سلت نصالاً   تخرق حلة الليل البهيمِ
واجج من شعاع الشمس ناراً   اذاب لهيبها برد النجومِ
فتاة كالهلال فان تجلت   ارتنا البدر في ثوبٍ ذميمِ
وكنت بها احب بني هلالٍ   فمذ نمت هويت بني تميمِ

مخصر مثل عاشقها نحيل ... وطرف مثل موعدها سقيم
وقد لو مرَّ بهِ نسيم ... لكاد يودهُ مرُّ النسيم
ايا ذات اللي رفقًا بصب ... يراعي ذمة العهد الكريم
يعلل من وصالك بالاماني ... ويقنع من رياضك بالهشيم
نظرت اليك فاستا سرت قلبي ... فادركني الشقاء من النعيم
فطرفي من خدودك في جنان ... وقلبي من صدودك في جحيم
ارى سقم الجفون برى فوادي ... وعلمني مكابدة الهموم
لعل الحب يرفق بالرعايا ... وياخذ للبري من السقيم

وكان ما يشغل خاطرهُ ويستدعي انعطاف قلبهِ وجودها ذليلة مقيدة الايدي مع انها ملاك وهي فارسية تتكلم وهو ملتهٍ عن معنى كلامها فشغل خاطرهُ لذلك وضاع وعيهُ وفقد لبهُ فتقدم وحاكاها بلسانهِ العربي مؤملاً انها تجيبهُ على سوالهِ فلم تجب وحينئذٍ تقدم منهُ عمر العيار وقال لهُ مالك ولهذه الغاية فاذهب بنا ودعها وشانها فان امرها لا يعنينا وكان قد فهم كلامها كلهُ وعرفهُ حق المعرفة . فقال عمر اليوناني كيف اتركها وهي على هذه الحالة اما من نخوة في راسك ومروة وانت تدعي الشرف والناموس فاقسم بحق خالق الليل والنهار لا برحت من هذا المكان الاَّ وهي معي واقتصصت لها من عدوها ايًّا كان ولو كان كسرى انوشروان . قال ان هذه عدوتنا وبنت اكبر اعدائنا هذه طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى وقد غدر بها زوبين الغدار وارسلها الى هذا المكان ولا اعرف كيف فعل ذلك وفي نيتهِ ان يانيها فدع عبدة النار يفعلون ببعضهم ما يريدون فهم اهل فحش وقبح . فلما سمع عمر ابن الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انها نفس طوربان زاد بهِ الوجد والهيام وهاجت بهِ نار الوجد والغرام لانهُ كان يضمر في نيتهِ ان يراها على ما سمع عنها من زوجة ابيهِ مهردكار وهو متكدر من عودتهِ كيف لم يرها وقد راها وشاهد فوق ما سمع عنها وهي بتلك الحالة الموجبة للشفقة والاغاثة فقال لعمهِ اسرع اليها وفكها حالاً . فاني لا اذهب من هنا الا وهي برفقتي فادرك الامير عمر العيار معناه وماذا يقصد وقال لهُ ماذا ياترى نستفيد من حلها فاننا اذا حللناها عادت الى قومها الاَّ اذا كنت تريد ان ناخذها لك زوجة فنذهب بها قال اني اريد ذلك ولا ابرح الا وهي معي قال وكيف يمكنك ان تتزوج بها وهي على دين النار وانت على دين الله العزيز الجبار الا تعلم ان اهل الله لا يختلطون بالكفار . قال اعرض عليها الايمان . فاذا قبلت خلصناها وذهبنا بها وهي مطلقة الايدي والا اخذناها معنا وهي على الحالة التي هي فيها واخبرها ايضًا بامري واني اريد ان اتزوج بها وتكون عندي دائمًا ويكون حظها كحظ بنت عمها مهردكار . فتقدم منها

عمر العيار وقال لها اعلمي ياذات الجمال اننا سمعنا كلامك وعرفناك بنت من انت ولذلك نريد ان نخلصك ونذهب بك عن قومك فهل ترضين بذلك . قالت الى اين تذهبان بي وانتما من الاعجام اصحابنا ورجالنا . قال كلا بل نحن من العرب اعدائكم فانا عمر العيار وهذا الذي معي هو الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان صاحب المجد والجاه ورفعة المكان وامه زهر البان بنت اسطفانوس حاكم بلاد اليونان وقد وقعت من قلبه موقعاً عظيماً واحبك من نظرة واحدة ولا يريد ان يذهب من هنا دون ان تكوني برفقته اما مقيدة واما مطلقة الايدي . فلما سمعت طوربان هذا الكلام وقع من قلبها موقعاً حسناً وكانت تحب من كل قلبها ان تتخلص من زوبين ومن جيش العجم وتنجو من الموت والبعد ولذلك قالت لعمر اني اعرف جيداً أن بذلك الفخر والشرف لي واتمنى ان يكون نصيبي كنصيب مهردكار واني راضية واقبل بكل ما اشرت اليه وارغب ان اكون زوجة لابن سيد العرب وفارسهم . قال ان ذلك لا يكفينا لان العرب لا يتزوجون بمن هنَّ على غير دينهم ولذلك نعرض عليك اولاً الايمان فاذا قبلت بكلمة الحق وامنت بالله تعالى و برسله الاطهار كان لك عندنا التعظيم والاعتبار والاً فلا امل بزواجك وانت على دين النار قالت اني اعرف ذلك وما قلت لك اني ارضى بزواج ابن الامير الا و في نيتي ان اكون على دينه ومنذ الان اترك عبادة النار واتمسك بعبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار . فلما سمع ابن الامير حمزة منها هذا الكلام اسرع الى وثاقها فحله في الحال وقال لها انت منذ الان في زمامي وتحت لوائي ولا يقدر احد ان يصل اليك

ثم طلب اليها ان تسير وراءه فسارت وهي تتامل فيه وتنظر في جماله وصفاته وقلبها يهلع من الفرح ومن السعادة التي عرفت من نفسها انها نالتها و وقعت بها لانها رات غلاماً لا يتجاوز الخامسة عشر من العمر او السادسة عشر باهر الجمال بديع الاوصاف معتدل القامة كامل الهيكل عريض الاكتاف ابيض اللون عليه هيئة الكرامة ودليل البسالة والاقدام وهي لا ترفع بنظرها منه وقد فضلت الموت والعذاب وملاقاة كل هول بالقرب منه وقالت في نفسها اين زوبين الغدار من هذا الامير الذي لا يوجد له ثانٍ في ممالك العالم لا من الشبان ولا من النساء فسبحان من خلقه وقدر عليَّ ان اكون زوجة له انال عنده السعادة العظيمة والحظ الوافر واتمتع بباهر جماله و بديع محاسنه و بدقائق قليلة اصبحت عاشقة من اكبر عاشقات ذلك الزمان وقد نست اهلها واباها ودينها وتعلقت به وهي تراه كانه

اوضحت نار خده للمجوس حجة في السجود للتقديس
واقامت للعاشقين دليلاً واضحاً في جواز نهب النفوس

وشادن من جآذر العرب لكن حاز ارث الجمال عن بلقيس
لابساً من بهائه ثوب بدرٍ ومن الوشي حلة الطاووس
وشهدنا من خده وسناه كيف تكسى البدور نور الشموس
وجلاها والصبح قد هزم الليـ ل وهم الرفاق بالتعريس
والثريا ولّت ومالت الى الغر ب فكانت كالطائح المنكوس
ولد الشرق شكلها وهو لحيا ن فصارت في الغرب كالانكيس
فعلت مقلتاه في انفس العشـ ـاق فعل السلافة الخندريس
اهيف القد مخطف الخصر ساجي الـ طرف انس النديم روح الجليس
لا تلام العشاق في تلف الار واح في عشقه وبذل النفوس
نظروا ذلك الجمال وقد لا ح نفيساً فخاطروا بالنفيس

هذا وعمر اليوناني يسير امامها والى جانبها وكان قلبه مملوءاً من الفرح والسرور وعلى نوال غايته وكان لا يزال خالياً فامتلأ من محبة طور بان وصار لا شغل له الا الاهتمام بها والنظر في امرها وكان جهلة وداعي سنه يحركانه الى التباهي والتفاخر لدى حبيبته واصبح يطلب ان يقاتل امامها لتراهُ وتسرُّ من عمله وعليه كان وهو سائر يعرج الى جهة الجيوش العجمية وعمر العيار يضادهُ في ذلك ويطلب اليه ان يبتعد ولا يدنو من معسكر الاعداء وهو لا يصغي ولا يرجع ويقول له ما من باسٍ علينا واذا رآنا الاعجام وحملوا علينا فاني ارى من نفسي اني كفوء لهم اردهم وحدي وفيما هم على ذلك راى جماعة من الاعجام قد تقربوا منهم وهم يظنونهم مثلهم ففرح عمر وصبر الى ان قرب من الاول فاشهر حسامهُ وضربه به على هامهِ فالقاهُ قتيلاً ولما راى رفاقه ما حل به حملوا عليه وصوبوا باسنتهم اليهم وسار واحد منهم الى المعسكر واخبرهم بما راى وماسمع من عمر اليوناني ومناداته بنفسهِ حتى اجتمع حوله خلق كثير وهو يطاعن ويضارب كانه القضاء المنزل فيفرق الصفوف ويطعن في الميئات والالوف . ولما رات طور بان ما حل بحبيبها وان اعداها محيطة به تناولت سيفاً ومجنا من بعض المتقدمين وصاحت وحملت وكانت من البطش على جانب عظيم

قال وكان السبب في وجود مهردكار في ذاك الديوان موثوقة كما تقدم الكلام هو ان

انتهى الجزء الثامن من قصة حمزة البهلوان
ويليه الجزء التاسع عما قريب

الجزء التاسع

من قصة الامير حمزة البهلوان

زوبين الغدار كان يراقبها كما تقدم معنا وقلبهُ مملوءٌ من الحب والغيظ معًا حيث كانت لا تريد ان تراهُ ولا ترغب في ان تشاهد وجههُ قط وقد صرف كل جهدهِ الى مرضاتها فلم تزد الاّ نفورًا وبغضًا وعداوة وكرهًا ولا زال الى ان كان قبل ذلك اليوم بيوم استغنم فرصة انفرادها فجاء اليها واعاد عليها حبهُ وقال يا قرة العيون ليس من الصواب ان تعامليني بالجفاء والقطع وانت تعلمين شدة حبي لك وشوقي ولا اريد منك الا شيئًا ممدوحًا بحيث اريد ان تكوني لي زوجة فاحصل عليك بطريقة حسنة شريفة وتكوني قد رحمتي قلبًا حزينًا مولعًا لا يرضا الاك ولا يميل الى سواك وبذلك ترضين النار التي ترغب في الازدواج ليكثر نسل بنيها وعبادها فقاطعتهُ وقالت لهُ قلت لك مرارًا اني لا اريد فيما تقول ولا ارغب في الزواج منك ولا من غيرك فدعني وشاني فاني لا اعرف الحب ولا اريد ان اعرفهُ فاجعل اعتمادك على غيري ولا تعلق املاً بي فما من نتيجة بالحصول عليّ ولا سيما اني اعرفك كما انت واعرف غدرك وخيانتك وقلبي لا يرغب في ان يقرب من الخائنين فوجودك بين جيش العجم جعلني ان اكره فيهِ واتمنى البعد عنهُ واكرر لك ما قلتهُ سابقًا من ان الموت عندي افضل بكثير من الدنو منك ومن ان يقال عني اني تزوجت بزوبين الغدار واما غضب النار عليّ ورضاها فلا يتعلق بك كيف كان الحال واني مع ذلك لا اسال رضيت ام غضبت فاني حرة من نفسي وما من معبود حقيقي يجبر فتاة على الزواج بمن تكرههُ . قال اسمعي لي واصغي لقولي ولا تنظري الى بغضك فاني احكمك نفسي وقومي فتكونين سيدة مالكة واكون لك كعبد على الدوام وكان عهدي بان قلوب النساء رقيقة شفوقة وارى قلبك اشد من الحديد صلابة لا يلين لذلي ولا يشفق على توسلاتي اذا كنت تكرهين بي لغدري بالامير حمزة فهذا بين المجد والفخر لان الحرب خدعة وعلى الانسان ان يقهر عدوهُ باي طريق كان اليس وقد حارب حمزة كثير من الابطال والفرسان وما منهم من قدر ان يثبت بين يديهِ او يصل باذًى اليهِ وانا قد قهرتهُ مرتين وفي كل مرة تتاخر العرب ويشرف على الموت والهلاك . فابعدي عنك الاوهام وارضي بحبي واجيبي طلبي فيكون ذلك بارادتك وقبولك وفي النهاية لا بد منهُ لان ملك كسرى ووزيرهُ بختك قد وعداني بذلك وعدًا صادقًا لا بد من اتمامهِ وابوك يرغب ويقبل ان اكون زوجًا لك فماذا يا ترى يوقف في

طريق حصولي عليك وهل اذا امرك ابوك وعمك تمتنعين وتخالفين . قالت وماذا يمنعني من ان اقول لها اني اكرهه ولا ارضاه وابغض النظر الى وجهه وماذا يبعدني عن ان اظهر لها ان قلبي ينفر منه كونه قبيح المنظر خبيث الاعمال لا ريب انهما ينظران الى كلامي بعين الرضا ويعرفان انك كما اقول ولا تخفى عليهما حالتك ولا تظن ان عملك مع الامير حمزة ممدوح من الناس فان الرجل البطل يفضل ان يقتل بين يدي خصمهِ من ان يغدر به او يخدعهُ بطريقة دنيئة فارجع الى مكانك واتخذ لك زوجة غيري واعمل على سلوي . ومن القبيح على الانسان ان يحب من لا يحبهُ ويعلق قلبهُ بفتاة تكرههُ وتبغضهُ وتتمنى هلاكهُ وموتهُ . فلما سمع زوبين منها هذا الكلام انفطرت مرارتهُ وهاج غضبهُ وتمنى ان يشرب من دمها على هذه الاهانة الا انهُ وجد نفسهُ غير قادر في تلك الساعة ان يبدي حركة وقد اضمر كل الشر في قلبه . ولذلك قال لها . اني موكد انهُ لا بد ان يكون قلبك قد تعلق بغيري وانك تهوين فتى وانت عاملة على حبه دون علم اهلك واطلاعهِ على ذلك وهذا ما يزيدني غضباً منك وسوف ترين مني خلاف ما تظنين وان اصرُّ على طلبي ولا بد من قهر غايتك وامالك واجبارك على الزواج مني بوقت قريب لاني منذ وجدت في هذا العالم وانا احصل على كل ما اريد واصرف الجهد الى نوال الغاية . وكنت قبلاً ارغب في زواج مهردكار فهربت وتروجت بحمزة ومع ذلك فكنت عزمت ان الازم الحرب وابذل الجهد الى الحصول عليها لا حباً بها بل كيداً لها وقهراً لتقدم ذبيحة للنار وتعرف شرَّ عملها وبغضها فيَّ الى ابن ذهب بها ومنذ رايتك كرهت في مهردكار وعلقت قلبي بك وانا متيقن انك تكونين حكيمة عاقلة اكثر من بنت عمك ويكون لي معك الحظ والسعادة فجاء الامر بخلاف ما ظننت وسوف يكون لي ولك حديث يذكر بين قومنا فيما بعد . فضحكت من كلامه وهزت راسها وقالت افعل ما انت فاعل فاني لا افكر بك وان شئت ان تغدر بي وانا بالحرب فاني متحذرة منك وها ان سلاحك معك وسلاحي معي فاذا اردت القتال فهلمَّ فاما ان تقتلني واما ان اقتلك . قال ليس لي في قتلك نفع

ثم انهُ تركها وكرَّ راجعاً الى صيوانه وفي قلبه لهيب النار يتوقد واحشاؤهُ تتمزق من شدة ما لاقى منها من الاهانة والاحتقار وهو ينظر في الطرق التي توصلهُ من قهرها واغتصابها من نفسها وكانت افكارهُ القبيحة تزين لهُ الطمع والحصول على غايته وتزيد من اهتمامه بنوال المراد ومن شدة غيظه ذهب الى صيوانه ولم يجتمع باحد كل ذلك النهار ولا رضي ان يرَ احداً الى ان كان المساء واسود الليل فكثرت به الهواجس وقلق القلق الزائد وراى في نفسه انهُ اذا مضت تلك الليلة ولم ينفذ غايتهُ في طوربان يموت كيداً وقهراً ولذلك دعا بكبير عبيده وكان اسمهُ عدو الامانة فاحضره اليه وقال لهُ اني اذخرك لمثل هذا الوقت والان اريدك ان تسرع الى

طلبي وتسعى في غرضي ولك مني مهما طلبت . وكان عدوُّ الامانة شديد الغدر والخيانة يعرف ابواب الحيل والخداع . فقال مرني يا سيدي بما شئت فاني اقضيهُ لك ولو كان بذلك ذهاب روحي . قال اعلم اني احب طوربان بنت افلنطوش وقد صرفت الجهد الى مرضاتها واقناعها فلم تقنع ولا رضيت بل اكتفت باهانتي واحتقاري وعملت على ذلي وتوبيخي حتى طلبت نفسي الانتقام منها واغتصابها وقهرها ولم اكن ارى وسيلة الى ذلك اقدر ان اخفي بها عملي عن ابيها وخدمها واريد ان يتم ذلك في هذه الليلة . فقال العبد ان ما ترغبهُ يا سيدي سهل وعندي لهُ طريقة حسنة وهي ان كبير عبيد طوربان هو ابن عمي وبيني وبينهُ مودة عظيمة ولا يقدر احدنا ان يفارق الاخر ففي كل ليلة بعد نصف الليل اما يجيءُ عندي فاشربهُ الخمر واياهُ مع جماعتي العبيد واما اذهب اليهِ انا واقيم عندهُ على الحظ مدة ثلاث ساعات بعد ان اوكل بالمحافظة على الصيوان جماعتي العبيد . ففي هذه الليلة اذهب اليهِ واجتمع بهِ عند صيوان طوربان مع جماعتهِ العبيد فاضع البنج في الخمر ومتى سكروا رفعتهم مع عبيدي الى البرية فيخلو صيوان طوربان ويمكنك ان تذهب اليها وتنال غايتك منها . قال ان بقاءها في الصيوان يبين قومها مما يظهر الامر وربما لم اقدر ان اتمكن منها وعندي ان تاخذ صيوانًا الى البرية خلف اكمة مستترة تنصبهُ هناك وتاخذ طوربان وهي نائمة الى هناك فتوثقها وتربط ايديها وتبقى على محافظتها الى مساء اليوم الاتي فاذهب اليها واصرف ليلي معها وهي واعية لنفسها لكنها مقيدة الايدي وبذلك اقهرها وانال ما انا طالبهُ وبعد ذلك اعتقك من رق العبودية وازوجك بالجارية التي تريدها واعين لك الاموال الغزيرة . فلما سمع عدو الامانة كلام سيدهِ فرح الفرح العظيم وقال لهُ سوف ترى ما يسرك

ثم انهُ اخذ اربعة من عبيدهِ وبعث صيوانًا مع عبيد اخر واوصاهم ان ينتظروهُ خارج المعسكر في مكان عينهُ لهما وبقي سائرًا الى ان قرب من صيوان طوربان فاوقف العبيد الذين معهُ وسار هو وحدهُ حتى وصل من العبيد فسلم عليهم ودنا من عبد طوربان وقال لهُ اعلم يا ابن العم اني في هذه الليلة جئت قبل الوقت لاني كنت بشوق زائد الى رؤياك اتمنى ان اشرب الخمرة معك وارى من نفسي اني مسرور جدًّا ولا يطيب لي الحظ الاَّ بالقرب منك نتعاطى الكؤوس معًا . فقال بارك الله فيك واني بانتظار ذلك غير اني ارجوك ان تصبر عليَّ الى ان تنام سيدتي لاني اراها في هذه الليلة قلقة وفي كل برهة تدعوني اليها وتوصيني بالمحافظة والتيقظ . فقال لهُ اني انتظرك حتى الصباح فما من عائق يعيقني لان سيدي قد نام ولا يقوم الى الصباح ووكلت بالمحافظة عليهِ اتباعي . وكانت طوربان متكدرة متاثرة في تلك الليلة مما جرى بينها وبين زوبين الغدار وهي حزينة جدًّا تتمنى البعد عن المعسكر والرجوع الى المدائن او القيام في مكان اخر

بحيث لا تراهُ ولا يراها وقد شغل فكرها من بعدهِ ووعيدهِ لانها كانت تعرف انهُ غدار خبيث جدًا في الاعمال قبيحها ولهذا كانت توصي العبد بان يبقى متيقظًا لتصرف تلك الليلة حتى اذا جاء اليوم التالي اخبرت اباها بعزمها على الرجوع الى المدائن وبعدت عن زوبين هذا . وصرفت اكثر من ثلاثة ارباع الليل وهي ساهرة قلقة الى ان تغلب عليها النعاس وفتك بها سلطانهُ فنامت وغرقت ببحر ثبات عميق . ولما تيقن عبدها انها نامت جاء عدو الامانة وقال لهُ اني اعجب من مولاتي فانها لم تفعل في كل حياتها مثل هذه الليلة فانها خائفة جدًا على نفسها ولا اعلم ممن ولولا تغلب النعاس لما نامت او لو كان عندها من يسليها لبقيت الى الصباح . فقال لهُ دعها نائمة وهيا ادعُ جماعتك العبيد لنشرب الخمر معًا ونبقى محافظين عليها الى النهار اجابة لطلبها . فاحضروا الخمر واجتمع العبيد حول عدو الامانة فاخذ يسامرهم ويحكي لهم القصص والنوادر ويشغلهم ويلهيهم حتى تمكن من وضع البنج بالزق وهو متضجر قلق على الوقت الذي يمضي وقد خاف كثيرًا من ان تنقضي تلك الليلة ولا ينال مرادًا ولا يتوصل الى غايتهِ ثم سكب الخمر وناول كل واحد منهم قدحه بدوره وصبر عليهم نحو خمس دقائق واذا بهم قد وقعوا الى الارض كالاموات . ففرح مزيد الفرح ونهض الى جماعتهِ العبيد فدعاهم اليهِ وامرهم ان يشدوا عبيد طوربان ويحملوهم في الحال الى الخارج ويخفوهم في المغائر وينتظروهُ في البرية ففعلوا ودخل هو الى الداخل فوجد طوربان نائمة على سريرها فلفها بالفراش وربطهُ من الخارج وقد اخفاها داخلهُ وهي غير ظاهرة وفمها مسدود بطرف الفراش وحملها على عاتقهِ واسرع يركض الى خارج المعسكر وكان صيوان طوربان منفردًا عن باقي الصواوين وكانت تقصد بذلك البعد عن ان ترى زوبين في غير صيوان ابيها وبقي عدو الامانة يعدو بها حتى التقى بالعبد الحامل الصيوان فسارا حتى جاءا خلف تلك الاكمة فنصبا الصيوان وانزل طوربان وهي ضيقة الانفاس على آخر رمق من الحياة فرفع الفراش عنها واوثق ايديها وسقاها الماء فوعت الى نفسها والتفتت يمينًا وشمالاً فلم ترَ الا ذاك العبد فقالت لهُ ويلك من جاء بي الى هنا ولما ذلك قال ان الذي جاء بك الى هنا هو انا عبد زوبين الغدار صاحب العظمة والفخار وقصدهُ يغتصبك وبذلك لتعلمي من نفسك كيف تكون نتيجة عداوتهِ . فقالت لهُ ويلك وماذا يكون من امرك اذا رجعت الى المعسكر فاني بدون شك اقتلك شرّ قتلة واقتل معك زوبين الخبيث المحتال وهل يظن انهُ يتمكن مني وانا بقيد الحياة قال انهُ ينال غايتهُ باسهل الطرقات لانك موثوقة لا تقدرين الدفاع عن نفسك وباي شيء يا ترى تدافعين ومتى نال ذلك فلا ريب انك ترضين بزواجهِ وتصبحين سيدتنا ومولاتنا ويكون لنا الفخر الاكبر بعملنا هذا عندك وسوف تكافينا عليهِ المكافاة العظيمة مع اني امين على مطالب سيدي ولا بد من اتمام اوامرهِ ولو كان بذلك هلاكي ولا

ويب انك تعلمين اني خادم ومفروض عليّ طاعة سيدي وقد عملت الواجب ولا اعرف ما يكون بينك وبينه

ثم انه اعرض عنها وتركها تعض على شفتيها تحرقًا والمًا من فعل هذا الماكر المحتال وقد علمت انها وقعت في حبالهِ وخبث اعمالهِ وانهُ اذا جاءها زوبين ينال مرادهُ منها فبذلها وتلتزم بعد ذلك على قتل نفسها واخفاء امرها وجعلت تبكي على تهاملها بامر نفسها . وخرج عدو الامانة الى خارج الصيوان وارسل العبد فجمع باقي العبيد وسالهم ماذا عملوا . فقالوا له اننا اخفينا العبيد في المغائر . فابقى عندهُ عبدين وارجع الباقين الى المعسكر واوصاهم ان يدخلوا على زوبين سرًّا ويخبرونهُ بما كان وانهُ يبقى محافظًا على طوربان الى ليل اليوم القادم ولا يدع احدًا يطلع على امره، او يعرف اين هي ولا سيما ان الصيوان بمكان منفرد عن الناس وراء اكمة عالية لا يظن انها هناك وان ما من احد اطلع على هذا السرّ الاّ العبيد . وكان نور الصباح اخذ في ان يظهر شيئًا فشيئًا فعاد العبيد حسب امر سيدهم وجاءوا الى المعسكر ودخلوا على سيدهم واخبروه بكل ما كان من امرهم وما فعلهُ عدو الامانة وانهُ عند طوربان بالصيوان ففرح مزيد الفرح وسقط عن قلبهِ هم عظيم وتكدر من حلول النهار وجعل ينتظر انصراف ذاك اليوم ويذهب بانواره وياتي الليل بظلامهِ فيسير تحت اجنحتهِ لارتكاب القبيح ونوال المراد وكان يرى ان كل دقيقة اطول من سنة وهو يحاول ان يخفي امر طوربان عن ابيها ويشغلهُ عن السوال عنها والبحث عن امرها الى ان وصل الصباح الى افلطوش وهو في صيوانهِ واخبر ان عمر اليوناني في وسط المعسكر يقاتل ويناضل والى جانبهِ طوربان تفعل كفعلهِ . فطار عقل زوبين الغدار وهو لا يصدق بمثل هذا الخبر واسرع مع افلنطوش الى ساحة القتال

قال وكان عمر اليوناني كما تقدم معنا انكلام يصيح وينادي انا عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان وقد جئت لانتقم منكم لغدركم بطوربان وهو يطرد الجيوش فتسير بين يديهِ كانها قطيع من الغنم وهي تزدحم وتتساقط من كل الجهات وطوربان تحمي ظهرهُ ولا تدع احدًا يقرب منهُ وتمدد الرجال على بساط الرمال وتنزل بهم الهلاك والوبال وهي متعجبة من صبر حبيبها على القتال وبراعتهِ في فنون الحرب خائفة من ان يقع في ايدي قومها لانهُ وحيد وهم كثيرون ولذلك صاحت بعمر العيار وقالت لهُ دع عنك القتال واسرع الى الامير حمزة واخبرهُ بامر ابنهِ قبل ان يصل ابي وزوبين الغدار وتحمل العساكر برمتها عليهِ وانا وعمر اليوناني نقدر على الثبات والبقاء الى حين تاتون . فقال لها لا تفارقيهِ الى ان اعود . ثم انطلق حتى جاء معسكر العرب وصاح باخيهِ حمزة وقال لهُ ويلك ادرك ابنك فانهُ في وسط الاعداء وقد فعل بهم العجائب وانزل بهم النوائب ولا بد ان يقع بهِ التعب فيصاب بنائبة او يقع بيد الاعداء وقد توافق

مع طور بان بنت افلنطوش وهي تقاتل معهُ وتحمي ظهرهُ فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابهُ وغاب وعيهُ واسرع الى جواده فركبهُ وحمل على معسكر الاعجام وحمل من خلفهِ اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وكل فارس وبطل عربي وعندما وصلوا الى ساحة القتال وجدوا ان قبائل العجم قد حملت باجمعها على الامير عمر اليوناني وافلنطوش يحركها ويصيح بها ان تتقدم منهُ وتحمل عليهِ وزوبين الغدار مع طوربان في نزال ومحاولة وهي تطلب ان تقتله وهو كذلك وقد امتلأ قلبهُ حنقا منها وكره في الحياة الاَّ انهُ لما سمع صوت الامير حمزة وشاهد حملة العرب ترك طوربان وغادر بين قومهِ وكان القتال عظيمًا والنزال جسيمًا وقد اتسع المجال على الامير عمر اليوناني عند وصول ابيهِ وقومهِ ومباشرتهم القتال فجعل يخترق الصفوف ويطعن في الميئات والالوف وطوربان الى جانبهِ وقد دفع اليهما عمر العيار جوادين فركباهما ودام القتال الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى المنازل والخيام ودعا حمزة بولدهِ وباخيهِ عمر العيار ولامهما على مثل هذا الجهل وقال لاخيهِ اما أوصيتك في المرة الاولى ان لا تذهب بولدي الى المخاطر. فقال انهُ ليس انا الذي ذهبت بهِ بل هواهُ ونصيبهُ وقد حصل على ما هو طالب ونال غايتهُ لانهُ كان يقصد ان يرى طوربان فحصل عليها وجاء بها وهي هنا الان ويقصد ان يتزوج بها وما سرت معهُ الا خوفًا عليهِ. ثم ان عمر العيار حكى لحمزة كل ما توقع لهُ مع ابنهِ وما ترفع لهما مع الاعداء وكيف رايا طوربان موثوقة في البرية تقاسي الذل والهوان. فدعا حمزة بطوربان ونظر اليها فوجدها على جانب عظيم من الحسن والجمال وهي اشبه الناس زوجتهِ مهردكار وكان قد راها وسط القتال وشاهد منها اشتداد ساعدها وقوة باعها وخبرتها من الحرب والقتال فعلم انها تليق بولدهِ واحبها كثيرًا واستعاد منها حديثها. فاخبرتهُ بما كان من امرها مع زوبين مذ اتيانها الى معسكر كسرى انوشروان الى ان خلصها ابنهُ. فقال لها اني أعرف ان هذا زوبين من اكثر الناس غدرًا وخداعًا وما ذلك الا لانهُ يعبد النار ولو كان على دين الحق ويعبد الله العزيز الجبار لما يقدم على مثل هذه الخيانة واني اسالك الان الزواج بولدي فهل ترضين ذلك عن طيبة خاطر ورضا لان شريعتنا تحرم الزواج الاَّ برضا الزوجين. قالت اني بطلب مثل هذا الشان تركت معسكري وابي واهلي ليكون نصيبي سعيدًا كنصيب بنت عمي مهردكار. قال لكن بقي عليك ان تتركي عبادة النار وتتمسكي بحبال الله وتسلكي على حسب شريعتهِ. قالت اني فعلت ذلك وعاهدت ابنك عليهِ. ثم دعا بولدهِ وعرض عليهِ زواج طوربان. قال هو الغاية والمراد فاني ما سرت الى قبائل الاعجام الاَّ لاراها واعرف هل هي كما قيل لي عنها او انها بخلاف ذلك فوجدتها فوق ما وصفت وقد سهلت لي العناية طريق الوصول اليها وهي بحالة مكدرة تحتاج الى مساعدتي فانتشلتها من العار. ففرح

الامير حمزة وعزمه بان يزف طوربان من ابنه في مدينة حلب وامر ان توخذ الى قصر يليق بشانها تبقى به الى حين سنوح الفرصة وذلك بالقرب من مهردكار . فاخذت وجاءت اليها مهردكار وسلمت عليها وقالت لها حسناً فعلت يا بنت العرفان العرب قوم اصحاب وفاء وزمام لا يهينون الزوجة ولا يظلمونها ولهم الشريعة المطهرة والناموس الحقيقي يبذلون كل النفيس والنفائس في المحاماة عن العرض ورفع الاذى بخلاف قومنا الاعجام فان لا اعتبار لمثل ذلك في صدورهم فيكرمون الزوجة احياناً واحياناً يتخلون عنها لغيرهم كانها غريبة منهم وفي نياتهم ان غيرها تقوم مقامها . قالت اني عرفت ذلك واعرفه ولا سيما ان الفرق بين من احببته واحبه وبين زوبين الغدار لا بل عموم رجال الفرس عظيم جداً واني اهنئ نفسي بذلك واهنئك على ما سبق منك في مراعاة صالح نفسك والنظر في راحة حياتك

ولما هدأ روع طوربان واختلت بنفسها نظرت الى فعلها والى تركها ابيها وقومها نظر المضطرب وقالت ماذا يا ترى يقول عني ابي وهو يجهل السبب في ذلك نعم انه ينسب لي الخداع والمكر والخيانة ويغضب عليَّ وصرفت وقتاً تفكر في ذلك وفي كل خاطرها ان اباها لا يعرف بفعل زوبين فارادت ان ترسل له كتاباً تطلعه به على باطن القضية وظاهرها وتشرح له عما فعله معها زوبين الغدار من الاول الى ذاك اليوم وما نوى على عماه فكتبت كتاباً في ذلك وقالت في اخره ولا تعتب عليَّ يا ابي فيما فعلت فاني اصبحت اسيرة لغلام من اشد فرسان العالم بسالة بحيث خلص حياتي من العار والذل فملت اليه حباً باعماله وكرهاً بزوبين الغدار الخبيث ورايت ان الراحة وحفظ الشرف بالبعد عنه . وبعد ان فرغت من الكتاب دعت بعمر اليوناني واخبرته بذلك وقالت له اريد منك خادماً يسير الى ابي يدفع اليه هذا الكتاب ويعود من حيث ذهب فدفع الكتاب الى عبد اخذه وسار حتى وصل الى افلطوش في صيوانه وعنده زوبين الغدار وهو في حالة جنونية وضياع عقل وقد هان عليه فقد الحياة وتمنى الموت على ما يلاقي من عناد التدابير وثبت في ذهنه ان طوربان ستفارقه الى الابد ويكون من امرها كابنة عمها مهردكار . فدفع الخادم الكتاب الى افلطوش فاخذه وقراه فزادت بقلبه نيران الغيظ وقال لزوبين هل وصل بك الغدر الى مثل هذا الحد حتى نويت ان توقع ببنتي وتلبسني العار مع انك كنت قادراً ان تطلعني على امرك فاجبرها ان تتزوج بك بطريقة شريفة . قال ان ما تزعمه هو على غير الصحيح لاني رجل احافظ على الشرف العجمي جداً وان الذي فعل هذا الفعل العبيد . ولا بد من ان اباكر في الغد الى القتال وابذل المجهود لاسترجاع طوربان وحينئذٍ تفحص عن سرّ هذه المسالة فيظهر لك الحق من الباطل . وكان افلطوش يعلم بغدر وخيانة زوبين فثبت عنده ان هذا الفعل فعله وان لا احد يجسر ان يصل الى الايقاع ببنته

ويحمل مثل هكذا امر الأ هو الأ انه سكت على غيظه وقد راى نفسه محتاجًا اليه والى رجاله وخاف من الانشقاق والتفليت وترك هذا الامر الى وقت اخر

ولما كان صباح اليوم التالي نهض العجم من مراقدهم وامر زوبين بضرب طبول الحرب والكفاح وهو يريد ان يلقي بنفسه في ميدان الاخطار فاما انه يفوز بالمقصود واما انه يرتاح من الانكيس الحاصل له . وكذلك العرب فانها عند ما رات غاية العجم بالقتال امر الامير حمزة بضرب طبول القتال وركب على جواده اليقظان وركب عمر الاندلسي والملك النجاشي واندهوق بن سعدون وعمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وكل فارس وبطل وحالما وقعت العين على العين . حمل كل من الطائفتين . وقوم السنان . واطلق العنان . فاختلط العربي بالعجمي . والحبشي بالديلمي . وقامت الحرب على ساق وقدم . وحكم سلطان العدم . وجار فيها حكم واستبد وظلم . وقسى وما رحم وسلم بهلاك وفناء تلك الامم . التي اقلقت راحة السلام . ولم يكن لعنادها وقتالها نهاية ولا ختام . فاندفقت الادمية في افنية الارض كالانهار . واختلطت اجساد المقتولين بالتراب والاحجار . حتى ضاقت منها الصدور ووقعت تحت قضاء الله المقدور . وسلمت انفسها تسليم المؤمن الى القضايا وقربت نفوذها على مذابح الفوز ضحايا ولا زال القتال يعمل والدم يبذل الى ان اقبل الزوال وحان اوان الفراغ من القتال . فضربت طبول الانفصال . ورجع كل من المتقاتلين في الحال . وقد قتل في ذالك اليوم من الاعجام الكثير ورجعوا مقهورين مذلولين الى ان كان صباح اليوم الثاني اصطفت الصفان وترتب الفريقان وهجما على بعضهم البعض حتى ارتجت جنبات تلك الارض ودار دولاب الحرب . وتبادل الطعن والضرب . طول ذالك النهار حتى كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان ودام القتال سبعة ايام حتى وقع بعساكر الاعجام الفناء وامتلأت السهول من القتلاء وراى افلنطوش ما هم عليه من التاخير والتعب فايقن بالهلاك والوبال . فجمع اليه زوبين الغدار وقال له اين اصل هذا الشر انت وقد ابعدت عني بنتي ولم تنفع بامر لان العساكر اصبحت على وشك الانقراض والتاخر ولم نر وسيلة الخلاص من الاعداء فوقع هذا الكلام على زوبين اشد من ضرب الحسام . وقال له اني وعدت بخلاص طوربان ولابد منه وانا اعرف ان النصر يكون لنا اذا قتل حمزة وقد جربت القتال معه مرتين فتوفقت الى قتله ولا بد في المرة الثالثة من النجاح غير انه من الواجب ان تبعث الان بكتاب الى العرب تسالهم المدنة الى عشرة ايام لندفن قتلانا ويكون العسكر قد ارتاح واطمأن نوعًا ما ورجع اليه بعض قواه

قال فراى افلنطوش ان ذلك صوابًا فبعث بكتاب الى الامير حمزة يساله ترك القتال

عشرة ايام لكيما يكونوا قد دعوا المدعوين فاجاب الامير سؤاله وكان في نيته ان يزف ابن علي طوربان في هذه المدة حيث كان قد تولع بها اكل التولع واحبها الحب الشديد وصار لا يفارقها الا حين القتال وهي لا تقصر على بعده . واذ ذاك دعا اليه السادات والاعيان وقال لهم اني اجبت اخلنطوش الى طلبه املاً ان تصرف هذه الايام بالافراح والمسرات فنزف ولدي علي طوربان لاني احب ان لا يقاسي ما قاسيت ولا يلاقي ما لاقيت من حب مهردكار ولذلك سنبتدي بالعرس منذ الغد . فسر الجميع لذلك ولاسيما عمر ابيوناني فانه ابقن بقرب نوال المراد ممن احبها قلبه على صغر سنه وولع بها اكل الولوع واحبها الحب الزائد وذهب اليها وهي جالسة بانتظاره وقال لها لقد آن اوان الاجتماع وحل وقت الزفاف وقد امر ابي ان يكون في هذه الايام ولذلك تر بني مسروراً جداً ولا ريب انك تشاركيني في هذا الفرح . فقالت له ان قلبك يدلك على عظم سروري . وان كان من الواجب علي ان لا ... لبعد اهلي وابي واني سازف بك كاسيرة بيدك او كاتبة احد اعدائكم غير ان ثقتي ... حبك تدفعني الى التمسك بحبال الامل الطويل الوطيد ان اكون الان وعلى الدوام اسيرة حبك واعاملك معاملة المحبوب الامين فانت سيدي وفخري وابي وامي لا بل انت السند والمحبوب والرجاء والامل الوحيد . ثم بكت وانشدت قائلة

دنوّاً لقد اوهى تجاديَ البعدُ ... وصلاً فقد ادمى جوانحيَ الصدُّ

اجنُّ غراماً فيك خشية كاشحٍ ... من مدمعي ودق وفي كبدي وقدُ

وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى ... لكن الى ان يجزع الاسد الوردُ

فيا من يبين الرشد فيمن احبه ... ... يلتقي الحب المبرح والرشدُ

تلاعبت بالاشواق حتى لعبن ... ... كنت ادري ان هزل الهوى جدُّ

بليت ... بادل القد ... ... لي رهنا قد رق لي الحجر الصلدُ

اذا جئته ... لست ... ... باشجان على مثلها اغدو

تهددني من مقلتيه اذا ... واغضب مهما يصنع الله لا الهند

حداد يلوح الموت في صفحاته ... ماض لنا في كل جارحةٍ غمدُ

كأن عليها القتل ضربة لازب ... ليس لنا ما تحاوله بدُّ

نعلم منها الدهر صولة فاتك ... ... ترداد فتكاً وتشتدُّ

كأنها في حلبة الضيم فارساً ... ... وكل منهما سابق بعدو

... فزع من جور الخطوب والتجني ... بعدل ... اضحى له الحل والعقدُ

تصدى لنصر الدين بعد انخذاله ... ... اعقابه الزمن الوغدُ

اعني ايا ابن الكرام فانني غريبة قوم انت لي العون والقصد

فضمها اليهِ وقبلها ومسح دمع عينيها وطيب بخاطرها وهو يعرف انها مولعة بهِ كل الولع شديدة الحب وصرف اكثر ليلهِ عندها على شرب العقار ومناشدة الاشعار . وفي اليوم الثاني اخذتها اليها مهردكار ووضعتها في قصرها واصلحت شانها . واخذ العرب في عمل زفاف ابن الامير حمزة وكلهم فرحون بذلك يرقصون ويطربون ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويشربون الخمور مدة سبعة ايام وفي اليوم الاخير عقد للامير عمر على طوربان بحضور سادات العرب وقضاة حلب ودخل بها وامتلأ من حسنها وجمالها وصرف نحو ثلاثة ايام عندها لا يخرج من القصر وهما على اهنى ما يكون من لذة العيش وقتلا الهجران بطيب الوصل والتقرب . وبلغ في اليوم الاخير افلنطوش ان ابنته زفت على عمر اليوناني ابن الامير حمزة فتكدر جداً وكاد يفقد صوابه وكذلك زوبين الغدار فانه اصبح كالمجانين وانقطع امله وانفطر فؤاده وهان عليهِ الموت بعد ذهاب طوربان من يده وهو صابر على لوم افلنطوش وتوبيخهِ له . وما صدق ان حان يوم القتال حتى نهض هو قبل الجميع وركب على جواده وامر بضرب طبول الحرب والقتال فضربت ونهضت الاعجام الى خيولها فركبتها وفعل مثل ذلك العرب واصطف الصفان وترتب الفريقان وعولت العساكر على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد سقط الى وسط المجال وهو فوق جواده مدجج بالسلاح فصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان . ثم انه وقف في الوسط ونادى . هيا يا سادات العرب فابعثوا الي باميركم حمزة وغيره لا اريد فاما اني اقتله واريح كسرى من شرهِ واما اني اقتل واكون قد لاقيت جزائي منه . ونظر الامير حمزة الى زوبين الغدار وهو في وسط الميدان وتعجب من امره وهو لا يصدق انه هو ذاته ولذلك اسرع اليهِ خوفاً من ان يندم على البراز ويرجع من ساحة القتال . ولما صار امامه قال له ويلك يا زوبين الى متى وانت مختفٍ عني وانا اتمنى ان اراك وما الذي حملك على البراز اهل رايت طريقاً آخر للغدر بي والخيانة اجاب اني عرفت ما فعلت معك ولذلك جئت كما تراني واطلب اليك اذا قدرت عليَّ ان تقتلني لاني ارى الى ذنوبي وقد وضحت امام اعيني لاهانتي فاستعد الان فليس في وسعي الكلام فانه يزيد احزاني واكداري ويضعف قلبي ويذكرني بخيانتي . فانحط عليهِ الامير انحطاط البواشق وانقض عليهِ انقضاض الصواعق واخذ معهُ في القتال والحرب والنزال . وهو يراقب كل حركاته ويخاف من غدره وخيانته وزاد عليهِ الدرهم قنطار وضيق في وجهه واسعات تلك القفار حتى ايقن بالهلاك والبوار وشاهد الموت يحيط به احاطة السوار وعرف ان حمزة في هذه المرة لا يترك له طريقاً للخلاص ولا ينخدع اذا اراد خداعهُ ولا يقدر ان يحفظ نفسهُ من الهلاك الاَّ اذا سلم نفسهُ اسيراً ولذلك صاح الامان الامان يا فارس الزمان وجوهرة

الفضائل والاحسان . فها ان سيفي بين يديك وروحي مسلمة اليك . ثم رمى بسيفه الى الارض ووقف ذليلاً فاغمد الامير حمزة سيفه في الحال وانقض عليه وقبضه من جلباب درعه ورماه الى الارض واذا بعمر العيار قد انقض عليه واوثقه ورجع به الى الخيام وفي تلك الساعة حمل عمر اليوناني وحمل من خلفه فرسان العرب وداروا بالاعداء من كل الجهات وانزلوا عليهم انابيب الويلات وقيدوهم بحبال الشدات ولا زال القتال دائم وعزرائيل الهلاك قائم حتى اقبل الظلام . وقد تقهقر العجم الى الخيام وايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كاس الحمام . فرجع عنهم العرب الى المنازل وهم متيقنون ان حالتهم حالة ذل وويل وانهم ما عادوا ينفعون لقتال ولا يقدرون على المقاومة

وبعد ما رجع الامير حمزة الى الخيام نزل في صيوانه اي صيوان اليون شاه وكان العرب من كبيرهم الى صغيرهم فرحون باسر زوبين الغدار ويتيقنوا ان الامير لا بد ان يقتله اشر قتلة ولذلك كانوا قد ازدحموا الى الصيوان ينتظرون امر الامير بالاتيان به وكان زوبين نفسه يعتقد انه هالك في تلك الليلة وانه لا بد من وقوع نظر الامير عليه يقتله في الحال . ولما انتهى اجتماع الامراء والملوك في الصيوان . قال الامير لاخيه عمر العيار اذهب واتني بزوبين الغدار فسار واحضره وهو مقيد الايدي والارجل والناس تزدحم حواليه من كل الجهات حتى أُدخل به الصيوان . فوقف بين يدي الامير حزيناً واطرق الى الارض واظهر على نفسه الذل والكآبة فقال له الامير حمزة . ماذا رايت من نفسك يا زوبين وهل ثبت لديك ان عاقبة الغدر وخيمة ذميمة . قال اني عرفت ذلك من قبل ان بارزتك ولذلك سلمت بنفسي لاخلص من حياتي الذميمة وقلت في نفسي اذا قتلني الامير نلت ما انا مستحقه وجازاني على شري واذا عفى عني اكون قد تخلصت من خدمة العجم ومن قباحة دين النار الذي لا يمنع من الغدر ولا يعد عمل الخير فاعيش عنده وفي خدمته . وذلك لاني كنت احسد فرسانك وابطالك الذين بين يديك يخدمونك ويتقربون منك وهم معظمون مفضلون . قال كيف يمكن ان اصدق صفاء نيتك وصدق قولك بعد ان رايت ما رايت من غدرك بي وما اوصلت اليَّ من الشرّ وانت توسم بالغدار . قال اني لا الام على غدري بك لاني اعرف واعترف انك اشد مني باساً واقوى مراساً ولا اقدر ان اكيدك في ساحة القتال ولا يمكني ان اتخلى عن حربك حيث كان اوصلني الطمع الى ان اعد نفسي زواج مهردكار وبعدها بطوربان ولو كنت انت مكاني في مثل ذاك الوقت لفضلت الموت على عباد الرمان . ولا سيما اني كنت اوائثر على عبادة النار والآن وطدت كل العزم على عبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار وهذا الذي يجعلني ان اخبرك بالصدق وافضل الصحيح على غيره وكفاك شاهداً برازي اياك وطرح نفسي بين يديك مع انه

بمكان في وسعي ان ابقى مختفياً بين قومي واذا انهزموا انهزمت معهم وعدت الى المدائن انتظر الفرص . فقال له حمزة ان كنت تومن بالله سبحانه وتعالى وتعتبر وصاياه وترضى بان تكون معنا عفوت عنك وجعلت لك مقاماً بين رجالي وابطالي . قال ان ربك يشهد علي ان لا اتكلم الا الصحيح واني لا اخفي في باطني شراً . . . . قط وما انت قادر علي فاما ان تميتني فبحقك واما ان تبقي علي فمن كرمك وعدلك . قال حمزة اني عفوت عنك وتركت لك جريمتك واعدت اليك سيفك فتكون بين رجالي . . . . وانزع عنك اسم الغدار واسمك بعبد الله زوبين . فلا يكون اسمك منذ هذه الساعة . هذا ولا ريب انك اسرّ من ذلك

قال ولما سمع الفرسان كلام الامير و . . . عن زوبين . دار بينهم الحديث وتعجبوا من عمله وما . . . عليهم بقاء زوبين حيًّا . . . عمر العيار لما هذا العفو على نحن بحاجة لمثل هذا الخائن الغدار وهل تظن ان ما . . . ق واني اقسم بالله العظيم انه يقصد الشر والخداع كسابق عادته فما من نفع في حياته . . . ان نقتله ونريحنا من شره وكذلك قال باقي الابطال والرجال الذين في الصيوان . . . تعلمون ان قتل الاسير حرام ولا سيما انه يقول ويوكد بانه قبل الايمان وصار من . . . فكيف كان الحال فقتله يحسب اثماً علينا وخطيئة . واذا كان يخفي خلاف ما اظهر . . . ريعاملة الله . ثم نهض في الحال واطلق قيد زوبين وارجع اليه سيفه واعد له مكاناً بين . . . ومنهم من يريد ان يقرب منه او يحاكيه بليح ولا بباطل . وقد تعجب الجميع من . . . باطن الامير وحلمه وحسن طويته وعدله وحبه الله واعتقاده واعتباره لارادته . واما زوبين فكاد يطير من الفرح وايقن بنوال المراد وبلوغ الغاية واعد له الامير حمزة مكاناً يقيم به فنام تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني جاء الى صيوان اليون شاه فوجد الامير حمزة والفرسان قد جاءوا واقام كل واحد في مكانه فسلم عليهم وجلس . ثم قال للامير اعلم يا سيدي انه لا خفاك ان افلنطوش قد رحل عن هذه الديار في الليل وسار الى جهة المدائن وقد خطر لي ان اتبعه فاما ان اقنعه واجبره ان ينقاد الى عبادة الله سبحانه وتعالى وينضم الينا ويعادي ابن عمه كسرى انوشروان واما ارجع بقومي ورجالي لانهم ساروا معه ويكونون عوناً لنا . وليس من العدل ان اتركهم بيد الاعجام وبينهم وقد جئت استشيرك بذلك فاذا سمحت لي فعلت . قال اما الاتيان برجالك فلا باس به فهو لازم واما اقناع افلنطوش فهذا لا اظنه ولا يمكن لانه من عائلة الاكاسرة وعبادة النار مزروعة في قلبه قال اني اعرف ذلك ولكن اعرف ايضاً انه يموت دينه وبلاده ورجاله وكل ما هو عزيز لديه اذا قدر ان يكون قريباً من بنته يراها في كل يوم لانه يحبها محبة تفوق محبة الالهة . قال له اني اسمح لك فافعل ما انت فاعل . فركب عبد الله زوبين في الحال وسار في طريق المدائن

تكيمل المدرسة عساكر الاعجام

وكان افلنطوش في تلك الليلة قد حدثته نفسه بالهرب ورأى انه اذا بقي يوماً اخر هلك واهلك كل رجاله وثبت في ذهنه ان الامير حمزة لا يبقي على زوبين ولا يتركه دقيقة في قيد الحياة وعليه فانه امر رجاله ان تستعد للرحيل بعد نصف الليل وتسير على طريق المدائن وهو منكدر كل الكدر على فراق بنته وعلى مصابه وتاخره . وبعد نصف الليل باكثر من ساعة ركب وركب من تبقى معه من فرسان العجم وساروا في طريقهم وعند الصباح افتقدهم العرب فما راوهم ولا زالوا سائرين الى قرب الظهر وحينئذ ادركهم عبد الله زوبين وتبينوه عن بعد ففرحوا وللحال امر افلنطوش بان تقف العساكر فوقفت فرحة الى ان دنا منهم واجتمع بافلنطوش فسلم عليه وهناه بالسلامة وقال له كيف خلصت من بين يدي حمزة . قال اني قبلت كلمة الايمان وعبدت الله سبحانه وتعالى فوجدت في ذلك لذة عظيمة وقد صرت منذ الان على دين حمزة ومن رجاله اقاتل بين يديه وجئت لاطلب اليك ان تجاريني في هذا العمل وتتفق معي على عبادة الله وترك عبادة النار والتخلي عن كسرى انوشروان فتجد في ذلك لذة كبرى وتنال الخير العظيم فضحك افلنطوش منه وقال له بارك الله لك بهذا الدين الجديد ودامت عليك نعمة واما انا فلا تطمع نفسك بي فاني ساسير الى كسرى وعندي انك تسير معي وهناك ندبر في امر هلاك العرب . قال هذا لا يمكن فارض بما اعرضه عليك وسترى ما يسرك من امر العرب وسيدهم . وكان زوبين يتكلم بجد حتى توهم الجميع انه عبد الله وترك عبادة النار وصار من رجال حمزة الا انه لما اختلى بافلنطوش قال له انظن اني اترك ما انا عليه واعادي كسرى واجاري العرب على دينهم وانضم اليهم . غير اني وجدت من الحيلة ان اكون واياهم على اتفاق والقي عدهم الى ان ينسوا ما فعلت معهم ويامنوا اليّ واذ ذاك اغدر بهم وادبر على هلاكهم وفنائهم فاذا شئت ان تتمم هذه الحيلة ارض بما اعرضه عليك وسر معي طائعاً الى امير العرب واعرض عليه طاعتك وانك قبلت الايمان واطلب اليه ان يدفع اليك رجالاً يعلمونك ويعلمون العساكر الايمان والشريعة ومن العجيب ان حمزة الذي يحسب في هذه الايام من اعظم العالم بسالة واقداماً واشدهم مجداً وفخراً بسيط القلب يصدق كل ما يسمع ولا يظن الشر باحد وهذا يساعدنا على نوال المراد واري من الضرورة ان تكون انت معي بينهم فيسهل علينا كلما نريد ونوقع بهم ونقتل الامراء والاكابر ولو احتملنا منهم في الاول الاهانة وعدم الركون لكننا سنلاقي فيما بعد النصر وناخذ ثارنا منهم . فاطرق افلنطوش عند سماعه هذا الكلام الى الارض ورأى ان كل ما اشار اليه زوبين عين الصواب وما من ضرر بذلك . ثم قال له اني ارضى واجيب الى طلبك فان به الخير والنجاح لكن من الواجب ان نطلع كسرى على كل ما جرى ونخبر

بامرنا وانا ما دخلنا مع العرب الا لاتمام الحيلة ونوال المراد حتى اذا بلغة ذلك يعرف نفس المسأله فلا يتكدر قال هذا لا بد منه فارسل له كتاباً الان ونحن سنجعل الرسل متواصلة بيننا وبينه . وفي الغد عد بنا الى حلب

ثم ان اقلنطوش كتب كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بما كان من امرهم مع العرب وكيف انهم تاخروا واخيرًا راوا من الصواب ان يخدعوا العرب ليوقعوا بهم ويذلوهم وهم بامان منهم ويسال منه ان يكتم هذا الامر عن الوزراء وكل احد كي لا يعرف العرب بذلك او تصل اليهم الاخبار من احد . وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان وعند الصباح عادوا الى ان جاءوا مدينة حلب وكشفوا معسكر العرب فامر زوبين رجاله ان تضرب الخيام بالقرب من خيام الاعداء وان يصيروا هم من العرب ويتصل الطنب بالطنب واعلن بينهم انهم منذ ذلك الحين اصبحوا مساعدين لحمزة ورجاله ففعل معسكر العجم كل ما اشار اليه زوبين واما هو فانه سار بنفسه واخذ معه اقلنطوش حتى جاء صيوان الامير حمزة فوجده على كرسيه جالساً كانه الاسد في مربضه ومن حوله الفرسان والابطال كل الى جهة بحسب رتبته ومقامه ولما دخل دنا من حمزة وقال له هذا هو اقلنطوش وقد صرفت الجهد الى اقناعه وبينت له حسن طويتك وحلمك وعدلك وان لنا الراحة العظيمة والمجد الاكبر بقربنا منك ووعدته لا بد ان تستولي على تخت كسرى فتعهد به اليه فاجاب وابان له انه متكدر من ابن عمه لانه لا يعاملهم بحق ولا يقدرهم حق قدرهم . ثم تقدم اقلنطوش من حمزة وسلم عليه واشار الى باقي الفرسان بالسلام فاجلسه عمر العيار في مكان يليق بشانه وقلبه يحترق من عمل اخيه . وبعد ان جلس قال له حمزة اعلم ايها الامير والسيد العظيم انا قوم نعبد الله تعالى العزيز الجبار خالق الليل والنهار يعرف ما في الخبايا ويطلع على السرائر والخفايا . فاذا شئت ان تكون معنا وبيننا وتحسب نفسك كواحد منا يجب ان تعبده وتترك عبادة النار والاصنام وكذلك كل معسكرك والذين معك من الكبير الى الصغير ولا بد ان تلاقون راحة ولذة في هذه العبادة . قال لقد اخبرني زوبين بكل ما لاقى منك من الاكرام والحلم وانك بعد ان كنت قادرًا على قتله عفوت عنه واكرمته وتركت له جرائمه العظيمة ونسيت غدره بك وخيانته السابقة فتعجبت وعرفت انك من كرام الناس ولا ريب ان من كانت هذه الصفات صفاته وهذه المزايا مزاياه يفدى بالارواح ولا يعادى وكنت قبلاً متكدرًا من زواج بنتي بابنك والان رضيت وفرحت به لانها وحيدة لي ومن العدل ان تكون زوجة لرجل مثل ابنك فتلاقي الراحة والسعادة . وها انا الان على دينكم وبين يديكم فعلمونا كل ما هو واجب ان نعمله وما انا بافضل من بنتي طوربان ولا نطيق نفسي البعد عنها لانها عندي افضل من ممالك العالم واعز من كل ما فيها وهذا احكيه لكم عن صدق قلب ونية

ولا اقصد الا الحقيقة واني منذ هذه الساعة صرت عدوًّا كبيرًا لكسرى انوشروان بحيث لم ينظر في مصلحة نفسه حق النظر ولو كنت مكانه لسلمت بكل ملكي و بلادي اليكم وجعلتكم عونًا لنا وغوثًا لدولتنا . فقال حمزة اني اشكرك على قولك ولا بد من ان ادفع اليكم الاساتذة لتعلمك وتعلم قومك شريعته تعالى لكني اقول لك امرًا واحدًا فقط . وهو ان الهنا يسالنا ان نسالم العالم ونعرض عليهم الايمان كما فعلت انا فمن قبل حرم علينا قتاله وهو لا يغش ولا يغدر به فاذا كان ايمانكم عن رضى وانكم بالحقيقة تقبلون كلمته وشريعته جازاكم بالخير وساعدكم وما ترك الكفرة تتمكن منكم والا اذا كان ايمانكم عن كذب وانكم تقصدون الشر جازاكم بمثله وانزل عليكم بغضبه وما ترك لكم باب الشر مفتوحًا بل سدَّ في وجهكم ورد كيدكم الى نحركم . ومن هذا تعلمون اني اقبلكم كاخوة بالله واترك ما تضمرون لله تعالى . ثم انه نهض الى افلنطوش وقبله وترحب به وامر فرسانه وابطاله وملوكه ان تقرب منه وتسلم عليه وتقبله وتعاهده كواحد منهم فنهض اليه الجميع وقبله كل واحد بدوره وهم يتذمرون ويتمقمقون من عمل الامير ويتعجبون من صفاء باطنه وحسن اعتقاده باللمع تيقنهم ان زوبين وافلنطوش وقومهما من الكفرة لا يؤمنون بالله سبحانه تعالى ولو سلخوا وشووا على النار وان ايمانهم كذب ولا بد من الغدر والخيانة ونووا ان يبقوا متحذرين منهم غاية التحذر على الدوام وان عمر العيار كذلك بقي محافظًا على اخيه وابن اخيه وزوجتيهما

قال وصار عبدالله زوبين وافلنطوش منذ ذلك اليوم مع اعيان معسكرهما ياتون الى صيوان اليون شاه ويقيمون بين العرب كانهم منهم ولا يظهر من امرهم شيء مكدر يجعل العرب بارتياب منهم نحو خمسة اشهر وفي كل هذه المدة كان يجتمع افلنطوش بنته ويظهر لها محبته كالعادة وفي قلبه لهيب النار كيف انها مكنت منها عدوهم ورضيت عن قصد وطوع ان تكون زوجة له دون ان يكون اباها راضيًا بذلك والرسل على الدوام متواصلة بين كسرى وبينه وهو ينتظر نتيجة هذه الخدعة . الى ان كان ذات يوم وهم جالسون بالصيوان واذا بالعبيد قد دخلوا على الامير حمزة وبشروه بان زوجته مهردكار قد ولدت ولدًا ذكرًا وهي سالمة ففرح وسرَّ مزيد السرور واعتق العبيد واجزلهم العطاء وانعم عليهم ووهب الاموال وفرَّق الذهب وبعد ذلك جيء اليه به وهو في لفافته محمولاً على ايدي العبيد والخدم فاخذه وقبله ونظر في وجهه فراه كانه البدر في تمامه عليه دلائل السعد والاقبال فامتلأ قلبه من حبه ولا سيما لانه ابن مهردكار التي احبها الحب العظيم وفضلها على كل نسائه . ومن ثم اخذه الامراء والفرسان كل واحد بدوره ينظر اليه ويقبله ويهني الامير حمزة به ولما اخذه افلنطوش ونظر به انفطرت مرارته وهاجت بقلبه نيران العداوة وتذكر في داخله كيف يكون هذا ابن بدوي من بنت سيد العجم وملكهم وقد

اخذها بالقهر والجبر رغمًا على ابيها وكل قومها الا انهُ اخفى ذلك وبقيَ الامير بوكفيرة وكذلك زوبين فانهُ راى به دلائل والدتهِ التي كان احبها وتمنى ان يتزوج بها . وبعد أن طيف بالولد على الجميع اعيد الى ابيهِ وسأَل ماذا يريد أن يسميهِ . فقال اني تركت الحق بمشيئتهِ لامهِ ولذلك من الواجب ان ابعث استشيرها على هذا ثم ارسل احد العبيد يسألها في ماذا تريد ان تدعوه ليكون اسمهُ معروفًا بين قومهِ منذ ذلك اليوم . فقالت للعبد اخبر مولاك اني اريد ان اسميهُ قباط حيث قد ولدتهُ في غربتي . وحينئذٍ دعا الامير حمزة اسمهُ قباط واعادهُ الى امهِ وامر ان تقيم عندها المراضع والجواري لخدمة الطفل وتربيتهِ وهذا المولود يكبر ويسود بين العرب ويكون لهُ اعظم شانٍ وارفع مقام ويصير ملكًا عليهم كما سياتي ان شاء الله

وكان عموم العرب قد لاحظوا حال افلنطوش وما وقع منهُ عند رؤيتهِ الغلام وكيف اضطرب وقلق فاجتمعوا بعضهم وقال اندهوق اني لا ازال الاحظ على زوبين وافلنطوش حالها وما هما عليهِ ولا ريب انهما لا يزالان على الشر والكفر لا يرضيان من نجاح العرب ولا راحتهم وظهر لي ذلك عيانًا في هذا اليوم وعندي ان نخبر الامير بذلك ونسالهُ ان يطردهما عنا او يبعدهما الى مكان اخر مع قومهما فقال النجاشي ان الامير سليم القلب فلا يرضى ان يكون ظالمًا ويغدر بهما وان كانا مملوءين من الغدر والخيانة ولذلك فليبقَ كل واحد محافظًا على نفسهِ وقومهِ منتبهًا في الليل والنهار خشية من الغدر حتى اذا ظهر منهما ذلك بطشنا بهما واهلكناهما مع قومهما ولا ريب ان الامير اذ ذاك يعذرنا ويعرف خيانتهما . قال عمر الاندلسي ان خوفنا على الامير منهما فانهُ سليم القلب يسلم لهما ويصدق كل ما يسمع فاذا امنا لا عدوٍ وانفهما وحينئذ يغتنمان الفرصة وينفذان ما ربهما بهِ . فاجاب النجاشي ان الامير محروس منهُ تعالى محفوظ بعنايتهِ فلا تنفذ فيهِ غاية الاشرار ومع كل ذلك فان عندهُ عمر العيار نقمة الانس والجان من لا تغفل لهُ عين ولا ينام عن عدوهِ ولا ريب انهُ ساهر على حفظ اخيهِ لا مل على حفظ العرب باجمعهم وهو يعرف ان افلنطوش وزوبين وسائر الاعجام لم يأْمنوا بالله عن يقين وان قلوبهم مملوءة من الشرّ والخداع والفساد ولا بد من ان تكون نقمة العجم عن يدهِ . وهكذا اصبح كلٌ من العرب في حذر من زوبين وافلنطوش ولكن قضاء الله اذا كان واقعًا لا بد من اتمامهِ مهما تحذر المتحذرون

فهذا ما كان من العرب واما ما كان من افلنطوش وعبدالله زوبين فانهما بعد ان تركا صيوان الامير حمزة سارا الى معسكرهما وقد قال افلنطوش لعبدالله زوبين اني تكدرت في هذا اليوم كثيرًا فوق ما انا متكدر لانهُ ما كفانا انا في كل يوم نرى اعداءنا ونقيم بينهم ونسمع لهم ونذل بين يدي اميرهم كسيد لنا ونراهم يتمتعون ببناتنا رغمًا علينا حتى اخيرًا ياتونا باولادهم منهن

ويعرضوهم علينا لنقبلهم ونفرح فيهم مثلهم وما هذا الا عار عظيم علينا ونفسي لا تكاد تحمله وقد ندمت على الاتيان معك اليهم والصبر على الانضمام اليهم . قال قد مضى الكثير ولم يبق الا القليل وسوف ترى ما يكون من امرنا معهم ولا بد من مسك مهردكار وطوربان وارسالها الى المرازبة وخدمة النار لتكونا ضحيتين للنار عن ذنوبنا نحن الذين التزمنا بسببها ان نكفر بديننا وننضم الى عدة البطل والكفر . قال افلنطوش هذا لا بد منه فاني ساقبض على كل النساء اللاتي هما كدرة الصدف وغيرها ولنجعل همنا واهتمامنا ان ناخذ النساء فقط ونسافر عن هذه الديار لان العرب منتبهون الينا كل الانتباه ويطول امرنا معهم اذا اردنا ان نغدر بهم ولولا الامير حمزة لما قبلونا قط ان نكون بينهم ولذلك سابعث اخبر كسرى ان بنته ولدت ولداً ذكراً ودعت اسمه قباط وهذا كان اسم احد اخوتها وقد توفي ولم يكفها ان صارت كواحدة من العرب حتى انتحلت اسم اخيها وهو من الاسماء المكرمة عند العجم ودعت ولدها به ولا بد انه يتكدر من ذلك ويخبرنا كيف نفعل ونطالعه على انتباه العرب وتيقظهم منا واننا اذا اردنا ان نغدر بهم لا نقدر الا بعد زمن طويل جداً لا يعرف مقداره اي الى حينما تطمئن افكارهم ويثبت لديهم صفاء بواطننا ويتوهمون ان لا خوف ثمة منا . قال اكتب بذلك الى كسرى واني اوكد لك انه يفضل ان نبقى اكثر من عشر سنين وعشرين سنة بين العرب وهو بامان منهم على امل ان نقتل الامير حمزة

ومن ثم كتب افلنطوش كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بولادة بنته وانها دعت اسم ولدها قباط وسال منه هل يبقى على الانتظار او يترك العرب ويعود برجاله الى المدائن اذ انه لا يرى وسيلة لنوال مراده في الحال ولا يقدر احد من العجم ان يصل الى حمزة البهلوان . وبعث الكتاب مع نجاب ولما وصل الكتاب الى كسرى عرف ما فيه ارسل له الجواب يقول له فيه ابق مكانك ولا تترك ما انت عليه واحفظ مودتك مع العرب في الباطن الى ان نقتل الامير حمزة وتعدمه الحياة ولو بقيت دهراً واني ساعٍ في ايجاد الوسائط السرية لنوال المراد فكن مطمئناً . وعندما وصلت هذه الكتابة الى افلنطوش بقي على ما كان عليه وما مضى على ذلك الا اشهراً قليلة حتى ولدت طوربان ولداً ذكراً ففرح به الامير اكثر من فرحه بولده وامر ان تزين مدينة حلب خمسة عشر يوماً وتدار الافراح في كل ناحٍ ففعلوا وبعد ذلك جيء به الى صيوان البوزن شاه وناوله الى الامير حمزة فاخذه وقبله ودفعه الى جده الاخر وهو افلنطوش فمد يده لياخذه فحملت يده ترتجف وخاف من ان يسقط من فقال لحمزة اني كنت لا اصدق ان بنتي تاتي بولد ذكر وابقى حياً فاراه فهي عزيزة لي والان لا اعرف ماذا اصنع فاني ارى كل اعضائي تتحرك وتحن ولما اخذ الولد اليه وجده كانه البدر في تمامه جمع بين بهاء ابيه وجمال

امرو فزاد اضطرام فؤاده الا انه تجلد وقال اصهره بشراك بهذا الغلام فاني اراه مسعودًا واشكر الله على مثل هذه النعمة واطلب اليه ان يعيش كثيرًا وينال ما ناله ابوه وجده من الاقبال والتوفيق . ثم اخذه ابوه وقبله في جبهته وقال لابيه حمزة ماذا ندعوه . قال حيث ولد في ايام الراحة والهناء فلندعوه سعدًا لان السعد بوجهه . ثم اعادوه الى امه ووضع له المراضع والخدم واخذ الولدان يكبران ويترعرعان يومًا فيومًا وفي كل مدة يوتى بهما الى بين الفرسان ينظرهما الخاص والعام ويقبلهما الامير حمزة وابنه وافلنطوش ودام الامر على مثل ذلك حتى صار الطفلان يقدران على المشي فياتيان مع الخدم الى افلنطوش يومًا بعد يوم ويقبلان يديه وهو يكاد يقضى عليه من ذلك ولكن كان يظهر في وجهها الرضا والقبول ويبش خشية من اظهار الامر وقلبه يتمنى لها الموت والهلاك ومثله لامهما حيث انهما نجستا عبادة النار واحتقرتاها جدًا ودخلتا عن حقيق في دين الاله تعالى

فذات يوم نهض الامير من نومه مرعوبًا مضطربًا ودعا بفرسانه واعيانه الاخصاء وقال لهم اني رايت حلمًا راعني وارعبني وجعلني قلق الافكار مضطرب البال واني خائف من عاقبته جدًا ولذلك دعوتكم لاعرف ماذا ترون في امر هذا الحلم . وهو اني بينما كنت نائمًا في اعمق نومي وجدت نفسي كاني في مكة المطهرة بين قومي وهناك رايت اسرابًا من الغربان تحوم حول المدينة ورايت بعض هذه الغربان ياتي المدينة ويخرج منها ومن ثم حانت مني التفاتة الى احداها فوجدت واحدًا كبيرًا يحمل في فمه ابي ابراهيم ويسرع في طيرانه ورايت بعض هذه الغربان ايضًا تحمل من سادات مكة وتخرج مسرعة فغاظني ذلك واردت ان اتبع بهم واذا بي قد استيقظت فوجدت نفسي في فراشي فحزنت جدًا بتذكرت ابي ورجاله وتلك الارض التي تفوح بمسك الطهارة وارتبت في راحتهم وقلت لا بد ان يكون قد وقع عليهم امر مكدر وفي ظني اني اركب واسير الى مكة وانظر كيف حال ابي وقومي فقال اندهوق لولا وجود الاعجام بيننا لرحلنا عن هذه الديار الى تلك النواحي واقمنا فيها بضع سنوات الى حين نرى ما يكون امر كسرى غير اننا لا نزال مرتابين من صدقها ونخاف ان نذهب بها الى تلك الارض فننجسها بوجودها عليها وهما على الكفر والنفاق وقلة الامانة ونمكنهما بانتهائنا بالاسفار من الوصول الى الغدر بنا . قال الامير ما لنا ولهذا الفكر فهذا لا يعرفه الا الله تعالى نعم اني ارى من اعمالها ما يجعلني في ارتياب لكني لا اريد ان افعل شيئًا قبل ان ارى منهم دليلاً على الغدر واضحًا فلا اكون ظالمًا بعد ان امنتهم على انفسهم . فقال المعتدي حامي الله واحل اني ارى من الصواب ان يذهب عمر العيار باسرع من البرق الى ارض مكة فيشاهد من بها ويخبرنا بكل ما يرى هناك ويخبر اباك باننا بخير وان الله قد انعم عليك بغلام فيسر بهذا . قال عمر اني كنت اخاف ان اسافر فيغتنم

الزوبين فرصة غيابي لكنني ساضع في مكاني جماعتي العيارين واحرضهم على الامير وعلى خدمته واوصيكم انتم ايضاً ان تحذروا ولا تفسكم اياماً قليلة فاني لا اغيب الا القليل وكيف كان الحال فيمكنكم ان تثبتوا على ملاحظة عدوكم الى حين ايابي واني اودعكم من هذه الساعة

ثم تركهم وجاء عيار به فجمعهم اليهِ واوصاهم بالمحافظة والانتباه وعلمهم كيف يجب ان يعملوا في غيابهِ وقسمهم الى فرق بعضها في خدمة الامير وبعضها حول صيوانهِ وصيوان ابنهِ وبعضها يطوف في المعسكر على الدوام وفي كل ليلة وسار من هناك واستلم طريق مكة المطهرة واسرع في الجري حتى بعد نحو خمسة ايام واذا بهِ اقبل على شجرة كبيرة في جانب الطريق فعرج اليها ليجلس قليلاً تحتها واذا بهِ يرى رجلاً نائماً هناك ملتفاً بردائهِ متظللاً بفيئها من حرارة الشمس فدنا منهُ وصاح بهِ فوعي الرجل واذا بهِ الامير عقيل رئيس الثاني مائة فارس اخصاء الامير حمزة ففرح بهِ عمر وسلم كلٌ منهما على الاخر . ثم سالهُ ما هو الذي اوجب اتيانهُ وحدهُ الى تلك الارض وهل جرى على رجال مكة شيءٌ مكدر . قال اني سائر الى جهة حلب اخبر الامير بما كان من امر ابيهِ واما انت فالى اي جهة سائر . قال اني كنت سائراً الى مكة حيث ان اخي راى حلماً مريعاً دعاهُ الى التيقظ والانتباه وان يعرف ما جرى هناك من الامور في كل هذه الايام والحمد لله الذي رايتك هنا وخففت عني ثقل السفر الطويل اذ لا اريد ان اغيب كثيراً عن المعسكر . فاعد عليَّ ما جرى عليك بعد ان فارقتنا وما جرى على اهل مكة المطهرة . قال اني بعد ان فارقتكم مع الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل سرت بين يديها وفي خدمتها الى ان وصلنا بالسلامة الى المدينة ودخلت على الامير ابراهيم واخبرتهُ بكل ما جرى لنا وكيف انا قهرنا كسرى وطردناه عنا وابدنا كثيراً من جموعهِ وان الامير حمزة تزوج بمهردكار ففرح وشكر الله على ذلك وقال كان بودي ان اكون حاضراً زفاف ولدي لا فرح بهِ واحبر كسر شيخوختي غير ان الله سبحانهُ وتعالى قضى عليهِ ان يكون طول زمانهِ غريباً بعيداً عني فاشكرهُ على سلامتهِ وعلى تخصيصهِ بالسعادة والتوفيق . ثم قرب منهُ الاميرة سلوى وسلم عليها فقبلت يدهِ واقامت في بيت اعد لها وبعد ذلك ذهبنا الى البيت وطفنا حولهُ ثلاثاً وكل اهل المدينة يصلون ويشكرون نعمة الله على هذا النصر الذي نالهُ الامير وساد بهِ العرب وارتفع صيتهم على رؤوس الكبار والصغار . واما انا فاني بعد ذلك ذهبت الى مكاني واجتمعت باهلي واقمت بينهم املئُ باشواقي منهم وصرت في كل يوم احضر الى ديوان الامير ابراهيم ابقى كل نهاري هناك واعود في المساء الى ان كان ذات يوم من هذه الايام الاخيرة جاء مكة جماعة من العرب واظهروا ان قصدهم زيارة بيت الله الحرام فنزلوا في ضواحي المدينة وصاروا يدخلون ويخرجون ونحن بمأ من منهم وفي كل نيتنا انهم من العربان الذين ياتون حسب العادة لقضاء فروض الزيارة . ففي

ذلك يوم اتينا ديوان الامير ابراهيم فلم نجده هناك ففتشنا عليه وطفنا كل المدينة فلم نقف له على خبر وافتقدنا اولئك الزوار فلم نرَ لهم اثرًا فشغل بالنا جدًا ولا سيما عندما ثبت لدينا ان سادات مكة ايضًا قد فقدوا وغابوا عن المدينة . فطفنا كل النواحي والجهات وسالنا من الغادي والصادي فلم نقف لهم على خبر فزاد بنا الغيظ والكدر وحسبنا ان ذلك وقع من الاعداء ففارقت مكة وصرت استخبر عن مكان وجودكم حتى عرفت انكم لا تزالون بحلب فسرت اقصدكم لاخبركم بما كان من امر الامير ابراهيم

فلما سمع عمر العيار هذا الكلام قال لا ريب انه عمل عياري الاعداء قد احتالوا على سادات مكة وفعلوا هذه الافعال فهلمّ بنا بسرعة نقصد فرسان العرب لنطلعهم على هذا الخبر . قال سر امامي فاني لا اقدر ان ارافقك في السفر ولا يمكن للجواد ان يجري كجريك . قال اني اخفف عنك ثقلة المشي . ثم تناوله ووضعه في جراب اسماعيل وكر راجعًا مثل البرق الخاطف حتى جاء حلب ودخل بين معسكر الاعجام فوجدهم على حالهم فاطمأن باله . ثم جاء معسكر العرب ودخل ديوان الامير حمزة فرأى الفرسان مجتمعين من حواليه وبينهم افلنطوش وعبد الله زوبين فاشار الى اخيه ان يتبعه ولما اختلى به على انفراد اخرج الامير عقيل من الجراب وامره ان يعيد القصة ثانية على الامير حمزة ففعل . ولما سمع هذا الخبر اطرق الى الارض متحيرًا مرتبكًا وقد اسودت الدنيا في عينيه وكاد يغيب عن صوابه كيف يفقد ابوه ولا يعرف من الذي فعل هذا الفعل وخاف من ان يكون قد لحق به سوء او ان الاعداء يقتلونه . ثم قال لعمر العيار قد اشكل علينا الامر ونحن لا نعرف من اين جاءتنا هذه المصيبة وكيف الوسيلة للاطلاع على حقيقة الامر لتلافاه ويرجع قومنا قبل ان يحل بهم العذاب . قال اني فكرت بامر به الخير والنجاح وهو اني اسير الى المدائن وادخل على الوزير بزرجمهر واعرض عليه واقعة الحال واسأله في ذلك ولا بد ان يكون عرف بما جرى اذا كان كسرى عمل هذا العمل ويدلنا على المكان الموضوع به السادات فنسعى في خلاصهم ونرى ما يدبره الله تعالى . فقال حسنًا تفعل فسر عاجلاً واتني بالخبر اليقين فودعه بعد ان اوصى ان لا يدعوا عبد الله زوبين وافلنطوش وكل جماعة الاعجام يعرفون بمثل هذا الامر

ولا زال سائرًا حتى جاء المدائن وترقب الوزير حتى رآه خرج من الديوان وذهب الى قصره فتاثره حتى دخل ودخل من خلفه وتقدم اليه وسلم عليه ففرح به وسأله عن العرب وعن اخيه هل هم بخير فاخبره بكل ما جرى للعرب من السعادة والاقبال والنصر والافراح . قال اني لمثل هذا اتمنى لهم واعرف انهم سيلاقون بعد اعظم من ذلك . والان اتيت على ما اظن تسأل عن الامير ابراهيم وسادات مكة الذين سرقوا قال نعم لقد وصل الينا الخبر بذلك

ونحن نجهل السبب فاثبت لاعرفه واعرف اين وجودهم حيث لم يكن لنا من سبيل للتوصل الى المجيء اليه ونستمد اراءه ونطلب مساعدته . قال اعلم ان الامير ابراهيم والسادات قبضوا وارسلوا الى نهروان يشتغلون هناك ببناء القلع . وسبب اسرهم ان عيارين من عياري العجم وهما عمر بن شداد الحبشي وسقلاّن الرومي ذهبا بجماعتهما الى مكة المطهرة ومعهما جماعة العيارين وتزيوا جميعاً بزي العرب واحتالوا على الامير ابراهيم فسرقوه وسرقوا اعيان قومه وجاءوا بهم الى كسرى ففرح بذلك وانعم على العيارين وارسل الاسرى الى نهروان وامران يشتغلوا بالاشغال الشاقة هناك وان يهانوا كل الاهانة ولو سبقت نحو ثلاثة ايام لكنت وجدتهم هنا ولكن الان قد بعدوا كثيرًا فارجع الى اخيك واخبره واطلعه على سر المسالة واعلمه ان هذا كان بتدبير بختك الوزير قصد به اهانة حمزة ليشغل له باله ولا يدعه مرتاحاً ويلتزم ان يسعى خلفه ويفتش عليه وهو لا يعرف في اي مكان فاسعوا في خلاصه وخلاص السادات حالاً ولا تتاخروا ولا دقيقة واحدة . فشكره عمر العيار على ذلك وقبل يديه وكرّ راجعاً في الطريق الذي جاء منه حتى جاء حلب فدعا اخاه سرًّا واطلعه على كل ما عرفه من الوزير بزرجمهر فغتاظ غيظه وقال قبح الله كسرى وبختك فانهما لا يسعيان الاّ بالمكر والاحتيال واذا كانا قد ظنا اني اعجز عن تخليص قومي فقد اخطأا ولا بد لي من المسير في هذا اليوم الى نهروان لارى اعدائي كيف حالهم . ثم انه دعا معقل البهلوان واخبره بغايته وقال له كن على اهبة السفر فاني مزمع ان اسير الى نهروان . فاجاب طلبه وفي الصباح ركب الامير ومعه معقل البهلوان وعمر العيار وما زالوا سائرين عدة ايام حتى كشفوا نهروان فوجدوا البناء مشتغلاً في قلاعها من كل ناحٍ والفعلة تنقل الاحجار وتحمل التراب وكان نحو خمسة وعشرين الف رجل يشتغلون في تلك الناحية وعليهم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وعياروهما ومن الجملة الامير ابراهيم وسادات مكة وهم يهانون اكثر من الجميع فنزل الامير عن جواده الى الارض وقلت كربه وسقاه واطعمه ثم عاد فركب عليه وفعل مثله معقل البهلوان . ثم ان حمزة قال له اريد منك ان تسير الى جهة الشمال وانا الى جهة اليمين ونحط نهبة على هذا الصيوان المنحرف الذي في طرف القلاع لان يظهر من امره انه صيوان رئيس القوم وربما كان للعيارين الخبيثين اللذين سرقا ابي ومن ثم نحط على الباقين فمن سلم عفونا عنه ومن امتنع قتلناه فاجاب معقل البهلوان امره وافترقا وهجم كل واحد من جهة فثار العيارون وهاجوا واضطربوا ولما سمعوا ان الصياح هو صياح الامير حمزة تركوا الاسارى وطلبوا الفرار فادرك حمزة عمر بن شداد الحبشي فشد وثاقه ومعقل البهلوان اسر سقلان الرومي وبعد مضي ساعة من الزمان تفرق كل من كان في ذلك المكان وحينئذٍ تقدم الامير من ابيه وترجل عن جواده وقبل يديه وبكى لما راه بتلك الحالة

وقال له قبح الله كسرى الخبيث الغدار فانه يستحق اعظم من هذه الاهانة فهو لا يراعي حرمة العظماء ولا يقدر الشرفاء حق قدرهم. فقبله الامير ابراهيم وشكر الله سبحانه وتعالى على خلاصه وقال لولده لا تكدر يا ولدي من وصول مثل هكذا امر اليّ فما ذلك الا بسماح منه تعالى فقد قدّر عليّ ان اشتغل بالتراب لاعرف حالة الانسان وتعبه وان الله لا فرق عنده بين الرفيع والوضيع وبينما كنت الاقي مثل هذه الاهانة كنت ارى نفسي مسرورًا والتذ اللذة التي ما كنت اشعر بها عند ما كنت اجلس في ديواني بين اعياني فاشكر الله سبحانه وتعالى تكرارًا على نعمته وفضله

ثم ان الامير سلم على باقي سادات مكة وصرف ذاك النهار في ذاك المكان وفي اليوم الثاني قال لمعقل البهلوان اريد منك يا اخي ان تذهب من هنا مع اخي عمر العيار الى حلب وتخبر العرب بما كان من امرنا وتطلعهم على سر هذه المسألة وتوصيهم ان يكونوا على الحذر والانتباه وانا مرادي الذهاب الى مكة لاوصل ابي واشاهد امي وزوجتي الاميرة سلوى ومن ثم اعود الى حلب. فقال له افعل ما بدا لك. ثم ركب الامير وركب ابوه وباقي السادات واوثقوا عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وساروا بعد ان ودعوا الامير معقل البهلوان وعمر العيار وسار كل فريق في طريق. واما العيارون الذين هربوا من امام حمزة داوموا المسير حتى جاءوا المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بان الامير حمزة قد فاجاهم الى تلك الجهات وخلص اباه وقومه وباقي الاسارى واسر العيار بن فتكدر كسرى واغتاظ وتعجب من وصول الخبر الى العرب في الحال مع انهم بعيدون عن مكة وكان اعظم الحنق واقع على بختك الوزير وقد وقع في سوء التدبير واحتار في امره. واما الامير حمزة فانه ما برح سائرًا مع قومه حتى جاء مكة المطهرة وعرف بهِ اهلها وكانوا باضطراب عظيم فخرجوا افواجًا افواجًا نساءً ورجالاً واطفالاً وهم فرحون برجوع السيد ابراهيم اليهم ولما التقوا بهِ قبلوا ايديه ونادوا بالافراح ولا سيما عندما راوا الامير حمزة سيدهم وسيد قبائل العرب باجمعها. وعادوا الى المدينة ودخل الامير حمزة على والدته وقبل يديها وسلم عليها فقبلته ودعت له بالبركة وطول البقاء. ومن ثم جاء الى زوجته سلوى واقام عندها ليلة وقد طيب خاطرها واظهر لها شوقه واقام في مكة سبعة ايام وقد طاف بالبيت وادى فروض الزيارة وسلم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي الى محافظين من رجال المدينة واوصاهم بالمحافظة عليهما وان يكون شغلهما على الدوام تنظيف الازقة والشوارع ورفع الاقذار الى الخارج الى ان يموتا وهذه الاهانة كان يراها الامير ضرورية لهما. ثم انه ودع اباه وقومه والاميرة سلوى وهذه هي المرة الاخيرة التي يراها بها حيث لم يعد يراها فيما بعد وخرج من مكة وهو مطمئن الخاطر قرير الناظر على اهل البيت ووجه بكل افكاره الى جهة حلب وهو يود ان

يصل الى هناك ليعرف ماذا جرى على قومهِ وهل ان زوبين وافلنطوثو . بلا برهان على الامانة او انهما عادا الى الشر والخيانة . ثم خطرت في ذهنهِ مهردكار فانفطر قلبهُ من اجلها وارتاع وقال في نفسهِ ان كان زوبين يرجع الى الغدر والخيانة فلا ريب انهُ لا يتمكن من الغدر باحد الا بمهردكار وطوربان وانجلت لهُ افكار جديدة فندم على البقاء عليهما وقال ماذا يا ترى جرى عليَّ حتى عاندت قومي وفرساني وتركت الافعى تسكن بينهم . ولا ريب ان هذا سيعود عليَّ بالشر والوبال ووطد العزم انهُ عند عودتهِ الى حلب يبعد العجم عن العرب ويعين لهم مكان اقامة ببلاد الشام فاذا كانوا على دين الله يبقون على الراحة والسلام واذا كان يهمهم الغدر والخيانة فيظهر امرهم في الحال ويرتاح منهم ولا سيما انهُ ليس في حاجة لان يطلب مساعدتهم او يرجو منهم خيرًا وعونًا . ثم زاد عليهِ الامر وقال وربما كان زوبين غدر بمهردكار قبل ان اصل الى المعسكر وهرب فماذا يا ترى اعمل وهذا الفكر اشغلهُ جدًّا وضيع لهُ صوابهُ فجعل يسوق جوادهُ وهو يتمنى ان يصل باقل من ساعة الى حلب ويشاهد مهردكار وابنها هل هما بخير وسلام وقد هاجت عليهِ البلابل فانشد

بكيت لتغريد الحمائم في الفجر ... وبرّح بي وجدي وزايلني صبري
وملت كما مال النزيف كانما ... سقاني حنين الورق كاسًا من الخمرِ
وسار بما ابقين لي من تجلدي ... نسيم بريّا الظاعنين اتى يسري
خذي جسدًا يا ريح يحكيك رقة ... فلاقي بهِ قلبًا مع الركب في اسرِ
ايا جسميَ البالي تجسمت من ضنى ... ويا كبدي الحرا تكونت من جمرِ
براني الاسى والحزن بعد رحيلهم ... فلم يتركا مني سوى عبرة تجري
غدوا يستحثون المطيَّ على السرى ... فهل في جمود الدم للصب من عذرِ
وباتوا وجسمي فيهِ بعض بقيةٍ ... فلم يبقَ منهُ ما يصور في فكرِ
تنازع روحي للخروج يد النوى ... فتحبسها عنهُ الاماني في نحري
اعلل قلبي بالمنى ان سنلتقي ... واحسبها كالآل يلمع في القفرِ
سفكتم دمي عمدًا ولم تحرجوا ... وعاقبتموني بالمنون بلا وزرِ
لقد رقَّ لي ما تجرعت من اسى ... فؤاد عذولي وهو اقسى من الصخرِ
سهاد وسقم واشتياق ولوعة ... وصبح بلا ضوءٍ وليل بلا فجرِ
ودمع بلا جفنٍ وعين بلا كرى ... وقلب بلا اسٍ وسرٌّ بلا ستر
وكم قائل جهلاً تسلَّ بغيرها ... ولا تجرِ ذكراها بسرٍّ ولا جهرِ
وكيف ترى يسلو العليل شفاءهُ ... وليس سلو الالف من شيمِ الحرِ

الا فأدر ذكراهُ صرفًا فانني اغيب به عن حالة الصحو والسكرِ
احب به الوجدُ فيه صبابة وان كان يقضي بي الى البوس والضرِّ
فلو تمّ وجدٌ فوق وجدي لعاشق بميتةٍ ان يستحيل الى صدري
ولم انسَ اذ احيي قتيل صدودها وقد سررت خوف الوشاة على ذعرِ
وفرطس احشائي سهام لحاظها رمتني بها عمدًا عن النظر الشذرِ
فعاطيتها كاس العتاب مشوبة بدمع حكى في فيضهِ زخرة البحرِ
واخجلتها حتى تلهب خدها تلهب احشائي من الصد والهجرِ
ورصعت بها احلاقها وهي صعبة فلانت واهوى من قطوف الى نشرِ
وحييت بمسك عطرتهُ اكفها وانفاسها اركى من المسك والعطرِ
وبتنا بدر الانس والليل قد سجا وقد غربت شمس المدامة في البدرِ
وحليت بالياقوت فضة نحرها وجيد الدجا حالٍ بانجمهِ الزهرِ
تقول وقد اوهى النعاس جفونها واغمد سيف اللحظ منها على قسرِ
اريد تعيد الانس قلت لها متى فيوم تلاقينا ابيع به عمري
فقالت وبدر الليل للغرب قد هوى وجفن الدجا يبكي من الفجر القطرِ
اذا امتلأت من دمع هذا تغور دا فقلت لها ماذا فاومت الى البدرِ
واخفت واستار الظلام تكشفت قليلاً وقد كاد الصباح بنا يغري
سقيت السحاب الجون يا زمنًا مضى ولم يبقَ منهُ للمشوق سوى الذكرِ
احبتنا لم يبقَ صبر ولو في لنا بعدكم صبر لكان من الغدرِ
طوينا بساط الانس واللهو بعدكم وهذا بساط الحزن والدمع في نشرِ
عسى تبرد الاحشاء من حرقة الجوى دموع الاسى والشوق ان لم تكن تجري
تناسيتمونا بعد انسٍ والفة احب الى الجاني من الامن والصبرِ
اتاح لنا تفريقنا الدهر غادرٌ ولا غرو ان الغدر من شيم الدهرِ
فياقلب صبرًا للقضا وتوكلاً فليس لغير الله شيءٌ من الامرِ

وكان ينشد وهو يسير مسرعًا وقلبهُ وعقلهُ وكل حواسهِ تطوف في معسكر حلب يرى ما جرى هناك وهل من حادث وقع في ما غيابه يستدعي قلقهُ وقد عمدتهُ صورةُ بان عبد الله رو بين لابد ان يغدر بعهد دكار وان قبولهُ عهده كان سماح من انه وفيما هو على مثل هذه الافكار مطلق لجواده العنان . واذا بامرأة قد وقفت بين يديه اسرعت من الجو الاعلى ووقفت امام الجواد ومنعتهُ من الجري وقالت السلام ايها الامير لقد سبقتني ولم اسد اخطر لك على بال فسطر

فيها وعرفها فاندهش وخاف من ان تتثاقل عليهِ وهو على تلك السرعة الاَّ انهُ اجابها على سلامها وسلم عليها وترحب بها وقال لها اين تقصدين وماذا تريدين . فقالت اما قصدي فانت واما ما اريدهُ فهو ان تذهب معي الى جبال قاف لاني بشوق زائد اليك وما برحت اصبر القلب وهو لا يصبر حتى عيل صبري فجئت لاذهب بك تقيم عندي بضع ايام وتنصفني منك وتعاملني كغيري من زوجاتك . قال دعيني الان فاني مشغل الافكار ومتى وصلت الى معسكر حلب ووجدت فرساني بخير وما من سوء عليهم سرت معك الى حيث تريدين . قالت اني اعرف انك ترغب في سرعة الجد لترى مهردكار وتحب ان تصل الى فرسانك لتقيم عندها بعض ايام فانا احق من الجميع وما كفاك كل هذه الايام الماضية حتى تريد ان تخدعني الان لتصل الى زوجتك . ثم انها اختطفتهُ عن جواده وسارت بهِ في الجو الاعلى وهو غائب الصواب لا يعرف ماذا جرى عليهِ يتعجب كيف انها جاءت اليهِ وهو في مثل تلك الحالة حتى جاءت بهِ الى جبال قاف وهو يلعن ويسب الساعة التي جاءت بها وقال لها اترضين في عذابي وقهري وقد وعدتك ان تصبري عليَّ الى ان اشاهد قومي . قالت لا شيء عليهم فان عندهم من الفرسان ما يجعلك مرتاح البال وانا اريد منك ان تبقى عندي فقط سبعة ايام ومن ثم اوصلك الى قومك فصبر على مضض وقلبهُ يتلهب بنار الاشتعال

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من العرب فانهم كانوا باضطراب على غياب الامير وقد ظنوهُ في الاول انهُ ذهب للصيد والقنص مع عمر العيار ومعقل البهلوان الى ان جاءهم معقل واخبرهم بكل ما كان من امر الامير حمزة وابيهِ ابراهيم وسادات مكة وكيف انهما سارا لخلاصهما وبعد ذلك ذهب الامير الى مكة ليوصل اباهُ ففرحوا بذلك وارتاح بالهم واقاموا في حلب على ما كانوا عليهِ قبلاً وهم ينتظرون عودة الامير الى ان مضت مدة ايام وذهب الاجل الذي كان عينهُ لمعقل البهلوان وصبروا بعد ذلك ايضاً بعدة ايام فلم يرجع فاجتمعوا مع بعضهم ودعوا عمر العيار وقالوا لهُ نريدك ان تذهب الى مكة وتري لنا كيف حال الامير وما السبب لتاخره عنا . فاجاب وذهب عنهم وكان افلطوش وزوبين قد علما بما كان من امر حمزة وخلاص ابيهِ فكتبا بذلك الى كسرى ووعداهُ من حيث ان حمزة غائب لا بد ان ينالوا المراد باقرب وقت . وبقي عمر العيار ذاهباً في طريق مكة حتى وصل الى نصف الطريق وهناك لاحت منهُ التفاتة الى جهة البر فراى جواد اخيهِ اليقظان يرعى في تلك السهول وهو نافر عن الطريق العام فارتاع وارتبك وقصده فنفر منهُ فصاح بهِ فلما سمع الجواد صوتهُ عاد اليه وجعل يشمهُ فقبلهُ عمر وراى رمح اخيهِ معلقًا بسرجهِ فارتاع وجعل يفتش بتلك الارض علهُ يجد لهُ اثرًا فلم يرَ فتكدر مزيد الكدر ووقف مبهوتًا وهو لا يعرف اين ذهب اخوه . فقال في

نفسهِ لا ريب انهُ خرج من مكة قاصداً حلب وفقد في هذه الطريق ولكن كيف فقد لا اعرف ومن الصواب ان ارجع الى العرب وابقي الجواد هناك واسير من ثم افتش على اخي . وكرَّ راجعاً حتى جاء مدينة حلب ودخل على الامراء واخبرهم بما كان فحاروا جداً على الامير وقالوا ان امره مشكل علينا ولا نعرف ما حل بهِ وهل هو بقيد الحياة ام مات واصبحوا بارتباك واضطراب وشاع هذا الامر في كل القبيلة حتى وصل الى زوبين وافلنطوش . فاجتمعا وقال الثاني للاول الان وقت نوال المراد وغير هذه الفرصة لا يتيسر لنا فان الاعداء الان مشغلون بغياب الامير وقد التهوا عن مراقبتنا وحمزة غائب عن المعسكر فمهما نريد ان نفعلهُ الان نفوز بهِ . قال نعم ان هذه فرصة كبري لكن نحن لا نخاف من حمزة بقدر ما نخاف من عمر العيار واني اعرف جيداً انهُ ما زال بين معسكر العرب لا نفوز بالمطلوب لاننا اذا قصدنا ان نبدي حركة راقبها قبل وقوعها واظهر امرها لقومهِ ولا بد ان في هذه الايام للتفتيش على حمزة فاصبر قليلاً ترى العجائب وجعلا يترقبان غياب عمر منذ ذلك اليوم

واما العرب فانهم بعد ثلاثة ايام من رجوع عمر اجتمعوا واستشاروه فيما يفعلون فقال لهم ان صدّقني حذري يكون عند اسما ابري وقد لاقتهُ في الطريق واخذتهُ بالرغم عنهُ وهو غير منتبه وفضلاً عن ذلك فاني عزمت على المسير الى المدائن لاجتمع بالوزير بزرجمهر واسالهُ علهُ يعرف عنهُ خبراً او يفيدنا بامر يرتاح لاجلهِ بالنا . فقالوا افعل ما انت فاعل واسرع في الجواب فانا على مقالي النار . فودعهم وسار يقصد المدائن وبعد مسيرهِ بقي العرب على حالهم من انشغال البال والخاطر وكلهم مرتابون في صحة حياة الامير ويتوهمون انهُ ربما قتل في الطريق غدراً او مات او وقع في اسر الاعداء . واما زوبين الغدار فانهُ اجتمع بافلنطوش وقال لهُ اني في كل هذا اليوم ما رايت عمراً في المعسكر وقد بعثت بعشرين رجلاً من رجالي طافوا كل معسكر العرب ما وجدوا لهُ اثراً ولا ريب انهُ سافر للتفتيش على اخيهِ قال الان قد جاء الوقت المنتظر فهلمَّ بنا نكبس العرب في هذه الليلة فنذيقهم العذاب الاليم قال يجب ان نصبر على ذلك الى بعد الغد لانهُ اذا كان ذهب باحثاً لا يعود باقل من شهر واخاف ان يكون مختفياً يترقب اعمالنا قبل ذهابهِ فكن على حذر الى بعد يومين واتفقا على مثل هذا الامر . وفي كل يوم يذهب زوبين وافلنطوش بين العرب ويظهران تاسفهما مع العرب والعرب في شاغل عنهما الى ان تحقق زوبين غياب عمر العيار وبعدهُ عن العرب فسرَّ مزيد السرور ورجع الى المعسكر يدبر امرهُ وبقي افلنطوش الى المساء . وبعد انقضاء السهرة تفرق كل واحد من العرب الى ناحية ودخل صيوانهِ على الحالة التي تقدم ذكرها وقد اشغلهم غياب الامير عن ملاحظة اعدائهم وناموا مطمئنين من غدرات الزمان الى ان مضى نصف الليل واذا بعساكر العجم قد

حملت من كل ناح وأكثرت من الصراخ والصياح واغتنمت هذه الفرصة فنزلت سيوفها في اعدائها وانزلت عليها شرار شرها وبلائها وغاصت بين الخيام ولم تترك للعرب سبيلاً للرجوع الى الحرب والصدام وزوبين الغدار يصيح وينادي اليوم يوم الاعادي وقد قصد صيوان طوربان وفي نيته ان يقتل عمر اليوناني وياخذ طوربان ليعذبها ويذيقها كاس الهوان ولما وصل الى الصيوان وجد عمر اليوناني قد خرج منه وبيده الحسام وعول على الركوب والمدافعة عن العرب . فلم يتركه زوبين ان يستوي على ظهر الجواد حتى فاجأه من قفاه وضربه بسيفه على راسه فجرحه جرحاً بالغاً لان عمراً لما استيقظ ووجد الصياح قد ملأ الارض وسمع صراخ الاعجام وعويل العرب ايقن ان زوبين قد غدر بهم وخاف من ان يلحقوه وهو في الصيوان فيذيقونه الممات ولذلك تناول سيفه ولم يعد يصبر ليفرغ عليه درعه ويلبس خوذته وفي فكره انه اذا استوى على ظهر جواده وبيده الحسام يكفيه للدفاع عن العرب ورد الاعداء عنها الا انه جرح قبل ان تمكن من غايته فغاب صوابه وضاع وعيه وما عاد عرف حالة في اي مكان هو فشرد به الجواد وخرج من بين المعسكر وسار في البر الاقفر وهو عليه صائع الوعي لا يسمع ولا يرى والدم يسيل من جرحه كالانبوب واما باقي العرب فانهم نهضوا مرتاعين فبعضهم شرد في الفلاة وبعضهم قتل من سيوف الاعجام واكثر الفرسان نهضوا من مراقدهم فوجدوا خيولهم مفقودة فارتاعوا وطلبوا الامان لانفسهم بالالتجاء الى البراري ليروا بعد اتيان النهار ما يكون من امر الاعداء وما منهم الا من يلوم حمزة ويعنفه على تركه زوبين حياً . ودام القتال على مثل تلك الحال حتى كاد الفجر ان يظهر للعيان وإذ ذاك امر زوبين بان ترجع الفرسان وكل واحد يصحب معه ما وصلت اليه يده من الاموال والخيل والانعام وقد قبض على طوربان ومهردكار وولديهما وغيرهما من النساء وقيد الجميع اذلاء حيارى وقد نكبت العرب نكبة لم تذقها قبل ذلك اليوم وتشتتوا اي مشتت وشردوا في البراري وما منهم من يعي على نفسه او يقدر ان يعرف في اي مكان هو

ولما رجعت عساكر الاعجام الى الوراء امرهم افلنطوش ان يسيروا في الحال على طريق المدائن وان لا يتركوا عقالاً في تلك الارض قبل ان تجتمع العرب وتنضم الى بعضها فسار وهو فرح بالنصر والظفر يشكر من زوبين ويقول له حسناً فعلت في العرب ولولا هذه الحيلة التي عملناها عليهم لما نلنا منهم المراد وعندي انهم من بعد الان ما عادوا يقدرون على حرب وثبات ولا ريب ان حمزة قتل ونال شر عمله ولاقى كل بوس وضير ولا بد ان يرى ابن عمي كسرى عملنا هذا بعين الشكر والرضا . قال اني اعرف ذلك وافرح لاجله واعظم فرحي بطوربان ومهردكار فاني ما زلت حتى قهرتها ولا ريب انهما يستحقان الحرق بالنار حيث قد خانتا حقوق

الوالدية واتهمتا الى الاعداء وكل واحدة منها طلبت ذلي وقهري وتفرت مني كيدًا لي ـ قال لا بد ان يقدمها كسري لقدمة للنار لتحرقا مع ولديها قباط وسعد ـ وداوموا على المسير الى المدائن على تلك الحالة ـ واما العرب فانهم في اليوم التالي اخذوا يجمعون ويلتمون الى بعضهم ولا سيما بعد ان راوا ان تلك الارض قد خليت من الاعجام وقلوبهم تضطرب نارًا من عملهم ويعصون على زنودهم ويتحرقون من عمل اميرهم كيف بعد ان كان قادرًا على هلاك هذه الطائفة سلم اليها بزمام امانه وقربها منهُ وجعلها بينهم كواحدة منهم غير انهُ كان قد انفذ فيهم قضاء الله المقدور وتفرقوا ونهبوا وسبيت نساؤهم واولادهم ولم يروا وسيلة الا الصبر على هذه المصيبة الى حين يجمع الله شملهم ويعيد اليهم النصر فياخذون لانفسهم بالثار ويرون ما يقدرهم الله عليهِ وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام جاءهم عمر العيار وراى ما راى من حالة العرب وشاهد القتلى قد ملأت الارض فناح وبكى وحث التراب على راسهِ وتقدم من الفرسان وسالهم عن السبب فاخبروهُ بكل ما جرى وقالوا لهُ كل ذلك جرى علينا من ايدينا لانا لو اوقعنا بالاعجام وقتلنا زوبين وافلنطوس لارتحنا من كل هذه المصائب والويلات وتقدمنا في طريق الراحة والسلام خطة عظيمة واما الان فقد تاخرنا وضيعنا كل النصر واخذت طوربان ومهردكار وباقي الحريم والاولاد ـ قال ان هذا وقع بقضاء منهُ تعالى وهو الذي جعل اخي ان يرى فيهم التوبة والامانة قالوا وماذا عرفت عن اخيك وفي اي مكان هو ـ قال اني لما وصلت الى الوزير بزرجمهر واخبرتهُ بفقدان اخي قال لي ان حمزة حيٌّ وان التي اخذتهُ هي روجنهُ اسما برّي وسياتي عن طريق قماصيا فعدت وانا لا اعرف شيئًا مما جرى عليكم فقالوا اهل رايت الاعجام في طريقك سائرين الى بلادهم ـ قال لا ريب انهم يسيرون في الطرقات العامة الواسعة لكثرة عددهم واما انا فاني في اكثر الاحيان اسير في الشعاب والهضاب فانسلق الاكام وانزل الوديان اختصارًا للطريق وتقربًا للمسافة فاذا وصلت الى مكان ووجدت ان الطريق طويلة وانها ماخوذة بميلة ودورة اخترقت الادغال وقربت الوصول الى راسها الثاني وعلى هذا لم يتيسر لي ان اراهم ـ وفي كل نيتي انا نسير الى قماصيا للتفتيش على الامير واما الان فصار لنا شاغل مهم واريد ان اعرف ابن ذهب عمر اليوناني ابن الامير حمزة واخاف ان يكون قتل وشرب كاس الافات ـ قالوا لا نعرف كيف ذهب هل هو اسير او هرب بالفلاة او قتل وهمنا الان ان نعرف ماذا جرى على نساء الامير واولادهُ فاذهب الى الوزير بزرجمهر واسألهُ عنهم واستشيرهُ في امرهم فقال اني كنت عزمت على ذلك ولا بد من الرجوع الى المدائن واسال الله العزيز الجبار ان يوصلني الى خلاصهم اجمعين

ثم ان عمر العيار ترك الفرسان في حلب وكرّ راجعًا وهو كئيبًا حزينًا على ما حل بهم وبريد

ان يعرف ماذا جرى على عمر اليوناني هل قتل او اخذته الاعجام اسيرًا . وما برح في مسيره حتى جاء المدائن ووجد الناس في هرج ومرج وعساكر زوبين الغدار وافلنطوش حول المدينة مع عساكر كسرى وهم بفرح لا يوصف فصار الى ان خرج بزرجمهر الى قصره فتبعه حتى انفرد به فسلم عليه وقال له لا خفاك ياسيدي ما جرى على العرب ولذلك جئت اليك مستخبرًا . قال اني عرفت كل شيء ولذلك تراني متكدرًا جدًا كيف ان اخاك ترك روبين وسمح له ان يتمكن من الغدر به وبقومه . قال انت اخبر الناس بسلامة قلب اخي حمزة وحسن طويته وقد نهيته عن ذلك فقال ان الله اخبر بما في قلبه وانه بعد ان طلب اليه الامان وعاهده على عبادة الله لم يرَ ان في قتله صوابًا وما ذلك الا حكم العزيز الجبار والان قد مضى ما مضى واريد منك ان تخبرني ياسيدي ماذا جرى على مهردكار وطوربان واولاد اخي حمزة عمر وقباط وابن عمر اليوناني سعد . قال ان عمر اليوناني هو مشتت الان لم يقع قط بيد العجم واما مهردكار وطوربان فانهما وضعا في مكان منفرد تحت الحفظ ليقدما الى النار . وذلك انه لما وصل افلنطوش الى هذه الديار وبلغت اخباره كسرى انوشروان وان زوبين الغدار قد شتت العرب فرح وامر الوزير بختك ان يخرج الى ملاقاتهما في الحال بالموسيقات والدفوف وزينت المدينة وكان لعملهما هذا موقع عظيم عند عموم الفرس من الكبير الى الصغير ولما قدمت مهردكار وطوربان الى كسرى اراد ان يوبخهما ويجازيهما بالعذاب فمنعه بختك وقال له من الصواب ان لا تضيع كلمة معهما فهما قد خرجتا من مصاف الاعجام ونجستا دين النار وحيث ان لا غاية لنا فيهما الان وما عاد احد من قومنا يرضى ان يكون زوجًا لواحدة منهن فمن الواجب ان تضعهما في قصر منفرد مع الاولاد والنساء وتضع عليهم الحراس بكثرة وترسل كتابًا الى هدهد مرزبان قاعدة دين المجوس وسيد المرازبة وامام النار فياتي الى هنا وياخذهم جميعًا ويقدمهم ضحية للنار فتاكلهم وترضى عنا فيما بعد بحيث تعرف اننا ما بخلنا باولادنا عليها اذ خرجوا عن عبادتها . فاستحسن كسرى هذا الراي ولم يرضَ ان يرى وجه احد منهم وامر ان يضعوا تحت الحفظ ووضع عليهم الحرس الزائد الكثير والحجاب حتى لم يبعد للطير طريق ان يمر من جهة فيرى احدًا الا من النساء ولا من الاولاد فاذا تم ما يقصدون تكون خطيئة هولاء الابرياء برقابكم لان مهردكار وطوربان سلمتا بانفسهما اليكم وفي نيتهما انكم تحافظون عليهما فوضعتموهما مع اعدائهما وكان موتهما وموت اولادهما بسبب تهاملكما فاطرق عمر العيار الى الارض برهة وسقطت الدموع من عينيه . ثم انهض راسه وقال في اي يوم يقدم النساء والاولاد الى النار فقال في عيد النيروز بحيث ان في تلك الايام يكون هدهد مرزبان قد وصل الى هذا المكان . قال وكم من المدة باقٍ لهذا العيد . قال بعد ستة اشهر من هذا التاريخ . قال اني اعدك ياسيدي وعدًا لا يمكن وحياتك ان اكذب به وهو اني لا تمضي

هذه الايام حتى اكون خلصت الجميع من الكبير الى الصغير . قال ان هذا يصعب عليك جداً ولا اظنهُ يتم او ينتهي لان الاحتياط متخذ من كل جهة ولا يمكن ان تهرب بهم وتنجو . قال اني اعرف كيف اقدر على خلاصهم وفي كل ذلك اني اعدك ايضاً بان اضع في قلب كسرى حسرة لا ينساها الى الابد وهو اني احتال عليهِ واجعلهُ يقبل يدي عن طوع واختيار مع وزيره بختك وكل اعيان الفرس وسوف اذكرك بكل شيءٍ قال ان قدرت على ما تقول شهدت لك وتكون قد فعلت ما يعجز غيرك عن فعلهِ فاذهب موفقاً بعنايتهِ تعالى وانا على الدوام ادعو لك بالسعادة والتوفيق في سائر اعمالك وادعو لهردكار وطوربان بالخلاص فان قلبي حزين عليهما جداً واريد ان يتخلصا من العذاب ومن الحريق

وبعد ان ودع عمر العيار الوزير بزرجمهر سار من المدائن الى ان جاء حلب واجتمع بالفرسان والابطال وطمنهم على مستقبلهم وقال لهم كونوا براحة واطمئنان وليضم بعضكم الى بعض وادخلوا البلد الى ان اعود اليكم فاني ما زلت حيًّا اجريت غايتي في كسرى انوشروان وحملت العرب على النجاح والتوفيق واعدت اليهم نساءهم واولادهم واموالهم وتركت حالة الفرس من اسوإ الحالات . غير اني اريد اولاً ان اسير الى قماصيا وانظر هناك الامير حمزة قبل كل شيءٍ ومتى عدت بهِ تم لنا كل ما نريدهُ ونختارهُ . قالوا افعل ما بدا لك ولا تطيل علينا غيابك فاننا في حالة تاخير نحتاج بعدها الى الاصلاح والراحة ولا نريد ان نصبر على الاهانة والاحتقار . ولما قصد السفر جاء اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي اني اريد الذهاب معك الى الامير حمزة ولا اطيق فراقهُ اكثر من هذه المدة فخذني معك الى قماصيا قال اريد ان تكون رفيقي غير اني مستعجل جداً ولا اريد ان انعوق وانت لا تقدر على رفقتي لان الذي اقطعهُ بيوم لا يمكن ان تقطعهُ انت بشهر . قال كيف كان الحال فاني رفيقك ومتى راينا الامير حمزة سرت انت الى قصاد ما تروم وبقيت انا مع الامير حمزة . فالتزم عمر ان ياخذهُ معهُ لما راى اصرارهُ على الذهاب معهُ وسارا عن حلب يقطعان البراري والقفار والسهول والاوعار يقصدان قماصيا وتلك الجهات

فهذا ما كان من امر العرب والعجم بعد ذهاب حمزة البهلوان عن تلك الديار واما ما كان منهُ بعد وصولهِ الى جبال قاف فانهُ امل بعد مضي اسبوع تذهب بهِ اسما بري الى حلب واقام عندها على الحظ والهناء الى ان مضى الاسبوع فقال لها اريد منك ان توصليني الى قومي فقد كفى ان لاقيت ما لاقيت من الاضطراب بالبعد عن العرب ولا اعرف ما جرى عليهم من بعدي . قالت اني فارقتك كل هذه المدة وقلبي بشوق لا يوصف اليك فهل تظن ان سبعة ايام لا تكفيني لان اسلم عليك بها فاصبر بعد سبعة ايام أُخر فما من خوف على العرب بعدك فكلهم

فرسان يقدرون على حماية انفسهم فقال لها اذا لم اكن بينهم لا يتوفقون . فقالت انك غبت عنهم قليلاً عدة سنوات وعدت اليهم فوجدتهم كما كانوا والآن اذا عدت اليهم تراهم على الخير والراحة ثم انه اقام عندها سبعة ايام اخر وطلب اليها ان تحمله لمحاولته وقالت له لا بد من بقائك عدة ايام اخر اكراماً لخاطر بنتك قريشة فقد سالتني بذلك وما زالت تطيل مدة قيامه سبعة سبعة وهو صابر عليها وقلبه يتحمل ذلك حتى ضاق صدره وعيل صبره فقال لها الى متى هذا التطويل فاني اذهب لوحدي ماشياً على اقدامي ولا عدت اقدر ان احمل منك اكثر مما تحملت . قالت اصبر عليّ الى ان اعود فقد خطر لي ان اذهب لزيارة بعض مدني وبلادي ومتى عدت اوصلتك . ثم تركته واوصت مردة الجان والطوائف ان لا احد يوصله وفي نيتها ان تحاوله سنين واعواماً . وبعد ان ذهبت جلس الامير متفكراً باهله ووطنه فبكى على فراق الجميع وكان قلبه يحدثه بوقوع مصيبة على العرب وانطبقت الدنيا في عينيه وفيما هو على مثل ذلك جاءته بنته وقالت له لما يا ابتاه تبكي هل كل ذلك لاجل ان فارقتك امي في هذا اليوم . قال كلاً يا ابنتي فاني ابكي لوقوعي بين يدي امك وهي تريد ان تبقيني عندها الدهر بطوله وكنت اريد ذلك لو لم يكن عندي شغل مهم وقد تركت العرب قومي بضيق واخاف ان يصابوا بضرّ واذا هلكوا قتلت نفسي لا محالة واريد منك ان توصليني الى اول العمار ومن ثم اسير انا الى بلادي . قالت اني افعل لك ذلك اكراماً لك ومهما شاءت امي فلتفعل فاني لا اخافها . ثم انها حملته وطارت به في الجوّ الاعلى ولا زالت سائرة حتى وصلت الى اول العمار فانزلته وقالت له ان بلادك من هنا قريبة وانا اريد الرجوع الى جبال قاف فقبلها وقبلت يديه وودعته ورجعت الى بلادها واقامت في قصرها الى ان جاءت امها وهي بشوق زائد الى الامير وفكرها مشغل عليه ففتشت عليه فلم تجده فسالت ابنتها قريشة عنه . قالت قد اوصلته الى بلاده . قالت وكيف قدرت على ذلك ولم تساليني به وانا لا اقدر على فراقه . اجابت كفاك ما فعلت معه وهو يتحرق على بلاده وقد ترك معسكره في حلب ولا يعلم ما جرى به واذا كنت لا تطيقين فراقه فاذهبي اليه واقيمي على الدوام عنده وبين نسائه كواحدة منهن . اجابت انا لا اطيق ان اراه مع غيري فكيف اوافق ان اكون عند مهردكار وهو يحبها اكثر مني ولا بد لي من ان اذهب اليه واعيده الى هنا ولا يمكنني ان اترك ملكي وابقى عنده . قالت قريشة اذا اتيت به الى هنا عدت انا فاوصلته ولو كان ذلك الف مرة الاّ ان يقبل بالقيام هنا ولا بد له بعد مضي زمن الحرب من الراحة فاذا جاء واقام عندنا عدة سنوات لا يكون خلفه ما يشغله . فتاملت اسما ريّ من كلام ابنتها الاّ انها كتمت امرها وسكتت وعرفت ان من اللازم الصبر على الامير الى ان يصفو له الجوّ ورات انه ليس من المناسب عناد قريشة

واما الامير حمزة فانهُ بقي سائرًا في الطريق الذي وجد عليهِ وهو لا يعرف من اين يسير وقد تيقن انهُ عن قريب يصل الى احدى المدن والبلدان ومنها ياخذ لهُ جوادًا ويسير من بلدٍ الى بلد حتى ياتي حلب ويجتمع بقومهِ وهو مسرور غاية السرور وفرح بالخلاص من جبال قاف ولا زال في مسيره الى ان قرب من البحر المالح فجعل يمشي على الشاطي وسيفهُ وطارقتهُ عليهِ وصرف ثلاثة ايام دون ان يرى انسانًا او يمر على بلدة فضاق خلقهُ وفرغ منهُ الزاد ولعب بهِ الجوع فعرج قليلاً عن الشاطي وسار حتى دخل بين خميلة من الاشجار ملتفة وكلها مثمرة فجعل يقتطف من اثمارها وياكل لسد رمقهِ وفيما هو على تلك الحالة واذا بهِ يرى رجلاً جالسًا تحت شجرة من تلك الاشجار مطرقًا براسهِ لا ينظر الى ما حواليهِ ولا يرى غير بين يديهِ فتقدم من ورائهِ ونظر اليهِ فراهُ مسندًا بظهرهِ الى جذع شجرةٍ وقد وضع بين يديهِ ورقة ينظر فيها ويتامل بما عليها فنظر الامير حمزة الى تلك الورقة واذا بهِ يرى عليها صورة فتاة جميلة المنظر بديعة المحيا حسنة التركيب على راسها اكليل من الزهور وفي عنقها عقد من الجوهر وعليها ثوب اسود يزيد في بياض وجهها. فتعجب من ذلك وغاب صوابهُ وراى ان داخل قلبهُ واحشائهِ تحرك الى صاحبة تلك الصورة وسبح الله الخالق وظن في نفسهِ انهُ لا يمكن ان يوجد في عالم الانس من هي توافق تلك الصورة وفيما هو على ذلك انتبه اليهِ الرجل وراهُ من خلفهِ فارتاع منهُ ونهض اليهِ وقال من انت ولما اتيت الى هذا المكان. قال لهُ اني مسافر مررت من هذه الجهة ودخلت بين الاشجار فرايتك جالسًا ففرحت اليك وتعجبت عند ما وجدتك تنظر الى هذه الصورة بتامل فهل هي ذات اصل او انها صورت وهمًا . اجاب لا بل هي ذات اصلٍ وصاحبتها لوعة القلوب بنت ملك قماصيا التي ضرب بحسنها المثل في هذا الزمان. فقال لهُ من اين وصلت اليك واين صاحبة هذه الصورة . اجاب اخذتها من بعض الدراويش وعند ما رايتها وجدت مكتوبًا تحتها . ان هذه صورة لوعة القلوب بنت ملك قماصيا . وتحت ذلك هذين البيتين

الم ترَ ان الحسن خير بضاعة تباع وتشرى بين كل الخلائقِ
فسبحان من خص الجمال جميعهُ بغادة حسنٍ كالشموس الشوارقِ

فمال قلبي الى صاحبتها ولعبت بي لواعج الغرام فتركت ملكي وسرت اطلبها. فقال لهُ وهل انت ملك اجاب نعم واسمي شرشوح واسم مدينتي مانع الجوهر. قال وكيف وصلت الى هذه النواحي ودخلت بين هذه الاشجار وجلست في هذا المكان . اجاب اني اتخذت مركبًا وسافرت عليهِ قاصدًا قماصيا فهاجت علينا الرياح واضطرب البحر وقذفت بالمركب الى البر فتكسر وغرق كل من فيهِ . الاَّ انا فاني صعدت سالمًا الى البر ومشيت حتى وصلت هذا المكان فاقمت الى ان جاءني النعاس فنمت ثم قمت وتذكرت هذه الصورة وكنت قد وضعتها في قماشٍ مطلٍ بالقير

ووضعتها في جيبي . وخفت كثيرًا من ان تكون قد عدمت فاخرجتها من جيبي واذا بها كما
تراها ففرحت جدًّا وصرت انتقل كل يوم الى جهة انتظر الفرج حتى وصلت الى هذا المكان
فاعجبني جدًّا واكلت من اثماره . ثم جلست اتامل في هذه الصورة وعرفت يقينًا ان لا نصيب لي
بها والاّ لما كان صار عليّ ما صار وفيما انا اتامل فيها وجدت مكتوبًا في اربع زواياها اربعة
احرف كل حرف بزاوية ففي الاولى حرف ح وفي الثانية م وفي الثالثة ز وفي الرابعة ة . وما احد
يقدر ان يعرف سرّ هذه الاحرف . فاحدق الامير بتلك الاحرف فراى كما اخبرهُ شرشوح
فاحتار وقال ان هذا اسمي ولا ريب ان صاحبة هذه الصورة تقصد هذا الاسم . وشغل باله
زيادة عن الاول وطلبت نفسهُ ان ترى لوعة القلوب ويجتمع بها ويشاهد غايتها واخفى ذلك
عن الملك شرشوح وقال لهُ هلمّ بنا نسير الان فما في جلوسك في هذا المكان فائدة عسانا نصل
الى باب الفرج فندخل منهُ ونجتمع بالناس من ابناء جنسنا . فنهض شرشوح صاحب مدينة
منابع الجوهر ومشى مع الامير حمزة وهما يتحادثان بشان لوعة القلوب والامير يسالهُ عن بعد بلاد
ابيها وقوتهِ ودينهِ وعدد رجالهِ وفيما هما على مثل ذلك واذا بهِ يرى شخصًا يركض خائفًا من
مطارد يطاردهُ وجاء الى تحت الامير واحتمى بهِ فنظر الامير اليهِ بتعجب وقال لهُ ما بالك وممن
تخاف . فلم يتمكن ذاك من الجواب واذا بهِ يرى صبية من الجان قد انحطت امامهُ وقصدت ان
تتناول خصمها وتضربهُ بسيفها فتقطعهُ قسمين فاعترضها الامير حمزة وامتشق من وسطهِ الحسام
وضربها بهِ فجاء في بطنها ودخل الى احشائها فصاحت وتالمت ووقعت الى الارض مائتة .
وحينئذٍ نهض الرجل ورمى بنفسهِ على ارجل الامير يقبلها وهو يتعجب من شجاعتهِ وكذلك
شرشوح فانهُ خاف كل الخوف وقال لا ريب ان هذا الرجل من اشد الابطال حتى يقدر ان
يفتك بالجان ولا يخاف ولا يرتاع . ثم ان الامير حمزة سأل الرجل عن سبب خوفهِ من الجنية
وما هو الداعي للحاقهِ وقتلهِ . اجاب اعلم يا سيدي اني منذ مدة وهذه الجنية تحاولني لتتزوج بي
وانا امتنع عليها وفي هذا اليوم جاءت اليّ وحملتني الى هذه الارض وراودتني من نفسي فحاولتها
كثيرًا فلم ترجع وقالت لي لم يبقَ لي قط درهم صبر عن وصلك فاما تجيب طلبي واما اقتلك
وارتاح من شرك ولما رايت نفسي مغتصبًا وان لا نجاة لي اردت ان اجيبها الى طلبها غير اني
ترددت وفضلت الموت على التقرب منها حيث ان نفسي كانت تكره ان تراها واذ رايتكما مررتما
من هذه الجهة خطر لي ان التجي اليكما وقد فعلت ذلك على غير انتباه ولا قصد . فكان لحسن
حظي ان قتلتها وارحتني من شرها وصار لك عليّ الفضل والجميل . قال الامير حمزة وما هو
اسمك انت . اجاب اسمي شمروخ . قال الحمد لله صار معي شرشوح وشمروخ وهذه رفقاء
اخر الايام

ثم انهُ صار سائرًا معها من تلك الناحية الى جهة البحر فمشوا عند الشاطي الى قرب العصر حتى وصلوا الى نهر يصب في البحر المالح ووجدوا عند فم النهر جماعة من النوتية يملأُون ماء ومعهم جماعة من التجار في قارب هناك فدنا الامير منهم وسلم عليهم فردوا عليهِ السلام وسالوهُ عن سبب وجوده في ذاك المكان قال نحن كنا في مركب فهاجت الارياح وغرق المركب وصعدنا على اليابسة ولنا عدة ايام نطوف في هذه الجهات الى ان رايناكم هنا فاستانسنا بكم فمن انتم ومن اين تاتون . قالوا نحن تجار نقصد مدينة منابع الجوهر وقد فرغ معنا الماء فرسي المركب الذي كنا فيهِ وطفنا في هذا القارب على الماء حتى عثرنا على هذا النهر ونحن نملي منهُ وسنرجع الى مركبنا قال الامير هل لكم ان تكرموا علينا وتاخذونا معكم الى تلك المدينة فتحيون نفوسنا ويكون لكم بذلك الاجر والثواب . قالوا حبًّا وكرامة . وبعد ان فرغوا من اخذ الماء صعدوا القارب جميعًا وساروا الى جهة المركب فركبوهُ وقد فرح الامير بسيره الى مدينة شرشوح ليسير من هناك الى مدينة قماصيا ويرى لوعة القلوب وكان قلبهُ قد تولع بها جدًّا وصار في كل مدة ياخذ الصورة من سرشوح وينظر فيها ويتعجب من ذاك الحسن البديع العجيب وهو لا يصدق ابدًا ان لوعة القلوب تكون في جسمها كما في رسمها وما زال المركب سائرًا والريح موافقة لهُ حتى قرب من مدينة منابع الجوهر فرسي المركب وبعد ان استقر جاء محافظو البحر وصعدوا على المركب وفتشوا فيهِ فراوا البضائع التي فيهِ فطلبوا من اصحابها رسمًا عليها يعادل قيمتها . فقال التجار ما هذا الظلم فان كلها لا تساوي هذه القيمة ولا تباع بها واذا كنتم لا ترحموننا نرجع من حيث اتينا . قالوا ان هذا لا يفيدكم فان طلبكم السفر لا تحصلون عليهِ ولا بد من دفع الرسم المطلوب او نحجز البضاعة ونذهب بها الى البر فارتاع التجار وخافوا على اموالهم ولم يعد في وسعهم الامتناع ولا التسليم ووقفوا محتارين في امرهم . وكان الامير حمزة واقفًا يشاهد كل ما يجري وقد اغتاظ جدًّا من المحافظين فدنا منهم وقال لهم هل انتم على الدوام تاخذون هذا الرسم ام ضربتم ذلك موخرًا . قالوا كلاَّ فان قبل هذه الايام كان يحكم علينا ملك عادل اسمهُ شرشوح فكان لا ياخذ الرسم قطعًا ويسهل للغرباء ان ياتوا بلادهُ غير ان هذا الملك قصد السفر منذ ايام فوكل مكانهُ رجلاً ظالمًا غاشمًا لا يخاف العاقبة ولا يراعي حرمة الانسانية فجعل يفعل الفحشاء ويضع الضرائب على العباد وزاد دخلهُ فكانهُ يسلب الاموال عيانًا من اصحابها حتى ترى المدينة في قلق وضجر وكل الناس يتمنون هلاكهُ ولا يقدرون على الاتيان بحركة ضدهِ . وعليهِ يكون الرسم هذا لهُ لا لنا ونحن لا ذنب علينا وكل ما نتمناهُ ان يرجع الينا ملكنا شرشوح ليخلص من ظلم هذا واذا ما انفذنا امرهُ قتلنا واهلكنا . فقال لهم حمزة اصبروا هنا الى ان اعود اليكم . ثم انهُ نزل الى القمرة فوجد شرشوح جالسًا والصورة بين يديهِ ينظر اليها ويبكي فلعبت بهِ الغيرة والحمية

فتناولها من امامهِ ومزقها ورماها وقال لهُ انهض حالاً فان بلادك قد خربت وماذا يفيدك العشق ولا نصيب لك بهِ فاراد شرشوح ان يدافع وقد احترق قلبهُ فدفعهُ دفعة ارعبتهُ وسار معهُ الى ان جاء المحافظين وقال لهم هوذا ملككم شرشوح وقد عاد اليكم فانزعوا عنكم ثقل هذا الحاكم الظالم الجديد وعودوا الى المدينة وبشروا اهلها برجوعهِ وها نحن في اثركم ولما راى الرجال ملكهم فرحوا بهِ جدًّا وقبلوا يديهِ وسلموا عليهِ واخبروهُ بما لاقوا من الحاكم الجديد . فقال لهم سيروا امامنا الى البر ثم نزل في القارب وامر حمزة التجار ان تخرج بضائعها الى البر وتبيعها بغير رسم . ونزل المحافظون على الشاطي ودخلوا المدينة وجعلوا يطوفون في اسواقها وينادون بشراكم يا اهل مدينة منابع الجوهر لقد رجع اليكم ملككم شرشوح وتخلصتم من ظلم الحاكم الحاضر اليكم الامان والاطمئنان . فكانت الناس تجتمع من مكان الى مكان وتتبع المنادي وترى ملكها فرحة بهِ وهو سائر الى ان دخل دار الحكومة واذا بجماعة العسكر قد اعترضوا حمزة وشرشوح فجرد سيفهُ وانحط عليهم وفرقهم وقتل منهم اكثر من عشرة انفار ثم دخل الديوان فوجد الحاكم الجديد جالسًا على كرسيهِ فصاح بهِ وقال لهُ من حيث انك ظالم غاشم لا تراعي حرمة العباد وراحة خليقة الله فقتلك لا بد منهُ كيف كان الحال ولا تستحق ان تبقى في هذه الدنيا . ثم ضربهُ بسيفهِ فقطعهُ نصفين والتفت بعد ذلك الى ارباب الديوان وقال لهم هوذا ملككم شرشوح قد عاد اليكم فاما ان تطيعوهُ واما يكون نصيبكم كنصيب غيركم من المعارضين . فقال الجميع اننا لا نريد لنا ملكًا غير شرشوح ونحن ما اطعنا هذا الا خوفًا منهُ والحمد لله على خلاصنا وجاء بشرشوح واجلسهُ على كرسيهِ وعاد حال المدينة كما كان سابقًا . ثم ان الامير حمزة اظهر نفسهُ لاهل المدينة وعرفهم عن سبب وصولهِ اليهم وكانت اخبارهُ واصلة الى تلك الجهات فاكرموهُ مزيد الاكرام واولموا لهُ الولائم وعملوا لهُ الافراح مدة سبعة ايام واهل المدينة ياتون اليهِ ويتفرجون عليهِ . وقد نصح حمزة لشرشوح ان يترك لوعة القلوب اذ ما من وسيلة لهُ للوصول اليها . فقال لهُ اني تركتها لاني كنت قبلاً ارى صورتها فاتذكرها والان نزعتها عن افكاري شيئًا فشيئًا وما من نصيب لي بها

وبعد ان قام حمزة سبعة ايام في مدينة منابع الجوهر سال شرشوح ان يحضر لهُ مركبًا يسافر عليهِ الى البصرة فاجاب سوالهُ واحضر لهُ مركبًا كبيرًا واسعًا . فودع شرشوح واهل المدينة وسار من هناك على ظهر البحار مسافرًا الى جهة البصرة وقلبهُ يضرب في جهة قاصيا ونفسهُ تطلب ان ترى لوعة القلوب بنت حاكمها وما زالت الريح موافقة والبحر ساكنًا حتى رسى المركب عند شاطي البصرة فنزل على قاصيا وسار الى جهة المدينة وكان الوقت بعد غروب الشمس بساعة فراى ابواب المدينة مقفلة فطرق الباب وسال الحارس فتحهُ فقال لهُ يجب ان تبقى الى الصباح

لان ابواب البلد لا تفتح الاّ في النهار واما في الليل فتقفل ولا يؤذن بفتحها قط لاحدٍ . فوقف الامير مبهوتًا ثم التفت الى شمروخ وقال له سر بنا للتحري الى كهف نبيت فيهِ هذه الليلة او نرى فندقًا ناوى اليهِ الى حين الصباح . فعرجا وسارا مقدار نصف ساعة واذا بالامير قد رأى قصرًا منيرًا في تلك الناحية فمال الى ناحيتهِ وقرب منهُ فوجد بابهُ مقفلاً فجلس عند جذع شجرة هناك على مصطبة نظيفة ومكان مرتب للجلوس وقال لشمروخ اجلس قليلاً هنا ولا بد من السوال عن اهل هذا القصر وسكانهِ فاذا قبلونا هذه الليلة بتنا عندهم واذا كان في ذلك ثقلة عليهم بقينا هذه الليلة هنا الى الصباح فان المكان يوافق للسامة . وبينما هما على ذلك واذا بثلاثة من الخدم قد حضروا امام الامير وقدموا لهُ مائدة عليها الوان الاطعمة فتعجب من ذلك وقال لمن هذا الطعام . فقالوا هو لكما . قال ومن ابن عرفتمانا حتى قدمتما لنا الاكل ومن الذي بعثهُ . قال ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قماصيا نقيم فيهِ ايام الحرّ وقد اعدت هذا المكان الذي انتما عليهِ الان لجلوس المسافرين فيمرون على الدوام من هنا ويبيتون بانتظار الصباح لكي يدخلوا المدينة وسيدتنا اعتادت ان ترسل لهم الماكل بحيث يكونون قد دخلوا في ضيافتها . فلما سمع الامير هذا الكلام طار قلبهُ فرحًا وقال لقد وصلت الى المطلوب من اقرب طريق . ثم تذكر الصورة وما راى مكتوبًا عليها من الاحرف فاراد ان يمتحن القصية . فقال للخدم هل في وسع سيدتكم ان تقبلنا لنبيت في هذا القصر باقي ليلنا وفي الصباح نرحل عنها الى المدينة . قالوا هذا لا يمكن قط لانها مقيمة في اعالي القصر وليس عندها ذكر قط ونحن لا نراها الاّ نادرًا وعندها قهرمانتها فانوس فنخاطبها بواسطتها وما من احد من جميع الذين صافونا طلب هذا الطلب او بات داخل باب القصر بل في اعالي الشجرة . قال اذهبوا الى سيدتكم واخبروها ان الذي ضافنا هو الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز وطلب الينا ان يدخل هذه الليلة الى القصر فيبيت فيهِ . فلما سمع الخدم هذا الكلام ما منهم الاّ من ارتاع واضطرب لانهم كانوا يسمعون بان الامير حمزة يحارب كسرى وقد اذل العجم وخافت باسهُ السلاطين والملوك فعادوا متحيرين وجاءوا سلم القصر ونادوا القهرمانة فانوس فجاءتهم وقالت لهم هل يحتاج ضيوفنا الليلة الى شيء غير الطعام . قالوا اخبري سيدتنا ان ضيفنا هذه الليلة هو بحاجة الى ان يدخل القصر وقد ذكر لنا اسمهُ ونحن نكاد لا نصدق انهُ هو . قالت وما اسمهُ . قالوا قال لنا انهُ الامير حمزة البهلوان ابن امير مكة المطهرة الذي انتشر صيتهُ في العالم من مشرق الشمس الى مغربها ولا نصدق ان ذاك الرجل ياتي هذا المكان على مثل هذه الحالة وعندهُ الملوك والفرسان في خدمتهِ وتحت طاعتهِ . فلما سمعت هذا الكلام وقفت مبهوتة نحوًا من خمس دقائق . وكانت لوعة القلوب قد سمعت بعض هذا الكلام فنزلت من غرفتها للاستفسار ودنت من فانوس وقالت

لها ماذا يقول الخدم . قالت لها والله يا سيدتي ما يقولونه يحير الافكار و يصيع العقول وهو انهم اخذوا الطعام لضيفين زارا مصيفنا هذه الليلة فطلب احدهما ان يدخل هذا القصر وسال الخدم ان يطلعوا الى سيدتهم ان تاذن لهُ بالدخول وادعى انهُ الامير حمزة صاحب السند والعلم ومذل الجبابرة والابطال الذي لا يخفاك امره وعلو منزلتهِ في هذا الزمان وهذا لا يكاد يدخل عقلنا قالت ويلك كيف لا يدخل عقلك وهل من العجب ان يزور سيد العرب لوعة القلوب وقد سألت الله ذلك الوف مرات . فامري الخدم ان يطلعوهُ الينا ومتى رايناهُ عرفناهُ . وفي الحال رجع الخدم الى الامير حمزة وقالوا لهُ ادخل فان سيدتنا بانتظارك . فدخل وترك شمروخًا في الخارج وحالما دخل نزلت اليهِ فانوس وترحبت بهِ كل الترحيب واصعدتهُ الى اعالي القصر وهي تتعجب من حسن طلعة الامير وهيبتهِ وقد ثبت عندها انهُ هو هو الامير حمزة بعينهِ . ولما صار في الطابق العلوي تقدمت منهُ لوعة القلوب وسلمت عليهِ وقالت لهُ لقد شرفت فتاة صرفت اشهرًا واعوامًا تتمنى لقاك وترغب ان تراك فالحمد لله على هذا الملتقى الغير مستظر وقد عملت جميع الوسائط لتعلم بي واني عشقتك بمجرد السماع . قال ان من حضر ما غاب ولو رايتُ صورتك من قبل لما تاخرت الى هذه الايام . فالحمد لله الذي وصلت اليك ورايتك وكنت لا اصدّق ان هيئة جسمك تنطبق على رسمك والان اراك ابدع صورة مما في الصورة ولم يقدر المصور ان ياتي ببراعة الصنعة بل قصر جدًّا عن الاتيان بكل معناك وها اراك الان ربة الجمال والهمة ثم وضعت يدها بيدهِ وهي طائرة الفؤاد لا تعي على نفسها من شدة الفرح والمسرة ودخلت الى غرفة فسيحة مفروشة بالاثاث الفاخر والبسط العجمية وجلست على مقعد من الحرير واجلستهُ الى جانبها وهي لا تفتر عن شرح حالها لهُ وقد قالت ملأت الارض صورًا وانا متيقنة بان لا بد ان تقع في يديك احدى هذه الصور فتقصد ان تراني . قال ومن اين عرفتِ بي . كنت ذات ليلة في قصر ابي واذا بتاجر من نواحي حلب قد دخل مدينتنا وهو من اصحاب الفكاهات والنوادر فزار ابي حسب عادتهِ وكان رجلاً شيخًا اعتاد الاسفار والتجارة في نواحي الارض شرقها وغربها محبوبًا من الملوك والوزراء وكان ابي سامعًا طرفًا من حديثك فسالهُ عنك فاعاد عليهِ قصتك من الاول الى ان رجعت من جبال قاف وان كل من راك من النساء احبك وقد تزوجت بعدة نساء وقهرت كسرى انوشروان . وكان الرجل وقلبي يهلع ويخفق ووقعت من قلبي موقعًا عظيمًا حتى صرت احسب نفسي من نسائك وانا اصلي الى الله تعالى ان يقيدك اليَّ ولا يحرمني منك ثم خطر لي ان اصور نفسي وانشر صوري بيد الدراويش والسياح عسى ان واحدة منها تصل اليك فتدرك الغاية وتاتي اليَّ فهلاً وقعت واحدة منها بيدك . قال نعم لقد رايت واحدة منها ولهذا السبب جئت اليك . واعاد عليها حديثهُ مع شرشوح وشمروخ حتى وصل الى قصرها و

فشكرت الله وامرت قهرمانتها ان تقدم لها الطعام ففعلت واكلا وهما غارقين ببحر الغرام والهيام
وبعد ان فرغا من الطعام قدمت لها القهرمانة صفرة المدام والنقل والزهور وارادت الانصراف
فقالت لها لوعة القلوب لا تنصرفي بل ابقي عندنا واحضري العود واضربي لنا عليهِ فان ليلتنا
هذه ليلة حظ وما من باس بقيامك معنا فاجابتها واحضرت العود وجعلت تضرب عليهِ وكانت
ذات صوت رخيم جدًّا وبراعة بضرب العود وبعد ان شدت الاوتار واصلحت شانهُ وضربت
بهِ انشدت

لك لا لغيرك اشتكي   جور الصدود المهلكِ
وارحم اسيرك ابي   القي السلاح ام افتكِ
اشكو الى من لا يجي   ب ولا يرق لمشتكي
واقول يا عين اسمحي   فيقول ياعين اسفكي
يامعرضًا فضح استتا   ري واستباح تهتكي
اني منيت وانما   امل التلاقي ممسكي

وكانت تلك الغرفة ترقص من الحظ والفرح والامير يشرب الخمر من يدي لوعة القلوب
وهي تشرب من يدهِ وتطلب ان لا ياتي صباح تلك الليلة فيبقى حبيبها عندها وتطول حالتها
على مثل هذه الحال غير ان ليل الاجتماع قصير كما ان ليل الفراق طويل فداما على الحظ والمسرة
والهناء ومناشدة الاشعار ومعاطاة الخمار الى ان تبلج وجه الصباح وحينئذٍ قال الامير اني رجل
اود سرعة العودة الى بلادي ولذلك ارغب في ان اذهب هذا اليوم الى المدينة واسعى في التقرب
من ابيك فاتزوج بك واعود الى بلادي لارى كيف حال قومي ورجالي مع كسرى وقومهِ
قالت ان هذا اريدهُ واني مثلك ارغب في سرعة التقرب من بعضنا فافعل ما انت فاعل وتراني
مطيعة لك في كل ما تريد . قال لكني اريد ان اسألك سوالاً عن سبب قفل ابواب المدينة
من حين غياب الشمس وقد تاكدت ان لا بد لذلك من سبب عظيم . قالت نعم وهو انهُ منذ
سنة تسلط على مدينتنا اسد هائل المنظر فيدخل اليها ويفترس منها اثنين او ثلاثة اشخاص وقد
صرفوا الجهد الى قتلهِ فلم يقدر عليهِ احد ولما اعياهم الامر اتفقوا ان يقفلوا ابواب المدينة في
المساء ويفتحوها في الصباح وعليهِ فقد ردوا عنهم شرهُ فياتي الليل والابواب مقفلة فيطوف حول
المدينة ولا يقدر على الدخول اليها الاَّ انهُ كان يفترس كل من يصادفهُ وعليهِ فاني لا اخرج قط
خارج قصري في الليل ولا ادع احدًا من قومي يخرج بعد اشتداد الظلام . قال وهل ياتي
الى نواحي هذا القصر . قالت لا اعرف فاني ما علمت انهُ جاء قط ولكني اتوهم انهُ لا بد ان
يمر من هنا . قال والذين ياتونك ضيوفًا . قالت بعد ان اقدم لهم الطعام انصح لهم ان يبيتوا في

جوف الشجرة فيعملون من الاغصان سريرًا ويبنون فضلاً عن اني امرت خدمي فهن يعملوا اسرة في جوف الشجرة حتى اذا مرّ الاسد لا يرى بشرًا ولم يعتدِ عليّ الاسد قط ولا اظنهُ يعتدي عليّ فلما سمع الامير منها هذا الكلام ظهر عليهِ الكدر والاضطراب وقال لها كان من اللازم ان تخبريني بذلك منذ اول الليل فان لي خادمًا اسمهُ شمروخ تركتهُ في الخارج واخاف ان يكون الاسد قد افترسهُ . قالت اني شغلت بك ولم يخطر في ظني ان معك رفيق كما انك شغلت بي عن خادمك وعلى ظني انهُ لا يزال حيًّا . فنهض الامير الى شباك القصر ونظر واذا بهِ يرى الاسد جالسًا يفترس شمروخًا ويرمش عظامهُ فصاح واحسرتاه عليك ياشمروخ خلصتك من الجان ورميتك بانياب الاسد . ثم استل سيفهُ وكرَّ في سلم القصر فتعلقت بهِ لوعة القلوب وقالت لهُ لا تخاطر بنفسك يا سيدي فان خادمك قد هلك ومات ولا بد للاسد بعد ان يفرغ منهُ يذهب قال لا بد من قتلهِ بثار خادمي وحيث قد اصطاد انسانًا في هذه الناحية فلا بد من تكرار رجوعهِ قالت ان حياتك عزيزة عندي . قال سوف تريني اذبحهُ كالشاة فهو عندي كالهرة فقفي في الشباك وانظري اليَّ قبل ان يذهب وما من وسيلة للتقاعد عنهُ فكوني راحة من جهتي فقد قتلت مثلهُ كثيرًا والاَّ كيف اكون حمزة العرب وسيد السيف والسنان اذا كنت ارهب الاسود فتركتهُ ورجعت الى الشباك واذا بهِ خرج من باب القصر وبيدهِ الحسام وصاح بصوت اشبه بالرعد القاصف وقال ويلك يا كلب البرية اما حلا لك غير خادم حمزة العرب اما وصلك طرف من اخباري اما عرفت بطشي وقوة ساعدي حتى قدت نفسك الى حفرة الهلاك فلما راى الاسد الامير وسمع ارعداد صوتهِ تنفض واستعد للهجوم عليهِ وقد احمرت عيناهُ منهُ وزئر زئيرًا عاليًا جعل لوعة القلوب ان تخاف على حبيبها وقد تمسكت بيديها في جهتي الشباك وبوِيت ان رات الامير وقع بين يدي الاسد رمت نفسها الى الارض فتموت ويكون قبرها وقبر حبيبها جوف الاسد . ومن ثم قد رات الاسد اجتمع على الاربع وانحذف بكليتهِ على الامير وهو مكشر الانياب مقوم الاظافر فزاد خوفها وعولت على رمي نفسها واذا بها قد ارتاحت الى ضربة سيف وقعت من كف الامير بين عيني الاسد فشقت راسهُ وعنقهُ وصدرهُ وجوفهُ الى ما بين افخاذهِ وانحذف نصفاهُ يمينًا وشمالاً ثم مسح سيفهُ بجلدهِ وقال ويلك ايها المعتدي اظننت ان حمزة كغيرهِ يصبر على عدوهِ . ثم عاد الى ما بقي من جسم شمروخ وجعل يبكي عليهِ وقد تكدر لاجلهِ مزيد الكدر وذم الهوى الذي جعلهُ ان ينسى خادمهُ ورفيقهُ ويلتهي بمحبتهِ وامر بعد ذلك الخدم ان تدفنهُ التراب وصعد الى اعالي القصر فوجد لوعة القلوب لا تزال واقفة في الشباك وهي غير منتبهة اليهِ بل ماخوذة العقل والفواد من عظم ما نالها من الفرح فدنا منها واخذها الى صدره وسقاها الماء فعادت الى وعيها وقالت لهُ اصحيح ايها الامير انك تمسي وانى

استحق أن أكون زوجة لرجل باسل نظيرك تخافهُ الاسود وتذلُّ لديهِ الابطال . فقال لها هدئي روعك فانا حبيبك ولا انفكاك لي عنك فساتزوج بكِ وارجع الى بلادي وانت تكونين من سيدات العرب وزوجة كبيرهم واميرهم . قالت اذن من الواجب ان تذهب الى المدينة وتدخل على والدي وتعرفهُ بنفسك ومن ثم تطلب اليهِ ان تتزوج بي فيساً لني فاجيب ولا تظهر لهُ انك اتيت عندي او عرفتني . قال هذا اعرفهُ وافعل كل ما يرضيك فكوني في قصرك كما انت وساعود اليك في كل ليلة الى ان نزف من بعضنا

ثم انهُ ودعها وخرج من القصر وهو محروق الفواد على شمروخ وبعد دقائق قليلة وصل من ابواب المدينة فوجد احدها بفتح وحالما فتحهُ البواب وجدهُ عندهُ فاظهر التعجب والاندهاش وقال لهُ اين كنت نائمًا طول هذه الليلة قال كنت نائمًا عند الباب . قال وكيف لم يفترسك الاسد قال جاء اليَّ فطاردتهُ ففرَّ من امامي فادركتهُ وقتلتهُ وهنذا ترونهُ مقتولاً في الخارج فهلموا اليهِ لتتفرجوا عليهِ . وكان جماعة من اهل المدينة واقفين يسمعون هذا الكلام فتعجبوا منهُ وساروا معهُ حتى قربوا من قصر بنت الملك وراوا الاسد قسمين واقعًا الى الارض فتعجبوا وارتاعوا من الامير واستعظموهُ في اعينهم وعادوا راجعين الى المدينة ونادوا بها بقتل الاسد وصارت الناس تخرج وتتفرج عليهِ وكلهم من الفرح على جانب عظيم وبرهة قليلة وصل الخبر الى حاكم قاصيا فسقط الهم عن قلبهِ وطلب ان ياتوهُ بالرجل الذي قتل الاسد فقدم اليهِ الامير وسلم عليهِ وجلس امامهُ فقال لهُ انت الذي قتلت الاسد قال نعم . قد قتلتهُ عندما اراد ان يعتدي عليَّ وهذا ليس بعجيب فقد قتلت مثلهُ كثيرًا في زمني . قال من اين انت وما اسمك وما الذي جاء بك الى بلادي . قال اما انا فاسمي عبد الله واصلي من بلد الله جئت هذه البلاد لاتوصل اليك واتعرف بك والان اسالك هل من عدو لك في كل هذه النواحي وهل من احد من اتباعك عاصٍ عليك وخارج عن طاعتك . قال نعم ان كل القبائل التي حول جبل قاصيا لا تدفع الجزية منذ خمس سنوات وحتى اليوم خارجة عن طاعتي . قال سوف اجعلها كلها كالعبيد بين يديك . ففرح به جدًّا وعمل لهُ وليمة فاخرة ذاك النهار هذا والناس تاتي من كل ناحية للفرجة عليهِ . وعند المساء طلب من الحاكم ان يدفع اليهِ مائة رجل من رجالهِ ليكونوا في رفقتهِ ويستدل منهم على القبائل العاصية . فاجابهُ ودفع اليهِ مائة رجل فخرج بهم وانحط على الاعداء فارسل بهم الويل وقتل منهم كثيرًا وارغمهم على الطاعة الى حاكم قاصيا ثم انتقل الى جهة ثانية وفعل فيها كالاولى حتى انتشر الخبر بين كل تلك القبائل المجاورة ووقع الرعب في قلوبهم واخذوا يتقاطرون من تلقاء انفسهم الى المدينة صاغرين مظهرين الطاعة نادمين على ما جرى منهم . والحاكم يطلب اليهم ان يدفعوا الجزية عن السنين الخمس الماضية

فيدفعون اليهِ وهو مسرور من عمل الامير حمزة فرح بهِ . ولما راى الامير ان جميع العصاة قد انقادوا الى سيد البلاد عاد اليهِ . وقال لهُ لقد فعلت ما يرضيك فهل من حاجة بعد في قلبك . قال اني اعرف ان بلادي قد عاشت بك بعد ان كادت تخرب واريد منك ان تسمع مني وتبقى عندي في بلادي وانا اشاركك في الحكم واجعلك غفير البلاد وحاميها من الاعداء . قال هذا لا ارغبهُ ولا اريدهُ واني بعد ايام قليلة اسافر عنك فاذا كان في نفسك حاجة فابدها . فلما سمع الحاكم هذا الكلام تكدر وخاف من غيابهِ وتمنى ان يبقى عندهُ لترتفع بهِ شوكتهُ وتتسع بلادهُ . فقال اني لا اريد ان افارقك وصار لك الحق في البلاد اكثر مني ولا ريب انك تسرُّ بالبقاء هنا فاني وجميع اهل بلادي نعرف قدرك ونعترف بفضلك ولا يصير لك عند غيرنا ما يصير لك عندنا . قال لا بد من السفر بعد ايام قليلة . ثم خرج من دار الاحكام الى المكان الذي اعد لهُ ولما كان المساء ذهب تحت ظلام الليل الى قصر لوعة القلوب فوجدها بانتظاره فسلم عليها وسلمت عليهِ وترحبت بهِ وقالت لهُ قد مضت كل هذه الايام وانت بعيد عني ولم اسمع عن طلبك الزواج الى ابي مني فلما ذلك . قال اني اردت في الاول ان ابادئهُ بالجميل والمعروف ليعرف قدري ويتعلق بي وحتى الساعة لم اذكر لهُ اسمي ولا عرفتهُ بحالي بل قلت لهُ ان اسمي عبد الله وفي هذا اليوم استاذنتهُ ان يسمح لي بالسفر الى بلادي فتكدر وقدم لي بلادهُ لاكون حاميها وصار لا يقدر على فراقي ولا ريب اني اذا طلبت اليهِ الان الزواج منك اسرع فاجاب وفرح كل الفرح وفي الغد اسالهُ في ذلك . فقالت لهُ حسنًا فعلت . ثم تناولتهُ من تحت ابطهِ ودخلت واياهُ غرفة الطعام وجلست معهُ على المائدة فاكلا وشبعا . ثم خرجا الى غرفة ثانية حيث كانت ناموس القهرمانة قد اعدت سفرة المدام وصفت عليها الزجاجات والاقداح وجلست هي بالقرب منها تضرب على العود وكانت كما تقدم رخيمة الصوت ناعمتهُ حسنة الضرب . فجعلت لوعة القلوب تشرب وتسقي حبيبها وتسمع صوت الالة وكلٌّ منهما غارق ببحر هواهُ ضائع العقل عند الاخر وما زالا على ذلك الى ان فاجئتهما سنة الكرى فنهض كل واحد الى فراشهِ وهو ثامل من شدة شرب العقار . وعند الصباح نهض الامير حمزة وودع لوعة القلوب وجاء المدينة ودخل على حاكم قماصيا

قال وكان ابو لوعة القلوب بعد ان خرج الامير من امامهِ قال لقومهِ ماذا ترون في امر عبد الله فاني لا ارغب ان يسافر عنا ويترك بلادنا ونحن في حاجة اليهِ ولا ارى كيف العمل لنجعلهُ ان يبقى عندنا طول عمره ولا يبارحنا . قالوا ان الراي عندنا ان تعرض عليهِ الزواج من بنتك لوعة القلوب وهذا الامر يربطهُ بك ويجعلهُ بالرغم عليهِ ملزومًا ان يحافظ على البلاد ونطلب الى لوعة القلوب ان تقنعهُ بذلك . قال اخاف ان لا يرضى عبد الله بهِ ويذهب عنا

ويتركنا . قالوا لا ريب انهُ يرضى ويكون ممنونًا من هذا لان لوعة القلوب نادرة المثال لا نظير لها في كل العالم فاذا عرف بذلك فرح وسلم امرهُ اليك . فاتفقوا على ذلك ولما كان اليوم الثاني وجاء الامير الى مجلس ابي لوعة القلوب ترحب بهِ واجلسهُ الى جانبهِ وزاد في اكرامهِ وقبل ان يبدي الامير كلمة تتعلق بشان لوعة القلوب قال ابوها اني ارجوك ان تبقى في بلادنا وخطر لي ان ازوجك من بنتي لوعة القلوب التي لا نظير لها في هذا العالم وقد طلبها كثير من الشرفاء والعظماء ولم تقبل ان تكون زوجة لاحدهم واريد منك ان تقبل هذا وترضاهُ ولا ريب ان بنتي ايضًا تسرُّ بهِ بعد ان بلغها شدة بطشك وعظيم قدرك وجسيم بسالتك . قال اني كنت لا ارغب ان اقيم في هذه البلاد اكثر من ايام قليلة وحيث قد انعمت عليَّ بلوعة القلوب فاني اعرف منك هذه النعمة واقدرها حق قدرها واشكر لك هذا المعروف . ولما سمع حاكم قماصيا هذا الكلام سرَّ بهِ جدًّا وفرح فرحًا ما عليهِ من مزيد . وقال لهُ انت منذ هذه الساعة صهري ومساعدي ومعيني ولك الحق في بلادي وفي تدبير امرها كما لي . فكن انت المتصرف والحاكم مثلي ولي ثقة كبرى انك تزيد في شان قماصيا وترفع قدرها وتوسع دوائر حكومتها وتاتي لها بكل نفع

ثم ان حاكم قماصيا ارسل الى بنتهِ وجاء بها الى قصرهِ وعرض عليها امر عبد الله وقال اريد منك ان تقبلي بالزواج منهُ لاننا بحاجة اليهِ واذا ذهب عن بلادنا ساء حالنا واذا كان صهري زوجك خاف باسنا الملوك الكبار والفرسان والابطال وقد رايت من افعالهِ ما ادهشني فقد قتل الاسد الذي عجزت عنهُ انا وكل جيوشي واذل العصاة وسهل لي ولبلادي طرق الاتساع فهو بدون ريب نادرة المثال سينتشر صيتهُ في الافاق كانتشار صيت حمزة العرب وربما كان اعظم منهُ ثباتًا في ساحة القتال . قالت افعل ما بدا لك فاني لا اخالف لك امرًا في الزواج بهذا الرجل حيث اني احب الابطال واريد ان اكون زوجة لرجل يدفع عني الغارة وكل معتدٍ ويحمي بلادنا من حملات الاعداء فسرَّ ابوها من كلامها ومدحها وهو لا يعلم ما بينها وبين الامير وعاد اليهِ فاخبرهُ بجواب بنتهِ . ومنذ تلك الساعة اشهر خبر زواج لوعة القلوب بعبد الله ففرح الناس وبدأ بعمل العرس ودعا القريب والبعيد وقد قامت الافراح في كل ناحٍ مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عقد للامير على لوعة القلوب ودخل بها وسرَّ منها سرورًا لا مزيد عليهِ وصرف عندها وقتًا ليس بقليل واطمأن بال حاكم قماصيا من جهة عبد الله وثبت عندهُ انهُ سيبقى الى الممات في بلاده . والامير في قصره وجنتهِ مجتمعًا بها يشرب ويسرُّ ويطرب وهو لا يحب ان يفارقها وان يصرفه اياما بقربها يتمتع بجمالها وعذوبة الراحة عندها . وهذه تروح من الامير حامل بولد ذكر يدعى سعد الطوقي ويكون من الفرسان والابطال ويفرج عن العرب الشدة

والضيق كما سياتي في محله

فهذا ما كان من الامير حمزة ولوعة القلوب وحاكم قماصيا ولنرجع الى عمر العيار ومعقل البهلوان حيث قد تركناهما سائرين الى قماصيا ليجتمعا بالامير كما تقدم معنا ولا زالا سائرين من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة يخترقان السهول والاوعار ويتسلقان الجبال والآكام وعمر يلتزم ان يسير الهوينا ليساوي في مسيره معقل البهلوان الى ان وصلا قماصيا وصادف انهما جاءا نحو الساعة واحدة من الليل قصر لوعة القلوب وهي فيه مع زوجها الامير حمزة البهلوان فعرجا اليه وجلسا تحت الشجرة التي عند بابه وقد اعجبهما ذلك المكان وقال الامير عمر لرفيقه حيث قد وصلنا البلد والوقت ظلام فننام هذه الليلة هنا وفي الصباح ندخل المدينة ونفتش على اخي . قال قد اعجبني هذا المكان . وجد بن وإياه واخرجا ما معهما من الطعام لياكلا واذا بخدم القصر قد خرجوا منه حسب العادة وجاءوا لهما بالطعام فقدموه بين ايديهما . فقال عمر لهم لمن هذا القصر وكيف ارسلوا لنا هذا الطعام . قالوا ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قماصيا ومن عادتها ان تكرم ضيوفها فمن جاء هذا المكان قدمنا له الطعام حيث يكون في ضيافتها فهي كريمة الفعل والطباع . قال جزاها الله خيرًا . ثم تناول الطعام وذهب الخدم في حال سبيلهم فقال عمر يظهر لي ان بنت صاحب قماصيا كريمة وصاحبة فضل ومعروف . قال لا بد ان نجازيها على فعلها هذا اذا ساعدنا الزمان ولا عجب اذا صار منها ذلك فان اهل هذه البلاد اهل كرم وسلام . ثم صرفا ساعات قليلة يتسليان بالكلام . ومن بعدها نام معقل البهلوان وعلا غطيطه . فتركه عمر العيار وقال لا بد لي من ان اعرف لوعة القلوب هذه واعرف من داخل القصر لاني ارى انوارًا كثيرة فيه واسمع اصوات الغناء والعود وجاء القصر وجعل يدور من حوله من كل جهاته حتى ادرك المكان الذي يمكنه الدخول منه فتسلق الحائط وجاء النافذة وانسحب منها ثم قلب الى الداخل وانسل في دهاليز القصر وصعد سلالمه حتى جاء الغرفة التي فيها لوعة القلوب والامير حمزة وكانا اوانئذٍ على صفرة المدم فقرب من نافذتها ونظر الى الداخل واذا به يرى الامير حمزة جالسًا مع لوعة القلوب وهي كانها الكوكب الوضاح يلالئ في ظلام الليل الحالك وامامها القهرمانة ناموس وقد وضعت العود بين نهديها تضرب به وتغني برخيم صوتها والامير مشغل مع محبوبته بالكلام وقد سمعه يقول لها اني اسرُّ الآن بك جدًا ويفرح قلبي الفرح العظيم ولكن فكري لا يزال يشتغل عند صواحي حلب حيث ان جيشي مقيم هناك ولا اعرف ماذا صار به واريد منك ان تذهبي برفقتي الى هناك كي تكوني مع نسائي . قالت لا ازال اراك مشتغل البال عند قومك وهم بامان وسلام وراحة وعندهم عمر العيار الذي حكيت لي مرارًا انه صاحب الراي الحسن والتدبير العظيم وان العرب بدونه لا تصلح لشيء ولا لشيء .

قال انا اعرف انهُ ما زال عمرًا بينهم لا خوف عليهم ولا نصلهم اذية لكنهم لا بد من ان يضطربوا لغيابي ويلتزم عمران يسعى خلفي بالتفتيش عليَّ واذ ذاك يترك المعسكر ويبعد عنهم وربما جاء هذا المكان ايضًا واعظم شيء يدفعني الى الذهاب هو شوقي لولدي ورجالي ونسائي ولا سيما اخي عمر. قالت دع عنك الان هذا الحديث وخذ هذا القدح فاشربهُ لصحة اخيك عمر ودع قانوس تنشدنا عليهِ شيئًا من الشعر تضربهُ على عودها . فضربت القهرمانة ضربًا يحرك الحواس من داخلها ويطرب الشجي الولهان وانشدت

نفسي الفداء لشادنٍ حشمتهُ | وشفيت بالتقبيل منهُ غليلي
ظفرت يداي بصيدهِ بوصيدهِ | فاجدت ثم توصلي بتوصولي
صادفتهُ وأكففهُ مشغولة | بابارق قد اترعت بشمولِ
فمنحتهُ بالضم من القائها | وجعلتها تحيه للتقبيلِ

فلما سمع عمر العيار من الخارج ذاك الصوت وشاهد تلك الجلسة غاب صوابهُ ودخل بغتة وقال السلام يا اخي حمزة انت جالس هنا على الحظ والانشراح وضرب العود وشرب الخمار ونحن ندور البلدان ونسأل الركبان ولم نرك قط في مكان . فاندهش الامير ولوعة القلوب من عمر ونهض اليهِ وقبلهُ وسلم عليهِ وقال لهُ اني لا ازال اتذكرك فاهلاً وسهلاً بك . ثم سلم على لوعة القلوب والقهرمانة قانوس وقد مال قلبهُ اليها ورا فيها من معاني الحسن ما جعلهُ يميل اليها كل الميل ويحبها محبة عظيمة . وقال لاخيهِ ابقَ يا اخي على ما انت عليهِ فما اتيت لانغص عيشك بل اتيت لاطمئن عليك والحمد لله انت بخير وسلام . قال اجلس الان معنا وشاركنا في سرورنا فهذه زوجتي لوعة القلوب وقد جئت قماصيا لاجلها وتزوجت بها . فقال عمر لقد احسنت . فهي وقهرمانتها نادرتا المثال . فادرك الامير غايتهُ واجلسهُ الى جانبهِ وهو مسرور بهِ كل السرور وقد تناول قدحًا وناولهُ اياهُ فشربهُ وامر قانوس ان تنشدهُ شيئًا من الشعر . فاخذت العود وضربت ضربًا ناعمًا لطيفًا ترقص لهُ بنات الافكار وتطرب عند سماعهِ الحور والولدان وانشدت

رقصوا مقام الحرب واشتبك القنا | من كل قد كالقضيب اذا انثنى
ونضوا من السود المراض صوارمًا | بيضًا فلم نعلم علينا ام لنا
هزوا الغصون وكلموا اعطافهم | حمل الجمال فكان ظلمًا بيننا
من كل ردفٍ كالكثيب مجاذب | قدًّا اغض من القضيب والينا
صدوا وردوا سافرين وجوههم | نحوي فشاهدت المنية والمنا
ضمنوا قرب اسماعنا وعيوننا | للعين رقصهم وللسمع الغنا

فبكى الامير عمر العيار عند سماع صوتها وغاب صوابهُ وزاد في قلبهِ الغرام ولم يتمالك نفسهُ عن ان ينشد

شجى رشفا لما شدا وترنما فانعس ايقاظًا وايقظ نوّما
وجس من الاوتار مثنى ومثلثا فخفت بنا الافراح فردًا وتوّما
اغن كأن العود ضمّ صدى لهُ يحاكيهِ في الناظرِ ان تكلما
يحاكيهِ في الحالين صوتًا ولهجة فقد كاد يلقى ضاحكًا متبسما
اذا رتلت الفاظهُ الشعر معربًا وعادتنا لنا اوتارهُ اللفظ معجما
لهُ منطق يستنزل العصم عندما يحرك في الاوتار كفًا ومعصما
يضم الى نهديهِ عودًا تظنهُ نسيمًا تجزّى او نسيمًا مجمجما
كأن حشاهُ ضمّ سرًا مكتمًا يكتم عنهُ او حديثًا مجمجما
يطارحنا شرح الضروب مبرهنًا فناخذ نقل اللهو عنهُ مسلما
وان حركتهُ الكف ابدى تململاً تحرك ما يدنيلا ويلملما

وعندما راى الامير حمزة الى حالة اخيهِ عمر التفت الى لوعة القلوب فراها تنظر اليهِ كحالة بحالهِ فغمزتهُ ان يجمع بينهما فاجاب في الحال والتفت الى عمر وقال لهُ اني اعرف انك احببت فانوس وهي تستحق هذه المحبة وقد عزمت ان ازوجك بها في هذه الساعة فتكون زوجة لك وتكون انت بعلاً لها وتساويننا بالمسرة والحظ. قال حسنًا تفعل فاني ما شغلني زماني بفتاة ولا عشقت فتاة كعشقي لهذه الفتاة. ثم قالت لوعة القلوب لقهرمانتها اني ارتك الان من الامير عمر العيار فتكونين عندهُ على الدوام لانهُ سيد في العرب ونافذ الكلمة عليهم فاطاعت فانوس كلام سيدتها وفي الحال حسبت زوجة لهُ وبعد انصراف السهرة ذهب كل بزوجته يصرف باقي الليل معها وفانوس هذه تلد من الامير عمر ولدًا ذكرًا يسمى الشاه ذنب ويكون لونهُ احمر وسياتي ذكر حديثهِ ان شاء الله

وفي الصباح نهض الامير واجتمع بعمر وهناهُ بليلتهِ وقال لهُ هل جئت وحدك من حلب او صحبك احد من العيارين والامراء فانتبه اذ ذاك الامير عمر الى حالهِ وافتكر بانهُ ترك في اسفل القصر معقل البهلوان وقال لاخيهِ قد ارتكبنا غلطًا عظيمًا وفعلنا فعلاً جسيمًا نستحق لاجلهِ اللوم وشغلت بفانوس وبك عن ان افتكر بمن تركتهُ في اسفل القصر وهو معقل البهلوان وقد تركتهُ نائمًا وجئت انظر من في القصر على امل ان اعود في الحال. ولما سمع حمزة ذلك تكدر وقال لهُ يا وجه القرد كيف لم تخبرني بذلك منذ اول الليل وماذا يا ترى يقول عنا معقل وكرّ الامير من اعالي القصر قاصدًا ملاقاة صديقهِ ليسلم عليهِ ويصعد بهِ القصر ويعتذر لهُ عن

نقائه في الخارج وكان في الصباح نهض الامير معقل ونظر الى ما حواليه فلم يرَ عمرًا فخاف ان يكون قد اصيب بمصيبة او انهُ وقع في ايدي اهل القصر فقصدوا عليهِ ولذلك استل سيفهُ وهجم على باب القصر ونادى ويلكم يا اهل هذا القصر اخبروني هل ان رفيقي الاسود الذي كان معي بالامس دخل القصر فاذا كان عندكم ردوهُ اليَّ والاَّ هجمت وقتلتكم باجمعكم وفعلت معكم فعلاً يذكر الى آخر الزمان وهدمت على رؤوسكم قصركم . فاجابهُ الامير من الداخل مرحبًا بك يا اخي معقل فانهُ دخل القصر وجاء الينا . ثم انهُ فتح الباب ونظر كل واحد الى الآخر ورمى بنفسهِ عليهِ يقبلهُ ويضمهُ الى صدره ومعقل يتعجب من وجود الامير في ذلك المكان . ثم ان الامير اخبرهُ بما كان من امر سمر العيار وقال لهُ ارجوك المعذرة يا اخي فاني لم اطلع على امرك الاَّ الآن وعمر لم يخبرني بهِ قط وقد شغل عنك بزوجتهِ الجديدة . قال اني لا اعتب عليهِ فان النساء يشغلن البال ويلهين الاخ عن اخيهِ والاب عن ابنهِ . ثم ان الامير صعد بهِ الى اعالي القصر واجلسهُ هناك وامر الخدم باكرامهِ وان يقدم لهم الطعام جميعًا فاكلوا وشربوا وسروا وطربوا فرحًا ببعضهم . وعاتب عمرًا كيف نسيهُ وتركهُ لوحده في الخارج . قال اني وجدت الامير على صفرة المدام فنسيت ان اذكر لهُ انك في الاسفل وارجوك المعذرة واريد منك ان تبارك لي ولاخي بهاتين الزوجتين اللتين امامك فان لوعة القلوب قد تزوج بها الامير حمزة الذي اذا طال عليهِ الزمان تزوج نساء العالم اجمعها وما ترك فتاة جميلة الاَّ واختارها لنفسهِ وتمنى ان تكون لهُ والثانية وهي قابوس كانت من نصيبي . قال بارك الله لكما بهما . ثم ان الامير حمزة قال اريد الآن ان اذهب الى المدينة فهلما ننزل معًا فتتفرجان عليها وتريان اهلها فاجاباهُ وذهبا جميعًا . ولا زالوا في مسيرهم حتى جاءوا دار الحكومة فوجدوا عندها خيولاً غريبة مربوطة وعليها سروج رومية مزركشة بالذهب والفضة فتعجب حمزة من ذلك وقال لا بد من ان يكون قد زار المدينة قوم غرباء لامر مهم ودخل الى الديوان ووقف بابهِ واذا بهِ يرى رجلا عليهِ ملابس العظمة والجلال جالسًا على مقربة من حاكم قاصيا وهو يوبخهُ ويعنفهُ ويلومهُ بكلام عالٍ وهو مطرق الى الارض لا يبدي خطابًا ولا يأتي بحركة فلعب الغضب بالامير وقامت عيناهُ في ام راسهِ ودخل بغتة الى وسط الديوان وصاح بالرجل ماذا تريد ولاي سبب هذا الكلام . قال ان سيدي قد بعثني بمهمة لهذا الحاكم العاشي ولا بد من خراب بلادهِ وهلاك فرسانهِ وكل رجالهِ وقلع اثاره وهرق دماهُ . ثم اخذ الرجل في ان يبدي للامير حمزة واقعة امره وسبب تهكمهِ على حاكم قاصيا

وذلك انهُ لما انتشر خبر لوعة القلوب في كل البلاد وذاع صيتها في جهات كثيرة من العالم وصل خبرها الى الملك فرج ملك الصقالبة ورأى بعض تلك الصور التي كانت تصورها فهام بها

وجعلتها على السماح وارسلت وزيره الى ابيها يطلبها منه زوجة له فلما جاء الوزير والى ابي لوعة القلوب برسالة زوجها بسيده احضرها واخبرها بذلك فابت وقالت اني لا احب الزواج ولا اريد ان اكون زوجة لاحد من الناس بل احب ان ابقى منفردة بنفسي بعيدة عن هذا العالم صارفة كل وقتي في قصري فالح عليها ابوها بان ترضى بهذا الملك لانه جبار صنديد وفارس مجيد وبطل عنيد وعنده من الجيوش ما لا يعد ولا يحصى . قالت اني اعرف ذلك واعترف ان هذا الملك هو اعظم الملوك واشدهم ولو كنت احب الزواج ما اخترت سواه ولكنني لا اريده ونفسي تطلب البعد عنه . فعاد الوزير الى سيده واخبره بما سمع من لوعة القلوب . فقال اني لا ارغمها على الزواج فربما كانت تكره فيه لكن اذا كانت حكت ذلك عن غش وخداع وتزوجت بغيري لا بد من خراب بلاد ابيها وسبيها بالرغم عنه . ووضع منذ ذلك الحين العيون والارصاد في قاصيا واقام الجواسيس في قصر حاكمها تخبره بما يكون من لوعة القلوب هل تردد طالبًا آخر او تتزوج به وبقي الامر الى ان جاء الامير حمزة الذي كانت بانتظاره ولا ترضى احدًا سواه فتزوجت به كما جاء معنا وحينئذٍ عادت الرسل الى الملك عج واخبرته بما كان من حمزة وان لوعة القلوب زفت عليه فقام وقعد وارغى وازبد وقال لا بد من هلاك ابيها وخراب بلاده فقال له وزيره ان لوعة القلوب ذات حسن وجمال وهي معظمة نسبها وما امتنعت اولًا الا كرهًا بك لا بالزواج واراد ابوها ان يجبرها عليه فما قبلت فهي المسئولة لديك والخطيئة عندك فالمجازاة يجب ان تقع عليها . قال اريد منك قبل كل شيء ان تذهب الى قاصيا وتطلب من حاكمها ان يرسل لي لوعة القلوب معك سبية فاتمتع بها زمانًا ثم اردها الى زوجها او ابقيها عندي واذا اجاب عفوت عنه وعن بلاده . والا زحفت بجيشي على قاصيا واهلكت كل ذي نفس فيها فاجاب الوزير امر سيده وسار حتى جاء قاصيا ودخل على ابي لوعة القلوب وجعل يهدده بمثل هذا الكلام ويهينه ويطلب اليه ان يسلمه بنته ليأخذها ويعود بها الى سيده وهو مطرق الى الارض لا يعرف ماذا يجيب وقد وقع الخوف والرعب على قلبه وارتاع واضطرب وايقن اما بخراب بلاده واما بتسليم بنته . وفي تلك الساعة دخل الامير حمزة ورأى ما رأى واعاد عليه الوزير طلب سيده الملك فقامت قيامته وصاح بصوت اهتز منه القصر من اربع جهاته واشهر سيفه وضربه به وهو غائب عن الصواب فاصاب راسه فشقه ورماه الى الارض قتيلًا فاضطرب حاكم قاصيا واعيانها وصاحوا بالويل والحرب وقالوا لقد رميتنا يا عبدالله بويل عظيم وشر جسيم فما امامنا الا خراب الديار وقطع الآثار وعما قليل تروح ارواحنا وتدوس رؤوسنا خيول الصقالبة وان ملكهم جبار لا نظير له في جبابرة هذا الزمان وقد اعد بعشرة الاف فارس . فقال حمزة لا بد من قتل هذا الرجل وتشتيت عساكره وهلاك رجاله وتفريقهم فقال ابو لوعة القلوب

الملك لا تقدر على ذلك لا انت ولا الوف مثلك وعما قليل ترى رجاله مثل الجراد المنتشر يجول في بلادنا يهدم اسوارنا ويخرب دیارنا وتنزل بنا البلاء الجسيم قال لقد آن الاوان وصار من الواجب ان تعرف من انا وما هو السبب الذي جئت لاجله بلادك واذ ذاك تعرف ان الذي فرق جيوش كسرى انوشروان وانزل عليه ميازيب العذاب والهوان بعد ان جمع عليه جيوش الشرق والغرب وكل فارس قدر على الطعن والضرب . انا الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ونقمة الاكاسرة وسيد الحق والعدل في هذا الزمان وقد جئت اتزوج بلوعة القلوب حيث قد سمعت بجمالها وانا عائد من جبال قاف

قال فلما سمع الحاكم وجماعته هذا الكلام سقطوا عن كراسيهم الى الارض وصاحوا بصوت واحد بشراك بالوعة القلوب لقد نلت السعادة والاقبال وقاربت بنت كسرى انوشروان ودنوا من الامير يسلمون عليه سلاماً جديداً ويترحبون به وهم ماخوذون من هذه الكرامة التي اخصهم بها الله سبحانه وتعالى بان جعلهم قريبين من رجل ذاك الزمان ووحيد العصر والاوان . فمدحهم وقال لهم كونوا براحة وامان وسوف ارسل اخي عمر العيار لياتي بنخص فرساني وابطالي لنكبح هذا الملك الذي يريد ان ينزع مني زوجتي . ثم اخبرهم بخبر عمر ومعقل البهلوان فسلموا عليهما وجلسوا جميعاً ثم ان حمزة دعا برجال الوزير وقال لهم احملوا سيدكم وخذوهُ الى بلاده واخبروا ملككم انهُ اذا حدثته نفسه بالاتيان اليها لاقى ما لاقاهُ الوزير فحملوه وساروا وبعد مسيرهم امر حمزة اخاه ان يسير الى حلب ويسرع بالاتيان برجاله الاخصاء ويخبرهم ان مرادهُ خلاص زوجته ومن ثم يعود معهم الى المعسكر . فسار عمر الى حلب وبعد مسيره سال حمزة عمه ان يجمع العساكر التي عنده وينظر في عددهم قال ان كل ما اقدر ان اجمعهُ هو نحو عشرين الف فارس قال مرهم ان يجتمعوا في هذه البلد قبل ان يصل اليها ملك الصقالبة اذ انهُ لا ريب يصل قبل ان تصل عساكري ورجالي فبعث برسلهِ الى القبائل المتفرقة حول المدينة ان تجتمع عنده وبمدة عشرة ايام اجتمع عندهُ العدد السابق ذكرهُ اي عشرون الف نفر . وما مضى على ذلك ايام قليلة حتى وصل الخبر بوصول الملك مع رجالهِ وهم بعدد الرمل الذي على شاطيء البحر حيث كان رجال الوزير قد حملوه اليهِ واخبروهُ بقتلهِ فارغى وازبد وقام وقعد وحلف انهُ لا بد ان يفلح بلاد قماصيا وان لا يترك ذات نسمة فيها . ونهض في الحال وسار بنحو مائه الف فارس

انتهى الجزء التاسع من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء العاشر عما قريب ان شاء الله

الجزء العاشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

من فرسانهِ الاشداء وسار بهم في البحر الى ان وصل الى قماصيا فصعد البر وضرب خيامهُ بالقرب منها وسرح خيولهُ وعزم على الهجوم عليها في اليوم التالي حيث تكون عساكرهُ قد ارتاحت من سفر الطريق ولما راى حمزة ذلك دعا اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي ان اهل هذه المدينة قوم جبناء يشبهون نساء العجم فما من رجاء بهم على القتال واريد منك ان تبذل الجهد في قتال هذا الجمع الكثير الى ان يصل الينا رجالنا وابطالنا. قال سوف ترى مني ما تعهدهُ بي. وحينئذٍ اخذ حمزة العساكر وخرج بهم الى مقابل عساكر الصقالبة وضرب خيامهُ واقام ينتظر صباح اليوم التالي واهل المدينة في اضطراب عظيم بعضهم يومل النجاح والفوز لما يعهدهُ بالامير حمزة من القوة والبطش وبعد الصيت وبعضهم يخاف من الفشل وخراب البلاد عند ما يرى ازدحام الاعداء وكثرتهم

وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق صباح اليوم التالي وسطعت انوارهُ على البسيطة فهبت العساكر من مراقدها ونهضت الى خيولها فركبتها وركب الامير حمزة ومعقل البهلوان وركب الملك عج ومن حولهِ ابطالهُ ولما اصطفت الصفوف وترتبت الفريقان صاح الامير حمزة وحمل كانهُ قضاء الله المنزل وكان منذ زمان طويل ما باشر حربًا ولا قتالاً ولا خاض معمعة ولا نزالاً وفعل مثلهُ معقل البهلوان فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وطال سلطان الموت واستطال وكان ذاك اليوم كثير الاخطار. عظيم الاهوال فيهِ ارتفع الغبار. وحجب نور الشمس عن الابصار وانزل على المتقاتلين امطار الدمار. فلله در الامير حمزة وما فعل وكم من فارس وسيد قتل ولم يكن الملك عج قصر في اعمالهِ. او تهامل في قتالهِ وقد اوقع بعساكر قماصيا اي ايقاع وهم لا يحسنون على ثبات ولا دفاع ولولا حمزة ومعقل البهلوان. لتشتتوا بين البراري والكثبان واختاروا الهرب على البقاء في ساحة الميدان. ودام القتال الى المساء وفيهِ رجع الامير مع رفيقهِ الى الخيام وبات الى اليوم التالي فنهض القومان وتحاربا الى المساء فصرفت طول الانفصال ورجعا الى المبيت ودامت الحال على مثل هذا المنوال مدة خمسة ايام حتى كاد يتفرق جيش قماصيا لضعفهِ وقلتهِ والامير يشجعهُ ويطيب بخاطرهِ ويعدهُ بقرب النصر وفي الليلة الاخيرة اجتمع بمعقل البهلوان وقال لهُ لم

ارى بزماني قوماً يخافون الحرب ويهابون الموت مثل اهل هذه المدينة واني تعبت جداً في هذه الحرب حيث اريد ان افني الاعداء واريد ان احميهم ولا اتركهم عرضة لانياب الاعداء ولهذا ارى ان الحالة التي نحن فيها صعبة جداً واذا تاخر فرساننا التزمنا ان ندخل عساكر قماصيا الى المدينة ونبقى نحن نقاتل على قدر جهدنا الى ان يفعل الله ما يشاء . فقال معقل لا بد في الغد او ما بعده ان تصل الينا الفرسان لان عمراً يكون قد وصل اليهم بايام قليلة فساروا في الحال وكيف كان الامر فانا قادرون على الثبات الى ان ياتينا بالفرج فهذا ما كان من العرب واما ما كان من الصقالبة فان ملكهم اضطرب وتعجب من فعل الامير حمزة وقال لاعيان قومه اني ما كنت اظن ان عساكر قماصيا تثبت امامنا ساعة واحدة واني اعرفهم واعرف انهم من اكثر الناس جبناً ولكن زوج لوعة القلوب هذا الذي يحميهم ولم يسمح لي القتال ان التقي به لاضربه ضربة واحدة ازيل بها راسه عن جسده وعليه فاني عولت في الغد ان اقسم عساكري الى قسمين فنعد هجوم عساكر قماصيا ورجالها نضربهم من جهتين ونتركهم في الوسط ولا ندع لهم مجالاً ونبيدهم عن اخرهم كبيرهم وصغيرهم

قال ثم انه قسم العساكر الى قسمين واشار اليهم كيف من الواجب ان يعملوا مع الاعداء وكيف يقاتلوا . وعند اقبال الصباح هبوا من مراقدهم وتقلدوا بسيوفهم . وركبوا على خيولهم . وانقسموا الى قسمين وفي كل بينهم انهم في ذلك اليوم يبيدون الاعداء ويمطرون عليهم ميازيب الفناء واذا بالامير حمزة صاح وحمل ومال الى جهة اليمين ومعقل البهلوان الى جهة الشمال وقامت الحرب على قدم وساق ومدت لاسنة الرماح والبيض الصفاح طوال الاعناق . ولعبت فيهم ريح المحاق . واخذ عزرائيل وقومه الى قبض الارواح بالسباق هذا والحرب تضطرم والرجال تصطدم ورواق العذاب ينتشر من الشرق الى الغرب . ويرسل من اوتار كبده سهام الويل والكرب . وراى الملك مع افعال الامير حمزة في رجاله فخاف واضطرب . واقسم انه لا بد من ان يضيق عليه في ذاك اليوم ولا يتركه ينجو فصاح برجاله وبالكم قوموا عراريكم وارسلوها الى هذا العاتي ومتى قتل انتصرنا انتصاراً عظيماً وملكنا المدينة بساعات قليلة ومن هرب منكم كان جزاؤه الموت والاعدام فقومت العساكر اعنتها وارسلت اليه باسنتها واحتاطت به من اليمين والشمال وكان الصقالبة من الرجال الاشداء الذين تضرب بهم الامثال في الشجاعة والاقدام ففضلوا الموت على البقاء واصروا انهم لا يرجعون عن ساحة القتال ما لم يقتلوا الامير حمزة ولو قتلوا عن اخرهم وراى الامير عنادهم فجعل يحط عليهم انحطاط الصواعق ولو كان عنده جواده اليقظان لما وقع في ارتباك وضيق ولكن الجواد قصر من تحته ولم يجبه الى غايته حيث كان من عادته عند ازدحام الفرسان من حواليه ان يخرقها من اولها الى اخرها ويقلبها من باطنها

الى ظاهرها . وعليهِ فقد شعر بالتقصير وخاف من ان يقع من تحتهِ الجواد اذا طال عليهِ الحال في ذاك المكان محاطًا بالرجال والابطال . فبذل جهدهُ وابدى من الشجاعة ما يعجز عنهُ كل من حمل سيف و باشر قتال من فرسان الزمان من عهد ادم الى داك اليوم وكذلك معقل البهلوان فانهُ وقع بالضيق والشدة واحاط بهِ الاعدا من كل جهة ولم يكن من فارس يفرج عنهُ او يساعدهُ في القتال ليتسع عليهِ الحال وعرف ان اتكالهُ على نفسهِ وان الامير لا يقدر ان يصل اليهِ حسب عادتهِ لبعدهِ عنهُ ففعل افعال الجان . وقاتل قتال عفاريت السيد سليمان وراى الصقالبة بدءُ ذاك النجاح ولاح لهم شخص النصر من خلال ذاك القتال فما قبلوا ان يضيعوا تلك الفرصة فزادوا في القتال وابدوا اشد الاعمال و برزوا بلقائهم ورموا بانفسهم على الاعداء حتى سالت الدماء . واكتست منها الارض بالاحمرار . وصبغت بلون النهار . وفيما القوم على مثل تلك الحال والامير حمزة ومعقل البهلوان في ضيق المجال . وقد تفرق رجال قاصيا وتركوا الحرب واختاروا السلامة على الممات واذا بعمر العيار قد خرج من بين تلك القفار . كانهُ السهم الطيار وهو ينادي و يلكم ايها الاوغاد قد جاءكم البوار . وحاق بكم الدمار . فخلوا عن الحرب والقتال واطلبوا رؤوس البراري والتلال . حيث وصلت اليكم فرسان العربان . لتلبسكم اثواب المذلة والهوان وما انتهى من كلامهِ حتى ظهر من خلفهِ اندهوق بن سعدون فوق جوادهِ والمعتدي حامي السواحل . وباقي الابطال الحلاحل . كعمر الاندلسي والنجاشي وقاهر الخيل و بشير ومباشر ولما راوا الحرب قائمة صاحوا وحملوا حملات الاساد وخاضوا معمعة البرار والطراد . فاهتزت الارض لحملتهم . واضطربت الصقالبة عند سماع اصواتهم وقدمتهم . وظنوا ان الارض انطبقت عليهم من كل الجهات وان اسوار العراء احاطتهم بحيطان الشدات ولا سيما عند ما راوا رماح العرب تخترق الصدور وتلقي بالاعداء الى وهدات صعاب الامور وسمع حمزة صوت اخيهِ عمر و باقي الفرسان فعاشت روحهُ وانتعشت نفسهُ و باقل من نصف ساعة راى عمرًا حواليهِ يدافع عنهُ و يقاتل ويحمي ظهرهُ ولذلك صاح ونادى بالنشر والامان وسمعت العرب صوتهُ بعد ان غاب عنهم كل تلك المدة فسرت الراحة في ابدانهم وجودوا الطعن والضرب كل اثنين في جهة وقرب العصر التقى الامير حمزة بالملك عج فصاح بهِ وخبلهُ وتحاول واياهُ مقدار ساعة ثم ضربهُ بحسامهِ على راسه شقهُ نصفين فالقاهُ قتيلاً فقطع عمر راسهُ ورفعهُ على خنجرهِ وجعل يصيح بين الفرسان هذا راس ملككم ياصقالبة واذا ثبتم فنيتم عن اخركم ولما راى الصقالبة ذلك فروا من امام ابطال العرب وطلبوا الهرب وغابوا عن تلك الناحية والفرسان تضرب باقفيتهم الى ان جاء الليل فرجعوا فرحين ولما راى عسكر المدينة انهزام الصقالبة فرحوا جدًا واخذوا في جمع الاسلاب والغنائم والتقى حمزة برجالهِ فسلم عليهم واحدًا

بعد واحد واذا بابي لوعة القلوب قد وصل اليهم فسلم عليهم وترحب بهم ودعاهم الى المدينة فدخلوا بالفرح والاستبشار ولاقتهم النساء بالمزاهر والدفوف و بايديهم المصابيح وهم يدعون لحمزة وقومهِ ويشكرون من اعمال العرب . وقد امر الامير ان تجمع الخيول والمؤن وكل ما تركهُ الصقالبة ويعطى الى حاكم المدينة ورجالها وصرفوا تلك الليلة مع بعضهم البعض وحاكم قاصيا يذبح لهم الذبائح ويقدم لهم الطعام والخمور وهم فرحون بسلامة الامير حمزة ولم يرضَ احد منهم ان يخبرهُ بفعل روبين الغدار وافلنطوش خوفًا من تصديع خاطرهِ على مهردكار وابنه عمر اليوناني لأن اتفقوا ذلك الى حين يعودون معًا . وكانوا وهم بحلب ينتظرون عودتهُ الى ان جاءهم عمر ودعاهم اليهِ فاجتمع مائة فارس من روساء العرب وساروا في الحال بعد ان ادخلوا الجميع الى البلد خوفًا ان ياتي كسرى في غيابهم ويبطش بهم ويذيقهم العذاب الاليم

هذا والامير في تلك الليلة فرحان بقومهِ وفكرهُ عند لوعة القلوب لانها كانت في القصر وحدها ولا بد انها تحب ان تراهُ ليطمئن بالها ويرتاح ضميرها عليهِ ووطد العزم انهُ في الصباح يذهب اليها ومن ثم يرحل في الحال الى بلادهِ وينهي من غيابهِ وسفرتهِ ولم تطعهُ مروتهُ ان يفارقهم تلك الليلة بل بقي بينهم الى الصباح وعند الصباح ركب وخرج الى قصر لوعة القلوب فوجد بابهُ مفتوحًا فدخل قليلاً واذا بهِ يرى الخدم مقتولين ومتروكين على سلم القصر فارتاع وخفق قلبهُ وخاف على روحتهِ فصعد القصر في الحال وفتش على لوعة القلوب وعلى قهرمانتها فانوس فلم يرَ لها اثرًا فزاد قلقهُ وفتش في كل نواحي القصر دون ان يحصل على نتيجة وحينئذٍ كرَّ راجعًا في الحال واخبر اباً لوعة القلوب بما كان من امرهِ في القصر وكيف ان الخدم مذبوحون وهي مع خادمتها مفقودتان فاضطرب الجميع وخافوا ان تكونا قد سرقتا واخذتا مع جماعة الملك عج الذين هربوا وساروا عن تلك النواحي . وكان عمر باضطراب على زوجتهِ فقال لاخيهِ اذا شئت ان تفتش على روحتك وزوجتي فهلمَّ بنا نسير في البحر على احدى المراكب فنلحق بالاعداء ونفتش المراكب ومن كانتا في مركبهِ غرقناهُ ورجعنا بهما . فاسرع حمزة الى البحر وركب على مركب وسار يخترق البحار واينما وجد مركبًا سائرة عرَّج اليها حتى وصل الى مركب قد جمع شراعهُ ووقف في وسط البحر فقرب منهُ ودخلهُ مع اخيهِ عمر واذا هو من مراكب الصقالبة فقبضوا عليهِ وعلى من بهِ وسالوهم عن لوعة القلوب فما منهم من اجاب . واخيرًا كان بينهم رجل يعرف الفارسية فحاكاهما بها وقال ان جماعة الصقالبة جاءوا بفتاتين الى مركبنا هذا ونزلوا معهما وساروا جميعًا وانا بينهم حتى وصلنا الى هذه الناحية والريح طيبة معنا والمركب على اتم سرعة واذا بفتات من فتيات الجان قد انحدرت من الجوّ الاعلى الى قاع المركب فاختطفت الفتاتين وطارت بهما في الجوّ الاعلى فارتبكنا في امرنا وجمعنا شراع المركب ونحن كما تراهما

متحيرين مضطربين . فقال الامير ومن الذي جاء بها فدلة عليهم فهجم عمر العيار ورماهم الى البحر وعاد الى اخيهِ وبرلا في مركبها ورجعا الى المدينة حزينين . ولما صارا في البر قال حمزة لعمر اني لا ارجع ما لم ارجع لوعة القلوب وعليهِ فاني ساطلب من فرساني ان ترجع الى حلب وتنتظرني الى ان اعود واسير واياك نفتش على بركة الله عساهُ يوصلنا الى نسائنا فنرجع بهما فقال لهُ كفى يا اخي فاننا الان في ويل اعظم وقد حان الوقت الذي يجب فيهِ ان ارجع مهردكار وابنها وطوربان وابنها . قال ويلك اين مهردكار وطوربان قال اعلم يا اخي اني لما جئت هذه المدينة وجدتك بحظٍ وسعادة وهناء فما اردت ان انغص لك عيشك بل صبرت وفي نيتي ان اعود واياك بعد زمن قريب فاخبرك بما وقع على العرب ثم كان ما كان من امر الصقالبة والان تحب الت ان تطيل المدة وتسير في برالله الاقفر فتهلك روحنك ولا تعود تراها في كل حياتك . ثم اخبرهُ بكل ما كان من امر العرب مع روبين الغدار وافلنطوش المكار وكيف غدرا بهم وسرقا النساء وبعد الجميع عن حلب . قال ويلك وابن ابني عمر اليوناني . قال لا نعرف اين مكانهُ ولا باي ارضٍ هو فاننا في صباح اليوم الذي كبس بهِ العجم العرب افتقدناهُ فما وجدناهُ ولا علمنا في اي مكان هو وقد سرت الى المدائن واجتمعت بالوزير بزرجمهر فاخبرني ان كسرى ارسل خلف هدهد مرزبان ليأتي ويأخذ مهردكار وطوربان وباقي النساء والاولاد ليقدموا في عيد الميرور ضحية للنار وانا عازم على خلاصهم لكن اخرت ذلك الى حين مجيئك الى قومك فيبقى فكري براحة والان قد كاد يقرب زمان هذا العيد الذي تحترمهُ الفرس وتعتبرهُ ونقدم ضحاياها فيهِ . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام غاب عن الصواب وسار الى ديوان ابي لوعة القلوب فسالهُ عنها . فقال ما وجدتها وضاع فكر الامير وغاب وعيهُ ونسي لوعة القلوب وصار كل فكره عند مهردكار واولادهِ . ثم اجتمع بفرسانهِ وقال ويلكم كيف ما اخبرتموني منذ الاول بامر مهردكار وما فعل بكم الاعجام . فقال لهُ انَّا ما جئناك بوقت سلام بل وصلنا اليك وقت القتال . ومع كل ذلك فان الحق باجمعهِ عليك لاننا طالما اخبرناك ان الفرس لا يعبدون الله وان زوبين لا يمكن ان يقلع عن غدره ولو ملكتهُ الدنيا باسرها ولولاك لقتلناهُ وقتلنا افلنطوش وكنا الان براحة منهما ومن قومهما قال قد مضى ما مضى ولم يبقَ الاَّ السعي في سبيل خلاصهم ومجاراة كسرى وقومهِ على الغدر والخيانة . ثم انهُ في الحال ودع حاكم قاصيا ووعدهُ انهُ لا يترك لوعة القلوب ولا بد من ان يفتش عليها وسار من هناك بكل عجلة مع قومهِ وابطالهِ

قال وكان السبب في فقد لوعة القلوب هو انها كانت في قصرها عندما كانت الحرب واقعة بين زوجها والصقالبة واذا بعشرة رجال قد دخلوا بغتة القصر وقتلوا العبيد وجاءوا لوعة القلوب فحملوها وحملوا قاموس وساروا بها الى البحر وكان الوقت في اول الليل والصقالبة

قد هربوا وركبوا المراكب وساروا منقطعين خوفاً من ان يلحقهم العرب ويمنعوهم عن دخول البحر فنزل هؤلاء في مركب كان باقٍ بانتظارهم وساروا بلوعة القلوب وقاموس وفي كل نيتهم انهم فازوا بالمطلوب وحصلوا على الفتاة التي وقع الحرب لاجلها وقهروا الامير حمزة بالحصول عليها وسار المركب بهم الى ان بعد كثيراً وقد انفرد عن باقي المراكب ليعرج الى احدى الشواطي وينزل الرجال هناك يتمتعون بغنيمتهم ولما اشرق النهار ووضحت الشمس نظر الصقالبة الى لوعة القلوب فوجدوها حورية من حوريات الجنة لا نظير لها في بلادهم فمالت قلوبهم لها وتمناها رئيسهم وقال لهم اني احب ان اخذها لنفسي ولا اترك احداً منكم يصل اليها وكفاكم الفتاة الثانية فافعلوا بها ما تريدون. قالوا لا بل هي غايتنا فانا نطيع لك في كل شيء اما في ترك هذه الفتاة فلا فانا نعادي بحياتنا من اجلها. قال لا بد لي من ذلك فاصرّوا على العناد وكاد يقع بينهم القتال. وبالصدفة كانت اسما برّي طائرة في الجوّ الاعلى ومن خلفها بنتها قريشة حيث كانت لا تفارقها خوفاً من انها تصادف اباها فتاتي به كالعادة لتعذبهُ وتبعدهُ عن قومهِ عند حاجتهم اليهِ فرات ما هو واقع في المركب فسقطت من الجوّ الاعلى لما رات لوعة القلوب تبكي وكذلك قاموس واخذتهما من المركب الى البرية وسالتهما عن حالها. فقالت لها لوعة القلوب اني بنت حاكم قاصيا وزوجة الامير حمزة البهلوان. وحكت لها كل ما هو حاصل لها وواقع عليها وعلى قومها وزوجها وكيف انهُ يحارب الصقالبة وقد كسرهم في ذلك اليوم وابعدهم عن المدينة وفيما هم هاربين انفرد منهم عشرة واخذوها وهم يتقاتلون لاجلها. فتكدرت اسما برّي عند علمها انها زوجة الامير حمزة وقالت لها من اين صرت زوجة لهُ وفي اي يوم تزوج بك فاخبرتها بامرها معهُ فالتفتت اسما بري الى بنتها قريشة وقالت لها كيف رايتِ اباك وابن تلوميسي فانهُ اينما سار يتزوج ويقيم عند نسائهِ اشهراً ويحارب من اجلهنّ واما لا يقيم عندي الاَّ بالرغم عليهِ وكيداً لهُ اريد ان اقتل هاتين الجاريتين واقتل كل نسائهِ كي لا يبقى لهُ زوجة غيري. قالت ان ابي حرٌّ بذاتهِ لا نقدر ان نقدر على عنادهِ ولا ادعك تمدين يداً الى هذه الفتاة فانها خالتي زوجة ابي وقتلها يغيظهُ فاذهبي في حال سبيلك ودعيها وشانها مع رفيقتها. ثم حملتها قريشة ووضعتها بالقرب من قرية هناك وقالت لها سيرا على توفيق الله فهو يعينكما على الحياة الى ان تصلا الى بلادكما وتركتهما ومضت الى والدتها وذهبتا من هناك ودخلت لوعة القلوب مع جاريتها الى مدينة صغيرة هناك وكلتاهما حاملتين وصارت تبيع من حلاها وتصرف على نفسها ولنتركهما هناك الى ان ياتي الكلام عليهما في محلهِ

واما الامير وجماعتهُ داوموا المسير يقصدون حلب حتى وصلوا الى وادي اسمهُ وادي الكمال فنزلوا فيهِ ليرتاحوا وقال لهم عمر العيار انقوا هنا الى ان اعود اليكم ومرادي ان اسير الى المدائن

وارى كيف حال مهردكار وهل وقع شيء حديد بشانها وربما قدرت على خلاصها وخلاص الذين معها . فارجع ومعي الجميع ولا بد لي في هذه المرة من ان القى . فقلب كسرى حسرة لا تستأصل الى اخر الايام . فاجابوهُ واقاموا في ذاك الوادي ينتظرون رجوعهُ وسار هو الى ان وصل الى المدائن في نصف النهار فدخل حسب عادتهِ الى الديوان ووقف ينتظر خروج بزرجمهر الى ان خرج فسار في اثرهِ حتى دخل قصرهُ فتاثرهُ ودنا منهُ وسلم عليهِ . وقال لهُ اني عدت ياسيدي من قباصيا ومعي اخي والفرسان وقد تركتهم في وادي الكمال بانتظاري وجئت اليك اقبل ايديك وارى ماذا جرى في كل هذه المدة اي في حين غيابي وهل لا يزال الملك كسرى مصرًّا على تقديم النساء ضحية للنار . قال كيف يعدل ويجنك الوزير يذكرهُ بهِ في كل يوم وانا قائم على مقالي الجمر الليل والنهار خوفًا من احراقهن مع الاطفال وقد قرب عيد النيروز وعما قريب سيصل هدهد مرزبان فياخذهم الى خراسان يضحيهم جميعًا فتاكلهم النار . ويكونوا قد اصيبوا بهذه المصيبة بسببكم ولا بد ان الله يجازيكم عليها لانهن قد تركن دينهن وتمسكن بدين الحق وخالفن اباءهن وسلمن بانفسهن اليكم فلا سامح الله اخاك اذا اصبن بشيء حيث تقاعد عن قتل زوبين وسلم الى غدره وخيانتهِ . قال لا تخف يا سيدي على النساء فاني قادر على خلاصهنَّ وسوف اذكرك بذلك وتراني قد فعلت شيئًا عجيبًا يذكر الى اخر الزمان واريد منك فقط ان تخبرني انهُ عندما يجيء هدهد مرزبان ماذا يفعل وكيف يكون مجيئهُ ومن الذي يرافقهُ وكيف تكون عادة النار فاخذ الوزير في ان يشرح لهُ بالتفصيل كل شيء وكيف في كل عام ياتون المدائن وماذا يكون من كسرى عند وصولهم . ثم قال لهُ اخيرًا لا تتهاملْ يا عمر فان هدهد مرزبان سيكون هنا بعد عشرة ايام وقد وعد رسول كسرى بذلك وعين لهُ الزمان فاذا تاخرت هلك الجميع واحتملتم خطيتهم وحاسبكم بها الله في اليوم الاخير ولا سيما مهردكار وطوربان فانهما عاملتان على البكاء الليل والنهار لا تنفكان وقد قطعتا الياس والرجاء من الحياة وخصوصًا عند ما تريان ان الوفًا من العساكر والحجاب تحيط بهما خوفًا عليهما من الخلاص قال كن براحة يا سيدي فاني قريبًا اريك بعينك ما اريد ان افعلهُ وتشهد لي باني اقدر على اتمام ما اقول ثم انهُ ودع الوزير وخرج من عنده عند نصف الليل وهو لا يريد ان يضيع دقيقة من الزمان وسابق البرق بسيرهِ حتى وصل الى وادي الكمال حيث كان الفرسان والابطال بانتظاره فقال لا تبارحوا هذا المكان حتى اعود اليكم بالنساء وافعل ما خطر لي فعلهُ لان عيد النيروز قد قرب والمرزبان الاكبر سياتي المدائن وياخذ النساء والاولاد الى المعبد ليقدموا ضحية للنار كفارة عن خطايا اولئك الاشرار . فقال حمزة دعنا نكمن لهم في الطريق فمتى جاءوا بالنساء كبسناهم وخلصناهن منهم قال ان الوزير اخبرني انهُ سيكون مع هدهد مرزبان نحو خمسين

الف فارس فيحتاج الامر الى قتال عظيم بينكم وبينهم واني اعرف انكم تقدرون على تشتيت اولئك الفرسان غير انهُ ربما ما قدرتم على خلاص النساء والاولاد فيهربون بهم عند شعورهم بكم ومع كل هذا فاصبروا هنا الى ان اعود اليكم وارى كيف تكون الحال . ثم دعا بكبير عيارية واسمهُ شيحان وامرهُ ان يسير خلفهُ ومعهُ خمسة عشر عيارًا من عيارية فاجابهُ وساروا جميعًا الى ان وصل من وادي خرسان وكشف عن بعد صواحيهُ فراى خيامًا منصوبة وخيولاً تسرح ورجالاً تمرح في ذاك الودي . فتاكد انهم من الفرس فاوقف عيارية في ذاك المكان واوصاهم ان يختبئوا الى ان يعود اليهم وجاء الى ذاك المعسكر واختلط بهم . ثم انفرد بواحد منهم وسلم عليهِ وقال لهُ اظنكم يا سيدي سائرون الى المدائن فاني منذ اربعة اشهر سمعت بان سيدنا الاعظم وركن ديننا هدهد مرزبان سياتي لياخذ الكافرات اللاتي نجسن دين النار واركن علينا العار فيقدمهن مع اولادهن ضحية للنار فهل انتم الان سائرون الى قضاء هذا الامر . قال نعم وقد خرجنا مع مولانا لنكون في خدمتهِ نستمد بركاتهِ ونستضيء بنوره وندافع عنهُ غارات الاعداء اذا تجاسروا ان يمكروا بهِ شرًا وهو الان في صيوانهِ مع مرازبتهِ الاثني عشر وبعد قليل من الايام نكون في المدائن فناخذ هدايا كسرى وكل ما يريد ان يقدمهُ اكرامًا لعادتنا وناتي ايضًا بمهردكار وابنها وطوربان وابنها ومن معها لنرميهما بالنار يوم عيد النيروز ونسالها السماح والرضى عن الفرس . فصبر عمر الى ان انفرد بنفسهِ وجاء الى ناحية صيوان هدهد مرزبان فوجد عند بابهِ اربعة من الحجاب يمنعون الناس من الدخول فوقف ونظر الى الداخل فراى في الصدر رجلاً مسنًا جليل القدر عظيم الهيبة والوقار جالسًا على تخت من الفضة محلى بالذهب وعلى جانب من التخت كرسيًا من الفضة ايضًا جالسًا عليها رجل يقرب بالعظمة والجاه والى جانب هذه الكرسي ١١ كرسيًا يجلس عليها ١١ رجلاً وكلهم من المرازبة وفي وسطهم تنور من الفضة تضرم به النيران ويفوح منها الروائح الزكية وكلما خف اشتعال تلك النار اضرمها اولئك المرازبة فصبر يفكر فيما يعمل وهو يتامل في تلك الحالة ويستفيد منها وقد عرف ان الرجل الثاني هو كاتم اسرار المرزبان الاكبر والواسطة بينهُ وبين باقي رفاقهِ وبين من يريد منهُ بركة او يسالهُ امرًا . وفيما هو على مثل تلك الحالة واذا بهِ راى ذاك الرجل قد خرج فسجد لهُ الحجاب وانفرد قليلاً لقضاء حاجة فباغتهُ عمر ولف راسهُ بعباتهِ وعدا بهِ بعيدًا عن الصيوان ولم يمكنهُ من ان يصيح صوتًا واحدًا قبل ان صار في البرية وحالاً انزلهُ الى الارض ورفع عن راسهِ العباة . وقال لهُ اذا حدثتني بكل ما اسالك اياهُ عفوت عنك والاَّ اخترقت صدرك بهذا الخنجر فارتجف وقال لهُ اسالني ماذا تريد اجيبك قال ما هو اسمك وما هي خطتك عند المرزبان الاكبر . قال اسمي هرزان كبير مرازبين هدهد مرزبان وحافظ سره والواسطة بينهُ وبين الناس وكل من يريد منهُ امرًا

حيث ان من قواعد ديننا انه لا يجوز لمن كان رئيساً للدين ان يخاطب حتى اذا شاء لا يخاطب كسرى انوشروان فلا يجسر على الوقوف امامه فيسأله ما يريد بواسطتي . قال والى اين سائرين الان قال انا سائرون الى المدائن لناتي بمهردكار وطوربان ومن معهما لنحرقهما يوم العيد وفي مساء امس اخبرني ان مراده يبقى المعسكر في هذا المكان ونسير نحن الى المدائن فناتي بالنساء ونعود جميعاً حيث ان الطريق امان وما من عدو فيها وعند رجوعنا نقيم في هذا الوادي مدة ايام فنعمل العيد فيه ونضرم النار في كل مكان للعبادة والسجود وندعو كسرى بنعثها اليه . وبقي الامير عمر يسأله كلما يحتاج ان يسأله اياه ولما فرغ ضربه بالخنجر فقتله وواراه التراب بعد ان نزع ثيابه ولبسها ونظر في المرآة وطلب ان يصير كهرزان المقتول فصار في الحال نظيره وجاء الى المكان الذي به شيحان وجماعته فجاء بهم وامرهم ان يكمنوا حول الصيوان الى ان يدعوهم ودخل هو فقام له المرازبة احتراماً ثم تقدم الى النار المتقدة ورمى فيها من البنج شيئاً كثيراً وسد انفه فوقع الجميع كالاموات فدعا بعياريه ان يدخلوا وينزعوا ثيابهم ويلبسوا ثياب اولئك المرازبة ففعلوا وطلب من المرآة ان يصيروا كمرازبة النار فصار الجميع ثم تناول خنجره وقتل الجميع وطرحهم في ذاك المكان ولبس هو ملابس هدهد مرزبان وجلس على تخته والبس شيحان ملابس هرزان الذي قتله في الخارج وجلس الجميع حول النار واقام اربعة من الحجاب عند الباب وهم الذين زادوا من عياريه وبعد ساعتين اصبح ذاك الصيوان يجمع عمراً ورفاقه وهم كانهم من اعظم رؤساء اديان الفرس وباتوا تلك الليلة فرحين بالسرور وعمر على ذاك التخت العصي وعليه الملابس الذهبية وعند الصباح نهض من فراشه ونظر الى العيارين وصار يضحك في قلبه منهم ثم نظر في المرآة ورأى وجهه واذا هو كهدهد مرزبان الذي كان رآه في الليل وحينئذٍ دعا بشيحان وقال له ياهرزان قل لباقي المرازبة ان يتقدموا مني ويقبلوا يديَّ قبل ان يدنوا من النار ويسجدوا لها . فبلغهم شيحان ذاك فتقدموا وسجدوا بين يديه وقبلوا اذياله ورجعوا جلسوا حول النار فقال لهم عافاكم الله اتقنتم الصنعة واحسنتم الطاعة والعبادة . ثم انه التفت الى شيحان وقال له اخرج انت الى باب الصيوان ونادي بقواد العساكر ان ياتوا الى امام الصيوان ويسجدوا للنار حسب عوائدهم وبعد ذلك اخطب عليهم ما هو كذا وكذا واعلمهم بان عليهم ان يبقوا في في هذا المكان واسير انا بكم الى المدائن ومن ثم اعود بالنساء ونعمل العيد في هذا المكان مدة ثلاثة ايام . ثم توسد عمر على التخت وتمدد فقال له شيحان بارك الله فيك من مرزبان لا نظير له بين عبدة النار . ثم ان هرزان وقف في باب الصيوان وصاح بالقواد والاعيان فحضر الجميع ومن خلفهم العساكر . فقال لهم ان النار قد اتقدت فاسجدوا لها وفي الحال خرَّ الجميع وسجدوا بكفرهم وضلالهم الى ذاك اللهيب وبقوا نحواً من ساعة . ثم رفعوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما

يامر بهِ سيدهم هدهد . فقال شيجان
اعلموا ايها القوم الذين اصطفاكم سيدكم الاكبر قاعدة دين النار الحائز على رضاها والخادم الامين على عبادتها سيد الانقياء وينبوع البركات انهُ راضٍ عنكم مسرور منكم (فصاح الجميع فلتنعم علينا النار ببركاتهِ) ولذلك لا يريد ان تتحركوا من هذا المكان حيث انهُ يريد ان يعمل العيد فيهِ فاسرجوا وامرحوا واحضروا ملابس العيد وانتظروهُ هنا الى ان يذهب الى المدائن ويبارك كسرى انوشروان ويستلم منهُ النساء اللاتي اعددن للضحايا والاموال التي اعدها لكم لتقسم بينكم والهدايا التي تقدم اليهِ . وحيث من عوائدكم في مثل هذا العيد المبارك ان يقدم كل منكم تقدمة للنار تحرق على بيتهِ فتكون راضية عليهِ وحافظة لروح ابائهِ واجداده فاحضروها الى حين عودتهِ واعظم شيء اوصاني سيدي وسيدكم هدهد مرزبان ان لا يقرب احدكم من المكان الذي ضرب بهِ صيوانهُ لانهُ مقدس ومبارك وعايتهُ ان يجعل الاتون الكبير في هذا المكان فاياكم ان تدنو منهُ او تقربوا اليهِ فيغضب عليكم ومن قرب او افتكر ان يقرب يكون محروماً ومغضوباً من قاعدة الدين . واخيرًا اني اطلب الى النار ببركة هذا السيد العظيم ان تقبل ارواحكم وان تحرق ارواح ابائكم واجدادكم وتحفظها فيها الى ابد الابدين وان تحرم منها ارواح اعدائكم وكل الدين على غير دينكم امين

وبعد فراغ هرزان من خطبتهِ صح الجميع بالدعاء للمرزبان الاكبر وحينئذٍ اشار اليهم ان ينصرفوا فانصرفوا شاكرين متعجبين من فصاحة هرزان ومحبة هدهد مرزبان . وبعد ان انصرفوا تقدم شيجان من سيدهِ وقال لهُ لقد ابعدت عايتك وبلغت القوم ما امرتني فماذا تريد بعد ذلك قال اريد ان تجمع هذا الصيوان وترفعهُ على البغال وتتقدموا انتم الاثنا عشر مرزباناً وتحملون هذا التخت وتسيروون بي في طريق المدائن فقال لهُ شيجان ان هذه ثقلة كبيرة تريد ان تحملنا اياها فكيف نحملك انت والتخت الى المدائن فقم امشي مثلنا واي متى صرت تحمل على العواتق قال قلت لك افعل ذلك والا امرت النار ان تحرقكم وجعلتها تغضب عليكم اذا عصيتم لي امرًا . فضحك حينئذٍ هرزان وقال لهُ انا نحملك الى ان نغيب عن المعسكر وبعد ذلك نرميك الى الارض ودع النار تفعل ما تشاء بنا . ثم انهم جمعوا الصيوان ورفعوه على ظهور البغال وساقوها امامهم ومن خلفها الحجاب من عياري عمر وتقدم الاثنا عشر مرزباناً فحملوا التخت على عواتقهم وطافوا بهِ من كل جهاتهِ وساروا عن تلك الارض الى ان قرب العصر فنظروا الى ورائهم فلم يروا احدًا وتاكدوا انهم بعدوا كثيرًا عن المعسكر . فقال شيجان انزل ياعمر فقد تعبنا منك . قال قلت لكم سيروا والا عزلتكم وجعلت النار تغضب عليكم فاني مرتاح من هذا الحمل وما ذقتهُ زماني بطولهِ . فامر شيجان باقي العيارين ان يضعوا التخت ففعلوا وقال

لعمر جعلناك مرز باناً كذاباً على الاعجام لا على العرب قم وامش . فنهض وهو يضحك منهم ورفعوا التخت وساروا على تلك الحالة حتى كادوا يقربوا من المدائن وحينئذٍ قال لهم عمر قد اشتقت للحمل وصار من الواجب ان تعودوا الى وظائفكم وتوقدوا النار ولا تظهروا خلاف ما علمتكم كي نتمم حيلتنا وننهب الفرس ونسترجع النساء والاولاد ففعلوا وحملوه وساروا به حتى لم يعد بينهم وبين المدينة الا ساعة واذ ذاك ارسل شيحان وقال له اذهب الى كسرى واطلعه على قدومي وامرهُ ان يخرج الى تقبيل يدي هو ومن عنده وان لا يتاخر ولا دقيقة . فاجاب وسار حتى دخل باب المدينة فراهُ الناس وفرحوا به وجعلوا يزدحمون عليه ويقبلون يديه ويرفعون اذياله على رؤوسهم يتباركون به لعلمهم انهُ كبير مرازبة هدهد مرز بان وحافظ سرّ النار وحامل اوامر قاعدة الدين واساسة المتين . ولا زال سائرًا حتى وصل من ديوان كسرى فركض الحجاب واخبروا الملك كسرى فارسل وزيرهُ بختك لملاقاته ففعل ودنا منهُ وزاد في اكرامه ودخل به على الملك كسرى انوشروان فترحب به مزيد الترحاب واكرمهُ غاية الاكرام وسالهُ عن هدهد مرزبان فقال لهُ قد جاء وهو في خارج المدينة محمولاً على اعناق المرازبة وارسلني لاخبرك بقدومه لتخرج اليه وتقبل ايديه مع اعيانك ووزرائك فلا تخسرون البركة والرضا فاظهر كسرى الفرح والاستبشار وقال هذا فرض عليَّ فاني اذهب منذ هذه الساعة ثم امر العساكر ان تقيم على الطرقات من باب المدينة الى الديوان وان تزين كل الجهات وخرج بموكبه وسار الى ان خرج من باب المدينة وسار قليلاً واذا به قد اشتم رائحة المسك فانتعشت روحهُ وروح قومه وسجدوا لعلمهم انها منبعثة من النار التي تضرم امام هدهد مرزبان ولما وصلوا من التخت وقفوا بعيدًا عنهُ وقال كسرى لهرزان نقدم من سيدي هدهد واخبرهُ بقدومنا واسالهُ في ان يرضى علينا ويسمح بتقبيل ايديه فدخل على عمر وهو موسد على التخت غير مهتم بمن حضر ولا بمن جاء فسالهُ هرزان السماح لكسرى بتقبيل ايديه فاشار بيده الا فاصبروا فبقي كسرى وقومهُ واقفين منتظرين الامر بالسماح ليدنوا منهُ ويقبلوا يديه ويتباركوا من اذياله ومن الفاظه . ثم بعد ساعة اشار اليهم ان يذهبوا امامهُ واشار الى المرازبة ان تحملهُ وتسير الى المدينة فتعجب كسرى من ذلك واشتعل في قلبه لهيب الخوف وقال لبختك ماذا تظن يا وزيري واي شيء عملناهُ فاغضب استاذنا وسيد ديننا فاننا بانتظار امره لنقبل ايديه فلم يقبل مظهرًا غضبهُ منا . قال لا اعرف واني محتار بذلك واخاف ان يذهب بالسماء ولا يسمح لنا بهذه البركة العظيمة ولا بد لهُ من رحمتنا والشفقة علينا فياذن لنا بتقبيل يديه وبقي كسرى سائرًا الى الايوان وهو مرتعب القلب خائف ان تكون النار غير راضية عنهُ ومن بعد ذلك امر عمر المرازبة ان تسير به وان توقد التنور وتحمل بين يديه ففعلوا وحال دخولهم المدينة سجد الناس الى الارض مكرمين النار

ومحترمين قاعدة الدين هدهد مرزبان يتباركون من النظر الى وجهه والنساء تزدحم من كل الجهات وتدعو له وتسالهُ بان ترضى عليهن وعلى اولادهن واكثرهن يرمين عليه الزهور من الشبابيك والمحلات المرتفعة وهو على التخت غير مهتم بكل هذه الامور الى ان قرب من الديوان فدخل والحجاب سجود الى الارض ووضعهُ المرازبة في الوسط وحينئذٍ نهض الجميع وقوفاً وكشفوا رؤوسهم واطرقوا الى الارض ينتظرون الامر بالاذن كي يتقدموا منهُ ويقبلوا يديهِ ويستعطفوه بالرضا ودام ذلك مقدار نصف ساعة . واخيراً قال كسرى لبختك تقدم من هرزان ودعهُ يسال لنا سيدهُ بقبولنا ويسمح لنا بتقبيل ايديهِ وكان بختك يتكدر من زيادة عمر وعلوهِ فدنا منهُ على اعين الناس وسجد امام التخت ودنا من يده فقبلها وقال لهُ سرّاً كمالك تعظماً وافتخاراً فمر كسرى وقومهُ بتقبيل ايديك فانهم على الانتظار وقوفاً وارجلهم تكاد لا تحملهم من التعب ومن الخوف ان تكون غضباناً عليهم فتحرك حينئذٍ عمر وابدى اشائر الرضا ثم جلس واشار الى كسرى وقومهِ ان يتقدموا فتهللت وجوههم من الفرح وصفقوا بايديهم ودنا في الاول كسرى انوشروان وقد رفع التاج عن راسهِ واطرق بهِ قليلاً الى الارض ثم تقدم من السرير ومد لهُ عمر يدهُ فقبلها باحتشام ورجع بترتيب الى الوراء ثم تقدم بعدهُ افلاطوش فقبل يدهُ واراد الرجوع فمسكهُ ونظر اليهِ نظرة القبول وقال لهُ ان النار راضية عنك انت حيث فعلت مع اعدائها فعلاً يذكر امامها فاعاد التقبيل ثانية ورجع والدنيا لا تسعهُ من شدة الفرح . وتقدم بعدهُ بختك وقبل يدهُ ثلاثاً . فقال لهُ انت مكرم ومحبوب من النار لانك حافظت على دينها وقواعدها ولا تزال تخدمها بامانة . فرجع ايضاً مسروراً وتقدم بعدهُ بزرجمهر وقلبهُ يلتهب من الغيظ والحنق وهو خائف كل الخوف على مهردكار وطوربان وتاست عندهُ انهما ستسلمان الى هدهد مرزبان في ذاك اليوم وتحرقان مع باقي النساء والاطفال . ولما اخذ يد عمر واراد ان يقبلها ضغط لهُ على يدهِ وقلبها فانتبه الوزير وطرق ذهنهُ حالاً كلام عمر العيار الذي قالهُ لهُ من اني لا بد ان ارمي بقلب كسرى حسرة لا ينساها الى اخر الزمان فقبل اصبعهُ ورجع وهو يقول لله درك يا عمر ما اشد حيلك واكثر خداعك فقد فعلت الان فعلاً عظيماً وابقيت بقلب كسرى حسرة لا تمحى الى اخر الايام حيث قبل يديك وسجد لك . ومن بعد ذلك تقدم زوبين فهش في وجههِ والتفت الى كسرى وقال لهُ اوصيك ايها الملك ان تكافي زوبين احسن مكافاة فقد صح في خدمة النار وهي راضية عليهِ كل الرضا . فقال سمعاً وطاعة ساجعلهُ حاكماً في بلادي ولا اعز عنهُ عزيزاً . وبعد ذلك تقدمت الاعيان والامراء واحداً بعد واحدٍ يقبلون يديهِ ويرجعون باحتشام وهو يتظاهر بالعظمة والمجد ويرضى عليهم ويشكر منهم . ولما فرغ الجميع من تقبيل يديهِ وعادوا الى الوراء اشار اليهم بالجلوس فجلسوا في مراكزهم . ثم اخذ كسرى كاساً من الشراب

واراد ان يقدمهُ بنفسهِ لهُ . فعارضهُ هرزان وقال لهُ لا تفعل فان سيدي صائم للنار ولهُ عشرين يوماً ما اكل طعاماً ولا شرب شراباً يواطب الدعاء لك بالنصر والظفر على العرب حتى وعدهُ الوحي بان النار اكراماً لخاطره تساعدك وترسل لهيبها فتحرق العرب وتبددهم في اربع اقطار الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فاضطرب كسرى وقال العفو يا سيدي فاني ما عرفت ذلك وارجو منهُ المعذرة والرضى ولا يتكدر عليَّ ثم رجع الى مكانهِ وبعد ذلك دعا هدهد مرزبان بهرزان وبلغهُ ان يخطب عليهم خطاباً ويدعو لهم برضا النار ذات الشرار فاجاب الى ذلك ووقف في الوسط وقال

ان الاستاذ الاعظم والسيد المكرم قاعدة دين النار والرافع عن خبايا الكفر الاستار قد امرني بكلام اقولهُ بينكم واعرضهُ عليكم وهو انكم اعرتكم النار وحفظتكم مدى الادهار هي العبادة التي لا ينكر فضلها ولا يجحد نفعها وفعلها . ظاهرة للعيان . وعليها مدار الاكوان . ومنها تسري الحرارة في الابدان . وتنتعش روح الانسان . لولاها لما وجد الجائع طعاماً ولا حفظ في مسيره على الارض ترتيباً ولا نظاماً فمنها تحصل الانوار وتنير ظلام الاعتكار فترون في الليل الحالك كما في النهار . مستغرق بذاتها . منفردة بآياتها . لا يقدر المرء ان يدنو منها في اي وقت شاء . وضرامها متصل على الدوام الى الاعداء . محبة للسلام . تزور بيوت الاصدقاء والاخصام . على امل انهم مع التمادي يشعرون بفضلها . ويعترفون بغزارة نفعها وفعلها . فيسرعون الى عبادتها . ويجودون بكرامتها . فلا تمضي السنون القليلة الا ويصير كثير من الناس على دينها القويم . ويتقاطرون من كل فج مقدمين لها التبجيل والتعظيم . وان استاذي اوصاني ان اقول لكم ان بين العرب رجل كثير الاحتيال كانهُ شيطان محتال اسمهُ عمر العيار فاحذروهُ كل الحذر . واذا وقع بايديكم فاذيقوهُ موارد الضرر . لان النار غضبة عليهِ . ساعية بالشر اليهِ . فريدوا في عذابهِ ولا تقتلوهُ بالحال بل ابقوهُ واستشيروهُ في ماذا يريد ويكون لكم بذلك الاجر السديد . ودوموا انتم ببركة النار . وعيشوا مدى الاحيال والادهار . محفوظين منها باشد الحرارة واللهب وارواح ابائكم واجدادكم فيها الى ابد الابدين

فلما سمع كسرى وقومهُ هذا الخطاب صاحوا بالدعاء للاستاذ الاكبر وهم متعجبون من غزارة علمهِ وسعة معرفتهِ واذ ذاك قال هدهد مرزبان الى كسرى انوشروان . اني اريد منك الان ان تسلمني مهردكار وطوربان وباقي المسوان مع الاموال التي اخذها افلطوش وروبين العدار من العرب لاسير بهم الى وادي خراسان حيث مرادي احرقهم في ذاك المكان واما انت فاتبعني بعد ثلاثة ايام مع كل فارس وبطل وامير ووزير لتشاهدوا حريق الجميع واطلب من النار ان تباركم ونقدم لها الدعاء المخصوص لتبديد العرب وتفريقهم وهلاك حمزة واخيهِ عمر العيار

وجميع اولئك الفرسان الاشرار. ثم ان عمرًا نزل عن السرير ومسكهُ اثنان من المرازبة من تحت ابطيهِ وامر كسرى وحدهُ ان يسير امامهُ الى القصر المقيم بهِ النساء فاطرق كسرى الى الارض وسار بين يديهِ ذليلاً لا يقدر ان ينظر في وجههِ او يحدق احترامًا للدين ولهُ وكذلك الناس في الطرقات كانوا يلتمون التراب والحجارة التي يدوس عليها ويتبركون منها ويفرقونها على بعضهم البعض وهو يظهر رضاه منهم ويباركهم ومن ثم وصل الى سراية الحريم ففتر الحجاب من كل باب وفتحوا طريقًا فدخل كسرى ومن خلفهِ هدهد مرزبان ولما صارا في وسط القصر قدم الى هدهد مرزبان سريرًا من العاج فجلس عليهِ ليرتاح. ثم امر ان تقدم اليهِ مهردكار وطوربان واساها فقدموا جميعًا ووقفت مهردكار فمد لها يدهُ وقال لها قبلي يدي. فقالت اني امرأة عبدت الله سبحانهُ وتعالى وعرفت الحق فلا اميل لغيره. وليس لي في تقبيل يدك من نفع قال نعم انت عاصية النار وقد نحست عادتها حتى غضبت على ابيك ولا ترضى عليهِ الاَّ بعد ان يسمح بك وتحرقين بها وسوف ترين ما يحل بك. قالت اني اعرف النار التي تعظمها انت وغيرك من الاعجام هي من القش والحطب الذي يوجدهُ الخالق سبحانهُ وتعالى فتضرمونها بايديكم ثم تطفئ بقليل من الماء او بول الحمير فلذلك انتم تعظمون ما لا نفع فيهِ واني اعتقد ان الاله الذي يعبدهُ زوجي يسهل لي الخلاص من يديكم ويبعدني عن الضرر ويحفظ لي ولدي ويرجعني الى زوجي. فاظهر هدهد مرزبان الغيظ والحنق وقال لابيها قد تمادت بنتك بالكفر وخرجت عن طريق الصواب وصار من الواجب حرقها باقرب آن والا غضبت عليك النار غضبًا ليس بعدهُ رضا. قال اني اعرف ذلك ياسيدي ولاجلهِ ارسلت اخبرتك بامرها وطلبت احراقها. وكانت ام مهردكار موجودة فرمت نفسها على ارجلهِ وقالت ياسيدي لا تواخذها بكلامها بل اعفُ عنها واصبر عليها فلا بد من ان تعرف الحق وترجع الى عادتها فهي جاهلة الان قال كلا لا بد من احراقها والا افسدت دين النار ثم دفع ام مهردكار بصدرها وابعدها عنها وقال لها ابعدي عني ولا تلمسيني بيدك فرجاؤك غير مقبول

ثم التفت الى طوربان وقال لها وماذا حملك انت ان تتركي اباك وقومك وتتعلقين بالاعداء وقد رفضت الزواج بزوبين الغدار وهو من الحائزين على رضا النيران. قالت حملني على ذلك الحق والسعادة وبغض الغدر والخيانة لان زوبين الغدار اراد لي الشر وفعل القبيح فارسل لي الله عمر العيار وزوجي فخلصوني ومن ثم عرفت ان الله الذي يعبدهُ العرب هو القادر على كل شيء وهو سبحانهُ وتعالى يحيي ويميت خلق المخلوقات وعلمها ما لا تعلم. قال ادعي هذا الاله الذي تدعين بمقدرتهِ على كل شيء ان يخلصك مني ومن النار التي عما قليل تاكل جسمك وتذهب بروحك. قالت اني اعرف انها لا تقدر ان تصل اليَّ ولا تحرقني ولا يلبث الله ان يرسل لنا عمر

العيار فيخلصنا من ايديكم ولو فعلتم معنا مهما فعلتم واذا قتلتمونا فنموت على الحق ويبقى لنا الرجاء باليوم الاخير فاقصر يا هدهد مرزبان ولا تتهددنا فاننا لا نخافك ولا بد ان الله ينتقم لنا منك فلما سمع هذا الكلام اظهر الغيظ والحنق ونهض مكدرًا وقال لا بد من احراقكم جميعًا فهلموا سيروا امامي . فعاودت ام مهردكار الى بين يديهِ وبكت وشكت حالها وقالت له العفو ياسيدي فاني احب بنتي وارجو لها السماح منك واني اضمن لك انها تعود الى عبادة النار وتترك عبادها هذا . قال محالاً ترجين فاني لا اقبل الا بهلاك الكافرين لتستعز النار وتحفظ من الشوائب فيرى ذلك باقي البنات فيعلمن صدق هذه العبادة التي لا تتقاعد عن الخارجين . ثم دفع ام مهردكار وتركها تنوح وخرج من القصر وبين يديهِ كسرى والنساء والاولاد وهم صاغرين ولا زال في مسيره حتى جاء الى الديوان فنهض له الجميع وقوفًا وقبلوا يديهِ ثانيًا فباركهم وامر ان يرفعوه على السرير ففعلوا . ثم قال اي كسرى انوشروان مر الان خدمك ان تسوق الاموال التي كانت مع العرب امامي وتسير تحت امري ولا تبقي منها عقالاً في هذه المدينة فهي من خصائص معابد النيران لا حق لك بها لانها اخذت من الاعداء واما انت فاني آمرك انك تنتهي بعد ثلاثة ايام محفوفًا بالزين الفاخرة المخصوصة بمثل هذا العيد المبارك ويكون العيد في وادي خراسان . فاجاب بالسمع وفي الحال اخرج جميع ما كان سلبه ونهبه افلنطوش وزوبين وحمله على البغال والجمال وساق الانعام ولم يبق منها ولا واحدة وقد ملأت السهل والوعر . ثم جاء كسرى بهدية فاخرة من الجواهر والماس والذهب الخالص وقدمها له وترجاه قبولها فاخذها ومن ثم تقدم بختك وقدم له مثل ذلك وبعده بزرجمهر وباقي الامراء والاعيان وهو يأخذ هداياهم ويباركهم حتى اجتمع عنده ما يعجز عن وصفهِ القلم فامر ان يحمل على البغال فحمل . وبعد ذلك اشار بيدهِ مودعًا الجميع فخروا له ساجدين فباركهم وفي قلبهِ يلعنهم وامر شيبان ان يحملوا السرير ففعلوا ورفعوهُ على عواتقهم وهو موسد فوقهُ وقد اغمض بعينيهِ وجعل نفسهُ نائمًا وسار بين يديهِ النساء والاولاد وامامهم الاموال شيءٌ كثير جدًّا وهو مسرور بنجاح غايتهِ ونوال مراده وخلاص النساء والاولاد وبعد ان خرجوا من المدينة التفت فرأى الملك كسرى سائرًا على الاقدام مع سائر بطانتهِ لوداعهِ فاشار اليهم بالرجوع فرجعوا جميعًا وسار هو محمولاً على طريق خراسان كل ذاك النهار حتى المساء وعند المساء انزلوهُ عنهم وقال له شيبان كفاك دلالاً فاننا نكاد نهلك من التعب وانت مسرور قال بارك الله فيكم فانكم بمنزلة امناء على خدمة سيدكم ولا بد ان اجعل النار ترضى عليكم وتباركم وانت يا شيبان ساوصي بعد موتي ان تكون انت مكاني فيكون لكم اعظم اكرام واعتبار ويقبل كسرى الملك الاكبر يدك ويذل بين يديك وانت تعرف يامرزان اني ممنوع الكلام عند الفرس لاني قاعد فيهم ورسول النار

عدمهم . فقال له شيحان دع عنك هذا الهذيان فقد انتهت اعمالنا ومن الان وصاعدًا ما عدنا نحملك ولا نسير بك وما عدنا نعرفك الا عمر العيار . ونريد ان لا تنسانا من نصيبنا من هذه الهدايا التي وصلت اليك . قال هي لكم ولاخي حمزة ثم نصب الصيوان وجلس فيه وامر ان تقدم اليه مهردكار وطوربان لوحدها فقدمتا فمسك مهردكار من يدها وقال لها ادني مني فانتشلت يدها وقالت له دعني منك ايها الكافر ومن لا دين له فلست انا ممن تعهد وما انت عندي الا رجل الاحتقار والاهانة قال اني قادر على هلاكك وبعد قليل ساقدمك للنار ضحية على التصاقك بالعرب اعداء الدين وعلى نكرانك جميل الدين الذي ولدت فيه وربيت عليه فهو الذي القاك بيدنا . قالت كذبت فانت وكل عبدة النار عاجزون عن ايصال الاذى اليّ ما زلت اعتقد بالله سبحانه وتعالى واعرف جيدًا انه قادر على خلاصي واومل ان عمر العيار اخا زوجي سهران على خلاصي ولا يمكن ان يتقاعد عنا قال ومن اين يقدر ان يصل اليك عمر وانت صرت قريبة من الاحتراق وبين يديّ . قالت هو في كل ساعة قريب منا ينتظر الفرص بدون ريب ولا بد قبل ان تصل بنا الى خراسان وتحرقنا هناك ينحط عليك مع اخيه حمزة وباقي الفرسان فيهلكونك ويتشلوننا من بين ايديكم . فاقصر عن غايتك ودعني وشاني . فلما سمع عمر كلامها لم يقدر ان يتمالك نفسه عن تحريك حواسه واسقاط الدمعة من عينيه وقال لها مرحبًا بك يامهردكار لقد اصبت فانت بالحقيقة جوهرة النساء وقد شاهدت منك من الثبات والحب والطاعة لله ما لم اكن اظنه فيك قبلاً فانا اخوك عمر العيار وقد خلصتك وفعلت كلّ ما فعلت بتوفيق منه تعالى . فافرحي واسي عن قلبك الاحزان فان اخي والفرسان قريبون من هذا المكان

فلما سمعت مهردكار بذلك اغرورقت عيناها بالدموع لشدة الفرح ومثلها طوربان وجعلت كل واحدة منها تشكرهُ وتدعو له بالبقاء وطول العمر وتثني على اعماله . ثم قال عمر لمهردكار هل صحيح ما تقولين من املك بالخلاص على يديّ قالت نعم اني كنت في كل دقيقة انتظر وصولك باي حيلة كانت وهذا الذي كان يقويني ويشدد من عزمي وهاك طوربان فاني كنت اقول لها لا تخافي الموت فان عمرًا لا يتركنا حتى ولو وصلنا الى باب اتون النار لوجدناه داخلة بانتظارنا ليخلصنا وما ذلك الا لعهدي بك ورجائي بالله سبحانهُ وتعالى فهو يحب بنيه ولا يترك نساء مثلنا تركنا اهلنا وتعلقنا بهِ ولا يسلم بهلاك اطفال مظلومين كاطفالنا فيموتون محروقين بالسنة اللهيب ولا ذنب عليهم . قال حقًّا انك وحيدة بين النساء وانا منذ هذه الساعة سنسير ليلاً ونهارًا حتى ندرك اخي ولا بد انهُ يكون على مقالي النار في وادي الكمال . ثم امر ان يقدم الطعام فاكل واكل الجميع وشكروا الله سبحانهُ وتعالى على نعمهِ . وبعد ذلك تقدم من

السرير فقطعه قطعاً صغيرة ووضعه في جراب اسماعيل . فقال له شيحان اعطنا قسماً منه فقد تعبنا نحن اكثر منك قال هو كله لكم ولا امنع عنكم شيئاً وبعد ان يراه اخي افرقه عليكم فانزعوا عنكم ثيابكم وادفعوها اليّ قالوا كلا بل هي لنا ولا يمكن ان نتخلى عنها لان ما عليها من الذهب يغنينا . فقال اني لا احرمكم من شيء فاخذها كلها ووضعها في جراب اسماعيل وساروا من هناك الى وادي الكمال وسبق شيحان الى الامير واخبره بكل ما فعل عمر وانه خلص مهردكار وطوربان والاولاد ففرح مزيد الفرح وخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وهو يكاد لا يصدق ان يراهم بخير وبعد ان استراحوا قليلاً واكلوا الزاد نهضوا الى خيولهم فركبوها وساروا من هناك حتى قربوا من مدينة حلب فخرج اهلها الى ملتقاهم مع من بقي من فرسان العرب الكبير والصغير وكان لهم يوماً عظيم الشان وقد اولموا الولائم ونشروا الافراح في كل ناح . واجتمع الصديق بالصديق والصاحب بالصاحب

وهذا ما كان من العرب وعمر العيار واما ما كان من كسرى انوشروان فانه اخذ يستعد للمسير في اثر هدهد مرزبان بعد ثلاثة ايام وامر جماعته واعيان دولته ان كل واحد منهم يكون حاضراً ومتهيئاً لصرف العيد في المكان المعهود فجعل كل واحد يجمع من الخمر والماكولات ما يكفيه الى ثلاثة ايام ويحضر الهدايا والتحف والاموال ليقدمها الى المرازبة والنار وبعد مضي الاجل المعهود ركب كسرى وركب بخدمته الوزير بزرجمهر والفلطوس ابو طوربان وزوبين الغدار وكل فارس عظيم الشان رفيع المقدار واعلنوا في المدينة ان مرادهم الذهاب الى هدهد مرزبان ومن شاء فليتبعهم . وسار كسرى واعيانه من حواليه والموسيقى تضرب بين يديه والناس تتقاطر افواجاً افواجاً بعضهم ماش وبعضهم راكب وتبعهم كثيرون من كهول وشيوخ وشبان ونساء واولاد لان ذلك العيد عندهم من اعظم الاعياد وافضلها ولا زال كسرى في مسيره حتى قرب من وادي خراسان وعرف بقدومه الرجال الذين تجمعوا في ذلك المكان فخرجوا جميعاً وقد ملأوا السهل والوعر وفي كل بينهم ان هدهد مرزبان وباقي المرازبة موجودون مع كسرى وبعد ان ترجلوا وحيوا ملكهم ولم يروا مرزبانهم الاكبر سألوا كسرى عنه . فقال لهم انه منذ ثلاثة ايام رحل من المدائن يقصد هذا المكان بعد ان سلمته مهردكار وطوربان وباقي النساء والاموال وكل ما جيء به من العرب والاموال ولم ينقلوا ولا عقالاً فقالوا انه لم يصل الينا ولا رأيناه قط ونحن بانتظاره قائمين في هذا المكان كما امرنا . فطار صواب كسرى عند سماعه هذا الخبر والتفت الى بختك وقال له هل تظن ان هدهد مرزبان سار في غير طريق او تأخر في جهة من الجهات فحقق قلب بختك لما علم بغياب هدهد مرزبان وحدثه فكره ان لا بد من وجود حيلة في سر المسألة . فقال لكسرى اني لا اظن يا سيدي ان

هدهد مرزبان يضيع عن الطريق او يعرج الى جهة ثانية واذا صدقني حذري يكون [illegible]
[illegible] عمر العيار وهو عائد ومعهُ فرسان العرب فبطشوا بهِ وقتلوهُ مع المرازبة واخذوا [illegible]
والاموال . فزاد غيظ كسرى من ذلك واضطرب واطرق الى الارض لا يبدي خطاباً ولا
كلمة نحو ربع ساعة ثم التفت الى بختك الوزير وقال اريد منك تحقيق هذا الامر لاعرف اين
سار قاعدة ديننا ومرزبان امامنا واذا كان اسرهُ العرب او فعلوا بهِ شرًّا يكون ذلك من
اكبر الويلات التي وقعت علينا من هذه الطائفة الدنيئة فنظر بختك الى جماعة خراسان وقال
لهم هل رأيتم احدًا غريبًا قبل سفر سيدكم من هذا المكان وهل جاءهُ رجل بحيلة فارسيًا كان
او عربيًا وكيف كان عملهُ قبل سفره . قالوا ما رأينا احدًا قط ولا سمعنا بوصول احد اليهِ
ولكن قبل سفره خرج الينا هرزان المرزبان وخطب فينا واخيرًا اوصانا انّ لا نقرب من
المكان المضروب بهِ صيوانهُ وان سقي تعيد بن عنهُ ومن خالف ذلك غضبت عليهِ النار ورفضت
روح آبائهِ واجداده واخرجتها الى البرد والثلج فاجابة لامره ما قرب احد منا من ذاك المكان
ونحن متعجبين من ذلك لان من عادتنا ان نأتي المكان الذي يكون بهِ الصيوان ونتبارك من
ترابهِ ومن اثار النار ومن ثم سار هدهد مع مرازبتهِ ونحن حتى الساعة بانتظاره . فقال لهم
بختك دلونا على المكان الذي كان قد ضرب بهِ الصيوان لنفحص هناك ما السبب من ذلك
فساروا جميعًا الى ذاك المكان وقبل ان يصلوا اليهِ بمائة خطوة شموا رائحة كريهة جدًّا فتعجبوا
وارتابوا وتقدموا واذا تلك الرائحة تزيد حتى تكاد لا تحتمل وعندما وقفوا على مكان الصيوان
المذكور اشاروا اليهِ فنظر بختك واذا بهِ يرى التراب محفورًا جديدًا فامر ان يرفع التراب
ففعلوا واذا بهِ يرى هدهد مرزبان مذبوحًا مع جماعتهِ ومطمورًا بالتراب فغاب صوابهُ وحث
التراب على رأسهِ وقال حيلة عظيمة ومصيبة اعظم ياسيدي فان العرب فعلت بنا فعلاً قبيحًا
ورمتنا بسهام الخيانة فقد قتل مرازبة ديننا ولم يبقَ منهم ولا واحد قط وان الذي فعل ذلك
هو عمر العيار وجماعتهُ ولا احد غيرهُ يقدر ان يتوصل لمثل هذا العمل الخطير . فلما سمع كسرى
هذا الكلام وقع الى الارض من شدة الكدر وغاب عن الوجود نحو ساعة من الزمان وقد ظن
الجميع انهُ فارق الحياة ثم وعي الى نفسهِ ولطم على وجههِ وقال أكان من قدر العرب ان
تفعل بنا مثل هذه الافعال وتذبح لنا المرزبان الاكبر وجماعتهُ ولم تبقِ لنا واحدًا منهم نقيمهُ
مرزبانًا كبيرًا وفوق كل ذلك فان هذا العبد الخبيث القبيح المنظر تجاسر بان جعلني انا ملك
ملوك العرب والعجم والفرس والديلم وسيد هذا الزمان ان اقبل يديهِ واسجد كعبد لهُ واقف
ذليلاً حقيرًا فاهلكتهُ النار ولعنتهُ الف لعنة واني اقسم بالنار والنور وقبر جدي سابور ان من
جاءني بعمر العيار لاقتلهُ واشفي غليل قلبي من عذابهِ اعطيتهُ نصف مملكتي . ثم صعد الزند على

اشداقه وضرب الدم في دماغه واحمرت عيناه وتفجرت انابيب انفه وكاد يختنق فلم يجسر احد ان يقف امامه او يدنو منه او يفوه بكلمة ومضى عليه وهو على ذلك نحو ساعتين حتى رجع الى صوابه فبقي مطرقاً الى الارض برهة ثم نظر الى بختك وقال له انت اصل كل هذه البلايا والمصائب فما كنت افكر اني اعادي العرب قط حتى حملتني على عداوتهم واوصلت الي اذيتهم فتجاسروا على احراق حرمتي واخذوا بنتي جبراً وارغموني على ان اسكت عنهم وقد جمعوا اموال بلادي وغنائمها ونزعوا مني علم بيكار الاشهار الذي افضله على المدائن وخراسان وكل بلد عظيم في طاعتي فهم يجمعون تحفة كاكبر ملوك الاكاسرة واخيراً احتالوا علي وقتلوا شيخ النار وسيد الدين واهلكوا جماعة وفوق كل ذلك فاني كنت اتشوق ان اقبل ايدي عبدهم النحس ولا يسمح لي بذلك . فلعنة النار العرب وكل من يميل اليهم واقسم باباتي واجدادي ان كل من ذكر لي العرب منذ هذه الساعة قتلته ولو كان ابني الاكبر واعز الناس عندي . ثم افتكر بما كان من عمر وتصور تلك الحالة التي كان فيها وكيف مد يده ليقبلها بعد الرجاء والامتنان فعاد غاب صوابه ولما وعي نهض الى جواده فركبه وترك تلك الارض غير ملتفت الى النار ولا الى من يقيم مرزباناً لان ما من واحد كان يقدر ان يخدم النار ويعرف قاعدة الدين الا المرزبان الاكبر وهذا يختار لنفسه جماعة يعلمهم ويقدمهم واحداً على واحد ويدرس عليهم واذا مات يقوم مقامه الاكبر منهم واذا مات واحد منهم اختار عوضه من الشعب فيعلمه ويشده مرزباناً ويقدمه شيئاً فشيئاً وسار خلف كسرى جماعة وهم على تلك الحالة مكدرين ماً يوسين مغتاظين يلعب الغيظ في قلوبهم حتى وصلوا الى المدائن ودخلوا المدينة ودخل كسرى قصره وصرف عدة ايام على الحزن والكآبة وقد لف قصره وايوانه بالقماش الاسود وفعل مثل ذلك كل اعيان البلد وكان الحزن شاملاً الكبير والصغير وصار عند ما يخرج الى ديوانه يجلس صامتاً لا يفوه بكلمة ولا يفكر الا بما وقع عليه ويلوح امامه شخص عمر العيار فيضطرب ويغتاظ وما من واحد من قومه يقدر ان يذكر له العرب او اسم واحد منهم

فلنترك كسرى حزيناً ونرجع الى العرب فانهم كانوا بغاية الفرح والسرور وما من شيء يكدرهم الا غياب عمر اليوناني ابن الامير حمزة فكان يفكر على الدوام به ويتمنى ان يعرف في اي مكان هو وهل باق بقيد الحياة او فقد في ذاك اليوم الذي غدر به العجم بالعرب . وارسل بعض العيارين في تجسس الاخبار واستطلاع الاحاديث والبحث في الجهات المجاورة عسى ان يقف له احد على خبر . واما طوربان فانها كانت مسرورة جداً بخلاصها من يد الاعجام وخلاص ابنها من الحريق ولكن عند ما علمت بغياب زوجها وانقطاع خبره كل هذه المدة تكدرت جداً وشعرت بضياع رجائها وخافت من ان يكون قد قتل واختفى امره وكانت تتمنى الموت

وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب او جرقت بالنار ولا وابهملك الوحشة ولا علمت بفقدان من اجنة الحب العظيم وجعلت كل اتكالها عليه واملت ان تمي واياهُ كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منهُ وكانت حالتها حالة الحزين واليائس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما انشدتهُ

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي قد حرت ما بين نظّار وغزّال
يا حبذا في الهوى وجد اكابدهُ من جوهر الثغر او من عنبر الخال
روحي فداؤك من بدر مجانسة قد ناسبت بين اسماء وافعال
اهلكت قلبي بانواع الغرام وقد ملكتهُ فارعَ حفظ المال يا مالي
كحلت عيني بميل السهد فانصلت مسافة البعد يا عيني باميالي
ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ان لو غدا ناظرًا بالخير في حالي
افديهِ من ناظرٍ ماضي الولاية بل واحرّ قلباه من ذا الناظر الوالي
ناديتهُ يا غزالاً جلّ عن شبهٍ ما كفو جيدك الاّ عقد اغزال
وعاذلٍ رام يسليني فقلت لهُ ما عدل مثلك يسلي عنهُ امثالي
ان المحبة للاهواء فائدة والهوى خطرات ذات ارقالِ
صمت عن العذل آذاني بهِ فلذا قد ارغم الله فيهِ انف عذالي
ليت الثغور حكت برقًا بهم فراوا سحاب دمع على الخدين هطال
حسبي وحسبي الهوى اني فنيت بهِ ارجو اللقاء باوجاعٍ واوجالِ
آيات اوصافهِ ام عمر ريقتهِ تتلى عليّ بالحان وتجلى لي
اذاب حسبي بنار الهجر ثم قلى قلبي وقال نعم هذا هو القالي
ورام يشري بغالي الهجر انفسنا رخصًا فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احيانًا واحيانًا يكون وسيلة تذكرها بهِ فتبكي على بعدٍ مشخصة امام اعينها تلك الايام الملذة القصيرة العهد التي صرفتها بجانبهِ ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسوال عن ولدهِ لسلمت نفسها الى الهلاك يأسًا واختارت الموت على الحياة من دونهِ

ومضى على العرب نحو اربعين يومًا في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليهِ بعد علمهِ بحيلة عمر وموت مرازبتهِ فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الاميرانهُ مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل على حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليفاجئنا

الى هذا المكان طلبًا لثار مرازبتهِ وانتقامًا من عمر العيار . فقال عمر اني اسير بقلبي بحسب عادتي وأكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مُصرًّا عليهِ قال البختوق نخاف عليك ان تقع بايديهم وانا اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان يأكل لحمك باسنانهِ على ما فعلت معهُ . قال اني اعرف ذلك واعرف ايضًا ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيهِ يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل . ثم ان عمرًا غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقهِ حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يمينًا وشمالاً فيرى كل انسان في عملهِ وما راى قط اهتمامًا كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فراهُ مسودًّا وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامهُ والايوان بجماعتهِ ورجالهِ هادي ساكت كان لا رجل هناك فزاد تعجبهُ وشعر بان كل ما هو جارٍ من هذا القبيل بسببهِ وان سقوط شرف كسرى امام قومهِ من تقبيل يدي دعاه ان لا ينسى ذلك بل يتذكرهُ على الدوام وكلما تذكرهُ تهيج في احشائهِ نيران الغضب فصبر يضحك في داخلهِ الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيلهِ فتاتر بزرجمهر حتى دخل قصرهُ فدخل من خلفهِ واغلق الباب فلما راى عمرًا وقد تقدم منهُ وقبل يديهِ عرفهُ فهش لهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ مرحبًا بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت اود ان اراك لاشكرك على عملك الذي فزت بهِ وبلت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى آخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلتهُ انت بيوم واحد اوقعهُ بالحزن وراهُ ثقيلاً عليهِ اكثر مما حاربهُ العرب منذ البداية الى هذا اليوم . قال اني لحظت منهُ ذلك وعرفت ان سبب غيظهِ وغضبهِ وسكوتهِ عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليهِ الحملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءهُ بك حيًا او ميتًا اعطاهُ نصف ملكهِ ومالهِ وقدمهُ على سواهُ من رجالهِ وما قصدهُ الاَّ ان يشفي قلبهُ منك ويراك ميتًا . قال ان هذا لا ينالهُ ولا في المنام وسوف يرى مني في حياتهِ اعظم مما راى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والآن اريد منك ان تخبرني ما نيتهُ وعلى ماذا عوّل وما يريد ان يفعل في هذا الشان وهل لا يزال يصرُّ على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على آرائهِ . قال انهُ منذ يوم علمهِ بموت مرازبتهِ اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامهُ العرب قتلهُ واعدمهُ الحياة وعليهِ فان هذه المدة كان كما ترى وما من احد جسر ان يباحثهُ او يخاطبهُ او يسالهُ امرًا من هذا الوجه وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانهُ وتعالى

وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب او حرقت بالنار ولارات هلاك الوحشة ولا علمت بفقدان من احبته الحب العظيم وجعلت كل اتكالها عليه واملت ان تقيم واياه كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منه وكانت حالتها حالة الحزن واليأس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما انشدته

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي قد حرت ما بين نظّار وغزّال
يا حبذا في الهوى وجد اكابده من جوهر الثغر او من عنبر الخال
روحي فداؤك من بدر محاسنه قد ناسبت بين اسماء وافعال
اهلكت قلبي بانواع الغرام وقد ملكته فارغ حفظ المال يا مالي
كحلت عيني بميل السهد فاتصلت مسافة البعد يا عيني بآماليّ
ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ان لو غدا ناظرًا بالخير في حالي
افديه من ناظر ماضي الولاية بل واحرّ قلباه من ذا الناظر الوالي
ناديته يا غزالاً جلّ عن شبه ما كفؤ جيدك الاّ عقد اغزال
وعاذلٍ رام يسليني فقلت له ما عذل مثلك يسلي عنه امثالي
ان المحبة للاهواء فائدة وللهوى خطرات ذات ارقال
صمت عن العدل آذاني به فلذا قد ارغم الله فيه انف عذالي
ليت الثغور حكت برقًا بهم فرأوا سحاب دمع على الخدين هطال
حسبي وحسبي الهوى اني فنيت به ارجو اللقاء باوجاعٍ واوجالِ
آيات اوصافه ام عمر ريقته تتلى عليّ بالحان وتحلى لي
اذاب حسبي بنار الهجر ثم قلى قلبي وقال نعم هذا هو القالي
ورام يشري بغالي الهجر انفسنا رخصًا فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احيانًا واحيانًا يكون وسيلة تذكرها به فتبكي على بعده متخصة امام اعينها تلك الايام الملائة القصيرة العهد التي صرفتها بجانبه ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسوال عن ولده لسلمت بنفسها الى الهلاك يأسًا واختارت الموت على الحياة من دونه

ومضى على العرب نحو اربعين يومًا في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليه بعد علمه بحيلة عمر وموت مرازبته فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الامير انه مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل على حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليفاجئنا

الى هذا المكان طلبا لثار مرازبته وانتقاما من عمر العيار . قال عمر اني اسير فتفهمي بحسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مصرًا عليه قال لم المخوف فخاف عليك ان تقع ما يديهم وانما اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان ياكل لحمك باسنانه على ما فعلت معه . قال اني اعرف ذلك واعرف ايضًا ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيه يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل . ثم ان عمرًا غير زيه وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقه حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يمينًا وشمالاً فيرى كل انسان في عمله وما راى قط اهتمامًا كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فراه مسودًا وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامه والايوان بجماعته ورجاله هادئ ساكت كان لا رجل هناك فزاد تعجبه وشعر بان كل ما هو جار من هذا القبيل بسببه وان سقوط شرف كسرى امام قومه من تقبيل يد دعاه ان لا ينسى ذلك بل يتذكره على الدوام وكلما تذكره تهيج في احشائه نيران الغضب فصار يضحك في داخله الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيله فتاثر بزرجمهر حتى دخل قصره فدخل من خلفه واغلق الباب فلما راى عمرًا وقد تقدم منه وقبل يده عرفه فهش له وقبله بين عينيه وقال له مرحبًا بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت اود ان اراك لاشكرك على عملك الذي فزت به وبلغت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى آخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلته انت بيوم واحد اوقعه بالحزن وراه ثقيلاً عليه اكثر مما حاربه العرب منذ البداية الى هذا اليوم . قال اني لحظت منه ذلك وعرفت ان سبب غيظه وغضبه وسكوته عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليه الحملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءه بك حيًا او ميتًا اعطاه نصف ملكه وماله وقدمه على سواه من رجاله وما قصده الا ان يشفي قلبه منك ويراك ميتًا . قال ان هذا لا يناله ولا في المنام وسوف يرى مني في حياته اعظم مما راى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والان اريد منك ان تخبرني ما نيته وعلى ماذا عوّل وما يريد ان يفعل في هذا الشان وهل لا يزال يصر على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على آرائه . قال انه منذ يوم علمه بموت مرازبته اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامه العرب قتله واعدمه الحياة وعليه فان هذه المدة كان كما ترى وما من احد جسر ان يفاتحه او يخاطبه او يساله امرًا من هذا الوجه وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانه وتعالى

ويتزوجن بكم وهذه اكبر وصية اوصيكم بها فوعده عمر بكل خير وطلب رضاءه ودعاءه ثم رجع الى المدائن عائدًا الى حلب وقد التقى بقومه واخبرهم بكل ما كان من امر كسرى و بزرجمهر فسُرّ وقال حمزة فلندعه وشأنه يعض على زنوده ويحترق بنار غضبه فقد راق لنا العيش وصفا الزمان ولم يكن من شيء يكدر الا غياب ولدي عمر اليوناني ولي رجاء بانه في قيد الحياة واني سالتقي به بعد امد قريب

قال وصرف العرب اكثر من ستة اشهر وهم على السلم والامان لا حرب ولاقتال ولاطعن ولا نزال يجتمعون في كل نهار عند اميرهم وفي المساء يتفرقون الى بيوتهم وابن مهردكار وابن طوربان يترعرعان ويكبران والامير يعتني بهما ويعلمهما ما يحتاجان اليه وكانت طوربان صارفة كل عنايتها واجتهادها في تخريج ولدها بطلاً من الابطال فعلمته بنفسها كل فنون الحرب وكان وهو ابن اقل من تسع سنوات كانه في العشرين من العمر وذلك لضخامة جسمه ومتانة اعضائه. وفي ذات يوم بينما كان الامير جالسًا في صيوانه وعنده فرسانه وابطاله واذا بخادم اصطبله قد وقف بين يديه وهو مطرق الى الارض حزينًا فارتاب من امره وقال له ما السبب لحضورك اليّ في مثل هذا الوقت اهل اصيب جوادي اليقظان بامر او جرى شيء اخر قال اعلم يا سيدي اني منذ ثلاثة ايام خرجت بالجواد الى احدى الحقول وسرحته هناك ياكل من ربيع الارض على حسب العادة وعدت لقضاء بعض مصالحي وانا امن من وجود عدو في المعسكر ومن ثم عدت الى ذلك الحقل وفتشت فيه فلم اره فسالت عنه وفتشت كثيرًا في مدة هذه الايام الثلاث دون ان اصل الى علم يريح لي فكري من هذا القبيل فعلمت ان الجواد قد سرق واخذ الى خارج القبيلة وكنت اخاف منذ الاول ان ابدي لك ذلك الا انه لما كان لا بد لك ان تسال عنه وتطلبه اتيت اخبرك بواقعة الحال فاعفُ عني يا سيدي اذا كنت تراني قد قصرت في عدم انتباهي وتيقظي غير اني مطمأن البال والخاطر من وجود لص بيننا فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وتكدر مزيد الكدر واغتاظ الغيظ العظيم وبقي برهة غائب الصواب ثم التفت الى عمر وقال له سر انت وفرق عياريك في سائر الطرقات والنواحي عسى ان احدًا منكم يعثر به او يعرف بمكانه فانطلق العيارون بالتفتيش عليه والبحث على امره وقال حمزة لخادم الاصطبل ارجع انت وابحث عسى ان الصدف توقعك على امره وتعرف من الذي سرقه

وبقي الامير في غيظ وحرد لا يلتذ بطعام ولا يشرب المدام وهو مشغول الفكر والخاطر من اجل جواده اليقظان حيث كان يحبه محبة عظيمة ويفضله على نفسه ويتحرق ليعرف من الذي تجاسر وفعل هذا الفعل وسرق الجواد وهو وقومه على غير انتباه اليه وبعد

فلذلك اخذ العيارون في ان يرجعوا الى حلب بالخيبة دون ان يقفوا له على اثر ورجع عمر وقال لاخيه اني فتشت في كل هذه النواحي فما وقفت على خبر اليقظان ولذلك عدت لاخبرك اني ذاهب الى المدائن لتيقني ان الذي سرقه يذهب به الى هناك ولا بد ان يطلع على امره الوزير بزرجمهر . قال سر متكلاً على الله سبحانه وتعالى فهو يدلك الى الصواب فسار عمر بعد ان غير زيه وصار كواحد من الاعجام وقد دخل المدائن ووقف في ديوان كسرى على حسب العادة فراه كالمرة الاولى لا يبسم ولا يضحك ولا ينظر الى احد بل راه مطرقاً الى الارض فعرف انه باقٍ على الغضب والحنق فصبر الى ان انصرف الديوان وخرج بزرجمهر فسار في اثره واجتمع به في قصره فسلم عليه وقبل يديه فقبله وساله عن اخيه وباقي العرب فقال له هم بخير ولكن جواد حمزة قد سرق وما عرفنا من الذي اخذه فجئت المدائن اكشف امره واستعلم منك لعلمي انك تكون قد عرفت شيئاً من امره قال نعم اني عرفت ذلك واظن ان اخاك حرم من هذا الجواد بالكلية وما عاد يقدر ان يصل اليه ولا يراه بطول حياته قال ولما ذلك ومن الذي سرقه وسار به واين هو الان قال اعلم ان الذي سرق الجواد هما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اللذين تركهما اخوك في مكة المطهرة يكنسان اسواقها فقد احتالا وهربا من هناك وجاءا الى المدائن واجتمعا ببختك واخبراه ان مرادهما الايقاع بالعرب واستعمال حيلة يقتلان بها الامير حمزة فقال لهما اذهبا من هنا الى حلب ولا تخبرا كسرى بشيء من هذا والا قتلكما ولا تخبرا احداً بانكما اجتمعتما بي واعلمهما بما وقع مسك على كسرى وكيف انه صار يكره ذكر العرب ولا يريد ان يسمع من احد ذكر احدهم فقالوا لا بد لنا من مسك عمر العيار في هذه المرة والاتيان به الى كسرى ليقتله فقال اذا فعلتما ذلك اعطاكما نصف ملكه وقدمكما على غيركما من سائر الناس فسارا حتى اختلطا بالعرب واقاما فيما بينكم يختفيان في النهار ويظهران في الليل يتوقعان الايقاع بك او باخيك دون ان ينالا مراداً لانهما راياك ساهراً كل السهر على نفسك وعليه وفي ذات يوم كانا خارج المدينة في احدى الحقول فرايا اليقظان جواد اخيك فقال احدهما للاخر هذا جواد الامير حمزة وهو عنده بمقام نفسه فاذا اخذناه تركناه يحترق عليه ولا بد انه يفتش عليه ويسير في اثرنا من اجله او يرسل عمراً العيار فنقبض عليه ونمسكه وننال المراد ثم تقدما من الجواد ليمسكاه فلم يقدرا فحاذاه بفرس وقدماها منه واحتالا عليه بحبهما حتى قيداه فجراه خلفهما وجاءا الى المدائن فرحين مسرورين بذلك ودخلا على كسرى ومعهما الجواد ولم يبديا كلمة فاستشاط غضباً وسال بختك من الذي ذكر لهما ان ياتياه بالجواد فانكر انه ما راهما ولا عرف شيئاً من امرهما فطردهما كسرى من امام وجهه وامرهما ان لا يبقيا الجواد في المدائن قط والا قتلهما فخرجا وفي المساء اجتمعا بالوزير الخبيث بختك بن قرقيش فقال لهما ان كسرى

لا يطيب خاطره ولا يزول عنه غيظه ما لم يقبض على عمر ويقتله ويشفي فؤاده منه فأخبرته

بكل ما كان لها عندكم وكيف انهما ما قدرا الا على سرقة الجواد ولها الامل الاكبر بسلك اخيك

او مسكك فقال لها حيث ان الملك الاكبر لا يقبل أن يبقى هذا الجواد في المداين خوفاً من وقوع

حيلة ثانية من عمر العيار عليه فاذهبا به الى بلاد العبيد والسودان الى فرهود صاحب التكرور

وهو قادر ان يحميكما من غدرات الايام وانا اعرف ان العرب لا يتركون الجواد ولا بد من

ان يعرفوا انه هناك فيسيرون في طلبه ويقرضوا في تلك النواحي واني اكتب كتابة لفرهود

على لسان كسرى اوصيه بكما واسأله ان يعتمد عليكما في كل اموره فاستحسنا هذا الامر واخذا كتابة

منه الى فرهود وفي نفس ذلك اليوم عرفت بهذا الامر واخبرني احد خدام بختك بكل ما سمع

وهو من اتباعي ومحبيّ يظهر لدى مولاه بغضي وبغض العرب وفي السر يحبنا جميعاً ويعبد الله

العزيز الجبار وقد تكدرت من هذا الخبر لعلمي ان الجواد اخذ الى تلك النواحي ولا يمكنكم

المسير اليها لبعدها وصعوبة مسالكها وحزنت جداً على ذاك الجواد الذي لا نظير له وانا قاطع

الرجاء من رجوعه الى اخيك قال اني اعدك ان اخي يذهب الى تلك النواحي ويأتي بالجواد

ويقتل فرهوداً ويجازي اللصين اللذين سرقا جواده وسوف تصل اليك الاخبار قال وفقه الله

وابعد عنه كل شر وويل وقهر اعداءه بين يديه

فشكره عمر على غيرته وقبل يديه وخرج من المداين وهو يتعجب من عمل عمر بن شداد

الحبشي وصقلان الرومي كيف انهما كانا في حلب واقاما بينهم عدة ايام وهو ساهٍ لاهٍ عنهما وما

عرفهما ولما وصل الى حلب دخل على اخيه وعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر عن الجواد وانه

اخذ الى داخل بلاد السودان الى فرهود صاحب التكرور فغضب حمزة وقال اني ابقيت على

هذين الشريرين علة لنا ونقمة واني ساسير في اثرهما اين سارا ولا اترك جوادي ولو اخذاه الى

داخل البحور السبعة او الى ما وراء جبال قاف ثم التفت الى قومه وفرسانه وقال لهم انكم سمعتم

ان اليقظان هو الان في بلاد السودان وعليه فاني عولت ان اذهب الى خلاصه واعيده الي اذ لا

صبر لي على فراقه وتركه بيد اعدائي فمن منكم اراد المسير معي فليكن على حذر ومن اراد البقاء في

هذه البلاد فله الخيار فقال له الجميع اننا لا نفارقك ولا نبعد عنك ولو سرت الى الموت كنا

معك ولا حياة لنا الا بقربك ولا بد من ثأر هذين الخبيثين وارجاع الجواد من تلك البلاد

الصعبة فشكر الامير من اهتمامهم وحبهم واوصاهم ان يكونوا على اهبة المسير فيبارحون تلك

الارض في مدة ثلاثة ايام فاخذ كل في تدبير امر نفسه وحملوا الاحمال والخيام وقادوا الجنائب

وسرحوا الاغنام وكل ما يلزمهم من المؤن وفي اليوم الثالث ركب الامير على جواده الاشقران

وركب الى جانبه اندهوق بن سعدون والملك النجاشي وعمر الاندلسي والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدزبندي وكل بطل من ابطال الكماح وساروا عن حلب وبعد ان حصنوها وتركوا اثارهم فيها ولا زالوا في مسيرهم مدة ايام وليال حتى جاءوا دمشق الفيحاء وكان ذلك في زمن الربيع وقد فتحت الازهار وفاحت الروائح الزكية واكتست الارض ثوباً اخضر بها يبهج الانظار ويذهب بالافكار فسر الامير من تلك الارض وامر عساكره ان تنزل في ضواحي البلد واوصى ان لا يضر احد بالمزروعات والحياض وكل ما ياخذونه من المدينة واهلها يدفعون ثمنه مضاعفاً فخرج اليه اهل البلد وقدموا له طاعتهم وشكروه على نزوله عندهم وترحبوا به كل الترحيب وقدموا له الاكرام الواجب . فعظموا في عينيه وحب القيام بينهم وصرف مدة الربيع هناك وقد راى منهم من الانس واللطف والظرف ما لم يره في بلد من كل البلاد الذي جاءها ودخلها وعرف ان ما كان يسمعه عن اهل تلك المدينة هو اقل من الحقيقة ولذلك قال لروحته مهردكار اذا سمح لي الزمان وتركت الحرب ما اخترت غير هذه المدينة موطناً لانها جنة عدن واهلها ملائكة الوداعة والعذوبة فهم عائشون في نعيم وقد نظرت منهم ما يكاد ينسيني اهلي وجوادي الذي انا سائر في طلبه . قالت اني عرفت ذلك وما سرورك باعظم من سروري واني كنت احب ان ارجوك البقاء في هذا البلد ولو اشهراً واذا خيرتني رضيت البقاء فيها طول عمري قال اليك ما تطلبين فهذه فرصة ولذة عيش ينبغي ان تختلسيها ويطيب قلبك فيها ولا اعلم هل يسمح لنا الزمان بالرجوع الى هذا الفردوس البهيج مرة ثانية ام لا . وصار الامير يزور رياضها وجناتها وبساتينها وفي كل يوم يسهرون الى ان يقرب الصباح وهم على اللهو والحظ والانشراح يتمثلون بقول القائل

دعك من نهي النهاةِ ... وملام العاذلاتِ
وديار خالياتٍ ... وطلولٍ بالياتِ
لا يروق الشعر الا ... في رقيق الوجناتِ
واعتبر في تركك الرا ... ح باموات الصحاتِ
في قصور عالياتِ ... ورياضٍ عطراتِ
تحت استار غصونٍ ... فوق ديباج نباتِ
قولهم افديك مولا ... ي خذ الكاس وهاتِ
فاختلس فيه التصابي ... سابقاً وشك الفواتِ
واطرح وصف الفيافي ... ووخيد اليعملاتِ
ما الذي يحسن من نعـ ... ـت رسوم دارساتِ
فابذل المجهود في وصـ ... ـف مدامٍ وسقاتِ

واسرق اللذات ما دا م لك الدهر موات
بين تغريد حماما ت وانشاد رواة
وندامى هم نجوم ل بدور الداجيات
واقاح الروض في الوصـ ف تغور الغانيات
واشفع اللهو باصوا ت المثاني المطربات

وما برحوا في ذاك النعيم مدة غير قصيرة حتى قارب فصل الخريف فرحلوا من هناك آسفين على هذا الرحيل وما منهم الاَّ من يتمنى لو طال زمان قيامهِ بين اولئك الاقوام الذين ضربت بانسهم وكرمهم الامثال ما عدا طوربان فانها كانت طول تلك المدة ضيقة الصدر مفطورة القلب باكية العين تندب بعد زوجها وغيابهُ كل هذه الايام وليس عندها الا ولدها سعد وقد قارب العشر سنوات الا انهُ اصبح كالغول وهو يتمنى ان يلتقي بابيهِ وداموا في المسير مدة ايام وليال حتى قربوا من مصر وشاع خبر وصولهم الى تلك الديار فجعلت العمال وحكام القطيعات تاتي اليهم وتزورهم وتقدم لهم كل احتياجاتهم والامير يردها اليهم ويشكرهم على طاعتهم وفي كل مكان يقيم اياماً واخيرًا خرج اسبدار حاكم مصر الذي كان اقامهُ عليها حاكمًا كما تقدم معا فترجل بين يدي الامير وسلم عليهِ وسار بين يديهِ الى المدينة وقد خرج الكبير والصغير الى ملتقاه والسلام عليهِ وقد زينوا لهُ البلد وذبحوا الذبائح واولموا الولائم واكثروا من الدعوات والامير يزور الكبير والصغير ويحرضهم على الطاعة والسلام ويمدح من التفافهم وبقي هناك عدة ايام . ولما عزم على المسير والرحيل وصل الامير اندهوق كتاب من عمهِ الذي اخلفهُ في سرنديب يقول لهُ فيهِ . اعلم يا ابن اخي انهُ منذ غيابك عنا والبلاد في امان واطمئنان غير ان هذه الايام قد طمع بنا ملوك التركان وهم ثلاثة ومعهم العساكر العزيزة وقد زحفوا على البلاد وفي نيتهم ان يملكوها ودافعنا الدفاع العظيم الا اننا لم نقدر ان نمنعهم عنا ونفوز عليهم بل بالعكس انكسرت شوكتنا فتاخرنا وحاصرنا داخل المدينة مؤملين ان نبقى على هذا الحصار الى حين مجيئك فاياك من الاهمال والتاخير فان البلاد ستخرب والنساء ستسبى والرجال ستقتل ولا يبقون على احدٍ واذا وقعت بايديهم لا بد من ان يقتلوني ويرسلوا لي العبر فاسرع بقومك والسلام

فلما قرأ اندهوق الكتاب تكدر غاية التكدر واطرق الى الارض برهة كانهُ واقع بحيرة عظيمة فقال لهُ الامير هيا بنا نسير يا اخي الى بلادك ونفرج عنكم هذا الكرب ومن ثم نعود الى بلاد السودان ونخلص الجواد من آخذيهِ . فقال انهُ الامر لا يحتاج الى مسيرنا كلنا فاني اعرف من نفسي اني كفوءٌ لهلاك المعتدين ومهاجمي بلادي غير ان غيظي وكدري من وقوع مثل هذا الامر وانا بحاجة لان ابقى بين يديك واقاتل في ركابك خدمة للعرب . قال اننا لا نعدم

من بسالتك واقدامك فسر الى بلادك وافرج الكرب عن قومك واذا رايت ان الامر بحاجة الينا أسرنا اليك وكشفنا عن بلادك الضيم واهلكنا التركمان عن اجمعهم . فاجاب اندهوق رأي الامير ونهض بقومهِ وودع العرب وهو باكي العين حزين القلب على فراقهم وكذلك هم فانهم حزنوا جدًّا وودعوه بدموع الحب والمودة ودعوا لبعضهم بالبقاء والسلام وسار اندهوق لنحو سرنديب المدد بقومهِ ورجالهِ الذين جاء بهم وهو يتمنى ان يصل باقرب آن . ومن بعد مسيره امر الامير العرب ومن معهم ان يركبوا ويسيروا في طريق السودان ليزحفوا من هناك على التكرور فركبوا ومشوا والامير في مقدمتهم وهو حزين جدًّا لا يفوه بكلمة قط وقد لاح في خاطره ان فرحهُ بقومهِ وفرسانهِ المجتمعة ربما انقلب الى حزن ووبال لانهُ فقد ولدهُ وهو ركن عظيم في العرب تفتخر بهِ وقت القتال وكذلك اندهوق بن سعدون ولا يعلم ماذا يكون من امره هل يسمح لهُ الزمان ان يراه مرة ثانية ام لا . وما بعد عن مصر الا ساعات قليلة حتى ظهر من خلفهِ غبار مرتفع الى العنان ومن تحتهِ فرسان تسير مسرعة الى ناحية مصر فوقف الامير في مكانهِ وقال لاخيهِ عمر العيار سر الى كشف اخبار هذه الشرذمة لنعلم من عليها ومن اين آتية واخاف ان يكون قصدها نحن فاذا بعدنا عن البلاد نصيح عليهم ويصيحوا عنا فاجاب عمر سوال الامير وانطلق الى ان قرب من ذاك الغبار وتبين ما تحتهُ فاذا هم قوم من الاكراد فتقدم قليلاً ليرى من عليهم والى اي جهة سائرون واذا بهِ يرى في مقدمتهم الامير عمر اليوناني والى جانبهِ رجل عظيم ايضًا من الابطال فصاح صياح الفرح وصفق بيديهِ وتقدم نحوهُ فلما راهُ ابن حمزة ترجل عن الجواد ورمى بنفسهِ عليهِ وجعل يقبلهُ وهو يشكر الله على سلامتهِ واخبره بان اباه ارسلهُ لكشف خبره وانهُ بكدر عظيم من اجلهِ ثم انهُ كرّ راجعًا حتى وصل من الامير ونادى بشراك يا اخي فقد فرج الله كربك وارجع اليك ولدك وهو سالم من غدرات الزمان ونوائب الايام فطار فواد الامير فرحًا وكاد يغمى عليهِ من شدة الفرح وما لبث حتى وصل منهُ ابنهُ فترجل وتقدم منهُ ففعل هو ايضًا وجعل يقبلهُ ويشكر الله على رجوعهِ اليهِ سالمًا وفعلت مثلهُ جميع فرسان العرب من الكبير الى الصغير وكان الفرح شاملاً الجميع وسلموا ايضًا على باقي الذين معهُ وقال الامير ودعت في هذا اليوم اخي ولاقيت ولدي ومن الواجب ان افرح بهِ وامر ان يعود الجميع الى مصر ليبقى هناك بعض ايام اكرامًا لهُ ليرتاح من مشاق السير والجد في تلك الطرق المقفرة الطويلة فرجعوا ثانية الى المدينة وقد ترحب بهم اسمندار كل الترحاب وهنا الامير بولده واولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة اكرامًا لهُ وزين المدينة زينة فاخرة وبعد ذلك سال الامير ابنهُ اين كانت غيبتهُ وفي اي مكان بقي كل هذه المدة ومن الذين رفقوه فاخبرهُ بقصتهِ من الاول الى الاخر .

قال وهو ان عمرًا لما جرحهُ زوبين الغدار كما تقدم معنا وشرد بهِ الجواد في البرّ الاقفر كان هو غائب عن الصواب لا يعي الى اي جهة يسير فسار بهِ الجواد ركضًا الى ان وقف في ناحية من الارض مقفرة بعيدة عن الخوف وحينئذٍ انتبه الامير الى نفسهِ قليلاً ورمى بنفسهِ الى الارض وشعر قواه لان الدم كان يسيل بغزارة من بدنهِ ولا يقدر على صمد جرحهِ من نفسهِ ولم يعي على مثل ذلك وقد يئس من الحياة وشعر بفقدان القوى وصار يودع هذه الحياة وكان وهو في تلك الحالة يفكر بقومهِ وما حل بهم واعظم همهِ كان طوربان ووالدهِ سعد الطوقي كيف انهُ يموت ولا يراهما وماذا يا ترى يصير بروحهِ اذا فارق هذه الحياة وعرفت بذلك وفيما هو على ذلك واذا بثلثمائة من الاكراد تحت رئاسة الامير الغضبان قد صادف مرورهم من الناحية فراوا الجواد عن بعد فتقدموا منهُ وراوهُ ملقى الى الارض وهو يأن من الوجع والالم فشفقوا عليهِ وتقدموا منهُ وحملوه معهم بعد ان صمدوا جرحهُ وربطوه بمنديل وغسلوهُ بالماء وساروا بهِ حتى جاءوا قبيلتهم وكانت تلك القبيلة تحت امرة اخت الغضبان وهي من البنات ربات الجمال قد اعطيت من الحسن ابهاهُ ومن الشجاعة اسماها اسمها الاميرة هدلا فعرضوا اليها امر الامير عمر اليوناني وكيف راوهُ يكابد نزاع الموت على تلك الارض منقطعًا عن المساعد والمعين فحنت اليهِ وقالت حسنًا فعلتم لان الانسان يحتاج الى مساعدة بني جنسهِ ونظرت اليهِ وامعنت فيهِ وكانت ذات فراسة وامعان فعرفت انهُ من اولاد الملوك او الامراء وان لا بد ان يكون لهُ حديث وشان فامرت ان يوضع في بيتها وان يلازمهُ الطبيب في المساء والصباح . وان تبقى عندهُ الخدم الى ان يشفى وتذهب عنهُ الالام ويمكنهُ الجلوس وصارت في كل يوم تاتي اليهِ وتخدمهُ بنفسها وتلازم مداراتهِ وقد رأت منهُ شابًا جميلاً وهيبة ووقارًا فاخذ من قلبها موقعًا عظيمًا وصارت تتمنى ان يشفى لتسالهُ عن حالهِ وتعرف من هو وما الذي جرى عليهِ ومن الذي جرحهُ ولما كان جرحهُ بليغًا اقتضى لهُ وقتًا طويلاً للشفاء وصرف اكثر من ستة اشهر في الفراش حتى صار اخيرًا يمكنهُ الاستواء والجلوس والكلام واذ ذاك دنت منهُ الاميرة هدلا وهي مسرورة السرور العظيم وقالت اعلم ايها الرجل اني لست من الناس الذين يتباهون بعمل الجميل ولا اريد ان اذكرك باني وجدتك في البرية بحالة الياس وقطع الرجاء فعاملتك معاملة الام الحنونة لان الانسان ملزوم بان يعول ابن جبلتهِ ولا سيما من كان مثلك عليهِ دليل الكرامة والجلال وكنت احب ان لا اسالك عن نفسك ولا اريد ان اعرف من انت كي لا يقال باني عملت ما عملت لاجل غاية حتى ان نفسي لا تساعدني ان اعرف من هو الذي عملت معهُ المعروف ويكفاني ان اعرف فقط انهُ انسان لكن لما كانت غايتي الوحيدة ان اتوصل الى سبب جرحك لاعرف من الذي جرحك وبنفسي شيء اخر اريد من اجلهِ ان اعرف اصلك وفصلك وهل اني مخطئة بظني لتاكدي انك من

السادات العظماء قال اني لا اريد ان اباهي بنفسي وكان بقصدي ان اخفي امري الى ان يسمح لي الزمان بمكافاتك على معروفك معي وانعطافك عليّ غير اني لا ارغب في الكذب وحيث سالتني عنهُ فاشرحهُ لديك لعلمي بانك وضعت الجميل في محلهِ فانا ابن من رجح ميزان العرب واخفى شمس العجم تحت سحاب الغرب . فاهتزت طربًا ومالت من الاعجاب وقالت انعم واكرم لقد عرفت بانك من فارس برية الحجاز وسيد سادات هذا الزمان الامير حمزة البهلوان الذي طالما تمنيت ان اكون في ركابهِ وبين يديهِ ونفسي تحدثني على الدوام ان اراهُ وارى كيف هو فهل انت من زوجتهِ مهردكار فقال كلا ثم حكى لها قصتهُ من الاول الى الاخر الى ان جرحهُ زوبين الغدار غدرًا وخيانة وشرد بهِ الجواد وهو عليهِ يمسك نفسهُ موقفهُ على غير انتباه فقالت قطع الله يد زوبين الغدار واسكنهُ رمسهُ واني اشكر الله الذي اوصلك اليّ وسمح لي ان اخدمك واقوم بين يديك فتكون مكافاتي عندك قبولي خادمة لك واكون عندك الى الابد فادرك عمر غايتها من انها تريد ان تتزوج بهِ وقد اعجبهُ حسنها وتعقلها وكرامة اخلاقها ولذلك سكت وكان يريد ان يتمنع كي لا يغيظ طوربان ولا ياخذ عليها زوجة ثانية الا انهُ كان يشعر بمعروفها معهُ واهتمامها بهِ وما اراد ان يبدي حركة او اشارة بل اظهر على نفسهِ انهُ متألم وصبر الى حين شفائهِ وكانت قد ادركت ذلك بفراستها وذكائها وعرفت ان اصل منشئهِ كونهُ متزوجًا بغيرها وكانت تتكدر من ذلك وتتحرق كيف سبقتها عليهِ طوربان وساعدها الزمان بان تكون زوجتهُ الاولى والامرأة التي احبها قبل كل امرأة فاخذت المركز الاول من قلبهِ ومع كل ذلك فقد علقت املاً كبيرًا بانها ذات يوم تكون زوجتهُ وقالت في نفسها انهُ لا يزال مريضًا ومن اللازم السكوت عن هذا الامر الان الى وقتهِ وقد تعلقت بهِ كثيرًا وزاد هيامها وغرامها عندما تاكدت انهُ من اشرف الناس وسادات ذلك الزمان وان اباهُ الامير حمزة البهلوان شريف العمل والاصل وزادت في اكرامهِ وانتشر خبر ذكرهِ في كل القبيلة فصار كل واحد منهم يرغب ان يراهُ ويشاهده ويخدمهُ ويكون بين يديهِ ليتوصل الى تقبيل ايادي ابيهِ وبقي الامير عمر على ذلك مدة اشهر ايضًا الى ان شفي تمام الشفاء وصار يمكنهُ ان يركب ويذهب الى البراري والقفار ويسير الى القبائل المجاورة مع الاميرة هدلا ومع اخيها ويسطو على كل عاصٍ حتى جعل للقبيلة صيتًا واسعًا بعيدًا وكل هذه المدة وهو مع هدلا على الحظ والانشراح ورأى نفسهُ مضطرًا لان يحبها ويباديها على جميلها بالجميل واللطف فتكون قد اشترت حياتهُ وخدمتهُ لاجل نفسها ولا سيما عند ما راى من صفاتها الكريمة ما اعجبهُ وابهرهُ وما تصوره بغيرها من ربات الخدور وفي النهاية اخذها زوجة لهُ وزف عليها وسرَّ من قربها وصرف اياما اخر على الحظ والهناء والسعادة والراحة وبعد ان انقضت هذه الايام قال لها قد انتهى كل شيء ولم تبقَ حاجة بنفس

يعقوب ولا خفاك اني مشغل البال بسبب اهلي ولا اعرف ما جرى عليهم في غيابي ولا ارى ماذا حلّ بهم اني وهل رجع اليهم او لا يزال بعيدًا عنهم وهل لا يزالون مجتمعين او انقرضوا وذهب كل منهم في ناحية ومن الواجب المسير الى حلب والانضام الى العرب قالت اليك ما شئت فانا كلنا الان عبيدك وبين يديك وما من واحد يخالفك وجميع من في القبيلة يرغب ان يسير الى ابيك ليقبل يديه ويكون بين العرب في خدمتهِ وهاك اخي الغصبان فانهُ رئيس القوم واميرهم وهو منتظر امرك واما انا فما عاد يمكني الاّ الاقامة في البيوت والامتناع عن الركوب فوق الخيول ومباشرة الحروب كوني صرت مملوكة

وفي الحال ركب عمر اليوناني وركب معهُ كل فارس من الاكراد وحملوا الاحمال ورحلوا عن تلك الارض وداوموا المسير مدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى حلب فلم يروا هناك احدًا من العرب فخفق قلب عمر اليوناني وتقدم من المدينة فخرج اليهِ نصير الحلبي صاحب حلب وسلم عليهِ وهناه بسلامتهِ واخبره بان اباه سار بالعرب في طريق مصر على بلاد الصعيد والسودان واخبره بقصة الجواد وانهُ سرق واخذ الى هناك . فاقام عمر اليوناني تلك الليلة في المدينة واخذ ما يحتاج اليهِ في سفره من المؤن ورحل من هناك في اثار ابيهِ يجد السير ويقطع الفيافي والقفار حتى وصل الى الشام فاخبروهُ انهُ سار عنها فرحل من هناك ولا زال ياخذ اخبارهُ حتى اجتمع بهِ في مصر كما تقدم معنا وفرح كل واحد وكانت طوربان اشد الجميع فرحًا وسرورًا وقد زالت عن قلبها الاكدار والاوصاب واطمأَن بالها وخاطرها وسكن جاشها وصبرت الى ان جاءها فتلقتهُ وترحبت بهِ وسلمت عليهِ وبكت بكاء الافراح وكان من امرهِ ان اخذها الى صدره وقبلها في جبينها وشكر الله الذي راها سالمة وكذلك ولدهُ سعدًا وراه قد كبر وصحتهُ جيدة جدًّا. ففرح بهِ واخبر زوجتهُ بما كان من امره فقالت اني سعيدة من الله الذي ارجعك اليَّ سالمًا وفرج كربي لاني كنت في كدر عظيم وتخلصت منهُ بعنايتهِ تعالى فعشت انا وعاش ولدي ورجعت انت بخير . ثم انها حكت لهُ كل ما كان من امرها عند كسرى انوشروان وكيف ان روبين الغدار واباها قصدا هلاكها وهلاك ولدها مع باقي النساء والاولاد الى ان جاء عمر العيار وخلصهم جميعًا وحكت لهُ كيف عمل حتى خلصهم فضحك من عملهِ وقال لها ياذل العرب من بعده لانهُ ساهر عليهم لا يغفل دقيقة عن صوالحهم ولا يقدر العدو ان يصل شرًّا الينا الا اذا كان غائبًا عنا واما روبين فقد نويت على هلاكهِ ولا بد عند وقوعهِ بيدي ان اهلكهُ واميتهُ شرَّ ميتة فقد طال في غدره وتمادى في شره ولولا اني لقتلناهُ في هذه المرة وارتحنا منهُ . وصرف باقي ليلتهُ عندها الى الصباح

وبقي الامير حمزة في مصر ستة ايام أُخر وبعد ذلك رحل من هناك في طريق بلاد

السودان بتلك الحملة العظيمة ودام في المسير على تلك الاراضي الحارة المحرقة وكل ما وصلوا الى ارض نزلوا بها للراحة واقاموا عدة ايام لياخذ العسكر راحته ولا يتكدر احد منهم من التعب وشدة الحر وانتهى المسير بعد ذلك الى بلاد الملك فرهود صاحب التكرور فضربوا خيامهم ونزلوا في ساحة فسيحة وقد سدوا السهل والجبل وضرب الامير حمزة صيوان البيون شاه ونصب عند بابه علم بيكار الاشتهار حتى ابتهجت منه تلك الارض وتزينت من جماله وبهائه ولما استقر بالامير المقام كتب رسالة الى فرهود وبعثها اليه وانتظر الجواب

قال وكان فرهود من الابطال العظام اصحاب البسالة والاقدام وكان يندر وجود مثله في زمانه طاع باع فدات يوم جاءه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ومعهما اليقطان فسلماه اليه ودفعا كتابة كسرى فقراها وقال لا بد لي من الاتمام والاجابة ولا بد ان ارى ماذا افعل له بالعرب اذا جاءوا بلادي واما انتما فعلى الرحب والسعة واكرامًا لخاطر كسرى اقدم بلادي بين ايديكما فسيرا واحكما وما من معارض يعارضكما قالا انا لا نريد امرًا ولا نحملك ثقلة بل اقمنا في بلادك الى حين نتخلص من ظلم العرب ولا بد ان يعلموا بنا ويأتوا الى هذه النواحي. قال سوف يظهر لكما عملي وكان قد سرّ جدًّا من الجواد اليقطان واحبه واراد ان يركبه فامتنع عليه فحاول واياه وقتًا فلم يقدر ان يعلو ظهره وهو يضرب برجليه الارض ويعلو بايديه ويهجم على كل من يقرب منه حتى قتل خمسة من العبيد فغضب منه فرهود واراد ان يقتله لولا حبه له ومعرفته انه اذا كان على ظهره وقاتل اعظم الابطال فاز عليه فقاده العبيد الى اصطبل مخصوص وضعوه فيه وجعلوا يقدمون له الاكل وصار فرهود الى ان ينال مراده منه وصار في كل مدة ياتي ويجرب نفسه دون ان يحصل منه على نتيجة الى ان وصل العرب تلك الديار واخذ مكتوب الامير حمزة ففضه وقراه واذا به

بسم الله الحي القيوم

اعلم ايها الملك الجاهل اني انا الامير حمزة فارس برية الحجاز ومذل الاكاسرة وابطال هذا الزمان قد جئت بلادك لاجل غاية واحدة لا اريد سواها وهي انه بلغني ان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد سرقا لي جوادي وهربا اليك فقبلتهما واكرمتهما واخذت الجواد لنفسك فاريد منك ان ترجع اليّ جوادي في الحال وتسلمني هذين الحبشيين اللصين فاسير عنك في الحال ولا اضر باحد من بلادك وتكون قد حقنت دماء بني البشر ورفعت عن قومك ثقلة حرب العرب ورفعت العداوة من بيننا والاَّ فاني لا انفك عن بلادك ما لم اضربها واقتل كل امير وسيد فيها واسترجع جوادي قوةً واقتدارًا فلا يدفعك العناد ولا تؤخذ باقوال عمر بن شداد وصقلان الرومي فهما يقصدان غشك والسلام

فلما قرأ فرهود هذه الرسالة التفت الى عمر بن شداد وقال له اسمعت ما يقول امير العرب كأنه يظن باني اخافه او اخاف رجاله وسوف يرى مني حرباً لم يرها زمانه بطوله وهو يتهددني قاصداً اخافتي وفزعي قال له اعلم ياسيدي ان العرب قوم كذابون وما هم الا اهل بادية ومتى حاربتهم عرفت انهم من اجبن اهل الارض لا يثبتون امامك ولا يطيقون حربك وخصامك فاخرج اليهم بالعساكر والابطال حتى اذا رأوا منك ذلك خافوا واضطربوا وعرفوا انك من الابطال الاشداء اصحاب الصولة والعظمة فيرجعون في الحال على اعقابهم او انهم يفنون بسيفك وحسامك ولا ريب انه اذا عرف الملك الاكبر بانك قتلت حمزة وبددت العرب انعم عليك الانعام الكثيرة ومدح منك ومن معروفك وشاع صيتك بين الناس اجمعها في اربعة اقطار المسكونة فيعترفون بانك فارس هذا الزمان الامجد وبطله الاوحد فيطيعك البعيد والقريب ويمكنك ان تملك على قسم كبير من العالم من مصر الى اقاصي الارض فامر فرهود في الحال بجمع العساكر والاستعداد للحرب والقتال وارجع رسول حمزة بلا جواب واقام العرب مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس خرج فرهود برجاله وابطاله السودان وهم كالجراد المنتشر ويدبر امرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وضرب خيامه مقابل خيام العرب ونزل بعساكره هناك فعرف الامير حمزة ان في اليوم التالي يتنشب الحرب والقتال فاستعد مع قومه الى ان كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وخرجت الفرسان من مرابضها كانها اسود البطاح وقد اشهرت بيض الصفاح وهزت عوامل الرماح وتقدمت من بعضها البعض وانتظرت الاوامر بالهجوم وكان الامير حمزة في الوسط فاخرج سيفه من غمده واشار الى العرب بالهجوم والقتال واقتحم تلك المعركة بقلب قد من صوان الجبال وهو ينادي انا حمزة العرب سيد الفرسان والابطال وحبيب مهردكار ذات الحسن والجمال وفعل مثل ذلك الامير عمر اليوناني وهو يهدر كالجمال . وبرأ ركاسود الدحال . وعمر الاندلسي والنجاشي والمعتدي حامي السواحل الاقيال . واصفران الدربندي ومعقل البهلوان وقاهل الجبل ومباشر وبشير فتعاظمت الاحوال وعظمت الاهوال . وانتشر غبار الموت . واندفع عزرائيل الى قبض الارواح خوفاً من ان يفوته الفوت . واما فرهود فانه قوم سابه . واطلق لجواده عنانه . وغاص بين العرب . وارسل عليهم ميازيب العذاب والكرب . وقد قلب المياسر على الميامن والميامن على المياسر واهج بقتاله الخواطر . وحير النواظر . وما قصد كتيبة الا فرقها . ولا وقع على فرقة الا ومحقها . هذا وقد اشتد القتال والطعان . وراج سوق الموت والهوان . ونادى منادي الهلاك والقلعان . الا هلموا الى الرحيل فقد آن الاوان . ونصبت كفة الميزان . ليظهر الراجح من الخسران . والناقص من الرجحان . وقد كثر الهول وقل الامان . وانتشبت اظافر الهلاك

في افئدة الشجعان . فالتت بها الى بساط الصحصحان . تثليها في حجر الفناء تقلب الموجوع السهران على فرش الضنا من لسع الثعبان . فصمت الاذان . وعميت العينان . وثبت الشجاع وفر الجبان يختبي في مغائر ذاك المكان . الى ان ينقضي النهار . ويقبل الليل بالاعتكار . ويعود متظاهرًا بالقتال مفتخرًا بالنزال . وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم . ونيران الوغى تزاد وتضرم الى ان ولى النهار وانهزم . واقبل جيش الظلم . فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى المضارب والخيام بعد ان صبغوا وجه الارض بالاحمرار . وكسوا البسيطة ثوبًا بلون البهار . وتركوا القتلى والجرحى فيها اكثر من رمل البحار . فسبحان العزيز الجبار . والواحد القهار . الذي قدر على الانسان ما شاء واختار . وجعل من مزاياه حب الانتقام . من الاعداء والاخصام كما جعل في قلبه حب الامان والسلام . من الاحباب والاهل والاصحاب

وبات القومان وهما من التعب في هم وغم وكان قد تعجب الامير حمزة من ثبات السودان جلادهم على الحرب والطعان وهم لا يخافون الموت ولا يحسبون حسابًا للقتل والهلاك كأن ...ر برية فرضت عليهم ان من الواجب على الانسان الموت في ساحة الميدان وعند ما اشرق ...جه الصباح ولاح نوره وانبسط على تلك البراري والبطاح . نهضت الفوارس الى خيولها فركبتها ...لى اسلحتها فنقلتها . وتقدم الصفان . وترتب الفريقان . وما قل من ساعة من ساعات الزمان . ...ل الجميع على بعضهم البعض . وابتدوا يتضاربون ويتطاعنون ويبربرون بما يخيل للناظر ...ه جاء يوم العرض . وكان القتال في هذا اليوم اعظم من اليوم الاول . والموت اشد واعمل حتى ...ك الظلام واقبل . فرجع المتقاتلان الى الخيام وفي الصباح رجعا الى الحرب والكفاح . ودام ...ال على هذا المنوال مدة عشرين يومًا على التمام . وفي الاخير ضجر كل من الفريقين وقد قال ...هود لقومه اني ما كنت احسب ان فرسان العرب بهذا المقدار قوية الجاش ثابتة العزيمة فقد ...كوا اكثر من نصف قومي وان كنت اهلكت منهم كثيرًا لكني لا ارى وسيلة لانقراضهم لانه ...قي منهم لثبت وقاتل ووقف في وجه فرساني . وقد كدرني هذا كثيرًا وجعلني بحالة ياس ...وف على رجالي ان يفنوا قبل ان اتم عملي واهلكهم جميعًا . فقال له عمر بن شداد الحبشي ان ...رب كثيرون وهم من عالم مختلف وبينهم كثير من الفرسان الذين اذا قتلوا انقرضت بسالة ...عتهم وتفرقوا ومن الراي عندي ان لا تلقي برجالك الى ساحة القتال بل ابرز انت وادعهم ...دًا بعد واحد فاذا قتلتهم واقتلعت فرسانهم هرب الباقون او سلموا ولا سيما الامير حمزة ...له عمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل . فقال لقد اصبت ولا بد لي من ان اترقب ذلك ...شر القتال بنفسي وامنع قومي وسوف ترى ما افعل بالامير حمزة وفرسانه

فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير حمزة وقومه فانهم عند رجوعهم من ساحة القتال

دار بينهم الكلام في هذا الشان . فقال الامير اني اريد ان اعرف فكر فرهود في امر القتال
وكيف انهٔ لم يحاربنا على الجواد واخاف ان يكون جوادي قتل او ابعدوهُ عن هذا المكان
والاَّ لو كان بيد فرهود لكان حارب عليهِ وافتخر بهِ . فقال عمر العيار اني ساذهب في هذه الساعة
واكتشف خبر السودان وارى اين هو الجواد واذا تسهل لي ان اصل اليهِ احتلت واتيت بهِ
ولو كان دونهٔ الف عيار ومحتال . فقال لهُ الامير سر على توفيق الله ونجاحه عسى ان الصدف
تخولك في هذه المرة كما في غيرها فتاتيني باليقظان . فاجاب عمر في الحال ولبس ملابس السودان
وتزيا بزيهم حتى صار كواحد منهم وانطلق الى معسكرهم واختلط فيهم وهو سائر من مكان الى
مكان حتى وصل الى صيوان فرهود فدخلهُ ووقف بين الخدم ونظر الى فرهود في الصدر ومن
حواليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسمع عمر بن شداد الحبشي يكلمهُ بشان العرب
الى ان قال لهُ اخيرًا واني اكفل لك النصر ياسيدي والفوز لانهُ خطر بفكري خاطر وهو انهُ
عندي سلسال من الحديد اذا القيتهُ على الفارس ولو كان بعيدًا علق بهِ فتسحبهُ اليك اسيرًا
وحيث قد نويت على البراز فلا بد ان يكون معك فتنال المراد وانا منذ هذه الساعة ساذهب
الى صيواني وارجع اليك بعد قليل ومعي السلسال . فقال افعل ما بدا لك وعجل بالسلسال
فنهض عمر وخرج امام الجميع من الصيوان وبقي عمر العيار ينظر اليهِ ويتعجب من خباثتهِ حتى راهُ
قد خرج من الصيوان وبعد وما عاد ان فاعاد بنظره الى فرهود وهو آمن من غدرات الزمان
ولم يخطر بفكره بان احدًا يعرفهُ من اولئك الحضور ولا غيرهم من عالم الانس والجان وفيما هو
كذلك ما شعر الا وعمر بن شداد الحبشي قد قبض عليهِ من الوراء وصاح هذا هو عمر العيار
ياسيدي قد وقع بايدينا وجاء ليحتال علينا فهلموا ياخدم الى مسكهِ فاسرع الجميع اليهِ وقبضوا
عليهِ فانبهر كيف اخذ بغتة وكيف عرف واراد ان يحاول وينفي عن نفسهِ فلم يسمع لهُ احد بل
كتفوهُ وقربوه من فرهود وقال لهُ هذا ياسيدي راس العرب وفخرهم فلولاه لما نجحوا ولا فازوا
وهو حاميهم في الليل والنهار وطالما قصدت ان اسرق الامير حمزة او غيره من الفرسان فامتنعت
خوفًا منهُ لانهُ ساهر العين متيقظ الخاطر لا يغفل عن احد ولا يرى فوزًا بالعرب بدونهِ . ففرح
فرهود غاية الفرح وقال طالما سمعت عنهُ انهُ شيطان في صورة انسان ولكني اراه كواحد منا
وليس من العرب ومن اين عرفتهُ ولو رايتهُ الف مرة لما تاكدت الا انهُ من قومي . قال هذا
لا اعرفهُ ولا اعرف حيلهُ من هذا الوجه وجل ما اعرفهُ عنهُ انهُ يتزيا بزي كل رجل من رجال
هذا العالم حشيًا كان او عجميًا . ثم اخبره بما كان من امر هدهد مرزبان وكيف قتلهُ واحتال
على كسرى فتركهُ يقبل يديهِ وخلص النساء فتعجب فرهود وانبهر وقال هذا لا بد من قتلهِ
وهلاكهِ لترتاح الناس من شرهِ وكيدهِ فخذهُ واقتلهُ قال ليس في قتلهِ فائدة الان ياسيدي لاننا

اذا ذهبنا بهِ الى كسرى انوشروان وسلمناهُ اياهُ حيًّا يقتلهُ وينتقم لنفسهِ منهُ اعطانا نصف مُلكهِ واصبح ممنونًا منك شاكرًا من صدقك ومودتك وهكذا كل فارس اسرناه سرنا بهِ الى المدائن ولا بدَّ لي من الاحتيال بسرقة الامير حمزة حتى اذا فرغنا من الحرب سرنا بهما الى الملك الاكبر وسوف ترى ما يكون لك من الاكرام عندهُ والانعام . قال صدقت ولا بد من المحافظة عليهِ والتشديد في اسره واني ساسلمهُ الى عياري الاكبر فرار واوكلهُ بالمحافظة عليهِ الليل والنهار ولا يفارقهُ ابدًا حتى ابدد قومهُ

قال وكان السبب بمسك عمر العيار هو ان ابن شداد كان كما تقدم معنا خبيثًا محتالاً متيقظًا منتبهًا من اكبر العيارين واعظم السلالين وقد عرف ان الامير عمر لا بد لهُ ان ياتي الى صيوان فرهود في كل الاوقات ويغير زيهُ حتى لا يعرفهُ احد وعرف هو ايضًا انهُ اذا راهُ ربما اشكل عليهِ امرهُ وما انتبه اليهِ فعد عدد الخدم الموكلين بخدمة الصيوان فاذا هم عشرة ففكر انهُ متى راهم زادوا واحدًا يكون الزائد عمر لكنهُ بقي عليهِ ان يعرفهُ ويعرف من هو من بينهم ليقبض عليهِ فدعا بالخدم المذكورين واخبرهم بهذه القصية وقال لهم اني موكد بان هذا الخبيث لا بد ان ياتي يسترق منا الاخبار او بالحري يسرق سيدكم واني نويت على مسكهِ واخاف ان لا اعرفهُ من بينكم فمتى رايتموني نظرت اليكم ووضعت يدي على راسي فليقبض كل واحد بيدهِ اليمنى اذنهُ اليسار واحدًا بعد واحدٍ ومن لم يقبض اذنهُ يكون هو فيقبض عليهِ ولا نعفو عنهُ واياكم من التقصير واوصاهم بذلك كثيرًا ويكتم هذا الامر بينهم وجعل في كل ليلة دابهُ ان يعدهم في كل دقيقة فيراهم على حالهم وهو مكدر كيف لم ياتِ عمر لانهُ يشتهي ان يقبض عليهِ لياخذهُ كسرى ويقبض انعاماتهِ التي وعد بها وصرف نحو عشرين يومًا قلقًا ولكنهُ ما فتر عن الانتباه وفي كل يوم يعيد الامر على الخدم ويوصيهم بالطاعة ويومل انهُ في اليوم القادم ياتي حتى تلك الليلة فعد الخدم بلحظة وهو يكلم فرهود فراهم قد زادوا واحدًا فسقط الهم عن قلبهِ وتاكد مجيء عمر العيار وكاد يطير فرحًا لكنهُ اخفى حالهُ وخاف ان اظهر امره حالاً فرَّ وطار ولا يقدر على مسكهِ فمد يده الى راسهِ فانتبه الخدم وجعل كل واحد بدوره يقبض اذنهُ ما عدا عمر العيار فانهُ ما عرف هذه الحيلة وما انتبه اليها ولما عرفهُ اكيدًا نهض واحتال بقولهِ ان مرادهُ ياتي بالسلسال حتى بعد عن الصيوان ثم عاد متلصصًا وقبض عليهِ بغتة . فانفطر قلب عمر من عملهِ واحتار كيف ان هذا الخبيث عرفهُ مع ان لا احد في الدنيا يقدر ان يعرفهُ وصار عمر بن شداد الحبشي يعد نفسهُ بانهُ ينال نصف اموال كسرى ويتقدم في دولتهِ كثيرًا وقال في نفسهِ لا بد لي من اتمام العمل واسر الامير حمزة . ثم ان فرهودًا دعا اليهِ عياره فرارًا وقال لهُ اني اسلمك عمر العيار هذا واوصيك ان لا تفارقهُ دقيقة وانا الان في غنى عنك ما زال عندي ابن شداد وصقلان

الرومي واياك من الغفلة فاجعلي دايمًا بالمحافظة عليه واذا هرب كان جزاؤك الاعدام . قال يا سيدي اني لا افارقه دقيقة واحدة فانام عنده واقوم عنده واطعمه من يدي ولا ادع احدًا يراه فسلمه اياه فرهود فاوثقه بالحبال وربط يديه وشدها الى بعضها وقاده الى خيمته واقام عنده وجعل يطعمه ويسقيه من يديه وقد شده الى وتد بن في الخيمة مربوط الرجلين والايدي وهو يتحرق ويتحسر على ما اصابه

فهذا ما كان منه واما ما كان الامير حمزة والعرب فانهم صرفوا قسمًا من الليل في صيوان البهلوان شاه بانتظاره فلم يرجع فشغل بال الامير من جهته وقال لا اعرف كيف بقي الى الان وما رجع الينا فقال النجاشي ربما تاخر ليسرق الجواد ويرجع به واني اوكد بان لا احدًا يعرفه منهم لتغيير حالته واخيرًا نهض الامير الى صيوان منامته فنام وتفرق العرب كل الى صيوانه . على امل ان ينهض في الصباح الى الحرب والكفاح . واما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانهما بعد ان انصرفا من حضرة فرهود قال الاول للاخر قد تاكد لدينا النجاح ولا بد لي بعد نهاية الحرب ان اخذ عمر العيار الى المدائن واسلمه الى كسرى فننال انعامه . قال لا بد ان الملك الاكبر يسر منا سرورًا لا مزيد عليه ولكن يبقى عليه عداوة العرب لانهم لا يتركون عيارهم وعندي ان نحتال على مسك حمزة العرب فاذا فعلنا ذلك انطفئت جمرة العدوان وتفرق العرب بعد انكسار شوكتهم وسرَّ كسرى سرورًا كاملاً فيقتل الاثنين معًا . قال صدقت واذا كان لذلك من فرصة فهي الان لان امير العرب ينام مطمئنًا لجهله ما وقع على عياره ولا ريب انه بدون محافظة ولا حارس ينتظر عودة حارسه فهلمَّ بنا الى معسكر العرب فناتي بحمزة فاجابه الى ذلك وانسل الاثنان بين العرب يتلددان من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة والعرب نائمين في حجر الامان . حتى وصلا الى مكان الامير حمزة فلم يريا احدًا عند بابه سوى خادمين تغلب عليهما النعاس وسطا عليهما سلطان النوم فهجم كل واحد على واحد وبغتة سد فمه والقاه الى الارض واخذا قليلاً من البنج فاشعلاه وحذفاه الى داخل الصيوان وصبرا بريهة ثم دخلا وربطا الامير حمزة وحملاه وسارا به في الجهة القريبة من البر . ثم عرجا الى المعسكر وهما بمزيد الفرح والمسرة وكلاً منهما يعد نفسه بالسعادة والاقبال ولما وصلا الى معسكر السودان دخلا على فرهود وهو نائم وايقظاه من فراشه ودفعا اليه الامير ففرح غاية الفرح وقال حسنًا فعلتما وكيف قدرتما على ذلك فاخبراه بعملهما . وبعد ذلك امرهما ان يعطياه ضد البنج ففعلا ولما استيقظ حمزة وجد نفسه بين الاعداء وامامه فرهود وعدواه الالدان ابن شداد وصقلان فعض على كفيه من شدة الاسف وتاكد وقوعه بايديهم وبقي صامتًا . الى ان قال له فرهود كيف ترى نفسك الان فهل عرفت ان عداوة كسرى لا تطاق وان العالم باجمعه بخدمه وانه اذا حاربكم

الى اخر الزمان لا يكل ولا يمل ويقدر ان يسحب بعساكره لقتالكم مهما قتلتم ولا بد من هلاككم وموتكم باقرب وقت لاربح الدنيا من شرك واخدم الملك الاكبر خدمة صادقة . فقال صقلان سنسير بهِ الى المدائن ونذبحهُ عند اقدام كسرى مع اخيهِ . ثم قال لحمزة اعلم ان اخاك قد وقع بايدينا وما من سبيل لنجاتهِ بعد الان وهو مربوط الايدي والارجل لا يقدر احد الى الوصول اليهِ . فاغتاظ حمزة من هذا الامر وتاكد عنده ان العرب ستباد بعدهُ وبعد اخيهِ وندم غاية الندم كيف انهُ ابقى على هذين الشقيين ولم يقتلهما ويرتاح من شرهما ولكنهُ اظهر الجلد وقال لفرهود ان كنت تظن حمزة وقع في اسرك وانك تقدر على هلاكهِ فقد غلطت لان الهي يقدر على خلاصي في كل دقيقة وسوف تدور الدائرة عليك فتذهب طعاماً للاسنة لان بين جيوشي كثير من مثلي ولا بد من اخذ ثاري ولو انك اسرتني في ساحة الميدان لحق لك ان تفتخر وتباهي ولكن الحيلة عار على فاعلها ولو كنت اريد ان اخذك غدراً كما اخذتني لما صعب عليَّ ولكني اكره الاسراف واحب ان اخذ خصمي مواجهة وجهاً لوجهٍ فافعل الان ما انت فاعل فغضب فرهود من كلامهِ واراد ان يميتهُ في الحال فقال عمر بن شداد الحبشي ابقهِ الان تحت الحفظ حتى نهلك قومهُ ونسير بهما الى المدائن . وعندي ان ترسلهُ الى قلعة الحديد عند شاطئ البحر وتوكل بهِ حاكم القلعة الى ان تطلبهُ منهُ واوصهِ ان لا يسلمهُ الى احد حتى ولا الى ملك ملوك السودان وحاكم العبيد باجمعها حتى ولا الى كسرى انوشروان الا انت بنفسك . فاستصوب هذا الامر وارسلهُ مع جماعة من عسكره الى محافظ القلعة وكتب لهُ ان يحافظ عليهِ ولا يسلمهُ الى احدٍ مطلقاً . فاخذهُ المحافظ وكان اسمهُ الامير هداد ووضعهُ داخل القلعة واقفل ابوابها واعتمد ان لا يفتح لاحد وراى الامير حمزة نفسهُ مقيداً وماسوراً في ذاك المكان فانطبقت الدنيا عليهِ وشعر بانسلاخ حياتهِ وخاف كثيراً على العرب ولا سيما على اولاده وزوجاتهِ من كيد الخبيثين واخيراً صلى الى الله وطلب منهُ المعاونة والاغاثة وبقي على امل الفرج منهُ تعالى

وفي صباح اليوم الثاني نهض العرب من مراقدهم وافتقدوا اميرهم فما وجدوه ورأوا الخادمين على تلك الحالة ففكوهما وسالوهما عما كان من امر الامير فاخبراهم بعمل السلالين فتكدروا من ذلك وخافوا على حمزة ووقعوا باليأس والمصائب وعند ما رأى عمر اليوناني حالهم قال لهم لا ترتاعوا ولا تضطربوا فشددوا عزائمكم وقووا قلوبكم واحملوا على الاعداء فاذا فزتم خلصتم الامير ولا ريب ايضاً ان عمر العيار وقع بايديهم واصابهُ ما اصاب ابي فالاتكال علينا والا ذهبنا ذري الرياح وطمع السودان فينا واصابونا باكبر مصيبة وان كان ابي قد اسرفانا مكانهُ وترونني افدي روحي في سبيل النجاح والفوز . فقالوا لهُ انا نقسم بالله العظيم ان تكون ارواحنا فدية عن الامير ولا نرجع عن القتال حتى نخلصهُ ونهلك الاعداء او نهلك عن اخرنا فمدح منهم

الامير في الحال بضرب طبول الحرب والقتال فضربت وارتجت منها السهول والجبال وتقدمت عساكر العرب كانها اسود الدحال وكان فرهود يظن بان العرب لا تقدر بعد الامير حمزة على القتال ولا يمكنها الثبات في ساحة المجال حتى راهم وقد حملوا فتعجب من عدم تاثيرهم وركب بعساكره وفي كل نيته انهُ يوقع بهم في ذاك النهار ويفنيهم عن اخرهم . وباقل من ساعة حمل العرب على السودان . واشتبك القتال في كل مكان وكثر الضراب والطعان . وفعلت فرسان العربان . افعال مردة الجان . او عفاريت السيد سليمان . وقد القت نار واحها في حفر المخاطر . والقت باجسادها بين مشتبك الرماح والخناجر . حتى تركت القتول كالتلول والدماء كمازيب السماء وما جاء اخر النهار حتى اظهرت لفرهود عظيم فعلها وغزير بطشها ورجعت عند المساء وفي مقدمتها عمر اليوناني كانهُ شقيقة ارجوان . مما سال عليهِ من أدمية الفرسان وقد سر من عمل العربان باعدائهِ السودان ورجع فرهود وهو متكدر الخاطر مما راى في ذاك النهار وما حل بقومهِ من اعدائهِ الا انهُ كان بطلاً صنديداً يتكل على نفسهِ كل الاتكال ويعرف انهُ يقدر وحده على ابادة الرجال ولو كانوا بعدد الرمال فعول ان يبارزهم فيما ياتي من الايام اذا عادوا الى الحرب والقتال غير ان العرب في ثاني الايام ما باشروا القتال وقد اختاروا ان يريحوا اجسادهم اياماً قليلة من تعب ذاك اليوم حتى يتمكنوا من الثبات ومن فعل يوم اخر كذاك اليوم

قال وكان الامير عمر عند فرار العيار على ما تقدم معنا يلازمهُ الليل والنهار ولا يبعد عنهُ الا قليلاً من الوقت ولم يترك لهُ مجالاً لان ينظر الى احد او يحتال لنفسهِ في الخلاص وقد قال لهُ بعد اسرهِ بثلاثة ايام ان نجم سعد العرب قد افل وسوف يبادون ويبددون وتكون بطون وحوشنا مدافن لهم جميعاً . فقال لهُ عمر ماذا يهمنا يا ابن خالتي اذا سلم العرب وهلكوا فاني غريب عندهم وما انا الا عبدهم وما صدقت ان خلصت منهم ووقعت بيد اناس من السودان اعداء البيضان يخلصوني منهم ويعيدون اليَّ الحرية فاذا هلكوا اخلصت الود الى سيدي فرهود وخدمتهُ معك وتعينت من رجالك لانك على ما يظهر لي من السادات الكرام اصحاب الفضل والاحسان تغار على ابناء جنسك وتراعي حرمة الانسانية واني ارجوك متى لحق بالعرب مصيبة لا تخفها عني لاني افرح لها واتامل انقراضهم باقرب وقت لاتخلص منهم . قال انهم بويل وشدة وقد سار عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي الى معسكرهم ليلاً وسرقا اميرهم حمزة وجاءا بهِ الى ملكنا وسيدنا فرهود مقيداً ذليلاً فارسلهُ الى قلعة الحديد في وسط البحر ووكل بهِ الامير هداد واوصاه بالتشديد عليهِ ولا يمكن ان يتخلص من هناك ولا بد ان ياتوا بالعرب واحداً بعد واحد ولا يتركوا منهم سيداً ولا خادماً وعندي انهم يتفرقون وينقرضون بايام قليلة . فلما

سمع عمر هذا الكلام كادت امعاءهُ ان تتمزق وتنقطع وقال في نفسهِ هلكت والله العرب فاذ تقاعدت عن نصرتهم وعن التحيل بالخلاص اصيبوا وانقرضوا الى آخر الازمان وما بقي منهم انسان الا انهُ اظهر الفرح وابدى خلاف ما اضمر وقال لفرار بشرك الله بالخير يا اخي فهذ الذي كان يجبرني الى خدمتهِ ولا خفاك اننا نحن السودان مهما خدمنا البيضان لا نخدمهم الا خوفًا منهم ومتى لاحت لنا فرصة للخلاص تخلصنا ولو هلكوا . واريد منك يا اخي ان تطلق سراحي لاذهب الى فرهود واعرض عليهِ خدمتي واتوقع على اقدامهِ علهُ يقبل ما اسألهُ اياهُ . قال اني اكرمك واطعمك واراعيك واما اطلاق سراحك فلا امل بهِ لاني اعرف يقينًا ان سيدي لا يقبل بخدمتك وانهُ مصرٌّ على هلاكك ولا بد من ارسالك الى كسرى انوشروان لتموت هناك . فبكى عمر على حالهِ وقال لهُ صدقت يا اخي فما من سبيل للحياة وقد نسيت ذلك واني لا ابكي الان على نفسي ولكني ابكي على ما معي من الذخائر التي كنت افوز بها على كل سيد وبطل ومولى واخاف اذا مت ياخذهم كسرى انوشروان او الاعداء اللئام . وهي اذا اردت ان اتزيا بزي فرهود سيدكم لما صعب عليَّ واذا اردت ان اعرف طرقات الموت والبلاد كلها عرفتها بدقيقة واحدة واذا قصدت الاكتشاف على خبايا العالم وكنوز الارض ظهرت لي كأنها بين يديَّ . وغير ذلك مما لا يوجد عند احد من العالم . فلما سمع فرار هذا الكلام مال قلبهُ الى اخذ هذه الذخائر وحدثتهُ نفسهُ ان يحتال على عمر العيار وياخذها منهُ . فقال لهُ لا ريب يا ابن الحالة اذا مت اخذوها منك وانتفعوا بها ولا سيما هذان الحبشيان اللصان اللذان سرقا جواد اخيك . قال واين هو الان فاخبرهُ بقصتهِ وجعل يقدم لهُ الاكرام ويراعيهِ ويعطيهِ الاكل اضعاف ما تعين لهُ حتى جاءه ذات يوم وقال لهُ اني حر بن جدًّا يا ابن خالتي على مصابك ولا اعرف ماذا يصير بك واسال رحل والنجوم السيارة وكل معبود ان يرضى عليك ويخلصك من ايدي هولاء الظالمين قال لا امل لي بالخلاص لكن يا اخي اريد منك ان تقبل مني الذخائر التي اشرت لك عنها فتاخذها ولا تطلع احدًا انها عندك والا نزعوها منك واحرموك اياها فهي تساوي ملك كسرى انوشروان ولا تثمن بثمن من الاثمان . فانت احق بها من غيرك لانك راعيتني واحترمتني واحسنت معاملتي . فلما سمع فرار هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وما صدق هذا الكلام وقال لهُ اصحيح ما تقول . قال اي وابيك فاطلق لي يدي الواحدة فقط فادفع اليك الجميع واعلمك عن كل واحدة ماذا تعمل بها وكيف تستعملها وبذلك يظهر لك صدق حبي وتعرف اكيدًا اني لا اترك مكافاتك واني اعرف الجميل قال وكيف اقدر على اطلاق يدك وقد منعني سيدي من ذلك واخاف ان تتخلص ويحصل لي من بعدك العذاب ويقتلني سيدي . قال من اين اتخلص وانا مقيد الارجل ويدي الثانية مربوطة وانت واقف

امامي لا تبارحني تنظر اليّ وتراقبني ومع كل ذلك فانا لا ارغب في اطلاق يدي الا لاجلك فاذا رفضت ذلك تندم فيما بعد وياخذ ما معي غيرك وتكون قد رفضت السعادة بيدك فتحركت عواطف فرار الى الحصول على هذه الذخائر وقال في نفسه اذا فككت له يده ماذا يا ترى يقدر ان يفعل وانا بين يديهِ ورجلاه مقيدتان ويدهُ الثانية مربوطة ومتى اخذت منهُ هذه الذخائر وتعلمت كيفية العمل بها اعدتهُ الى الكتاف . ثم قال لعمر اني لا اخاف منك يا اخي واجيبك الى ما تطلب وها انا الان افك لك اليد الواحدة واطلقها الى حريتك فافعل ما انت فاعل واعذرني على امتناعي لاني اخاف من فرهود فاقاص على هذا العمل . قال اني اعرف ذلك ولو كان لي اقل امل بالخلاص لما سالتك هذا السؤال ورجوتك قبول ما معي ولكني موكد موتي فياخذ اعدائي متاعي واكون مت مغتاظًا مقهورًا محصورًا فمتى اطمأن بالي اموت براحة واعرف ان اعدائي السبب الذي كنت انقلب بهِ عليهم

واذ ذاك تقدم فرار من عمر وفك يده الواحدة وقال له قم بوعدك يا اخي فقد اجبتك الى طلبك قال مرحبا بك ثم مد يده الى داخل ثيابهِ واخرج السيف ذا الشطبين وقال له هاك السيف الذي لا يوجد مثلهُ عند كسرى انوشروان وهو من عمل اليونان القدماء فاخذه فرار ونظر فيهِ فاعجبهُ جدًا فقال جزاك الله خيرًا فما معك غيرهُ فاعطاه الخنجر وقال له هذا يصلح لك لا لغيرك فاعجبهُ جدًا ثم دفع اليهِ المرآة والمكحلة وقال له هاتين الذخيرتين لا نظير لهما فانك اذا نظرت في المرآة عرفت خبايا العالم وتعلمت طرقاتها وما اختفى عليك شيء مما تريده واذا تكحلت بالميل واردت التزيي باي كان لا يصعب عليك ذلك . قال حسنًا وهبت يا اخي فجزاك الله خيرًا ونظر في المرآة فانبهر وتحير وكاد يطير من الفرح . ثم قال لعمر وهل باقٍ معك شيء اخر يا اخي . قال نعم باقٍ معي ذخيرة واحدة يصعب عليّ التسليم بها واريد ان احفظها لي قال وما هي . قال هي علبة صغيرة من النحاس فيها برغي اذا حللته ورفعت الغطاء وطلبت اي نوع من الطعام حضر في الحال كانهُ مغروف من الوعاء ومرفوع عن النار . قال يا اخي انت لم تبخل عليّ بغيرها فكيف تبخل بها ولا ريب انك مائت لا محالة فياخذها غيري قال صدقت فخذها الان واحضر لنا الطعام الذي تريده لناكل معًا . ودفع اليهِ علبة بقدر الجوزة وفي راسها برغي متقوب فاخذها وقصد ان يفتحها فلم يقدر فقال له عمر امسكها بيدك وشد البرغي بفمك فاخذ العلبة بين يديهِ وجعل يشد عليها باسنانهِ وقد توجه البرغي المتقوب الى انفهِ وكان في تلك العلبة بنجًا فلعب في انفهِ وفي فمهِ وفي الحال وقع الى الارض كالقتيل غير واعٍ الى نفسهِ فتناول عمر الخنجر وقطع بهِ وثاقهُ وتيقن بالخلاص وفك رجليهِ في الحال وتقدم من فرار فربطهُ وهو غارق بالسبات واخذ منهُ ما كان اعطاه وخرج من الخيمة مسرورًا وكان الوقت اذ ذاك

ظلاماً فلم يقصد صيوان فرهود بل بقي كامناً الى ان عرف الصيوان المقيم فيهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانتظر بعيداً مستتراً بالظلام الى ان راها قد جاءا الصيوان ودخلاه فصبر ايضاً ساعة الى ان تاكد نومهما فجاء من ظهر الصيوان ومزقهُ بحفة بخنجرهِ ورمى قطعة من البنج مولعة الى الداخل وصبر قليلاً حتى تاكد فعلها بهما فوسع الخرق ودخل منهُ بخفة وتقدم من اللصين فربطها واخذ خنجرهُ وقطع اذانهما وانفيهما واخرج من عبهِ مرهماً وضعهُ على مكان الجرح ليقطع الدم فقطع في الحال فاعطاهما ضد البنج وتركهما وخرج وهو يقول في نفسهِ اني لو قتلتهما لما فعلت حسناً واذا استيقظا وراءيا حالتهما وعلما اني انا الفاعل انفطرت مرارتاهما وبقيت هذه الحسرة بقلبيهما الى اخر الزمان ودام في مسيره حتى وصل الى معسكر العرب وجاء الى المكان الذي فيهِ العيارون فنهضوا اليهِ واعترضوه وصاحوا بهِ فاظهر لهم نفسهُ ولما تاكدوا انهُ عمر سيدهم صفقوا من الفرح وقام الصياح بالافراح من كل ناحٍ وانتشر الخبر بين الجميع وما من رجل الا استيقظ وجاء يستخبر من عمر عن حالهِ ونهض عمر اليوناني ورؤساء القبائل وجاءوا جميعاً الى الصيوان الاكبر واجتمعوا بعمر وهنوءه بالسلامة وسالوه عن حالهِ فاخبرهم بما توقع لهُ حتى تخلص من الاسر فمدحوهُ على فعلهِ وقالوا لهُ اننا نخاف على الامير من العذاب والهول لانهُ تحت الحفظ وربما فعل بهِ فرهود شراً قال كونوا براحة فما زلت مطلق الحرية اقدر على كل عمل ولا يصعب عليَّ خلاص اخي واريد منكم فقط مداومة الحرب والثبات في الميدان وان تباكروا الى الهجوم على فرسان العبيد الى ان يعود اليكم فارسكم . فقالوا هذا نداوم عليهِ واننا ثابتون على الحرب ولو بقيت سنين عديدة . ثم انهم صرفوا باقي تلك الليلة دون نوم الى ان اشرق الصباح

وكان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد نهضا من نومهما في ذاك الصباح ونظر احدهما الاخر مشوهاً على تلك الحالة فجعل يضحك منهُ واخيراً عرف كل واحد انهُ اصيب بما اصيب بهِ رفيقهُ فتكدرا جداً من هذا العمل وضاق صدراهما وقال صقلان اني اوكد لك ان ما فعل هذا الفعل الا عمر العيار وقد تخلص من الاسر وجاء الينا ليترك بنا اثراً سيئاً . قال ياليتهُ قتلنا لكان افضل من بقائنا وكيف يمكننا ان نواجه احداً ونحن على هذه الحالة واما لا اخرج الان من الخيمة . وفيما هما على ذلك وصل اليهما رسول فرهود وقال ان سيدي نهض منذ الصباح وجلس في صيوانهِ واجتمع عنده كل رجالهِ ولما لم تحضرا شغل بالهُ جداً وتكدر عليكما فبعثني ادعوكما اليهِ وانظر في امركما . وفي الحال نهضا وتقدما معهُ الى صيوان فرهود وكل من راهما في الطريق ضحك وتعجب من حالتهما وهما صابران على ذلك حتى دخلا الصيوان وراهما الجميع على تلك الحالة بلا آذان ولا انوف فضحكوا من هذا العمل وهم لا يعرفون سببهُ وسالهما فرهود عما حل بهما فقالا اننا لا نعرف السبب وكل ما نعرفهُ اننا في الصباح نهضنا ونظرنا الى بعضنا واذا

نحن على هذه الحالة وان صدقني حذري يكون عمر العيار قد تخلص وجاء الينا . فارسل فرهود الى فرار واذا هو على تلك الحالة فاحضروه اليه ففك وثاقة وساله عن اسيره فاطرق الى الارض فقال لا تخف اخبرنا بما احتال عليك عمر العيار ولك الامان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها . وقال ما كان بظني انه يفعل هكذا وهو مقيد الرجلين واليد وانا الى جانبه . فقال صقلان انه شيطان رجيم يعمل كل ما يريد وقد حذرناك كثيرًا ونحن خائفين ان يفعل ما فعل واعظم . وفيما هم على مثل ذلك واذا بقبائل العرب قد تقدمت طالبة القتال حاملة من كل ناح وارتجت الارض من وقع حوافر خيولها فالتزم فرهود ان يحمل بابطاله وفرسانه وفي الحال انتشب القتال . وراج سوق المجال . و بطل القيل والقال . وزادت الاهوال وعظمت الاحوال . فما كنت ترى الا راسًا طائرًا . ودمًا فائرًا . وجوادًا عاثرًا . وغبارًا ثائرًا . وقد فعل عمر اليوناني في ذاك اليوم افعال عنترة بن شداد وطعن في الصدور والاوراد . والقى بالوف من الفرسان على بساط الوهاد . ومثله فعلت بقية الفرسان الشداد . حتى تركوا الارض مغطاة من اجسام المقتولين ودام القتال الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجع العرب مسرورين بفعل ذاك النهار وعمر العيار يمدح من اعمالهم و يشكرهم على افعالهم ولا زالت الحرب مدة ثلاثة ايام حتى ضاقت الارض من كثرة ما تكوم فيها من القتلى وحينئذٍ اتفق القومان على عقد هدنة الى عشرة ايام لترفع الاموات من ساحة القتال وتدفن في التراب . وكان ذلك بطلب عمر العيار حيث كان قد قصد ان يذهب في خلاص اخيه من قلعة الحديد و في نفس تلك الليلة ذهب الى صبوان مهردكار ليخبرها بانه يقصد الذهاب الى خلاص زوجها فسمعها تبكي وتنوح وتندب بعد زوجها واسره وتنشد وتقول

بلغ النوى مني مناهُ	والشوق جاوز منتهاهُ
يبكي ويبكيه الحبيـ	ـب وليس ينفعهُ بكاهُ
اهلاً بطيف زائرٍ	كشف الدجى عني سناه
حيا فاحيا في الكرى	فقضى عليَّ الانتباهُ
فعل الغريب بنفسهِ	ما ليس تفعلهُ عداهُ
اهلاً بطيف طارقٍ	زاد الردى عني سراه
يحظى بهِ القلب المشو	ق ومقلتي ليست تراه

و بعد ان فرغت من هذا البكاء تنهدت ثانية وقالت تخاطب نفسها كيف اصبر على بعده وهو في يد اعداه يقاسي العذاب والاسر لا اعرف هل يبقى عليهِ او يقتلهُ الاعداء وما من مجير ولا نصير غير البكاء والنواح لقد تغافل عمر العيار وتقاعد القوم عن مساعدتي فهل من منجدٍ لي

وهل من مسعف فاليك يارب اشكو ذلي وصعفي فارحم قلبي واجبر كسري وارحمني . ثم عادت فانشدت

ياراحتي وارتياحي	وبهجتي وسروري
ذكراك مونس قلبي	في غربتي وسميري
لي انة كل وقت	مقرونة بزفير
لاحرقتها بجمر	في صدري المصدور
يا مونسي ونديمي	في غيبتي وحضوري
لا تشرح الرسل والكتـ	ـب بعض ما في الضمير
لولا مست نار شوقي	اليك نار السعير
قد ضاق غل التنائي	على خناق الاسير

فلما سمع عمر منها هذا النوح والتعداد حن لها وشفق على حالتها وعرف انها صادقة المودة كثيرة الحب لاخيه فتقدم منها وطمنها على مقصدها ووعدها انه سيذهب الى خلاص اخيه ولا تمضي ايام قليلة حتى يكون في معسكره عند قومه وتراه ويرتاح بالها من اجله . فشكرته على ذلك ومدحته وقالت له اني رايتك لاه عني وعنه فكدرني ذلك واني غريبة منقطعة لا احد يسليني فاشكو اليه مصابي . قال اني ما التهيت قط ولكني اشغلت فرهود بالحرب حتى خسر كثيرًا من قومه وتعب كثيرًا ولذلك ما عاد يمكنه الا الراحة ويشتغل عن اخي بجمع العساكر ودفن الموتى واريد منك الان ان تدفعي اليّ كل ما عندك من الحلي والجواهر ولا تظني انها ترجع اليك قالت اليك الجميع فاني لا اسال عن شيء ولا ارغب في شيء وجل ما ارغبه خلاص اخيك فقط فاسعى بذلك قريبًا ولو فقدت جواهري . ثم نهضت واحضرت له كل ما طلب فكان شيئًا كثيرًا فاخذه منها وذهب الى حاله بعد ان وعدها بكل خير واوصاها ان تبدل حزنها بفرح وتصبر مدة خمسة ايام او ستة فيكون عندها . وجاء بعد ذلك الى فرسان العرب وقال اريد منكم ان تجمعوا كل السلاح القديم الموجود عند العرب من سيوف ورماح ومجنات وغير ذلك فاخذ العرب في جمع ما طلب وسار هو من هناك ومعه بعض عياريه مسافة يومين حتى جاء البحر وراى هناك موكبًا راسية فنزل اليها مع جماعته بقصد الفرجة ولما صار فيها امر عياريه بان لا يبقوا على واحد من الملاحين ففعلوا وقتل الجميع وجاء بالمركب الى شاطي اخر منفرد بعيد عن السكان وامر العيارين ان يذهبوا الى المعسكر ويحضروا السلاح الذي طلبه ليشحن به المركب فنقل العيارون السلاح على ظهور البغال والجمال وانزلوه المركب ولما امتلأ امر العيارين ان ينزلوا اليها ولبس هو ملابس ملك كبير عظيم السطوة والمقدرة وافرغ عليه تلك

الحلى والجواهر من راسهِ الى قدمهِ واخذ المرآة في يدهِ وتكحل بميل المكحلة وقال بحق ما كتب عليك من الاسماء ان تغيري حالي الى حال قايض بن مخلص ملك ملوك السودان وسلطان العبيد الاكبر حتى من رآني لا يظن الا اني هو نفسهُ ونظر في المرآة فاذا هو كما قصد وحينئذٍ امر جماعتهُ ان تحل المراسي وتنشر الشراع ونسير الى ظهر البحر ففعلوا وما مضى الا ساعات قليلة حتى غابت السفينة عن الشاطئ وبعدت كثيرًا واذ ذاك امر عمر بان يديروا مقدمة السفينة الى جهة قلعة الحديد ففعلوا وصارت السفينة سائرة والريح موافقة لها تخترق البحار وقد نشرت علمًا كبيرًا يدل ان فيها رجلاً عظيمًا ذا قدر ومقام وفي اليوم الثاني وصل المركب من القلعة وقاربها فخرج الامير هداد محافظ القلعة واعترض على المركب السائر ان لا تقرب من القلعة اذ ما من اذن لاحد بالدنو منها فصاح بهِ بعض الملاحين وقال لهُ ويلك ما هذه الجسارة القوية هلمَّ الى تقبيل يدي الملك الاكبر قايض بن مخلص سيد السودان وفخرهم وهو يدعوك الى تقبيل ايديهِ ويريد ان يسال منك بعض سوالات يجب ان تجيبهُ عليها . فلما سمع هذا الكلام اضطرب وخاف وبادر في الحال الى المركب وهو يتعجب كيف ان الملك العظيم جاء الى تلك القلعة وما ذلك الا لسبب عظيم ولما وصل بين يديهِ سجد وقبل الارض بين يديهِ وقبل قدميهِ ووقف مطرقًا الى الارض ينتظر امره وهو ماخوذ مما شاهد عليهِ من الحلى والجواهر كانهُ الشمس المضيئة في رابعة النهار . ثم قال لهُ ماذا تريد من عبدك ياسيدي . قال اريد ان اسالك عن الحرب مع العرب هل تعرف شيئًا عنها . قال لا اعرف الا ان الحرب واقعة بين قومنا والعرب وقد اسروا سيد العرب وبعثوه الى القلعة وهو اسير عندي . قال قبح الله فرهود فلا بد من فصلهِ ومجازاتهِ على عدم اعتباري كيف يحارب العرب دون ان يبعث اليَّ ويسالني وقد اهلك كثيرًا من السودان ولما بلغني الخبر حضرت بنفسي لطرده وحبسهِ في هذه القلعة الى ان يموت واما انت فاني اعرف صدق خدمتك وطاعتك لي وانهُ يليق بك ان تكون ملكًا وسيدًا فقد اقمتك حاكمًا بدلاً من فرهود منذ هذه الساعة ولكن اكتم هذا الامر وابقهِ في قلبك الى ان يتم وارى ماذا يكون من امر العرب . فلما سمع الامير هداد سيد القلعة كلام القايض بن مخلص فرح فرحًا لا يوصف وامل بالخير الكثير وانهُ بعد قليل يصير حاكمًا على السودان عوضًا عن فرهود فزاد في اكرام مولاه وتعظيمهِ وتبجيلهِ ودعاه الى القلعة ليتناول الطعام عنده . قال سافعل ذلك واتنازل اليهِ اكرامًا لخاطرك ولكن اخبرني كم عدد الحرس المحافظين على القلعة . فقال اعلم ياسيدي ان فرهود اعهد اليَّ برئاسة خمسة عشر نفرًا من الحراس وهولاء جميعهم عندي في هذه القلعة . فاظهر عمر كدرًا وغيظًا وقال قبح الله هذا الخائن فانهُ يريد ان يخرب بلادنا ويجعل مطمع الفاتحين نافذًا فيها فانهم اذا علموا بان لا نفر بالقلعة الا خمسة عشر فقط طمعوا فيها وجاءوا اليها وملكوها وهو

فشغل بقتال العرب لا يرسل اليَّ بالاخبار ولا يقدر ان يدافع عن السواحل وسوف ترى ما يحل به واجازيه على عدم اعتباري واحترام شاني . فهلمَّ بنا الى القلعة . ثم امر العيارين ان ينقلوا السلاح الى القلعة وامر حاكم القلعة ان يامر جماعته بنقل السلاح وقال ابقها في القلعة الى حين يصل اليها باقي العساكر والرجال الاتين على المراكب فيتسلحون وينزلون الى الشاطي . واجاب امره طوعًا وقلبهُ يكاد يطير من الفرح ويعد نفسهُ بكل جميل ونجاح

ومن ثم صعد الامير عمر وجماعته العيارون الى القلعة فلاقاهم الحرس وسجدوا للملك الاكبر وقبلوا يديهِ فتبسم في وجوههم فاندهشوا وظنوا بانفسهم انهم ملكوا الدنيا بما فيها . ولما جلسوا قال الامير هداد اذا شئت ياسيدي اتيتك بالامير حمزة العرب الذي اخبرتك عنهُ بانهُ اسير في القلعة . قال ما من حاجة لي بهِ الان وسوف انظر ما افعل بهِ واما انت فاصعد الى اعالي القلعة وانظر لي في واسع البحار هل اقبلت المراكب ام لا تزال بعيدة فاني على انتظارها . فصعد الجميع الى فوق وراوا مركبًا بعيدة جدًّا تكاد لا تظهر فعادوا اليهِ واخبروهُ بما راوا فقال لا ريب هذه طليعة المراكب وابدى الفرح والاستبشار وكان بمدة تغريبهم عنهُ الى اعالي القلعة ارسل كبير جماعتهِ ليضع البنج بالطعام الذي كانوا يصلحونهُ في الاوعية . وبعد قليل احضر الطعام على الموائد وصف امام عمر وجماعته فقال لهداد ان هذا الطعام هو لكم واما انا فلا ارى ان آكل الان الطعام الذي اعتدت عليهِ واحضرتهُ معي ثم امر ان يؤتى بالطعام فاسرع العيارون وجاءوهُ بهِ فوضعوه امامهُ واخذ في ان ياكل وامر حاكم القلعة ان يجلس على صفرة الطعام مع جماعتهِ فامتنع تادبًا منهُ وقال حاشاي ان اتطرف بمثل هذا امام سيدي الاكبر . فقال لهُ اني اريد ذلك فانك صرت منذ الان من عظماء رجال السودان وسيد عليهم ومثل ذلك هولاء الرجال فساقيم كلاًّ منهم على مقاطعة واخص بهم السيادة والتعظم على البلاد . فلم يمكنهم المخالفة وجلسوا جميعهم باحترام وابتدأوا ياكلون ويتعجبون من كرامة اخلاق ملك ملوك السودان صاحب القدر الرفيع الشان الا انهم ما لبثوا ان وقعوا الى الارض كالاموات فامر عمر العيار ان يذبحوا عن اخرهم ما عدا الامير هداد فذبحهم العيارون ودخل هو الى غرف القلعة وفتش بها واحدة فواحدة حتى راى الامير حمزة في محرق في اسفل القلعة مظلمة فدنا منهُ وفك قيوده وعرفهُ بنفسهِ ففرح فرحًا عظيمًا وشكر منهُ وصعدوا في الحال الى العيارين وتركوا القلعة واخذوا معهم الامير هداد ولما صاروا في الخارج اضرموا النار بها وركبوا المركب وساروا عليها يتقدمون الى الشط الذي خرجوا منهُ وعمر يخبر الامير حمزة بما كان من امره مع عمرو بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وكيف قد شوه وجهيهما وقد سعى الى خلاصهِ بعد ان قاتل العرب قتالاً عجيبًا وارعبوا السودان وفرهود فسرَّ الامير من ذلك وقال الله سبحانهُ وتعالى قد اجاب طلبنا ونظر غربتنا فلم يقبل

بذلناهُ والا لو فقدت است وانا وتمكن منا الاعداء لتفرق العرب وانقرضت هذه الدولة . فقال له عمر اني اشور عليك شورًا بهِ الخير للعرب وهو ان تضمهم جميعًا الى ملك واحد نقيمهُ عليهم منهم فيكون للعرب ما للعجم من العظمة وعلو المنزلة فيصيرون اكثر من الان انتظامًا وترتيبًا لانهم يميلون الى ذلك وعندك علم بيكار الاشتهار فيجتمعون تحتهُ فهم افضل من قوم كسرى واعظم واشد بسالة . قال هذا يكون عند ما يروق صافي عيشنا ويطلب الفرسان ذلك واما انا فلا اسالهم فيهِ ولا اريدهُ والا يظنون ان غايتي ان ابقيهم عندي على ذلك الى الابد فيتركون بلادهم واوطانهم مع انهم مختلفو الاجناس وربما كان اكثرهم يرغب في الرجوع الى اهلهِ وملكهِ وتجلهُ مني حعلة ان ينضم الينا ويبقى برفقتنا في وقت القتال

وما زالوا حتى وصلوا الى الشاطي فخرجوا الى البر وساروا من هناك على اليابسة حتى وصلوا الى معسكر العرب ولما عرف الفرسان بوصول اميرهم كادوا يطيروا فرحًا وسرورًا وتقدموا منهُ وسلموا عليهِ وهنأوهُ بالسلامة ودارت الافراح فيما بينهم وعمت الكبير والصغير والرفيع والوضيع ودخل الامير بعد ذلك على زوجتهِ مهردكار فوجدها منفردة تنتظرهُ ولما راتهُ دنت منهُ وقبلت يديهِ وهنأتهُ بالسلامة فشكرها وقال لها ان الله لم يسمح بذلي وايصال الاذى اليَّ . قالت هو يعرف ذلي وتغربي فلا يريد ان يصرَّ بي قط فاسالهُ تعالى ان يعصمنا من هذه الحال ويريحنا من شر الحروب والعذاب ويرجعنا الى مكة لنقيم على الراحة ايامنا الاخيرة . قال اني اعرف جيدًا ان اباك وقومهُ ولا سيما بختك لا ينفكون عن عداوتي الى ان ينقرضوا او اموت انا وتنقرض العرب ولو كنت اعرف انهُ يسر برد الشيء الذي اخذتهُ وغصبتهُ اياه ويترك عداوتنا لفعلت فكل ما نحن بهِ من اعمال بختك الوزير لانهُ هو الذي دس الينا سم هذه الفتنة وبعث بالعيارين عمر بن شداد وصقلان الرومي . قالت اني اظن ان ابي يرضى عنك اذا ارجعت اليهِ علم بيكار الاشتهار . قال اني ارضى ذلك ولكني اعرف ان فرساني يتكدرون منهُ لانهُ هو الذي يجمعهم ولو كنت اعرف اكيدًا انهُ يرضي بهِ لفعلت ولو اغظت قومي وتفرقوا عني حيث يعودون الى بلادهم واعود الى بلادي ويطيب لي ولهم الوقت ولو كنت اعرف ايضًا ان اباك يحسم النزاع بيني وبينهُ اذا ارجعتك اليهِ لفعلت وما ذلك الاَّ حفظًا لراحتك لانك تتعذبين بسببي كثيرًا ولم تري سنة واحدة وافتك براحة وامان . فشعرت مهردكار ان قلبها قد نزع من جسدها عند سماعها كلامهُ وكانت لا تنتظر ان تسمع منهُ مثل هذا الكلام القاسي غير ان حبها لهُ جعلها ان تبسم في وجههِ وقالت لهُ وان كان يرضي ابي ذهابي اليهِ لكني اعرف موكدًا انك تفضل ان ترى الدنيا قاعًا صفصفًا وان ترى الارض خاوية خالية وروح الله يرف على وجه المياه من ان تراني بعيدة عنك وانا اري ان كل ما اتحملهُ هو هين وسهل عليَّ وجل غايتي ان اراك تاركًا الحرب كارهًا في

سفك الادمية وقتل النفوس التي حرمها الله . وقطعت بعد ذلك الحديث معهُ . ولما انفردت بنفسها جعلت تبكي على حالها وعلى ما اصابها وخافت من ان يتم ما قالهُ من انهُ يرسلها الى ابيها وجعلت تتردد في صدق مودتهِ وقالت في نفسها امثل هذا الكلام يخرج من فم الامير حمزة وانا اعهد بهِ الامانة وحفظ العهد . نعم لا اظن انهُ تغيره من الرجال الذين اذا طال زمن زواجهم كرهوا نساءهم او بالحري اخذوا في ان يكرهوهن شيئًا فشيئًا ولا سيما اذا لم يلدن اولادًا وكان قلبها وضميرها يتنازعان في هل ان حمزة يفعل ما يقول او انهُ حكى ذلك ليمتحن محبتها وليعرف هل باقية على حالها او انها ضجرت لكثرت ما لاقت من الاهوال والعذاب والاسفار الطويلة واخيرًا سلمت بامرها الى الله سبحانهُ وتعالى واضحت تترقب الاحوال وتلاحظ اعمال الامير لتعرف ما هو عليهِ من قلبها ومع كل ذلك فانها كانت لا تفتر عن البكاء قطعًا في كل فرصة والامير يلحظ منها ذلك ولا يريد ان يمنعها عنهُ وقد ظن ان هذا من جرى الغربة والوحدة وطول العذاب وصار في بعض الاحيان يعرض عنها وفي البعض الاخر يسليها وبقيت على ذلك مدة كما سياتي معنا في غير هذا المكان

ولنرجع الى ما كنا عليهِ وقد بات الامير حمزة في تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني نهض من نومهِ فسمع طبول السودان تضرب والعساكر تتهيأ فامر ان تضرب طبول العرب وتركب فرسانها وابطالها . وباقل من ساعة انتشبت نيران الوغى بين الفريقين . ولعبت بنحورهم اسنة البين . واحاط بهم جيش الهلاك ولم يرغب بالتخلي عنهم والانفكاك . وباتت الارواح عرضة للفناء . والاجساد محطًا للتعب والعناء . فكان ذاك اليوم عظيم الاهوال . فيهِ طال حمزة واستطال . وطرح باجساد الرجال . الى حفر الوبال . وشك بصدور الابطال . عوامل الرماح الطوال . ومددهم على بساط الرمال . وفعل مثلهُ باقي رجالهِ . وابطالهِ واقيالهِ . وكذلك فرهود فانهُ قاتل وما قصر في ذاك النهار . وانزل على العرب شهب الخراب والدمار . واذاقهم مرّ العذاب والبوار . لانهُ كان كما تقدم معنا من الفرسان الذين اشتهروا في ذاك الزمان . وعند المساء ضربت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والقتال . وبراوا في الخيام وكلهم من التعب على جانب عظيم وقد ملئت الارض من القتلى والجرحى فلم يكن يسمع الا اصوات انين وبكاء وتشكيًا ولا سيما عساكر السودان . واظهر فرهود من ذلك غيظهُ وكدرهُ وقال لمن حولهُ من رجالهِ اني اتعجب من ثبات العرب واقدامهم فقد اهلكوا منا كثيرًا ولا يزالون على حالهم وهذا يودي بنا الى الخراب والدمار فقال لهُ عمر بن شداد الحبشي لقد اعرضت لك قبل الان ان العرب قوم صناديد وحلّ غايتهم القتال فيساعد بعضهم بعضًا ويتسع عليهم المجال ومن اللازم ان تبارزهم واحدًا فواحدًا ومتى قتلت روؤسهم هانت عليك الادناب . قال اني في الغد لا بد

ان افعل ذلك وكان في نيتي ان اطلب البراز في هذا اليوم غير ان الكبر منعني وعزة نفسي اوقفتني عن ذلك فانتظرت ان يكون منهم اولاً فلم يفعلوا واما الان فقد نويت كل النية ان اتأكد الى طلب ابطالهم وفرسانهم ولي ثقة كبرى ان افنيهم عن اخرهم ولا ابقي منهم من يخبر بخبر . وبات فرهود على هذه النية

وفي صباح اليوم التالي نهض من فراشهِ فركب فرسهُ وتقلد بسلاحهِ وسبق الجميع الى ساحة القتال وكانت العرب قد ركبت وتقدمت وفي نيتها الهجوم الاً انها توقفت عندما رأت الامير فرهود يصول ويجول ويطلب مبارزة العرب وفي الحال صدمهُ الامير حمزة صدمة جبار صنديد واخذ معهُ في الحرب والقتال . والطعن بالسمر الطوال . وقد اتسع عليهما المجال . فانتقلا من مكان الى مكان فتارة في اليمين وطوراً في الشمال . حتى تعجبت منهما الابطال . وتحيرت من قتالهما الرجال . وهما لا ينفكان عن بعضهم البعض . وقد حوفا بارجل حواديهما جنبات تلك الارض . وما زالا على مثل ذلك الى ان خيم الظلام فافترقا على سلام . ورجع العسكران الى الخيام . وباتوا الى الصباح . فتقدموا يطلبون الحرب والكفاح . واذ ذاك توسط فرهود الميدان ولعب على الاربعة اركان واراد حمزة ان ينزل اليهِ واذا بهِ راى الامير سعد اليوناني قد صار امامهُ ولما راهُ فرهود تعجب من صغر سنهِ وقال لهُ اني احزن عليك ايها الغلام فارجع الى امك ولا تخاطر بنفسك فما انت من رجال سيد السودان فقال لهُ سوف ترى مني ما تتحدث بهِ الفرسان جيلاً بعد جيل كيف لا وجدي الامير حمزة البهلوان وابي الامير عمر اليوناني عروس الميدان . ثم صاح بهِ وارتمى عليهِ فالتقاه فرهود بقلب اشد من الجلمود وهو يتعجب من عملهِ وصغر سنهِ مع انهُ ولد امرد بديع الصورة جميل الخلقة فغاصا تحت القسطل . والتحما كانهما من امتن القلل . هذا والامير حمزة في حيرة عظيمة من وقوع ابن ابنهِ بين يدي الامير فرهود وقد خاف كل الخوف وكاد يطير صوابهُ فتقدم قليلاً ينتظر ما يكون من امره يلاحظ حركات القتال وقد عزم على ان يخلصهُ اذا راه وقع بين يدي خصمهِ او لاحظ منهُ التعب والانحلال ولو كان بذلك عليهِ عار وشنار الا انهُ كان يرى منهُ ما يدهشهُ لانهُ كان ينقض على فرهود انقضاض الصواعق ويدور من حواليهِ كقضاء الله المنزل ولا يترك باباً من ابواب الحرب مفتوحاً وما زالا على مثل ذلك الى ان انقرض النهار ومضى بانواره وتقدم الليل ونشر ظلامهُ على العباد وحينئذٍ افترق

انتهى الجزء العاشر من قصة حمزة العرب ويليهِ

الجزء الحادي عشر عما قريب ان شاء الله

الجزء الحادي عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

المتقاتلان على سلام ورجع الامير سعد فاخذهُ جدهُ وقبلهُ بين عينيهِ وجاء بهِ الى صيوانهِ وهناك قال لهُ اني اشكرك على ثباتك واقدامك ولكنني الومك على نزولك الى فرهود وهو مجرب من الدهر وبطل عظيم وانت لا تزال صغير السن وقد خفت عليك كثيرًا وصرفت النهار على مقالي النار قال اني بعنايتك ودعاك لم يلحق بي ضرر وقد امرتني امي ان ابرز اليهِ ولولا انها تعلم اني كفوًا لهُ لما سلمت معي بذلك فارسل الامير في الحال الى طوربان فحضرت بين يديهِ . فقال لها كيف تلقين بولدك الى الخطر وتسلمين بمقاتلة فرهود وليس لك سواهُ فما ذلك الاَّ جنون وبعض مُلك لهُ . فقالت كلاَّ ياسيدي فاني حرَّحت ولدي وربيتهُ بيدي وبارزتهُ كثيرًا واعرف مقدار شجاعتهِ واقدامهِ قال كيف كان الحال فهو دون فرهود الان لانهُ صغير السن وهذه المرة الاولى التي دخل بها ساحة القتال وكان من الواجب ان يتطرق على الحرب شيئًا فشيئًا وليس من الاصابة ان يقاتل اول مرة مثل فرهود . قالت اني ارغب في ان يكون بطلاً عظيمًا اي لا يكون دونك في ساحة القتال ومن يقاتل في اول مرة مثل فرهود وهو بهذا السن لا يصعب عليهِ فيما بعد ان يربح الحال وجل غايتي ان يكون لهُ اعظم اسم بين العرب فاما ان ينال ذلك واما يموت و بعد ثر فخير لهُ من ان يكون جبانًا او يخاف مبارزة فارسٍ او بطلٍ ان كان كفرهود او كغيره . فقال سعد لا تخف عليَّ يا جداه فالعمر محدود واني اعرف صغر سني واني لست اعد الان من الابطال ولو كان عطيي اشد ما هو لما تركت خصمي يبتل الصبان ومع كل هذا فلا بد لي من قتلهِ وارجوك ان تسمح لي في الغد بقتالهِ ثانية لاريك ماذا افعل فيهِ . فقال هذا لا اريدهُ ولا اسمح بهِ فانا اعرف ان فرهودًا قليل المثال ولا اريد ان يبرز اليهِ سواي . واما انت فاني اقيمك اميرًا على قبيلة الكراد فتكون رئيس قوم منذ الان

فهذا ما كان من الامير وحفيده واما ما كان من فرهود فانهُ رجع الى صيوانهِ وهو كثير الغضب والغيظ ولما اجتمع بهِ قومهُ وجاء اليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي سالوهُ عن حالهِ في النهار . فقال اني اعرف واعترف بان العرب قوم جبابرة فكل من فيهم يقاتل كالاسد وقد رايتم ان الذي قاتلني في هذا اليوم لا يبلغ الحادية عشرة من العمر ومع ذلك فليس هو دون الامير حمزة في الجولان والاخذ والعطاء واني اقول الصدق ان حالنا مع العرب في تاخير ولا بد

لهم من ان يذلونا وقد مال قلبي اليهم ومن عادة الشجاع ان يحب الشجاع . فلم يمكن عمر بن ... ورفيقة ان يجيبا بشيء ولما اجتمعا ببعضهما قال الواحد للاخر على ما يظهر لي ان العرب ستنتصر على فرهود ولا بد لهم بعد ذلك من القبض علينا ولذلك ارى من الواجب ان نستعد للسفر والرحيل حتى اذا راينا الغلبة على السودان غطسنا تحت الظلام وتعمقنا في جهات الارض فلا تصل الينا العرب وانا اعرف ان حمزة يطلبنا ولا يتخلى عنا واذا وقعنا بيديهِ اهلكنا لا محالة فاجابهُ رفيقهُ الى كلامهِ واعتمدا على السفر والهرب . هذا وقد سرت طوربان بما نالهُ ابنها من علو الشان مع صغر سنهِ وقالت قد صرت الان اميرًا على ثلاثين الف فارس واذا اشتد ساعدك لا بد ان يزيد جيشك ويعظم امرك وتصير واحدًا بين العرب . قال لها سوف ترين ما يكون من امري واني لا انفك عن طلب المجد وبعد الصيت حتى اناله .

ولما كان الصباح خرج العسكران الى ساحة القتال واصطفا من اليمين والشمال وترتبا احسن ترتيب واذ ذاك سقط الامير فرهود الى ساحة الميدان وطلب المبارزة وان تتقدم اليه الفرسان فصدمهُ الامير حمزة وقال لهُ هذا اليوم اخر ايامك وقد عولت ان لا اتركك اما لي واما لك . ثم هجما على بعضهما هجوم اسود البطاح . وتطاعنا باسنة الرماح . واظهرا من براعة الحرب ما يعجز عنهُ كل فارس حجحاج . وقرم نطاح . وقد حجبهما الغبار . عن اعين النظار . وهما مشتبكان اي اشتباك . غير خائفين من الدمار والهلاك . وبقيا على هذا الشان . نحو ساعتين من الزمان . حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح . فالقياها الى بساط البطاح . وعمدا الى البيض الصفاح . لانهم اقرب الى اختطاف الارواح فوقعت على الطوارق . كوقوع الصواعق وتطاير منها الشرار . كما يتطاير من اتون النار . الى ان قرب العصر . وهما على مثل ذلك الامر . وقد استقتلا وهان عليهما شرب كاس الحمام . ولا يرجعان من ساحة الحرب بسلام . ولا سيما الامير حمزة فانهُ راى ان المطاولة تضر بهِ ولا ينال المراد الا بالجد والاجتهاد . فرمى سيفهُ باسرع من لمح البصر . وقبض على خصمهِ بيديهِ وعول ان يقتلعهُ من بحر السرج ويرمي بهِ الى الارض ففعل فرهود كفعلهِ وتقابضا على ظهور الخيول ووقعا الى الارض وهما كاسدين درغامين وبطلين عظيمين حتى قرب الزوال فطال الامير حمزة على خصمهِ واستطال . وقد اتعبهُ والحق بهِ الكلال والملال . فاخذهُ اسيرًا وسلمهُ الى اخيهِ عمر فشد وثاقهُ ورجع من ساحة القتال . بعد ان صرت طول الانفصال . وهو متعجب من شدة باس فرهود وعظم ثباتهِ . ولما راى عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ما حل بفرهود ايقنا بالهلاك وعولا على اتخاذ الوسائل للهرب والفرار فطلبا الى عساكر السودان ان ترجع الى المدينة وتبقى فيها ريثما يريان طريقة لخلاص فرهود فرجعوا جميعًا تحت ظلام الاعتكار ودخلوا البلد وهم يحزن عظيم على ما حل بسيدهم فرهود . ورجع حمزة

الى معسكرهم ودخل الصيوان وطلب الطعام فاكل حتى اكتفى واجتمع حواليه فرسانه وابطاله وجلسوا في مراكزهم حسب العادة . وحينئذٍ امر بان يقدموا منهُ فرهود فجاءوا بهِ اليهِ وهو مقيد بسلاسل من الحديد . ولما راه الامير قال لهُ ويلك يافرهود لقد تعديت واطلت العناد على حين لم يكن بيني وبينك عداوة ولا سبب موجب لاهراق دماء العباد وقد غششت بخداع عمر بن شداد وصقلان حتى القيت بنفسك الى حفر الذل والاهانة فكيف ترى نفسك الان وقد وقعت في يدي وصرت قادرًا على هلاكك وان افعل بك ما اريد فاطرق فرهود براسهِ الى الارض حياء وسقط الدمع من عينيهِ لانهُ راى ان الموت اهون عليهِ كثيرًا من سماع هذا الكلام فعرف منهُ حمزة ذلك فقال لهُ وان كنت اعرف اني لو بقيت بيدك لما عفوت عني بل قتلتني او ارسلتني الى بلاد العجم الى عدوي كسرى انوشروان فاني ارغب في خلاصك والعفو عنك لانك من الفرسان الاشداء ونفسي تأنف ان تهين بطلاً استحق العظمة والفخار فاذا امنت بالله تعالى وتركت الحقد من قلبك حللتك من قيدك واطلقتك . فلما سمع فرهود هذا الكلام من الامير حمزة زادهُ خجلاً فوق خجل وعلم انهُ صادر عن نفس كريمة ولذلك قال لهُ اني لا الام ايها الامير على قتالك فقد دفعت اليهِ بكتابة من كسرى انوشروان جاء بها الخبيثان الخنا الان ولم اكن اعرف ما انت عليهِ من كرامة الاخلاق وحسن الطوية وسلامة الباطن واني الان لا اعرف بما اجيبك وقد حملني الخجل ما لا يطاق فاما انك تقتلني فيحقك واكون قد لاقيت شر عملي وجوزيت على طيشي وتعديَّ عليك واما انك تقبلني في خدمتك كواحد من رجالك الامناء ومساعديك الذين في خدمتك واقاتل بين يديك الى ان اموت وادفن تحت التراب . وما تطلبهُ اليَّ من ان اعبد الله فهذا لا امتنع عنهُ قط بل افعل كل ما تامرني واكد ان لا دين ولا دنيا تفصلني عنك منذ الان فقد وقعت محبتك من قلبي وما عدت اقدر ان افارقك ولا دقيقة . وساسلمك عمر بن شداد وصقلان الرومي حال وصولي الى المدينة لانهما بدون شك يستحقان القتل والصلب والرمي بالحجارة . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انهُ صادر عن نية سليمة وقلب صادق تقدم منهُ واعتذر اليهِ وحل وثاقهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ انت مخير بالبقاء معنا او الذهاب الى بلدك ومعسكرك ولا اجل بان اقدم لك احسن مقام عندي . قال اني لا ادخل المدينة الا وانت معي لانها اصبحت ملكك وصرت انا تحت طاعتك

ثم ان فرهودًا جلس على كرسي بقرب الامير حمزة وقدم اليهِ الشراب ونهض فرسان العرب واحدًا فواحدًا وصافحوهُ وسلموا عليهِ وترحبوا بهِ وقد ارتاحت اليهِ ضمائرهم ورغبوا في مصاحبتهِ ولاح لهم من معنى كلامهِ انهُ صادق في كل ما قال . ثم ان حمزة سال فرهود عن اليقظان وهل احسن معاملتهُ وكيف لم يركنهُ ويحاربهُ عليهِ . فقال اعلم ايها الامير العظيم ان قلبي مال كثيرًا

لي هذا الجواد ونويت ان اهدي به لاذى وملكي في سبيل وجوده على الدوام عندي وحالما وصل الي
واردت ان اركبه فامتنع علي وكان يظهر العجائب فاخذتني الدهشة من اعماله وزادت رغبتي فيه
وقلت انه يحفظ مودة صاحبه ومن رباه فلا يدع غيره يعلو ظهره وقلت لا بد على طول الايام
ان ينساك فوضعته في مكان منفرد ووكلت بخدمته جماعة من العبيد يقدمون له العلف جيداً
ويحسنون سياسته ويعاملونه بلطف . ومع كل ذلك فاني حاولت مراراً ان اقرب منه فيصرف
بقوائمه كل من يقرب منه وقتل جماعة من خدمي . وعليه فاني اعدك ان هذا الجواد يحفظ كرامة
صاحبه فلا يعلوه غيرك . فبشراك به وبشراه بك وقد حق له ان يفعل اكثر من ذلك .
فاغرورقت عينا الامير شوقاً الى جواده وتمنى ان يراه وخاف من ان عمر بن شداد وصقلان
الرومي يفعلان بالجواد شيئاً فقال لفرهود اطلب اليك الان ان ترجع الى المدينة وتقبض على
الشقيين اللذين فيها قبل ان يقع منهما ما يكدرنا وفي الغد انزل انا المدينة مع اصحابي وفرساني
ونرى ما يكون هناك . قال اريد ان تذهب معي يا سيدي . قال هذا لا يمكن ومن الواجب
ان تذهب بنفسك اولاً وتعلم قومك بما كان بيننا وبينك وتعرض عليهم عبادة الله عز وجل
فمن قبل كان صديقنا ومن امتنع كان عدونا واعظم من كل شيء ان تسرع بما امكن للقبض
على عمر بن شداد وصقلان لاشفي غليل قلبي منهما . فاجاب فرهود في الحال وودع الامير حمزة
وجماعته بعد ان عزمهم الى ضيافته وان يدخلوا في الصباح الى المدينة وسار الى ان جاء الابواب
فوجدها مقفلة فطرقها واخبر قومه بوصوله ففرحوا الفرح العظيم وفتحوا له فدخل واجتمعوا
حواليه وهنأوه بالسلامة وسالوه عن سبب خلاصه فاخبر بحلم الامير حمزة وعرض عليهم ان
يكونوا على محبته ومحبة الله فاجابوه وقالوا كلنا بين يديك نسمع امرك وكل ما وقع عليك يقع علينا
قال اني صرت من هذه الساعة من فرسان العرب وساسير ابن ساروا واقاتل من يقاتلهم وساختار
منكم من يمكنه المسير معنا وقد عاهدته على ذلك الى اخر نسمة من حياتي . ولكني لا ارى بينكما عمر
ابن شداد وصقلان الرومي . قالوا اننا من حين دخولنا البلد ما رايناهما وفتشنا عليهما فلم نقف لهما
على خبر فثبت لدينا انهما خافا من ان يقبض عليهما الامير حمزة فطلبا الفرار فلم نلتفت الى ذلك
وعذرناهما لعلمنا انه يطلبهما دون غيرهما . فاغتاظ من ذلك وامر ان يعاد التفتيش والبحث في كل
مكان ومن يراهما يقبض عليهما . فدار البحث والتفتيش في كل ناحية دون الحصول على جدوى
فثبت عنده هربهم وكان يريد ان يرضي الامير بتسليمهما اليه ويقدم له برهاناً على خلوصه . ثم
افتقد الجواد اليقظان فوجده في مكانه فسر من عدم تمكنهما من اخذه وفي صباح اليوم التالي
خرج فرهود واعيان قومه الى العرب فوجدوهم يستعدون للنزول الى المدينة فالتقوا بعضهم
ببعض ورجعوا امامهم وبالاختصار ان ذاك اليوم كان عظيماً جداً فرحت به اهل المدينة فرحاً

لا يوصف وقد انخبر فرهود الامير بخيانة اللصين فاغتاظ وقال اني لا ازال اترقبهما ولا بد من ان الزمان يساعدني فانتقم لنفسي منهما ولكني اريد اولاً ان ارى الجواد . وحين دخلوا المدينة سار الى الاصطبل وامر ان يفتح له ففتح الباب ورمى الامير بنفسه عليه وعانقه وهو يبكي من الفرح واما الجواد فانه جعل يصهل ويمرغ راسه عليه وكانا كعاشقين متحابين التقيا بعد فراق طويل حتى تعجب منهما كل من راهما . ثم فك الامير قيوده واخرجه الى الخارج وسلمه الى سايسه الذي كان قد اعتاد عليه وقد هنأ الجميع اميرهم بجواده ورجعوا الى دار الضيافة وهم على الولائم والافراح وقد سروا بنهاية الحرب وقرب رجوعهم الى الاوطان

وبعد ان انقضت مدة الولائم والدعوات قال الامير لفرهود انه لم يبق في وسعنا ان نبقى في هذه البلاد اكثر من خمسة ايام ومن ثم نرحل الى حلب قال اني بانتظار امرك وساسر نفسي في هذه المدة . واخذ منذ تلك الساعة في ان يجمع العساكر التي يريد ان ياخذها معه واقام مكانه وكيلاً على بلاد السودان من ابناء عمه واوصاه بالعدل والحلم وان يكتب له على الدوام عما يحصل في بلاده وفي نهاية الخمسة ايام ودع قومه وداعاً اخيرًا وقد بكوا على فراقه وبعده واخذ عياله وجميع ما يحتاج اليه من المؤن فحمل الاحمال وكذلك العرب فانهم حملوا باحمالهم وودعوا اعيان المدينة وقد سار مع فرهود من قومه نحو ثمانين الف مقاتل وانضموا جميعًا الى علم بكار الاشتهار ورفع فوق روسهم وتنقلوا عن تلك الارض ومشوا في طريق مصر كل سيد على قبيلته يتاثرون ذاك العلم الكبير الذي كان يجمعهم وداوموا المسير الى ان وصلوا الى اراضي مصر فضربوا الخيام هناك ونزلوا للراحة وبلغ اسمدار حاكم مصر رجوع العرب منصورين ونزولهم في ضواحي المدينة فخرج في الحال مع اعيان قومه وسلموا عليهم وترحبوا بهم كل الترحيب وعملوا لهم الولائم والافراح وذبحوا الذبائح وكانت ايام اقامتهم هناك على الحظ والانشراح والفرح والمسرة ياكلون ويلهون وما من امر يكدرهم وقد مضى عليهم نحو عشرة ايام على مثل ما تقدم وفي اليوم الحادي عشر اجتمع جميع فرسان العرب في صيوان اليون شاه واخذ كل مركزهُ بعد ان استقر بهم الجلوس ودار الحديث في مسائل الملوك والسلطان واحوال الشعوب ومن منهم الفائز ومن المذلول وحينئذٍ نهض المعتدي حامي السواحل وقال للامير حمزة اعلم ايها الامير اننا اتفقنا على امر ونريد ان نعرضهُ عليك ولا اظن الاَّ انك تستحسنهُ وتوافقنا عليهِ وتسعى بهِ معنا في الحال اذ كان لا بد لنا منهُ . قال قل فاني ارغب على الدوام في كل ما بهِ الخير والنجاح لكم ولي ولقومي اجمعين قال انت تعلم اننا لا بد ان نرجع الى حلب ونقيم هناك نترقب احوال كسرى انوشروان ونعرف ايضاً ان الحرب لا بد ان تعود الى الانتشاب بيننا وبينهُ ما دام بختك بن قرقيش حيًّا لانهُ يستغنم الفرصة المناسبة لحملهِ على الانتقام منا وان كان كسرى لا يرغب في ان يذكر لهُ احد

[illegible] غير ان هذه الحالة لا تدوم بمدة ولا بد من انه ينهض ذات يوم بهمة إشد من الماضي [illegible] سلطان عظيم ومملكة واسع جداً حتى انه ولو ما قصدنا الحرب فلا بد ان نتصدى نحن لتهيج [و]قعة الحال ولا يمكنا ان نتفرق الاَّ بعد انقراض الدولة الكسروية او وقوع المصالحة وارتياح [ا]لفكر من جهة الحرب وانقطاعها بيننا . ومن حيث ان الحرب لابد منها ونحن حتى الساعة متفرقين الكلمة ولم ينتظم لنا حال كالواجب تارة يتفرق بعضنا وطوراً يغيب اميرنا وعليه فقد إعتمدنا ان يكون لنا من السلطة والعظمة ما لغيرنا ونكون كلنا تحت سلطة واحدة وراي واحد وعلم واحد نجتمع تحته ونسير اين سار . قال اني لا اسمعكم من ذلك فانظروا فيما يوافق . قال المعتدي ان ما يوافق لبقاء ذلك هو ان نختار لنا واحداً نقيمه ملكاً علينا ويكون له السلطان المطلق فينا برضانا واختيارنا ويكون على الدوام تحت العلم الاكبر ويختار له مدّبرين ومشيرين ووزراء وكما للعجم ملكٍ عظيم واسع السلطة عند العجم يكون للعرب كذلك . قال ان هذا يوافق حالتنا فاختاروا لكم ملكاً وافعلوا ما اردتم بذلك فانا كواحد منكم ارغب في اتماء سلطتنا وعلو شان العرب وان لا يكون كسرى ارفع مقاماً بل ربما نقلنا العظمة والسلطان الذي له الينا قال المعتدي اننا اتفقنا واخترنا ان يكون صاحب هذا العلم انت ونحن باجمعنا من اتباعك وفرسانك . قال هذا لا يمكن ان يكون ولا اقبله قط واذا كنت انا الملك انقرضت دولة العرب في الحال ووقعنا في مضايق كثيرة لان من الواجب على الملك ان لا يباشر بنفسهِ حرباً ولا قتالاً بل يبقى على الدوام تحت الاعلام ليعطي الاوامر ويدبر الملك الى غير ذلك واما انا فاني رجل حرب ولا يمكن اذا وقع قتال بيننا وبين احد الاَّ اكون بالاول وعليهِ فمن يقوم تحت العلم ومن حولهِ الفرسان والابطال فضلاً عن اني لا ارغب ذلك ولا ارضاهُ . فراى الجميع كلامه حقاً ونظروا الى بعضهم وتكلموا بهذا الشان الى ان قرّرايهم وحينئذٍ قال المعتدي اعلم ياسيدي ان كلامك هذا هو الصواب وقد اتفقنا ان يكون الحاكم علينا ابنك عمر اليوناني . فرفض عمر هذا الامر وقال اني كابي ارغب في كبح اعدائي وان لا ارى الحرب قائمة واتفرج عليها فاختاروا لكم ملكاً غيري . فعادوا الى التفكر واخيراً اتفقوا وقالوا للامير اعلم ايها السيد اننا اتفقنا اتفاقاً باتاً وما من عذر فيهِ لك وهو من اوفق ما يمكن ان نعتمد عليهِ وذلك ان ابنك قباط هو ابن مهردكار ومهردكار هي بنت كسرى انوشروان فقد اخترناه علينا ملكاً لانهُ من نسل ملكي اصلي وابوه ابن امير مكة المطهرة وفارس العرب واشرفهم وعليهِ فيكون اختيارنا في محلهِ وما ذلك الا من توفيق الباري . فلما سمع الامير كلامهم عرف انهم اصابوا الا انهُ خاف من ان يقع تحت لوم مهردكار اذا اصيب ابنها بمصيبة فهي لا ترغب ان تفارقهُ ولا تريد ان يكون الا امام اعينها بعيداً عن الحكم والقتال ولهذا السبب منعتهُ من ركوب الخيل ومباشرة علم القتال مكتفية بان

علمتهُ العلوم الادبية والسياسية . ولذلك قال لهم ان ابني قباط وان كان يوافق لان يكون ملكاً فهو صغير السن لا يحسن القيام بمثل هذه الادارة وتدبير شعب عظيم كالعرب . قالوا اننا نعرف صغره لكننا نؤكد ايضاً انهُ اكثر ادراكاً واوسع عقلاً واعظم سياسة من اكثر ملوك العالم وافضلهم لا سيما وانهُ تحت وصايتك فما يفوتهُ تبعثهُ اليهِ وتحملهُ عليهِ فلم يرَ بداً من ان يظهر لهم غايتهُ فقال لهم اني اعرف موكداً انكم مصيبون كل الاصابة غير اني لا ارغب في ان اقع تحت لوم مهردكار وتعنيفها فاذا وقع على قباط امر مكروه تصرف كل حياتها بالبكاء وتقول لي لولاك لما وقع على ابني ما هو كذا وكذا فاذا كان ولا بد من ذلك فاذهبوا انتم اليها واعرضوا عليها طلبكم فان اجابت كان خيراً والا انا فلا اخابرها بمثل هكذا امر . فقالوا لا بد من الذهاب اليها ثم اجتمع سادات العرب مجيعاً وساروا الى صيوان مهردكار فدخلوه وسلموا عليها وجلسوا بين يديها فترحبت بهم واكرمتهم واحتارت في سبب مجيئهم جميعاً دون ان يكون معهم الامير حمزة وسالتهم عن ذلك . فقالوا لها انا جئنا اليك بامر يتعلق بك وحدك ونريد ان نعرضهُ عليك وتوافقينا في الحال وبهِ الخير لنا ولابنك قباط . قالت اخبروا ماذا تطلبون . فاخذوا في ان يشرحوا لها بالتفصيل كل ما ارادوا وما دار بينهم وبين الامير حمزة من الكلام وكيف ان امر قباط منوط لخاطرها فاذا لم تقبل لا يوافق الامير . فقالت اني اعرف ان هذا الراي موافق للعرب ولا بد لهم منهُ الا انهُ لا اخفاكم انهُ حتى الساعة لم ياتني غير هذا الولد فهو عندي بمنزلة عظيمة واخاف ان يصاب بمصيبة فاقع مع زوجي بالقال والقيل لاني كارهة الدنيا واطلب الموت لا محالة فهو احب لديَّ من ان يبعد عني يوماً واحداً او اسبوعاً ومع كل ذلك كيف لم يات الامير معكم اليَّ وهو ابنهُ وشريك الراي فيهِ . قالوا اننا عرضنا هذا الراي عليهِ فاجاب انهُ يوافق كثيراً الا انهُ قال لنا ان مهردكار لا توافق عليهِ فاخذنا على انفسنا العهدة بان ناتي اليك ونسالك في ذلك ونطلب اليكِ قبولهُ اكراماً لخاطرنا ولا ريب اذا قبلتِ انت التماسنا ورجانا سرَّهو ايضاً . قالت وكيف ايضاً لم يحضر الامير عمر العيار قالوا لم نعرض عليهِ امر مجيئنا لعلمنا ان الامير حمزة هو اخوه وانهُ لا يرضى الا اذا رضيت انت فرضاك هو في اول الجميع فانظري في طلبنا نظر حسن الصالح فان العرب باحتياج الى ذلك فاطرقت الى الارض برهة صامتة وقد خجلت من سادات العرب واخيراً رفعت راسها وقالت لهم انتم تعلمون ان ابني اذا اجبتكم سيصير راساً عليكم ويلتزم ان يحمل اثقال العرب جميعها ولو كنا بسلام لكان ذلك موافقاً لهُ لكننا في حروب واهوال وابوه لا ينفك عن القتال وعدوكم هو من اقوى العالم واكثر ملوك الارض رجالاً وابطالاً ولو حاربناه الى اخر الزمان وفي كل يوم شتتنا لهُ جيشاً لقدر على الاتيان بغيره وتجديد القتال ولا سيما ان عنده رجل خبيث ماكر وهو بختك بن قرقيش فاذا

[illegible] العرب ان يختاروا لهم ملكاً مطلقاً وسلطاناً عظيماً ليقيموه في مقام كسرى [illegible]
وجنده والحرب والقتال وربما احتالوا على قتل ملككم او اسره او ابعاده عنكم اعيني [illegible]
بحزن وارسل الى قبري كثيبة ومع هذا فانا اجيب طلبكم لكن بشرط ان ياتي معكم اما الامير
حمزة واما عمر العيار وتحلفون لي اليمين على محبة الملك وتكفلون السهر على راحته فهذا جل ما
اريده منكم وارجوكم بان لا تتكدروا والسلام

فلما سمع الفرسان والملوك كلامها سكتوا ولم يجيبوا بشيء وقد علموا انها اصابت في طلبها
هذا لان ولدها وحيد عندها وتحبه كثيرًا ولا تريد ان تسلم به ولا سيما لانها غريبة وما من سلوة
لها غيره وساروا من هناك وجاءوا صيوان اليون شاه ودخلوا على الامير حمزة فوجدوه بانتظارهم
فقال لهم ماذا فعلتم قالوا اننا عرضنا الامر لمهردكار فاجابت تحت شرط أن تكون انت
معنا او اخوك الامير عمر فتسلمنا قباط فتكفله لها ولذلك نريد منك ان تذهب معنا اليها .
قال هذا لا يمكن ولا اريد ان اكلم مهردكار بمثل هذا الشان فطلبوا الى عمر وسالوه ان يذهب
معهم فقال لاخيه اتريد ان اذهب واكفل لها ابنها قال لا تسالني بهذا الشان فاذا شئت ان
تذهب فاذهب من نفسك فوقف عمر العيار وقال هلموا ياسادات فاني اسير معكم لعند مهردكار
واجيب الى كل ما تطلبه ولو بعت في ذلك حياتي ثم انهم ساروا جميعًا حتى دخلوا صيوان
مهردكار وجلسوا عندها وقالوا لها ها قد جاء معنا عمر العيار وهو يجيب الى كل ما تطلبينه منه
فالتفتت اليه وقالت له انت تعلم بان لا ولاد لي غير قباط ولم يشأ الله ان يرزقني غيره فاحبه
كثيرًا لكني لا اريد ان امنعه عنكم بل ارى من الواجب عليه ان يكون معكم وفيما بينكم غير انه
لم يكن رجل حرب ليدافع عن نفسه فهل تكفل لي حياته من الاعداء وان تحامي عنه مع الفرسان
والابطال فقال كيف وهو ابن اخي واحبه كروحي فاذا اصيب بسائبة كنت له الفداء قالت اصبروا
حتى اتيكم به . ثم دخلت داخل الصيوان وجاءت بالامير قباط وقالت هوذا سلطانكم فاقربوا
مني لاسلمكم اياه فجاءوا اليها جميعهم فاخذت اليد الواحدة وسلمتها لسادات العرب جميعًا واليد
الثانية سلمتها لعمر العيار وقالت اني اقسم عليكم بالله العظيم رب زمزم والحطيم واستحلفكم بكل
نبي عظيم هل تخدمون ولدي خدمة امين وتحامون عنه من اعدائه وتسهرون على حياته كما
يريد الله سبحانه وتعالى فاقسموا لها جميعهم وشدد الامير عمر الاقسام ودنا من ابن اخيه فقبله
وقبلوا بعضهما وبكيا . وحينئذ سلمتهم اياه فاخذوه وساروا الى صيوان اليون شاه وسلموه الى
ابيه فقبله وقال هذا ملككم فارفعوه عليكم وهذا الذي اخترتموه فلا امنعكم منه فدعوا باستدعاء
سادات مصر وقاموا بالولائم والافراح من اجل ذلك مدة سبعة ايام وقد زينت المدينة ابهى
زينة اكرامًا لسلطانهم الجديد وفي اخر الايام جاءوا بصولجان الملك الذي اعدوه له فسلموه اليه

وانكم لما [illegible] ان تجبروني في [illegible] تستبد جموعكم علي [illegible] بي واحطوا [illegible]

وناظروني فغضضت الطرف عنكم وعولت ان لا يذكرلي اسمكم الى آخر الايام فاتركم وشانكم

وفي ظني انكم ترجعون عن غيكم وتذهبون الى بلادكم وتتركون عنكم كل هذا التعدي وترجعون

فتتفرقون. فبلغني انه كان من امركم ان تعاظمتم واتخذتم سكوتي من باب العجز والضعف

واجتمعتم واقمتم لكم سلطاناً عظيماً لقبتموه بالسلطان الاكبر وبعثتم الى البلاد التي في بني مملكتي

وتحت حكمي تعلمون ذلك وتدعوهم الى طاعتكم فعرفت وتاكدت من وزيري بختك ان قصدكم

نقل عظمة العجم الى العرب ونويتم على عزلي من تختي وانحطاطي وقرض الدولة الكسروية

القديمة العهد ولذلك اخطركم اني منذ الان ساسير في اثركم واقفي اخباركم واحاربكم الحروب

الهائلة حتى تفنون ولا يبقى منكم انسان ولي القدرة الكافية على ذلك وانتم تعلمون عظم سلطاني

وعلو شاني واقسم بتربة اجدادي الاكاسرة ان افعل اعظم ما اقول الا اذا رجعتم عن ضلالكم

ونزعتم التاج عن ملككم الجديد وتفرقتم وكل واحد سار الى بلده فتحفظون بذلك حياتكم وينفصم

الشر والخصام وكفاكم ما فعلتم والخير والنجاح لمن نظر موضع النظر والويل والهوان لمن كابر

وعمل على العصيان

ولما سمع العرب هذا الكتاب سكتوا منتظرين ماذا يجيب السلطان قباط وما فهم قبل ان

يتقدم او يبتدي الى ان قال اسمعتم ايها السادات ماذا يطلب الينا كسرى فماذا تريدون ان

تجيبوا. قالوا انت الآمر فينا والملك علينا فاجب بما تختار فامر ان يكتب الجواب كما ياتي

بسم الله الواحد القهار والصلاة والسلام على انبيائه ورسله الاطهار

من السلطان قباط بن الامير حمزة فارس برية الحجاز سلطان العرب والمصريين والاحباش

ومن جاراهم الى جده كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

لقد وصلتني كتابتك واطلعت على كل ما تضمنته فاذا بها ما يدل على عتوك وتفاخرك وقد

تعجبت من ذلك مع انك تعلم ان العرب اصحاب سلطان ولهم الكلمة النافذة في كل مكان وفخرهم

مثبوت منذ قديم الازمان والاعجب من ذلك انك تعرف يقيناً اننا اعداؤك الالداء خربنا في

بلادك وقللنا من سلطانك فابرلنا من قدرك ولا نزال حتى نبيد شوكتك ونمحو عظمتك فلا

يقال فيما بعد كسرى انوشروان وتطلب الينا ترك سلطاننا كأنك لا تزال الحاكم فينا او كأننا

ما برحنا في حوزتك وتحت امرك وفعلنا شيئاً مخالفاً لغايتك . والحاصل فليكن عندك اكبر

علم اننا ما فعلنا ذلك الا لننقل الفخر الذي كان للعجم الى العرب ونهدم الايوان ونقيم في المدائن

حاكماً عليها من قبلنا ولا تندهش من ذلك لاننا عبيد الله نأمن به ونسأل منه التوفيق وهو

يبادر على اغاثتنا ومعونتنا واجابتنا الى كل ما نسأله ولو كنت تعبده لما فعلنا بك شراً فكن

على جهرته فقابل ثم اننا نحول لمدينتك ونرسل ابنتنا تصبح بين يديك فتعاود فيها الكلام الى احسن
المعاملة ويكون لي الاشرافه واطاع امر الله بلا تشكك ولا خلاف

هذا ولما قرأ الكتاب سرّ منه العرب باجمعهم ففرحوا الفرح العظيم ومن ثم دفعوا الكتاب الى الرسول فاخذه وسار يطلب المدائن وبعد مسيره قال السلطان قباط اعلموا ايها السادات ان كسرى ما كتب مثل هذه الكتابة الا وفي عزمه ان يحاربنا ولا ريب انه جمع القوات اللازمة وصار يعزم على حربنا واتباع آثارنا ونخاف ان يأتي حلب او يذهب الى مكة فيدكها قبل ان نعرف شيئًا من اخباره ونحن بعيدين من ديارنا وارى من المناسب ان نرحل من هذه الارض ونترقب حركات كسرى واعماله فاستعدوا للسفر حتى اننا بعد ايام قليلة نكون بعيدين عن هذه الديار . فقال الجميع انما على حضر ولا بد من مسيرنا وعلى كل فاننا ننتظر اشارة منك . ثم نظروا الى الامير حمزة فوجدوه يبكي وقد نزل الدمع من عينيه وبلّ شعر ذقنه فاندهشوا في امره وقالوا له لما هذا العمل ونحن الان في فرح لا يوصف وكل شيء لدينا حسن ومن ولدك يخرج الفخر للعرب وربما للعالم اجمع . قال اني اعرف عظم الفرح التي نحن فيه ولكني على الدوام اتذكر شيئًا واما اعد نفسي به وقد عولتم على الرحيل قبل الحصول عليه والاطمئنان بالجيه من جهته . فقالوا ماذا تطلب واي شيء تتذكر ولا نعلمه نحن . قال انتم تعلمون جيدًا اني في هذه الارض فارقت اخي اندهوق بن سعدون وكان بعهدي ان لا تطول غيبته وان لا ابارح هذه الارض قبل عودته وحتى الساعة لا اعرف شيئًا عنه ولهذا ترونني ابكي ومن منكم لا يعرف فضل هذا الامير وحبه لنا وقد صرف قسماً من حياته بجد واجتهاد في خدمتنا ولولاه لما اقام شان العرب في حال غيابي . فقال الجميع لقد اصبت واننا مثلك ترون من بعده مثلك ولا نعرف في اي يوم يرجع الينا ولا ماذا صار به وربما سار الى حلب او الى مكة . قال هو لا يزال في بلده فلو جاء لتبعنا الى التكرور واني اقسم بالله لا ابرح من هنا الا عندما يرجع اليّ اندهوق بن سعدون . ولا بد لي من الاستطلاع على اخباره والاستكشاف عن احواله واطلب الى اخي عمران يسرع الى سرنديب الهند ويطفئ قلوبنا هذه الجمرة وكان عمر العيار يرغب في ان يعرف ماذا وقع على اندهوق لانه كان يحبه كثيرًا . فاجاب طلب اخيه وقال له ابشر ايها الامير فالذي تطلبه انت ارغب به قبلك وسوف اعود اليك بالخبر المفرح ان شاء الله ثم التفت الى السلطان واستأذنه بالمسير فاذن له وسار من هناك بعد ان ودعهم جميعًا ولا زال في مسيره الى ان قرب من سرنديب الهند فنظر الى بعد عن وادٍ قريب واقع بين آكام تلك الجهة فعرج اليه وكان لابسًا ملابس الدراويش حتى من رآه لا يمكن ان يعرفه ولو كان اخوه حمزة فتقدم من احد الحراس وسأله لمن هذا المعسكر . قال لاندهوق بن سعدون

وهو من كرماء الناس يكرم الضيوف ويحب الدراويش ويعم عليهم فدونكهُ . ففرح عمر عند سماعهِ هذا الكلام وايقن بنجاح سفرتهِ من اولها وتقدم الى صيوان كبير مفتوح الابواب من الحرير الاخضر ولما قرب من الباب وقف فيهِ فوجد اندهوق جالسًا ومن حولهِ ثلاثة ملوك من ملوك التركمان فدنا عمر الى بين يديهِ وسلم عليهِ ثم طلب احسانهُ ومدحهُ واثنى على كرمهِ فاعجب من انصاحتهِ وامران يدفعوا لهُ ستمائة دينار فدفعوها فاخذها على يديهِ وجعل ينظر فيها كأنهُ غير راضٍ بها . فقال لهُ اندهوق كأن لم يعجبك هذا المقدار من المال . فقال كلا فانهُ لم يرضني واري من العيب على رجل عظيم مثلك ان يعطني مثل هذا العطاء القليل . فتكدر اندهوق وقال غير هذا العطاء لا اعطي فاذا قبلتهُ خذه والا فاتركهُ وتكون قد تركت نصيبك . قال اني لا اذهب من هنا ولا اقبل هذا العطاء وانا رجل طماع احب المال وعنديّ من مثلي كثيرون ينتظرون ان اجيئهم بالمال . فادفع لي حالاً ما يرضيني قال وما هو المبلغ الذي يرضيك . قال اخبرني اولاً عن قيمة المال الموجود في خزينتك حتى اعرف ماذا اطلب والا اخاف ان اطلب مبلغًا ويكون في يدك اكثر فيفوتني فزادت حيرة اندهوق ولعبت نار الغضب في قلبهِ منهُ الاّ انهُ لم يرضَ ان يكسر بخاطره لانهُ فقير ودرويش من رجال الله وفيما هو على مثل ذلك واذا بشيحان كبير عياري عمر وقف في الباب وقال لا تكن طماعًا ايها الدرويش فتحرم نفسك من نصيبك فخذ هذا المال فيكفي لاصحابك واذا امتنعت ضربت بهم . فالتفت عمر وراهُ وعرف انهُ لحق بهِ غير انهُ لم يندهش من ذلك بل قال كلا لا ابرح من هنا حتى يرضيني هذا الامير او يذهب معي الى حيث اقول لهُ . واما اندهوق فانهُ عرف شيحان واندهش من وجوده وقال لهُ من هذا وقد اشتبه فيهِ ربما يكون عمر العيار قال هو فخر العرب ودليلهم وبراسهم في ظلامهم الحالك . فنهض اندهوق واقفًا وسقط عن كرسيهِ ورمى بنفسهِ على عمر وسلما على بعضهما وقد ترحب اندهوق بضيفهِ مزيد الترحاب وابدى من المسرة ما ادهش الجميع . فقال لهُ أيكون عطاء اندهوق الى عمر هكذا مبلغًا قليلاً قال اني ورب الكعبة لا امنع عنك شيئًا وكل ما هو لي تحت امرك خذ منهُ ما شئت واترك ما شئت فشكر منهُ عمر ونزع عنهُ ثوب الدراويش وتقدم من الحاضرين فسلم عليهم جميعًا واخبر اندهوق عن كل ما وقع مع العرب في بلاد السودان من الاول الى الآخر فتعجب من ذلك وقال لا ريب ان الامير حمزة موفق جدًّا وان الله سيعطيه اضعاف ما اعطاه وقد عملتم خيرًا وحسنًا بانتخاب الامير قماط سلطانًا عليكم فالان تمت سعادة العرب ونالوا من المجد ما لم ينلهُ كسرى لان في معسكرهم من الفرسان ما لم يوجد في اقطار الدنيا نظيرهم ومن ثم اخذ اندهوق يخبر عمرًا بكل ما كان من امره بعد مفارقتهم

وهو انهُ ما زال سائرًا بجماعتهِ يجدون الليل والنهار حتى قربوا من سرنديب ولم يبقَ بينهُ

وبينها الا مسافة يوم فنزلت العساكر في تلك الارض وباتوا الى الصباح وفي الصباح نهضوا وركبهُ على ظهر فيله وامر جماعته ان يتبعوه وسار مسرعًا لوحده على امل ان يسيروا خلفه عند اتمام ركوبهم وبعد مضي ثلاث ساعات اقبل على المدينة فوجدها محصورة من كل الجهات وحولها ثلاثة ملوك التركان . فقال والله من مثل هذا كنت اخاف ولم ياخذه صبر ولا توان لانه يعرف ان هولاء الملوك ما جاءوا بعساكرهم الا عندما تاكدوا غيابه فاراد ان ينادي باسمه ويرعبهم بعمله فصاح فيهم وحمل عليهم وهو يناديهم ويلكم اوغاد غير امجاد قد جاءكم قضاء الله الذي لا يرد ولا يدفع صاحب هذه البلاد اندهوق بن سعدون ساقي الاعداء كاس المنون وهزّ الرمح بيده وانحدف على التركان فاضطربوا وارتاعوا وهم يعلمون بعظم بطشه ومقدرته وتاكدون ان وراءهُ جيوشهُ الجرارة وخافوا من ان يخرج رجال المدينة اذا عرفوا بوصوله اليهم فقاتلوه بخوف واضطراب ثم انهزموا امامهُ الى جهة الشمال وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم حتى بعدوا عن المدينة نحو عشرة اميال وهناك تاكدوا ان لا احد غيره من الفرسان في اثرهم فعادوا اليه واحتاطوا به وقوموا اسنتهم وصوبوا نحوهُ نبالهم وهو يضرب فيهم ويبدد الرجال على الرمال وقد ترك القتلى كومًا اشبه بالجبال وما زال على مثل هذه الحالة حتى لعب به التعب والملال لانه كان يقاتل الوفًا ومئات الوف وهو وحيد منفرد بنفسه وقد بعد عن المدينة وعن قومه واذ ذاك تمكن منهُ اعداؤهُ فقبضوا عليه واسروهُ وكبلوه بالحديد وساروا به الى بلادهم وهم فرحون غاية الفرح مسرورون بما وصلوا اليه وثبت لديهم انهم بعد ان يرجعوا الى بلادهم يجمعون ما قدروا على جمعه ويجددون الحمل على سرنديب فيفتحونها او انهُ لابد لجماعته وعمه ان يقصدونهم الى بلادهم فيبددون شملهم ويخلو لهم الجوُّ

فهذا ما كان منهُ ومنهم واما ما كان جماعته وعساكره فانهم بعد ان انتهى انتظامهم ساروا في اثره بترتيب حتى اقبلوا على المدينة فلم يروا حولها احدًا فتقدموا من الابواب فوجدوها مقفلة فطرقوها وعرفوا بهم اهل البلد فخرجوا الى ملتقاهم وجاء عم اندهوق اليهم وسلم عليهم وسالهم عن ابن اخيه فقالوا له انهُ سار امامنا وفي ظنا انهُ دخل المدينة . فقال لا ريب انهُ يحارب الاعداء وقد اجلاهم عن البلد وسار في اثرهم ولا بد انهم يجتمعون عليه ويضايقونه وياسرونهُ قالوا لا بد لنا من الاستطلاع على خبره لنعرف اين راح وكيف ذهب وان كان اسيرًا الى اي مدينة اخذ لان بلاد التركان واسعة جدًا ونحن لا يمكننا ان نتمرق فيها ونخاطر بانفسنا قبل ان نحقق باننا قادرون على خلاصه . فتوافقوا على ذلك وبعثوا بالجواسيس يكشفون لهم الاخبار

فهذا ما كان منهم واما ما كان من ملوك التركان فانهم اخذوا اندهوق وساروا به الى بلادهم

يزورونه في السجن ويكلمونه والحراس والعيارين وكان السجن في خطارهم يزورونه في كل يوم لينا كسرى فكانوا واخذوا يدبرون في جمع العساكر ليجددوا الحملة على بلاده ويفتحوها ويغتصب عليهم الايام على مثل ذلك والناس ترد افواجًا افواجًا تتفرج على اندهوق بن سعدون وتتعجب من كبر جثته وعظم هيكله ويتحدثون باعماله وبسالته وصارت النساء تاتي اليه اكثر من الرجال

قال وكان لهولاء الملوك الثلاثة عدو قوي يقال له الامير ماجد بن سالم وهو كثير الاعوان وفي كل مدة يسطو على بلادهم وينهب ما تصل اليه يده منها فتقوم الحروب بينهم فتارة يفوزون عليه بالنجاح وينهبون امواله وطورًا يفوز هو ولا يدع لهم راحة الى ان كان تلك الايام بلغ الملوك ان الامير ماجد يستعد لياتي اليهم فهاجوا وماجوا واتفقوا ان يجمعوا بعساكرهم ويقصدوا الى بلاده ويفاجئونه بغتة ولما اعتمدوا على ذلك دعوا اليهم بناتهم وكان لكل واحد منهم بنت فقط وعند غيابه يعهد اليها بتدبير الاحكام عنه اذ كان لا يامن لغيرها ولما وقفن بين ايديهم قالوا لهن اننا سائرون الان الى بلاد الامير ماجد ولا بد لنا من الفوز عليه في هذه المرة تمامًا ولا نرجع عنه حتى نهلكه ونخرب بلاده وساخذ معنا العساكر والرجال ونجعل عليكن باب المدينة فلا تدعن احدًا يدخل او يخرج قبل ان نعود نحن الى المدينة خوفًا من ان ياتي العدو الى المدينة او ربما جاء جماعة اندهوق لاجل خلاصه واياكن من ان تدعن احدًا يقرب منه او يسعى في خلاصه فوعدنهم بكل خير وانهن يحافظن على الاحكام حق المحافظة ولا يفعلن الا ما يرضيهن الى ان يعودوا الى المدينة . واذ ذاك رحل الملوك بعساكرهم يقصدون بلاد الامير ماجد وهم يؤملون بالسلب والنهب والحصول على الخيرات العظيمة في هذه المرة وبعد ذهابهم صار الثلاث بنات ياتين الديوان وينظرن في امر الدولة ويقمن مقام اباءهن الى ان كان ذات يوم طلبت احداهن ان ياتوا باندهوق الى الديوان فوافقها الثنتان الباقيتان وفي الحال احضر مقيدًا الى بين ايديهن فنظرن اليه وتفرجن عليه وكن يسمعن بذكره وعظم قدره فتاكد لديهن ذلك وجعلن يسالنه عن بلاده وقومه وهو يخبرهن بكل ما كان من امره ويحدثهن بحديث العرب مع كسرى ووقع في قلوبهن بمركز عال وكل واحدة رغبت في ان تسعى في خلاصه لتاخذه لنفسها وتسير به الى بلاده وما من واحدة اظهرت غايتها للاخرة لكن كن لحظن على بعضهن ذلك وبعد ان ابقينه عندهن في الديوان نحو ساعة ارجعنه الى سجنه حياء من الناس الى ان كان المساء رجعن الى قصورهن وامرن ان يوتى به اليهن وصرن يمزحن ويلعبن معه ويسالنه اذا كان يرغب بالرجوع الى بلاده وهو يجيبهن عما بفكره غير انهن كن لا يعرفن كيف يتصرفن في امره . وفي ثاني الايام اخبرن بان الامير ماجد وصل الى ضواحي المدينة وقد خالف في الطريق فلم يلتقي باباءهن فتكدرن وعظم عليهن الامر وخفن ان يفتح البلد قبل ان تصل

العساكر وقد فنيت ولم يكن الا القليل حتى حاصر البلد وجعل يرمي عليها السهام والنبال واحتاط بها بعساكره من كل الجهات . الى ان كاد يفتحها وحينئذٍ اجتمع البنات الى بعضهن وقالت الواحدة انتم تعلمون ان الامير اندهوق هو فارس عظيم وبطل جسيم وما منا ولا واحدة الا اجنبية وتمتة وعليه فلكي ينصف بعضنا ارى من الواجب ان نتفق نحن الثلاث ونعرض عليه انفسنا ونسالهُ ان يتزوجنا ويكون لنا جميعًا وحينئذٍ نطلقهُ ونرد اليهِ سلاحهُ ونأخذ عليهِ العهد بان يرد عنا الامير ماجد ويستلم البلد . فاتفقن على مثل هذا الراي ودعينهُ اليهن وعرضن عليهِ ما تقدم فاجاب اني لا ارغب في الامتناع اذا كنتن على دين الله سبحانهُ وتعالى وما من مانع يمنعني من الزواج او يمنعكن . فقلن لهُ اننا على دين الواحد القهار ثم تقدمن اليهِ وفككن قيوده وسلمنهُ سلاحهُ واخبرنهُ بامر الامير ماجد فوعدهن بكل جميل ونزل الى فيلهِ فركبهُ واخذ جماعة من اهل البلد ومن العساكر المتخلفة للمحافظة وسار حتى وصل الابواب فامرهم ان يفتحوها وكان عندها جماعة من الاعداء فلما فتحت قصدوا الهجوم فصدمهم اندهوق بفيلهِ وصاح فيهم وردهم الى الوراء وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم ولما سمعوا صياحهُ وانهُ على ظهر الفيل تفرقوا عنهُ الى ان خرج من معهُ وجعل يضرب فيهم بصمصامتهِ ويدحرج الرؤوس كالاكر على الارض حتى التقى بالامير ماجد فتجاولا واياه ساعة من الزمان ثم القاه قتيلاً على بساط الارض وهجم على جماعتهِ ومن خلفهِ رجال التركمان حتى فرقوا الجميع واجلوهم عن المدينة ورجعوا كاسبين غانمين وقد لموا العدد والخيول وكل ما كان للعدو وحينئذٍ جمع البنات كبار اهل البلد وقلن لهن اننا باتفاق مع اندهوق وقد سلمنا اليهِ البلد وعاهدناه على ان يتزوج بنا ونكون لهُ فمن منكم يقبل ذلك كان لهُ الخير العظيم ومن امتنع جازاه بالهلاك والاعدام . فقالوا اننا باجمعنا نرضى ذلك ونتمناه لان مثل اندهوق من سعدو بحب ويخدم ويفدى بالنفوس . وتقدموا منهُ وسلموا عليهِ وابدوا طاعتهم بين يديهِ فمدحهم ووعدهم بكل نجاح وعقد لهُ على البنات الثلاث وتزوج منهن واحدة بعد الثانية وصار ياتي الديوان وينهي ويامر واصلح شان الاحكام . وبعد نحو خمسة ايام رجع ملوك التركمان الى البلد وكانوا وصلوا الى بلاد الامير ماجد فلم يروا احدًا وعرفوا انهم خالفوه في الطريق فانحطوا على بلادهِ ونهبوها وما تركوا بها عقالاً ورجعوا على اعقابهم قبل ان يعلم هو كذلك في بلاده وداموا المسير حتى وصلوا الى قرب البلد فوجدوا القتلى ممددة وما راوا ولا واحدًا من الاعداء فتعجبوا كل العجب وقربوا من الابواب وارادوا الدخول وكان اندهوق عرف بذلك فبعث اليهم باعيان المدينة يخبرونهم بالواقع فاذا اجابوا سمح لهم بالدخول واذا امتنعوا خرج اليهم وجازاهم بالهلاك لانهُ غير مسرور منهم . فخرج الشيوخ واوقفوهم عند الابواب وقالوا ان حاكمنا لا يسمح لكم بالدخول . فتعجبوا من كلامهم وظنوا بان الامير

ماجد دخل البلد فارتاعوا وسالوا من هو حاكمكم وهل لكم حكام غيرنا . قالوا نعم انهُ لما جاءنا الامير ماجد وحاصر المدينة اتفقنا مع اندهوق بن سعدون وسلمناهُ الحكم وازوجناه ببناتكم فخلص المدينة وقتل الامير ماجد وحكم فينا بالعدل والانصاف وهو كذلك يعاملكم ولا يريد ان يجازيكم على اعمالكم معهُ الا بالخير والحسنى فاذا قبلتم بما فعل ورضيتم بزواجه من بناتكم . فنظروا الى بعضهم وتخاوروا مليًّا وقالوا ان الامر قد وقع وصار اندهوق صهرنا وهو رجل شريف الحسب عالي النسب صاحب كرامة نادر المثال في زمانهِ وصار كواحد منا ولا يمكن ان نرى لبناتنا زوجًا نظيرهُ . ثم انهم اظهروا قبولهم ورضاهم من عمل بناتهم واندهوق فرجع الشيوخ واخبروه بما كان فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وسلموا عليهِ وشكروهُ على فعلهِ وعلى قتلهِ للامير ماجد وخلاص بلادهم وقالوا كان في ظننا انك اذا ملكت قيادك تعاملنا خلاف هذه المعاملة لاننا اسأنا اليك وتعدينا عليك مع انك لم تكن قد فعلت معنا شيئًا قبيحًا فعذرهم على ذلك وقال ان ما مضى مضى وقد صرتم الان انسبائي واقاربي وبلادي وبلادكم واحدة

وبعد ذلك عملوا الولائم واقاموا الافراح وذبحوا الذبائح ودعوا الدعوات وجددوا عرس بناتهم وتمكنت محبة اندهوق من قلوبهم وصاروا لا يفارقونهُ ولا يفارقهم مدة شهر تمام وبعد ذلك اخبرهم بما كان من امره مع الامير حمزة وكيف انهُ تركهُ ذاهبًا الى بلاد السودان وقال اني ارغب الان في المسير اليهِ فاني لا ارغب في ان ابعد عنهُ او افارقهُ فهو سيد هذا الزمان وبطل الجبيل والايادي البيضاء . فقالوا اننا نسمع بذكر هذا الامير وانهُ عدو كسرى انوشروان وقد بدد رجالهُ عدة مرات واهلك منهم كثيرًا فاذا شئت سرنا معك الى خدمتهِ ورافقناك في سفرك ولا نرجع الا بعد ان ترجع انت الى بلادك فقال حسنًا تفعلون ثم انهم جمعوا رجالهم وفرسانهم ودبروا احوالهم واقاموا الوكلاء على البلاد واوصاهم بالمحافظة على الامن والعدل واذا جاءهم عدو يدفعونهُ واذا ما قدروا عليهِ يستعينون بعم الامير اندهوق ويكون البلدان بلد واحد واذا راوا الغلبة بعثوا بالاخبار الى بلاد حلب وودعوا اهل البلد جميعًا وخرجوا بموكب عظيم يقصدون سرنديب الهند وكان اندهوق قد بعث الى عمهِ فاخبرهُ بخلاصهِ وانهُ سيعود اليهِ بعد ايام . فلما عرف بوصولهِ خرج للاقاتهِ مع قومهِ وترحبوا بملوك التركمان ودخلوا المدينة باحتفال عظيم وسلموا على بعضهم البعض واقاموا هناك مدة ايام الى ان ارتاحوا وبعد ذلك نهض اندهوق يطلب الرحيل وقد اصحب معهُ رجالهُ وابطالهُ وفرسانهُ وودع عمهُ وسار في طريق مصر اي على الطريق الذي جاء منها حتى اذا وصل الى ارض مصر يسال اسمندار عن حمزة فاذا كان لا يزال في السودان سار في اثره واذا جاء حلب سار هو الى هناك واجتمع بهِ وما سار الا القليل ووصل الى ذاك الوادي حتى جاء عمر العيار كما تقدم معنا الكلام واخبر كل واحد

الاخر ما جرى عليهِ وعلى قومهِ . وقال عمر اشكر الله يا ابن سعدون حيث رايتك بخير لان اخي يتالم كثيرًا لبعدك وهو يبكي على الدوام وكان يقصد سلطاننا السفر الى حلب فابى الامير واقسم انهُ لا يفارق مصر الا ان يعرف ماذا جرى عليك حتى اذا كنت بخير عدت اليهِ واذا كنت بضيق سار هو اليك فشكر اندهوق من محبة الامير وامر بالمسير في الحال

قال ولا زالوا سائرين بذاك الموكب وقد سدت جيوش الهند والتركمان الارض بالطول والعرض الى ان قربوا من مصر فنزلوا للراحة وسار عمر العيار ليبشر اخاهُ بقدوم صديقهِ واخيهِ اندهوق ولما اقبل على صيوان اليون شاه ودخلهُ قطب وجهه وعبس وسلم وهو مقطب فردوا عليهِ السلام وسالهُ السلطان عن امره وعن اندهوق فلم يجب بل بقي معبسًا فعرف الامير حمزة قصدهُ وان لهُ زمان طويل ما اخذ لعياره شيئًا من المال . فقال لهُ اخبر بالخير ولك مني الف دينار . فقال السلطان واني اريدك فوقها العين فقال اسمدار ولك مني مثل ذلك وجعل كل واحد يكرمهُ بقدر مقدرتهِ . الى ان جمع مالا كثيرًا وحينئذٍ قال للسلطان اني جئتكم بالامير اندهوق وقد تركتهُ في اثري وبعد ساعتين يكون في هذا المكان ففرحوا جميعًا ولا سيما الامير وخرجوا في الحال الى ملاقاتهِ واجتمعوا بهِ وقبلوا بعضهم البعض وكان لهم يومًا عظيمًا جدًا ذبحوا بهِ الذبائح وضربوا بالدفوف واختلط المقيم بالآتي وعرف اندهوق ملوك التركمان بفرسان العرب وسلطانهم وترحب بهم الامير كثيرًا وعين لهم مقامًا بين الملوك في صيوان اليون شاه وصاروا منذ ذلك الحين مع العرب كانهم منهم . واولم اسمدار وليمة فاخرة اكرامًا لاندهوق وللامير حمزة وزينت المدينة بالزين المرفهة الزاهرة . وكان عمر العيار قد دعا بجماعتهِ وقال لهم اتبعوني فقد جئت اليكم بغنيمة باردة فتاثروهُ فرحين بما سيغنمون ولما صار على اكمة عالية جعل ينثر الاموال وهم يلتقطونها حتى فرغ فتكدر وعاد حزينًا وقال لهم يا ليت اموال العالم كلها لي لكنت افعل بها كما ترون

وبعد ان صرفوا ايام الافراح في ذاك المكان ولم يعد من مانع يمنعهم عن الرحيل امر السلطان قماط بالركوب والمسير فركبوا جميعًا بحسب مراتبهم ورفع علم بيكار الاشتهار فوق راس السلطان وطاف بهِ الحراس من كل ناحية ومكان ومشت بعدهُ الطوائف على الترتيب طائفة طائفة وكل طائفة عليها اميرها وملكها وقد سدوا الفضاء شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ومعهم من الاغنام والجمال والمواشي ما انتشر الى مسافة ثلاثة ايام ومن خلف الجميع الحماية بشير ومباشر وكان فرهيد في موكبهِ ايضًا مسرورًا بمصالحة الامير حمزة وبمثل هذا السلطان العظيم وهو يتمنى ان يقع الحرب بينهم وبين كسرى ليقدم للعرب برهانًا على حبهِ وركب اسمدار لوداعهم كل ذاك النهار وعند المساء رجع الى بلاده وساروا وهم في طريقهم ينتقلون من مكان الى مكان ومن

بلد الى بلد حتى قربوا من حلب وعرف بوصولهم نصير الحلبي فخرج الى ملتقاهم بقومه وهناه بالقدوم ورجعوا جميعًا الى المدينة وسلم الجميع على بعضهم البعض والتقى الاحباب بالاحباب والاصحاب بالاصحاب وفي اليوم الثاني اجتمع العرب بنصير الحلبي في الديوان فسالة الامير عن حالة كسرى وما سمع عنه من الاخبار . فقال جل ما نعلمه عنه انه مضطرب الافكار وانه الان يجمع الرجال والابطال بقصد الحرب والقتال وقد عاد الى المداين عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي واخبرا هناك باسر فرهود وتملك بلاد السودان و بلغ هذا الخبر كسرى فاغتاظ و بلغه ايضًا انكم اقمتم سلطانًا عليكم فزاد غيظه ونوى ان يعود الى ما كان عليه اولاً ولا ريب ان الذي حمله على ذلك هو بختك بن قرقيش . فقال الامير فليفعل ما يشاء فاننا لا نخافه ولا بد من كيده . ثم امر ان تقام الافراح في المدينة و يتزوج من يريد الزواج من بنات البلد وضواحيها وكان الامير في كل مرة يفعل ذلك ليجعل حلب محطًا محبوبًا من العرب و يزيد نسلهم و يختلط الجميع ببعضهم بسبب الزواج فيصيرون اقارب واهلاً واحبابًا فقامت الافراح وتزوج في تلك الايام نحو ثلاثين الف شاب ثلاثين الف ست فكانت الاعراس قائمة في كل جهة والغناء والرقص غير منقطع من الكبير الى الصغير وصرفوا على الحظ والملاهي نحو ستة اشهر على التمام حتى غسلوا اقذار التعب والوصب والعذاب الذي لاقوه في سفرهم الى بلاد السودان ومعهم فرهود وقد راى لذة عظيمة في صحبة الامير والعرب ونسي بلاده ووطنه

و بعد ذلك قال الامير اننا نريد ان نعرف ماذا يفعل كسرى في هذه الايام وقد انقطعت عنا اخباره ونخاف ان يكون سكونه هذا لدسيسة يفعلها او خداع اخر فنوخذ فيه بغتة . فقال عمر العيار اني اذهب انا بنفسي كالعادة لاني اشتقت كثيرًا ان ارى بزرجمهر واقبل يديه وارى كيف صحته فزودوه السلام اليه والشكر وسار يقطع الفيافي والقفار ويخترق السهول والاوعار الى ان قرب من المداين واذا به يرى الجيوش مجتمعة خارج المدينة والخيام منصوبة حولها والخيول تسرح كانها بعدد الكواكب . فقال في نفسه لا ريب ان كسرى يجمع العساكر لقتالنا وحربنا ونزالنا وقد اخذ مما راى كثرة الجيوش والعساكر فاخترق الاقوام المذكورة ومر من بين الخيام وهو كواحد من الاعجام لا يعرفه احد منهم ولما وصل الى ديوان كسرى واختلط بين الحجاب نظر الى كسرى فوجده جالسًا والى جانبه بختك واعيان العجم وملوك القبائل وكلهم يتحاورون بشان العرب ويتباحثون في شان حروبهم وبختك يزيد الطعن في العرب ويحرك من ضغائن كسرى ما استتر وعمر يسمع ويرى ويقول في نفسه لا بد من ان نريك كيف تفعل العرب . وبقي صابرًا الى ان انقضى النهار وانصرف كل الى قصره وسار بزرجمهر الى بيته فتاثره حتى دخل خلفه ولما انفرد به تقدم منه وقبل يديه و بلغه سلام اخيه وسلطان العرب وقال له

اني اتيت مستخبرًا عن احوال كسرى ولماذا يجمع هذه العساكر . فقال لهُ اني كنت بشوق اليك لاعرف منك ما تفعل العرب واخاف ان يفاجئكم كسرى وانتم في غفلة وينال غايتهُ منكم وقد عزم في هذه المرة ان يجمع من العساكر ما تضيق الارض دونهُ ولا يعرف لهُ اول من اخر ومنتهى ما عرفت من الذين سيسيرون الى حربكم ان عددهم ٢١ كرة وقد ابتنى كسرى في هذه الايام مدينة سماها نهروان وارسل اليها افلنطوش وزوبين مع خمسمائة الف فارس من فرسانهِ لينتظرونهُ هنالك وتعوق منتظرًا داهور الهندي لان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اخبراه ان داهور هذا من اشد فرسان العالم بسالة واقدامًا لا نظير لهُ في هذا الزمان فعلق بهِ كبير امله قال عمر اني لا افارق هذا المكان حتى يصل داهور وانظره وامتحن بافكاري شجاعتهُ ولكن اريد ان اسالك كيف ان كسرى بعد ان سمع على اذنيهِ سماع ذكر العرب رجع الى عداوتنا وعمل المحاربة . قال انهُ كان اصرَّ اولاً ان يتركَّكم وشانكم لانهُ يعرف التعب الذي يلحق بهِ من جرى تاثركم غير ان بختك عندما بلغهُ ما فعلتم في السودان تكدر جدًا وجعل يدس الدسائس لينهض همة كسرى وقد وجد وسيلة كبرى عندما وصل اليهِ الخبر بانكم اخترتم سلطانًا كبيرًا عليكم وبلَّغهُ ذلك بواسطة سائهِ فتكدر كسرى وتصور انكم ما عملتم ذلك الا وفي نيتكم نقل كرسي الاكاسرة الى مكة ونزع الملك منهُ فخاف على عظمتهِ وشرف دولتهِ فعاودت تحركت في نفسهِ دواعي الانتقام وعزم ان يفاجئكم في هذه المرة بقوة تفوق الحد واقسم انهُ لا يرجع عنكم اما بخرابكم واما بخرابهِ ولو جمع في كل يوم مليونًا من الانس . فقال عمر انا نستعين عليهِ بالله خالق الليل والنهار . ولكن اريد ان اسالك هل يوافق ان اخبر اخي بالذهاب الى نهروان قبل ان يصلها كسرى قال اني احب ذلك واذا وقع بايديكم زوبين وافلنطوش فاقتلوها فقد طال امرها لانها من المكر على جانب عظيم فضلاً عن ان في نهروان مونة كسرى وعساكره وقد ارسلها الى هناك وقصد ان يجعل تلك المدينة محطًا لانتقالهِ فتكون جامعة لذخائره واحتياجات جيشهِ على الدوام

قال وبقي عمر في المدائن مدة اربعة ايام وفي كل يوم ياتي الديوان ويختلط بين الخدم والحجاب الذين كانوا كثيري العدد وعند المساء يعود الى قصر بزرجمهر ويبيت عندهُ يلتقط من كنوز جواهر معارفهِ ويتبرك من ادعيتهِ ونقاوتهِ . وفي اليوم الخامس وصل الخبر الى كسرى بقرب وصول داهور فامر بختك والاعيان ان يخرجوا الى ملاقاتهِ فخرجوا جميعًا وخرج فيما بينهم عمر العيار ولا زالوا سائرين حتى راوا العساكر قد اقبلت افواجًا افواجًا وكلها من رجال الهند الطوال القامات واكثرهم يركب الافيال والخيول العالية ورجالهُ تكاد تبلغ الارض . فتقدم عمر ليرى داهور الهندي فوجد بختك قد وصل اليهِ وسلم عليهِ وترجل الجميع للسلام فنظر فيهِ

وهمة فاعجبه جداً فاخبره بعمله وعرف انه من ابطال الحرب والقتال نادر المثال في زمانه وراه طويل القامة جداً يزيد عن اطول رجال قومه نصف ذراع عريض الاكتاف جداً واسع الصدر طويلة كبير الراس وعليه من السلاح المتين ما لا يقطع فيه السيف اليماني ولا تخترقه الصواعق الشداد . وبعد ان راى عمر ما راى قال في نفسه يلزم اولاً السعي وراء التدبير وما من الحسن ان ابقى في الديار بعد ان شاهدت ما شاهدت من صعوبة الامر ولا بد من الاسراع الى اخي لادعه ياتي نهروان قبل ان ياتيها كسرى حيث لا يزال مشغلاً بالاستعداد وبداهور . ثم اطلق ساقيه وضرب الارض برجليه فخرج يجري كانه فرخ النعام حتى وصل حلب بقليل من الايام ودخلها بسلام واذا به يرى العرب مضطربين عليه لانهم رأوه قد تعوق عن العادة فخافوا ان يكون قد وقع في ايدي الاعجام كون عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرمي من اكثر اهل الارض خداعاً فيمكنهما ان يتوصلا الى معرفته وكلهم بقلق زائد وكدر لانه اذا فقد لا تعود تقوم لهم قائمة ولا سيما ان كسرى انوشروان متكدر منه جداً ويرغب في هلاكه ولو بذل نصف ملكه . ولما رأوه فرحوا كثيراً وسلموا عليه وسالوه عن سبب عاقته فاعاد عليهم كل ما راى وسمع من الوزير بزرجمهر واخبرهم عن داهور الهندي وعظم جثته فقال حمزة نحن لا نخاف عظام الهامات والاجسام واني اريد الان ان نذهب الى نهروان ونستولي على المهمات والذخائر وناسر افلنطوش وزوبين ونهلكهما مع الذين معهما قبل ان تصل عساكر كسرى اليهما . فمن منكم يوافق على ذلك فاجاب الجميع اننا تحت امرك وامر سلطاننا فاذا امرنا سرنا في الحال وما زال علم بيكار الاشتهار يجمعنا فكيف مشي نخشي من حواليه . وحينئذ امر الملك قباط ان يستعد الجميع ليرحلوا على عجل في صباح اليوم التالي وعند الصباح ركب السلطان على جواده واحتاط به حراسة والى جانبه عمر العيار كوزير اعظم وبين يديه عياروه وخدمة ورفع علم بيكار الاشتهار فوق رؤوس الجميع ومشت المواكب والكتائب افواجاً افواجاً وكلهم كالبحور الزواخر من طوائف مختلفة وزمر متعددة بعضهم عرب بادية وبعضهم مصريون ومغاربة وهنود واحباش واكراد وتركمان الى غير ذلك . وداموا المسير الى المساء ونزلوا على بساط القفار وضربوا المضارب والخيام للمبيت وبعد ان اجتمعوا في صيوان السلطان حسب العادة لصرف السهرة نهض الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني وتقدم من عمه السلطان وقال له اريد منك ان تسمح لي بالذهاب في مقدمة الجيوش وان اتقدمكم اولاً لان من اللازم ان يسبقكم احد الفرسان ليشغل افلنطوش بالقتال قبل ان تاتوا حيث ان كثرة عددنا لا تدعنا نسير بالعجلة الواجبة فلما سمع ذلك الامير حمزة اعترضه قبل ان يجيبه السلطان وقال له لا يجب ان تنفصل عنا وتتركنا ولا اريد منك الا الطاعة على الدوام واذا سرت وحدك لا يمكن ان تنال المراد واذا قسم الجيش الى شطرين لا يوافق ومن

الصواب ان نبقى كلنا الى بعضنا ولو تعوقنا بزيادة ثلاثة ايام . قال اني اطيعك ياسيدي بكل شيء الا في هذا الامر فلا لاني عزمت كل العزم ان لا ارجع الا بعد ان انال مرادي ولا بد لي من ان اسبقكم واسير في هذه الليلة لان لي تارًا على زوبين الغدار وافلنطوش واريد ان اشفي قلبي منهما . فقال له اهل ان امك حملتك على هذا العمل واخبرتك بما كان من امر زوبين معها قال اني اعرف انه عدوها والحت عليَّ ان اركب في مقدمتكم بجيشي واسير فوعدتها بذلك ولا يمكن ارجع مطلقًا ولو قطعت اربًا اربًا . فغضب الامير حمزة من عمل طوربان ودعاها اليه في الحال فجاءت وسلمت وسالته ماذا يريد . قال ان ابنك اخبرنا انك سالته الذهاب امامنا الى نهروان ليحارب زوبين الغدار ويلقي بنفسه في مواقف الاخطار . قالت نعم اني فعلت ذلك ولا انكره . قال كيف يهون عليك ان تخاطري به الى هذا الحد فاذا قتل تعدمينه وليس لك سواه فضلاً عن انك تريدين ان تحمليه على العصيان ومخالفة امرنا . قالت معاذ الله من ذلك وجلَّ ما اريد ان يسعى خلف المعالي لينالها وانت تعلم ان زوبين اراد الغدر بي وفعل معي افعالاً لا يمكن ان انساها الى اخر الزمان ولا سيما عندما قصد حرقنا بالنار وحرق اولادنا وعليه فان ابي كان قد مات من تلك الايام فزيادة عمره كانت من الله وخير عندي لمن يموت تحت ظل السيوف من ان اراه متقاعدًا عن اخذ ثاره ومتكلاً على غيره ولا اريد قط الاّ ان يذهب لوحده اولاً ويشفي غليل قلبه وقلبي . فلما سمع الامير حمزة كلامها تكدر منها وعنفها بالكلام وابى ان يسمح لابنها بالذهاب فخرجت غضبى ونويت كل النية على الذهاب والسفر في تلك الليلة

وبعد ان نام الامير حمزة بنحو ساعتين جاءه الامير عمر العيار وايقظه من نومه وقال له ان الامير سعدًا قد ركب بجماعة الاكراد وسار فطلبت اليه ان يرجع فابى فهو عنيد جدًا لا يسمع ولا يصغي . فامر الامير ان يأتيه بابنه عمر فسار اليه ودعاه الحاييه ولما جاء قال اريد منك ان تذهب الى ابنك وترجعه عن السفر . قال اني لا افعل ذلك وقد نهيته فما قبل لانه محب لامه فامه لا تقبل الا ان يسير في الاول وعندي ان ندعه وشانه ففي الصباح نسير في اثره ومهما سبقنا لا يسبقنا بكثير فلا يبعد عنا كثيرًا . فسكت الامير وهو غير راضٍ من الامير سعد ومن عناده وخائفًا عليه ان يرمي به جهله في حفرة الخطر فيعدمه وهو من الابطال الاشداء . وعند الصباح امر العساكر ان ترحل والفرسان ان تركب فرفعت الاحمال وركبت الرجال وساروا يتقدمون خلف الامير سعد الى جهة نهروان . وكان الامير سعد بعد رجوعه الى معسكره امر الغضبان رئيس الاكراد ان يستعد للرحيل ويأمر الرجال بالمسير بعد قليل ففعل وبعد ان انتصف الليل ركب وركب الغضبان وطوربان وساروا فشعر الوزير عمر العيار به لانه كان

ساهراً على المعسكر فاعترضهٔ فلم يستفد شيئاً وبقي سائراً بجد واجتهاد وهو يتمنى ان يصل الى تهروان ليأخذ لنفسهِ بالثار من زوبين الغدار وجده افلنطوش المكار ولما وصلوا الى قرب معسكر الاعجام كان الوقت ليلاً . فوقف سعد ونظر اليهم ثم قال لامه اعلمي اني لا اريد ان اضيع هذا الوقت عبثاً وفي نيتي ان اكبس الاعداء وارميهم بالفشل قبل اتيان الصباح قالت افعل ما انت فاعل قال اذاً نقسم الى ثلاث فرق ونهجم عليهم بغتة فانا اتكنى بالامير حمزة وانت بالاندهوق بن سعدون والغصبان بالمعتدي حامي السواحل واذا رأى الاعداء ذلك ظنوا ان العرب اجمعهم كبستهم فوقعوا بالارتباك وتفرقوا فاستصوبت رأيهُ وانقسم الاكراد الى ثلاثة اقسام كل عشرة الاف في ناحية تحت امرة واحد . وبينما كان الاعجام نائمون وهم آمنون من حوادث الايام ولم يكن يخطر لهم قط ان العرب تصل اليهم او تعلم بهم واذا بالامير سعد قد انحط عليهم كأنهُ قضاء الله المنزل وانطبقت العرب من كل ناحية وعملوا في اعدائهم السيوف والصوارم واشغلوهم بالصياح والصراخ وارعبوهم رعبة عظيمة فاستيقظوا خائفين هائمين واسرعوا الى خيولهم فركبوها وجعلوا يدافعون عن انفسهم وهم بارتباك عظيم والامير سعد يفعل بهم كما تفعل النار بالقش اليابس وينادي انا الامير حمزة العربان فارس فرسان هذا الزمان فيقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وقد ترك القتلى كالتلول بين يديهِ وكل من وقع امامهُ كان جزاؤهُ الاعدام . ومثل ذلك فعلت طوربان والامير غصبان وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم الى ان اشرق النهار وبان العدو من الصديق وحينئذٍ نظر زوبين وافلنطوش ان عدد الآتين قليل جداً وكانا قد ركبا جواديهما وتقدما للاختباء في جهة المدينة مع كثير من قومهما ولما تحققا الخبر عند الصباح وعرفا ان لا حمزة هناك جمعا فرسانهما من كل باح وقاتلا كل ذاك النهار الى المساء وقد قتل في الليل نحو خمسين الفاً من الاعجام وفي النهار تبتوا ولم يقتل الا القليل وفي اليوم التالي اصطف الصفان وترتب الفريقان وكان عدد جماعة افلنطوش نحو اربعمائة وخمسين الفاً والاكراد ثلاثين كما تقدم فحملا على بعضهما البعض حملات اسود الغاب . واضرما نار الهلاك والعذاب . واشتد الدمار والوبال . وعظمت الاهوال وضاقت الاحوال . وكثر القيل والقال . ودارت عساكر الاعجام بالاكراد . وعملت فيهم بالسيوف الحداد ولولا الامير سعد وطوربان . لما ثبتوا ساعة من الزمان . لانهما كانا يفرقان الجيوش فيطرحانها على بعضها البعض ويبددانها على تلك الارض ثم يعودان الى جهة العساكر فيريانها قد اهتزت وتأخرت فيقويانها ويدافعان عنها الى ان يقوما في وسط الجموع وزوبين وافلنطوش يصرفان الجهد الى مسك طوربان وولدها ويصيحان بالعساكر ان تهجما عليهما حتى ضاقت من الاكراد الانفاس . ووقعوا بالقنوط والياس . وايقنوا بالهلاك لا محال . اذا لم يطلب

النهار سريعة الارتحال . وقد خاب رجاء الامير سعد من قومهِ وعرف انهُ لا يبقى حيًّا الى المساء الا انهُ كان هو وامهُ طوربان فقط وقد تعبا كل التعب لانهما قاتلا جيشًا عرمرمًا كثيرًا وارادا ان ينالا المراد وكانت طوربان عالمة بانها هالكة فارادت ان تموت شريفة ولا تؤخذ اسيرة وجل غايتها ان تصل الى زوبين فتقتلهُ او يصل اليهِ ابنها فيعدمهُ الحياة وبعد ذلك اذا قتلت او قتل ابنها فلا اسف عليهما وقد خافت كل الخوف من ان تعدم هذه الغاية ومن ان يحل بها مصاب قبل هلاك زوبين

وفيما هما على مثل ذلك وعساكر الاكراد ترجع الى الوراء والامير سعد وامهُ في وسط الاعداء وقد داروا حواليهما كالبناء المرصوص ووطدوا العزم ان لا يرجعوا الاّ بهلاكهما او اسرهما وزوبين من افرح الناس بذلك وهو يتعجب من اعمال سعد ومن حملاتهِ التي تزعزع الجبال . واذا بالاصوات قد خرجت من طرف البر وعساكر الهند قد اقبلت وهي مسرعة طالبة القتال وحملت باسرع من ريح الشمال وفي مقدمتها فارسها الاوحد وبطلها الامجد وقد حمل على الاعجام حملة الذئب الكاسر او الاسد الزائر وقد مزّق الجموع واملاهم بالويل والفناء وكساهم اثواب الفشل والضناء وهو ينادي ابشر ياسعد فقد جاءك الاندهوق بن سعدون يسقي الاعداء كاس المنون . وكان من خلفهِ فرسانهُ وملوك التركمان . فحملوا من كل ناحية ومكان . حتى ارتجت من حملهم الارض واتسع على الامير سعد وطوربان المجال فطالا واستطالا وضربا في الاعجام بالصارم الصمصام . وابلياهم بالهلاك والاعدام . وصارا هما من ناح والاندهوق وملوك التركمان من ناح . حتى زاد الصراخ والصياح . ولحق بهم التأخر وعدم النجاح . فعولوا على الهروب والفرار . قبل الهلاك والبوار . غير ان الامير سعد وجماعتهُ سدوا عليهم الطرقات . واحاطوهم بجيوش المات . وطوربان تخترق الصفوف . وتبدد الالوف . وتود ان تلتقي بزوبين الغدار لتسقيهُ كاس البوار . غير ان ابنها الامير سعد سبقها اليهِ وهو عامل على الهرب . وسد في وجههِ كل مذهب . وضربهُ برمحهِ فقلبهُ عن ظهر الجواد . فادركهُ بعض رجالهِ وشد كتافهُ وربطهُ بالحبال . وبعد ذلك التفت طوربان بابيها فعوّل ان يضربها بسيفهِ كيدًا وبغضًا لما رآها تفعل هذه الافعال فاخذت لنفسها الحذر منهُ ورمتهُ الى الارض واخذوهُ اسيرًا وقرنوهُ الى صاحبهِ وصديقهِ بالغدر والخيانة زوبين الغدار هذا والقتل عامل في الاعجام من كل ناح وقد سد الله في وجوههم طرق الهرب فلم يعرفوا كيف يسيرون . ولا في اي طريق ينجون . وسعد كالاسد الكاسر لا يقع نظرهُ على واحد الاّ وانحط عليهِ واعدمهُ الحياة باقل من رمشة عين او اسرهُ وسلمهُ لاصحابهِ وكان من جملة الذين اسرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي

هذا وما جاء العصر من ذاك النهار وفي الاعجام من يقدر على الدفاع وقد فنيوا عن آخرهم

تقريباً ولم يبقَ منهم الا النزر القليل الذي لا يذكر ليوصل الخبر ومن ثم اخذ العرب في ان يجمعوا الاسلاب والغنائم والخيول وقد التقوا ببعضهم البعض وسلم الامير سعد على اندهوق ابن سعدون وشكر من غيرته وحبه وكذلك طوربان مدحته جداً وقالت له لولاك ايها البطل الاوحد لما نجينا قط بل كان لعب الحاق بنا وخسرتمونا فقال من مثل هذا كان يخاف الامير حمزة وقد بعثنا في اثرك في اليوم الثاني لاننا سرنا كل النهار وعند المساء امر السلطان بالنزول والمبيت في ارض على جانب الطريق فامتنعت انا واخبرت الامير بان في خاطري ان اسير في اثركم فاستحسن هذا الراي واذن لي بالمسير خلفكم وان لا اتهامل او اتعوق في طريقي بحيث لا يبقى بيني وبينكم الا مسافة يوم وفي هذا اليوم لا يقع عليكم التأخير ففعلت الى ان ادركتكم وانتم على تلك الحالة والحمد لله الان على سلامتكم وخلاصكم ونوال المراد من الاعداء الاوغاد ولا ريب ان الامير وسائر العرب سيسرّون جداً بالذين اسرناهم ويزول الهم عنهم وينتقمون منهم . فقال سعد كيف لا واني اريد بيدي ان اقتل زوبين الغدار واجازيه على فعله القبيح وكذلك جدي افلنطوش حيث لم يشفق على امي وعليّ بل اراد ان يحرقنا وينتقم منا ظلماً وعدواناً وبغضاً واما نحن فانا قتلناه بحق واستحقاق قصاصاً على عمله . وبعد ذلك رجع العرب الى الخيام . ونزلوا فيها للراحة والمنام . واكل الطعام . وكان الفرح عاماً شاملاً الجميع وهم بانتظار السلطان وكان الاعجام الذين نجوا من المعركة ساروا هرباً في طريق المدائن يقصدون كسرى انوشروان حتى وصلوا وهم متقطعون من عشرة وعشرين ينادون ويبكون ويولولون وقد عرف الجميع بما اصاب الاعجام في نهروان ولما وقفوا امام كسرى سألهم بالتفصيل عما حلّ بهم فاخبروه من الاول الى الآخر وان ابن عمواسر وزوبين الغدار وعمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسكاما وورقا وكثير غيرهم من الاعيان ولم يبقَ من الجيش احد فاضطرب واي اضطراب وقام وقعد وارغى وازبد وجعل يلوم بختك وقال له ما قدمت لي رأياً الا وكان به العذاب والهلاك فستطالبك النار بدم الذين قتلوا وهلكوا من قومنا ولا سيما ان العرب يقتلون ابن عمي في هذه المرة لانه وقع بايديهم فبرّد الله روح آبائك واجدادك بوادي الثلج وابعدهم عن لهيب النار . قال اني لا استحق ياسيدي لهذا الملام والتوبيخ فما دبرت الا حسناً ولم اكن اعرف من ابن علم العرب بان عساكرنا في نهروان واني اعدك ان في هذه المرة ستنقرض هذه الطائفة انقراضاً تاماً ولا يبقى منها انسان وذلك من سيوفنا وسيوف داهور الهندي وقد تجمع عندنا الان نحو ٢١ كرة وكل كرة مائة الف عنان وهذا العدد كافٍ لان يبيد فرسان الارض قاطبة واما خوفك على ابن عمك فهو من الاوهام لاني اعرف جيداً ان العرب لا تمد اليه يداً خوفاً منا ومن سطوتنا ولا يقدرون ان يرفعوا يداً على رجال الدولة الكسروية العظيمة . فامر ان

تستعد العساكر للرحيل حتى في مدة سبعة ايام تركب ونسير الى هلاك العرب وخلاص زو
ونزع علم بيكار الاشتهار منهم وان نجمع المؤن والذخائر مجدداً لان باستيلاء العرب على نهروا
يستولون على كل ما فيها من المؤن والذخائر . فامر كسرى بذلك وان يكون الجميع على اه
الرحيل والسفر في اليوم السابع .

قال هذا ما كان من كسرى ولنرجع الى العرب فان الامير سعد احضر في المساء جد
وزوبين وجعل يوبخهما ويشتمهما ويتوعدهما بالهلاك والموت وهما لا يعرهان بكلمة وزوبين يـ
ويتندم وهو لا يلين ولا يصغي . وقد قال لهما لو كان امركما بيدي لقتلتكما لا محالة ولكن أمر
عائد الى جدي الامير حمزة وبعد قليل يكون هنا ولا ريب انهُ يقتلكما ويمحو من الارض ذكر
فقد تعديتما عليهِ كثيرًا . وقد اذاقهما من العذاب اشدهُ وجعل يراقبهما بنفسهِ خوفًا من الخلاص
وبقي على ذلك مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لاح علم بيكار الاشتهار عن بعد واشرقت انوا
تضيء في الفلا من تكسر نور الشمس على جوهرتهِ الكبيرة الوهاجة وعلى عموده الذهبي المصقو
الوضاح . فخرج اذ ذاك اندهوق والامير سعد وطوربان وملوك التركمان وتقدموا الى ملاقا
سلطان العرب ومن معهُ ولما وصلوا ترجلوا وسلموا فالتقاهم الامير حمزة واولاده ومن معه
وسألوهم عما اصاب الاعجام فاخبره اندهوق بالنصر وبالاستيلاء على كل ذخائر الاعداء وباسر
زوبين وافلنطوش وعمر بن شداد وصقلان وسكاما فسرَّ سرورًا لا مزيد عليهِ وساروا جميعًا ا
ضواحي نهروان . فنظر الوزير عمر في البر فاختار مكانًا عظيمًا موافقًا لهم وامر ان تضرب الخيا
فيهِ وتنزل العرب هناك ويسرحون انعامهم في مراعيهِ ففعلوا ولم يكن الا القليل حتى امتلأت
تلك النواحي وضربت الخيام كل امير الى ناحية وكل ملك الى جهة وفي الوسط ضرب صيوا
اليون شاه وهو اعلى من الجميع على اعمدة من الذهب متوجة بالجواهر الكبيرة التي لا يوجد مثله
بين عالم الانس الاَّ جوهرة علم بيكار الاشتهار الذي ضرب عند بابهِ . وبعد ان استقرَّ بهم المقا
عاد اندهوق فاخبر حمزة بما فعل الامير سعد وكيف بدد شمل الاعداء واسر زوبين . فقال
سعد اننا كدنا نهلك لولا يدركنا اندهوق ويساعدنا ويخلصنا من ايديهم . فقال الامير نحن
نعرف ذلك ونعرف ان جهلك يلقيك بالمخاطر وان كنا نتأكد فيك الشجاعة والبسالة التي
لا توجد بغيرك من فرسان هذا الزمان لكن يجب من الان فصاعدًا ان تطيع اوامرنا وا
تعصاه والاَّ ولا تكون معنا . فقال لهُ يا جداه انت تعرف ما فعل زوبين الغدار مع امي في قد
الزمان وكيف قصد اذلالها واهانتها ولولم يخلصها ابي لكان فعل ما فعل وبعد ذلك غدر بج
وبهردكار وبنا واخذونا هو وافلنطوش الى المدائن واعتمدوا على هلاكنا بالنار لولم يسارع عم
العيار الى خلاصنا فكيف اسمع مثل هذه الاخبار واسكت عن اخذ الثار ولا سيما ان امي تدفعني

اليه وتحركني عليه ولا تريد ان احدًا ياخذ لها بثارها الاّ انا وهي تشتفي غليل قلبها من قتلها . وها قد انقضى الآن الامر ولم يبق الا صدور امرك بقتلها لينا لا جزاء غدرها . فسكت الامير وعرف ان الحق بيده وان قتل زوبين ورفاقه لا بد منه

ومن ثم امر السلطان ان تقدم الاسارى لبين يديه فجاءوا بهم مقيدين مذلولين مهانين ولما رآهم الامير حمزة والعرب تحركت فيهم شهوة الانتقام وقال لهم الامير حمزة قد آن اوان قتلكم وستجازون على فعلكم . فقال له زوبين وعلى اي شيء نستحق القتل وما فعلنا معكم شيئًا وقد خدمناكم مدة واخلصنا لكم الود وعبدنا عن صدق نية الحكم الذي لا اله الاّ هو فلم تقبلوا منا ذلك وكنتم تعاملوننا ببرود وعدم ركون وذهبتم وتركتمونا غير ملتفتين الينا كاننا من بعض العبيد على ان لو عاملتمونا كانفسكم لوجدتمونا صادقين معكم ولا اظن انكم تجازون الامناء بالقتل وانتم المتعدون على ما يريده الله سبحانه وتعالى ولا ريب انه يتكدر من اعمالكم ولا يعفو لكم هذه الخطيئة الاّ اذا اصلحتم معنا الماضي وصرتم تعتبروننا كاننا من امراء العرب ويركن الينا كبيركم وصغيركم ولا احد منكم يفكر اننا من اعدائه . فقال عمر العيار ان الزمن الاول قد مضى ولا طمع لكم بالخلاص قط . فقد عرفناكم وعرفنا انكم من الاشرار الاشقياء من جبلتكم الخيانة والخداع ولولا اخي حمزة لما تركناكم في ذاك الزمان لان كلامكم لا نصدقه ولا يمكن ان نصدق الكذب قط بل نعرفه واما الان فان امركم عائد الى خاطر السلطان قباط سلطان العرب ووليهم . فقال السلطان لا بد من محاكمتكم فاذا كنتم كما قلتم وكان الحق معكم عفونا عنكم والاّ حكمنا عليكم بالقتل او بالقصاص حسب ما استحقيتم ثم ان السلطان قباط اقام مجلسًا للحكم مركبًا من اسطون الحكيم والملك اسطفانوس جد عمر اليوناني وثلاث ملوك التركمان والنجاشي وفرهود ملك السودان . وقال هولاء ملوك ولا يمكن ان يحكموا ظلمًا وعين في اليوم الثاني محاكمة المجرمين فمن كان له دعوى عليهم فليدع في ذاك الوقت

ولما كان اليوم الثاني وجاء الوقت المعين جلس مجلس المحاكمة واحضر المجرمون مقيدين بارجلهم الى الحضرة وحينئذٍ تقدمت في الاول طورمان وادعت على ابيها وزوبين بانهما كانا في الاصل على وفاق عليها وان زوبين اخذها غدرًا وخيانة وقصد اغتصابها فجاء عمر اليوناني وخلصها وبعد ذلك لما غدروا بنا وقادونا الى المدائن ونووا كلّ النية على قتلنا وهلا كنا بعد ان اذاقونا مرّ العذاب . فقال زوبين اني ما غدرت بها قط وان كنت قد غدرت بها فقد سامحتني في المرة الاولى ولم تطلب الانتقام مني وحيث تركت حقها فلا حق لها من هذا الوجه واما من جهة الغدر فما غدرنا قط ولكن اغتظنا من عمل العرب معنا وكدرنا احتقارهم لنا فعلنا ما فعلنا واما امر احراقهم في المدائن فهذا لا يعنينا لكن من خصائص كسرى الملك الاكبر لان

امر الهلاك والبقاء عائد اليهِ ولامرهِ ولا علاقة لنا بهِ ومثل ذلك قال افلنطوش ثم اخبر حمزة بما فعل معهُ سكاما وورقا وعمر بن شداد وصقلان . والحاصل ان في النهاية حكم المجلس بوجوب قتل الجميع لانهم خائنون وجزاء الخائن الاعدام وطلبوا الى السلطان ان يامر بقتلهم . فقال اني اوافق على ذلك لانهم يستحقون القتل لا محالة ولا اظن ان الله سبحانهُ وتعالى يحاسبنا على قتلهم ولو كانوا كما يدعون على دين الحق مع انهم يكذبون بذلك فما هم الا من الاشرار الكذابين غير اني لا اريد قتلهم الا بعد ان ياتي كسرى ويتحقق وقوع الحرب بيننا وبينهم وارغب في هذا ان اقتلهم على مرأى من كسرى والاعجام فيعرفون احتقارنا لهم ويحرق قلوبهم عليهم ولا سيما قلب كسرى على ابن عمهِ ليتأكد بختك اننا ما فعلنا ذلك الا لنريهُ انهُ اذا وقع بايدينا فعلنا معهُ ذلك . فلم يعترض عليهِ احد في ذلك واخذ المجرمون الى مواضعهم الى ان ياتي كسرى وبقي السلطان قباط وجماعته في ذاك المكان مدة سبعة ايام اخر بانتظار العجم الى ان ظهر لهم غبارهم وقد سد الفضاء وملأ الجوّ الاعلى فعرفوا بوصولهم وحينئذٍ امر السلطان ان يرافقهُ الفرسان الى اكمة عالية ليروا جيوش كسرى ويشاهدوا داهور الهندي الذي حكى لهم عنهُ عمر العيار فجاؤوا مكانًا عاليًا مطلاً على الطريق واذا بجيوش كسرى اخذت في ان تتقدم وتتوسع في تلك الأرض وهي منتشرة كالجراد والاعلام تلوح من تحت الغبار ولا زالوا في تقدمهم حتى وصلوا من مكان متسع فضربوا خيامهم ونزلوا على جانب منهم وقد نظروا الى داهور وهو على ظهر الفيل وشاهدوا طولهُ وعرضهُ فتعجبوا منهُ وتاكدوا انهُ من الابطال الصناديد اصحاب البطش والقدرة العظيمة وصدقوا ما قالهُ عمر العيار وما منهم الا من حسب لهُ حسابًا . وقال الامير حمزة اني اقول ان في الدنيا كثير من الفرسان الذين امتازوا وفازوا ولا يقال ان هذا بطل الزمان فقد يوجد بدون شك اعظم منهُ ولا يعرف من هو الاول بينهم . ثم انهم رجعوا الى الخيام ينتظرون وقوع القتال

قال واما كسرى فانهُ نظر الى معسكر العرب وشاهد تلك الترتيب والعظمة التي هم عليها فقال لبختك انظر الى العرب فانهم يتظاهرون بالعظمة ويباهون كانهم من الاكاسرة واني لا انظر الى علم بيكار الاشبهار الا وينفطر قلبي ويتكدر خاطري ولا اعلم في اي زمان احصل عليهِ او انزعهُ من اعدائي . قال لا ريب اننا في هذه المرة نقلع اثار العرب ونبيدهم عن اخرهم ونرجع شرف الفرس وننصب العلم امام صيوانك . فاكتب الان كتابًا وارسلهُ اليهم واطلب ارجاع العلم المذكور وتهددهم بالفناء او يتفرقون ويسلمونك العلم ومهردكار وطوربان وحمزة واولادهم من نسائنا ولا ريب انهم شاهدوا كثرتنا وراوا ما اخافهم واضاع عقولهم واخبرهم انك تعفو عن كل من يطيع ويرجع عن مصاحبة العرب وتكافيهُ بالانعام الزائد . فاستحسن كسرى ذلك وكتب

كتابيًا الى سلطان العرب يامره ان ينزع التاج عن راسهِ ويحضر الى ديوانهِ صاغرًا فيعفو عنهُ وعن امهِ مهردكار واما ابوه حمزة فلا بد من قتلهِ وقتل عمر العيار ويطلب ان ياتيهُ ايضًا بعلم بيكار الاشهار ويامر الفرسان المجتمعة ان تتفرق كل واحد الى بلاده فيتخلص من غضب الاعجام ومن الانتقام . وعند ما انتهى من كتابة هذا التحرير بعثهُ مع رسول الى السلطان قباط فاخذهُ الرسول وجاء معسكر العرب ودخل صيوان اليون شاه ووقف باحتشام بعد ان ناولهُ المكتوب فاخذه قباط وفضهُ ثم دفعهُ الى وزيرهِ ليقراه علنًا ففعل حتى سمعهُ الجميع وحينئذٍ قال الملك للرسول اذهب الى مولاك وقل لهُ ان لا جواب عندنا الا الاسمر المندام والصارم الصمصام واننا ما جئنا هذا المكان الا لاجل محاربتهِ وفي كل نيتنا ان ننزع منهُ الملك ونلبسهُ ثوب الذل والهوان وليكن موكدًا عنده انا سنجعل المدائن خرابًا ونهدم على راسهِ الايوان ونبيد عن وجه الارض كل من لا يعبد الله العزيز الجبار

قال فرجع الرسول الى معسكر الاعجام ووقف بين يدي كسرى واعاد عليهِ كل ما سمعهُ وما راه من العرب وسلطانهم فغضب الغضب الزائد واقسم بالنار ذات الشرار ان لا يبقي من العرب ديارًا ولا من ينفخ بالنار . وامر العساكر ان تستعد تلك الليلة وتبات على نية المباكرة الى القتال والطعن والنزال وكذلك العرب فانهم هيئوا نفوسهم للحرب ودبروا ان يقتلوا الاسارى في الصباح فنصبوا في وسط الميدان ايوانًا من الخشب يظهر من كل الجهات ويعلو عن الارض نحو ذراعين . ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح فتقدم الفرسان لياخذ كل واحد مقامهُ ومرتبتهُ . وقبل ان يتم الانتظام احضر عمر العيار وجماعتهُ الاسارى باجمعهم ورفعوهم على ظهر الايوان وهم موثقين بالحبال واذ ذاك تقدم حمزة العربان وهو على ظهر جواده اليقظان ورفع صوتهُ ونادى بافصح لسان هيا فانظر يا كسرى انوشروان ماذا يجري بفرسانك واعيانك وابناء عمك وسوف يحل بك ما يحل بهم عن قريب من الزمان . ثم جرد حسامهُ من غمدهِ وهجم على ذلك الايوان وقبل ان يصل اليهِ سبقتهُ طوربان وصاحت يالثارات الشرف والناموس من هذا الخائن المهان . وضربت روبين الغدار بالصارم البتار . فقسمتهُ قسمين . والقتهُ الى الارض قطعتين . وجعلت تقطعهُ بحسامها قطعًا وهجم مثلها باقي ابطال العرب وكان حمزة قد قتل افلنطوش وقتلوا هم الباقين وقطعوهم اربًا اربًا . ولما راى كسرى ذلك طار الشرار من عينيهِ وكاد يغمى عليهِ وصاح من ملوء راسهِ بفرسانهِ ان تحمل على العرب وهو يلعن بختك ويذم الزمان بغيبته عن صوابهِ من جرى قتل ابن عمهِ افلنطوش

هذا وقد حمل العرب على العجم والعجم على العرب . وهاج زاخر بحر المنايا واضطرب . وتحرك سلطان العذاب والكرب . ونادى منادي الويل والحرب . وانفتح ميزاب الهلاك وانسكب

واحتظم صحيح الراحة وانقلب . وثبت قوي الجنان ونادى وانتسب . وتاخر ضعيف القلب يبحث عن طريق الهرب . وكان ذاك اليوم من الايام المشهورة . وحربة من الحروب المعدودة المذكورة بها سطا الامير حمزة سطوة جبار . ورمى الاعداء بشهب الهلاك والبوار . وقد دخل من اليمين فخرج من اليسار . واهلك في طريقه نحوًا من الفين من الاعجام الاشرار . ثم عاد فدخل ثانية في عباب تلك البحار . وفعل مثلهُ فرهود البطل المغوار . وقد قتل كثيرًا من ذلك الجيش الجرار . والقى بالوف من الفرسان على بساط القفار . واما اندهوق بن سعدون الاسد الكرار . فقد عمل عمل الاحرار . اصحاب العظمة والوقار . وارعب بفعلهِ قلوب الكبار والصغار . والمعتدي حامي السواحل فانهُ انزل بالاعادي الاخطار . ورماهم بسهم الذل والعار . وعمر اليوناني ابن الاخيار . وولدهُ سعد صاحب البطش والاقتدار . فانهما صبغا من الدماء بالاحمرار . واشعلا في قلوب جماعة كسرى مواقد النار . وكشفا عن ضعفهم غطاء الاسرار . وتكللا باكليل المجد والفخار . ولم يفعل اقل من فعلهما عمر الاندلسي والملك النجاشي وبشير وماشر فقد كشفوا الاستار وعززوا من العرب رايات الانتصار . وكذلك باقي فرسان العرب فقد خاضوا الغبار . وفعلوا افعالا تحير الافكار وتدهش الانظار . وتورخ في صحائف التواريخ مدى الادهار . وتذكر في محافل الملوك باعظم اذكار . ودامت الحرب قائمة الانتشار . وكلما تقدمت ساعات النهار . وعلت الشمس ذات الانوار . كلما اشتدت افعال الحرب بالاضرار . وزاد اشتباك المتقاتلين طلبًا للاختصار . وتحرك حقد المتحاربين الى الانتقام واخذ الثار . وطاف بهم عزرائيل الموت ودار . وحام فوق رؤوسهم غراب البين وطار . ونادى منادي الموت الا هبوا الى الرحيل عن هذه الديار . فقد فرغت الاجال والاعمار . وجاء يوم الحساب المسطور في دفتر الاقدار . وكانت الدماء تتدفق كالامطار . وتجري في اقنية الارض كالانهار . وتلتقي بعضها فتضطرب كاضطراب البحر الزخار . فاكتست الارض لونًا بلون البهار . وتغطى وجهها فلم يعد يعرف لهُ من اثار . ولا زال القتال شديد الوقوع الى ان اكتست الشمس شعار الاصفرار . وعولت الى الاختفاء خلف حجاب الاعتكار . وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال . وترك المتقاتلان القتال . وهما لا يصدقان بالخلاص من جور ذاك اليوم الكثير الاهوال . العظيم الاحوال . ورجع داهور الهندي بعد ان قتل كثيرًا من العرب وانزل بهم العطب ولو وجد ثلاثة فرسان مثلهُ في فرسان العجم لفازوا بالمطلوب ونالوا المرغب . لانهُ على ما يقال من طبقة الامير حمزة في القتال . واشد منهُ صبرًا عند النزال . الا انهُ لم يكن لهُ من التوفيق ما كان لذاك

وعندما رجع الى معسكره واجتمع في صيوان كسرى ودار بينهم حديث العرب قال بختك اني سررت اليوم فيما رأيت من عمل داهور الهندي والحق يقال انهُ اعظم بكثير من فرسان العرب

فما قصد كتيبة الا فرقها ولا طلب موكباً الا ومحقه . فقال كسرى انوشروان اني رايت ذلك وشاهدته الا اني ما رأيت داهور قتل فارساً من العرب الا بعد محاولة ومطاولة ولكن رايت من العرب ما ادهش النواظر وحير الخواطر . لانهم كلهم فرسان عظماء وملوك وابطال يندر وجود مثلهم فقد قتلوا كثيرًا من فرساننا واوقعوا بنا التاخير والعناء وكنت احترق من عمل حمزة وقلبي يتكدر من صولاته وجولاته وكلما قتل فارساً احترق من اجله قلبي ولعب بي الغضب وتمنيت ان اكون واصلاً اليه لاعدمه الحياة واجعل اخر ايامه من هذه الدنيا غير اني كنت لا استفيد الا زيادة تحرق وتحرك . فقال داهور في هذا اليوم راى العرب افعالي ومع ذلك فاني ما اظهرت كل قوتي ولا فعلت كما اريد بل جعلت اختبر قتال العرب واما في ساحة القتال ومع اني اعرف على ما رايت من فرسان العرب انهم نخبة ابطال هذا الزمان ويندر وجود مثلهم في الهند والصين والحبشة وكل مكان لكني اعدك بالفوز والنصر عليهم وقد اختبرت كبيرهم وصغيرهم وعرفت عيار شجاعتهم ورتبها بشجاعتي فعرفت بما ازيد عليهم . فسر كسرى منه وامل بالخير والنجاح وقال له اذا جئتني بالامير حمزة واخيه عمر العيار وهبتك نصف ملكي لان الاول اذلني واخذ بنتي واموالي بالرغم عني وبدد لي كثيرًا من جنودي وخرق حرمتي واخيرًا قتل ابن عمي واعز الناس عندي وعمر ايضاً فقد قتل مرزباني الاكبر ورفاقه وترك بلادي حتى اليوم بلا مرزبان وما من واحد يقدر ان يقوم بهذه الخدمة الا بعد ان يدرس قاعدة الدين عشرين سنة قال لا بد من قتل عمر العيار والامير حمزة وكل فارس وبطل من اعدائك ولا ادع احداً ايخاصمك

فهذا ما كان من كسرى وقومه واما ما كان من العرب فانهم رجعوا في المساء فرحين وقد اشتغلوا قلوبهم في ذاك اليوم وتاملوا بالنصر والظفر ونوال المراد وقد دعا الامير حمزة اليه طوربان وقال لها حيث قد قضي غرضك ونلت مرادك من قتل عدوك فما من حاجة بعد الى ان تقاتلي معنا لاننا لا نرغب في ان يقال عنا اننا نستنجد نساءنا مع ان ما من ضرورة تدعونا الى ذلك وكلنا ابطال وفرسان وفينا الكفاءة الى الدفاع والهجوم . قالت اني اطيع امرك واصغى اليك اصغاء صحيحاً لاني كنت لا اطيق ان اذكر او ارى زوبين الغدار وكلما لاح في خاطري ما عمله معي وكيف غدر بي اخيرًا واخذني للذبح والحرق بطير صوابي واود ان اشرب جرعة من دمه وكنت اخاف ان يقتل من غيري ولذلك كنت احرك ولدي على عداوته وبينما ارضعه كنت احكي له خيانة هذا الغادر حتى اذا صار به الكفاءة قتله وفرّج كربي . ثم التفت حمزة الى ولده عمر اليوناني وقال له اني لا اذن لك بعد الان ان تدعها تباشر حرباً وقتالاً بل تبقى في خدرها كباقي النساء . قال اني اطيع امرك ولكني لا اريد ان اعارضها بشيء ومهما ترغب فيه

تفعله لانها سيدة كريمة ذات تعقل وآداب وبسالة وحكمة ومن كان مثلها لا يملك بل يملك . فقال الامير سعد اني لا ادع امي تباشر حرباً ما زلت انا حيًّا الا اذا دعتها الضرورة الى ذلك وحكم القضاء به . ورجعت طوربان الى خدرها ومعها ابنها الامير سعد وهي فرحة به وقد طفئت جمرة غضبها وخمد اضطراب افكارها . ونام المتقاتلان في ذاك المكان يحارسان تحت مشيئة الرحمان . الى ان اشرقت شمس اليوم الثاني وضربت طبول الحرب والقتال . فاصطف الصفان . وترتب الفريقان . واشار سلطان العرب بالهجوم فهجمت الفرسان . كانها اسود خفان والتقى الجيشان والتطا كانهما بحران زاخران . فقامت القيامة من كل ناح . ونادى منادي الموت وصاح وعملت في الصدور عوامل الرماح . وفي الرقاب البيض الصفاح . وانقضى ذالك النهار على مثل اليوم الاول بل اكثر . فيه ارتفع شان العرب اي ارتفاع . واتسع مجدهم اي اتساع

قال وباتوا تلك الليلة على مثل ما تقدم وعند الصباح عادوا الى القتال وداموا على مثل هذه الحال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن قاتلوا الى اخر النهار وفازوا فوزاً عظيماً وقتلوا كثيراً من الاعجام وفي المساء عادوا الى الخيام وقد تكلموا بقرب تشتيت الاعجام وانقراضهم الى اخر الايام . واما كسرى وقومه فانهم اجتمعوا في الصيوان الكبير . وقال كسرى اننا في كل هذه الايام ما فزنا بنجاح ولا نلنا بعض مرام . وعلى ما اظن اننا سنغرق كما في مثل غير مرة ولم ار داهور البطل المشهور يفعل ما كان ينتظر منه . فقال بختك انه فعل وما قصر وهو يريد ان يترك العرب الى ان يتعبوا ويسكروا بخمر فوزهم ثم يضربهم فيبددهم ولا بد من ذلك عاجلاً كان او آجلاً . فقال داهور ان سبب التاخير هو كون رجال العرب فرسان وجبابرة وما منهم الا من يحسن الضرب والطعن والجولان كاشد فارس عجمي وعليه فلو كان رجالك من الثابتين اثناء الحرب والقتال لفزنا بالمطلوب . وحيث قد وصل الكيل الى حده فانى في الغد سابرز بنفسي واطلب اليهم النزال وان تاتي اليّ فرسانهم ومن جاءني قتلته في الحال ولا ريب اني بذلك ابيدهم ويعلم العالم اجمع اني وحدي الذي كسرت شوكة العرب وازلت سلطانهم فلا يجسر احد فيما بعد على مقاومتك ويعرف ان في خدمتك كثير من اعظم فرسان العرب . فقال له لا تطل مدة الحرب فان صبري قد فرغ وفرساني تقتل يوماً بعد يوم فوعده بختك عن داهور بكل ما يريد وانصرفت الجمهرة وذهب كل واحد الى صيوانه الى ان كان اليوم الثاني وفيه نهض العرب والعجم وتقدموا الى ساحة القتال وقبل ان يتم ترتيبهم وانتظامهم خرج داهور من بين رجاله وتقدم الى الساحة القتال وبين يديه موكب عظيم من الرجال والخدم وعندما صار في الوسط وقف وامر خدامه ان تتاخر والتفت هو الى جهة العرب واشار اليهم طالباً براز ابطالهم وفرسانهم

ومناديًا الامير حمزة في أولهم . ولم ينتهِ من كلامهِ حتى سقط اليهِ الامير وصدمهُ صدمة جبار عنيد . وبعد ان تجاولا كثيرًا بالكلام اصطدما والتقيا والتحما وصاحا وهمها . وبربرا ودمدما . وتطاعنا بالرماح الطوال . وقد احدق بهما الرجال . ينظرون نهاية هذه الحال . وما منهم الا من قوم سنانهُ . واوقف جوادهُ موجهًا الى جهة العدو عنانهُ . حتى اذا اصاب فارسهُ منكرًا صاح وهجم . وحمزة وداهور في قتال عظيم . ونزال جسيم . احر من شهاب نار الجحيم . وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان . كانهما كفتا ميزان . وقد ارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن النظار . و وضعهما تحت حجاب الاخطار . وقد ضاقت منهما الانفاس . و وقعا بالقنوط واليأس . حتى تقصفت في ايديهما الرماح . فاعتمدا على البيض الصفاح . وجرداها من الاغماد . وارسلاها تخيل لتخمد في الاوراد . فلله درهما من بطلين شديدين . وجبارين عنيدين . واسدين درغامين . وفارسين هاميين . تعلمت منهما الفرسان . كيفية الحرب والطعان . وقد نظروهما يدخلان من اضيق الابواب او يخرجان . سالمين من نكبات الزمان ولم يقدر احدهما ان يرجح على الاخر في قتالهِ . او يزيد عليهِ مقدار ذرة في نزالهِ . وتحيرت منهما الالباب . واخذ الجميع الاعجاب . هذا وكسرى ناظر الى ما يقع بين الفارسين وقد علق املاً كبيرًا بفوز داهور لما راه شديد الباس امام حمزة لا يميل ولا يتزعزع وقد قال لبختك الان يظهر فعل داهور واذا قتل حمزة انتهينا من حروب العرب واذللناهم الى اخر الايام . قال سوف ترى ما يرضيك الا تراه شديد البطش والاقتدار قد شغل حمزة واوقعهُ با لارتباك ولم يبقَ لهُ من بين يديهِ خلاص . ولا نجاة ولا مناص . وكذلك سلطان العرب والفرسان فانهم راوا ما لم يكن لهم في حساب . واضحوا في شدة قلق وارتياب . ينتظرون النهاية وانقضاء النهار ليرجع الامير بسلام لانهم خافوا عليهِ كل الخوف لما شاهدوهُ من شدة قتال داهور واما الامير حمزة فانهُ بذل جهدهُ في قتال خصمهِ وابدى كل ما عنده من الشجاعة والاقدام وتاكد ان داهور من اشد الفرسان الذين لاقوهم في زمانهِ . وانهُ يرجح عليهِ بالثبات والصبر على القتال . واشتد الضرب حتى لم يعد يرى بينهما الا شرارًا يتطاير الى الجو الاعلى من وقع السيوف على الطوارق . وتلهثا وتنهدا وتنفسا . وقد اخذهما التعب والملال . وضعفت منهما الاوصال . وفيما هما على مثل هذه الحال . راى الامير ان فيل داهور قد نفخ بخرطومهِ في الارض فاطار ترابها بكثافة ثم لاحهُ وقصد ان يضرب بهِ اليقظان . فاسرع الضربة سيف من يدهِ على ذاك الخرطوم الذي لا تعمل بهِ الصوارم ولا تخرقهُ الصواعق فقطعهُ نصفين . وفي اثناء ذلك رفع داهور يدهُ بالحسام وتمكن من ان ضرب بهِ حمزة باسرع من ريح الشمال فوقع على راسهِ وقطع الخوذة واصاب الدماغ وشعر الامير كان راسهُ قد طار . ورات فرسان العرب ما حل باميرها فصاحت وارتمت باسرع من لمح البصر وفعلت مثل ذلك فرسان الاعجام وقد امرها كسرى ان

لا تخلى عن داهور الذي رجع في الحال فقدم له قومه فيلاً اخر فركبه وعاد الى الحرب والتقى بالامير سعد فصدمه واخذ معه في القتال والطعن والنزال . واما الامير فانه رجع الى الوراء واخذه عمر الى صيوان مهردكار ودعا له في الحال باسطون الحكيم ليضمد له جرحه فنزع الخوذة عن راسه وشاهد ان الجرح بليغاً فجعل يصع له الماء البارد والامير يتوجع ويتالم ويتحرق وقد ايقن بالهلاك وقرب الاجل لان الجرح كان في مكان مميت والضربة شديدة

هذا وفرسان العرب والعجم في قتال شديد وحرب تمك الزرد النضيد . وقد اشغل سعد داهور والباقون اشغلوا قلوبهم من الاعجام وانزلوا عليهم سلطان الفناء والاعدام . وما منهم الا من يتمنى ان ياخذ بثار الامير في ذلك النهار ويشفي فواده من الاعداء الاشرار . غير ان قصر الوقت حال دون المطلوب . والشمس مالت الى جهة الغروب . وطلبت الاحتجاب والاختباء . غضبة مما وقع في ذاك النهار من الهلاك والفناء . وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع العرب والعجم عن القتال والعرب لا يصدقون بان يروا اميرهم حياً وقد شغلت افكارهم واضطربت قلوبهم ولما وصلوا اليه وجدوه يتالم ويتوجع ورأوا الجرح بليغاً جداً فخافوا من قرب اجله وجعلوا يبكون وينوحون عليه ويتوجعون لاجله . ولذلك عقدوا شورًا فيما بينهم . واجتمعوا عند السلطان فقال لهم اعلموا اننا اذا بقينا على القتال اما ننتصر واما نتاخر لان داهور يريد ان يديم البراز فيصطاد واحداً بعد واحد ولا بد من النظر في امرنا وان كنا نكمل النجاح ونقول ان لا بد من ان واحداً من فرساننا تساعده العناية عليه لكن بعد ان نخسر غيره وجل ما يهمنا ان ننظر في حال ابي الى ان يشفى ومن الصواب ان نترك هذه الارض ونرحل الى حلب او الى مكة فاذا اصاب ابي مصاب لا نفرح ولو ملكنا المدائن وقتلنا الف رجل مثل داهور وكسرى وبختك . فقال سعد اني ارغب في اللقاء ودوام الحرب ولا بد لي من قتل داهور واخذ ثار جدي منه . وجعل كل واحد من الامراء والملوك يبدي رأياً واختلفوا في ذلك وحينئذ قال عمر العيار ان الراي في ذلك للسلطان ولا نعرف ماذا يكون لنا في الاستقبال ومن الصواب ان اذهب الى الوزير بزرجمهر واعرض عليه امرنا واستشيره في ذلك لانه رجل خبير وحكيم عاقل ينظر في الامور بحل النظر ويعرف بذكائه وخبرته كيفية المصير فاستصوبوا رأيه وتركوا الحكم لبزرجمهر وللسلطان . وفي الحال غير عمر زيه وسار الى ان وصل الى صيوان كسرى فوجد اعيان الفرس بحظ زائد وكسرى يضحك من داهور ويقدمه اليه ويقول له اني اعترف بانك فارس فرسان هذا الزمان ولا يوجد مثلك قط لان ما من فارس او بطل قدر ان يجرح حمزة في وجهه في ساحة النزال الا انت وقد اشفيت لي فوادي في ضربتك هذه . قال سوف ترى ما ابدي لك في عساكر الاعجام وفرسانهم وان حمزة والحق يقال من الفرسان الاشداء لم ترَ عيني

اقدر منهُ او اشد باعًا من باعهِ لانهُ ضرب فيلي ضربت قطع لهُ خرطومهُ واذا لم يكن ضرب سيف زمانهِ الا هذه الضربة فاني اعترف لهُ بوحدانية الشجاعة لان جلد الفيل لا تقطع فيهِ الصوارم ولا السهام فهو اشد من الحديد صلابة . فقال بختك ان حمزة لا بد ان يموت من هذه الضربة لان الجرح في راسهِ وجرح الراس بعيد الشفاء . قال كسرى اذا مات وهبت داهور نصف مالي ومملكتي في ملكي وفي كل ما يريد من بلادي

ودام الحديث بين الاعجام الى ان انقضت السهرة وانصرف كل الى صيوانهِ وسار بزرجمهر الى صيوانهِ وهو متكدر الخاطر حزين القلب تكاد الدنيا ان لا تسعهُ وفي ظنهِ ان عمرًا لا بد ان يقصدهُ في تلك الليلة ولما دخل الصيوان دخل خلفهُ عمر وقبل يديهِ وعرض عليهِ واقعة الحال وما هو جارٍ على الامير من الوجع والالم . فقال لهُ اني اشور عليكم بالرحيل من هذه الديار وان تقيموا في مكة المطهرة الى ان يشفى الامير وما من نفع في بقائكم في هذه الارض فقد قتلتم كثيرًا من رجال الاعجام غير انكم لا تقدرون على قتل داهور فهو بطل لا نظير لهُ في زمانهِ ولا بد من ان يانيكم الفرج وانتم في مكة المطهرة ويظهر لي ان العناية لم تشاء الان ان تسعدكم بل بدأ الطالع نحسًا . ثم دفع اليهِ قارورة دواء وقال لهُ خذ هذا الدواء وادفعهُ الى اسطون الطبيب فهو يعرف كيف يستعملهُ وما من باس على اميركم فسوف يشفى و يعود الى الحرب كما كان . فمدحهُ عمر وقبل يديهِ و ودعهُ وكرَّ راجعًا وجاء صيوان العرب فوجدهم بانتظاره . فاعاد عليهم ما كان من امر الوزير بزرجمهر وانهُ يشور عليهم بالسفر والرحيل الى مكة المطهرة في نفس تلك الليلة فاجاب الجميع ونهض كل الى غرفتهِ وطائفتهِ ليسرعوا بالرحيل قبل الصباح وسار عمر الى صيوان اخيهِ حمزة فوجدهُ على حالهِ فدفع الدواء الى اسطون فاخذهُ وسكب منهُ على الجرح فارتاح الامير . وحينئذٍ حملهُ على هودج فوق ظهور البغال وهو ملقى على ظهره فوق فراشهِ وعنده مهردكار تلازمهُ وتخدمهُ واسطون يعالجهُ ويرد من جروحاتهِ . وعند ذلك ركب السلطان وامر ان ترفع الاحمال على البغال وتسير العساكر بالمحل ففعلوا دون ان يخرج منهم صوت ويسمع لهم غوغاء وضجة ولم يكن الا القليل حتى اخلى معسكر العرب تلك الارض وسار في طريق مكة المطهرة كما اشار عليهم الوزير بزرجمهر . وعند الصباح نهض الاعجام ونظروا الى نحو العرب فلم يروا منهم واحدًا فاسرعوا الى كسرى واخبروهُ بذلك فعقد ديوانًا واجتمع عندهُ الاعيان والملوك وقال لهُ بختك ها قد صح ما كنا نرجوهُ فان العرب هربوا من هذه الارض لما رأوا ان لا نجاة لهم وان اميرهم قد مات او قارب الممات وعندي من الراي ان نرسل خلفهم الديادبة لنعرف الى اين يسيرون فنتأثرهم ونقاتلهم الى ان نفنيهم دفعة واحدة ما زال عندنا البطل داهور يزيل عنا الضيم ويقهر لنا الاعداء ولا بد من ارجاع علم بيكار الاشتهار واخذ طوربان

ومهردكار والاستيلاء على الاموال والغنائم وكل ما هو عندهم. فارسلوا الديادبة لكي تراقبهم فساروا وبعد يومين عادوا واخبروهم انهم رحلوا وا في طريق مكة ليقيموا هناك فقال بختك لقد صدق قولي فانهم لا يقصدون ذاك المكان الا بعد ان يقطعوا الرجاء واليأس ومن ثم اتفق رأي كسرى وجماعته على المسير الى ارض مكة وملاحقة العرب الى ان يفنوا عن آخرهم واخذوا يتهيئون ويستعدون للمسير خلفهم وفي آثارهم وكسرى يزيد من اكرام داهور الهندي. ومن تعظيمه واعتباره ويعدهُ المواعد الحسنة

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من العرب فانهم داموا في مسيرهم مدة ايام حتى وصلوا الى مكة وعرف اهل المدينة بقدومهم فخرج الجميع الى ملتقاهم من الكبير الى الصغير مع الامير ابرهيم امير مكة وعند وصولهم الى العرب تقدموا من علم بيكار الاشتهار وسلموا على السلطان والفرسان وسألوا عن حمزة فاخبرهم عمر بانهُ مجروح في راسهِ وان الجرح عظيم الاهمية لكنهُ سليم العاقبة لا خوف منهُ . فتكدر الامير ابرهيم من ذلك الا انهُ كان من الانقياء فشكر الله على كل حال وسألهُ ان يشفيهُ وعلق كل امله بهِ . ومن ثم عادوا الى تلك الارض المقدسة فدخلوها وضربوا خيامهم فيها ومن خلفها وسرحوا بانعامهم واغنامهم . واقاموا للراحة ينتظرون شفاء الامير والفرج الموعود بهِ من عالم العناية . وما مضى الا ايام قليلة حتى قدر الامير على الانتباه والتمييز فرأى امهُ واباهُ عندهُ وزوجاتهِ وفرسانهُ فاحتار في ذلك وقال اين انا الان فقالوا لهُ في مكة عند ابيك وامك . فاظهر الغيظ وقال كيف جئتم هذا المكان والبستمونا العار عند الاعجام ولا بد لكسرى ان يقول ان العرب هربوا خوفًا من داهور وان كنت قد جرحت لهنا فان بينكم مثلي كثير وكلكم تقدرون على قتال داهور فلما الخوف والهرب . فقالوا وحياتك ايها الامير ان الهرب لم يكن بخاطرنا وجل ما كنا نرغب ان نديم القتال الى ان نفنى او تفنى الاعجام الا ان بزرجمهر اشار علينا ان نرحل عن نهروان ونأتي هذا المكان الى ان تشفى انت ويأتينا الفرج من العزيز الرحمن . فلما سمع ذلك قنع وعذرهم وقال لهم اخبرًا انتم تعلمون ان كسرى متقوٍ الان بداهور وقد رآهُ عمل ما عمل فراد طمعهُ بنا ولذلك لا يتركنا ولا بد لهُ من ان يأتي هذا المكان لمحاربتنا ونزع علم بيكار الاشتهار منا واخذ مهردكار وطوربان وتفريق سلطنتنا وارجاع العرب الى الذل والهوان ولذلك اريد منكم ان تهتموا بانفسكم وتعتمدوا على بعضكم البعض لتلاقوهُ الى ان اكون قدرت على الحرب والقتال فوعدوه بانهم يفدون نفوسهم امامهُ الى ان يموتوا عن آخرهم

ومضى على ذلك شهر من الزمان والعرب في ذاك المكان وحينئذٍ جاءت اليهم الاخبار بان كسرى قرب من المدينة المنورة بجيوشهِ الجرارة ومعهم داهور الهندي . فاهتم العرب واخذوا

في ان يتحصنوا الى ان وصل الاعجام ولاحت راياتهم واحتاطوا بالمدينة وضربوا خيامهم في ضواحيها واخذوا لانفسهم الراحة كل ذاك اليوم وفي اليوم الثاني جلس كسرى في صيوانه واجتمع اليه كل اعيانه ووزرائه واعوانه فامر بختك ان يكتب كتاباً الى العرب يغلظ عليهم بالكلام ويامرهم بالطاعة ونزع العصيان فاجاب طلبهُ وكتب في الحال

من الملك الاكبر كسرى انوشروان سلطان سلاطين هذا الزمان الى الامير قباط ابن الامير حمزة البهلوان

اعلم ايها الامير انكم قد اعتديتم وجرتم وظلمتم وتماديتم وقصد ابوك عنادي فتهاملت عنهُ وشفقت عليهِ فكفكر ان ذلك عن عجز مني او ضعف في فرساني فصرف كل همتهِ الى عنادي والتعدي عليَّ وفعل افعالاً قبيحة جداً لا مجال لذكرها الان حتى اخيراً لقي شرَّ عملهِ وقتلهُ داهور الهندي الذي لا يصطلى لهُ بنار ولا مثيل لهُ في هذه الايام . وعليهِ فاني اطلب اليك قبل كل شيء ان تسلمني علم بيكار الاشتهار وبنتي مهردكار وبنت ابن عمي طوربان التي قتلتم ابوها افلنطوش واحرقتم قلبي عليهِ وتردوا اليَّ كل الاموال التي هي عندكم وفي يدكم وتدفعوا ليدي كل ما هو متاخر عليكم من الجزية منذ عشرين عام الى هذه الايام . وفي الاخير توثقون عمر العيار بالحبال وتسلموه عن طوع واختيار لاقتلهُ واخذ لنفسي منهُ بالثار . وبعد كل شيء تتفرقون فيذهب كل ملك الى بلاده وقومهِ فاعفو عن الجميع واحسب ان لا عداوة بيننا فاذا فعلتم ذلك كان الخير والنجاح لكم وسلمتم من غضبي ونلتم رحمتي وشفقتي فاني اقسم بالنار ذات الشرار وبكل نجم دوار انهُ قبل ان تمضي ثلاثة ايام ازحف عليكم بجيشي وكل ابطالي وفرساني فافنيكم عن اخركم واسحقكم كالدقيق واخرب مدينتكم ولا ادع للعرب اسماً يذكر مدى الايام ولا يخفاكم ان عندي داهور الهندي وحيد عصرهِ وبهجة دهره وقد وعدني ان يفعل باجمعكم كما فعل باميركم فارسلوا اليَّ الجواب حالاً حالاً

وبعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب عرضهُ على كسرى فاعجبهُ وختمهُ بخاتمهِ وارسلهُ مع رسولهِ الى السلطان قباط فسار به حتى دخل صيوان البون شاه وتقدم الى ان وقف امام السلطان فسلم بترتيب واحتشام ودفع اليهِ الكتاب . فلم يقبل السلطان ان ياخذهُ منهُ بل اراد ان يعرفهُ ان اباهُ حيًّا فقال لهُ ادفع الكتاب الى ابي الامير حمزة فارس العرب واميرها فارتاع الرسول لانهُ كان يعلم ان حمزة قتل وكل الاعجام يتصورون ذلك ويتوهمونهُ فالتفت واذا بهِ يراه بعينهِ جالساً في الديوان الا انهُ متغير الالوان بسبب مرضهِ حيث لم يكن قد شفي بعد الى النهاية . فتقدم منهُ وقبل يديهِ واعطاه الكتاب فاخذهُ منهُ وناولهُ الى ابنهِ قباط وقال للرسول الا يظن قومكم وملككم اني مت وانتهى عمري قال نعم ياسيدي ولذلك تحيرت وارتعت عند ما

سمعت باسمك . وبعد ان قرأ عمر العيار وزير العرب الكتاب وفهم الجميع معناه فما منهم الا من اغتاظ واضطرب من كلام كسرى وتهديده . وعليهِ قال الامير للرسول اذهب الى مولاك واخبره ان لا جواب عندنا الا القتال والحرب والنزال وسوف نبيد ملكة ونهلك سلطانة ونجازي داهور على عمله واخبره ان سلطان العرب لم يقبل ان يكتب اليهِ الجواب لما تضمنهُ كتابة من قباحة المعنى والتهديد والوعيد . فاجاب الرسول بالطاعة وقبل ان يخرج قال لهُ حمزة اني عودتك في مثل هذه الزيارة ان اكرمك بالف دينار فخذها قبل ذهابك . ثم امر ان يعطى الالف دينار فقبضها وسار حتى دخل على كسرى ووقف بين يديهِ . فقال لهُ اين جواب الكتاب . قال اعلم ياسيدي ان الامير حمزة لم يقبل ان يكتب اليك كتاباً وقد قال لي ما هو كذا وكذا وان كتابك هو قبيح المعنى لا جواب لهُ . فاعترض عليهِ بختك وقال لهُ لا تقل حمزة فان حمزة قد مات وشرب كاس الآفات . قال كلا ياسيدي فاني اقول انهُ باقٍ في الحياة على حسب عادتهِ وقد شاهدتهُ عياناً وكلمتهُ شفاهاً وانا اعرفهُ جيداً وفي كل كتاب اسير اليهِ فاضطرب كسرى وارتاع وقال يا بختك اننا ما عملنا شيئاً وظننت اننا قطعنا راس الحية ومن السهل سحق ذنبها فجاء الامر بالعكس وها ان حمزة قد شفي ورجع كما كان ولا بد ان يعود الى حرب داهور في هذه المرة لياخذ لنفسهِ بالثار منهُ . فقال داهور لا تخف من ذلك فاني ساقتلهُ ولو قام من الموت الف مرة ففي كل مرة اقدر على ارجاعهِ فكن براحة من هذا القبيل ومتى خرج العرب الى قتالنا رايت ما يسرك . ولكن اريد منك انهُ اذا اجتمع الجمعان لا تهجم عساكرنا بل ابرز بنفسي . قال لا يمكن ان نقاتل العرب وهم داخل المدينة لانهم حتى الساعة لم يخرجوا لقتالنا وعندي ان من اللازم قطع الطرقات والتضييق على من هم في الداخل حتى نرى ما يكون من امرنا وامرهم . واكتفى الاعجام اذ ذاك بالتضييق على اهالي مكة وحصروهم في الداخل لبينما يلتزموا ان يخرجوا من المدينة لقتالهم ومحاربتهم . واما العرب فانهم كانوا بانتظار الامير حمزة الى ان يشفى تماماً ويمكنهم ان يحاربوا وهو معهم وكان عندهم من المؤن والذخائر ما يكفيهم الى سنين واعوام

هذا والامير حمزة يتقدم ويتعافى يوماً فيوماً وهو مع زوجاتهِ يزورهُ جميعهن في كل يوم واما مهردكار فانها كانت لا تفارقهُ قط ولا تبعد عنهُ لانهُ كما تقدم معنا في بداية هذه القصة انها كانت مخلصة لهُ الود كثيراً ومتعشقة بوجه لا يمكن ان يكون اشد منهُ ولا افضل واشرف وقد احتملت كل عذاب وكدر وتعب من اجلهِ وبعد ان كانت لا تخرج من قصرها في بيت ابيها وهي عائشة على الترفه والتنعم يخدمها الجوار والعبيد وكل اسباب الراحة بين يديها اصبحت مقيمة في صيوان كواحد من العرب تنتقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب متحملة مضارة

البرد وحرارة الشمس ومرارة السفر والعذاب فضلاً عما لحق بها من الهم والبكاء والنوح من دواعي الحروب المتواصلة ومصائب الامير وعذابهِ وكانت تتمنى راحتهُ ورجوعهُ عن عداوة ابيها . كل هذا كانت تلاقيهِ مفضلة رضاءهُ على كل شيءٍ ومع كل ذلك فانها كانت ترى منهُ بعض الاحيان بروداً وفتوراً وكلما راى فتاة جميلة يميل اليها ويطلب زواجها غير ملتفت الى خاطرها ولا مراعٍ مودتها ومحبتها ومن الواجب عليهِ لكونهِ اميراً ذا قوة ومروءة وبسالة وآداب ان لا ينظر الى غيرها قط ولا يميل الى سواها ليقدر حبها حق قدره وان يحفظ نفسهُ لها كما حفظت نفسها لهُ ويعهد باتكالهِ عليها كما تعهد باتكالها عليهِ . ولكن لم تكن كل القلوب كبعضها وقد اعتاد العرب ان ياخذوا اكثر من زوجة ولذلك لم يرَ ان من شرط المحافظة على ادبهِ ان لا ينظر الى غير مهردكار على ان الايام والحوادث التي قلبتهُ لم تدع قلبهُ على حالهِ بل غيرت منهُ كثيراً فنسي وعصى وخصوصاً ان الله سبحانهُ وتعالى يقصد امراً خفياً لتكثر اولاد الامير ويأتوا الى مساعدتهِ ويقيموا في خدمتهِ حتى بعد قضاء المقدر عليهِ وانثلال عرش كسرى تتسهل طرق النجاح للعرب وتنمو بامر الله ممالكهم وعليهِ فان مهردكار كانت تلاقي اشد الاخطار وترضى بان تتغاضى عن ذلك برضى الامير منهُ وكان زكاء عقلها وفرط تعقلها يحملانها على اظهار زيادة حبها لهُ مؤملة ان المعاملة الحسنة تزيد في اميالهِ نحوها مهما حال دون ذلك من الموانع والمصاعب ومهما اخذ من الزوجات وجاءه من البنين عالمة انها ارتبطت بهِ الارتباط الوحيد الذي تنتظرهُ البنت من حياتها وترجو من بعدهِ الراحة والهناء والانضمام الى مساعد معين يشترك معها في شدائها ورخائها وتعاستها ويقاسمها افراحها واحزانها وكانت مهردكار ترى نفسها مع ما عليهِ من عدم الراحة من اسعد نساء زمانها بسبب قربها من الامير وان ما يظهرهُ لها من عدم المبالاة لا بد ان يقضي عليهِ ذات يوم اما بشدة الحب فيعرف عظم ما تحملتهُ واما بالعكس فتميت نفسها وتتخلص من هذه الحياة لان الموت خير لها من ان ترى محبة الامير تنفر من صوبها او تقل او تكون اقل من محبتها كما هي . وكان كل ما يقع عليها من هذا الوجه تعلل لها عللاً واسباباً فتعذرهُ من اجلها فما تزوج بفتاة الا وقالت في نفسها انهُ مضطر الى ذلك وان الظروف قضت عليهِ بهِ ولا حكى لها كلمة عن هجرهِ من ابيها وندمهِ على زواجها الا وفكرت ان الغيظ حملهُ على ذلك وان قلبهُ لا يمكن ان يتحد مع لسانهِ في هذا المعنى لانها تعرف انهُ حارب كثيراً وخاطر بحياتهِ كثيراً من اجلها . ولكن شتان بين وفاء الزوج ووفاء الزوجة لانهُ مهما اخلص الود واراد المحافظة على نفسهِ حباً بها لا يمكن ان يكون ذلك قرين الصحة الى الحد الاخير ما لم يكن الدين سبباً على العفة ومراعاة جانب زوجتهِ حق المراعاة لكنما الزوجة اذا ارادت فعلاً اخلاص الود لزوجها ووطدت العزم على تخصيص نفسها بهِ قامت بذلك حق

القيام وذلك لانهُ بقدر ما يكون القلب رقيقًا يكون عشقهُ شديدًا وحبهُ خالصًا وكلما قسا تقسو بهِ العواطف الحبية ومن المقرر الثابت ان قلوب النساء ارق بكثير من قلوب الرجال وانهن اكثر شفقة ومودة وان الغش لا يتولد بهن من نفسهِ اذا لم يكتسبنهُ من غيرهن هذا اذا كان كلاً منهما صحيح العقل ولا ريب ان القارئ سيطلع على ما يكون من الامير حمزة مع مهردكار بعد زمان ليس بطويل من تلك الايام

ولما شفي الامير ورجع الى عادتهِ واصبح كانهُ لا جرح ولا اصيب بنكبة من نكبات الحروب والايام واراد ان يعود الى الحرب والقتال والطعن والنزال على حسب عادتهِ وهو يرغب في ان يلتقي بداهور الهندي لياخذ لنفسهِ منهُ بالثار ويعدمهُ الحياة وحينئذٍ سال ابنة السلطان قباط ان يامر العساكر بالخروج الى ضواحي المدينة لمحاربة الاعجام ففعل وفي الحال خرج القبائل الذين في المدينة المنورة وقد ضربوا طبول القتال واصطفوا بقصد الحرب والنزال فعمل الاعجام كاعمالهم وباقل من ساعة حملت الطائفتان على بعضهم البعض وارتجت لحملها جنبات تلك الارض . ووقع قتال عظيم لم يسبق لهُ نظير قبل تلك الايام اسودت بهِ السماء وحجبت عن الارض بغبار المتقاتلين وما برحوا على ذلك الى المساء وعند المساء رجع الجميع الى الخيام وباكروا في اليوم الثاني الى الحرب وكانت اعظم من اليوم الاول . وفي اليوم الثالث كذلك الى ان مضى نحو خمسة عشر يومًا على مثل هذه الحالة وفي اليوم السادس عشر برز داهور على ظهر فيلهِ وطلب الامير حمزة فبرز اليهِ في الحال وصدمهُ صدمة الابطال واخذ معهُ في الطعن والضرب . والاخذ والرد والكر والفر حتى تعب كل التعب ولم ياخذ احدهما من الاخر لا حقًا ولا باطلاً وعند المساء رجعا عن القتال وفي قلب كل منهما نيران الاشتعال كيف لم ينل من خصمهِ ما يطلبهُ ويرجوهُ ويرغبهُ وفي اليوم التابع عادا الى مثل ذلك وفي المساء انفصلا وداما في قتال مدة عشرة ايام دون ان ينال الواحد من الاخر مرامًا او يلوح لهُ فيهِ وجه مطمع وفي اليوم العاشر رجع الامير حمزة غضبانًا جدًا ومتكدرًا من ثبات داهور دون ان يقدر على اخذ ثاره منهُ وعرف انهُ اشد باسًا من فرسان العرب باجمعهم . ولما اجتمعوا عند المساء في صيوان اليون شاه دار الحديث فيما بينهم بشان داهور فقال الامير يا اخي والحق يقال اكاد اعجز عن قتالهِ وحربهِ ونزالهِ وما قاتلت في زماني فارسًا مثلهُ ولا اظن اني الاقي ولا اعرف كيف اقدر ان اتخلص منهُ واخلص ثاري ولا اعرف هل ان النصر يكون في الاخر لي او لهُ . وحينئذٍ نهض اندهوق بن سعدون وقال اعلم ايها الامير اني كنت احب قبل الان ان استأذن منك بقتالهِ غير اني كنت اخشى من ذلك ولا سيما اني اعرف موكدًا ان داهور اشد مني باسًا ولولا ذلك لما قدر ان يثبت امامك يومًا واحدًا والان حيث اني اريد ان افديك بنفسي ارجوك السماح لي والاذن

بقتاله فاما يقتلني واما اقتله وأريح الدنيا من شره ومن بعده يتفرق العجم واذا قتلت انا فعندنا مثلي فرسان وابطال كثيرون ولكن اذا قتلت انت فما عندنا مثلك قط . فقال الامير ان ذلك رابع المستحيل فقد عرفت ان داهور بطل نادر المثال ولا اريد ان اخاطر باحد من فرساني لاجله فكل واحد عندي منكم يساوي الف داهور لانكم تعبدون الله سبحانه وتعالى وتخدمون مكة المطهرة . ولا بد لي من مداومة القتال بنفسي ولو ان الله سبحانه وتعالى يريد لي مكروهًا لما شفاني من تلك الضربة المميتة . وحينئذٍ قال الامير سعد اني كنت احب ان اجرب نفسي مع داهور باجداه فاتعلم منهُ ما ينفعني فارتاع الامير من ذلك لانهُ يعرف عناد سعد وقال لهُ اياك من ان تفكر بمثل هذا الامر فما من احد يقاتلهُ غيري لان لي ثارًا عليهِ . قال اسمح لي ولو يومًا واحدًا فاذا نجوت لا اعود الى قتالهِ واذا قتلت يكون بمساعدة من الله وبدعائك . قال هذا لا يكون قط ولا تفعل ما لا نريده . فقال عمر العيار ان امر قتال داهور مفوض لخاطر الوزير بزرجمهر فاريد ان اذهب اليهِ واستشيرهُ في هذا الامر واعرض عليهِ واقعة الحال ولا بد لهُ من فكر يبديهِ ولو كان داهور يموت عن يد اخي حمزة لما بقي الى اليوم واخاف ان تقع في مصيبة جديدة وكان عمر قد قال ذلك ليقلل من امل سعد ببراز داهور ويمنع اخاهُ عن برازه لانهُ خاف عليهِ وربما فكر بعمل حيلة لخلاص العرب . فاجاب الجميع طلبهُ وشكروهُ على رايهِ . وحينئذٍ نهض عمر وتزيا بزي واحد من حجاب كسرى وخرج في الحال باسرع من ريح الشمال واختلط بين الاعجام وباقل من ربع ساعة وقف بين يدي كسرى كواحد من حجابهِ وصغى الى ما يقولون وسمع كسرى وقومهُ يتباحثون بشان العرب وقد قال لهُ داهور اني تعبت جدًّا من قتال حمزة واما اعترف انهُ بطل عظيم وهو خصمي في الميدان ولو صرفت الدهر في قتالهِ لما قدرت ان اصل اليهِ او قدر ان يصل اليّ لاننا كلانا متساويان واريد ان نترك الحرب مدة ايام الى ان ارتاح مما لاقيت لان ليس في الاعجام واحدًا اخر يحمل عني الاثقال او يحميهم من ضربات الاعداء بخلاف العرب فانهم كلهم فرسان وابطال فاذا قتل الواحد قام الاخر مقامهُ واذا مرض احدهم سد غيره مسدهُ . فقال بختك اننا نحمل في العدد بالعساكر فيمكنك ان ترتاح ولا نقاتل معنا يومًا او يومين ومن ثم اطلب البراز فيانيك حمزة ويكون في هذا القتال غير مرتاح لانهُ يكون قاتل وناضل . فاستصوب كسرى كلامهُ واجاب طلبهُ وانهُ في الصباح اذا نهض العرب الى القتال يباكرهم رجالة ويقاتلونهم الى المساء

وبعد انفصاء السهرة سار عمر العيار في اثر بزرجمهر حتى دخل صيوانهُ فدخل خلفهُ واجتمع بهِ على انفراد وقبل يديهِ وبلغهُ سلام العرب واخبرهُ عن صحة اخيهِ واستشارهُ في امر القتال وانهُ جاء مخصصًا اليهِ بهذا الشان . قال لو جئتم اليّ وسالتموني في الاول لما تركتكم تقاتلون ابدًا

الجزء الثاني عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

كيف ان امي اخفت عني امرها وماذا تقصد بذلك قالت لا ريب انها تخاف من ان تترك بلادك وتذهب اليهِ وهو في عداوة عظيمة مع كسرى ملك الانس الاكبر ولهُ اكثر من عشرين سنة وقد لاقى اموراً كثيرة وطارة خاسراً وطوراً فائزاً ولكن اخبرك انهُ اشد العالم بسالةً ونشاطاً وكرامة وإني اتمنى ان اكون عندهُ لو كان يمكني ذلك لان امي لا تفارق ملكها ولا تترك بلادها وليس لها غيري فالتزمت ان ابقى عندها . وبعد ذلك جاءت اسما برّي بسيف الشاه يافوت الازرق ودفعتهُ الى رستم فرنم وقالت لهُ ان هذا السيف لا يثمن بثمن فهو اعجوبة بين سيوف الانس والجانّ . قال لها حسناً فعلتِ وإشكرك على ذلك ثم جاءتهُ بفرس ادهم وقالت لهُ ان هذه اسمها سلمى الدهماء وهو اشبه بفرس ابيك اليقظان فلما راهُ زاد فرحهُ بهِ وسرّ سروراً عظيماً وقال لها جزاك الله خيراً فاني بحاجة الى مثل هذا السيف والجواد . ثم انها اخذتهُ ودارت بهِ في كل النواحي حتى تفرج على كل ممالكها وصرف نحو اربعين يوماً وبعد ذلك طلب اليها ان ترجعهُ الى بلادهِ . فاجابت الى ذلك وامرت خادمها كندك المارد ان يطير بهِ الى بلادهِ فحملهُ وحمل الجواد وطار بهما في الجوّ الاعلى حتى وصل الى قيصرية فانزلهُ في الخارج ووضعهُ ورجع الى جبال قاف فركب الجواد وهو من تحتهِ كالبرج المشيد ونزل الى البلد فوجد قومهُ وجماعتهُ باضطراب عظيم وقلق زائد ولما راوهُ انحدروا اليهِ وسلموا عليهِ وهم يتعجبون من فرسهِ وحالهِ وسالوهُ في اي مكان كان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها ومن ثم انصرف الى امهِ فوجدها باكية نائحة . فقال لها لما هذا البكاء قالت لهُ من اجل فرقتك فاني كنت مشغلة الفكر بسببك قال اني جئت ولا لزوم للبكاء بل للفرح وكثيراً ما رايتك على مثل هذه الحالة فاسالك فتقولين لي تذكرت اباك الى غير ذلك من التقولات الفارغة مع انك تخفين الحقيقة وتزعمين انّ ابي مليّناً فاخبريني من هو ابي وكيف كانت قصتك معهُ لارى هل ان ما سمعتهُ صحيحاً . فتاكدت انهُ اطلع على حالة ابيهِ وعرفهُ . فقالت لم يبقَ من وجهٍ للاخفاء واني اريد ان اطلعك على حال ابيك ولو ما اطلعك احد عليهِ لان الوقت حكم بذلك فابوك هو الامير حمزة العرب ابن الامير ابراهيم امير مكة وقد جاء هذه البلاد وتزوج بي وحكت لهُ القصة من اولها الى اخرها وقالت لهُ اني كنت ناوية كل النية ان لا اخبرك بامر ابيك خوفاً من ان

تترك بلادك وتذهب اليولانة في غنى عنك وهو رجل يحب الحروب والغارات وقد عادى اكبر ملوك هذا العالم وسيدهم الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان واخذ منه بنته بالرغم عنه وتركه ذليلاً حقيرًا الى اخر الازمان . ولما غبت في هذه الايام وشغل فكرنا من اجلك خفت ان تكون اطلعت على سر المسألة وعرفت ما هو مخفي عليك فذهبت الى هنالك ولم تعلم احدًا بذلك فارسلت رسولاً الى حلب فغاب اكثر من شهر ثم عاد اليَّ واخبرني ان العرب ذهبوا الى نهروان فقتلوا ابن عم كسرى وجماعته ثم جمع عليهم كسرى ١٢ كرة من العساكر فحاربوهم عدة ايام وكادوا يبددون شملهم غير ان في الاخير تبارز ابوك مع فارس من الهنود يركب الافيال فجرحه وبعد ان جرحه رحل العرب كلهم الى مكة ولم ياتوا حلب مع ان نساءهم واولادهم هناك . ولا يعلم احد ماذا صار به ولذلك تراني ابكي وانوح واندب حظي كيف اني لم اكن عنده لاخدمه واداري جرحه واكون قادرة على الحصول على رضاه كغيري وربما يكون هذا الجرح مميتًا فيموت ولا اراهُ ولا يرى ولده رستم ويسر به وندمت كثيرًا على ما سبق مني . فلما سمع رستم هذا الكلام قال لقد صح ما سمعته يا اماه من ان ابي هو الامير حمزة واعتب عليك كيف اخفيت عني امره وكيف تقبلين وانا اجلس هنا براحة وحظ وهو يقاتل الفرسان الكبار الذين اتمنى ان اقاوم في الميدان وخصوصًا ركبة الافيال الا تعلمين ان مثلي اذا كان عند ابي يفوز به على العجم ولا ريب اني اعضده واساعده . فقالت له اني اعرف ذلك ولكن عند ابيك نحو ثلاثين فارس مثلك من نخبة الفرسان وابطالها كل واحد يتكفل بمائة الف فارس عند القتال بعضهم يقاتلون على الافيال وبعضهم على الخيول ولا سيما ان عندهم عمر العيار ابو عيارك سيار فانه آفة العرب ومدبرهم ومنجيهم من الشدائد والاخطار لا نظير له في العالم قاطبة الا اذا كان ابنه سيار فاذا تعلم منه فن العيارة نفع العرب كثيرًا ثم اطلعته على ان عمرًا تزوج باحدى جواريها فجاءت بهذا الولد فاخصته لخدمته كما اختص ابوه اباهُ فقال لها كوني حاضرة فان لا صبر لي على فراق ابي واني بعد ثلاثة ايام سأسير الى مكة المطهرة وارى ابي هناك فان كان حيًا اجتمعت به واقمت عنده كل الايام واي شيء ارتجي في هذه البلاد واذا كان قد مات سرت الى بلاد كسرى وقتلته ونزعته عن الايوان وعدت فجمعت العرب من جديد ولا ارجع ما لم اخذ بثار ابي من قتاله

وفي اليوم الثاني جاء الى سرايته واجتمع بالامير صيصان وقال له نبه على رجالك ان تستعد الى السفر فاني قد عزمت على الرحيل الى مكة المشرفة . قال ماذا تريد ان تفعل هناك قال مرادي ان اذهب الى ابي الامير حمزة البهلوان فاقيم عنده حياتي بطولها ولا افارقه . فقال له من ابن حمزة البهلوان والدك وهو فارس الحجاز وبطل هذا الزمان ومذل كسرى انوشروان

وعندهُ من الابطال والفرسان ما لا يوجد مثلهم في هذه الاكوان . قال وهل تعرفهُ قال كيف لا وقد مرَّ من بلادنا مرارًا فاضفناه وترحبنا به خوفًا من سطوته لانهُ جبارٌ لا يصطلي لهُ بنار ولا يقف امامهُ لا صنديد ولا جبار وعنده فارس اسمهُ اندهوق بن سعدون من الهنود يقاتل على الافيال وعنده ايضًا المعتدي حامي السواحل وهو نادرة هذا الزمان وقد تزوج باخته سلوى وعنده بشير ومباشر وقاهر الخيل ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وانضم الى خدمته الملك النجاشي ملك الحبش وعمر الاندلسي امير المغاربة وفارس الغرب وملوك التركمان والاكراد . وعندهُ ابنهُ عمر اليوناني ابن بنت ملك اليونان وابنهُ الامير سعد فارس هذا الزمان من طوربان بنت ابن عم كسرى الذي لا يلقاها فارس في ساحة الميدان وعنده ملك القسطنطينية وملك اليونان وغيرهم من الملوك العظام وفي الاخير انضم الى خدمته وتحت رايته فرهود صاحب التكرور وملك السودان وهو من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام . ولو كنت اعرف بان اباك الامير حمزة لاخبرتك عنهُ من زمان ولا تركتك تبقى هنا ولا يومًا واحدًا وانا على الدوام استقصي اخبارهُ واسال السياح والسعاة عما جرى بينهُ وبين كسرى لان هذه العداوة تهم العالم اجمع واصبح كل الناس من الشرق الى الغرب ينتظرون نتيجتها ليعرفوا نهايتها ولم يُسمع ان حربًا اتصلت الى اكثر من عشرين سنة وكم هو جميل ان تكون مع ابيك واخوتك . فزاد شوق رستم الى ذلك وقال لا بد من المسير فهل سمعت ان ابي مجروحًا قال سمعت ذلك وانهُ اخذ الى مكة وسمعت ان الجرح غير مخطر وانا انتظر ان اسمع ماذا جرى بعد جرحه قال سنسعى نحن خلف ذلك . واشتهر في المدينة ان الملك ووكيلة الصيصان سيسيران الى مكة وقد اخبر بابيه الامير حمزة فاخذ كثيرون منهم ان يستعدوا للسفر معهُ الى مكة المطهرة وبعد ثلاثة ايام ركب فرسهُ وتقلد بسلاحه ورفع امهُ وجاريتها ام سيار على هودج من الحرير وسار عن قيصرية بعد ان اقام عليها حاكمًا من قبله واوصاهُ بالعدل والانصاف وسار في ركابه نحو ثمانين الف فارس ما عدا العبيد والخدم وسار بين يديه سيار العيار كانهُ السهم الطيار وركب العساكر وما برحوا في مسيرهم ورستم يتمنى ان يطير ليصل الى مكة ويشاهد اباهُ واخوتهُ واهلهُ وهو يتصور كيف يجتمع بابيه اذا راه حيًا وكم يفرح به اذا راه وشاهد منهُ انهُ فارس عظيم ثقيل العيار وهو يسال الله ان يكون اباه في قيد الحياة ولم يبقِ بينهُ وبين مكة نحو يومين واستلموا الطريق القويم قال رستم للصيصان سيرا انت على مسير العساكر واعتني بوالدتي واما ارغب في ان اسبقكم واجتمع بابي واعرفهُ بنفسي فلم يقدر على مخالفته وسار كما تقدم معنا وبين يديه سيار العيار الى ان التقى بعمر وجرى ما جرى واخبر بان اباه قد مات فزادهُ حسرة وضاعت كل اماله ولم يبقَ همهُ الا ان ياخذ لنفسه بالثار

فهذا ما كان من قصة رستم فرتم ولنرجع الى سياق الحديث قلنا بقي في قتال داهور وهو يصول ويجول من حواليه كانه القضاء المنزل حتى اتعبه واكربه وضيع منه صوابه وشاهد تقصيره وعرف انه ما عاد يقدر على الثبات واذ ذاك سد عليه طرقه وطرائقه وصاح بصوت اشبه بالرعود القواصف رن في اذان تلك الجموع الغزيرة التي كانت مع كثرتها ساكنة لا تبدي حركة منتظرة نهاية القتال ماخوذة من افعال الامير رستم الذي لم يخلق على وجه البسيطة في ذاك الزمان اقدر منه بالجولان وسرعة الضرب والطعان فكان من هذا الصوت ان استدعى انتباه الجميع وسمعه البعيد والقريب من جيوش مملكتي الفرس والعرب وقال في صياحه هلموا ايها العرب اصحاب الشرف والحسب وكل من اليهم انتسب وانظروا فعل ابن الامير حمزة البهلوان في عدوه داهور المندي القرنان وتذكروا هذه الضربة الى اخر الزمان وتناقلوها لسانًا عن لسان . وانسانًا عن انسان . ثم رفع يده بالحسام حتى بان ما تحت ابطه وصاح يالثارات الامير حمزة يا لثارات الامير حمزة ونزل بالسيف يهوي كانه الرعد القاصف وراى داهور ذلك فارتبك ولم يعد يعرف يمينه من شماله ورأى الموت عيانًا ومد يده بالطارقة ليلتقي سيف الامير رستم وهو سيف الشاه ياقوت الازرق فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين واصاب الخوذة فابراها واصاب راس داهور من اعلاه فلقه ونزل السيف باسرع من لمح البصر حتى اصاب ظهر الفيل فنزل به نحو شبر بن فوقع داهور قطعتين وضرب الفيل بخرطومه الارض من شدة الالم واراد ان يضرب رستم به وينتقم لنفسه منه فاسرع بان ضربه ضربة ثانية القاه مائتًا وسمع صوتًا من عموم العرب لا شلت يداك يانسل الاخيار وبالعكس صاحت رجال الاعجام وتمنت قطع يداه ووقع كسرى وبختك بالغيظ والكدر وفي تلك الدقيقة صاح الامير حمزة بفرسان العرب ان تحمل من كل ناحية ومكان وحمل هو في مقدمتها كانه الاسد الريبال فارتمت العربان على الاعجام واشغلوا فيهم ضرب الحسام وقد ترجح لهم الفوز والنجاح في ذاك اليوم العظيم الاخطار الكثير الزحام فدافع العجم دفاعًا قويًا وقاتلوا قتالا شديدًا على امل الثبوت الى اخر النهار ومن ثم يطلبون الهرب تحت ظلام الاعتكار فقامت القيامة وقلت السلامة واخذ الجبان الندامة فاندفقت الادمية كالسواقي من كل ناحية ومكان وتجدولت في حفر الارض كالغدران ولم يسبق ان سمع بمثل ذاك اليوم منذ قديم الازمان لان رستم فرتم فعل افعال الجان . فافنى جموع كسرى وشردها . واضاعها وبددها . وفعل مثله الامير حمزة البهلوان وهو مسرور القلب فرحان . باعمال ابنه عروس الميدان . وبطل الدهر والاوان . وكذلك عمر اليوناني فانه من فرحه باخيه طال واستطال . واجهد نفسه في القتال وفرق الجموع من اليمين ومن الشمال . وتركهم عبرة لمن ياتي بعده في الاجيال . وهكذا الامير سعد فقد اكثر الكر والفر والقرب والبعد وهو يمدد بالرجال على

بساط الوهاد . ويضرب فيهم ضرباً يذهب بهم الى راحة الرقاد . اما اندهوق والمعتدي وباقي الفرسان الاقيال فقد فعلوا افعال اسود الدحال . ووطدوا العزم بان لا يرجعوا عن ساحة القتال الاَّ بعد تفريق الاعجام الارزال . وفيها الحرب قائمة على ساق وقدم وقد اختلطت ببعضها تلك الامم مسلمة بارواحها الى سلطان العدم . واذا بالامير صيصان قد وصل ورأى المعركة مشتبكة فحمل وحملت من خلفهِ فرسان الرومان من خلف الاعجام وعملوا في اقفيتهم بالصارم الصمصام . فتوهموا ان الارض كلها رجال وخاف كسرى من ان يقع في ايديهم او يصاب بمصاب فامر حراسهُ ان تسرع بهِ من ذلك المكان وكرَّ راجعاً يركض ومن خلفهِ بختك وبزرجمهر وباقي اعيان الفرس ولما رأى قومهُ ان ملكهم قد هرب الووا اعنة خيولهم وطلبوا الفرار واملوا بالخلاص من العرب فلم يمكنهم منهُ حتى التمكن بل داوموا القتل في اقفيتهم الى الظلام وقد قتلوا منهم كثيراً ومن ثم رجعوا الى المدينة سالمين غانمين فرحين الاَّ الامير رستم فانهُ جعل يبكي وقد تقدم منهُ الامير حمزة وقال لهُ ياولداهُ هلمَّ اليَّ لاسلم عليك . فقال لهُ قبل كل شيءٍ وقبل ان اسلم على احد منكم دلوني على قبر ابي الامير حمزة لانزل عليهِ وابكي هنالك فلا اكون عرفت احداً قبلهُ لابي محروق الفواد على ان اراهُ ولم يسمح لي الزمان ان اقبل يديهِ واريد ان ابشر ترابهُ صريحهُ باني اخذت لهُ بالثار من عدوهِ الغدار واعدهُ اني لا ارجع حتى افني الاكاسرة والاعجام ولا ادع واحداً من عبدة النار واذا كان ذلك لا يكفي لحقت بني الانسان الذين لا يعبدون الواحد الديان فلما سمع حمزة كلامهُ تاكد انهُ يظنهُ ماتاً فرمى بنفسهِ عليهِ وقال لهُ ابشر ياولدي فقد نلت من زمانك ما تمنيتهُ فانا هو ابوك حمزة وجعل يقبلهُ فقبل يديهِ وهو يتعجب ويكاد لا يصدق انهُ ابوه بعد ان تحقق موتهُ وحينئذٍ وصلت مريم بنت قيصر فنزلت عن الهودج وسلمت عليهِ باحتشام وقالت لابنها هوذا ابوك يا اماه . فقال اني اعجب من ذلك لان عمي عمراً اخبرني انهُ قتل وان الذي قتلهُ هو داهور المعدي . فقال عمر لا تصدق ذلك فهذا ابوك وما قلت لك ذلك الا لازيدك ميلاً للانتقام والحمد لله فقد قضيت الغرض وشفيت المرض

قال ومن ثم تقدم اليهِ جده الامير ابرهيم وسلم عليهِ فقبل يديهِ وتبرك من ركبتهِ وسلم عليهِ اخوه عمر اليوناني والملك النجاشي وباقي فرسان العرب وملوكها وساروا بهِ الى صيوان اليونان شاه والتقى باخيهِ السلطان قباط فقبل كل منهما الاخر وسلم عليهِ وجلس بقربهِ وهو ماخوذ من كثرة فرسان العرب وجعل كل واحد يهنيهِ بدوره ويسلم عليهِ وقد عاد فقبل يدي ابيهِ ثانياً وقال لهُ لا تلمني يا ابتاه على تقاعدي عن خدمتك الى هذا اليوم واني كنت لا اعرف انك ابي وقد كتمت امي عني حديثكم ولو عرفتهُ منذ الاول لكنت من زمان هنا واي شيءٍ احب لديَّ من اكون مع ابي واخوتي واهلي . فقال لهُ ان امك معذورة في ذلك لانك وحيد عندها وحيث

كنت صغيرًا كان لا يسعها ان تشغل فكرك بغير ما يفيدك فاخذت عنك خبرنا واما عندما رأت انك صرت كافيًا وافيًا بالمطلوب جاءت بك . واقام الامير رستم هناك باقي السهرة وقد اعاد عليهم قصته من الاول الى الاخر وبعد ذلك ساروا به الى صيوان ضرب له بين قومه الرومان . وفي اليوم الثاني عملوا له الولائم والدعوات وذبحوا الاغنام واصبحت المدينة المنورة زينة في الوجود ترهج وتبتهج باولئك الابطال والفرسان وسادات ذاك الزمان وصرفوا نحوًا من شهرين على مثل هذه الحال وقد غنم الكبير والصغير من اموال الاعجام وغنائمهم التي تركوها وصار صغيرهم وخادمهم يحوي على خيول وجمال وبغال واغنام وعدد الى غير ذلك كانه من الاغنياء وبعد مضي شهرين . جمع السلطان سادات وملوكهم وقال لهم انتم تعلمون ان كسرى لا يستخف به ولا يهمل فاذا تركناه على حاله عاد فجمع العساكر والابطال اكثر من الاول باضعاف وعاد الينا لان ما دام الوزير بختك عندهُ لا يتركهُ ان يسكت عن قتالنا . ومن الموافق ان نسير باجمعنا من هذا المكان وننزل في ضواحي المدائن ونطلب الى كسرى ان يسلمنا بختك وان يصالحنا على شروط نطلبها اليه فان اجاب قتلنا بختك وعدنا من هناك والا حاصرنا المدائن وهدمنا الايوان ونزعنا ملك كسرى الى اخر الايام . فاستصوب الجميع كلامه ورأيه وعولوا عليه الى ان كان بعد عشرة ايام ركب الملك العربي وهو قباط ابن الامير حمزة بن ابرهيم ورفع فوق راسه علم بيكار الاشتهار ومشى بين يديه الخدم والعيارون واحتاط به الحرس من كل ناحٍ ومشت الفرسان كل قبيلة تحت امرة سيدها وتحت علمها المخصوص فمن مصريين واحباش وروماني ويونان ومغاربة وسودان وسوريين وهنود واكراد وتركمان غير الى ذلك من كثرة الاجناس وتنوعها وما زالوا في مسيرهم عدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى المدائن وهناك ضربوا خيامهم وسرحوا انعامهم ووصل الخبر الى كسرى في الحال فخاف من ان يهجموا على المدينة فيدخلوا اليها ويملكوها وامر ان تقفل الابواب جيدًا ولا تفتح فيما بعد وحاصر في الداخل ينتظر الفرج وملاقاة امره مع العرب وهو حزين جدًا على ما لحق به من الفشل والخسارة والذل والعار وقد قلت قيمته وضعفت سلطنته وكسرت شوكته . وبعد ان استقر بالعرب الجلوس اخذ الملك قباط فكتب كتابًا الى كسرى يقول له فيه

بسم الله الواحد القهار العزيز الجبار . خالق الليل والنهار لا اله الا هو رحيم رحمن له وحدهُ الملك والعظمة والسلطان

من الملك قباط ابن الامير حمزة ملك ملوك العربان الى الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

اعلم ايها الملك الاكبر اننا وان كنا قد فزنا عليك واستظهرنا ونلنا ما نتمناهُ الا اننا ما

زلنا نعتبرك ونحترم قدرك لانك سلطان جليل القدر عظيم الشان وجدي ابو امي وابي هو صهرك ولذلك لا نرغب في اخراق حرمتك ونحب ان نستتصل هذا الشر والعناد من بيننا وذلك لا يمكن ولا يرتفع القتال ونعود الحال الى مجاريها الا بعد قتل بختك الوزير الذي كان السبب في كل ما جرى حتى قتل الوف والوف الوف بسببه منذ اول يوم دخل ابي المدائن الى هذا اليوم ولذلك نريد منك ان تسلمنا اياه لنقتله بايدينا وبعد ذلك تعترف بسلطنة العرب واستقلالهم التام وان لا يكون للفرس عليهم فيما بعد لا جزية ولا ضريبة وان الملوك والبلدان التي دخلت في ايدينا تكون لنا مع ملحقاتها وتوابعها ومن شاء من الامراء والملوك ان يترك سلطة الفرس ويدخل تحت سلطة العرب يكون له الخيار فلا احد يعترضه في ذلك ومن شاء من الذين مع العرب ان يخرج عن طاعتهم الان وينضم اليكم فلا نمنعه فاذا تم ذلك رحلنا عنك وتركنا لك بلادك وسالمناك الى الابد ونحن نامن على ذلك ما دام بختك لا يوجد في دوائك والا ما زال حيًّا فانه لا يلبث ان يعود الى الافساد فسلمنا اياه تسلم بلادك والا زحفنا عليك وخربنا ملكك واهلكناك ونزعنا تاج الاكاسرة منك وحملناه الى العرب ونقلنا الدولة الكسروية الى العربية وابدنا كل عبدة النار الى اخر الادهار فاذا احسنت كان خيرًا وسلامًا . والا فتلاقي ضيرًا وانتقامًا

وبعد ان فرغ من هذا الكتاب طواه وبعثه مع رسول الى كسرى فاخذه وسار به الى الايوان فصعده وتقدم من كسرى وهو في ديوانه وسلمه التحرير فقراه وعرف رموزه ومعناه والتفت الى بختك وقال له ماذا اجيب عنه والعرب يطلبون الينا ان نسلمهم اياك ليقتلوك ويعدموك الحياة وقد اصابوا في ذلك لانهم كانوا عبيدي وتحت طاعتي فعملت على هلاكهم حتى خرجوا عن طاعتي وعملوا على عداوتي وساعدهم الزمان واذا لم احمهم هلكت الى الابد وخسرت الاعجام السلطة ابدًا قال اصبر ياسيدي عليّ بعض ايام وانا اتعهد لك بارجاع العرب عن بلادك ريثما انظر في طريقة تريح بالك وتحفظ حياتي وحياتك ولا تصدق ان العرب يرضون بي لانهم كذابون ويعلمون اني بتدبيري اقدر على انقراضهم وكلهم فرغبوا في قتلي وبعد ذلك يسهل عليهم كل ما يطلبون وربما بعد قتلي طلبوا قتلك وحينئذٍ لا يعود يقف احد في طريقهم فاصرف الرسول الان الى ان نرى ما هو حسن . فسمع كسرى الى كلامه وخاف من ان يسلمه اليهم فيفقد تدبيره ومشورته ويعدم من فطانته وركائه . والتفت الى الرسول وقال له انا سنرسل الجواب الى مولاك في غير هذا اليوم بحيث نكون قد فكرنا في طلبه فرجع الرسول واخذ بختك في التدبير والتفكر مدة ثلاثة ايام وهو يجهد نفسه ليرى طريقة يتخلص بها من العرب ويخلص المدائن وفي اليوم الرابع جاء ديوان الملك كسرى وهو باسم الوجه مسرور الخاطر فقال له اني

ما فكرت فان الوقت حرج ونحن تحت الحصار . قال اني صرفت الجهد ولم ارَ الا طريقة واحدة وهي ان تبعث بوزيرك بزرجمهر الى سلطان العرب ويكون الواسطة لصرفهم عن المدينة لانهم يحترمونهُ ويحبونهُ كواحد منهم ولما كان الامير حمزة يحضر في ديواننا كان لا يخالف ابدًا بزرجمهر ولا ريب انهُ اذا سالهم الانصراف انصرفوا واذا بقوا فيكون هو قد حملهم على ذلك وهذا اعتقادي ويقيني . فلما سمع كسرى هذا الكلام تمسك بهِ وقال لبزرجمهر اي وزيري اني افوض اليك هذه المهمة واسالك دفع العرب عن المدينة واذا قصدت ذلك فانك تقدر عليهِ لا محالة . قال سابذل جهدي فيهِ وانت تعلم اني ارغب في حسم النزاع بينك وبينهم وكلما اجتهدت في اطفاء جمرة العدو ان اجتهد غيري في اشعالها ولذلك لا اظن ان العرب يصغون اليَّ اذا لم يوافقهم كلامي قال لا بد من مسيرك اليهم فانت امين على بلادي فدبر ما شئت من هذا الوجه واصرف الغاية الى اقناعهم . فنهض بزرجمهر وركب بغلتهُ ومشى خدامهُ في ركابهِ وخرج من المدينة وبقي سائرًا حتى وصل الى معسكر العرب . وهناك وصل الخبر الى الامير بقدومهِ فاسرع في الحال الى ملاقاتهِ مع فرسان العرب اجمع ولما وصلوا اليهِ ترجل وسلم عليهم فسلموا عليهِ وقبلوا يديهِ ومشوا امامهُ باحتشام واحترام حتى دخل صيوان البون شاه فلاقاه السلطان الى الباب وسلم عليهِ واجلسهُ الى جانبهِ وامر ان يؤتى لهُ بالشراب وقال لهُ الامير لم تاتنا ياسيدي الا لغاية مهمة لا نعلمها فافدنا عنها هل ان كسرى قبل ان يسلمنا بختك ويقبل الشروط التي اشار بها ولدي قناط سلطان العرب . قال اعلم ان بختك طلب الى كسرى ان يرسلني اليكم بشان الصلح وادفعكم عن المدينة وكنت احب ان لا اجيئكم في ذلك لكنهُ الحَّ عليَّ بهِ . فقال السلطان قناط انظر ايها الوزير الحكيم في كل شيء تريده فاننا باجمعنا طوع امرك وتحت ارادتك ولا نعصى لك امرًا قط فاذا امرتنا بالرحيل رحلنا واذا امرتنا بالبقاء بقينا . قال اني مرتاب في هذا الامر لان بختك اذا رحلتم يعود الى اضرام نار البغض في قلب كسرى فيعيده الى الحرب والقتال ويجمع ضدكم الفرسان والابطال وربما اكثر من الاول باضعاف ولا اعلم ماذا تنتهي اليهِ فيما بعد احوالكم مع انكم الان قادرون على اجباره على كل ما تريدون وجل غايتي ان تقرضوا الدولة الكسروية لا لقلة اماني لها ولا بغضًا بها بل لانها تبغض كل من يعبد الله سبحانهُ وتعالى وعاملة على عبادة النار في المساء والصباح و باقي الاوقات واي شيء احب لديَّ من ان ارى الاعجام باجمعهم يسجدون لله ويوحدونهُ ويسجونهُ ويسمعون كلمتهُ ويهدمون معابد النيران . ومن وجه اخر اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل وينتبه كسرى في اماني ويظن اني اتفقت معكم على دوام العناد

فحينئذٍ قال لهُ الامير حمزة اننا نحترم قدومك علينا فلا نعيدك بالخيبة فاخبر كسرى اننا

صالحناه ولا نريد منهُ شرطاً غير اننا لا نرحل عن بلاده بل نبقى نحو شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة فيمكن لرجالنا ان يدخلوا المدينة ولرجال الاعجام ان ياتوا معسكرنا دون ان يكون بيننا من العداوة ما يمنع ذلك ومن ثم نرى ما يكون من امره وهل ان باطنهُ صفى الى الغاية ويمكن في هذه المدة ان نرتاح نحن ايضاً من اتعاب السفر . واسارك ايضاً ان بختك لا يمكن ان يرانا بالقرب من المدينة ويسكت عن عداوتنا فاذا بدأ منهُ شيء جديد يكون الحق عليهِ ويحتج امام كسرى بانهُ ما عمل على الوفاء بل يقصد لنا الشر . فاستصوب بزرجمهر ذلك واقام عندهم نحو ساعتين وقد تناول الطعام وشرب الشراب وودعهم وعاد الى المدينة ففتحت لهُ الابواب ودخل وسار الى الديوان . فقال لهُ كسرى احمر ايها الوزير العاقل هل قبل العرب واجابوا الى الصلح . قال اني صرفت وقتاً بالمحاورة معهم وجل ما قدرت ان اجريهُ هو انهم قبلوا بالصلح وان لا يطلبوا لذلك شروطاً ولكن لم يقبلوا بالرحيل لخوفهم ان بختك يعيد اليك جرثومة الانتقام فتجمع العساكر بقصد حربهم فاعتمدوا ان يقيموا مدة شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة وما من مانع يمنع اختلاط العسكرين اذ لا يكون بينهما لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وكل ما مضى يكون منسياً من الطرفين فقط لا يحضرون الى ديوانك ولا يحضر احد من قومنا الى ديوانهم فلما سمع كسرى ذلك سرَّ سروراً لا مزيد عليهِ وقال لا بد من ان في هذه المدة نرى طريقة الى مرضاة العرب وحيث وعدوا بعدم القتال فانهم يقومون بوعدهم وكذلك بختك فانهُ رأى ان العرب قد تنازلوا عن قتلهِ فلم يعد يهتم الا بهلاكهم وامن على نفسهِ من الموت والهلاك

واجلى العرب عن المدينة وبعدوا قليلاً عنها وانتشر خبر السلام بين العرب والعجم فسرَّ لهُ جميع سكان المدينة وفكروا ان الحرب ستنقضي بعد مدة ولا يكون من ثم عداوة بين الفريقين وصار اهل البلد يخرجون الى معسكر العرب ويبيعونهم من فاكهتهم واثمارهم ولم يبقَ من مانع يمنعهم عن بعضهم البعض ودامت هذه الحال الى مدة سبعة ايام غير ان في كل هذه المدة كان لهيب العدوان يشتعل في قلب بختك الوزير حتى كاد يقتلهُ واعمى الحسد بصره واضاع صوابهُ ففضل الموت على هذه الحالة واخذ يبحث عن طريقة تكدر العرب وتضعفهم وكان يحب حرق قلب الامير حمزة وتركهُ بلا راحة طول حياتهِ وبضعف شوكتهُ ويذلهُ ولم يرَ وسيلة الى ذلك الا السعي الى قتل اولادهِ واحداً بعد واحدٍ اما بالحيل والخداع واما بطريقة اخرى . ولما تقرر في ذهنهِ هذا الامر جعل يفكر في اتمامهِ وكان يؤكد انهُ اذا قتل الامير رستم وعمر اليوناني مات الامير حمزة حزناً عليهما وكانت احرتهُ اخرة قلق وعدم راحة وعناء وما برح على ذلك الى ان لاح لهُ وجه الحيلة . وحينئذٍ اجتمع بقرمز تاج ابن كسرى وقال لهُ اني اريد ان

اطلعك على امر الك فيه الخير والنجاح ولكن قبل كل شيء ارغب في ان تقسم لي بكتمان الامر وعدم اظهاره امام أحد من كبير وصغير قبل اتمامه . فاقسم له بذلك وشد الاقسام . فقال اعلم ايها السيد العظيم اني في هذا اليوم اجتمعت بابيك ودار بيني وبينه الكلام بشان الملك فقال لقد سئمت نفسي وارى ان ايام حياتي الاخيرة لم تكن ايام راحة وهناء ولذلك اريد التنازل عن الملك لولدي خرسف لانه حكيم عاقل وصاحب تدبير وهمة ونشاط . فاعترضت عليه في ذلك وقلت له اذا كنت قد نويت كل النية على التنازل فسلم الملك الى ابنك قرمزتاج لانه ذو همة ونشاط واشد ادراكًا من اخيه خرسف فقال لي ان قرمزتاج محب للعرب وفي كل يوم يذهب الى ما بينهم واني حتى اليوم ما رايت منه عملاً يذكر يستحق به ان يكون ملكًا على بلاد الاعجام وطال بيني وبينه الجدال ولم اوافقه عليه وحاولت ان اترك المخابرة بهذا الشان الى يوم اخر بينما اكون قد اجتمعت بك ودبرنا طريقة ترضي ابيك ويظهر بها فضلك على العجم . فلما سمع قرمزتاج ذلك انعطف اليه قلبه وقال لبختك انت ابي فدبر امري وانظر في ان لا ياخذ الملك اخي خرسف فاني لا اطيق ذلك ولو خسرت روحي واذا ساعدتني عليه شاركتك في الحكم وجعلت لك الارزاق زيادة عما لك الان . قال اني فكرت في ذلك كثيرًا فلم ارَ الاَّ طريقة واحدة وهي اقدر بها ان اسمع ابوك واقوده وازيل من راسه المحبة التي يحتج بها ويلزمك لذلك ان تكون حكيمًا حسرًا الى حين يسعد الامر . قال قل ما تشاء فاني اخاطر بروحي لاجل غايتي . قال انت تعلم الان ان السلام واقع بيننا وبين العرب الى مدة شهرين وبعد ذلك لا بد من عودتهم الى الحرب فيسرعون الملك منا وقد رايت رايًا حسنًا وهو ان نتوصل الى اسر احد اولاد الامير حمزة ونخفي امره ثم باسر غيره حتى تضعف العرب فاذهب اولاً الى عمر اليوناني وكل الطعام عنده واسط مودتك اليه وفي اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث اعزمه الى قصرك واحذر من ان يعلم احد بذلك ومن ثم نقبض عليه وسلمه الى ابيك واقول له هوذا ولدك يهتم بامر الملك ويظهر بان اعماله ناجحة ثم ارى ما يكون وعليَّ فيما بعد تدبير الاحوال ونهاية العمل . فقال قرمزتاج سوف انهي لك ما اشرت وافعل ما اردت فكن مطمئنًا ولا ادع اخي ياخذ الملك ويكون ابي راضيًا عليه اكثر مني .

ثم ان بختك فارق قرمزتاج واوصاه بالمحافظة على هذا السر كثيرًا وارسلا يدع العرب يدركون ما هي غايته واجتمع بالامير خرسف ابن كسرى الثاني وقال له نفس الكلام الذي قاله لاخيه من ان اباه يرغب في تسليم الملك اليه وقد دافع في ذلك وعانده كثيرًا فارتاح خرسف وسلم بكل ارادته الى بختك وقال له دبر في امري فمن غيرك لا اروم نجاحًا . قال اني رايت من الصواب ارضاء لخاطر ابيك ان تسعى الى رستم فرخزاد بن الامير حمزة وتصادقه وتضيفه ثلاثة ايام

سرًا ثم لعزمهٔ الى قصرك ليتناول الطعام عندك وحينئذٍ نقبض عليهِ ونسلمهُ الى ابيك فيعرف فضلك على اخيك واهتمامك بامر نجاح الدولة . قال سوف ترى مني ما يرضيك ولا بد من اسر رستم فرتم بالحيلة التي دبرناها وبذلك اكون مستحقًا الملك وممتازًا بالاعمال على اخي . وسرّ الوزير بختك لما راى ان الاثنين انقادا اليهِ ولاح له ان اولاد الامير سيقعا في يديهِ قريبًا فيعدمهما الحياة ومن ثم يدبر في هلاك غيرهما . وفي الصباح خرج قرمزتاج من المدينة وسار حتى جاء صيوان عمر اليوناني فدخل وسلم عليهِ فترحب بهِ كل الترحيب ولاقاه احترامًا لزيارته وقال ان كسرى ابي رايت من العار علينا ان يكون السلام بيننا ونحن نتقاعد عن خدمتكم وزيارتكم اولاً لانكم ضيوفنا وفي بلادنا وثانيًا لاننا نرغب في ان تمكن المودة بين العرب والعجم ونقلع الشر ونزيل الاسباب ونعطي العرب حقهم ولو اطاعني ابي الان لقتل بختك بن قرقيش ورضي على ابيك وارتاح باقي عمره لكنهُ يحبهُ كثيرًا ويعتبر كلامهُ ويخاف سوءهُ وانا اصبحت مغتاظًا من ذلك ولا بد من ان نصطحب نحن ونجعل حدًا لهذا العدوان مع اننا كلنا من الجنس البشري وعادة الهكم هي اصح بكثير من عبادة النار الموجعة . فقال لهُ عمر ان الشر لا ينقلع من بيننا الا بعد ان تسلمونا بختك قال اني لا اقبل بالحرب بعد ذلك فكن شاهدًا عليّ . وحينئذٍ امر عمر بان يوتى بالطعام والشراب ووقع بينهما الاصطحاب والتوداد واقام كل ذاك اليوم هناك وعند المساء عاد الى المدينة واطلع بختك على ما كان فمدح منهُ كثيرًا وسرّ من اعمالهِ وحينئذٍ جاء خرسف فصرف قرمزتاج وقال لهُ لا تظهر امام اخيك شيئًا من هذا لانهُ ربما يكون ادرك غاية ابيك فجاء اليّ لاقر اليهِ الملك وادعهُ يسلمهُ اياه وهذا لا يمكن ابدًا فودعهُ وخرج فرحًا ثم دخل خرسف وقال لهُ اني ذهبت في هذا اليوم الى الامير واقمت عنده كل النهار وقد اكرمني مزيد الاكرام واضافني الضيافة الحسنة واعاد عليّ مرارًا الرجاء باستئناف الزيارة فوعدتهُ ورجوتهُ زيارة فاجاب اني عندما ادعوه ياتي وانهُ يريد الفرجة على المدينة حيث لا يعرفها قبلاً ولا بد له من المساعدة في حسم النزاع بين الدولتين اذا سلمناك ابيهِ وقد وعدتهُ بذلك . قال تممت النار مسعاك واذا فعلت ذلك نلت السعادة والاقبال وفقت على اخيك وكان لك الحق في التملك على البلاد باجمعها وقد رايت اخاك الان عندي وهو يريد مرضاتي والاقتناع مع ابيهِ على تسليم الملك ليدهِ لانهُ ادرك ذلك وعرفهُ وربما كان ابوك هو الذي اخبره بهِ ووعدهُ بذلك فصدق خرسف هذا الكلام وعزم كل العزم على اتمام حيلتهِ ووعد الوزير انهُ في اليوم الثالث لا بد من ان ياتي بالامير رستم الى المدينة وهو يدبر طريقة القبض عليهِ

ومن ثم فارقهُ وذهب الى قصره مشغل البال خوفًا من ان يضيع الملك من يدهِ ومثلهُ كان اخوه قرمزتاج وفي اليوم الثاني ذهب كل واحد منهما الى صديقهِ وصرف النهار هناك ومكثا الحب

بينهما وعند المساء رجعا واخبرا بخنك بكل ما كان في ذلك اليوم وفي اليوم الثالث فعلا كالأول
وقبل انصراف النهار بقليل دعى فرمزتاج عمرًا ان يزوره والح عليه وانهُ قد اعد لهُ الضيافة الى
مدة ثلاثة ايام ليقابل زيارتهُ بالمثل وانهُ يذهب واياه الى قصره ويعرف جميع الفرس بهذا الحب
ويؤملون النجاح ورجوع المحبة بين الجميع الى الابد فوعدهُ بكل خير وقال لهُ اني اذهب واياك
منذ الان وفي الحال سارا وبعد نحو دقائق قليلة سار ايضًا رستم وخرسف وهما لا يعلمان شيئًا
من امر عمر وفرمزتاج ومشيا في طريق المدائن هذا ما كان منهم واما ما كان من عمر العيار
فانهُ كان قد راى اولاد كسرى يخرجان من المدينة وكل واحد يسير الى صيوان واحد من
اولاد حمزة فقال في نفسهِ لا بد من دسيسة يدسها الان بخنك ولا بد من كبح عملهِ ومنع غايتهِ
وجعل يراقب الحركات في الليل والنهار الى ان راى في ذلك اليوم عمر اليوناني سائرًا مع فرمزتاج
الى جهة المدينة فقال قد تمت الحيلة ولا بد من اخبار حمزة قبل بلوغهما ابواب المدينة وانطلق
راكضًا وقبل ان يصل الى صيوان الامير حمزة راى الامير رستم وخرسف ايضًا سائرين فعرف
باطن المسئلة واسرع حتى جاء صيوان اليونشاه وقال لحمزة انهض وانظر فعل العجم لتتأكد لك
الخيانة فقد احتالوا على ابنيك وسحبوهما وهما الان سائرين الى المدينة ليقبضوا عليهما ويقتلوهما
فركض حمزة في الحال الى جوادهِ فركبه وسار بهِ عمر كالبرق الخاطف حتى اوصلهُ من اقرب
طريق الى باب المدينة واوقفهُ هناك وجواده يكاد يهلك من كثرة الجرى والعرق يتدفق من
مسام جلدهِ واذ ذاك وصل اليهِ عمر اليوناني ومعهُ ابن كسرى الاكبر ولما وصلا اليهِ حياه
فرمزتاج وهو متكدر الخاطر وقد خفق قلبهُ وخاف من ان يكون حمزة قد لحظ الى هذه الدسيسة
فلم يجب الامير الا باللوم والتعنيف ولعن ابن كسرى وشتمهُ وقال لهُ لولا وعد الوزير بزرجمهر
بالهدنة والسلام لقتلتك الان وخربت المدينة قال وما هو ذنبي يا سيدي ونحن الان اصدقاء
وقد اقمت ثلاثة ايام عند ابنك وما خفت على نفسي. وكيف اغدر بهِ وهو صار كاخي قال لا
ريب انك تقصد الخيانة والا لما قصدت ان تدعوهُ الى الضيافة الى قصرك دون ان يكون لنا
اطلاع بذلك ومعرفة ولو تمت حيلتك لتعذر علينا معرفة مكانهِ وفي الحال وصل الامير رستم
وخرسف ففعل حمزة بهما كالاول وقد ارجع اولاده وطرد اولاد كسرى وجاء الصيوان وهو
يرتجف من الغضب ولما جلس كل واحد في مقامهِ استعاد حمزة القصة من ولديهِ فاخبره كل
واحد منهم بما كان من امره مع ضيفهِ وقال لهُ رستم انك تظلم خرسف لانهُ لا يقصد شرًا ولا
يزال قلبي حزينًا عليهِ . قال عمر العيار ان كل الشر في قلبهِ والمقصد الوحيد هو القبض عليكما
فكل واحد جاء من اولاد كسرى خفية ولم يدع ان يعرف احدكما بالآخر . قال وما ذلك
بسبب لان كل واحد يصاحب واحدًا فهما اولاد ملك عظيم ومن شرفاء الفرس ونحن ايضًا في

مقامها ولنا الحق بالاجتماع مع بعضنا وجلّ غايتي ان انفرج على المدينة واذا قصدوا الشر لنا لا يصادفون نجاحًا لاننا نقدر على الدفاع عن انفسنا حتى هلاكهم جميعًا فكونوا براحة على انفسنا فقال الامير حمزة اني اعرف جيدًا مكرهم وخداعهم فلا اريد بعد الان ان يخاطر احد من اولادي بنفسه واني احرم دخول المدينة على كل واحد من فرساني بدون علمي وعلم السلطان قباط .

وكان عمر اليوناني قد ادرك هذه الغاية وعرف الحيلة فقال لابيه كن براحة يا ابي فاننا نعدك بان لا نعمل شيئًا فيما بعد الا بشورك ومعرفتك ولولا عمي عمر لنفذ فينا المقدر وتمت حيلة الفرس فالحمد لله على ما انعم علينا به فهو لا يريد لنا شرًّا

وكان رستم لا يزال متصورًا في عقله ان ابن كسرى لا يقصد له شرًّا وان من غايته ان يجازيه بالجميل على اكرامه اياه ولذلك كان قلبه لا يزال منعطفًا الى جهة خرسف ولكنه سكت احترامًا لابيه ووعده كاخيه . وكان يحنك في ذاك اليوم ينتظر رجوع اولاد كسرى ناجحًا وهو يعد نفسه بالقبض على ابني حمزة العظيمين وعند المساء ذهب الى قصر فرمرتاج وقد راه تعوّق ولم يحضر اليه فدخل عليه وساله عما كان من امره فقال له قد ادرك الامير حمزة غايتنا واهاننا وطردنا فتكدرت من ذلك وندمت على كل ما جرى مني قال لا باس من ذلك فيجب ان تكون ثابت العزم قوي الجنان ويمكنك ان تقنع عمرًا ان لا غاية لك في دعوته الا محبة وصداقة وان اباه قد ظلمك قال هذا لا اريده ولا افعله ولا يمكن ان يصدق عمرًا كلامي ولا يصغي الى قولي فدع اخي ياخذ الملك وحده وقد ادركت غايته لانه يعمل كمعلي وقد احتال الى ان جاء بالامير رستم الى باب البلد . قال لا تلوِ عزمك بل شده ولا بد من النجاح . قال لا مطمع لك باقناعي فاذهب الى اخي ودعه ينفذ غاية ابي وياخذ الملك وحده لاني لا انكر فضل حمزة وقد اطلق سبيلي بالوقت الذي كان يقدر فيه على هلاكي وانا اسير عنده واكرمني الاكرام الزائد وقد خجلت منه كثيرًا في الامس . ولما يئس منه تركه وجاء الى خرسف واستعاد منه الحديث فاخبره به . قال لا بد ان رستم يقبل عذرك ويصدق اقسامك فاذهب اليه في الغد واقسم له ان ما من شر تقصد وان جلّ غايتك اكرامه واحترامه واذا صدق قولك واجابك ونزل معك فتذلل بين يديه وتصنع كل التصنع حتى لا يبقى عنده وجه للشبهة ولا ارتياب . فوعده بكل نجاح

وفي اليوم الثاني خرج خرسف حسب عادته وجاء صيوان رستم وهو باكي العين مظهرًا الحزن فلاقاه الامير رستم واظهر له خجله منه وقال له ان ابي قد ظلمك وانت بدون شك لا تقصد لي ضيرًا وقد اطلعته على ذلك وبينت له غلطه فلم يصدق كلامي ولا يزال مصرًّا ان غايتك رديئة فقال له اني اقسم لك بالمعبود الذي نعبده اني لا اقصد شرًّا وانت صرت منذ

الان اخي وما سعيت هذا المسعى ودعوتك لضيافتنا الاّ املاً بان تزورنا وترى حسن مقامك عندنا وتتفرج عليّ بلادنا وقصورنا وفي الاخير تتسهل طرق المصالحة بين العرب والعجم. وهذا اطلبهُ منك لاني ساكون بعد ابي الحاكم في الامة الفارسية فاذا بقيت سالمة كان من خيري ونجاحي وفي كل نيتي ان احتال على بختك واقبض عليهِ واسلمك اياه فتسلمهُ الى ابيك ومن بعد ذلك يعود السلام بيننا وبينكم واما لا الوم اباك على فعلهِ وعلى عدم ركونهِ الينا لاننا طالما غدرنا بكم وهو يخاف من بختك لانهُ خبيث لا يامن قط للعرب ويرغب في هلاكهم وبسبب اعمالهِ سيقود بلادنا الى حفر الخراب اذا لم نتدارك الامر ونرتاح من شره. قال صدقت ان كل خوف ابي من غدر وزيركم الاول فهو مشهور بالخبث ولا بد من ان نقدمهُ لهُ ليقتلهُ ويصدق صدق نيتك. ثم امر ان يقدم اليهِ الطعام والشراب وصرف النهار على الحظ وشرب العقار وعند المساء اراد خرسف ان يعود الى المدينة فلم يدعهُ رستم وقال لهُ بل من الواجب ان تنام هنا هذه الليلة قال لا اقدر على ذلك واذا نمت الليلة فيلزمني ان اذهب في الصباح ليرتاح فكر ابي لانهُ يعلم اني عند العرب وربما اشتغل بالهُ بختك وقال لهُ ان الاعداء مسكوا ابنك وقتلوهُ. قال نم الليلة هنا وفي الصباح اذهب واياك الى المدينة وابقى عندك كل النهار والمساء قالَ اذا وعدتني بذلك صبرت الى الصباح وسرنا معًا فاقسم لهُ انهُ يذهب معهُ. ونام خرسف تلك الليلة عند رستم وتعجب من سلامة قلبهِ وكاد يطير من الفرح وامل انهُ في صباح اليوم القادم يبكر الى الذهاب وياخذه معهُ ولا يمكن ان يصادفهُ عمر العيار او الامير حمزة او غيرهما ولكن عيننا عمر لا تنام فانهُ كان راقبهُ كل المراقبة وعرف انهُ سينام هناك تلك الليلة فجاء وسهر عليهِ خوفًا من ان يغدر بهِ وصرف الليل ساهرًا ولما لم يرَهُ قد فعل شيئًا وتاكد انهُ لا يقصد او بالحري لا يجسر ان يفعل شيئًا هناك خرج قبل الصباح واقام خلف الصيوان حتى راى الامير رستم وخرسف قد نهضا وركبا جواديهما وعولا على الذهاب وحينئذٍ تاثرهما وارسل ابنهُ سيارًا ان يسرع الى الامير حمزة ويخبره بقصد رستم من الدخول الى المدائن فلما سمع الامير ذلك طار صوابهُ ونهض الى اليقظان فركبهُ واطلق لهُ العنان حتى ادرك ولده وخرسف فاشهر السيف وقال لابن كسرى انك لا تزال مصرًا على الخبث والخداع حتى تحرمني ولدي فاني ارى في قتلك خيرًا وسلامة لاولادي فاعترض رستم في طريقهِ وقال لهُ ما ببرحقي عليهِ يا ابي فانهُ كان لا يريد ان انزل معهُ المدينة خيفة مسكوها انا راجع الان حسب امرك فاعفُ عنهُ. ثم امر خرسف ان يطلق مسرعًا الى المدينة من وجه ابيهِ. ففعل ورجع الامير وابنهُ الى صيوان اليبون شاه واجلسهُ بقرب احيهِ الى ان ارتاح وحينئذٍ قال لولده قباط ولجميع الحضور انتم تعلمون ايها الفرسان اني اوصيت ولدي بعدم النزول الى البلد ووعدني بذلك وها اليوم قد

عصاني وعاد فانقاد الى خرسف وهم ينصبون له شراك الهلاك والعذاب فاذا وقع فيها يقع الهم والحزن عليّ فانصفوني منه وكونوا انتم الحكم

وحينئذٍ التفت السلطان قباط الى اخيه وقال انا نعذرك على سلامة قلبك وحسن طويتك وما ذلك الاّ كونك تجهل حالة الفرس وتظن انهم اهل زمام والصحيح انهم من الاوباش الادنياء ينصبون لك حبائل الخداع ليصطادوك وانت تعلم ان اباك يحب صالحك ويرضى في سلامتك وهم يسعون في قتلك ليحرقوا قلب ابيك عليك واخيرًا يعتذرون او يتظاهرون بالانكار ونحن لا نعرف كيف ذهبت او قتلت والاّ لو اننا نتاكد شرف الفرس ومحافظتهم على الامانة وكرههم في الخيانة لتركناك تذهب وما في دهائك من مانع عندنا وقد غدروا بنا قبل الان وكدت انا وامي وطوربان وابنها الامير سعد جميعنا نقتل ونحرق بالنار لو لم يسرع الى خلاصنا وزيري عمر العيار قال اني لا احب ان اخالف ابي واقسم لكم بالله العظيم اني ما عدت انزل البلد الا بامر ابي ولكني لا ازال اتردد في سلامة قلب ابن كسرى لانه يخلص الود لي كثيرًا ولا يحب الا ان يصيبني هذه الغاية . فلما اطمئن قلب حمزة من قبل ابنه رستم وتاكد انه ما عاد يسير مع خرسف الى البلد ارتاح باله وصار ينتظر نهاية المدة المضروبة للهدنة ليرى بعد ذلك ما يكون من امرهم وامر الاعجام

فهذا ما كان من حمزة واما ما كان من بختك فانه عندما عرف برجوع خرسف وحده جاء اليه وقال له اظنك لم تفز بالمطلوب في هذا اليوم فحكى له ما كان من امره مع رستم وكيف تخلص من شركه باتباع ابيه في اثره وان كل ذلك كان من عمر العيار لانه راه يتاثرهما . فقال له اني اعرف انه خبيث محتال وقد راكما في الطريق فطن السوء وادرك معنى الامر فلم يبقَ لنا من مطمع فيه وانا اعرف واتاكد ان رستم يحبك كثيرًا ولا بد من مداومة الخروج اليه وتمكين الالفة . قال دعني من ذلك فاني متاكد انه ما عاد يصدقني ولا يمكن ان ياتي المدينة معي واذا وقع حمزة بي مرة اخرى اهلكني لا محالة قال اني لا اريد في هذه المرة ان تطلب اليه الاتيان الى المدينة بل بالعكس اظهر عدم رغبتك في ذلك وبعد يومين او ثلاثة ايام اذهب واياه الى الصيد واعمل ما هو كذا وكذا وعلمه ما يجب عمله واوصاه بالحرص . فاجاب طلبه وبقي ذلك اليوم في البلد وفي اليوم الثاني جاء الى رستم وسلم عليه فارتاب وقال لو لم يقصد الشرّ لما فعل ما فعل وعاد بعد ان لحق به من الاهانة ما لحق فاظهر البرود والنفور في ملاقاته فلم يعتن في ذلك بل قال لي لقد اقسمت يا اخي اني ما زلت حيًّا لا اقبل بدخولك معي المدينة الاّ اذا كان ابوك وعمك عمر العيار معك وباقي الفرسان لانه لا يصدق بصدق نيتي وفي الاخير كاد يقتلني وحيث لم يبقَ لي صبر عنك فاريد منك ان تقبلني في كل يوم عندك فيكون

ابوك امينًا وأكون انا ايضًا امينًا على نفسي لان الحياة عندي عزيزة جدًّا فلا اخاطر بنفسي قط فلما سمع كلامهُ اعتقد انهُ لا يريد الشر . فقال لهُ انك وان كنت سليم النية لكنك ابن أكبر عدو لابي فلا يمكن ان يركن لكم وقد غدرتم بهِ كثيرا وانا لا اريد ان اخالف ابي فما عدت اريد الدخول الى المدينة الاَّ بامره فابقَ انت عندي في كل يوم الى حين ينتهي امرنا . قال ارغب ان اتعلم منك بعض فنون الحرب وصيد الوحوش. واتسلى بك ولا افارق ركابك واعتقد كل الاعتقاد انك ستساعدني الى الحصول على عرش الفرس وطرد كسرى ابي وبختك ونزع هذا الشر لان الولام لما كان يغضب ابوك عليَّ ولا يخاف عليك ومعظم خوفهِ من بختك الخبيث اللعين ولا ريب انهُ اذا عرف بوجودك في قصري ربما تسبب الى اغاظتي او فعل ما لم يكن لنا في حساب وفي الاخير اقع انا ويسبب لي الغدر والخيانة . فقال الامير رستم حبًّا وكرامة فاني اريدك في كل يوم وارافقك في الصيد والتنزه ولا سيما انك تعرف مكان الغزلان والوحوش فتدلني عليها وتذهب بي الى مرابضها لان هذه البلاد هي بلادك ومعتاد كل العادة عليها وتعرف داخلها وخارجها

وعلى ذلك اتفقا وكان رستم في كل يوم يذهب الى الصيد من الصباح الى المساء ويعود ومعهُ خرسف فيفترقان قبل نصف الطريق ويأتي الاول الى قبيلتهِ والثاني يسير الى مدينتهِ الى ان كان ذات يوم خرج رستم الى الصيد وبين يديهِ سيار والى جانبهِ خرسف ولما سار بهِ في اكمة عالية تنحدر الى لحف جبل فيهِ من الوحوش شيء كثير ودار بهِ حول وادٍ عظيم في طريق صعبة المسلك لا يمكن المرور منها الاَّ في وسط النهار وقبل العصر اوصلهُ الى سهل كثير الاشجار ترعى بهِ الغزلان في كل مكان وتسير اسراباً فسرَّ رستم من ذلك وجعل يرمي منها كيف مال وهي تنفر بين يديهِ وسرَّ كثيرًا من اتيانهِ الى ذلك السهل ولا زال حتى غابت الشمس وهو مسرور مزيد السرور وقد اصطاد كثيرًا واراد الرجوع فتوقف خرسف وقال لهُ في اي طريق نسير الان لان الليل شديد الظلام ولا يمكن الصعود عليها لانها متشعبة الصخور وهي على شفير يصعب جدًّا المرور منهُ في هذا الوقت . قال الا يوجد طريق نسير عليهِ غير الذي سلكناها في هذا النهار . قال يوجد ذلك لكن بعيد جدًّا ولا نصل منهُ الى المدائن الا بعد عشرة ايام . قال الا يوجد في هذه الارض مكانًا نبيت فيهِ قال يوجد لان كثيرًا من الملوك وبنات الملوك والامراء يقصدون التنزه في هذه الجهات فيقسمون اشهرًا برمتها وفي اطرافهِ عدة قصور لاولئك الامراء وكلهم من رعايانا واتباع ابي ولا سيما انهُ يوجد بالقرب من هذا المكان قرية صغيرة مبنية في مكان مطل على السهل جميلة الموقع جدًّا فيمكننا ان نذهب اليها ونبيت عند شيخها الى الصباح ونأمره ان يسوي لنا من لحوم هذه الغزلان الكثيرة وما بقي نحملهُ معنا في الصباح ونوافقهُ

رستم ومعها سيار وكلاب الصيد واحمال الوحوش والغزلان مقدار ساعتين حتى اقبلا على تلك القرية وجاءا الى شيخها فترحب بهما وقبل ايادي خرسف وانزلهُ في مكانهِ وذبح لهُ الذبائح واكرم رستم ايضاً وبعد ان اكلا الطعام وصرفا السهرة وعولا على المنام اخذ رستم الى غرفة صغيرة لينام فيها وقبل ان يدخل الى سريرهِ خطر في فكرهِ ان يتفقد سياراً وفرسهُ سلمى الدهماء فخرج وما اجتاز الباب حتى راى شبحاً لاح لهُ امامهُ وهو يتلصص ليقرب من الغرفة وقد سترهُ الظلام فاشهر في يدهِ الحسام حتى انار المكان وقصد ان يضرب بهِ ذاك الشبح واذا بهِ سمع صوت فتاة وقد قالت لا تفعل يا رستم فما هذا جزاء من يريد لك الخلاص من الهلاك والسلامة من الموت فارتاع من ذلك وتعجب منها وقال اي شيء تقصدين ومما تخلصيني ومن انت وبنت من تكونين قالت انا بنت شيخ هذه القرية وقد اتيت لاخبرك بامر فيهِ خلاصك من الموت . وذلك انهُ منذ ثلاثة ايام جاء ابي كتاب مع رسول الوزير بختك يقول لهُ فيهِ انهُ في ذات ليلة من هذا الاسبوع سياتي قريتك في ظلام الليل الامير خرسف ابن ملكنا الاكبر كسرى انوشروان ومعهُ رستم ابن الامير حمزة البهلوان وغلام اسود اخر فاصبر عليهِ الى ان ينام ومن ثم احضر خمسين رجلاً بالسلاح يدخلون عليهِ وهو في سريرهِ فيميتونهُ ويميتون العبد واياك من ان ينجو احدهما والان خرسف يحتال ليسحبهُ اليك فلا بد من اتمام مسعاهُ فاياك ان تتاخر والا اهلكك الملك الاكبر فاستعد ابي منذ ذلك الحين واستعان على قتلك برجال القرية وهم الان يتهياون بالسلاح الكامل ينتظرون وقوعك في سبات النوم العميق لكي يقتلوك وحيث قد رايتك وشاهدت جمالك وكمالك حزنت على صباك فاردت ان تنجو بنفسك الان وتاخذني معك الى ابيك وقومك قبل ان يحل بك العطب . فلما سمع رستم هذا الكلام غاب عن صوابهِ وكاد يقع الى الارض من شدة الغيظ وجعل يصك على اسنانهِ وبعد مضي دقائق قليلة انتبه الى نفسهِ ووعي الى حالهِ فقال للبنت اذهبي الى بيتك واستعدي فسوف اخذك معي ولكن سوف ترين ما افعل ثم عاد في الحال الى سلاحهِ فتقلدهُ وخرج خارج الغرفة ودنا من الفرس فوجد سياراً ساهراً فامرهُ ان يسرج الجواد ففعل فقادهُ بعيداً عن المكان نحو مائة خطوة وعرج عن الطريق ووضع يدهُ على ظهر الفرس واقام ينتظر تمام العمل وهو يعد نفسهُ بقتل خرسف اذا كان ما اخبر بهِ صحيحاً ولم يلبث الا القليل حتى راى الرجال مع شيخ القرية مقبلين تحت ظلام الاعتكار ودنوا من المكان الذي كان نائماً فيهِ بتانٍ وفتحوا بابهُ ثم اشهروا سيوفهم وهجموا على السرير فلم يروا احداً فاضطربوا وعولوا على الخروج واذا بالامير رستم قد ركب وصاح فيهم وترك لسيفهِ مجالاً في رقابهم ولم يمضِ الا نحو ساعة من الزمان حتى قتل اكثرهم وهرب الباقون وهم يتعوذون بالنار ذات الشرار وبقي رستم سائراً يضرب ويقتل من وقع امامهُ حتى وصل الى المكان الموجود فيهِ

خرسف فدخله فوقف مرتعشًا متظاهرًا بالتجاهل وقال له ماذا تريد ولما انت على هذه الحالة فلم يجبه الاَّ بضربة حسام القتة الى الارض قتيلاً وقطع راسة فسلمة الى سيار وعاد الى الجواد وقصدا المسير واذا ببنت شيخ القرية قد عارضتهُ وقالت له خذني معك ياسيدي وليس من العدل ان تتركني هنا قال كيف اتركك وانت علة حياتي وراحتي ولولاك لكنت الان من المائتين . ثم رفعها وراءهُ وسار تحت ظلام الاعتكار الى ان وصل الى ذلك السهل عند انبثاق الفجر فقبض على راس الطريق الذي جاء فيهِ مع خرسف وتدرج بهِ حتى جاء الوادي وادار حواليهِ ثم صعد الاكمة ونزل منها عند العصر فراى فرسان قومهِ متفرقين في تلك النواحي ورأى اباهُ يتقدم في نفس الطريق فاطلق لجوادهِ العنان ولما التقى بهِ سالهُ عن غيبتهِ قال كنت بالصيد وقد امسى عليَّ المساء فبت في مكان وتاخرت الى الان ولا بد ان اطلعك على ما وقع لي ثم دنا منهُ وقبل يدهُ وقال لي سامحني على عدم انقيادي الى امرك فاني كنت اظن ان خرسف من الصادقين حتى وقع لي ما هو كذا وكذا ولولا هذه الفتاة التي نراها لهلكت غير ان الله لا يضر باتقياء القلوب وانقياء الضمير

وكان باقي اخوتهِ والفرسان قد وصلوا وسمعوا القصة وما منهم الاَّ من تعجب من رداءة خرسف وتوفيق رستم وشكروا الله على سلامتهِ وهنوهُ بالرجوع وقال له الامير حمزة اننا في مساء الغد قد افتقدناك فما رايناك فظننا انك في المدينة فاردنا ان نرسل عمرًا ففال اذا لم ينزل المدينة وانهُ في الصيد ومعهُ خرسف وسيار ولا خوف عليهِ لانهُ سار في الجهة الخلفية ولا يمكن ان يصل الى المدينة الان ولا مرحلة الاَّ من هذه الطريق واذا جاء من غيرها فينبغي له عشرة ايام . فصبرنا الى الصباح ولما لم تاتِ زاد انشغال بالنا فارسلنا بالعيارين الى البراري فقاموا عدة ساعات وعادوا دون ان يقف احد على امرك فلم ارَ بدًّا من الركوب والمسير بنفسي وان اخذ آثارك فسرت كما تراني ومعي عمر العيار ونهض اخوتك يريدون مرافقتي والحمد لله على رجوعك قريبًا بالسلام ولا عدت تفعل مثل ما فعلت ولا تركن الى احد من الاعجام لانهم ليسوا بذي امانة ولا يعرفون الحلال من الحرام ولا سيما ما دام بختك ابن اللئام فانهُ يحملهم دائمًا على الانتقام قال قد امتحنت وعرضت خبثهم فما عدت اركن الى كبير ولا صغير منهم وكان بنية كسرى وبختك ان يقتل احد اولادك عدرًا ليحرق قلبك عليهِ فها قد قتلت احد اولادهِ ليحترق قلبهُ ويموت من غيظهِ . ثم رجعوا جميعًا الى صيوان البون شاه وجاء جميع العربيين سادات وقواد وابطال وسلموا على الامير رستم مظهرين فرحهم برجوعهِ سالمًا وخلاصهُ من كيد اعدائهِ وفي المساء اخذ رستم راس خرسف ووضعهُ بخافة والصق عليهِ ورقة كتب فيها هذا جزاء من يقصد الخيانة والغدر وبعث بعيارهِ سيار ان يعلق الراس في باب الايوان حتى يراهُ الاعجام في الصباح . ومن ثم امر الامير فرسانهُ وابطالهُ ان يتقدموا من المدينة وان يحصروها ويضايقوا الاعجام ولا يدعوا

احداً يخرج منها او يدخل اليها وقال اننا اكرمناهم فليسوا من اهل الكرامة واردنا اكراماً لخاطر بزرجمهر الافراج عنهم فاغتنموا هذه الفرصة للغدر بنا ولو تم عملهم لاماتوني قهراً وحزناً

وعند الصباح خرج كسرى من قصره وجاء الايوان فوجد الناس مجتمعون عند بابه وبعضهم يمزق ثيابه وبعضهم ينتف لحيته وكلهم يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون ويندبون ويولولون فارتاع وتقدم وبين يديه الحجاب ليكتشف الخبر واذا به يرى راس ابنه خرسف ففعل كفعلهم ومزق ثيابه ووقع مغيشاً عليه فرفعوهُ الى الديوان ورشوا على وجهه ماء الزهر الى ان وعى فلم يجسر احد ان يفوه بكلمة بل بقي الكل مطرقين الى الارض باكين ناحيين مضطربين فامر ان يوتى براس ابنه الى بين يديه ويضع في الارض وجعل يبكي وينوح وينتدب كالنساء كل ذلك النهار وفي المساء اخذ الراس الى قصر الملك فاجتمع حوله النساء ودار الحزن في المدينة مقدار ثلاثة ايام وقد صبغت اسوار المدينة من كل الجهات وحزن الكبير والصغير وبختك خائف من ان يعرف الملك بدسيسته وانه كان السبب في وقوعه بيد العرب فيقتله لا محالة ولذلك كان يظهر من الحزن اشده ويتجاهل في سبب قتله ويلعن العرب ويشتمهم . وفي اليوم الرابع جاء كسرى الديوان وجلس حسب عادته وهو مغضب جداً وقال ماذا عملنا مع العرب ياترى حتى قتلوا ابني مع انا مساعدون لهم ووعدوا وزيري بزرجمهر بالحسنى والتاخر ولا بد من ان يكون لذلك من سبب اجهله . فقال بختك ان العرب لا يصدقون ياسيدي ولا اعلم ما دبروا مع بزرجمهر حتى قتلوا ابنك واعدموك اياهُ وتركونا نحزن عليه الى الابد . فقال بزرجمهر ان العرب وعدوني وعداً صادقاً ولا ريب ان بختك دبر حيلة القى بها ابن سيده في حفرة الهلاك وتركنا في حصار لا نعلم عاقبته ولولا ذلك من ابن للعرب وصول الى خرسف فانهُ كان يذهب اليهم في كل يوم وما ذهابهُ هذا الاّ لغاية اصلها الوزير بختك ولم يتركنا ان ندبر امرنا لندفع العرب عن بلادنا فحل هذا الكلام من كسرى محل القبول وقال لبختك لقد اصاب وزيري بزرجمهر فانت اصل الدسائس وعلة الاحزان فاني اقسم بالنار والنور انك اذا ما دبرت وسيلة نبعد بها العرب عن المدينة وتنهي امر هذا الخصام بيني وبينهم والاّ سلمتك اليهم وتركتهم يتمتعون بدمك وغيرك لا يطلبون وقد امهلتك الى ذلك مدة ايام فاما انك تجد الطريقة في رجوع الاعداء واما اصالح العرب بك . فبكي بختك وقال يمكن ان يظن بي سيدي الملك هذا الظن مع علمه بامانتي واني اعدهُ بابعاد العرب ولا احرم من واسطة الى ذلك واذا كان يرى ان باهراق دمي البريء راحته وسلامة بلاده فليفعل وحسبي الى النار لا تحرمني من الثواب ومجازاة الذين يوشون بي عند سيدي الملك . قال لا ارغب في موتك اذا تمكنت من دفع الاعداء وغير هذا لا اريد وقد رق كسرى لبختك ولكنهُ بقي مصراً على قوله

وبقي العرب على حصار المدينة عدة ايام لا يتركون الطير يدخل اليها وهم بفرح زائد وعدوهم بالويل والحرب الى ان كان ذات يوم تذكر الامير رستم فرخ حسن ذاك السهل الذي اصطاد به الغزلان عندما كان معهُ ابن كسرى وكم اصطاد من الغزلان في ذاك اليوم وقد تركها محلها ولم يأتي بواحدة منها فاشتاق الى مطاردة الوحوش والنمور والسباع والغزلان فحدثتهُ نفسهُ وحبهُ للصيد بالمسير الى السهل المذكور وقرر الفكر على ذلك وفي صباح اليوم الثاني نهض الى جوادهِ فركبهُ وخرج من بين قومهِ واستلم الطريق وسار عليهِ حتى وصل بعد الظهر فرأى المياه جارية من كل ناح تتاخر تارة وترد الى المياه اخرى فجعل يرمي منها بسهامهِ وسيار يتناولها وما زال على ذلك حتى اصطاد شيئًا كثيرًا ثم نزل على جانب الماء وامر سيارًا ان يضرم النار ويشوي لهُ فيأكل ففعل وشوى لهُ فاكل وشرب وغسل يديهِ واكل سيار ايضًا ثم قال هلمَّ بنا ياسيدي الى الرجوع قال اني استطيبت مناخ هذه الارض فلا ابرح منها الى الصباح فانام الليلة هنا وفي الصباح اصطاد ما تصل اليهِ يدي وارجع فاصل عند المساء وفيما هو على مثل ذلك واذا بهِ يرى غزالة نظرت اليهِ بانس ودنت من الماء فشربت فنظر اليها واذا بهِ يراها ظريفة التركيب ضهبية الجلد كبيرة العينين طويلة العنق جذابة المنظر فقام اليها واراد ان يلتقطها فنفرت قليلاً ولم تقبل ان تسلم نفسها اليهِ بل استغربتهُ فزاد شوقًا الى مسكها بيده وبقي يتأثرها حتى غاب عن نظر سيار فاخذ الجواد وتبعهُ خوفًا عليهِ حتى ادركهُ وهو يركض خلف الغزالة حتى وصلت الى قصر قائم بين تلك الاشجار فدخلت في حوشهِ واختفت بين حيطانهِ فوقف متحيرًا واخيرًا خطر لهُ ان يطرق الباب ليرى من داخل القصر فدنا منهُ وضرب المطرقة واذا بطاقة القصر قد فتحت ووقفت فيها صبية كأنها البدر في الاشراق معتدلة القد ذات بياض باهر متشرب بحمرة نقية وعنق متوسط الطول شديد البياض ايضًا وصدر واسع نافر النهدين مرتفعين كحقق من لجين . وخصر سقيم رقيق وقد وضعت يديها على مصراعي الطاقة وقالت من الطارق فنظر الى الفوق واعتقد لسانهُ عن الجواب وقد اخذ قلبهُ من اول وهلة وصبر نحوًا من ربع ساعة عن الجواب وهو محدق بها لا يدري بماذا يجيب وهي تفعل كفعلهِ لانها رأت فيهِ من الحسن العجيب ودلائل الشجاعة ما لم ترهُ في انسان مع انهُ شاب لم يبلغ اشدهُ وبقيت ناظرة اليهِ الى ان اجاب وقال لها اعلمي ياست الملاح اني كنت اطارد غزالة فزادتني الى هنا واختفت عني وقد اختفت في هذا القصر فهل لي ان اراها قالت ان الغزالة في حمانا فاذا شئت سلمناك اياها وان شئت فاقبل فيها رجانا فجمع حواسهُ ثانيًا وقال لها ما كان من امرائي قط ان يترك صيدتهُ الاَّ ليعتاض بسواها احب لديهِ منها فاما ان تعاد اليَّ واما ادخل في حماكم مثلها قالت ما اردنا ان نحميها منك الاَّ ونحن فداها فهل لك ان تقبل ظبية شعورة ايسة بدلاً من

طيبتك النافرة الخائفة . قال ياحبذا ان تم ذلك فمن انتِ ومن عندكِ في القصر . قالت انا قمرشاه بنت حاكم بلاد خوارزم وعندي في هذا القصر بنت عمي ياقوت شاه لا غير فمن انت ولمن تنسب . قال انا رستم بن الامير حمزة البهلوان . فلما سمعت كلامهُ صفقت من الفرح وكادت ترمي بنفسها من الطاقة وصاحت مرحبًا بك ايها الامير والسيد الخطير فادخل الينا فانت المطلوب والمرغوب لاننا كنا نحسد مهردكار وطوربان حتى اوشك ان يساوينا بهما الزمان وكان سيار خلفهُ فربط الجواد وسار وراءهُ وفتش في القصر فلم يرَ غير خدم والفتاتين فارتاح صميرهُ على مولاه واطمأن باله وعاد فاراح الجواد ونزع سرجهُ واخذ لنفسهِ مكانًا حصينًا يبات فيهِ تلك الليلة ويبقى محافظًا على حياة رستم وراحتهِ

ولما وصل رستم فرتم الى الداخل لاقتهُ قمرشاه وبنت عمها ياقوت شاه وهما من اجمل النساء جمالاً وكل واحدة تفوق الثانية جمالاً وكمالاً وبهاء واشراقًا وكانت قمرشاه لابسة ثوبًا من الديباج الابيض وعليهِ من الجواهر واعلى ما يعجز القلم عن وصفهِ والثانية ثوبًا من الحرير الازرق وعلى دوائرهِ من النسيج الاحمر الشامي وفي كل مقدار قيراط ياقوتة حمراء ترهج وتلمع كأنها الكواكب تضيء في فلك ذاك الثوب وكلها تكتسب انوارها من نور شمس ياقوت المذكورة التي هي ابهر من الشمس والقمر وكل نور ساطع وسلمت كل واحدة عليهِ بدورها وقد اخذ من حسن الفتاتين وتمناها لنفسهِ معًا وقد مشت كل واحدة من جهة وهو بينهما الى ان ادخلاهُ قاعة الجلوس فجلس على كرسي من الابنوس مجللة بالاطلس الاحمر وريش النعام . ولما استقرَّ بهِ المقام احضرن لهُ من الشراب الممزوج بماء الورد والسكر واحسنتا معاملتهُ كل الاحسان وبعد ذلك احضرتا الطعام الفاخر واكلوا معًا ولما رفعت صفرة الطعام احضرت بواطي المدام وصفت النقولات من كل الانواع الطيبة والزهور من اركى المشمومات وابهى الالوان وكل الاواني من الفضة المحلاة بالذهب فنهض وجلس الى بين الصبيتين وكل واحدة تسكب الخمر في جام وتسقيهِ وهو يفعل كفعلها ويكثروا من التقبيل والمزاح ولما اشتد الغرام بقمرشاه اخذت كأسًا فملأتها وانشدت

روحي بل بآبائي الكرام ... رشًا لعبت بهِ ايدي المدام
اذا ما اهتزَّ عن بردٍ طويا ... حشايانا على حرّ الاوام
ولولا عارضاهُ لما علمنا ... بان البدر يطلع في اللثام
لعوب باصطبار اخي شجونٍ ... طليع الدمع مأثور الهيام
تذكر بالحمى ان شام برقًا ... زمان اللهو متسق النظام
وقصر واسع الاكناف رحبًا ... يجرر فيهِ اذيال الغرام

وقد نظمت لنا كف التصابي عقود الوصل في كل المرام
وقد سقى وصلنا موصول دمعي وحيا عهدنا عهد الغمام

ثم شربت الكاس الى اخره وقبلته وقبلها وتعانقا ثم تناول الكاس وشرب بعد ان انشد

قفا نتشاكا ما نشاكاهُ وامقُ وقد ظعنت بالغانيات الايانقُ
كثير سهاد العين نزر هجوعهِ يواصلُ طيفًا منهمُ ويفارقُ
تملك حب العامرية قلبهُ وما عاقهُ عنها من الحي عائقُ
غزالية تغشى العيون جلالة مغاربها احشاؤنا والمشارقُ
فان خطرت زهوًا فغصن منعمٌ وان عبقت ريًّا فثمّ حدائقُ
وان يكُ في ثغر الحسان عذوبة ففي ثغر من اهوى عذيبٌ وبارقُ
وبي حالة العشاق في كل حالةٍ ولكنني لم ادرِ من انا عاشقُ
يشير باطراف البنان ويشتكي اليم الجوى منا مشوقٌ وشائقُ

وبعد ان شرب الكاس قبل قمرشاه وانشد

لحظات ترمي الحشا سالِ قاتلات ولات حين قتالِ
وخدود كالورد لونًا وطيبًا صقلتها صبا البها والجمالِ
وثنايا كاللؤلؤ الرطب تذري حسن نظم لها بعقد اللآلي
وقوام يحكي العوالي ولكن فعلهُ في القلوب فعل العوالي
من نصيري على الحبيب المفدى بنفوس منا كرام عوالي
قمر يخجل الشموس ضياء وقضيب يسقى بماء الدلالِ
وغزال المسك في الفم منهُ نفحات تفوق مسك الغزالِ
راح يشدو بذكر خمرة وعد عند سمعي فاسكرت آمالي
خمرة صورت عصارة جمرٍ لظنون في اكؤس من آلِ
غادرني ابدي هواهُ بجسمٍ ناحلٍ ماحلٍ كربع بالي
اتمنى خيالهُ وبعيد ان يزور الخيال طيف الخيالِ

ومن ثم اخذت ياقوت شاه الكاس وشربت وسقته وانشدت

احرني بالتواصل بعد بعدك لعلي احتني ثمرات وعدك
واسأل لك القليل من التلاقي ولكن خشيتي من سوء ردك
سقى الرحمن اياما لقينا بها راحًا على وردات خدك
ونلثم اقحوان الثغر طورًا على جزع ونهصر غصن قدك

ونقتبل السعود لنا بصرح ... بدت بدر وجها اقمار سعدك
تجرر فيه اذيال التصابي ... وننشق عرفة من طيب ندك
الا ان النعيم لدون يوم ... نواصل وكم لدون صدك

فمال اليها وسقاها وشرب وتصور معنى جمالها وكمالها وبهائها وهي تشرق نورًا بذاك الثوب الازرق وانشد

صاد الاسود بمقلةٍ وسباء ... وسبا العقول بطلعة وسناء
واتى بازرق ثوبه متوشحًا ... فكأنهُ بدر بدا بسماء
خجلت شموس الافق منهُ عندما ... وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقطب خرّت سجدًا لما بدا ... متخطرًا بالقامة الهيفاء
وبليل طرته ضللت وانني ... من صبح غرته وجدت هدائي
فتبارك الرحمن ما احلاهُ من ... رشاء غدا مرعاهُ في الاحشاء
ما كنت احسب قبل صيد الظبي لي ... ان الاسود فرائس لظباء
حتى طعنت باسمر من قده ... وقتلت من الحاظه بظباء
فاذا انثنى واذا رنا وتذكر لي ... بيض الظبا مع صعدةٍ سمراء
سلطان حسن في الملاحة قدهُ ... قد حصة من شعره بلواء
وبوجنتيه عجائب من نعصها ... نار يشب ضرامها بالماء
كم رمت منهُ قربهُ فيجيبني ... الحاظهُ اللاتي سفكن دمائي
من رام يجني قلبهُ في حبه ... حتى يعدّ عدًا من الاحياء

وصرفوا اكثر الليل على مثل تلك الحالة بين شرب مدام ومناشدة اشعار وتقبيل ومكاشفة اسرار الى ان اخذت الخمرة حدها وحينئذٍ قالت لهُ قمرشاه هلمّ بنا الى المنام. فقال انكما على دين النار ولا يمكن ان اقرب منكما الاَّ اذا كنتما تعبدا الواحد القهار فتكونا من نسائي ويكون لي بكما الخيار فامنت قمرشاه بالله العزيز الجبار فاخذها لمسرور وجة واتاها وسرّ منها سرورًا عظيماً . وهذه تأتي منهُ بولد ذكر يدعى بالامير قاسم ويكون كسوسة في معسكر العرب ياليت ما ولدتهُ امهُ وبعد ذلك امنت ياقوت شاه واعتنقت الشريعة الالهية فسرّ منها كثيرًا وتزوجها وهذه لم تلد منهُ قط لا بذكر ولا انثى

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير رستم فرتم وجاء نساؤهُ اليه وقبلت كل واحدة منهما يدهُ فقال لهما ماذا تقصدان بالقيام في هذا المكان وانتما منفردين عن بلادكما وقومكما فقالت قمرشاه ان هذا المكان مشهور بالنزهة وطيب المناخ فطلبنا الى ابي ان يبني لنا قصرًا فيه

جميلاً فنفعل وصرنا في كل عام نحضر ونقيم فيهِ اشهر وعندنا كل ما نحتاجهُ فضلاً عن الخدم والعبيد ويزورنا في كل مدة اهلنا وهم في امان علينا لعلمهم ان لا احد يجسر على الدنو من بنات الملوك ولاسيما ان ما من غريب في هذه الارض وكل البلاد تعرف ابي قال ان وجودكِ هنا كان من حسن حظي لانال السعادة والحظ بكِ

قال وكان في نفس ذاك الليل قد اغتاظ خدم القصر من فعل الامير والبنات فخرجوا وانطلقوا حتى جاءوا المدينة واخبروا حاكم مدينة خوارزم واخاه بما فعل بنتاها . فغضبا الغضب الزائد وقالا لا بد من هلاكهما وهلاك رستم معًا لانهما نجستا دين النار واخذا شرذمة من العساكر وساروا جميعًا الى القصر وكان رستم غارقًا بالملذات مع زوجتيهِ فوصل الخبر الى قمرشاه فلم تتركهُ يعرف شيئًا من ذلك بل اسرعت الى باب القصر وكان من الحديد فاقفلتهُ واخذت المفاتيح وجلست تنتظر ما يكون من امر ابيها وعمها وقد خافت كل الخوف على حياة رستم حبيبها وحينئذٍ وصلت العساكر وطرق حاكم خوارزم الباب ونادى بنتهُ ان تفتح فلم تجب وشعر رستم بازدحام الرجال حول القصر فاسرع الى الطاقة وشاهد ما شاهد من اعمال ابي قمرشاه فتاقت نفسهُ الى القتال واراد ان يركب جواده وينزل اليهم وصاح بسيار ان يفتح باب القلعة فقال لهُ ان قمرشاه قد اقفلتهُ واخذت المفتاح فنزل الى الباب وعالج فتحهُ فراه متينًا فعاد اليها وطلب منها ان تدفع اليهِ المفاتيح فقالت لا تتعب عبثًا فاني لا ادفعها اليك ولو قطعتني اربًا اربًا . قال لها ويلك انك تعملك هذا تقصدين هلاكنا لاننا اذا بقينا داخل القصر كسر ابوكِ الابواب ودخل الينا وانا وحيد هنا والحال ضيق عليَّ جدًّا ولا يمكنني ان اقاتل وانا في سريري ولكن اذا خرجت اليهم وانا على ظهر جوادي بددت شملهم شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ولو كانوا بعدد رمل البحار . قالت هذا لا يمكن ابدًا لان الباب متينًا ولا اظن انهم يقوون على فتحهِ ولكن اذا نزلت انت اخاف ان يلحق بك ضربة من احد او كنت غير قادر على الثبات فيلحق بك ضرٌّ . قال لا تخافي عليَّ بل قفِ وانظري ماذا افعل بهم وسوف تريني وقد بددتهم جميعًا ولا بد من خروجي والاَّ اخذت سيفي ورميت نفسي من الطاقة فقالت لهُ ياقوت اذا كان ولا بد لك فعندي راي حسن جدًّا بهِ الخير والنجاح . قال وما هو قالت ان ابي وعمي ورجال المدينة كلهم هنا فمن الموافق ان نخرج من دهليز القصر ونسحب تحت الظلام الى المدينة وندخل بغتة فنلتجي نحن الى امينا وهما تخلصانا من ابوينا فقال رستم وهل في المدينة عسكر كثير قالت كلا فان اكثر العساكر مع ابوينا فاستحسن هذا الراي وخطر لهُ ان يذهب اولاً الى المدينة ويقفل ابوابها واذا جاء ابو قمرشاه وابو ياقوت شاه طردهما عنها الاَّ اذا قبلا بتزويجهِ من بنتيهما وحينئذٍ وافق على راي ياقوت شاه واعتمدوا عليهِ جميعًا وعند اسوداد الليل انسحبوا الى المدينة وجاءوا

ابوابها ودخلوها وأتت قمرشاه وابنة عمها الى ابيها واخبرتاها بما كان من امرها مع رستم ابن الامير حمزة البهلوان وانها تزوجتا بهِ وانسرتا منهُ كثيرًا ولما كان من طبع الامهات ان يسررن لبناتهنّ ويفرحن لفرحهنّ لم تتكدرا من ذلك وكل واحدة وعدت بنتها بمراضاة ابيها عند عودتهِ ولا سيما عندما رأوا رستم فرتم بديعًا في الصورة واللطافة واما رستم فانهُ في الصباح تقلد سلاحهُ ودخل ديوان حاكم خوارزم واشهر حسامهُ وصاح في من هناك ويلكم انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة العربان قاهر الانس والجان وقاتل داهور الهندي القرنان وقد ملكت هذه بنفسي فمن منكم اطاع عفوت عنهُ ومن عصى اهلكتهُ فصاح الجميع بالامان لما سمعوا ذكر حمزة البهلوان وقالوا اننا كلنا عبيد للعرب فجلس على تخت المدينة ونشر خبر تسلطهِ عليها في كل النواحي وهابهُ الجميع واخلصوا لهُ الود وانقادوا لامره فامر ان تقفل الابواب وتقام عليها الحراس واذا جاء حاكم خوارزم واخوهُ والعساكر الذين معهم يمنعونهم عن الدخول ويعلمونهم بان رستم اصبح الحاكم على البلد

فهذا ما كان منهُ واما ما كان امر حاكم خوارزم فانهُ لا زال مع قومهِ يعالجون كسر باب القصر حتى فتح ودخلوا وفتشوا فيهِ فلم يروا احدًا وعرفوا انهم هربوا منهُ فنزلوا واذ ذاك وصل اليهم الخبر بان رستم سار الى المدينة وملكها مع نسائهِ فكروا راجعين ومعهم العساكر ولما وصلوا من الابواب وجدوها مقفلة فسالوا الحراس فتحها فابوا وقالوا لا نقدر على ذلك واذا فتحنا الابواب اهلكنا الامير رستم لانهُ اصبح الحاكم على المدينة وطاعهُ الكبير والصغير وقد خلعوا طاعتكم واوصانا ان لا نفتح لكم الا اذا كنتم تقسمون لهُ الايمان العظيم بانكم تقبلون بهِ زوجًا لبناتكم وتنفون الغيظ من قلوبكم ولما سمع حاكم المدينة خاف كل الخوف وتشاور مع اخيهِ ورجالهِ واعتمدوا على التسليم وقال لهُ احد اعيانهِ اننا اذا عملنا على العناد ادركنا العرب مع الامير حمزة واهلكونا عن اخرنا ومن الراي الحسن ان نتفق مع رستم ونقاد اليهِ ونتخذهُ سندًا لنا وعونًا واي سند ترجونهُ لكم اعظم من هذا السند واي زوج يكون اعظم من رستم وافضل وهو ابن الامير حمزة العرب فارس فرسان هذا الزمان وقاهر كسرى انوشروان وامهُ بنت الملك قيصر ملك الطوائف النصرانية والامة المسيحية فرأوا ذلك من الصواب وتقدموا من الابواب وقالوا للحراس اذهبوا الى صهرنا واخبروه باننا عبيد لهُ ونرغب فيهِ من كل خاطرنا فاذا قبل دخلنا المدينة واقمنا بين يديهِ واذا ابى رحلنا عنهُ ولا نشهر في وجههِ حسامًا بل نبقى راضين عنهُ وانما كنا في جهل ووعينا الى انفسنا فسار اولئك الحراس الى ان جاءوا الديوان واخبروا رستم بما كان من امر حاكم خوارزم وقومهِ فقال لهم افتحوا الابواب فاني سائر على اثركم الى ملاقاتهم ونهض في الحال وسار وبين يديهِ رجال الديوان والعظماء والاعيان ولما وصلوا من الابواب كانت قد فتحت فالتقوا

ببعضهم البعض وتصالحوا واعتذروا اليهِ ورضوا منهُ وفرحوا بهِ وقد راوهُ بطلاً من الابطال وسيداً كريماً باهر المنظر حلو الخصائل . ومن بعد ذلك رجع الجميع الى دار الاحكام وقامت الافراح والولائم وجددوا عرس الامير رستم على زوجتيهِ تمرشاه وياقوت شاه وعقدوا لهُ عليهما وصار بفرح زائد وحظ عظيم مدة ايام يصرف اكثر اوقاتهِ في قصره مع زوجتيهِ والباقي في الصيد والقنص وقد ركن الى اهل المدينة كل الركون لانهم كانوا قد امنوا بالله تعالى وتركوا عبادة النار

ففي ذات يوم خرج حسب عادتهِ الى الصيد فصرف اكثر النهار ورجع بعد ان اصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان والارانب والنمورة وفي اثناء عودتهِ مرَّ من ناحية دار الحكومة فراى خيلاً غريبة مربوطة عند الابواب فدخل الديوان ونظر من هناك فوجد رجلاً عظيماً جالساً في الديوان وهو يتفاخر ويتعاظم ويتهدد من هناك ولا احد منهم يقدر ان يجيب بكلمة وهم اذلاء بين يديهِ وسمعهُ يقول لهم حيث قد تركتم عبادة النار ودخلتم في غير دين فلا بد من ارجاعكم واذلالكم فادفعوا الجزية وارجعوا الى ما كنتم عليهِ فاغتاظ الامير رستم من هذا الامير واستل سيفهُ وضربهُ فالقاه قتيلاً وامر سيار العيار ان يسحبهُ الى الخارج ويلقيهِ الى الكلاب . ولما راى عماهُ هذا الامر خافا واضطربا وقالا لهُ ما كان لازم ان تعجل في ذلك وترمينا بالويل والخراب وتجلب لنا الهم والعذاب . فقال لهم واي عذاب تخافون وانا حاميكم ومن يكون هذا الرجل الذي تخافونهُ ولو كان كسرى انوشروان او ابي الامير حمزة البهلوان لما طاعتني النفس ان اصبر عليهِ بعد ان سمعتهُ يهينكما . فقال لهُ عمهُ ان هذا وزير الملك هندام صاحب بلاد الجزر فقد وصل اليهِ الخبر بتركنا دين النار فغاظهُ ذلك وارسلهُ اليهِ لنكون في طاعتهِ وتحت امره ويخلصنا منك والاَّ فانهُ يهدم بلادنا من اساسها ويقلع منا الاثار الى اخر الادهار وحيث قد قتلت هذا الوزير واصليت نار غضب سيده فلا بد من ركوبهِ علينا واننا نرى ان من الموافق ان نجمع اموالنا ونساءنا ونسير في الحال الى معسكر العرب ونضم الى ابيك وقومك قبل ان يدركنا ويلقينا بالمصائب والبلاء . فقال لهم لا يمكن ان اذهب الى ابي هرباً من الملك هندام ولا بد من ان اذهب اليهِ بثلثمائة فارس واخرب بلادهُ واهلك قومهُ واريكم ما افعل بهِ فابقوا انتم في المدينة الى ان اعود اليكم . فقالوا انك لا تقدر ان تثبت وحدك امام جيوشهِ لانهُ كثير الارهاط والاعوان . قال اني اعرف نفسي ولا بد لي من ذلك . ثم انهُ قال لخدم الوزير سيروا الى سيدكم هندام وقولوا لهُ ان هذه البلاد صارت في قبضة العرب وتحت طاعتهم وسلطانهم واني انا الامير رستم ابن الامير حمزة البهلوان مطيع الانس والجان قد قتلت وزيره وساسير اليهِ لاقتلهُ واعدمهُ الحياة

وبعد ان سار الخدم انتخب رستم ثلثمائة فارس من اشد فرسان خوارزم وسار يقطع بهم القفار قاصداً بلاد الجزر . ووصل العبيد الى الملك واخبروه بما سمعوا ورأوا ونعوا الوزير بين يديهِ فغضب من ذلك غضباً عظيماً واقسم بالنار والنورانة لا بد ان يبيد العرب عن اخرهم ويأخذ بثار وزيره ويهدم مدينة خوارزم الى الارض ولا يترك منها لا ديار ولا نافخ نار وكان لهذا الملك بنت اسمها حسانة بديعة الحسن والجمال ذات قدٍ معتدل وخصر رشيق وخد ناعم يندر وجود مثلها في زمانها وهي تدعي بنفسها انها افرس فارس وابسل من ركب الجواد ونقل الحسام فتقدمت من ابيها وقالت لهُ لا ينبغي ان تغضب وتتكدر من عمل بدوي تجاسر لقلة عقلهِ على اخراق هيبتك ولا يلزم الامر ان تزج نفسك بالمسير الى قتالهِ لا انت ولا رجالك بل اسير انا واقتل ملك الامير رستم واخرب بلاد خوارزم فيعرفون عظم سطوتك ونفوذ شانك قال اني اخاف عليك من الامير رستم لانهُ فارس عظيم وقد وصل اليَّ صيتهُ بانهُ قهر كسرى وقتل داهور الهندي . فقالت لا تخف عليَّ فلو لم اقدر على ذلك لما طلبت اليك الاذن بهِ فاني اعرف مقدرتي واؤكد ان لا فارس في هذا الزمان يقدر على الثبات امامي في ساحة القتال . فقال اليك ما تريدين واذا رايت من نفسك العجز والتقصير فارسلي اليَّ بالخبر في الحال لاسير اليك بالعساكر والابطال . ثم ان حسانة جمعت البنات وكان لها جيشاً منهنَّ وفرقت عليهن السلاح وركبت بهن تقصد ملاقاة الامير رستم فسارت النهار بطولهِ الى المساء وفي المساء نزلت وضربت الخيام ونامت في تلك الارض الى الصباح فعولت على الركوب والمسير واذا بالامير رستم قد وصل الى تلك الناحية وشاهد حسانة وجيشها وقد ظنهنَّ من الرجال فارسل سياراً يسأل عن امرهم فقالت لهُ اننا فرسان الملك هدام وقد ارسلنا الى قتال الامير رستم لنعدمهُ الحياة وننزل بهِ الهلاك والهوان . قال لها هوذا رستم قد وصل وسوف ترون منهُ حرباً شديدة وتشاهدون الموت عياناً . فعاد سيار واخبر مولاه بانهم فرسان الملك هدام سائرين اليهِ فركب في الحال وقصد ساحة القتال ومن خلفهِ من صحبهُ من الرجال وركبت الاميرة حسانة وبناتها ولما التقيا تنافرا بالكلام وتجادلا بالتعنيف والملام . ثم هجما هجوم اسود الاجام وتصادما واي صدام والتحما واي التحام . واكثرا من الاخذ والرد والقرب والبعد والطعن بالرماح والضرب بالصفاح مقدار ثلاث ساعات من الزمان وحينئذٍ نظرت حسانة الى نفسها بانها مغلوبة لا محالة وذلت بين يدي الامير رستم لانها لم تكن من رجالهِ ولا هي من ابطالهِ وخافت على نفسها كل الخوف ولذلك صاحت تمهل يا فارس الزمان ولا تعجل عليَّ بالهلاك لاني متضايقة غاية الضيق واحب ان اتنسم الهواء واريك نفسي من انا فكف عنها القتال ورجع قليلاً الى الوراء وقال اني انصف خصمي بالحرب ولا اضايق عليهِ ولا احب الاسراف فافعلي ما انت فاعلة

وها اني أمهلك وقتًا من الزمان فاذا رغبت في السلامة سلم نفسك اليَّ فأكرمك واحسن معاملتك ومن ثم اعيدك الى وطنك عزيزًا واذا بقيت مصرًّا على العناد كان جزاؤك الاعدام فلم تجب حسانة بشيء الا انها اظهرت الضجر من التعب والحر فنزعت عن راسها الخوذة وارخت شعرها على اكتافها وازاحت لثامها و بان وجهها البديع الجميل الذي يخجل كل بدر منير واخذت في ان تفك ازرارها عن صدرها وتنشق نسم الهواء البارد

ولما رأى الامير رستم اليها وتأكد انها من البنات ربات الخدور كاد يغيب صوابهُ ويضيع رشدهُ ويقع الى الارض من شدة الحياء والخجل وعندما شاهد بدر محياها مشرقًا بتلك الانوار الساطعة زاد به الوسواس واختل اي اختبال وبقي صامتًا ناظرًا اليها متأملاً في حسنها ومعانيها وقد التقى بطرف رمحه الى الارض واسند رأسهُ على الطرف الآخر وبقي متأملاً وهي تشاهد منهُ ذلك وتؤمل الفوز والنجاح ولما رأى بياض صدرها بعد ان فكت ازرارها وابرزت نهودها زادت بهِ الحال وغاب عن صوابهِ لانهُ رأى حسنًا لم يرَ مثلهُ قط لا في العرب ولا في العجم وارتخت منهُ المفاصل وحينئذٍ استغنمت تلك الفرصة وتناولت رمحًا باسرع من لمح البصر وقلبتهُ في يدها وارسلتهُ الى صدره فالقتهُ طريحًا الى الارض ونزلت اليهِ وشدت اكتافهُ واوثقتهُ بالحبال وقادتهُ كالبعير ولم يعِ على نفسهِ الا وهو بين يديها تقودهُ وراءها وقد اعادت لباسها كما كان وسترت نفسها تحت ملابس الفرسان . وحينئذٍ جعل يعض على يديهِ ندمًا وقد تكدر مزيد الكدر وكاد يقتل نفسهُ من الحنق كيف ان بنتًا من بنات الاعداء تاسره . وكانت حسانة قد اشارت الى جماعتها البنات ان يحملن على قوم الامير رستم ففعلن وفي اقل من ساعة هربوا متكدرين مما اصاب الامير وحينئذٍ اخذت الامير ورجعت الى المدينة الى ابيها مفتخرة بنفسها تباهي على ابناء جنسها ولا زالت في مسيرها الى ان وصلت الى المدينة وارسلت فاخبرت اباها بانها قد انهت العمل وجاءتهُ بعدوه الذي قتل الوزير ففرح مزيد الفرح وتعجب من شجاعتها وبسالتها واقدامها ولما وصلت اليهِ قبلت يديهِ فقبلها بين عينيها ومدح من شجاعتها واجتمع اليها اعيان المدينة وسلموا عليها وهنأُوها بالنصر وما منهم الا من تعجب من عملها كيف قدرت على اسر رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان . ولما استقرت في الديوان قدمت رستم الى ابيها وقالت لهُ خذ هذا عدوك فاقتلهُ في الحال وانزل بهِ النكال ولا تشفق عليهِ ساعة ولا بد لي من ان اسير الى ابيهِ فافعل بهِ وبفرسانهِ كما فعلت بهذا وافرج عن كسرى ثقل الحرب التي اتصلت شرارتها من الشرق الى الغرب فاصابت البعيد والقريب . فقال لها حبًا وكرامة سأقتلهُ في هذا النهار واريح الدنيا من شره واخذ بثار وزيري في الحال ثم قدم رستم وجعل يلومهُ ويعنفهُ وهو لا يبدي كلمة ولا يظهر حركة بل كان لا يعي من شدة الغيظ كيف غدرت بهِ تلك الخبيثة

المحتالة وانفذت فيهِ سهام غرامها فذهب اسير اللواحظ لا اسير القتال

قال وكان عند الملك هندام وزير مسن قد حنكته الليالي والايام خبيرًا باحوال الزمان يعرف تقلباته ويدرك معنى الاحوال وقد رأى من حالة رستم غيظهُ وكدرهُ فثبت عندهُ انها ما اسرتهُ في القتال وانها احتالت عليهِ الى ان رمتهُ في شراك هواها واحب ان يخلص رستم من القتل الى ان يصل الخبر الى ابيهِ لانهُ كان يعبد الله العزيز الجبار ويكره عبادة النار ولذلك قال لحسانة اليوم علمت كل اهل المدينة ما لكِ من الفضل والشجاعة التي لم يسبقكِ الى مثلها فارس صنديد وبطل مجيد كيف لا وقد قهرتِ الامير رستم فرخ بن الامير حمزة العرب الذي قتل داهور الهندي وارعب جيش كسرى وطار صيتهُ وصيت ابيهِ في الآفاق غير اني لا اريد ان تعجلي في قتلهِ بل ارغب ان ترسلي بهذه الاخبار الى كل العمال واعيان البلاد وتدعيهم الى الحضور والفرجة على مصرع اسيركِ فيزيد بذلك قدركِ ويرتفع شأنكِ ويعرف البعيد والقريب انكِ اخذتِ ثار وزير دولة ابيكِ وايضًا من الواجب ان ترسلي خبرًا الى الملك الاكبر كسرى انوشروان واعلميهِ بواقعة الحال فيغمركِ بالعطايا والانعام ويزيد في ملك ابيكِ ويدعوكِ اليهِ . فاي فخر لكِ اعظم من هذا الفخر الذي لم ينلهُ قط احد سواكِ . فلما سمعت كلام الوزير هب في رأسها حمر العظمة والفخار ورأت ان كلامهُ عين الاصابة . فقالت لا بد لي من انفاذ ما اشرت اليهِ ولا اقتل رستم ما لم تجتمع روساء الطوائف وحكام الاقضية والبلدان ويرونهُ اسيرًا بين يدي ومن ثم اقتلهُ بيدي واشفي غليل ابي من قتلهِ فاستحسن ابوها ذلك وقال افعلي ما ترغبين واكتبي الى كسرى وبشريهِ بذلك وادعي كل عمالنا لان بذلك رفعة مقامنا وبهِ ايضًا تزيد هيبتنا في قلوب الجميع فيخافنا البعيد والقريب . واما الوزير فانهُ سقط عن قلبهِ الهم والكدر وتأمل خلاصهُ من اقرب طريق . هذا ورستم لا يعي على احدٍ لكنهُ ادرك ان خلاصهُ كان بواسطة الوزير فاخذهُ الى السجن حقيرًا اسيرًا مهانًا وقد صبر على نفسهِ وأمل الخلاص باقرب وقت ومع كل ذلك فانهُ كان لا يزال يتصور محاسن حسانة ويميل قلبهُ اليها ويعجب من جمالها الباهر ويتمناها لنفسهِ لانهُ كان كابيهِ في بداية حياتهِ يميل الى مغازلة النساء ويسلم نفسهُ الى اهوائها ويؤخذ بمعاميل الجمال . ولما انفرد بذاتهِ جعل يفكر بما وقع عليهِ وقد وعى الى ذاتهِ واخذ يتأمل فيما كان من امرهِ مع حسانة وهو تارة يعض على اصابعهِ كيدًا وغيظًا من تسليم نفسهِ الى غرامهِ ويفكر انهُ لو كان اسرها لسهل عليهِ جدًّا الاستيلاء عليها والتزوج بها وطورًا يشرد بهِ هواهُ الى ان يتصور معنى حسنها وما رأى منها من استهلال جبينها الوضاح وكيف قد كشفت لهُ عن ذاك الصدر اليقق وذينك النهدين البارزين اللذين القيا بهِ الى السجن والاسر واذلاهُ واي اذلال . فكان الحب يتغلب عليهِ والجمال يشغل افكارهُ ويؤمل

ان تأتي العرب فتخلصة ومن ثم يعود الى حسانة فيأخذها زوجة بالرغم عليها ويذلها ويملك زمامها وتصبح في اسره الى طول حياتها

قال فهذا ما كان من رستم والملك هندام وابنتهِ واما ما كان من الرجال الذين هربوا من وجه حسانة بقيوا مجدين في مسيرهم وامامهم سيار العيار حتى جاءوا خوارزم ودخلوا على حاكمها واخبروهُ بما وقع على الامير رستم فطار صوابهُ فاجتمع باخيهِ ورجال قومهِ وتشاوروا في ماذا يفعلون واخيرًا قرَّ رايهم ان يسيروا الى الامير حمزة ويطلعونهُ على ما جرى على ابنهِ لكي يسرع الى خلاصهِ وفي الحال ركبوا خيولهم وساروا مجدين الى جهة المدائن حيث يعلمون ان العرب نازلين هناك وما بعدوا عن المدينة الا القليل حتى التقوا بعمر العيار لانهُ كان يفتش على الامير رستم ويستقصي اخبارهُ من كل الجهات وذلك لان الامير حمزة كان قد اعتراه الحزن لغيابهِ وضاق صدرهُ وهو لا يعلم في اي جهة سار وخاف ان يكون كسرى قد احتال عليهِ والقاه في حفرة الهلاك دون ان يعلم بهِ احد ومثلهُ كان جميع العرب وفرسانهم لان ما من واحد منهم الا ويحب الامير رستم محبة عظيمة فوعدهم عمر العيار بالمسير اليهِ واستكشاف اخباره وسار الى خارج البلد وعرف انهُ سار في تلك الطريق فجعل يسير فيهِ ويفحص عن مكان وجوده ومسيره ويومل انهُ ان كان حيًّا لا بد ان يراه بوقت قريب ولا زال سائرًا الى ان التقى بحاكم خوارزم فتقدم منهم واذا بهِ يرى بينهم انسهُ سيار فطار من الفرح ودنا منهُ وقال لهُ لما هذا التقاعد والتباعد وابن سيدك فجعل يبكي واخبره بانهُ اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام فوبخهُ ولامهُ وقال لهُ كيف تتقاعد عن المسير الينا والرجوع علينا . قال اننا سائرون الى الامير حمزة وهولاء هم حاكم خوارزم واخوهُ ورجالهُ وقد تزوج رستم ببنتين منهم . ثم اعاد عليهِ القصة من اولها الى اخرها فتقدم عمر وسلم عليهم وسلموا عليهِ واخبروهُ انهم ذاهبون الى العرب ليطلعوا الامير حمزة على خبر ابنهِ ليسعى في خلاصهِ قبل ان يلحق بهِ ضرر . فقال لا باس ارجعوا انتم الى المدينة وبعد قليل من الايام تكون عندكم سائر فرسان العرب ولا بد لنا من قتل الملك هندام وخراب بلاده الى حد اساساتها ليعرف كيف يخاصم العرب ويجسر على اسر سيد عظيم منهم . ثم ودعهم وكرَّ راجعًا كانهُ السهم اذا انطلق حتى وصل الى المدائن ودخل على اخيهِ وهو في صيوان اليون شاه واخبره بامر ابنهِ وانهُ اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام صاحب الجزر وشرح لهُ القصة بتمامها . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابهُ وغاب هداهُ وصاح من ملء راسهِ هلموا ايها الفرسان واتركوا هذه الاراضي واسرعوا الى خلاص ابني قبل ان يقع بهِ الضرر او يقتلهُ الاعداء وما اتم كلامهُ حتى اسرع كل واحد الى جوادهِ ولم يغفل احد منهم ان يتعوق الى الغد وباقل من ساعة ركبوا باجمعهم ورفعوا احمالهم وتركوا تلك الارض واقلعوا عنها مسرعين في

طريق خوارزم كانهم الجراد المنتشر وفي ايام قليلة وصلوا اليها فخرج اهلها الى ملتقاهم وترحبوا بهم وسلموا عليهم وجاءت زوجتا رستم وقبلتا يديه وبكتا على بعد زوجيهما فطيب بخاطرهما ووعدهما بخلاصه باقرب آن ومن ثم رحل من ذاك المكان يقصد الملك هندام ومن خلفه الفرسان والابطال وفي وسطهم السلطان قباط وفوق راسه علم بيكار الاشتهار وبين يديه الحراس والخدم

قال ولما رحل العرب عن المدائن تعجب الاعجام وارتاعوا من هذا الامر واخبروا به ملكهم فقال لا بد من سبب لذلك قال اذا شئت ارسلنا خلفهم من يحص لنا عن احوالهم ويانينا باخبارهم قال دعهم يرحلون ولا تتعرض لهم ولا تفعل شيئاً تلقينا به بالويل والخراب . فاذا رحلوا ولم يرجعوا كان احسن وهذا الذي اريده ولا اريد ان اسمعك بعد الان تذكر لي حديثهم فسكت بختك في الحال لكنه في ثاني الايام بعث في استقصاء اخبارهم وارسل بالرسل والمكاتيب الى كل الجهات يستدعي العساكر ويجمع الابطال وفي نيته ان لا يرجع عن العرب حتى يبيدهم عن اخرهم واخذ يمكر في الطرق التي تبيدهم وتقرضهم عن اخرهم وسنرجع الى ما صار من العجم في غير هذا المقام

ولما وصل الامير حمزة الى بلاد الملك هندام انتشر خبره في كل البلاد فجفل الاهالي وهرب الكبير والصغير الى جهة المدينة وهم يتعجبون من كثرة العساكر وعظم ذاك الموكب الجسيم مع اختلاف اجناسه ووصل الخبر الى الملك هندام فجفل وارتاع وخاف على بلاده من الخراب وجمع اليه قومه واستشارهم في ماذا يفعل فاشاروا عليه بالطاعة فلم تقبل حسانة وقالت لابيها سوف ترى ما افعل لك بالامير حمزة وفرسان العرب ولا بد ان اقيدهم الى بين يديك واحداً فواحداً . فقال لها اني اخاف عليك في هذه المرة لان فرسان العرب كثيرون . قالت لا تخف وقد امتحنتني في غير هذه المرة وعلمت بسالتي وسوف اريك ما يكون من حمزة ولا بد ان ارمي راسه امامك في هذا المحل فيشهد جميع العالم ببسالتي . قال اعملي ما بدا لك وها ان فرساني بين يديك تحت امرك وقاومي العرب واذا رايت العجز فاخبريني لاذهب بنفسي . قالت لا يلزم هذا الامر فاني سأباشر الحرب بنفسي واطلب براز فرسان العرب وابطالهم واصطادهم كالعصافير واحداً بعد واحد

وبعد ذلك اخذت مائة بنت والبستهن ملابس الجنود وخرجت من المدينة قاصدة معسكر العرب وكان نازلاً بالقرب من هناك ولما وصلت اليه نزلت وضربت لها خيمة في تلك النواحي مع جماعتها وقد راى ذلك العرب وفرسانهم فتعجبوا واخذوا يضحكون من هذا العمل وقد قال سيار لحمزة ان هذا الفارس الذي اسر سيدي رستم فعزم على مبارزته . ولما كان الصباح نهضت

حسنائه ولبست ثيابها وتقلدت بسلاحها وبرزت الى ساحة القتال وصالت وجالت من اليمين والشمال . ثم وقفت في الوسط وطلبت مبارزة الامير حمزة البهلوان وفي الحال صار الامير حمزة امامها وهو كانه الاسد الكاسر وبدون سؤال ولا جواب حمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الضراب والطعان . وقد احدقت اليهما الفرسان . تنظر ما يكون بينهما من هذا الشان ومضى عليهما مقدار ساعة وقد راى الامير حسانة ضعيفة الثبات فاحتار في امره وتعجب كيف تمكنت من رستم وهو اشد فرسان العرب بسالة واقداماً وثباتاً واخذ في ان يزيد عليها ويضايقها من كل مكان حتى تاكدت انها هالكة لا محالة ولذلك صاحت بالامير مستجيرة وعولت على الحيلة فتوقف عن القتال فقالت له اصبر عليَّ قليلاً وانصفني فانا بين يديك لا اهرب قط . فاجاب طلبها وهو لا يعلم انها تنت الى ان نزعت الخوذة عن راسها وارسلت بشعرها الحالك على اكتافها فغطى ظهر الجواد وازاحت اللثام عن وجهها الوضاح فبان كانه البدر بتمامه وقد زاد التعب وضيق النفس في احمرار خديها والعرق يسيل الى ذقنها ويسقط من هناك كحبات من اللؤلؤ الصافي . ومن ثم فكت ازرارها وارخت نهودها الى الهواء واخرجت منديلاً لتمسحها من العرق ونظر اليها الامير حمزة وهما تحقق من القصة ياخذان بعقل الشيوخ فضلاً عن الشباب وحينئذ خطر في ذهنه انها ما اخذت اخاه اسيراً الا بمثل هذه الحيلة ومع انه كان يميل الى جمال النساء جداً لكن نفسه كانت قد شبعت منهن واصبح لا يؤخذ بحبائلهن ولو كان في اول امره للحق به ما لحق بولده لكنه ثبت جاشه وقاوم اميالة ولم يرسل بافكاره الى التمعن بما يراه من حسنها وجمالها بل صاح بها صيحات الاسود وقال لها لقد صار من العار عليَّ ان اشهر عليك حساماً ولا بد لي من اسرك . ثم رفس جوادها برجله فالقاها الى الارض طريحة فانقض عليها عمر العيار واخذها اسيرة وهي على تلك الحالة . وحينئذٍ رجع البنات الى المدينة فلم يلحق بهن الامير ولا قاومهن بل رجع الى الخيام وهو يقول لا بد من زواجها برستم لانها اخذته اسيراً واضاعت عقله وهي جميلة للغاية وهو شاب يلعب براسه الجهل من اوله

قال ولما وصل البنات الى الملك هدام واخبرنه بما جرى على ستو وقع الرعب في قلبه وعول ان ينهض لمحاربة العرب فاوقفه الوزير وقال له لا ترمِ بنفسك في بحر الجهالة فتهلك انت وقومك ولو كانوا بعدد رمل البحار وما منعتكم عن قتل رستم الا خوفاً من هذا الامير الا تعلم ما جرى على الملك الاكبر كسرى انوشروان منهم وكم بددوا له جيشاً وكم اهلكوا فارساً صنديداً وقد جمع لهم الرجال من مشرق الارض الى مغربها فانظر موضع النظر وع نفسك قال ماذا افعل هل اترك ستي في قبضة الاعداء واتقاعد عن خلاصها . قال لا نقدر على خلاصها بقوة السلاح وعندي ان تستدعي اليك رستم ابن الامير حمزة وتعرض عليه امر الصلح

وتعتذر اليه وتزوجه ببنتك وهو يجهل ما بينك وبين العرب فيعدك بالامان واذ ذاك تطلعه على امرك وامر ابيه . فاستصوب هذا الراي ودعا اليه رستم وامر بحله واجلسه بالقرب منه واكرمه مزيد الاكرام واعتذر اليه وقال له هل تسمح لي بذنبي في اسرك واما لا اعرف قدرك ولما عرفت من انت اردت ان ازوجك من بنتي واتخذك عوناً لي وتسامحني على ما سبق مني . قال اني تركت لك حقي بذلك وقبلت ان اتزوج بنتك ولا لوم عليها في اسري لانها جاهلة وما قصدت قتلي الا بغضاً منها ولكن متى صارت زوجتي تلتزم الى محبتي . فاين هي الان . قال ان جهلها دفعها الى قبضة ابيك ولذلك اريد منك صرف هذا الامر ومراضاته واما اسامحك بدم وزيري الذي قتلته . ثم قال الوزير اني اعرف ياسيدي رستم انكم من القوم الكرام لا تأخذون المذنب بجريمته ولا تصرون على الانتقام ولذلك ارجوك ان تجيب الملك هندام الى طلبه وتتزوج من بنته ولك بذلك الفضل والجميل . قال اني اجبت الى ذلك ووعدت ولا بد من ارجاع ابي عن غايته اكراماً لك وللملك هندام لانك فعلت معي الجميل من الاول واحييتني بعد ان كانت حسانة ترغب في قتلي . واذ ذاك نهض الوزير فقبله وفعل مثل ذلك الملك هندام فقبل ايديه وشكر منه وفيما هم على تلك الحال واذا برسول الامير حمزة قد دخل على الملك هندام واعطاهُ رسالة منه يطلب اليه الخروج من المدينة للحرب والقتال وان يطلق سبيل رستم في الحال . ولما قرأ رستم هذا الكتاب قال للرسول اذهب الى ابي وقل له اننا قد اصطلحنا ووقع بيننا الامان والسلام ولا بد لنا من الذهاب اليه في هذه الساعة فرجع الرسول الى الامير واخبرهُ بانه رأى ابنه مطلق السراح في ديوان الملك هندام ففرح وحينئذٍ وصل رستم ومعه الملك والوزير واعيان المدينة فخرج الامير الى ملتقاهم خارج الصيوان وقبل ابنه وسلم عليه وهناهُ بالسلامة وترحب بالوزير وهندام وادخلهم جميعاً الى الصيوان واحسن مثواهم واطلق سبيل حسانة فجاءت الصيوان وقبلت يدي ابيها وبكت امام الامير حمزة واعتذرت عما وقع منها . ثم قال حمزة لهندام اريد ان اقوم بزفاف ابني على بنتك باقرب وقت . قال افعل ما بدا لك فهي جاريتكم منذ هذه الساعة ففرحت حسانة بذلك ولم يكن يخطر لها قبلاً ببال . وهيأت نفسها واصلحت شأنها ودارت الافراح بالمدينة وبين العرب مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن زف رستم على حسانة ودخل بها وسرَّ منها وسرّت منه ووقع الحب بينهما بعد ان كانت ترغب في هلاكه وهذه تروح منه حامل بذكر يدعى الخان المطان

واقام العرب في تلك النواحي مقدار شهرين تمام وهم على سرور وافراح وبسط وانشراح وقد ظن الامير حمزة ان الملك هندام صافي السريرة حسن الطوية فاراد ان يودعه ويرحل الى بلاده فاظهر كدرهُ من ذلك وقال له اني كنت احب ان تبقوا الزمان عندنا لابقى انظر

الى بنتي لأنها عزيزة جداً عندي . قال ان شئت ابقيت بنتك عندك الى ان يسمح الزمان لنا بالراحة فنرسل ونأخذها فاستصوب هذا الراي وكاد لا يصدقهُ وكذلك حسانة قبلت ان تبقى عند ابيها الى ان يأذن لها الزمان . وبعد ذلك تشاور العرب في بعضهم هل يذهبون الى مكة او يسيرون الى حلب او يرجعون الى المدائن . فقال الامير حمزة لسلطان العرب اني ارغب في الرجوع الى المدائن لاعلم ماذا فعل كسرى وبختك قال لا نرجع الان الى هناك بل نرحل الى حلب ونقيم فيها اياماً نراقب ما تفعل الاعجام . وباتوا تلك الليلة الى الصباح وفيهِ نهضوا وحملوا باحمالهم ورفعوا باموالهم واقلعوا عن تلك الارض يقصدون حلب وقد ودعوا الملك هدام وسكان تلك الاراضي ورحلوا مدة ايام حتى جاءُوا مدينة حلب ونصبوا خيامهم في ضواحيها وسرحوا بانعامهم وعرف نصير الحلبي بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وكذلك رجال المدينة واهلها وكان اكثر نساء العرب في المدينة وقد جئن باولادهن الى آبائهن واجتمع المقيم بالغائب والغائب بالحاضر وهم فرحون بهذا الاجتماع

وسأل الامير حمزة صاحب حلب عن كسرى وعن اخباره هل سمع شيئاً جديداً قال جل ما سمعتهُ في هذه الايام انهُ يجمع العساكر والرجال حول المدينة ويريد الحمل على العرب وغير ذلك لا اعرف . فقال حمزة لعمر العيار اذهب الى المدائن وانظر لنا في هذا الامر عساك تعرف غاية كسرى والى اي جهة يريد ان يسير فانظر لنا من الذي اجتمع عندهُ من الفرسان والابطال ومن الذي يعول عليهِ في هذه المرة . فاجاب عمر الى ذلك وسار الى المدائن بكل سرعة حتى وصلها ودخل الديوان وقد شاهد عساكر كثيرة حول المدينة ورأى كسرى بانهماك مع بختك فصبر الى المساء حتى انفض الديوان فتتبع بزرجمهر الى ان دخل خلفهُ القصر وهناك تقدم منهُ وقبل يديهِ وسلم عليهِ واخبرهُ بكل ما كان من امرهم وسالهُ عن قصد كسرى اهل ينوي تجديد الحمل على العرب . قال ان هذا لا ينتهي ما زال بختك في قيد الحياة لانهُ ظن ان ذهابكم عن المدينة كان لسبب خوفكم وضعفكم في البداية ثم عرف بسيركم الى حلب فتاكد لهُ انكم لا ترجعون فاشعل قلب كسرى واوغر صدرهُ حتى حملهُ على جمع العساكر والمسير خلفكم وقال لهُ ان ترك العرب مضرٌّ بالعجم ولا بد من اخذ الثار ودوام الحرب الى ان تساعدهم النار ومن جملة من كتب اليهم في هذه المرة فارس صنديد مشهور في مدينة حكم صداي في بلاد العجائب اسمهُ رعد المنفش ويقال عنهُ انهُ من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام وجاء الجواب بانهُ عن قريب يصل الى هذه الديار . قال هل ترى ان من اللازم الرجوع الى المدائن ومحاصرتها ام البقاء في حلب او المسير الى مكة . قال ان بقاءكم الان في حلب اوفق من الرجوع الى هنا وان كان هذا رعد المنفش لا يقاس بفرسانكم العظام لكن الايام عليكم اخذت في ان

تجور ولا بد من سرور وغموم وهموم لان الدهر لا يستقيم على حالة فاذا اضحكك اليوم ابكاك في الغد ومتى رأيته مقبلاً فتاكد انه سيدبر واذا شاهدته ادبر فتيقن انه سيقبل وحيث ان لا بد من وقوع الحرب بينكم وبين الاعجام فاذا قصدكم كسرى الى حلب افضل بكثير من انكم تقصدونه انتم الى هنا لان يوم المدائن لم يأتِ بعد

فمكث الامير عمر العيار في المدينة ثلاثة ايام وفي كل يوم يخرج الى ديوان الملك كسرى ويسمع ما يدار هنالك من الكلام وفي المساء يأتي قصر بزرجمهر الى ان رأى الاعجام قد خرجت الى ملاقاة رعد المنقش فسرَّ لذلك واختلط بينهم وخرج معهم حتى بعدوا عن البلد مقدار ثلاث ساعات والتقوا بالعساكر وكان عددهم نحو مائتي الف فارس وفي مقدمتهم رعد المنقش وهو قصير القامة عريض الاكتاف كبير الدماغ يكاد يستوي طوله بعرضه وسمكه وسمة الشجاعة تلوح على وجهه وبالحقيقة انه كان يحب سفك الدماء كثيرًا حتى انه اليوم الذي لا يهرق فيه دمًا لا يلتذ بعيشه ولا ينام مرتاحًا فيلتزم في كل يوم وهو في بلاده ان يأتي بالاغنام والنصلان فينحرها ويهرق دمها على الارض ويتركها الى قومه فيفرح وتنفرج كربته فسلم عليه بختك واعيان كسرى وترحبوا به ورجعوا جميعًا الى الايوان وبختك يزيد في تعظيمه وتكريمه ويمدح منه ومن شجاعته حتى دخل على كسرى فسلم عليه وقدم له احترامه فترحب به ببرود وقد امعن فيه النظر فلم يتصور فيه الثبات ولا حدثته نفسه بانه يقدر على مقاومة العرب وفرسانهم ولاحظ الوزير بختك ذلك فاراد ان ينزع من راس كسرى هذا الفكر ويحمله على الاعتقاد بانه افرس فرسان هذا الزمان . فقال له هذا ياسيدي رعد المنقش صاحب الغارات المشهورة في كل مكان والوقائع المشكورة المعروفة التي اكسبته الرفعة وعلو الشان وسوف ترى بعينيك ما يعمل لك بالاعداء ولا يمكن ان يعرف الانسان بمجرد النظر الى وجهه لان الابطال مستترة تحت اثوابها ولا بد ان تكشف لك الايام صدق قولي . فقال كسرى اني ارغب ذلك لكنني اعرف ان لا فارس يقدر ان يقاوم فرسان العرب فاذا كان داهور الهندي هلك منهم فهل يقدر غيرهُ على هلاكهم . قال لا بد لرعد هذا البطل العظيم ان يبيدهم عن اخرهم لان الشجاعة ليست بكبر الجثة وعظم الهيكل بل بقوة الذراع وثبات الجنان وعن قليل تقع الحرب فترى افعاله وتشاهد حملاته وتتاكد صدق قولي . فقال كسرى ان كان الامر كما تقول فاني افضله على ملوك دولتي واشاركه في نعمتي ومن هذه الساعة اشدهُ بهلوان تختي وغفير مملكتي وامر ان يلبس ثوبًا من الارجوان ويشد وسطه بمنطقة من الذهب مخصوصة بمن يكون غفير بلاد الفرس وبعد ان رأى الامير عمر العيار ما رأى وسمع كلام بختك ودع الوزير بزرجمهر وسار يقصد مدينة حلب ولما وصلها وجد الامير والعرب بانتظاره وسألوهُ عما رأى فاخبرهم بكل شيء وبما شاهد من

رعد المنقش وسمع من بختك الوزير وقال له ايضًا ان من راي بزرجمهر ان تبقوا في حلب الى ان ياذن الله بالفرج ولا تذهبوا الى المدائن ولا بد للملك كسرى ان يقصدكم الى هذه البلاد . فقال الامير لابد من البقاء هنا وانا في هذه المرة لا نخالف امر الوزير وفي كل مرة خالفناهُ كان علينا وبالاً . واقام العربان بانتظار الاعجام

قال وكان بختك قد استخبر وعرف ان العرب مقيمين في حلب فاخبر كسرى به فامر بركوب العساكر والمسير الى تلك المدينة وهو متيقن كل التيقن انهُ لابد من الانتصار في هذه المرة وعلى امر كسرى اتهوا الاستعداد وفي الصباح خرج هو وجماعتهُ والاعيان وعلوا ظهور خيولهم وساروا على طريق حلب كالجراد المنتشر وعددهم ١٧ كرة ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا على سهل حلب وشاهدوا معسكر العرب فضربوا المضارب والخيام تجاههم وسرحوا بانعامهم خلفهم وقال رعد المنقش وقد استصغر جيش العرب ان الاعداء قليلو العدد ولا بد لنا من هلاكهم فلا يبلغون نصف عددنا قال ان العدد لا يقوم مقام الشجاعة فكلهم ابطال وفرسان . قال اني اتكفل لك بهلاك فرسانهم جميعًا وسترى عن قريب . فقال كسرى انهُ يخطر لي ان ارسل اليهم رسالة وادعوهم الى الطاعة وان يسلموني علم بيكار الاشتهار ويتفرقوا كل واحد الى بلاده عساهم يصغون ويسمعون وبذلك يهون علينا الامر كثيرًا . فقال بختك ان هذا غير الاصابة كون العرب عصاة لا يعرفون مقامك ولا يصغون الى كلامك وكلما بعثت اليهم بكتاب زادوا وطمعوا وظنوا ان ذلك منك عن عجز وضعف لا عن رحمة وكرامة وشفقة واري من الصواب ان نفاجئهم في الصباح ونحمل عليهم حملة واحدة من الاربع جهات ولا نرجع عنهم حتى ندخلهم المدينة ومن بقي حيًا منهم نتركهُ يموت جوعا في داخل المدينة ولا نبارح هذا المكان سنينًا واياما حتى ننال الفوز الى الحد الاخير واتفقوا على هذا الراي وصبروا الى اليوم الثاني وفي الصباح نهض العربان بعد ان ضربت طبول الحرب والطعان . وركبت الابطال والفرسان . وتقدمت الى اطراف الميدان . وقد خفقت الاعلام ولاح لكل فارس من فرسان ذلك المقام . ان ذلك اليوم كثير الاهوال عظيم الاحوال . وكان في مقدمة الاعجام رعد المنقش وفي مقدمة العربان الامير حمزة البهلوان وفي الجناح الايمن الامير رستم فرتم والاندهوق وجماعة من الفرسان وفي الجناح الايسر سعد اليوناني وابو عمر والمعتدي . وحالما وقعت العين على العين كثر الصياح من الطرفين وصاح الامير رستم وحمل كانهُ قضاء الله المنزل ومثلهُ فعل الامير حمزة والاندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وعمر اليوناني وابنهُ سعد والملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وملوك التركمان وامراء الاكراد واصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وارتجت لحملاتهم جنبات تلك الارض بالطول والعرض . وما قل من

نصف ساعة قامت القيامة . وقلت السلامة . ووقعت الندامة . وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وكان يوماً عظيم الشان . لم يسمع بمثلو في سالف الازمان فيو تدفقت الادمية كالغدران . وبذل ملك الموت ما لمن القوة والسلطان . فطرحت الجثث الى بساط الصحصحان . بعد ان لاقت اشد العذاب والويل . واندثرت تحت حوافر الخيل . ولم يكن يسمع الا تالم وتوجع وتشك وانين وهمهمة ودمدمة وتوعد وتهديد واصوات وقوع سيوف على درق او اسنة على زرد ولم يكن يوم الحشر اشد هولاً عن ذاك اليوم ولا رات ولا سمعت اذن اعظم اضطراباً منة فلله در الامير حمزة صاحب هذه السيرة فانة اباد الرجال . واهلك الابطال . واعظم من عملو كان عمل ابنو رستم فرتم فانة اخترق صفوف الاعجام وانزل عليهم مبازيب الغضب والانتقام . ففرق الكتائب وبدد المواكب . وترك القتول بين يديو كالتلول . وكلما راى جيشاً من الاعداء متجمعاً عليو كانة قضاه الله المنزل ففرقة باسرع من لمح البصر ولم يكن اشد فرسان الاعجام قادرًا ان يثبت بين يديو او يرضى ان يقف في وجهو بعد ان يرى عجائب حملاتو وسرعة ضرباتو وطعناتو ويشاهد منة انة يحمل من اول العسكر وباقل من لمح البصر يصير في الاخر وصوتة يرن في آذن كل من المتقاتلين . وكذلك كانت تفعل باقي الفرسان وعمل رعد المنفش اعمالاً عجيبة في ذلك اليوم ولولا محاولة فرسان العرب ودفعو لكان اهلك كثيرًا منهم لانة كان اذا التقى بواحد لا يقدر ان يقتلة الا بعد دفاع ونزال ومعاركة كثيرة ومع كل ذلك فانة قتل كثيرًا من العرب وكانت فرسان الاعجام قد طرقتها كثرة الوقائع والحروب وعلمها التكرار والثبات في الدفاع والهجوم ففعلت فعلاً جسيماً ولا زالت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تقدم ضحايا على مذابح العدم الى ان اقبل الظلام واسرع النهار بالانهزام . فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلون الى الخيام وما منهم الا ومن صبغ بالدماء وتلطخت ثيابة واسود وجهة وما صدق ان ذهب النهار حتى رجع لاخذ الراحة ومناولة الطعام ورجع رعد المنفش وهو كانة شقيقة الارجوان مما سال عليو من دماء الفرسان . فسر كسرى من بسالتو واقدامو وتامل فيو النجاح والتوفيق وقال لة اذا انتهى لي النصر على يديك كنت انت الحاكم في بلادي والسيد عليها ولا احد يعلو عليك . قال اني القيت الرعب في هذا اليوم في قلوب اعداك ولا بد انهم يتفرقون قريباً ويفرون من هذه الديار ولكن اقسم لك بالنار وبتربة اجدادك انهم لو ساروا داخل البحار لتاثرتهم واهلكت منهم الكبير والصغير ليتاكدوا ان في خدمتك فرسان لا تنتج مثلهم الزمان ولا تاتي بنظيرهم الايام . وقال بختك اعلم ياسيدي اني نظرت موضع النظر ولو كان في جيوشنا اثنان مثل رعد المنفش لانتهت الحرب في هذا النهار ووقع لنا النصر الذي نريدهُ ومع كل هذا فاذا تعوقنا الى شهر او شهرين فلا باس فانة يفنيهم في الاخر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا كذلك فائزين من جهة ومتكدرين من اخرى وقد رأوا انه قد قتل من جيشهم جانب غير قليل ولذلك امر حمزة ان تتأخر العساكر ولا ينزل الى القتال الا ربعها فقط والباقون لا يحملون الا في آخر النهار بحيث تكون قد تعبت عساكر الاعجام . واختار منهم القواد والشجعان وقال اننا وحدنا مع مائة الف نفس تكفي لرد الاعداء وفي اليوم الثاني تجدد القتال وعظمت الاهوال . وزاد القيل والقال . وقتل كثير من الفريقين الى ان جاء المساء فرجعوا الجميع وفي الصباح عادوا الى مثل ما كانوا عليه وداموا على هذه الحالة مدة خمسة عشر يومًا حتى وقع النقص في عساكر الاعجام لان الراي الذي دبرهُ الامير حمزة كان موافقًا لهم وكان لا يحارب الا بالابطال المعدودين ويترك الباقين الى قرب المساء فيحملون وهم براحة على الاعداء المتعبين فيقتلون كثيرين منهم . وفي اليوم الاخير رجع رعد المنقش الى صيوان كسرى وهو متعب جدًا وقد التقى في ذاك اليوم بالامير سعد اليوناني فاشغله كل النهار ورجع دون ان يقتل احدًا فتكدر وقال للملك كسرى ان رجالك جبناء ضعفاء فما منهم من يسد عوزًا وانا وحدي التزم ان ادفع اعظم فرسان كفرسان العرب وارى ان عساكرنا على نقص متواصل ولا بد ان يفنوا بعد ايام اذا دامت الحال على مثل هذا المنوال ومن الراي الحسن ان تكفهم في الغد عن القتال حتى اذا افنيت الاوائل هان علينا هولاء الاواخر . قال اني كنت ارغب في ذلك وعندي ان تقتل لي الامير رستم والامير حمزة في الاول فاذا قتلت هذين الفارسين تفرّق الجميع وخافوا واركنوا الى الفرار . قال اني سأقتل الاثنين بيوم واحد اذا شاءت النار وكانت راضية علينا . وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحال الى ان كان اليوم الثاني نهض المعسكران وتقدموا الى ساحة الميدان وقبل ان يهجموا على بعضهم البعض برز رعد المنقش الى الوسط وصال وجال حتى حير عقول الرجال . ثم وقف في الوسط ونادى يطلب الابطال والفرسان وصناديد الشجعان وحينئذٍ سقط اليه فرهود صاحب التكرور وهو كأنه الغول وصدمه صدمة جبار صنديد وحمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الطعن والضرب والكر والفر والمحاولة حتى سبح الجوادان بالعرق وضاقت منهما الانفاس وكانا بطلان عظيمان وفارسان جسيمان وقد احدقت بهما كل عين وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان وما زال القتال واقعًا بينهما الى بعد الظهر وهناك صاح رعد المنقش وهجم على فرهود واختلف بينهما ضربتان فاصلتان ووقعت ضربة فرهود على طارقة رعد فاضاعها بمعرفته ووقعت ضربة رعد على طارقة فرهود وسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع في الارض لكنه جاء واقفًا وبقي الحسام في يده يدافع عن نفسه فهجم عليه رعد وطعنه برمحه فمال عنه وفصل الثبات على الهرب ورأى حمزة صعب الموقع الذي

و فرهود فاراد خلاصة من بين يدي خصمو فهجم على رعد وصاح بو وحينئذٍ كان قد لحق كسرى الفرح الزائد وسرّ من عمل فارسو ولما رأى حمزة وقد هجم عليو خاف ان يبطش بو لانة مهان فامر عساكرهُ بالحمل فحملت دفعة واحدة على الامير فالتقاها بصدره وهجم عليو وباسرع من لمح البصر انطرح الامير رستم على الاعداء وانطرحت من بعدهِ فرسان القبائل وملوك العربان من كل ناحية ومكان وقاتلوا قتال صناديد الابطال . وكان العيارون قد جاءوا الى فرهود بجواد فركبهُ وعاد الى القتال والتقى برعد المنفش وفي نيتهِ ان يأخذ لنفسهِ منهُ بالثار فلم يقدر بل انجرح من حسامهِ ولولم يدركهُ الامير رستم في آخر النهار ويخلصهُ منهُ والاّ كان قتلهُ واعدمهُ الحياة وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان عن ساحة القتال الى الخيام وكشف الامير حمزة على جرح فرهود فرآهُ غير بالغ فسلمهُ الى اسطون الطبيب ليعالجهُ واوصاهُ ان يعتني بهِ كل الاعتناء الى ان يشفى فاخذ في مداواتهِ

ثم ان الامير جمع اليهِ السادات وقال لهم انهُ لا بد في الغد ان يبرز رعد المنفش الى ساحة الميدان واريد ان ابرز اليهِ انا ولا اريد ان يسبقني احد منكم واخاف ان تصابون منهُ بسوء فقال لهُ الاندهوق اننا نخاف عليك نحن ولا نخاف على ارواحنا لانهُ اذا اصابك امر تفرقت الفرسان وانفرطت سبحة العرب واما اذا قتلنا كلنا فلا اسف علينا قال اني خائف من مثل هذا ولذلك لا اسمح لاحد بالبراز فاني اقدر على قتلهِ باقل من يوم . قالوا لا يمكن ابداً لان كل واحد منا يريد ان يجرب نفسهُ معهُ وما نحن من جبناء الرجال ولا اقامتنا عندك الاّ للحرب والقتال ولمثل هذا اليوم . وحينئذٍ قال الامير سعد اليوناني اني اقسمت بالله العظيم باجلالهِ اني لا ادع احداً منكم يبرز اليهِ سواي وقد سألتني امي في ذلك وحركتني اليهِ منذ ايام وهي تقول لي لا تدع احداً غيرك يبارز رعداً واذا قتلتهُ ملت المجد العظيم . فزجرهُ وقال لهُ لا اسمح لك ولا لغيرك بذلك فاني اختبرت رعداً وتأكدت ان لا احد يقتلهُ سواي واخاف ان يلحق بكم ما لحق بفرهود وجعل كل واحد يقول لا بد لي في الغد من مبارزتهِ واشتدت المكالمة والخصام حتى وقف الامير رستم في الوسط وقال لو سألتموني في هذا الامر لتركت كل واحد منكم يبرز اليهِ دون ابي وما ذلك الا حفظاً لمقامهِ لا خوفاً عليهِ لانهُ ليس من رجالهِ ولا هو ممن يقف قبالهُ وانا اقسم بالله العظيم وبالمسيح ابن مريم الذي احيى الاموات من العدم اني ابرز اليهِ بلا سلاح ولا عدة واكمل النصر والفوز عليهِ واسره بساعة من الزمان وعند الصباح فقوا امام السلطان قباطة واسألوهُ ان يأذن منكم الفرسان الى البراز فمن الهمتهُ العناية امرهُ بالبراز وما زال لنا ملك فهو الولي والحاكم يفعل ما يريد ويختار فاستصوب الجميع هذا الراي وباتوا الى الصباح وفيهِ ركب رعد المنفش وبرز الى الميدان والملك كسرى يؤمل الفوز والنجاح على

الامير حمزة فانهُ بقي محمولاً على عاتق الراعد مدة ايام ينزل بهِ في المساء وياتي لهُ بالاكل فياكل ويشرب ثم يحملهُ ويطير بهِ بسرعة نحو بلادهِ حتى انتهى بهِ اخيرًا الى ارض كثيرة الرياض حسنة المناخ يانعة الاشجار فنزل بهِ في ذاك المكان . وهو على حالهِ السابق وجاءهُ بالطعام فاكل وقال للراعد اريد ان ابقى في هذه الارض مدة يومين فقد اعجبني مناخها وطيب هوائها فاجابهُ ونام هناك تلك الليلة وفي الصباح نهض ونظر الى شرقي المدينة فوجد البحر يتصل بتلك الارض فانبهج وقال للراعد يظهر ان هذه النواحي واقعة على البحر ولا بد من اتيان المراكب والسياح اليها . قال ان هذه البلاد بعيدة عن المكان الساكنة بهِ الانس وهو لا يصل اليهِ احد من سكان ارضكم ولا تصل اليهِ قط المراكب . وفي تلك الساعة نظر الى احدى جهات البحر فراى شراعًا عن بعد يعلو مركبًا سائرة مسير البرق الخاطف فقال للراعد انت تقول لي ان المراكب لا تقرب الى هذه النواحي مع اني ارى مركبًا عن بعد . فقال لهُ الراعد هذه ليست مركب بل هي سمكة من نوع الاسفرني بقدر المركب الكبير تطفو احيانًا على وجه الماء وتسير ثم تغيب تحت الماء ولعدم وجود من ياتي الى هذا البحر ويصطاد منهُ تكبر بهِ الاسماك والسلحفاة فتصير الواحدة بقدر المركب لا بل بقدر الجزيرة فتعجب الامير من صنع الله سبحانهُ وتعالى وكيف ان لا احد ياتي الى تلك النواحي ولم يكتشف بني الانسان ذاك القسم من الارض الموجودين عليها . ونهض بعد ذلك وطاف في الرياض فكان يرى اشجارًا كبيرة ضخمة متنوعة الاثمار فعجب منها العجب الكلي وقال للراعد هل هذه الاشجار كبيرة العمر . قال نعم انها كبيرة واصغرها يبلغ عمرهُ ١٥ الف سنة وهذه لم يكن منها في نواحيكم وهي لذيذة الاثمار ثم مد الراعد يدهُ وجعل يقتطف منها ويناول الامير حمزة وهو ياكل بقابلية شهية فيرى فيها لذة عجيبة لم يذق مثلها طول زمانهِ . واذ ذاك قال للراعد اريد منك ان ترجع بي من هذه الطريق وتنزلني بها لاني اريد ان اخذ منها اثمارًا لمهردكار ولفرساني على سبيل الهدية كي اقاسمهم بهذه اللذة . قال لا بد من مرورنا منها وساحمل على عاتقي ما يكفي عسكرك برمتهِ حال رجوعنا

وكان الامير حمزة يفتكر انهُ سيرجع بوقت قريب ولا تطيل غيبتهُ ولم يكن يعرف ان الزمان لا يسمح لهُ ان الطريق الذي سار عليهِ يرجع منهُ . وبعد ان صرف باقي اليومين على الفرجة والتطواف من مكان الى مكان مسرورًا بوجودهِ فيها ويتمنى التطويل والراعد بين يديهِ يرجوه التقصير والسرعة بالمسير حملهُ وطار بهِ ولا زال سائرًا في الجو الاعلى مدة حتى انزلهُ في ارض مقفرة بين ثلاثة طرق وقال لهُ اعلم يا سيدي ان من هنا بداية حكم عمي وما عدت اقدر اظهر قط ولا اقدر ان اري احدًا نفسي لئلاَّ اهلك ولا عدت تراني الا بعد موت عمي فادعو الله ان يساعدك على غايتي . ثم تركهُ واختفى في الجوّ الاعلى فاندهش الامير حمزة من عملهِ وسرعة غيابهِ

واحتار في امره كيف يبقى منفرداً وحيداً وتكدر من عمل الراعد وذمة في ذاته . واخيراً راى ان لا بد من تقدمه فشكر الله سبحانه وتعالى وصلى له وسالة المساعدة والاغاثة فارتاح لذلك ضميره ووجد من نفسه لذة وراحة . وبعد ان انتهى من الصلاة اراد المسير فنظر امامه ثلاث مرات فوقف مبهوتاً متحيراً وقال كان واجب من الراعد على الاقل ان يدلني على الطريق ويخبرني كيف اعمل لاصل اى عمو واين يوجد غير انه اخيراً سار في احدى الطرق ومشى على رجليه مدة ست ساعات فجلس مرتاحاً من التعب نحو نصف ساعة ثم قام ومشى حتى وصل الى ارض رملية محرقة تلتهب ارضها كالنار وحجارها تفرقع من شدة الحرارة والالتهاب فسار عليها الا انه ما لبث ان شعر بشدة تلك الحريق والتهب جسمه وضاقت روحه وايقن انه هالك اذا اقام نصف ساعة على تلك الحالة وطالت تلك الارض وكان كلما تقدم يرى ان الحر يشتد والارض تزيد التهاباً حتى اصبح لا يقدر ان يلقي برجليه عليها فزادت عليه الحال وعظم المصاب وظهر له قرب فنائه فانحدرت الدموع من عينيه وقال نعم ان الله قصد هلاكي بهذه الارض وقضى عليَّ ان اموت غريباً بعيداً عن اهلي ووطني فلتكن ارادته ولا اخالفه ثم جعل يدعو الله ويصلي ويسالة ان يعفو عنه ولا يميته في ارض هي جهنم النيران

وفيما هو على مثل ذلك غائب الذهن ضائع الافكار مشتت البال لا يرى ما امامه ولا ما وراءهُ واذا به شعر بانخفاض الحرارة من جسمه ثم اخضراراً بعينيه وجعل الوعي يزورهُ بالتدريج شيئاً فشيئاً حتى قدر ان يبصر جيداً واذا تحت رجليه ارض خضراء غير تلك الارض الرملية وامامه فارس شيخ بثياب خضراء وعليه وشاح اخضر لامع ذي لحية بيضاء جداً يحيط بها هالة من النور وعليه من المهابة والوقار والجلال ما ياخذ بالابصار فانذهل وحار وتذكر انه راى ذات مرة مثل ذاك الرجل فتقدم الى نحوه بعدة خطوات واراد ان يسالة عن الماء قبل كل شيء ليبل ريقه فسبقه وقال له اطمئن ياحمزة العرب فانا الخضر الاخضر ابو العباس مغيث المتعبين ومشفي المجروحين ومسقي الظمئانين وناصر المظلومين من رجال الله انا خادم الحق ونقمته على الكافرين والجاحدين فتقدم واشرب ثم اخرج له قربة من الماء كانت تحته على الجواد ودفعها اليه فشرب الامير حمزة حتى ارتوى وهو مسرور من لذة تلك الماء ودنا من الخضر ليقبل يديه وسجد له فانتهرهُ وقال له لا يليق السجود لغير الله سبحانه وتعالى فهو الواحد الاحد الفرد الصمد لا والد له ولا ولد خلقك وخلقني لنسبحه ونسجد له وها اني احرسك ما زلت في هذه الارض وغيرها لانك من الامناء على دين الله فاعطني سيفك الان فناوله حمزة سيفه الذي اخذهُ من قلعة النيل فاخذهُ منه وغطه بالماء واعادهُ له وقال هذا السيف اصبح نافعاً لك فما زلت حامله تهرب منك مردة الجان والكهان وعفاريت السيد سليمان وما من واحد منهم عاد يقدر ان يقرب منك او

يدنو اليك بسوء فسرّ الامير حمزة من ذلك وسقط همٌّ عظيم عن قلبهِ واراد ان يقبل يدهُ فلم يرهُ غير انهُ شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفهِ فخرّ لله ساجداً وشكرهُ على حبهِ لهُ واعتنائهِ بهِ وبكى من ذلك فرحاً وقال من انا لينظر اليَّ ويهتم بي الست انا من احقر عبادهِ واضعفهم فسبحانهُ لا يترك احداً ولا يتخلى عن احد

ثم نهض متقوياً ومشى في طريقهِ شيئاً فشيئاً حتى دخل بين الرياض فسرّ جداً من مناخ الارض وحسن هوائها ورطوبة ارضها وشكر الله على خلاصهِ من ذلك الرمل الحار ولا زال سائراً حتى دخل بين القصور والبيوت وهي شواهق مرتفعة لحد السحاب فتعجب منها الاَّ انهُ كان لا يريد ان يميل عن طريقهِ ولا يعرج الى جهة وهو يرى طوائف من الجان والعفاريت تنتقل من مكان الى مكان غير ملتفتة اليهِ او معتنية بهِ حتى قادتهُ الصدف الى قصر اليون شاه عم الراعد فنظر اليهِ عن بعد فوجد الارهاط مجتمعة عندهُ بما يدل انهُ قصر الملك فعرف ذلك وقال قد هداني الله اليهِ بدون ان اسال احداً عن ذلك غير انهُ قبل ان يقرب من الابواب نظرهُ اولئك الارهاط فتقدموا منهُ متعجبين كيف ان واحداً من الانس قدر ان يصل الى تلك الجهة وارادوا ان يجتمعوا عليهِ وحواليهِ فاستل سيفهُ وهجم عليهم فهربوا من وجههِ وتفرقوا عنهُ وهم يصيحون الامان الامان يا سيد سليمان سلطان الانس والجان ودخل قوم منهم الى اليون شاه وهو جالس على كرسيهِ وقالوا اعلم يا سيدنا اننا راينا رجلاً من الانس يتقدم الى جهة القصر فتعجبنا منهُ واردنا ان نقرب اليهِ ونتفرج عليهِ وننظر في امرهِ واذا بهِ قد استل من وسطهِ سيفاً وصوبهُ الى جهتنا فشاهدنا فيهِ ناراً مبرقة تقصدنا بشرارها فانهزمنا من امامهِ خوفاً من الاحراق ولا ريب ان هذا من بقايا السيد سليمان لهُ السلطة الكبرى على الجان . فقال لهم اني ساحضرهُ وانظر في امرهِ . وفيما اليون شاه مع خدمهِ بمثل هذا الكلام واذا بالامير حمزة قد دخل من باب القاعة وصاح ويلك يا اليون شاه انزل عن هذه الكرسي وسلم نفسك اليَّ واجلس ابن أخيك الراعد عليها لانهُ اخي وجئت لنصرتهِ . فلما سمع اليون شاه هذا الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام واراد ان يسحق الامير حمزة في الحال فتناول عمداً ثقيلاً من الحديد كان الى جانبهِ وحذف بهِ الامير حمزة وقال لهُ ويلك ياقطاع الانس هل وصلت بكم القحة الى المطاولة علينا ودوس بساطنا . فمال الامير عن مرمى العمد وصاح بصوت ارتجت منهُ اركان القصر واشهر بيدهِ السيف وقمز كالغزال حتى وصل امام اليون شاه وضربهُ بهِ في صدرهِ فلعبت بهِ النيران وصاح اعوز من كيد القصار ووقع الى الارض كومة رماد

وفي تلك الساعة سقط الراعد الى الوسط وصاح لا شلت يداك يا اخي حمزة الزمان ثم اخذ بيدهِ عمدهُ ومال على اولئك الارهاط وقال ويلكم اوغاد من طاعني فقد نجا ومن عصاني

فجزاؤهُ الهلاك والاعدام وفعل الامير كفعلهِ واشهر بيدهِ الحسام فصاح الارهاط وكل من كان في الديوان الامان يا راعد فاننا عبيدك وخدام ابيك من قبلك ولا ذنب علينا فكف عنهم وقال لحمزة العرب ارجع يا اخي فانهم طائعون وما من رجل عاصٍ منهم فاغمد سيفهُ واجلسهُ على الكرسي وتقدمت منهُ سادات الجان واظهرت الطاعة والخضوع لهُ طول ذاك النهار وعند المساء اولم الراعد وليمة للامير حمزة ودعا كل انواع الطوائف ليتفرج عليها فكان يرى ما يدهش بصرهُ منهم من هم طوال كالنخل الباسق وقصار اقصر من الانسان فبعضهم كبار الدماغ وبعضهم مدور العينين وبعضهم طويلها وبعضهم عيونهم في امراسهم وبعضهم في وجوههم او اقفيتهم وجيء الى الوليمة بكل انواع الفواكه الموجودة في جبال قاف منها ما هو كرؤوس الانسان بعينين وفم ووجه ومنها ما هو كفاكهة الانس والامير ياكل من كل نوع واحد ويعجب من طيبة طعمها وحسن شكلها . وبعد ان انقضت الوليمة قال الامير للراعد ها قد انتهيت من عملك وقتل ونلت ما تتمناهُ واني سأقيم عندك سبعة ايام وفي اليوم الثامن اريد منك ان تذهب بي الى بلادي الى مكة المطهرة لانك عرفت ما اصابني وما لحق بي من كدر قومي ولا ريب انهم باطراب من اجلي فاذا كان لك عدوًّا فاخبرني بهِ لاقتلهُ قبل ان اذهب من هذه البلاد . قال اني اشكرك يا اخي على جميلك هذا ولا انساهُ الى الابد وسوف اذهب بخدمتك الى بلادك واعيدك الى قومك اي يوم شئت واما قولك ان كان لي عدو فالحمد لله ما من عدو لي اخشاهُ ولا قدرة لي عليهِ الاَّ عمي الذي قتلتهُ لو كان اشد الجان باسًا وكهانة وها ان جبال قاف بين يديك فطف بها وتفرج عليها في هذه السبعة ايام وساكون بخدمتك على الدوام . فشكرهُ الامير حمزة ومدح منهُ واقام مدة سبعة ايام في كل يوم يذهب بهِ الراعد الى جهة يفرجهُ على بلادهِ وعلى عجائب خلق الله وصنعهِ الذي لا يدركهُ العقل الانساني الى ان مضت المدة وانتهى الاجل وبات الامير حمزة وفي نيتهِ ان يعود الى بلادهِ في صباح اليوم الثامن وقلبهُ مملوء من الفرح والمسرة على تسهيل مصلحتهِ دون ان يحصل لهُ عائق يعيقهُ وصار يحدث نفسهُ بانهُ قريبًا يصل الى مكة المطهرة ويشاهد اباهُ ورجالهُ ويحمل اليهم من فاكهة تلك الارض وكذلك يلاقي مهردكار ويجمع بها ويريح بالها عن غيابهِ . ونام تلك الليلة مطمئنًا مرتاح البال وعند الصباح نهض باكرًا وتقدم من الراعد ليسالهُ ان ينهض بهِ ويرجعهُ من حيث اتى فوجد الدم سائلاً الى الارض وقد قطع الراعد قطعتين وهو جسد بلا روح فصاح من الغيظ والكدر وشعر ان روحهُ قد انسحبت من جسدهِ وامتشق سيفهُ وطاف في الغرفة فلم يرَ احدًا فخرج الى الخارج واذا بهِ يرى عند الباب ماردًا طرف ارجلهِ في التراب وراسهُ في السحاب فهجم عليهِ واراد ان يضربهُ بالحسام ففرَّ من امامهِ الى بعيد فزاد غيظهُ وصاح بهِ وقال لهُ ويلك من فعل هذه الافعال ومن

الذي قتل الراعد وهو في حمايتي وتحت عنايتي . فقال له ان الذي فعل ذلك ياسيدي هي اسما برّي بنت اليون شاه .

قال وكانت هذه اسما برّي بنت اليون شاه ذات قد معتدل وحسن يحسب بين طوائف الجان من الدرجة الاولى لم يكن اجمل منها ولا اقدر نفوذًا في قومها مسموعة الكلمة رفيعة القدر بينهم ولها طائفة من المردة تخدمها على الدوام وكبير هذه الطائفة مارد طويل عريض اذا وقع على جبل سحقهُ او وقع في البحر طاف ماءهُ على اليابسة وهي على الدوام تنتقل من ناحية الى اخرى مع خادمها الاكبر كندك المارد المذكور فلما زار الامير حمزة جبال قاف في هذه المرة كانت غائبة في داخل البلاد حسب عادتها وعند عودتها دخلت المدينة فلقيها بعض خدمها وعزاها بابيها فاسودت الدنيا في عينيها وارغت وازبدت وقالت من الذي قدر ان يقتل ابي وتجاسر على ارتكاب مثل هذا الامر الخطير . فقالوا لها ان ا... عمك الراعد ذهب الى بلاد الانس وجاء برجل من العرب اسمهُ الامير حمزة فدخل على ابيك وقتلهُ واقام الراعد مكانهُ وصارت البلاد بيده وهو يحكم فيها . فقالت لا بد لي من هلاك الراعد والذي جاء معهُ وطارت في الحال مع كندك المارد حتى جاءت قصر ابيها ودخلت على الراعد وهو نائم وقلبها يلتهب من عمله وقالت لكندك اضربهُ بسيفك فاقطعهُ نصفين ففعل حسب امرها وضربهُ بسيفه ففصل راسهُ عن جسده واندفق دمهُ كالبحر الزاخر وهو نائم وانتهت حياتهُ . ثم تقدمت الى ناحية الامير حمزة وفي ظنها انها تقدر على هلاكه وقالت لكندك المارد اضربهُ بسيفك والحقهُ برفيقه فتقدم منهُ ثم رجع وقال ياسيدتي لا اقدر ان اصل اليه لانهُ محاط بسور من اللهيب والنار ولا ريب اذا اردت قتلهُ احرقني اللهيب . فامعنت اسما برّي به واحدقت بوجهه فرأتهُ صبوح الوجه مشرقهُ ناعم الخد ومعتدل القد حسن الهيكل فاخذت ان تحلهُ من قلبها محل الغرام وولعت به وبمدة ساعة من الزمان اصبحت تتمنى وصالهُ وترغب في قربه . فقالت لكندك المارد اقم انت عند الباب فلا بد للامير عند الصباح من ان ينهض ويرى الراعد مقتولاً فيتكدر ويسال عن الذي فعل معهُ ذلك فقل لهُ اسما بري وانها كانت تريد ان تاخذ بثار ابيها منك غير انها اشفقت عليك فعفت عنك وتركت هلاكك واذ ذاك احضر لهُ اما ففعل كما امرتهُ

وفي الحال ظهرت اسما برّي امام الامير حمزة وقالت لهُ لا تتكدر من قتل الراعد فاني اخذت بثاري منهُ حيث كان السبب بقتل ابي واما انت فقد نزلت من قلبي منزلاً عظيمًا وحنت اليك كل جوارحي ولذلك طلبت القرب منك وان تتزوج بي اما حلالاً واما حرامًا وغير ذلك لا يمكن ان ترتاح في هذه البلاد فاغتاظ الامير حمزة من كلامها وقال لم يبقَ عليَّ الا ان اتزوج ببنات الجان ثم زجرها عن ذلك وقال لا تطمعين نفسك بالمحال فما من امل بقبول

ما تعرضينهُ عليَّ الاَّ اذا اوصلتيني الى بلادي وهناك ازف نفسي عليك عند زواجي بهردكار واتخذك كباقي الزوجات حلالاً . قالت لا اريد ان تتزوج بي الاَّ في هذه البلاد وفي هذه الايام ولا صبر لي عن ذلك الى حين زواجك بهردكار وفي بلادك فزاد غيظ الامير حمزة منها والتفت الى احد المردة وقال لهُ احملني وسر بي وانا اجازيك بان اساعدك واوصلك الى كل ما تطلب . فانتهرت اسما بري مردة الجان وقالت كل من حملهُ قتلتهُ ثم طردتهم من هناك ولم تترك الاَّ كندك المارد وقالت للامير ان بلادك بعيدة من هنا عدة سنوات ولا يمكن الوصول اليها فيمكن ان تموت في هذه البلاد قبل ان ترى وطنك الاَّ انك اذا اجبت طلبي بعثت ماردي فهو يوصلك بوقت قريب . فقال لها لا يمكن ان اكون اسير غايتك ولا ارضى بما تطلبينهُ وحدثتهُ نفسهُ ان يسير ماشيًا على رجليهِ ولا بد ان يسهل لهُ الله من يوصلهُ الى بلاده ولذلك ترك القصر ومشى في طريقهِ عائدًا من المكان الذي جاء منهُ وهو لا يعرف الطريق تمامًا وسال الله ان يسهل لهُ سبيلهُ ولا زال سائرًا حتى خرج من المدينة فالتفت الى الوراء فراى اسما بري بعيدة تتاثرهُ وهي في اثرهِ وبين يديها كندك المارد فقالت لهُ لا تطمع نفسك بالمحال فما من امل بوصولك الى بلادك الاَّ بي . فقال لها خير لي ان اموت او ابقى ماشيًا على رجليَّ عدة سنوات من ان اتزوج بك في هذه البلاد . ودام على مسيرهِ الى المساء فجلس على الارض تعبًا واخذ يشعر بالجوع لان لازاد معهُ لياكل واذا بكندك المارد قد قدم اليهِ الطعام والماء وقال لهُ كل ياسيدي فان اسما بري اوصتني بان اخدمك واتيك باحتياجاتك . قال اذا شئت ان تعمل معي معروفًا فاوصلني الى بلادي فيجازيك الله عني خيرًا . قال اني خادم امين لسيدتي فلا اقدر ان اخالفها ولا اريد ان اعمل لها ما يغيظها فاصغَ الى كلامها واقبل بزواجها فتصل الى بلادك بوقت قريب وما من سبب يمنعك عن موافقتها قال هذا لا اريدهُ الان ما زلت قادرًا على المشي وعلى عدم القبول . وبقي تلك الليلة نائمًا وفي الصباح نهض والسيف الى جانبهِ وسار في طريقهِ على حسب عادتهِ من الصباح الى المساء وفي المساء جاءهُ كندك بالطعام واسما بري تتاثرهُ ميقنة كل التيقن ان الامير حمزة لا بد ان يشعر بالتعب فيلتزم ان يرضى بها ويرى نفسهُ محتاجًا الى معونتها . وكان كلما جفاها وامتنع عليها كلما زادت غرامًا وهيامًا بهِ وزاد شوقها الى وصالهِ وقربهِ حتى انها اخيرًا عاودتهُ وقالت لهُ اني اقسم انك بربك اني لا اقيم معك الاَّ سبعة ايام فقط وبعد ذلك اوصلك الى بلادك واهلك . فقال لها هذا لا يكون مطلقًا واخذ السيف واراد ان يضربها بهِ ففرت من بين يديهِ منكدرة الا انها عادت فسالتهُ الرحمة وقالت لهُ اني مغرمة بك هائمة بحبك فاشفق عليَّ وارحم حبي . فقال لها اني لا احبك ولا اريدك فاسمعي مني واشفقي على بغضي لك وعدم حبي وعيني كرهي لك . فزاد غيظها منهُ واستشارت كندك في امرها . فقال

لها يا سيدتي انك ما زلت تقدمين لهُ الطعام في الصباح والمساء فلا يمكن ان ينقاد لك ويشعر التعب لانهُ قوي البنية والطعام يقويهِ ولا يضعف من جسمهِ وعندي ان تتركيهِ مدة ايام بلا طعام فيجوع وتخور قواهُ ويحل بهِ الضعف ويتأكد عندهُ الفناء فيلتزم ان يوافقك قالت لقد حسنت فاتركهُ وإِ بعد عنهُ ولا عدت نقدم لهُ شيئًا من الطعام والشراب ففعل امرها وبعد عن الامير وما عاد قدم لهُ شيئًا من المآكل

وانتظر الامير حمزة في المساء وفي ظنهِ ان الطعام يأتيهِ على حسب العادة فلم يقرب منهُ كذلك وغاب عن عينيهِ . فقال في نفسهِ لقد قطعت عني اسباب المعيشة ولا بد لي من الشعور بالجوع والضعف غير ان الله سبحانهُ وتعالى لا يقطع بي بل يساعدني دائمًا على هذا الضعف ويرسل لي من يعولني ونام تلك الليلة الى الصباح وفي الصباح نهض ومشى وبارح تلك الارض وهو لا يعرف في اي طريق سائر ولا الى اين ينتهي واخذ الجوع يرمي سهامهُ بقلبهِ وهو يشعر بهِ شيئًا فشيئًا غير انهُ كان يعد نفسهُ ويعللها بقرب الفرج وما برح سائرًا طول ذاك النهار الى المساء فجلس الى الارض كالمائت خائر القوى ضعيف الحيل والجوع يشتد بهِ ويلقي عليهِ بكل اثقالهِ وهو يتحمل حتى اصبح لا يقدر ان يتحمل وصلى في تلك الليلة يطلب الفرج منهُ تعالى وبات الى الصباح تارة يقلق من شدة الجوع وطورًا ينام او يتناوم ليغيب عن وعيهِ وينسى حالةُ انهُ جائع . وفي صباح اليوم الثالث نهض وجرَّ نفسهُ وهو يومل ان يرى امامهُ صومعة او بلدًا او فاكهة فلم يرَ الاَّ ارضًا مجدبة قاحلة ولم يرَ غير مردة تطاير في الجو ثم تختفي وهو يوحد الله من شرهم وبيدهُ لا تفارق سيفهُ وكان كلما سار قليلاً كلما اشتد عليهِ الجوع وصعب عليهِ الامر وانحط من قواهُ الاَّ انهُ اخيرًا شعر بانحطاط قوي وايقن انهُ هالك لا محالة حيث كانت ركابهُ اخذت في ان ترتجف وتخل ويقل من قواها وتضعف ضعفًا سريع الانحطاط واذ ذاك اخذت افكارهُ تضرب الى جهة اسما بري وعملها معهُ وانها لا تنفك عنهُ ما لم يتزوج بها وحدثتهُ نفسهُ ان يجيبها الى طلبها فتوصلهُ الى بلادهِ غير انهُ خطر لهُ اخيرًا انهُ اذا تزوج بها وصار زوجها ربما لا تعود تسمح لهُ ان يرى بلادهُ ومهردكار ورجالهُ ويزيد طمعها بهِ ولذلك بقي محتارًا ومرتابًا ومضطربًا من عملهِ وهو بحالة يرثى لها من شدة الحنق والغيظ والجوع والضعف يفضل الموت على الحياة والهلاك على الطاعة لاسما بري وفيما هو على مثل هذه الحالة واذا بهِ يرى الخضر عليهِ السلام قد ظهر امامهُ على حسب العادة وناداهُ باسمهِ فاجابهُ وقد اشتدت اعصابهُ وتقوى عند سماعهِ صوتهُ ووجد راحة في داخلهِ لتأكدهِ بقرب الاغاثة وانهُ جاءهُ الذي يقدر على اغاثتهِ . فقال لهُ لا تخف من زواج اسما بري ولا تهتم بعذاب هذا الطريق ومشقات السفر . فان الله العلي العظيم قد قدَّر عليك امورًا لا بد من وقوعها عليك ولا ينفعك امر ولا يقدر احد ان

عنها ولا يدفعها غير انها ستكون في النهاية لخيرك لا لشرك وتصل الى قومك وتنقضي عنك كل هذه المشاق التي تتفجر منها الان . قال اني اعرف يا سيدي ان لا شيء ينتهي عليَّ الا بمقاصده تعالى واني صبور على المصائب جلود عليها غير ان ما يكدرني ويحط من جلدي الجوع الذي لا طاقة لي على احتماله ولا احد يقدر ان يقوم في وجهه او يثبت لدى مقاومته . قال اني اعرف ذلك ولذلك اعطيك الان حصاة ضعها في فمك تحت لسانك فهي تغنيك عن الطعام لانها ما زالت في فمك لا تشعر بالجوع ولا تشتاق الى الطعام ثم ان الخضر عليه السلام ناوله حصاة وامره ان يضعها تحت لسانه فاراد حمزة ان يدنو منه ليقبل يديه فلم يجد له اثرًا غير انه شمَّ رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفه فوضع الحصاة في فمه وفي الحال شعر بالشبع واخذت قواهُ في ان تشتد واصبح بعد قليل كعادته واسرع في جريه الى المساء وفي المساء جلس على التراب ليرتاح ونام قليلاً والسيف عند جانبه لا يفارقه ولا احد يقدر ان يقربه من الجان وجماعة اسما بري وعند الصباح نهض ومشى الى المساء وفي المساء جلس على الارض وبعد ان صلى نام نومًا مريحًا الى الصباح فنهض ومشى الى المساء وبقي على ذلك نحو عشرة ايام وفي كل يوم تفتكر اسما بري ان الجوع يضعفه ويقلل من عزمه فلا يعود يقدر على المشي فيلتزم ان يطلب اليها المعونة والمساعدة فترغمه على الزواج بها ومن ثم يصبح زوجها ويكون منقادًا لها شرعًا ولما طال المطال ولم تنته غايتها وضاق صدرها وتعجبت كل العجب كيف انه لم يشعر بالجوع ولا بالضعف بل هو باقٍ على حاله شديد الجري قوي الاعصاب واذ ذاك دعت اليها كندك المارد ومدبريها وشرحت لهم حالها وقالت لهم اني اريد ان استشيركم في امر هذا الانسي الذي قتل ابي وكادني ولم اقدر ان انال منه غايتي وصرفت الجهد الى اذلاله واجباره على الزواج بي فلم اقدر ان اكيدهُ واجبره على طاعتي واخيرًا منعت عنه الاكل وقصدت بذلك ان اضعف قواهُ من الجوع فلم يوثر فيه ذلك وصرف اكثر من عشرة ايام ولم ارهُ يذوق طعامًا وهو على حاله وهذا من العجب عجائب الناس ان يقيم الواحد منهم اكثر من يوم بلا طعام

وحينئذٍ تقدم منها احد خدمها وقال لها اني اعرف يا سيدتي سبب ثباته على الحالة التي هو فيها واوكد لك انه لو صرف العمر ولم يذق طعامًا لما اثر فيه ولا جاع وهو انه بينما كان سائرًا حضر عليه رجل على جواد اخضر من الخيول الجياد اسمه الخضر وهو من رجال الله فشكى اليه الجوع والضعف فاعطاهُ حصاة وامرهُ ان يضعها في فمه وان تبقى على الدوام لا يخرجها من تحت لسانه ولذلك هو الان شبعان لا يشعر بالجوع ولا بمخافة واني كنت اسمع الكلام الذي دار بينه وبين الخضر الاخضر الذي ذكرته لك . فعظم عليها الحال وقالت لاريب ان حمزة هذا مسعود الطالع موفق من الله والاَّ لما كان بعوله الخضر الاخضر وتساعدهُ رجال الله ولهذا ارى حبه يشتد في

قلبي ولا اريد ان أضيع من يدي مثل هذا الرجل وإن كان من الانس واريد منكم ان تنظروا في امري وامره وتروا ما هي الطريقة الى تضييع هذه الحصاة من فمه . فقال لها احد قومه اعلمي يا سيدتي اني آكفل لك ضياع هذه الحصاة منه ومتى اخذت منه رجع الى الجوع فيلتزم ان ينقاد اليك فمدحته وخولته بهذه المهمة . ومن ثم سار هذا الجني الى امام الطريق السائر عليها الامير حمزة وتزيا بزي درويش من رجال الانس اي انه مزق ثيابه واسبل شعره وجاء بوعاء وضع فيه سمكًا مقليًا وخبزًا وتركه امامه وجلس الى ان راى الامير قد كاد يشرف على تلك الجهة فجلس للصلاة وكان الامير سائرًا على حسب عادته لا يعرف بخدعة هذا الماكر فراهُ جالسًا للصلاة غير ملتفت اليه فتقدم منه وصبر عليه الى ان فرغ من الصلاة وحينئذٍ اظهر التعجب والحيرة من وجود الامير وجعل يوحد الله وقال له اراك من طائفة الانس فما الذي اوصلك الى هنا فقال له الامير حمزة ان التقادير القتني في هذا المكان غير اني اتعجب منك بانك درويش من الانس وموجود في بلاد الجان بعيدًا عن قومك وابناء جنسك قال ان قصتي عجيبة من عجائب الايام وهو ان ابي كان يسكن في مدينة الشام وكان في اول عمره من الاغنياء العظام اصحاب البيوت واهل الاحسان فضعف حالهُ وقلّ مالهُ ووقع في حفرة الفقر والفاقة حتى كاد يشتهي الخبز مرارًا مع عائلته فذات يوم وهو جالس يتامل بحكمته تعالى كيف ينزل الانسان من حالة الثروة الى حالة الفقر ويفكر كيف انه لم يعد الى حالهِ حينما كان مالهُ كثيرًا واذا برجل مغربي عليه سمة المهابة والوقار قد تقدم من ابي فحياهُ وقال له لا تفكر بهذا الفقر الذي انت فيه فان الغنى قريب منك فانشرح صدر ابي وقال من اين ذلك . قال اعلم ان لي زمان طويل وانا ابحث على كنز في جبال قاف فوقعت عليه في هذه الايام واردت من افتحه فلم اقدر فبحثت بمعرفتي وحكمتي على وجه من يفتح هذا الكنز فظهر لي ان المال الذي فيه لا يخرج الا في يد ابنك ففرحت وشكرت الله على ذلك واتيت اليك اقاسمك في هذا الكنز فان به من الذهب والتبر ما لا يوجد عند مالك العالم باسرها . قال له ابي ومن اين يمكني ان اسلمك ولدي وهو وحيد لي قال اني آكفل لك ذلك واقسم بالله العلي العظيم ان اعيدهُ اليك واقاسمك الكنز وما من غرض لي بابنك بعد ذلك . فانقاد اليه ابي لضعف حالهِ وفقره وقال وهل يبقى ابني معك الى زمان طويل قال كلاً بل الى عشرة ايام فحرك ابي طمعه بالثروة وبغضه بالفقر فسلمني الى المغربي بعد ان قبلني وودعني وبكى وقال لي اني اودعتك بيد الله يا ولدي فسر مع هذا الرجل عسانا ان نتخلص من الفقر ويسهل الله امرنا فاخذني المغربي بعد ان دفع لابي شيئًا من الذهب ليصرفه في غيابنا وجاء بي الى هذا الجبل العالي الذي تراهُ امامك على سرير طار بنا في الجوّ الاعلى وبعد ان فتح الكنز اخذ منه شيئًا كثيرًا من الذهب والتبر ثم رجع من حيث اتى وقال لي ابقَ انت هنا الى ان

يوافيك الاجل اذ ما من وسيلة بعد لرجوعك الى ابيك وتركي حزيناً كئيباً في هذه الديار غير ان كلمة الايمان لم تفارقني قط فشكرت الله ودعوته لاغاثتي وبكيت على فراق والديّ وعلى فعل هذا المغربي مع ابي الذي كان بحالة الفقر المدقع وليس له سلوة الاّ بي . ومن ثم نزلت من الجبل الى هذه الارض وداومت الصوم والصلاة وانا اسالة تعالى ان لا يتركني اموت جوعاً . وبعد ان نمت تلك الليلة سمعت الوحي يقول لي لا تخف فاني اتيك بكل ما يلزمك من الماكل والاطعمة التي تطلبها نفسك فاذا اشتهيت شيئاً اطلبة فتراهُ امامك وانك ستبقى في هذه البلاد زماناً طويلاً الى ان تمرّ الايام المقدرة عليك وياتي امير العرب الى هذه البلاد فياخذك معهُ الى بلادهِ ولهذا تراني قائماً في هذه الارض على تلك الحالة في كل يوم اطلب طعاماً فاراهُ امامي واشكر الله الذي لا يترك نفساً بغير عناية حتى مضت عليّ السنون والايام ولما كان في هذا الصباح سالت الله الطعام حسب العادة واذا بهذا السمك الذي تراه امامك فتعجبت عند ما رايتهُ زائداً عن العادة واذ انتهيت من الصلاة ورايتك ثبت عندي ان هذا نصيبك من الطعام بحيث تكون ضيفي في هذا اليوم واذا كنت انت هو امير العرب صرت معك الى بلادي لاني من حين بقائي في هذه الارض ما رايت قط انسياً ولا فترت عن السوال من الله ان يبعد عني طوائف الجن . ففرح الامير حمزة عند سماعهِ كلامهُ وصدقهُ وانطلت عليهِ حيلتهُ وقال لهُ نعم انا هو امير العرب وساذهب بك الى بلادي وتكون رفيقي في سفرتي ثم ان الدرويش دعا الامير حمزة الى الطعام فجلس عليهِ وهو مشتاق لهُ جداً واخرج الحصاة من فمهِ ووضعها على الارض واخذ ياكل هو والدرويش وفيما هو ملتهٍ بالاكل واذا بالدرويش الذي هو الجني قد مدّ يدهُ وتناول الحصاة وضرب رجليهِ بالارض بسرعة عجيبة خوفاً من ان يلحقهُ حمزة بضربة من سيفهِ ولما صار بعيداً قال لهُ ها ان الحصاة ذهبت منك ولم يبقَ لك بعد ما يقيتك فاسمع مني واقبل بزواج اسما بري ولا تصرف كل عمرك بالعذاب ولا تقدر ان تخرج من حدود بلادها لو صرفت العمر ماشٍ على قدميك

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد ان تلك حيلة وقعت عليهِ زاد بهِ الغضب وعمي بصرهُ وغاب صوابهُ واصبح بحالة العدم نحواً من ساعة وهو يعض اصابعهُ ندماً ويأسف على تلك الحصاة وثبت عندهُ ان اسما بري لا تتركهُ وانهُ وحيد وانها هي وقومها محتاطون بهِ لا يفارقونهُ يحاربونهُ تارة بالحيلة والخدعة وطوراً بالتهكم والعناد . وبعد ان وعى الى نفسهِ فكر بكلمة الخضر عليهِ السلام ان ما من باس بزواج اسما بري قط ومن ذلك الوقت راى ان ينهي عذابهُ بقبولهِ بها وان يشرط عليها بان توصلهُ الى بلادهِ ولذلك قال للجني ادعُ لي اسما بري لاعرض عليها شروطي وفي الحال ظهرت اسما بري امامهُ وقالت لهُ اني مرافقتك ياسيدي ولا ابعد عنك قط حتى اذا

وافقتني ورحمتني وشفقت على حالتي رجعت بك الى بلدي وزففت نفسي عليك . قال اني قبلت بطلبك ورضيتك لي زوجة انما بشرط انك بعد خمسة عشر يوماً ترسليني مع كندك المارد الى بلادي لاني تركتهم بالحرب مع الاعجام واخاف ان يصابوا بمصيبة ويشتغلوا لطول غيابي . قالت اني اعدك ان اوصلك الى بلادك بعد مرور خمسة عشر يوماً من زفافك وكفاني ان اكون زوجة لك وان اقيم معك هذه المدة وفي الحال رجع من حيث اتى وسلم نفسه الى كندك المارد فحمله الى قصر اسما بري وهناك اجتمع اليها رجال ابيها وهنأوها بنوال غايتها وهي مسرورة السرور الذي ما عليه من مزيد واخذت تهتم بعمل الزفاف وتعد معداته وحينئذٍ قال لها الامير حمزة اني لا ارضى ان ازف عليك الاَّ اذا ارسلت خادمك كندك ياتيني بقاضي مكة بهلول الناقوش لكي يجري الزفاف حسب سنة العرب . فقالت سمعاً وطاعة فكيف شئت اجري الزفاف فالنتيجة حصولي عليك باي طريقة كانت . ثم انها قالت له اكتب كتاباً الى بهلول القاضي المذكور ليحضر مع كندك . فكتب الى ابيه ابراهيم يخبرهُ بكل ما جرى عليه وبسالة ان يرسل القاضي بهلول وعمر العيار مع كندك المارد لحضور زفافه وانه بعد خمسة عشر يوماً يكون في مكة المطهرة ويهدي سلامه الى فرسانه وابطاله

فاخذ كندك الكتاب وطار به حتى جاء مكة المطهرة ودخل على الامير ابراهيم فارتاع في الاول منه الاَّ انه اخيراً اطمأن باله عندما عرف انه رسول ولده واخذ منه الكتاب وبعد ان قرأهُ وعرف ما هو جارٍ على ولده شكر الله على سلامته ثم قال لكندك ان العرب قد ذهبوا عن مكة الى بلاد الغرب وليس هنا الاَّ القاضي فخذهُ وحدهُ . ثم حمل كندك القاضي وذهب به الى جبال قاف واحضرهُ امام الامير حمزة فلما راه نهض اليه وقبل يديه واجلسه على كرسي من العاج ثم اخذ يسأله عما كان من العرب والعجم بعد غيابه وكيف لم يحضر معه عمر العيار فقال ان الفرسان بعد غيابك ارسلوا عمراً الى المدائن واستشاروا الوزير بزرجمهر في امرك وامرهم وكيف يفعلون فقال لهُ ان الامير حمزة ياتي من بلاد الغرب عن طريق طنجه ومن الصواب ان تلاقوه الى هناك وبناء على امر الوزير بزرجمهر المذكور رحلت العرب عن مكة وسارت الى الغرب ومعهم عمر العيار . فقال الامير حمزة لكندك اذهب الى طريق الغرب واين وجدت العرب احضر لي من بينهم اخي عمر العيار بكل سرعة وعجلة بحيث يحضر زفافي ويرجع في نفس اليوم الذي ازف فيه اذ لا ابدي عملاً الاَّ برايه فهو دالول العرب وصاحب ازمتهم ففارقه كندك وسار في طلب عمر العيار

قال وكان من امر العرب كما تقدم معنا سابقاً ان عمر العيار عاد اليهم واخبرهم ان الامير حمزة سياتي من طريق بلاد العرب وانه سيقع هناك حروب واهوال عظيمة واخبر العرب ان

من الموافق ان يوافوه الى تلك الارض حيث يجتمعون به وعليه فقد رحلوا عن مكة وساروا بالاحمال والانعام يقصدون بلاد الغرب وامامهم عمر العيار وكانت جواسيس كسرى تراقبهم فرأوهم وقد فارقوا مكة وعرفوا انهم سائرون على طريق طنجة الغرب ومعهم مهردكار ولم يبقوها في مكة ولما بعدوا ثلاثة ايام عاد جواسيس كسرى وقالوا له ان الامير حمزة قد غاب عن مكة وعن فرسانه الى جبال قاف وان العرب رحلوا من تلك الارض الى بلاد الغرب ليلاقوه هناك وقد اخذوا معهم كل الاموال والانعام وذهبوا بمهردكار على هودجها معهم يحتاط بها عمر وجماعة من الفرسان . فقال بختك ان من الصواب ملاحقتهم في الطريق وتبديد شملهم ما زال الامير حمزة بعيدًا عنهم واخذ الاموال ومهردكار منهم . فارسل كسرى ولده فرمزتاج وزوبين الغدار مع ثلثمائة الف فارس واوصاهم بمفاجئة العرب وقطع الطريق عليهم وتبديد شملهم فوعداه بذلك وان يعودا بمهردكار واموالهِ التي جمعها العرب من بلاده . وزحفا بتلك الجيوش وقاطعا للعرب على الطريق الذي كانوا يسيرون منه . وما مضت على ذلك عدة ايام حتى التقى الفريقان وعرف العرب ان الاعجام علموا بسيرهم فربطوا لهم الطريق ومرادهم ان يمنعوهم عن التقدم وان يوقعوا بهم ولذلك جمع اندهوق فرسان العرب واوصاهم بالتيقظ وقال لا بد من ان تقصد طوائف العجم حربنا وقد قادها الطمع الى ذلك فمن الواجب ان نحارب محاربة الاسود ولا نبقي من الاعداء واحدًا فلا يجسرون على العود ثانيًا وانا ايقن ان بنا الكفاءة لابادة الفرس اجمعهم وان كان اميرنا غائبًا عنا . فقال له الجميع ان ليس امامنا الا سيوف قواطع وهم دوافع ومن دنا اجله فلا يقدر ان يدافع . وفيما هم على مثل ذلك واذا برسول فرمزتاج قد دخل على العرب وسلم كتابة الى الملك النعمان يقول له فيه

من هرمزتاج بن كسرى انوشروان الى الملك النعمان ملك العربان

اعلم ايها الجاهل قدر نفسك انك كنت في الاول عاملاً لابي مكرمًا تصرف عمرك على الراحة والهناء والكرامة فخالفت عليه وانقدت الى الامير حمزة وعاندت ابي وفي نيتك ان تجعل نفسك مقارنًا للملوك الكبار فوقعت في سوء عملك ولاقيت عوض الراحة عذابًا وعوض الهناء عناء فصرفت ما بقي من عمرك غريبًا مشتتًا تنتقل من مكان الى مكان ومن مشرق الارض الى مغربها ومع كل ذلك لا ترجع عن غيك ولا تترك العرب وتفرقهم وقد سلبتم اموالنا واستوليتم على انعامنا وسبيتم اختي مهردكار فريدة زمانها ونادرة المثال بين ربات الجمال ولذلك جئت اليك بهذا العسكر الجرار ومعي زوبين الغدار وانتم تعرفون شدة بسالته وقوة سلطته وعظمته وتعلمون ايضًا ان ابي قد خطبة من اختي مهردكار ووعده بزواجها فنطلب اليكم تسليمها مكرمة وان تسوقوا سائر الجنائب والاموال التي لنا وتعترفوا بخطاكم فنعفوا عنكم ويرجع كل

شيء في حالهِ ومتى جاء الامير حمزة ورآكم متفرقين لا يعود يطمع بحرب ولا قتال فتكونون قد ازلتم من عداوة اكبر ملوك هذا العالم واعظم سلاطينهِ الذي لا يمكن ان يترككم حتى تبادوا عن آخركم

ولما قرأ الملك النعمان هذا الكتاب على رؤوس الفرسان ما منهم الاّ من اضطرب واغتاظ وهاجت نار الانتقام في قلبهِ وحركتهُ نخوتهُ الى خوض معمعة القتال والفتك بالاعجام الانذال فهاجوا وماجوا ووقف اندهوق بن سعدون على رجليهِ وقال للرسول اذهب لسيدك واخبرهُ انهُ بطول عمرهِ لم يعد يرى مهردكار فهي اصبحت اختنا ونسيبتنا وخطيبة فارسنا وبطلنا واننا سنقاتل عنها ونحميها من كل طالب ولو مالت علينا الجبال في صفوف الرجال وسيلاقينا في الغد ويعلم منا صدق ما اقوالهُ الان وينظر ما يحل بصهرهِ الكذاب زوبين الغدار . فرجع الرسول وهو مندهش من فرسان العرب وماخوذ بهيبتهم وسطوتهم ولما وقف بين يدي سيدهِ اعاد عليهِ ما سمعهُ من اندهوق فاشتعل في قلبهِ اللهيب وغاب وعيهُ وحركتهُ حبهُ لاختهِ الى مراها وانفطرت مرارتهُ كيف قيل لهُ انهُ لم يعد قادرًا على رؤيتها بطول عمره ونهض الى صيوانهِ وانفرد بذاتهِ وجعل يشرب الخمرة كي يذهب عن نفسهِ الهدس فلم يقدر بل كان على الدوام يزيد شوقًا الى مهردكار حتى زين لهُ السكر اخيرًا ان يذهب بين قبائل العرب بصفة بدوي ويدخل عليها ويراها وربما تسهل لهُ ان ياتي بها من بين اعدائهِ . ولذلك نهض وغير زيهُ ودخل بين قبائل العرب وجعل يطوف من مكان الى مكان ولا احد يراهُ او يعرفهُ انهُ فرمزتاج حتى مرَّ من امام صيوان عمر العيار فوقعت عينهُ عليهِ وفي الحال عرفهُ حق المعرفة فضحك من عملهِ . ثم دخل صيوان مهردكار وكان بالقرب من صيوانهِ يحافظ عليها ويحرسهُ ولا يترك احدًا يقرب منهُ وقال لها ان اخاك فرمزتاج اصبح في يدي فماذا تريدين ان افعل بهِ . فقالت لهُ دعني ياعمر من اخي وابي وسائر اهلي فاني لا اعرف احدًا ما زال الامير غائبًا عني فانتم اخوتي وابي لانكم تشفقون عليَّ وترحموني وتمنعون كل ما يضرني وتعبدون الله العزيز الجبار ولا تعبدون مثلهم النار . فرجع عند ذلك الامير عمر وجاء من خلف فرمزتاج ورفسهُ برجلهِ فالقاهُ الى الارض وانقض عليهِ فشدَّ وثاقهُ وقادهُ الى بين ايادي سادات العرب وحكى لهم امرهُ وعرفهم بهِ فتعجبوا من عملهِ وقال الملك النعمان لو لم يكن سكرانًا لما هان عليهِ ركوب مثل هذه المخاطر فماذا يجب ان نفعل بهِ الان فقال اندهوق ارسلوا رسولاً الى مهردكار واسالوها ماذا تريد ان نفعل بهِ فاذا امرتنا بقتلهِ قتلناهُ او طلبت اطلاق سبيلهِ اطلقناهُ لانهُ اخوها فلا نخالفها بهِ فسار عمر اليها واخبرها بكلام اندهوق واستشارها بامر اخيها . فقالت ابقوهُ عندكم الى حين عودة الامير حمزة فهو ينظر في امرهِ ويفعل ما يريدهُ فاعجبهُ جوابها ورجع الى امراء العرب واخبرهم بما قالتهُ فسلموهُ الى عمر

العيار وقالوا لهُ حافظ عليهِ واحرسهُ الى ان يصل الينا اخوك فقادهُ الى صيوانهِ ووضعهُ فيهِ ووكل جماعة من عيارهِ ان يحرسوهُ حين غيابهِ

قال وفي تلك الليلة افتقد زوبين الغدار فرمزتاج في صيوانهِ فلم يرهُ فتكدر وسال عنهُ فلم يجبهُ احد فارسل الجواسيس الى بيت العرب على احدهم يقف لهُ على خبر وبعد ساعات قليلة رجع اليهِ الجواسيس واخبروهُ انهم سمعوا بين العرب بوجود فرمزتاج بينهم اسيرًا وهو في يد عمر العيار ولا نعرف كيف كان اسرهُ فاضطرب زوبين الغدار من ذلك وتعجب كيف قدروا ان يصلوا الى ابن كسرى وخاف على نفسهِ مزيد الخوف ولم يرَ لهُ طريقًا لخلاصهِ وحملهُ خوفهُ الى الرجوع بمن معهُ الى المدائن ليخبر كسرى باسر ابنهِ وانهُ لو بقي الى اليوم الثاني لاسرهو ايضًا وتفرقت جيوشهُ وعلى ذلك نهض الى جوادهِ فركبهُ وامر القواد ان تسير بالجيوش خلفهُ قبل ان تشرق شمس اليوم القادم وبنحو ساعتين من بعد ذلك لم يبقَ للعجم اثر في تلك الارض ولا تركوا عفالاً بها غير اثار حوافر خيلهم

وفي صباح اليوم الثاني نهضت العرب ونظرت الارض خاوية خالية وما من عجمي في كل تلك النواحي فثبت عندهم ان زوبين هرب خوفًا على نفسهِ ورجع من حيث اتى وعليهِ امر اندهوق فرسان العرب ان تنهض من ساعتها وتسير في طريقها فقد رفع القتال والحرب والنزال فركب الجميع ورفعوا الاحمال وساروا من تلك الارض وامامهم عمر العيار يقود فرمزتاج وهو محمول على جواد من خيول العرب موثوق الايدي وكلما قربوا من مدينة او قلعة دخل عمر على فرمزتاج واجبرهُ ان يكتب كتابة موقعة منهُ ومختومة بخاتم المملكة تؤذن بتسليم العامل وتامرهُ بعدم المدافعة وترك القتال

وهكذا كانت العرب تسير بلا قتال ولا حرب ولا نزال حتى مروا على عدة بلدان وكل بلد دخلوها اخذوا منها احتياجهم ومؤن طريقهم وما برحوا على مثل ذلك حتى جاءوا الى قلعة قطمين وهي من القلاع الحصينة المنيعة مسورة بالطوب لا يقدر الطائر ان يدخل اليها. فدخل عمر على فرمزتاج وقال لهُ اكتب لي كتابًا الى حاكم هذه القلعة ان يسلم في الحال فاجابهُ الى طلبهِ وكان فرمزتاج في كل مرة يكتب كتابًا الى عمر العيار فياخذهُ منهُ ويقراهُ حتى انهُ اخيرًا ما عاد يقرأ الكتابة لما راها كلها على نسق واحد ولم يخطر لهُ ان فرمزتاج وهو اسير بيد العرب يجسر على الغدر بهِ ولذلك في هذه المرة اخذ الكتاب منهُ وسار الى حاكم القلعة فدفعها اليهِ فاخذها وفضها وقراها واذا بها

من فرمزتاج بن كسرى انوشروان الى حاكم قلعة قطمين

اعلم اني اخذت اسيرًا مع العرب فاذاقوني العذاب الاليم وكلما قربوا من مدينة او قلعة

زعموني ان أكتب الى صاحبها بالتسليم فافعل غصباً عني حتى فتحوا عدة بلدان وقد امن لي عمر العيار الواصل اليك فلم يعد يقرا كتاباتي ولذلك كتبت له هذه المرة عكس ما طلب فاني امنعكم من التسليم وان تسعوا بخلاصي حالاً هذا بعد ان تقبضوا على عمر العيار حامل هذا الكتاب لانه راس العرب وعلة نجاحهم فاذا غاب عنهم او اصيب بنائبة تفرقوا وضعفت احوالهم لانهم بدونه لا يعرفون كيف يسيرون ولا يقدرون على نوال مطالبهم ولا يمكن ان يقدروا على فتح هذه القلعة فيرجعون خائبين متفرقين وحالما تقبضون عليه اقتلوه ولا تتهاملوا بامره والاّ تخلص ونجا ولا تقدر هذه الحصون المنيعة ان تمنعه من المرور الى قومه فهو شيطان في صورة انسان لا يصطلى له بنار

فلما قرأ حاكم القلعة الكتاب قال لعمر مرحبًا بك فاني عن قريب اسلم القلعة اجابة لطلب فرمزتاج بن كسرى الملك الاكبر . ثم اشار بالسر الى قومه ان تقبض عليه فانقضوا عليه من كل ناح ومسكوه بالرغم عنه وفي الحال اوثقوه بالحبال وشدوه بكل قوتهم ولم يتركوا له سبيلاً للدفاع ولما راه الامير وقد صار بيدهم قال يجب ان نقتله في الحال فخذوه الى عالي الاسوار وادعوا العرب ان يتفرجوا على موت مدبرهم ودليلهم والقوه على دولاب الهواء وانفضوه مدفوعاً بقوة الدولاب الى الجو الاعلى فانه يرتفع عن السور مئات من الاقدام ثم يسقط الى بينهم ممزق من شدة الارياح ويعرف فرمزتاج بموته وكذلك تضمحل قوة العرب ولا تعود تقوم لهم قائمة . وفي تلك الساعة سحبوا عمر العيار مكتوفًا ونحوًا من عشرين رجل تحيط به وكلهم ماسكون بالحبال يضيقون عليه ولا يفرجون عنه حتى جاءوا الاسوار فصعدوا عليها وجاءوا اعلاها وركبوه تركيباً محكمًا لجهة العرب ووضعوا عليه عمر العيار وهو مكتوف ومربوط الايديه والارجل ووقف كبيرهم ونادى قبائل العرب هيا ايها القوم المعتدون وانظروا ما يحل بقائدكم عمر العيار الذي تفتخرون به ففي هذا اليوم موته وهلاكه وخلوص ايامه

قال وكانت العرب تنتظر عودة عمر العيار اليهم وان يطلب اليهم الدخول حيث كانوا يتصورون ان فرمزتاج بعث بكتاب كالعادة يامر حاكم القلعة بالتسليم واذا بهم قد راوا جماعة من فرسان القلعة قد رفعوه على الاسوار وفعلوا ما فعلوا فغاب صوابهم وضاعت عقولهم فزحفوا الى ناحية الاسوار وهم يصيحون ويصرخون ويلكم ايها الاوباش خلوا عن عمر العيار فنترك لكم القلعة واشتروا انفسكم به والاّ فاننا لا نترككم ولا نبقي على انسان بها فلم يصغ الرجال الى كلامهم لعلمهم انهم لا يقدرون على فتح القلعة ولا على خرق الاسوار ولا يمكنهم ان يصلوا اليهم بل انهم اخذوا يد اللولب ودفعوه دفعة واحدة فدار كالبرق وباسرع من هبوب النسيم ضرب على عمر العيار فرفعه الى الجو الاعلى حتى كاد لا يرى من الارض وقد ايقن اهل القلعة انه يموت

وهو في الهوى وكذلك العرب ظنت انهُ ربما يقع داخل المدينة واما هو فانهُ ايقن بالموت والهلاك وثبت عندهُ ان تلك الدقيقة هي اخر حياتهِ حيث بعد ان ينتهي من الارتفاع بقوة دفع دولاب الهواء لا بد لهُ من السقوط فيموت شر ميتة وقد تألم وتوجع من لطمة الدولاب ولو لم يكن من اجلد الناس على المصائب والاهوال واكثرهم مخاطرة لمات في الحال الاَّ انهُ في تلك الثانية صادف وصول كندك المارد فتناولهُ بالهواء وطار بهِ في الجوّ وعاد من حيث اتى وقد تقدم معنا ان الامير حمزة قد بعثهُ لياتي بهِ ويحضر زفافهُ ولم ينتبه عمر الى كندك بل ظن نفسهُ انهُ دخل باب الهلاك وبعد قليل غاب عن هداهُ وكندك سائر بهِ ولا زال حتى وضعهُ امام اخيهِ حمزة فنظر اليهِ وهو على تلك الحالة فشغل بالهُ وتعجب منهُ وسال كندك عن امرهِ فقال لهُ اني نظرت العرب نازلين في ناحية من الارض عند قلعة قطمين فقصدت النزول عليهم واذا رايتهُ على السور ورجال القلعة مرادهم ان يهلكونهُ وقد نادوا العرب لتنظر موتهُ ورموهُ الى السحاب بدولاب الهواء فاسرعت اليهِ وهو غائب عن الهدى ميقن بالموت واتيت بهِ من العلى. فتكدر الامير حمزة وتقدم من عمر وناداهُ ففتح عينيهِ وراى الامير حمزة فظن انهُ بالجنة وان اخاهُ مات وهو هناك. فقال لهُ الحمد لله يا اخي الذي اجتمعت بك في دار الاخرة فواحسرتاهُ على العرب ماذا يا ترى يحل بهم بعدنا وماذا يجرى على مهردكار في دار الفناء واني مسرور الذي لحقت بك لاني كنت اظن انا والعرب انك حيٌّ وما علمنا بموتك وانتقالك الى دار الاخرة. فعرف الامير حمزة انهُ لا يزال ضائع العقل فامر ان يوتى لهُ بكاس من الشراب فاحضر لهُ فسقاهُ واجلسهُ على صدرهِ وقال لهُ انظر جيدًا فاننا لا نزال في هذه الدنيا واننا في جبال قاف وقد حضرت مع الراعد وبعثت كندك المارد فجاء بك وانت على اسوار قلعة قطمين. فلما سمع عمر انهُ بجبال قاف وعى الى نفسهِ والتفت يمينًا وشمالاً فلم يرَ الاَّ جانًا ومردة فقال لهُ لماذا ارسلت فاتيت بي الى هذا المكان وكيف صادف ذلك وانا على اخر نفس من الحياة وثبت لي اني صرت في دار الاخرة حيث ارتفعت عن الارض نحو الف قدم وقد اغمضت عينيَّ كي لا ارى الارض ولا اشاهد كيف اموت فقال لهُ اني اتيت هذه البلاد مع الراعد ووقع لي كذا وكذا بها. ثم انهُ اعاد عليهِ قصتهُ من الاول الى الاخر واخبرهُ بكل ما جرى لهُ مع اسما بري الى ان قال لهُ اني قد ارسلت اولاً كندك المارد الى مكة فجاء بالقاضي بهلول ولم يرك هناك واخبر القاضي انك مسافر الى الغرب مع العرب فارسلت كندك حالاً لياتي بك ويرجع بيوم واحد فتحضر زفافي وترى العروس. قال خيرًا فعلت فاني اريد ان اشاهد هذه التي تقول انها تريد ان تتزوج بك فاذا كانت موافقة لك تحب العرب وافقتك والا تركناها ورجعنا فنادى الامير اسما بري فحضرت امام اخيهِ فنظر اليها وقال في الحال الى اخيهِ اني لا اقبل لك هذه العروس ولا اريدك ان تزف عليها واذا فعلت

ذلك قبلنك . فضحك الامير من كلامهِ وعرف انهُ يريد منها النقد ولذلك اشار الى اسما بري ان ترضيهُ . فقالت لا تفعل هذا يا عمر فاني لا اترك اخاك واحبهُ كثيرًا ولاجل حبهِ احب العرب اجمعهم واني ارضيك بكل شيء وساملي لك صندوقًا من الذهب تاخذهُ معك الى العرب . قال اني لا اريد ان تملىء لي صندوق بل اريد ان تملي لي هذا الجراب الصغير . ثم مد يدهُ الى وسطهِ فاخرج جراب اسماعيل منهُ وفتح لها فمهُ . فاستصغرتهُ وقالت اتبعني فاني مالئتهُ لك مرتين وثلاث مرات ودخلت الى غرفة من قصرها وفتحت صندوقًا كبيرًا مملوءا من الذهب وقالت خذ مهاشئت منهُ واملي جرابك . قال افرغي لي انت وانا افتح فاهُ . ثم انهُ فتح باب الجراب واخذت اسما بري تضع فيهِ الذهب وهو لا يبان وهي تتعجب حتى فرغ الصندوق كلهُ فقالت لعمر كيف لا يمتلئ الجراب ومدت يدها اليهِ فراحت كلها في جوفهِ ولم تعثر بالذهب قط فطار عقلها ونظرت الى خارج الجراب فرانهُ صغيرًا لا يساع اكثر من كنها فكادت تفقد عقلها وجاءت الى الامير حمزة وعمر يضحك منها وقالت لهُ ما هذا الجراب فانهُ كاد ياخذ عقلي وما ظننت انهُ يسع اكثر من ربع الصندوق . فقال لها يكفيهِ ما اعطيتهِ فانك لا تقدرين ان تملي الجراب فانهُ لو وضعت بهِ جبال قاف برمتها لما بانت فهو جراب اسماعيل . ثم نادى عمر وقال لهُ يكفاك ما اخذت من الذهب قال اني راضٍ بهِ فهو يكفي جماعتي الى زمان طويل وعليهِ فاني اسمح ان تزف على اسما بري فهي كريمة وموافقة واجعل ذلك ان ينتهي بوقت قريب حيث مرادي ان ارجع في صباح الغد الى العرب لانهم بدون شك في بكاء ونحيب من اجلي وربما هم بضيقة من جرى امتناع حاكم القلعة عليهم

قال ومنذ ذلك الحين اعدت اسما بري معدات الزفاف ودعت كل المردة وكبراء الجان ورؤساء الطوائف فحضروا اليها وحينئذٍ تقدم القاضي بهلول وزف الامير حمزة على اسما بري وبارك للامير بها وكذلك جميع الطوائف واظهروا فرحهم وسرورهم بملكتهم وانقضاء غايتها . ثم ان الامير بعد انقضاء السهرة دخل على اسما بري وجاءها ونام عندها تلك الليلة وهو مسرور بما لاقى منها الى الصباح وعند الصباح جاء قصرها فوجد اخاهُ عمر بانتظاره . فقال لهُ ارسلني الان الى قلعة قطين فاني مشغل البال على العرب وانت بعد ايام تتبعني . قال اصبر لاكتب الكتب الى العرب واطمنهم عني واني ساذهب اليهم بعد خمسة عشر يومًا فيذهبون في طريقهم ولا يتعوقون فقال لهُ اكتب ما شئت ولا تجعلها بيضة الديك فاخذ وكتب في الاول الى الملك النعمان والى اندهوق بن سعدون والى المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان و بشير ومباشر واصفران الدربندي كل واحد كتابًا خصوصيًا باسمهِ يشرح لهُ حالهُ ويطمنهُ عنهُ و بعدهُ انهُ بعد ايام قليلة يكون عندهم و يامرهم بالثبات في القتال وان يبقوا يدًا واحدة ولا ينفرطوا و بعد ان

يتملكوا قلعة قطمين يداوموا السير حتى يصلوا الى طنجة الغرب حيث يكون قد سبقهم الى هناك بحسب اشارة الوزير بزرجمهر وان تكون كل غايتهم الاعتناء بهردكار وان لا يدعوا الاعداء يصلوا اليها واخيرًا كتب كتابًا لها يقول لها فيه

من حبيبك الملذوع بقرب النوى والمحروق بكيد الزمان وعناد البعاد من رمته يد الايام الى اخر الدنيا فاصبح بينهُ وبين من احب جبال وبلاد لا يعرف عظم اتساعها الاَّ الله سبحانهُ وتعالى ابيت على حالة الياس وشخص جمالك يرافقني ويسامرني وخيالك يبات في عيني ولا يبارحني فاذا نهضت في الصباح رايت ذكرك يتردد في فمي وعين جمالك يناجي قلبي فاصرف اكثر الاوقات بين ذكرى وشكوى . كل هذا لا يخفاك ولا تبعد عنك معرفتهُ لاني اعرف من داخل قلبي ما تلاقي انت ايضًا وكيف حالتك حيث ان شخص بهاك ما زارني مرة الاَّ وعاتبني على هذا الانقطاع ونسب اليَّ الظلم وسبب هذا البعد فعرفت ذنبي وتاكدت اني الظالم وانك المظلومة . نعم انا كنت السبب في كل ما جرى وكان من هذا البعاد وعلى الدوام وانا الذي سببت لك الهم والحزن . ابعدتك عن اهلك وحملتك مشاق الاسفار والاوجاع والغربة والاهوال بعد ذاك الترفه والتنعم والدلال والعز الذي كنت عليهِ في بيت ابيك وفوق كل ذلك لم افِ حق حبك ولا اقمت بواجباتك لاعيضك بدل ما تلاقينهُ فاعذريني ولا تلوميني بل سامحيني فان قلبي باقٍ على الحب ولي امل وثيق ان كل هذه الاهوال والمصائب والعذابات ستكون هناء وراحة وسعادة لي ولك فسامح الله اباك الذي اراد ان يقهر غايتنا ويدوس راحتنا ويجلب كل هذا العناء لي ولك لا بل لعن الله بختك الوزير الخائن الناكث الخادع اذ انهُ منبع العداوة واصل كل هذه الشرور ولولاهُ الان لكانت باقية في المدائن وكان انتهى زفافنا منذ زمان وكنا بجانب بعضنا نلاقي لذة المعيشة وهناء الزواج واني اسال الله ان يقدرني من الوصول اليهِ لاشفي غليل قلبي منهُ واذيقهُ الموت الاحمر جزاء على اعمالهِ والان قد بعثت بالكتب الى سائر الفرسان اوصيهم بالمحافظة على راحتك اذ لا شيء يشغلني عنك وامرك افضلهُ على كل امر واريدك على الدوام ان تكوني مرتاحة مطمئنة البال من نحوي فاني بعد قليل من الايام آكون عندك واشرح لك العذاب الذي لقيتهُ في سفرتي هذه غير انهُ قد انقضى وزال واصبحت براحة عظيمة وقد التزمت بالرغم عني ان اتزوج باحدى بنات الجان وهي بنت الملك الذي قتلهُ واسمها اسما بري لانها وقفت في طريق رجوعي الى بلادي وحاربتني محاربة عظيمة ولولا تاكدي ان زواجها قدر عليَّ وانهُ لا بد منهُ لفضلت الموت عليهِ وساتركها بعد خمسة عشر يومًا حيث اشرطت عليها ان لا اقيم معها اكثر من هذه المدة فعدي نفسك بقرب وصولي اليك وكوني براحة مع اخوتك فرساني وها ان اخي عمر قد عاد اليكم بعد ان خطر لكم وتوهمتم انهُ مات واوصيتهُ الوصية الكبرى

ان يكون بخدمتك كما كان وهو يخبرك بحالي انا الغريب عنك وعن رجالي فمهما حصل لي من الراحة بانا على هذا البعاد فاحسبة ويلاً وعذابًا وكدرًا ممزوجًا بالشقاء فراحتي ان ارى في كل صباح ومساء وهنائي ان اسمع عذوبة الفاظك في كل آن فتنزل على مسمعي وعلى قلبي اشهى من كل شيء واردمن الماء الزلال فسقيًا لتلك الايام القليلة التي صرفناها في ارض مكة المطهرة اراك وتريني واسمع كلامك وتسمعين كلامي وكل واحد منا يقدم للاخر قلبهُ ويطرح بين يديهِ نفسهُ اني اتذكرها ودموعي لا تنقطع دقيقة وقلبي يخفق على تلك الساعات التي كظل الخيال . ثم كتب في اخر التحرير

فؤادٌ كما يهوى هواك معذبُ ... وقلبٌ على جمر الاسى يتقلبُ
وعين اذا ما جفت الحزن دمعها ... انت بدموع من دم القلب تسكب
تيقنت ان لا صبر لي عنك ساعة ... فاقصيتني اذ ليس لي عنك مذهب
وذلت بحكم الحب نفسي ولم تكد ... وليس لمن يهوى عن الذل مهرب
وعلمتني كيف التوجع والبكا ... وكيف اداري الكاشحين وارهب
واعرضت فاخترت الحمام على البقا ... وورد الردى لي دون بعدك يعذب
فان تردني الاشواق مت بحسرتي ... وان تبقني قاسيت ما هو اصعب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم ... واين من المشتاق عنقاء مغربُ
غريب غريب الهم والقلب والهوى ... ونفسي التي تهوى الردى لي اغرب
تري الماء كالسم الزعاف مع الظما ... اذا كان من كف المقطب يشرب
اقول لحرٍّ يبتغي صفو ساعة ... من الدهر ان النجم من ذاك اقرب
انطلب في الدنيا الدنية راحة ... وانت كريم النفس حرٌّ مهذبُ
سقاني نقيع السم في الشهد ريقها ... على انني طبٌّ بها ومجربُ
تغرُّ بزور ثم تفتك بالفتى ... وقد يخدع الوغد الشجاع فيضرب
فلا تركنن منها لسلم تريكهُ ... فكم غادر يبدي الرضى وهو مغضب
تلين خداعًا للمقلب كشحها ... كما لان بطن الافعوان فتسلب
تجنبت اخلاق اللئام فخانني ... وعاقبني دهري كاني مذنب
فكم قائل فيك انقباض ووحشة ... فقلت لهُ لا بل من الذل اهيب
كأن على الايام حزني واجب ... فيا كبدي ذوبي فذلك اوجب

وبعد ان فرغ الامير حمزة من كتابة الكتاب دفعهُ الى اخيهِ عمر العيار وقال لكندك المارد اوصلهُ الى القلعة التي جئت بهِ منها ولا تفارقهُ الى بعد ان تاخذ العرب القلعة هذا بعد

ان توصل القاضي الى مكة المطهرة فاطاع كندك المارد امرهُ وفي الحال حمل الاثنين وطار بهما حتى جاء مكة فوضع القاضي هناك واما عمر فانهُ لم يقبل ان ينزل عند مكة بل قال للمارد خذني الى ناحية القلعة وانزلني بعيداً عن معسكر العرب بنحو ساعتين فاجاب سوالهُ وسار بهِ حتى اوصلهُ الى قرب قلعة قطمين فانزلهُ هناك واقام بعيداً عنهُ لايظهر نفسهُ لاحد فمشى الى ناحية العرب ليظهر لهم نفسهُ

قال وكانت جماعة العربان بعد ان راوا ما راوا من مصاب عمر وشاهدوهُ وقد دفع الى السحاب ولم يروهُ فيما بعد فثبت عندهم كل الثبوت انهُ مات لا محالة وانهُ وقع في غير جهة من المدينة فلطموا على خدودهم وبكوا وناحوا واقاموا لهُ عزاء لم يسبق ان وقع مثلهُ لاعظم ملوك ذاك الزمان وكان اعظم الجميع كدراً مهردكار لانها كانت تتسلى بهِ وكانت امينة على نفسها من غدر الاعداء ما دام هو قريب منها ولذلك ندبتهُ وبكتهُ بكاء مرّاً ولبست عليهِ الحداد وصرفوا نحواً من ثلاثة ايام والعرب تطوف حول الخيام وتندب عمراً مقدامها وقد تقطعت ظهورهم وشعروا بشدة احتياجهم اليهِ وهم لا يعرفون ماذا تصل اليهِ حالتهم . وفي اليوم الرابع ضاق خلق اندهوق بن سعدون من الحالة التي هو فيها وفكر ان الامير حمزة هو في جبال قاف وان الامير عمر قد قتل وان مهردكار هي معهم ولا يمكنهم ان يتركوها ولا يعلموا في اي وقت ياتي حمزة واذا اتى فماذا ياترى يقولون لهُ اذا سالهم عن عمر العيار الذي يحبهُ محبة عظيمة وخاف من ان الفرسان تتفرق وتضعف قوتهم ويقل املهم فيتشتتون ويتبددون ولهذا خرج من بين الخيام واوسع في البر ليبعد عن فكرهِ هذه الاوهام ويلتهي بالصيد والقنص ذاك النهار وفي المساء يجمع العرب ويحلفهم بالله ان لا يترك بعضهم بعضاً الى ان تعود اليهم ايام الهناء ويرجع الامير من سفرهِ . وفيما هو سائر بالفلاة واذا قد راهُ عمر العيار فقرب منهُ وصاح بهِ وقال لهُ اهلاً باخي اندهوق فما بالك لابس السواد وانا اخوك عمر العيار قد عدت اليكم سالماً فارتاع اندهوق عند سماعهِ هذا الصوت . ونظر الى جهتهِ فشاهد عمر فلم يخطر لهُ انهُ هو بنفسهِ بل ظن ان خيالهُ يعارضهُ ليثقل عليهِ بالحالة التي هو فيها . فقال لهُ ابعد عني ايها الخيال فقد كفانا ما لقينا لمصرع عمر وما لحق العرب من الحزن لاجلهِ واذرف دمعة على خدهِ ومال بوجههِ الى جهة ثانية وسار فيها . فعرف عمر ان العرب بحزن عليهِ وقد لبسوا السواد وان بكل نيتهم انهُ قتل وشرب كاس الافات . فاسرع الى ناحية اندهوق وقال لهُ اي خيال هنا انا اخوك عمر وقد جئت برسمي وجسمي واسمي واتيتكم ببشارة عن الامير حمزة ومكتوب لك منهُ ثم لمسهُ وعارضهُ ودفع اليهِ المكتوب فنظر فيهِ اندهوق وتاكدهُ وثبت لديهِ انهُ عمر فرمى بنفسهِ عن الجواد وجعل يقبلهُ وقال لهُ اين كنت هذه المدة وما الذي اوصلك الى الامير حمزة . قال اقرأ اولاً الكتاب وسر فخبر العرب

بقدومه وسوف تسمع قصتي وقصة الامير حمزة فعاد اندهوق ركضاً على جواده حتى دخل بين العرب وهو من الفرح في برج عظيم وجعل ينادي هيا يا امراء العرب وساداتها وقوادها فابشروا واهنأوا فقد عاد اليكم عمر العيار راس العرب وفخرهم فاسرعوا الى ملاقاته واشكروا الله على ما قد اعطاكم فهو الرحيم المعين . وفي الحال قامت الضجة من العرب واكثروا من الصراخ والصياح وانحدروا الى ناحية اندهوق فجعل يشير اليهم بيديه ويقول لهم هيا اسرعوا من هذه الطريق فهو بانتظاركم ان تصلوا اليه فاخذوا يركضون افواجاً افواجاً وصياحهم قد ملأ الارض ولما راوهُ رفعوهُ على ايديهم وجعلوا يتناقلونهُ ويغنون ويزرغطون ولا سيما جماعة العيارون فانهم كانوا لا يعلمون ماذا يفعلون فداروا به من كل مكان والسنتهم تبربر وايديهم تصفق وعادوا به فرحين مسرورين الى ان التقوا بالفرسان وهم المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل والباقين فنزلوا اليه وسلموا عليه وسالوهُ عن حالهِ فاعطى كل واحد كتابة من الامير ففضهُ وقراه وشكروا الله على سلامته وساروا الى صيوان الملك النعمان واجتمعوا واستعادوا منهُ الحديث فاخبرهم بكل ما كان من امره من حين فارقهم ودخل القلعة وكيف ان حاكم القلعة غدر به وربطهُ وامر بقتله وكيف ان كندك كان قد جاء في تلك الدقيقة من قبل اخيه ليذهب به الى جبال قاف واعاد عليهم ايضاً قصة اخيه حمزة وانهُ تزوج في جبال قاف بالرغم عنهُ بشرط ان يقيم مع اسما بري خمسة عشر يوماً وبعد ذلك توصلهُ الى بلادهِ فشكروا الله على سلامته وقال لهُ اندهوق ان موتك جاء بنفع وخير لنا فكم بالحري حياتك فلا زلت علة خير ونجاح ودليل سعادة واقبال واننا في الصباح سنباكر اهل القلعة وناخذ لانفسنا منهم بالثار ونسير الى طنجة الغرب لنلاقي اميرنا وفارسنا هناك فاننا بشوق الى روْياهُ وقلوبنا كادت تنفطر عليه . ثم تركهم وسار الى مهردكار

وكانت مهردكار في صيوانها فبلغها بغتة خبر وصول عمر فطار قلبها ولم تعد تعي الى نفسها وكانت تحزن من اجله فنهضت على غير وعي وخرجت من الصيوان الى الخارج تنتظر قدومه وهي لا تصدق بذلك وبقيت واقفة تسمع صياح العرب وصراخهم ومناداتهم بالافراح والمسرات فثبت عندها ذلك ودخلت فنزعت عنها ثوب الحداد وصارت تدخل الى الصيوان وتخرج منتظرة وصولهُ اليها وقد ضاق صدرها وعيل صبرها فارادت ان تعرف ماذا جرى عليه ولا زالت الى ان وصل اليها فحياها وسلم عليها وقال لها ان غيابي كان نافعاً قد عدت اليك بخبر عن اخي الامير فطفح السرور بزيادة على قلبها وقالت ابن اخوك وما هو الخبر الذي جئتني به منهُ قال ان اخي هو في جبال قاف عند اسما بري ولهُ حديث طويل وعما قليل من الايام يكون عندك واعطاني هذا الكتاب لك . ثم ناولها الكتاب فاخذتهُ منهُ ووضعتهُ بيدها لتقراهُ

بانفراد وجعل قلبها يخفق شوقاً الى مطالعتهِ والوقوف على كل ما تضمنهُ والنظر الى تلك الاسطر التي كتبها حبيبها . وبعد ان فرغ من اعادة حديث اخيهِ عليها تركها وذهب الى جماعتهِ العيارين وقال لهم اتبعوني الى الفلا فاني احضرت لكم من ذهب جبال قاف الكبير العيار شيئاً كثيراً وسار امامهم فساروا من خلفهِ حتى جاء اكمة في تلك الناحية فصعد عليها وقلبهُ فرح مسرور ببذل الاموال لهم واخرج الجراب من وسطهِ ووضعهُ امامهُ وجعل ياخذ قبضة بعد قبضة ويرشها عليهم وهم يتسابقون الى التقاطها وهو يضحك منهم ويسرّ من مسارعتهم وفرحهم بعطائهِ حتى فرغ الجراب فاسود قلبهُ وحزن على فراغهِ وتمنى ان لا ينقطع عن هذا العمل كل عمره حيث كان كريماً نهاباً وهاباً . وبعد ذلك رجع الى المعسكر ومن خلفهِ جماعتهُ وكل واحد منهم قد اصابهُ ما يكفي لغناهُ وهم يشكرونهُ ويثنون عليهِ ويمدحونهُ حتى جاءوا خيامهم واقاموا بها واقام عمر على حراسة مهردكار والتطواف بالمعسكر كالعادة كانهُ لا راح ولا جاء

واما مهردكار فانها بعد ان ذهب عنها عمر العيار اخذت بيدها الرسالة وجلست على سريرها وهي تتنشق منها رائحة الراحة وتتوسم بها الفرح والمسرة وفضتها بايدٍ ترتجف والقت بنظرها على التوقيع وقرأت اسم حبيبها حمزة فالقت براسها الى الوسادة وقد خارت قواها وخفق قلبها كان الامير قد وافاها بعد غيبتهِ ولبثت نحواً من نصف ساعة وهي ملقاة على الوسادة حتى قدرت ان تضبط نفسها وتنهض جالسة الى قراءة التحرير فاخذتهُ بيدها واعادت بنظرها عليهِ وتجلدت كل التجلد ووضعت يدها اليمنى على قلبها لتمسكهُ عند ما يطلب الغور والخور وبدأت من اولهِ تقرأ سطراً وتصبر نحو خمس دقائق لتقدر على قراءة السطر الثاني وما برحت حتى وصلت الى اخره وهي على ما تقدم واذ ذاك عادت الى حالة الاضطراب الذي يحدث عند اشتداد الفرح واتكأت على سريرها تكرر معاني الفاظ حبيبها الرقيقة وقالت لا ريب ان شعورهُ واحساساتهِ من نحوي على الدوام حية وهذا الذي يسليني ويتركني اعلق الامل الكبير العظيم بان ما انا بهِ من المشاق ينتهي الى الراحة هو يحمل هم سفري مع انهُ بعيد عني الوف والوف الوف من الفراسخ بل وملايين الوف من الفراسخ فليهنأ قلبي وليفرح بمن احب ولو لم يكن اهلاً لان احبهُ لكان خيراً لي ان اموت من ان اعيش على عناد ابي ومخالفة اهلي وترك بلادي لكنهُ هو افضل من الجميع وارق على ضعفي من ابي واخي وامي ولكن بماذا ياترى اقدر ان اكافيهُ على مثل هذا الحب والخلوص اني احبهُ نعم ولكن لا فضل لي بحبهِ لان ذلك من موحيات عشقي وتدلهات قلبي فلا فضل لي بهِ فيارب كافئهُ عني بما تختارهُ لهُ واجعل ايامهُ طويلة مقرونة بالسعادة والاقبال . وصرفت كل ذاك النهار وتلك الليلة وهي على مثل هذه الافكار تارة تاخذ الكتاب فتعيد قراءتهُ وتمعن بهِ وطوراً تضعهُ على صدرها وتضمهُ بيدها وتلقي نفسها على السرير وافكارها سارحة الى ناحية جبال

اقاف وفي الاخير وجدت نفسها مضطرة الى مناشدة الاشعار فاشارت تقول

لا وبرد اللقا ومرّ الفراقِ ... ما لقلبي من لسعة البين راقِ
كيف يخفى حريق وجد فؤاد ... صير الجفن دائم الاغراقِ
كتمته جوارحي فنشاه ... ناطق الدمع صامت الاماقِ
يا غزالاً عن المحب نفورًا ... وشهابًا في البعد والاحراقِ
كم اناديك ضرني ما دهاني ... كم اناديك شفني ما الاقي
فاجرني من الجفون فقلبي ... مات صبرًا من النفوس الرقاق
واغثني من القدود فاني ... لست اقوى على الرماح الرشاق
لست ارضى سواك مالك رقي ... لا تسمني بذلة الاعناق
سامح الله حاجبيك واسما ... رشقتني باسهم الاحداق
وحمى واضح الجبين لحسنٍ ... لسناهُ اهلة الافاقِ
كم قطعنا به ليالي وصلٍ ... في استلام ولذة واعتناقِ
وشربنا من الوجوه خمورًا ... في الدياجي شديدة الاشراقِ
ورشفنا من الثغور كؤوسًا ... راحها فيه راحة العشاق
وهصرنا من القدود غصونًا ... طارحتها بلابل الاشواقِ
يافؤادي عن القطيعة صبرًا ... قد قضى البين بيننا بفراقي
لا تكن عندما تصاب حزينًا ... ليس بعد الفراق الاّ التلاقي

وعادت منذ ذلك اليوم وان كانت تتذكر الامير على الدوام انما علقت الامل بان في نفس ذاك الشهر يصل اليها كما افاد في تحريره لها

ولما كان غد ذاك اليوم نهض العرب من مراقدهم وتقدم عمر العيار في الاول وصاح بهم ان يتبعوهُ ليسلمهم القلعة وكان الى جانبه كذلك المارد وهو عازم على قلع الابواب والفتك بالذين داخل القلعة وفي الحال زحفت الابطال والفرسان وسائر الرجال من كبار وصغار وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وهجم كذلك على الابواب ففتحها واندفعت العرب الى الداخل وهي مسرورة بذاك الفتح المبين وعمر العيار كانه شعلة نار يصيح ويهجم من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار حتى دخل على حاكم القلعة وقال له ويلك ياخبيث ياغدار اظننت ان عمر العيار يموت وهو محروس بعناية العزيز الجبار فاذا قتل اليوم عاش في الغد فارتاع الحاكم واراد ان يدافع عن نفسه فلم يمهله بل ضربه بالخنجر في صدره اطلعه من ظهره وبمدة ساعة ملك العرب القلعة واعتلوا اسوارها وغنموا كل ما فيها وقتلوا كثيرًا من اهلها وبعد ذلك فرقوا بالرجال في كل

نواحيها واجتمع الفرسان الى قصر الحاكم فوجدوا عمرًا هناك وقد قتلهُ فجلسوا وشكروا من عمر وكندك المارد وقالوا لهُ لولاك لما سهل علينا فتح هذه القلعة لانها حصينة جدًا لا يمكن الدخول اليها الاَّ بالتسليم فقال اني ملزوم بخدمة سيدي الامير حمزة وقد اوصاني ان لا ارجع عنكم ما لم تفتحوها وها قد تم الغرض واريد الذهاب والرجوع الى جبال قاف في هذه الساعة فكتب كل فارس منهم كتابًا الى الامير يخبرونهُ بما كان من امرهم ويشكون اليهِ اشواقهم ويسالونهُ سرعة العودة اليهم قبل ان تاتيهم رجال كدرى وعساكره لانهُ يجمع الفرسان ليسير في اثرهم . وكتبت اليهِ مهردكار كتابًا تشكو من طول بعادهِ وتثني على اهتمامهِ بها وهو بعيد عنها فاخذ كندك المكاتيب وعاد الى جبال قاف ودخل على الامير حمزة وسلمهُ اياها فاخذها وقراها واحدًا بعد واحد وهو متاثر من بعادهِ عن قومهِ وحجره بالرغم عنهُ في جبال قاف وصبر على امل انهُ بعد فراغ المدة تصدق اسما ىري فترفعهُ الى بلادهِ وقومهِ في الحال وبعد نهاية المدة طلب اليها ان تامر كندك المارد ان يوصلهُ الى قومهِ فحاولتهُ وقالت لهُ يجب ان تصبر بعد ايام قليلة واحسب نفسك سائرًا في البرية فانك صرت زوجي ولا بد من . اعنك لكن ليس الان فاشفق عليَّ واقم ايامًا قليلة فتكدر منها الاَّ انهُ صبر حتى مضى شهر تمام وسالها الانجاز فقالت لهُ لا بد منهُ فكن مرتاحًا ولا بد من ايصالك الى بلادك ووطنك وتجتمع بقومك لكن ليس في هذه الايام وعما قليل تري نفسك بين قومك فصبر ولا زالت تحاولهُ اسبوعًا بعد اسبوع وشهرًا بعد شهر ويومًا بعد يوم حتى مضى عليهِ سنة وهو عندها فضاق صدرهُ وعيل صبرهُ ولم يعد يسعهُ البقاء وتذكر حالة العرب وقال لا بد انهم ينفرطون ويتفرقون وقد يعدّونني اني اكون عدمت بعد ايام قليلة فطالت المدة ولا بد ان يشتغل بالهم من اجلي ولا سيما مهردكار فانها تموت كمدًا

ولما اشتد عليهِ الحال نهض واصرَّ على الذهاب وسال كندك المارد ان يحملهُ فامتنع وكذلك باقي المردة فاغتاظ منهم وقال لاسما ىري قد غششتني وسمعت قولك وكذبت بهِ . فقالت اني لا اقبل بعد ان تصير زوجي تفارقني وتبعد عني وصار من الواجب ان تبقى عندي وهل ان التي تحبها هي احق بك مني فتكدر منها وخرج ماشيًا على قدميهِ وترك القصر واستلم الطريق وهو يلوم نفسهُ كيف سمع منها وانقاد لها وطاعها في امر الزواج حتى ابعدتهُ كل هذه المدة عن قومهِ وانهُ لو بقي سائرًا لا بد ان يكون قد لقي الفرج ووصل الى قومهِ وفي المساء قدم لهُ كندك المارد الطعام فاكل ونام وعند الصباح نهض ومشى وقد خالف الطريق على امل ان يرى الفرج وبقي عدة ايام حتى مرَّ على صومعة في لحف جبل فانشرح صدرهُ وقال ان هذا المحل لا بد ان يكون بهِ رجال من الانس مستخدمي الجان الذين يقال لهم حكماء وكهان فعرج الى تلك الصومعة وهو منشرح الصدر يسال الله ان يكون الفرج هناك فلما وصل اليها طرق بابها فخرج اليهِ

خدمة من الجان فسلم عليهم وقال لمن هذه الصومعة ومن يسكنها فقالوا له هي لاميرنا جوكدان
وهو في الداخل فادخل عليهِ واسالهُ غرضك فيجيبك اليهِ في الحال. ففرح ودخل على الامير
جوكدان وسلم عليهِ وقال له اني اتيتك لاجل قضاء مصلحتي فاعني وارحمني فقال له مرحبًا بك ثم امر
ان يقدم له الطعام فاكل وهو مسرور لانهُ راى في جوكدان سمة اللطف والكرامة وبعد ذلك
استعاد منهُ حديثهُ فحكاهُ له من الاول الى الاخر وما جرى له مع اسما بري وساله ان يتسبب
بوصولهِ الى بلادهِ . فقال له مرحبًا بك فلا بد من ان اوصلك الى بلادك بوقت قريب فاني
اعطيك جوادًا سريع الجري وهو يوصلك لكن ينبغي ان تحافظ عليهِ . فوعدهُ بذلك وفي
الحال امر ان تدفع اليهِ فرس توصلهُ الى بلادهِ فسلمهُ الخدم الفرس فسرَّ بها وشكرهُ على معروفهِ
وركب الفرس وسار واطلق لها العنان فطارت بهِ على وجه الارض مسير الريح الى ان امسى
المساء فنزل الى الارض واذا بكندك المارد قدم له الطعام فاكل ونام مسرورًا وفي ظنهِ ان
يصل الى بلدهِ قريبًا وفيما هو نائم سمع صوت صهيل قوي فنهض مرتاعًا واذا بهِ يرى جوادًا
بقدر الفيل الكبير لم يرَ مثلهُ بطول عمرهِ يعلو ظهر الفرس وقد جاءها من البر فاستل سيفهُ وضربهُ
فقتلهُ وكانت قد علقت منهُ والامير لا يعلم بذلك بل بقي باقي تلك الليلة نائمًا وفي اليوم الثاني
ركب الفرس وسار كالنجم اذا طار حتى كان المساء قام وهو ميقن انهُ ما عاد يحتاج الى اسما بري
ولا يفكر فيها فيما بعد كونهُ راى منها الغدر والغش والخيانة وفي الصباح نهض وطلب الفرس فلم
يجدها فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ لها اثرا فاغتاظ وتكدر جدًا واذا باسما بري تناديهِ
وتقول له لا تفتش على الفرس فهي عندي وقد سرقتها منك في الليل فلا تطمع نفسك بان احدًا
يقدر ان يوصلك الى بلدك وقومك غيري فاسمع مني وارجع الى قصري سبعة ايام اخر وبعد
ذلك ارسلك الى المكان الذي تطلبهُ فقال لها اني ما عدت اصدقك قط لانك كما كذبت في
الاول تكذبين في الاخير واني سأسير ماشيًا واستل سيفهُ وهجم على اسما بري فهربت فاحترق
فوادهُ منها وذهب في طريقهِ ماشيًا مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم منهُ كندك المارد وقال
له اعلم يا سيدي ان اسما بري وضعت بنتًا وقد طلبت اليَّ ان اخبرك بذلك فهل تريد ان
ترجع اليها وتنظرها فتحركت احشاء الامير حمزة وكان لم يرَ الاولاد بعد وحنَّ الى روية بنتهِ
الجديدة فقال لكندك ارجعني لاراها فحملهُ في الحال وعاد بهِ الى جبال قاف الى قصر اسما بري
كانهُ ما قطع شيئًا من الطريق ولما دخل القصر وجد انها ولدت بنتًا كما اخبرهُ كندك فاخذها
على ساعدهِ وقبلها وهو فرح بها وسماها قريشة ووجد نفسهُ مضطرًا ان يقيم عند زوجتهِ وبنتهِ مدة
ايام اخر فسرَّ ذلك اسما بري وبقيت معهُ بسرور وفرح تكرمهُ وهي من شدة عشقها بهِ لا تكاد
تعرف ما تصنع معهُ وتتمنى ان يبقى كل عمره عندها وبعد ان صرف مدة طويلة قال لها يكفي

هذه المدة فاني باضطرار الى الذهاب والوصول الى قومي فانهم بحاجة اليَّ فقالت ان الوقت لم يحن بعد ومن الضرورة ان تبقى عندي وعند بنتك ودع عنك العرب ومن هناك فهذا نصيبك ان تعيش هنا وتموت هنا فتكدر منها واقسم بالله العظيم انهُ ما عاد يرجع الى جبال قاف وانهُ سيسير في طريقهِ اما يموت واما يعيش ويصل الى رجالهِ وسار من هناك ومشى اياما عديدة وهو صابر على نفسهِ ياكل ويشرب من كنذك المارد ولا يعرف من ابن يصل ولا ماذا يوصلهُ الى بلادهِ حتى كان في صباح ذات يوم نهض واذا باسما بري واقفة امامهُ فقال لها ماذا تريدين مني فارجعي عني واتركيني فكفى كل ما وصل اليَّ منك . قالت اني اتيت بامر فيهِ الخير والنجاح لك وهو ان الفرس التي اخذتها من عند جوكدان ولدت مهرًا لا يوجد لهُ نظير لا بين خيول الانس ولا بين خيول الجان ولا بد اذا رايتهُ فضلتهُ على كنوز الارض وهذا هو الجواد الذي يوصلك الى بلادك فاذا رجعت واقمت عندي مدة ايام الى ان يكبر سرت عليهِ او اوصلك انا . فطار عقل حمزة عند سماعهِ هذا الكلام وتعلق قلبهُ بهذا المهر ومالت نفسهُ الى ان يراهُ لان قلبهُ كان معلقًا عند الفرس وهو يحب ويرغب ان تكون معهُ في بلادهِ ليحارب عليها لشدة جريها وقوة قوائمها . فقال لاسما بري ارجعيني الى قصرك لارى هذا المهر وقد نوى انهُ يحتال ليحصل على الفرس فيركبها ويسير عليها وياخذها مع ولدها فسرَّت من كلامهِ ورجعت بهِ حالاً وهي مسرورة بان يبقى عندها بعض ايام اخر وبعد ان استقر بهِ القيام قال لها اريني المهر فذهبت بهِ الى الاصطبل وارتهُ الفرس وفلوها فلما راها طار عقلهُ ونظر الى المهر وهيئتهُ وامعن في شكلهِ فاعجبهُ جدًّا ونسي امهُ عندهُ وكان بظهره ريشة اذا قوَّمها تخرق الحديد وفي وجههِ وبين عينيهِ صبحة بيضاء تشير الى ان راكبهُ مسعود . مقلم الاذان واسع الكفل فدعاهُ غزال الجان . وقال لاسما بري اني ابقى عندك الى حين يكبر هذا الجواد حيث مرادي ان اربيهُ على يديَّ واعتني بهِ بنفسي ففرحت من ذلك وقالت لهُ افعل ما شئت وعرفت انهُ لا بد ان يحتاج ذلك الى عدة شهور او بالحري سنة كاملة لبينما يمكنهُ ان يركبهُ واقامت معهُ على حسب العادة تصرف اكثر وقتها بجانبهِ وتخدمهُ وتقدم لهُ احتياجاتهِ وبنتهُ قريشة تكبر وتترعرع وهو منصرف بكل همتهِ الى الاعتناء بغزال الجان اي جوادهِ الصغير وامهِ حتى مضى على ذلك عدة اسابيع وشهور حتى اصبح للامير من حين خروجهِ من مكة المطهرة الى ذاك اليوم مدة سنتين ونصف تمامًا

فذات يوم كانت اسما بري غائبة عن القصر وهو منفرد بنفسهِ تذكر اهلهُ وقومهُ ومهرد كار فبكى وحزن حزنًا عظيمًا ولعن تلك الساعة التي جاء بها مع الراعد ونهض الى القصر فاخذ منهُ زادًا لطريقهِ فوضعهُ على الفرس وركبها واطلق لها العنان في مسلكهِ الاول فجرت بهِ كالبرق الخاطف ومن خلفها ولدها غزال الجان يسبقها بالجري وحمزة فرحان بهِ الفرح الزائد ولا برح

يجد السير حتى مضى عليهِ نحو عشرين يومًا وهو مسرور انهُ عن قريب يصل الى بلادهِ وقومهِ وفي اليوم الحادي والعشرين نهض من نومهِ فوجد الفرس مقتولة ومقسومة الى قسمين والمهر واقف بجانبها ينظر اليها حزينًا فطار صوابهُ وغاب عقلهُ واستل سيفهُ وصاح من الذي فعل هذا الفعل لاقطع ايادية واعدمهُ الحياة . فظهرت اسما بري عن بعد وقالت لهُ انا التي قتلتها كي لا تصل بك الى بلادك . فقال لها يا بنت الحرام ونسل اللئام الى متى هذا العذاب لا تاخذيني الى قومي ولا تدعي احدًا يصل بي اليهم فلعن الله اليوم الذي عرفتك بهِ ورايت وجهك هذا المنحوس الطالع فلا عدت تطمعين نفسك قط برجوعي بعد ان قطعت هذه المسافة ولو كنت اموت واذوق كاس الفناء والبلاء

ثم انهُ اخذ لجام الفرس وسرجها واسرج المهر ووضع اللجام في فمهِ وركبهُ وسار في طريقهِ متكدرًا جدًا من عمل اسما برى وحزينًا على الفرس فتركتهُ لترى النهاية وامرت كندك ان يقدم لهُ كل ما يحتاجهُ من طعام وشراب حتى مضى على ذلك عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر نهض حسب عادتهِ واراد ان يركب غزال الجان فلم يرهُ فاغتاظ جدًا وخاف ان يكون قد افلت وسار في البر فاراد ان يفتش عليهِ واذا باسما بري ظهرت عن بعد وهي تضحك وقالت لهُ عبثًا ترجو ايها الامير فانك ما عدت ترى جوادك بعد الان الاَّ اذا كنت ترجع معي الى بلادي فاحضره لك لاني سرقتهُ منك وبعثتهُ الى كوز السيد سليمان . فقال لها قبحك الله من خبيثة محتالة قلت لك اني لا ارجع فلا ارجع ولو هلكت ومت فقد يئست من الحياة وصار شرب كاس الحمام احب عليَّ جدًا من النظر الى قباحة هيئتك . ثم اعرض عنها ومشى في طريقهِ وهو يكاد لا يرى الطريق لشدة غيظهِ وكدرهِ وحزنهِ وكل امبالهِ وحواسهِ عند الجواد كيف انهُ بعد ان تعب التعب العظيم بتربيتهِ والاعتناء بهِ تاخذهُ وتبعدهُ عنهُ وزاد كرههُ بها حتى صار اذا فكر بها شعر بان الدنيا اسودت في وجههِ وجعل يمشي وهي تحاولهُ وتريد ان تقنعهُ ليرجع عن غيهِ وهي تاتي لهُ بالجواد اذا اقام بعد عندها سبعة ايام اخر وهو لا يرعوي ولا يصغي ولا يسمع بل يسير هائمًا على وجههِ مرة الى اليمين ومرة الى الشمال حتى مضى عليهِ نحو ستة اشهر تقريبًا وهي ترجع الى جبال وتوكل بهِ كندك المارد ثم تعود الى محاولتهِ ومراوغتهِ فيطردها ويشتمها

قال وفيما هو سائر على تلك الحالة اذ لاحت لهُ عن بعد قلعة مبنية في جانب من الطريق فهلع قلبهُ وطار فوادهُ وامل ان يرى هناك من يساعدهُ ويعينهُ على الوصول الى معسكر العرب ولا زال سائرًا حتى دنا من القلعة فوجدها مقفلة وهي بباب من الحديد فاستل سيفهُ وضربهُ بهِ فخرقهُ ثم اعاد عليهِ الضرب ثانيًا وثالثًا حتى فتح بهِ نافذة فدخل منها وصار في الداخل وجعل يطوف فيها من مكان الى مكان فوجد ماردًا من الجان مقيدًا بالسلاسل في احدى الغرف فترحب

و وقال له ادنُ مني وحلّ لي هذه السلاسل فقال له لماذا انت مقيد هنا وما هو السبب الذي اوجب حبسك في هذا المكان . قال هو اني كنت احب اسما بري وعاشق لها وطلبت من ابيها ان اتزوج بها فسالها في ذلك فامتنعت ورفضت طلبي فاردت ان اجبرها عليهِ لاني اقدر منها فدخلت باب الخداع وابدت قبولها وجاءت عندي واسكرتني وبالاخير امرت قومها بتقييدي بهذه السلاسل وانا ثامل وقليل القوى وجاءت بي الى هذا المكان فحبستني بهِ فاذا حللت قيودي كان لك الخير العظيم ومهما طلبته اقدمهُ لك . قال واذا اطلقتك ماذا تعمل باسما بري . قال اذا كانت لاتزال بكرًا تزوجت بها ورغمتها ان تقبل بي . فقال اذا كان هذا ظنك فالاوفق ان تبقى مقيدًا . قال ولماذا . قال كي لا تقرب من اسما بري ولا تطمع نفسك بها حيث صارت لغيرك . قال ومن تزوجها . قال تزوجها الامير حمزة فارس برية الحجاز وقاتل ابيها واعاد عليهِ القصة من اولها الى اخرها . فقال له اني قلت لك انها ان كانت بكرًا تزوجت بها والا فلا عدت اقربها لاني احب الله وارهب جانبهُ ولا اسلك طريق الحرام والتعدي على الغير فقال اذا وعدتني بذلك اطلقتك تحت شرط انك توصلني الى كنوز السيد سليمان بن داود فاقسم له بالله ان يفعل ذلك فتقدم منهُ وكسر قيودهُ واطلق سراحهُ وقال له فِ لي بوعدك فاجابهُ وحملهُ في الحال وطار بهِ وبايام قليلة اوصلهُ الى كنوز السيد سليمان وتركهُ هناك وذهب عنهُ فدخل بين تلك القصور الشاهقة وهو ماخوذ من حسن ابنيتها وارتفاع جدرانها واكثرها مصفح بالذهب والفضة ومشغل بالاشغال العجيبة ومنقوش النقش البديع بما ياخذ العقول وهو لا يرى احدًا يقرب منهُ او ينظر اليهِ ليسالهُ عن حالهِ وعن محل الجواد وجعل يدور من مكان الى مكان وهو بحيرة عظيمة لا يعرف كيف يفعل ولا في اي جهة يكون الجواد ويتكدر من عمل اسما بري واخيرًا ضاق عليهِ الحال وعيل صبرهُ وشعر بالجوع والانفراد فصاح من صميم فوادهِ والدموع تنسكب من عينيهِ . اه ياخضر الاخضر يا ابو العباس اجعل حدًا لهذا العذاب وهذا المشاق الذي الاقيهِ الم تنتهِ هذه الايام المقدرة بعد . وفي تلك الساعة ظهر عليهِ الخضر عليهِ السلام كالعادة وقال له ابشر يا حمزة فقد قرب زمن رجوعك الى بلادك وانقضت الايام وما قدر عليك من لدنهِ تعالى ان تبقى مشتتًا ثلاث سنوات فخر حمزة بين يديهِ فامرهُ ان يقف وان لا يسجد لغير الله تعالى وقال له ادخل الى هذا القصر فتجد بابًا مقفلاً فادفعهُ بيدك فينفتح وترى جوادك هناك وأتِ بهِ فاني الك بالانتظار . ففعل ما امرهُ بهِ وذهب الى داخل القصر وفتح الباب المقفل واذا بهِ يرى الجواد فرمى نفسهُ عليهِ وهو طائر الفواد وجعل يقبلهُ والجواد يمرغ راسهُ عليهِ وبعد ذلك قادهُ وجاء بهِ امام الخضر فمد يدهُ ولمس ظهرهُ فذهبت الريشة عنهُ وكان قد سمن وكبر حتى صار يقدر الرجل ان ينام على ظهره بالعرض ومن ثم قال الخضر عليهِ السلام ادخل يا حمزة هذا القصر

واشار الى قصر اخر بالقرب من ذاك فتجد فيهِ عدة لهذا الجواد كان يركب عليها السيد سليمان مرصعة بالجواهر والماس لا تثمن بثمن ولا توجد عند احد ملوك الارض فاتِ بها واسرج الجواد فدخل فرحانًا وجاء بما امره بهِ الخضر وسرج المهر والجمهُ بلجام سليمان بن داود وكان كلا السرج واللجام مرصعين بسائر انواع الحجارة الكريمة مع اختلاف الوانها حتى يخيل للرائي انهُ كالشمس يضيءُ بانوار متنوعة . وبعد ذلك التفت الخضر ونادى اسما بري ان تحضر فحضرت بين يديهِ فقال لها اذهبي وأتِ زوجك بثوب السيد سليمان الملكي الذي كان يلبسهُ اثناء المواسم والاعياد وهو الثوب الكنوزي المعد لهُ منذ زمان قديم فغابت نحوًا من خمس دقائق ثم عادت والثوب معها وهو برهج كانهُ الشمس في رابعة النهار ياخذ بالعقول والابصار . فامر الامير حمزة ان يلبسهُ فلبسهُ وهو مندهش منهُ وفرحان بهِ . وظن بنفسهِ كانهُ ملك اربع اقطار الدنيا واخيرًا قال الخضر عليهِ السلام لاسما بري كفاك ما فعلت معهُ فارفعيهِ الان واذهبي بهِ وبالجواد الى حد جبل السد بالقرب من بلاد الانس وهو يذهب من هناك راكبًا جواده فيلتقي بقومهِ ولاعدت تعارضين امرهُ وما انتهى الخضر من كلامهِ حتى اختفى عن العيان وانتشرت رائحة البخور من بعدهِ . وفي الحال تقدمت اسما بري وقبلت يدي الامير حمزة وقالت لهُ اني تحت امرك الان وفي قبضة يدك واسالك المعذرة والعفو عما سبق مني فقال اني عفوت عنك ولولم تاتِ بالجواد الى هذه الكنوز لما حصلت على هذه العدة وهذا الثوب . فارفعيني الان وسيري بي الى المكان الذي امرك الخضر عليهِ السلام فامرت كندك المارد ان يحملهُ ويضعهُ عند جبال السد ففعل ورفعهُ هو والجواد وسار بهِ الى ذاك السد الفاصل بين بلاد الانس والجان فودعتهُ وودعها ودفعت لهُ زادًا كافيًا لعدة ايام ورجعت الى بلادها واقام الامير امام السد كل ذاك النهار الى المساء وفي المساء نام وهو متعجب كيف يقدر ان يخترق ذاك السد ويمر منهُ وصرف ليلهُ مهمومًا وفي الصباح نهض فوجد الخضر عليهِ السلام واقفًا هناك فقال لهُ تقدم يا حمزة وارفع السد بيدك فاعينك لتمر من تحتهِ ولا تخشَ باسًا فان الله معك . فتقدم من السد وهو فرحان الفرح العظيم ووضع يدهُ عليهِ وطلب معونة الله سبحانهُ وتعالى ونادى الخضر الاخضر فارتفع السد في الحال الى فوق راسهِ وهو رافعهُ بيدهِ فمر الجواد من تحتهِ وعليهِ حمزة حتى صار في الجهة الثانية وتخلص من تحتهِ فترك السد فوقع في مكانهِ فنظر اليهِ حمزة متعجبًا كيف قدر ان يرفع مثل هذا الجبل العظيم وشكر الله الذي ساعدهُ على المرور من تحتهِ وفيما هو كذلك سمع الجواد يشرب من الارض وكان ظمآنًا فنظر فلم يرَ ماء فتعجب غاية العجب وفيما هو كذلك واذا بصوت الوحي يناديهِ وقائل يقول لهُ ان جوادك يعيش كثيرًا يا حمزة حيث شرب من ماء الحياة واما انت فلا نصيب لك بهِ فادعهِ يقظان منذ الان . فسماهُ يقظان وتكدر كيف ان جوادهُ سبقهُ الى شرب تلك الماء قبل ان هربت ينابيعهُ

ومن ثم سار وخرج من تلك الارض وبقي سائرًا حتى جاء ارضًا مخصبة فنزل عن جواده واكل وشرب من مائها وكان معهُ زادًا يكفيهِ لعدة ايام فركب وسار مدة ثم عاد في المساء فنزل واكل ونام وبقي على مثل هذه الحالة مدة عشرة ايام وقلبهُ مملوءٌ بالفرح حيث كان يرى من ابناء جنسهِ الانس في طريقهِ وتامل قرب الوصول الى قومهِ والاجتماع بهم وفي اليوم الحادي عشر اشرف على مدينة كبيرة جدًا ذات اسوار وحصون وبساتين فعرج نحوها ليقيم فيها اياما علهُ يعرف شيئًا عن العرب وهل هم قريبون من تلك الجهة وعندما وصل الى المدينة وجد موكبًا عظيمًا خارجًا منها وفي وسطهِ رجل جليل راكب على جواد مسروج بالسرج الذهبي وحواليهِ الخدم والعبيد والى جانبهِ غلام وكانت تلك المدينة مدينة الملك النجاشي ملك الحبشة وذاك الرجل هو نفس الملك ومعهُ ولدهُ ابراهيم ومن عادتهِ ان يخرج في كل صباح الى التنزه ومن ثم يعود مع ولدهِ الى المدينة فصادف في ذاك اليوم خروجهُ عند اتيان الامير حمزة البهلوان ووصولهِ الى قرب الابواب

قال ولما راى النجاشي الامير وشاهد ما عليهِ من الماس والجواهر ونظر الى ذاك الجواد العجيب وراى سرجهُ المرصع باليواقيت والجواهر تعجب وطار عقلهُ وطمع باخذ هذا الجواد تعشقًا عظيمًا وعاد لا يقدر ان يرفع نظرهُ منهُ وارسل احد خدمهِ اليهِ وقال لهُ اعطِ مهما شئت بشرط ان يسمح بالجواد واذا اصرَّ على الامتناع فتهددهُ اني اخذهُ منهُ جبرًا فتقدم الرجل من الامير وسلم عليهِ وقال لهُ ان سيدي الملك النجاشي صاحب هذه البلاد وسلطان سلاطين الحبشة واسع البلاد وغزير الاجناد وقد ارسلني لاعدك انهُ يعطيك مائة سيف ومائة ناقة ومائة صيوان وعشرين الف ذهب اذا قدمت لهُ هذا الجواد ويكرمك الاكرام الزائد والا اخذهُ منك بالرغم عنك . فاغتاظ الامير حمزة عند سماعهِ هذا الكلام واحمرت عيناهُ في ام راسهِ وقال للرجل ارجع الى مولاك وقل لهُ ان هذا الجواد اخذتهُ بيوم يثير بهِ عثار الخيل الى السماء ولا اسلمهُ الا بيوم تتدفق بهِ الادمية وتجرى بحورها فيسبح بها وغير ذلك لا مطمع لاحد بجوادي . فعاد الرجل واخبر سيدهُ وكان النجاشي فارسًا عظيمًا وبطلاً جسيمًا فقال مرحبًا بهِ واني ساخذهُ منهُ حسب ما يقول . ثم استل سيفهُ وهجم على حمزة وهو يقول لهُ خلِّ عن هذا الجواد وسلمني اياهُ فاعفو عنك واعطيك مهما تريد والاَّ فتذهب حياتك بسببهِ . فضحك الامير عند سماعهِ هذا الكلام وتعجب منهُ كل العجب ولم يبدِ كلمة بل استل من وسطهِ سيفهُ المعهود واخذ الطارقة بيسارهِ وتلقاهُ وكان ولدهُ ابراهيم لما راى عمل ابيهِ خاف عليهِ فهجم هو ايضًا مع سائر الموكب على الامير ودار بين الفريقين دولاب الحرب والقتال والطعن والضراب وكل واحد يصيح من ناحية وهجم على فارس العرب وهو يهدر كما تهدر الجمال ويزأر كما تزأر اسود الدحال ويطعن في الصدور

فيمدد الرجال على بساط الرمال وكان قد اشتاق الى الحرب وملاقات الابطال . ففعل فعال المردة في ذاك اليوم الكثير الاهوال وهو كلما انقض على واحد قطعه قطعتين واما قبض عليه ورماهُ الى الارض فتنكسر اعضاءهُ ولا يقدر على القيام حتى التقى بابراهيم بن ملك الحبشة فصاح به وخبله ونقل السيف من يدهِ اليمين الى يده اليسار ومد يدهُ وقبضهُ من صدره باسرع من لمح البصر ورفعهُ عن ظهر الجواد ورماهُ الى الارض واراد ان يدوسهُ بجوادهِ واذا بالملك النجاسي قد صاح الامان يا حمزة العربان فقد ارتكبنا خطأً وفعلنا غلطاً فاترك قتالنا واغفر ذنبنا واعطنا الزمام فتعجب الامير عند سماعهِ هذا الكلام ورجع الى الوراء وقال للملك النجاشي من اين عرفتني ولم اخبرك عن اسمي ولا قلت لك اني حمزة فقال اعلم يا سيد فرسان هذا الزمان وفخر ملوكها وساداتها انهُ موجود بكتب علمائنا القدماء ان فارس برية الحجاز سيمر من هذه البلاد وهو يكون موفق الاعمال فيذل الفرس ويرفع شان العرب ومن كان ملكاً على بلادهِ سيسير في ركابهِ ويخدمهُ ويقاتل بين يديهِ الى مثل ذلك من الشرح الطويل المستوفي فكنت اتمنى ان اكون انا ذاك الذي اصادفك حتى لاقيت ما تمنيت واني اعدك ان اكون في خدمتك و من اتباعك انا وجيوشي الغزيرة الجرارة فنقاتل كل عدو لك وندفع عنك كل من يقصد ضرك حيث موجود في كتبنا انك ستهدينا الى الدين الحقيقي . فقال الامير واي اله تعبدون وعلى اي دين انتم . قال عندنا آلهة صنمية نقدم لها الضحايا ونعبدها وهي التي اخذناها من آبائنا واجدادنا وفوق كل ذلك فاننا نقدم عبادتنا وسجودنا على الدوام الى زحل الاله الاكبر . فقال لهُ ان هذه العبادة فاسدة وانكم على غير الحق ومن الواجب ان تعبدوا العزيز الجبار خالق الليل والنهار وواجد الوجود فهو الكلمة والحق ونور من ذاته وفي ذاته القدرة واحد يرى ولا يرى وقد تنزه على كل شيء فهو الذي بكلمة واحدة اوجد زحل وكل ما في السموات والارض . واخذ حمزة في ان يزيدهُ عن الله سبحانهُ وتعالى وعن صفاتهِ حتى استنار عقلهُ وراى الحق وفتح الله لهُ الصواب فقال لحمزة اني اشكرك على مثل هذه العبادة وقد جلي الامر وصحت لي الحقيقة وقد امنت بالله تعالى وصرت منذ الان وصاعداً على دينهِ فشرف المدينة لنبطل منها كل عبادة غير عبادة الله وتاكل ضيافتنا وترتاح عندنا مدة ايام

فاجاب الامير حمزة طلبهُ وسار واياهُ وقومهُ الى المدينة وكلهم فرحون بالامير حمزة متعجبون من قوة باسهِ وشدة بسالتهِ وقد احبهُ الجميع وقبلوا دينهُ وعند دخولهم المدينة جاءوا قصر الملك فاولم الولائم ودعا بجميع كبار بلادهِ وفهم بالامير حمزة وانهُ هذا هو الرجل المنتظر الذي قيل عنهُ في كتبنا وقد وجدتهُ قادماً فاردت درع جوادهُ فلاقيت منهُ الاهوال فثبت عندي انهُ هو وقد علمني العبادة الحقيقية فمن اجاب كان لهُ الخير والصلاح ومن امتنع كان جزاؤهُ الاعدام فسجد

بالجميع لله وتعلموا عبادته وكسروا الاصنام وصارت بلاد الحبشة منذ ذلك الوقت تعبد العزيز الجبار وصرف الامير حمزة مدة ثلاثة ايام عند النجاشي وهو على اكرام واعتبار تذبح له الذبائح وتاتي لزيارته الامراء . وفي اليوم الرابع قال الامير للنجاشي اني اريد السفر الى قومي واحب ان اسالك هل من خبر عندك بامر العرب والعجم . قال اعرف ان كسرى هو قد ثائر العرب بجيوش جرارة كالجراد الزاحف ومنذ مدة قد بعث اليّ برسله يطلب ذهابي اليه بجيوشي فمنعت طلبة ورددت رسله بالخيبة . قال اذن اسالك ان تجمع بعساكرك وتتبعني الى طنجة الغرب حيث العرب هناك واني ارغب الذهاب اليهم حالاً قبل ان يصابوا بمصيبة وعندي انهم يقدرون على حرب كسرى عدة سنوات ثم انه ودعه على امل ان يتبعه بعد مدة قليلة وسار على جواده اليقظان وهو مومل بالخير والنجاح ومسرور بمصادقة ملك الحبشة حيث ان جنوده كثيرة ولا زال في مسيره يجد السير عدة ايام حتى وصل الى برية واسعة ملتفة الاشجار كثيرة الانهار والعيون كانها الجنة في خمائلها فاكل ما اكل منها وفي المساء لجأ الى مدينة بالقرب من تلك البرية كان قد اكتشفها في النهار وجاء الى احد الفنادق فبات فيه وسال صاحب الفندق عن تلك المدينة فقال له هي لفارس الفرسان وحامي حومة الميدان من يهتز عند ذكر اسمه طوائف الانس والجان عمر الاندلسي المشهور بين اهل هذا الزمان . فسكت الامير حمزة عند ذلك ولم يرد ان يظهر نفسه وفي نيته ان يقيم اليوم التالي في المدينة ليتفرج عليها ومن بعده يسافر في طريقه . وعند الصباح خرج من الفندق وطاف في الاسواق وهو لا يفارق الجواد خوفاً عليه وجعل يتفرج على الابنية والعمران وعلى منتزهات تلك المدينة والناس تتعجب منه ومن هيئته وشكله ومن لباسه المرصع باليواقيت وعن سرج جواده المذهب المحجر بالحجارة الكريمة وصرف باقي يومه على مثل ذلك وفي المساء رجع الى الفندق على نية ان يسافر في الصباح وكان بعض جماعة عمر الاندلسي حاكم المدينة قد راوا الامير حمزة وراوا جواده فوصفوه له فتاقت نفسه الى الجواد واستخبر عن مكان وجوده فعرف وارسل في صباح اليوم التالي رسله لتشتريه منه فجاءوا الفندق بينما كان الامير مزمعاً على الركوب والسفر وقالوا له ان سيدنا بعثنا لنشتري لهُ منك هذا الجواد وندفع لك مهما شئت ثمنه فاطلب الذي تريده ونحن ناتيك به حالاً فتسلمنا هذا الجواد . فقال لهم ارجعوا الى سيدكم وقولوا له ان صاحب هذا الجواد لا يسلمه الا بيوم يسود به نور شمسه من غبار الحوافر ويظلم نهاره . فليقصر عنه والا لاقى شر عمله . فعادوا الى عمر يخبرونه وركب الامير حمزة وخرج من المدينة وفي كل نيته ان الفرسان ستتبعه بوقت قريب فهيا نفسه وجعل يمشي الهوينا الى ان نظر عمر قد خرج من المدينة ومعه نحو اربعين فارساً من فرسان الاندلس العظام لان رسله كانوا اخبروه بخبر الامير حمزة وجوابه فتكدر واخذ هولاء الفرسان واستقصى خبر الامير فوجد انه قد بارح

المدينة فثائر ليغتصب الجواد منهُ و يذيقهُ كاس الممات غير ان الامير حمزة دار بجواده وقوم سنانهُ واطلق عنانهُ عند سماعهِ صياح الاندلسيين و بالحال من ساعة التقى الاثنان في حومة الميدان ودار بينهما الحرب والطعان وهما كانهما اسدان او ذئبان يتناطحان . تارة يفترقان وتارة يلتحمان . كانهما جبلان راسيان . وكان الامير عمر الاندلسي من الفرسان المشهورة فاقام بين يدي الامير حمزة من الصباح الى قرب العصر تعجب الامير من شدة باسهِ وسرعة قتالهِ فثبت عندهُ انهُ فارس شديد فزاد معهُ بالقتال واظهر لهُ كل ما تعلمهُ من فنون الحرب و في الاخير ضربه عمر الاندلسي حمزة ضربة ظنَّ انها القاضية فضيعها بمعرفتهِ وخبرتهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ وخاف ان يمضي النهار ولا ينال من خصمهِ مرامًا فيلتزم ان يبقى الى الغد وهو يرغب في السرعة والانجاز ولذلك صاح بصوت ارتجت منهُ السهول والوديان وهجم على عمر الاندلسي وقد ارعبهُ وضيع عقلهُ ومد يدهُ الى جلباب درعهِ واقتلعهُ من بحر سرجهِ واراد ان يضرب بهِ الارض فصاح الزمام الزمام يا حمزة الكرام فاني دخيل عليك و وقيع امامك ولو عرفتك منذ الاول لما اشهرت في وجهك الحسام . فتعجب الامير حمزة كيف ان الجميع يعرفونهُ وهو لم يظهر نفسهُ فانزل عمر واعادهُ الى جوادهِ وقال لهُ من اين عرفتني وانا لم اظهر نفسي قال ان جماعتي المغاربة قد اخبروني ان في هذه الايام يمر على مدينتنا الرجل المسعود فارس فرسان هذا الزمان وهو الامير حمزة الذي سيذل العجم ويرفع مقام العرب وسالوني ان انرقبهُ لاخدمهُ واكون في ركابهِ حيث ان الملك كسرى انوشروان منذ مدة بعث برسلهِ اليَّ وطلب مني ان اجمع العساكر واوافيهِ الى طنجة فسالت حكماء بلادي المغاربة فمنعوني وقالوا لي ان كنت مع كسرى تفرقت عساكرك ولاقيت الاهوال فاصبر الى حين مرور الامير حمزة و[illegible] مع العرب فتنال خيرًا وتكون على الدوام منصورًا وحيث وجدت من قتالك ما لم اجدهُ من غيرك من فرسان العالم قط علمت يقينًا انك الرجل الذي اخبرت عنهُ وها انا الان عتيق سيفك [illegible] امرك. ثم انهُ نادى فرسانهُ ان تقدم من الامير وتطلب اليهِ المسامحة والغفران ففعلوا فاصطلح معهم الامير وشكرهم وقال لعمر اذا اجمع رجالك لحرب العجم قال اريد منك ان تصبر عليَّ [illegible] ايام لبينما اكاتب جماعتي وانظر جيشي واحضر لهُ المؤن والذخائر فابقَ عندنا الى حين انتهي من ذلك . قال لا يمكن ان اصبر دقيقة واحدة فافعل ما انت فاعل واتبعني ولا بد للملك النجاشي ان يمرَّ من هنا فتسيران معًا وقد وقع لي معهُ ما وقع لي معك

ثم ان الامير حمزة ودع عمر الاندلسي وقومهُ بعد ان اوصاهم ان يخلصوا ضمائرهم لجهة العرب ويذلوا كسرى الى اخر الايام وسار من هناك في طريق طنجة وهو يتفرج على بلاد الغرب ومدنها و بلادها و يسال ابن صار كسرى وفي اي جهة هو فبعض الناس كان يخبرهُ انهُ آتٍ على

الطريق ولم يصل بعد الى العرب وبعضهم كان يخبره بانه لا يزال يجمع الجيوش لان مراده ان يزحف على العرب مرة واحدة فيبيدهم ويبددهم فتاكد ان عدوه لا يزال بعيدًا عن قومه ولذلك اطمئن باله وارتاح ضميره وصار يؤمل ان يصل الى قومه عن قريب . وبقي يتقدم الى ناحية العرب حتى كاد يقرب منهم

قال وكانت جماعة العرب بعد ان فارقوا قلعة فطمين ساروا من هناك يقصدون البلاد التي قيل لهم ان الامير حمزة ياتي منها ولم يصادفوا قط مانعًا في طريقهم وهم يظنون ان حمزة سيكون بعد ايام قليلة عندهم وداموا في مسيرهم نحو ثلاثة اشهر ينزلون في المدن والبلدان فيقيمون بها عدة ايام ثم يعودون الى المسير وقد ملأت اخبارهم تلك الارض وطاعهم الكبير والصغير وفي الاخير وصلوا الى طنجة وكشفوا البحر المالح فضربوا خيامهم في تلك الجهات وخرج حاكم المدينة وسلم عليهم وعرض عليهم طاعته وبلاده لتكون تحت امرهم وقال ان كسرى مكروه منا ولذلك نريد ان نكون في يد العرب حيث من المنتظر انهم هم الذين يخلصون من ذل الاعجام كل مظلوم فشكروه على عمله ومدحوه واثنوا عليه ولا زالوا بانتظار الامير وهم لا يعلمون لماذا تاخر عنهم بعد ان كان وعدهم انه بعد خمسة عشر يومًا يكون عندهم وعدا عن ذلك فانهم كانوا ينتظرون وصول اخبار كسرى اليهم فكانوا يسمعون عنه اخبارًا مختلفة الا انه كان موكدًا لديهم انه لا بد ان يتاثرهم ويصل اليهم عاجلاً كان او اجلاً وصرفوا الاوقات والشهور على مثل هذا الامر وهم على غير الاستواء مشغلون الفكر والضمير ومرتابون في وصول الامير حتى مضت مدة طويلة فاجتمعوا الى بعضهم ودعوا عمرًا وقالوا له لقد مضى اكثر من سنة ونصف على يوم مفارقتك اميرنا ولم نسمع عنه خبرًا ولا وصل الينا ولا بد ان يكون قد اصيب بمصيبة والا ما كان يتقاعد ويصبر الى هذه الايام ويترك مساعدتنا . قال اني اعرف انه لا بد ان يصل الينا على ما اخبرنا الوزير بزرجمهر الا اني اظن انه بعذاب مع اسما بري لانها تريد بقاءه عندها ومراوغته واذا اراد المجيء تخلى عنه كما فعل بالاول فانها عذبته عذاب الهون في طريقه لا تحمله الينا ولا تدع احدًا يحمله وهذا هو الامر الذي يعيقه ومع كل ذلك فان ضميري يخبرني انه في هذه الايام يكون عندنا واني ساذهب في كل صباح الى الفلاة وانظر في المرآة التي اخذتها من رجال الصومعة فان كان في الطريق على وجه الارض او تحت الارض كشفته . فقال له اننا متكلون عليك نطلب منك النظر في امره لنعرف خبرًا عنه فتركهم وسار الى الخارج وصعد على اكمة ودار وجه المرآة الى وجه الارض ونظر فيها فتبين له كلما على وجه الارض وما تحتها فجعل ينظر في طرقات الغرب ومعابرها فراى حمزة راكبًا على جواده الجديد وهو بذاك السرج والثوب المزركشين بالذهب وقد اسمرّ وجهه من حرارة الشمس وطال شعره في السفر فخفي حاله ولم يعرفه ولما لم يرَ

احداً تعجب ورجع مأيوساً وقال في نفسهِ لا بد ان يكون باقٍ في جبال قاف او هو طائر على اكتاف الجان في السماء وبقي على حراسة مهردكار والقبيلة تلك الليلة . وفي اليوم الثاني خرج حسب العادة فرأى الرجل اللابس الملابس الذهبية ينهب الارض ركضاً على ذلك الجواد فكان ينظر اليهِ بتعجب وهو لا يعرفهُ ويتعجب من امره ورجع اخيراً كاليوم الاول. وفي اليوم الثالث عاد الى مكانهِ فنظر فرأى حمزة على حالهِ يتقدم في ذلك الطريق وهو يقرب منهم فتكدر منهُ وقال لا ارى الاَّ هذا الرجل على حالة السفر وهو يتقدم الى جهة البلد الذي نحن فيهِ فماذا كان يضر لو كان هو اخي الامير حمزة وتمنى ان يكون واصلاً اليهِ ليرشقهُ بنبلة في صدره وينزع عنهُ ذلك الثوب ويسلب منهُ الجواد وعاد ذلك اليوم مكدراً اكثر من الاولين فسالهُ الفرسان ماذا رايت يا امير عمر فقال لهم اني ما رايت الامير قط ولا شاهدتهُ على وجه واني متعجب من ذلك ومع كل هذا فلا بد من وصولهِ بعد ايام لاني اظنهُ في الجوّ على اكتاف الجان يحملونهُ ليوصلوهُ الينا

واما مهردكار فانها كانت في كل هذه المدة تحت الامل والريب تعد نفسها في الاول بان ترى حبيبها ويراها وتمحي سواد تلك الايام الماضية وتغسل اقذار الغربة والفراق بمشاهدتهِ وقيامهِ بالقرب منها وعند اعينها غير ان هذا الامل انقضى وذهب بعد مضي سنة وقطعت الرجاء وجعلت ايامها ايام يأس وكدر فلم تعد تقبل ان تقابل احداً او تجتمع باحد وزاد عليها الغيظ والغضب من اسماري وخافت ان يكون قضي عليهِ عندها او انها ارغمتهُ الى البقاء في جبال قاف فنسي قومهُ ونسيها وترك بالرغم عنهُ ذلك الحب الذي كان موسساً على الصفاء والطهارة والراحة وهي في كل يوم تدعو بعمر اليها وتسالهُ عن اخباره فيعدها المواعيد الفارغة من انهُ لا بد ان يجيء ولو طال المطال وهي لا تقنع بتلك المواعيد حتى اصبح نهارها ليلاً وتمسها ظلاماً وضعفت وانتحل جسمها ورق جداً واخذت وردة جمالها تذبل شيئاً فشيئاً وصارت تشعر من نفسها بالضعف والانحطاط وايقنت انها في النهاية ستموت اذا كان يطول غياب حبيبها وبقيت الى ان كان اليوم الاخير الذي ذهب بهِ عمر الى البرية ورجع مكدراً فدعتهُ اليها وسالتهُ فقال لها ما رايتهُ ولا سمعت عنهُ خبراً وليس هو على وجه الارض مطلقاً فشعرت كأن خنجراً وقع باحشائها بمزقها وكدرتها جداً الحالة التي رات عمراً بها وحسبت انهُ ما كان مأيوساً الاَّ وفي صدره خبر مكدر والاَّ ما كان على هذه الحالة مع انهُ بطول زمانهِ ما كان يتكدر ولا قطع رجاءهُ من اتيان اخيهِ وبعد ان اعرض عنها وسار الى الخارج جاءت الى سريرها ورمت بنفسها عليهِ خائرة القوى ضعيفة الحيل فاقدة الحواس وتيقنت ان اواخر حياتها سيكون مكدراً مؤلماً وانهُ اذا ما جاء الامير بعد ايام قليلة ستكون عرضة للفناء فتموت ويدفنها العرب في تلك الارض

وتكون قد وفت حق حبها وما قبلت ان تكون لغيره ولا نست دقيقة واحدة ما عليها من فروض الوفاء لما اعطته قلبها ولم تنسب قط طول غيابه الى فتور في حبه او برود في صفاته او نسيان في مودته بل كان كل ظنها ان اسما بري التي احبته وزاحمتها فيه هي من الجان وهي قادرة على حجر الامير عندها طول عمره وبدونها لا يقدر ان يقطع بلاد الجان ويأتي من تلك النواحي اليها وهذا الذي كان يزيد اشواقها ويمزج الامها بأكدارها ويجعلها مقطوعة الامل وكانت على سريرها الى اخر الليل وكان كلما اسود الليل كلما زاد عليها الامر واشتدت الحال وفي الاخير جعلت تندب حظها وتبكي نصيبها وتردد ذكر مصائبها وهي كمودعة لهذه الدنيا تنظر الى كل ما حولها نظر المفارق الحزين المأيوس وقد انشدت بغزارة دمعها

فوالله لا يشفي نزيف هواكمُ ... سوى خمر انس كان منكم بها سكري
وان يخلُ من تكرار ذكر حديثكم ... فلم يخل يوماً من مديحكم شعري
اطالب نفسي بالتصبر عنكم ... واول ما افقدت بعدكم صبري
فان كان عصر الانس منكم قد انقضى ... فوالعصر اني بعد ذلك في خسرِ
فكيف بقي انسان عيني وقد مضى ... على ذلك الانسان حين من الدهرِ
سقى الروضة السعد من ارض بابل ... سحاب ضحوك البرق منتحب القطرِ
ورب نسيم مرَّ بي من دياركم ... ففاح لنا من طيه طيب النشرِ
واذكرني عهداً وما كنت ناسياً ... ولكنه تجديد ذكر على ذكرِ
تجاذبني الاشواق نحو دياركم ... واحذر من كيد العدو الذي يدري
مخافة مذّاق اللسان يسرُّ لي ... ضروب الردى بين البشاشة والبشرِ
وينثر لي حب الوفاء تملقاً ... وينصب لي من تحته شرك الغدرِ
منازل ما لقيت فيها ندامة ... سوى انني قضيت في غيرها عمري
فيا ايها المولى الذي وصف فضله ... يجلُّ عن التعداد والحد والحصرِ
ابثك بالاشعار فرط تشوقي ... ولا انعاطى حصر وصفك بالشعرِ

وما وصلت مهردكار الى اخر هذا البيت حتى نهضت واقفة كأن قوة طبيعية حركتها ودفعتها الى الاطمئنان فوقفت مبهوتة تنظر في نفسها وقد وجدت راحة في داخلها على غير قصد منها فتكدرت من نفسها كيف ان ضميرها خالفها وعاندها فطلبت ان تعود الى حالتها الاولى فتبكي وتندب فلم تطاوعها عيونها ولا عادت نزلت دموعها فارتاعت من ذلك وجعلت تمشي في صيوانها والفجر قد بعث بطلائع جيوشه الى مفاجئة الارض دفعة واحدة . فقالت متعجبة ما لي على غير الواجب في هذا الليل كان سلطان الهم والغم يقترب مني ويدنو الي ويفارقني ويهدأ

عني كل راحة وامل والان ارى ذاك السلطان يحب ان يبعد عني خوفًا من انتقم منهُ لماذا تبارحني الاكدار والويلات وانا اطلبها ولا اريد ان اكون بعد من احبهُ قلبي في غير طريق الياس والحزن صرفت ميلي وحالي اسود من سواده راحتي مغطى بكثافة النوح والتعداد فلما عند اتيان الصباح اشرق بدر الامل ولاحت شمس الارتياح وانعكست كل تلك الاحوال نعم اني كنت في هذه الليلة خائرة القوى ضعيفة الحيل اندب حظي واطلب المعونة للتحرك وانا فاقدتها وقد شعرت بان هذه الحياة عدوة لي وايقنت ان الموت سيكون قريبًا مني والان ارى تلك الغيوم الكثيفة قد انشقت وانجلت انوار بدورها من خلفها رويدًا رويدًا وقوتي قد عادت بالرغم عن احزاني وعن طلبي مفارقة هذه الدنيا لا بد ان الله سبحانهُ وتعالى قد اراد اظهار امر جديد ما هو يا ترى هل يريد تقويتي وتسليتي عن حبيبي فيساعدني ويريد ان اطرد احزاني كلاً كلاً لا تدعني يا الهي اعيش بعدهُ دقيقة لا اطيق المعيشة ستكون حياتي معذبة مهما اردت ان اتسلى وتسليني فالانسانية بالاتباع بهِ والراحة بالقيام عندهُ ابن كان وفي اية حالة وجد مائتًا او غريبًا او معذبًا . وصرفت مهردكار نحو ثلاث ساعات من اليوم المذكور وفيما هي على ذلك واذا طرق ذهنها اصوات التهليل من قومها فاصغت لتسمع واذا بها سمعت العبيد يصفقون ويقولون جاء الامير جاء الامير . فوقعت الى الارض من الفرح واسندت راسها الى السرير وغابت عن هداها

قال وكان في صباح ذلك اليوم نهض عمر العيار واخذ مرآتهُ وخرج من المعسكر ونظر فيها بعد ان وجهها الى جهة البر فرأى حمزة يدنو منهُ وهو آت على ظهر ذاك الجواد وقد اصبح بعيدًا عنهُ نحو ساعة فاطمأن باله وقال لا بد لي من ملاقاتهِ ونزع ما عليهِ فان لي اربعة ايام اراهُ يدنو الينا وقصدهُ المرور من ناحيتنا فاغلق المرآة ووضعها في جيبهِ واخذ قوسهُ وسهمهُ واطلق ساقيهِ الى جهة الامير حمزة وهو كالبرق الخاطف وقد حدثتهُ نفسهُ بالانتقام منهُ ولا يعلم انهُ اخوهُ وكان الامير يتقدم بسرعة البرق على ذلك الجواد وهو يخطف مسرعًا في جريهِ حتى كادا يصلان الى بعضهما واذ ذاك اراد عمر ان يضع سهمهُ بقوسهِ وبوترهُ واذا بحمزة قد ناداهُ وكان ادرك غايتهُ وقال لهُ لا تفعل يا وجه القرد فاذا كنت خلصت من الجان فكيف اقتل منك . فلما سمع صوتهُ عرفهُ فقفز في الهواء وصفق من الفرح وانطلق حتى قرب من اخيهِ فرمى نفسهُ عليهِ وهو يقبلهُ والامير يفعل كذلك وكلٌ منهما يبكي ثم ان عمرًا تركهُ وكرّ راجعًا حتى دخل المعسكر وجاء صيوان الملك النعمان والفرسان مجتمعون في ذاك المكان . فلما رأوهُ قالوا ما وراءك من الاخبار قال لهم اني موكد ان اخي حمزة مات وشرب كاس الافات . فقال لهُ اندهوق بن سعدون ان حالتك حالة مسرة وفرح فبشرنا بالخبر اليقين ولك مني خمسمائة دينار قال اجمع المال من

الجميع فاخبركم ان اخي حمزة قد جاء فقالوا واين هو الان قال متى قبضت المال اخبرتكم عنه فدفعوا له كل واحد خمسمائة دينار فقال لهم اتبعوني لتروهُ وهو على ذاك الجواد بهيئة الملك سليمان بن داود وكرَّ امامهم وكرت العرب من خلفهِ وقد عم الخبر الكبير والصغير والسيد والحقير فتحرك الجميع للملاقاة وهم لا يصدقون ان يروهُ بعد ذاك الغياب الطويل فمنهم من كان يركض ماشياً ومنهم من كان يركب برذوناً بسرج ومنهم بلا سرج ولا لجام واكثرهم كان يركض بلا حذاء حافي الاقدام مكشوف الراس ليسبق غيرهُ الى تقبيل ايديهِ والسلام عليهِ وكان صياح العرب اشبه بغوغاء الحرب عند اشتدادها حتى كان لا يعي الاخ على اخيهِ ولا الوالد على ولدهِ ولا الرفيق على رفيقهِ وبعد قليلة التقوا بالامير حمزة وهو كالكوكب الوضاح يضيءُ بانوار ما عليهِ من الماس والجواهر والحجارة الكريمة وحالما وصولهم اليهِ جعلوا يقبلون يديهِ وهو يسلم عليهم ولما راى الملك النعمان واندهوق بن سعدون والمستدي حامي السواحل واسطون الحكيم وباقي الاعيان تقدم منهم وسلم عليهم وسلموا عليهِ وفرحوا به وشكروا الله على رجوعهِ سالماً ووصولهِ اليهم قبل وصول الاعجام

وبعد ذلك عادوا جميعاً الى الخيام وهم من الفرح في ما لا مزيد عليهِ وشعروا براحة البال واطمئنان الخاطر وحسن المستقبل ولما وصلوا الى صيوان الملك النعمان دخلوا اليهِ وجلس كل واحد في مكانهِ وجعل الامير يسال عن عموم الفرسان والرجال وهو يشكر الله الذي ما فقد احد منهم ولا تبدد شملهم ولا تفرقوا قبل مجيئهِ حتى انهُ راهم مثل ما فارقهم واخيرًا سالهم عن العجم وعن كسرى فقال لهُ اندهوق بن سعدون اننا كل هذه المدة بانتظاره ولم يصلْ الينا ولا قدم علينا بل اننا على الدوام نسمع الاخبار من السياح والتجار ان العساكر ترد اليهِ وتجتمع عندهُ وهو يتعدد ويتهيأ ومرادهُ ان ياتي الينا بجيش عظيم جدًا لا يعرف اولهُ من اخرهِ وفي نيتهِ ان يبيدنا دفعة واحدة والحمد لله الذي جئت قبل مجيئهِ لاننا وان كنا نعرف ان بنا الكفاءة لحرب كسرى ورجالهِ مهما كان عددهم وكانت قوتهم غير اننا نعلم اننا نتعب ويطول علينا المطال لان العرب اذا ما سمعوا صوتك وراوا قتالك اشتدت اعصابهم وقاتلوا قتال الابطال وبالعكس الفرس اذا ما سمعوا صوتك في وسط المعمعة تضعف عزائمهم ولا يعود لهم رجاء وما ذلك الا من الله سبحانهُ وتعالى وفضلاً عن ذلك فان رجال العرب وانت بينهم يقاتلون كالاسود واذا بعدت عنهم يقاتلون قتال الياس . فقال لهم اني اثق بالله تعالى واتامل ان لا عدت من الان وصاعدًا افارق جيشي ولا بد من قضاء لامر بيننا وبين العجم في هذه المرة وقتل بختك اللعين الذي يحرك النار ويضرمها في كل آن وزمان

وما صدق الامير حمزة ان انتهى من السلام على العرب حتى نهض وسار الى صيوان مهردكار

ولا يمكنا ان نقدر على تفصيل ما وقع بينهما عند الملاقاة فان كلاً منهما كان لا يقدر ان يبسط بسمة ولا يمسك قبلة ولا يحبس دمعة ولا يعقل عقلة بل عند ملاقاتهما ارتميا على بعضهما يقبل الواحد الاخر بدون وعي وبدون فكر وقد دعتهما دواعي الحب والتلاقي الى وجوب شفا العليل وقتل ممن البعاد والنوى بالحب منهما وهما في اديد عيش ساعة ثم عرّ عليهما بعد الذ منهما وهما تارة ينتصبان ويتعانقان وتارة يجلسان وينظران الى بعضهما ولا يصدقان بهذ التلاقي وادمعهما ترسل من الاماقي على [illegible] استبشارًا وفرحًا والسنتهما معقودة عن الكلام حتى ان مهردكار كانت قد نسيت كل [illegible] ولا فكرت بان [illegible] تعانقه على طول غيابه [illegible] الملاقي [illegible] وبالاخير تكلم الامير فقال لها [illegible] وان [illegible] اري [illegible] ولا وجهك بعض تعبير واني اعرف [illegible] رشوقلت الي عبراني كنت [illegible] في الجيش ولا عدت افارقك الى [illegible] قبل مفارقتك قالت [illegible] الان ووجودك عندي وكفاك ان [illegible] كنت مائة فعشت وصالة ووجدت [illegible] اوقات هذا الاجتماع فلا تذكر لي شيئًا [illegible] رواحلك في هذا الوقت فمدح الامير منها [illegible] وقد تناول الطعام معها وشرب الخمار وصرف [illegible] في اخر الليل دخل الى صيوانه ونام [illegible] مرتاحًا كان [illegible] تلك النوب ونسي كل ما لاقى

وفي الصباح خرج الى الصيوان [illegible] وقال اريد منكم ايها السادات ان لا احد منكم [illegible] امري [illegible] الى كسرى [illegible] ولا [illegible] ان لا احد [illegible] الى ذلك وامروا سائر المعسكر [illegible] على الملك [illegible] عدة ايام باتي في الصباح الى الصيوان [illegible] ويرجع الى صيوان مهردكار [illegible] وما من احد من العرب يذكر في [illegible] حاضرًا وينتظر

بهِ وهو كانهُ غائب عنهم . وفي كل يوم يذهب الامير عمر العيار الى البر فيسال ممن راهُ عن كسرى وعن اخباره ويستعلم من كل رائح وراتٍ . حتى اخبر اخيرًا ان بعض المسافرين راى جيوش كسرى تتقدم الى تلك الجهات وهي بعدد رمل القفار وقد غطت السهول والوعور والجبال والاحراش فبلغ هذا الخبر حمزة فاخذ في تدبير امر الجيوش وتهيئتها وتقسيمها وهو يعرف ان تلك الحرب ستكون شديدة وقوية ويكون لهُ فيها ذكر يذكر ومضى على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن ذهب عمر لاكتشاف الاخبار وبعد عن معسكر العرب مقدار ست ساعات وفيما هو على ظهر اكمة من الآكام نظر الى البر فراى عن بعد الاعلام الكسروية تخفق وبينهم العلم الاكبر المخصوص بكسرى المعروف بيبكار الاشنهار وهو يلوح بالهواء والغبار يثير الى الجوّ ثم يتبدد باندفاع الاهوية فيمتد تارة فوق الجيوش فيغطيها فلا تعود ترى ثم ينجلي وتظهر من تحته تلك العساكر الفارسية وهي تتقدم شيئًا فشيئًا فوقف عمر نحو ساعة وهو ينظر الى تلك العساكر ليرى اخرها وجناحيها فلم يقدر لانها كانت منتشرة ممتدة في كل ناحٍ ولكثرة عددها لا يقدر ان يرى اشد الناس نظرًا الى اخرها او كان واقفًا في وسطها فعرف ان العرب ستلاقي شدائد واهوال من هذه الحرب لان الكثرة ان لم تغلب الشجاعة لا بد ان تضعفها وتتعبها وبعد ذلك كرّ راجعًا الى العرب ودخل على الامير حمزة وهو في الصيوان فاخبرهُ بكل ما نظر وراى . فقال لا يهمني كثرت العساكر او قلت ولا بد من تبديد شملهم وتفريقهم لكني اريد منكم كتم امري الى حين اظهر فان مرادي افاجئ كسرى في مرة وانزع بيكار الاشنهار من حاملهِ والقي في رجال العجم ومن معهم الرعب والخوف بغتةً وتم يظنون اني غائب ولا يظهر امري لاحد منهم الاَّ في وسط المعمعة ثم امر ان تنفض الفرسان كل واحد الى رجالهِ في ذاك اليوم ولن تجتمع في اليوم الثاني وهو يكون متنقب ففعلوا وسار كل واحد الى ناحية يفرق المؤن والذخائر ويتفقد اسلحة رجالهِ وخيولهم ومن كان منهم يحتاج الى شيء دفع اليهِ

وما جاء مساء ذلك اليوم حتى كان كسرى قد وصل الى مقابل العرب ورآهم وهم بذلك الجيش القليل ففرح واطمأن وكان في كل ذهنهِ ان حمزة غائب عن العرب ولذلك كان يرجو الفوز والانتصار واسترجاع بنتهِ مهردكار والاموال التي اخذتها العرب ونهب كل ما معهم ولذلك ضرب الخيام في تلك الناحية ومدها من الشرق الى الغرب وسرحت الخيول ونصب صيوان كسرى في الوسط وهو مرتفع على كل المعسكر وعليهِ الجواهر والماس يضئ بلمعان وكان يساوي مدينة المدائن بحسن اتقانهِ وزخرفتهِ وما تزين بهِ من الاطالس والحرائر وعواميد الذهب نفسها وترصيعها بكل حجر كريم وضرب امام الصيوان المذكور بيكار الاشنهار وعليهِ العلم الكبير وهو ايضًا عجبة من عجائب الزمان تضرب بهِ الامثال في حسن صنعتهِ وما حواهُ من الذهب

الخالص والنقش البديع وكان الوف من الحرس تحيط بالصيوان وبالعلم المذكور وكلهم من ابطال الفرس يحملون على الدوام السلاح مشهرًا بايديهم فلا يقدر الطير ان يتعدى على احدهم الاّ ان يكون باذن كسرى سيدهم ولا سيما في وقت الحرب خوفًا من ان يحتال عليهِ العدو او يصاب بما لم يكن في الحساب

قال وفي الصباح نهضت العرب ونظرت الى الرفارتاعت من كثرة العساكر ومن انتشارها ورات صيوان كسرى الكبير يضيء كانهُ عشرين شمسًا بوقت واحد لا يقدر الرائي ان يحدق بهِ او ينظر فيهِ دون ان يبهر نظرهُ وكذلك بكار الاشتهار واجتمع العرب في صيوان الملك النعمان واخذوا يتحدثون في امر كسرى فقال الامير حمزة قلت ولا بد من اتمام قولي فاني ساحرم كسرى من بيكار الاشتهار واقيمهُ بين العرب لانهُ يساوي خزائن العالم مع هذا الصيوان الذي يحق لكسرى ان يفتخر بهِ على كل ملوك العالم . فقال اندهوق اني ساسير خلفك ياسيدي على فيلي واضمن لك انك ستاخذ هذا العلم ولو كان دونهُ الوف وكرات من حجاب كسرى انوشروان وعندي انهُ ايضًا بعد تفريق جيوش كسرى سنجتهد الى اخذ الصيوان لنجعلهُ لك قال لو كان لي مثل هذا الصيوان أكون اعظم من كسرى شانًا وفيما هو على مثل ذلك واذ بهِ سمع صوت قرقعة في الخارج فنظر واذا بكندك المارد قد سقط من الجوّ ووقف عند باب الصيوان وسلم على الامير حمزة وباقي الفرسان الذين حواليهِ وقال لهُ اعلم يا سيدي ان سيدتي اسما بري حيث عرفت انك ستقاتل اكبر ملوك الانس وهو كسرى انوشروان وانك بعد ان حصلت على ثياب السيد سليمان التي لا نظير لها في عالمي الانس والجان وكذلك اليقظان وعدتهُ بعثتني اليك بصيوان ابيها اليون شاه الذي اذا رايتهُ انبهرت واندهشت منهُ فهو اعظم من صيوان كسرى بالوف مرات وعليهِ في كل عامود من عواميده الذهب جوهرة بقدر البطيخة لا مثل لها كان يجلس فيهِ في ايام المواسم والاعياد فتاتي ملوك الجان لتهنئتهِ وكان يفتخر بهِ على كل ملوك الجان ولهُ سبعة ابواب من الحرير الاحمر المقصب بالزخارف الذهبية وفيهِ ٩٠ كرسي من الكراسي الذهبية التي لا يوجد عند بني الانس مثلها ففرح حمزة بذاك الصيوان وخرج في الحال من صيوان الملك النعمان وامر بنصب صيوان اليون شاه في وسط المعسكر فنصب في الحال وهو كانهُ الافق يتلألأ بلمعان جواهره كتلألاء الكواكب فيهِ وقد اشرقت منهُ تلك النواحي وزاد بهاء واشراقًا على اشراق الشمس . ودخل اليهِ الامير حمزة وهو مسرور منهُ وجلس على كرسي اليون شاه ابي اسما بري ومن حولهِ الفرسان والابطال واذ ذاك مدح من اسما بري وشكرها على عملها هذا وقال لكندك اهدها مني السلام واخبرها ان عملها هذا سرني جدًّا ولا انساهُ لها وقد عرفت صدق محبتها ومودتها وحسن اهتمامها بي

٥ قال واما كسرى فانهُ في صباح ذاك اليوم نهض الى ديوانهِ واجتمع اليهِ وزراؤهُ واعيانهُ وفي اولهم بختك الوزير الفارسي وحينئذٍ قال انهُ معروف وثابت عندنا ان حمزة غائب عن العرب وانهم الان كالغنم دون راعٍ ولا قائد ولذلك لا بد ان يكونوا باضطراب وقلق يرغبون في التسليم والطاعة ولا سيما بعد ان لحقناهم الى هذه البلاد لانهم هربوا من بلادهم ولم يخطر لهم قط اننا نتاثرهم ويعلمون اذا انكسروا لا يقدرون بعد ان يهربوا الى مكان اخر او بلاد تقيهم مما واريد منك يا بختك ان تكتب كتابًا الى ملك العرب تدعوهُ الى الطاعة وتهددهُ بكثرة العساكر والموت والصلب اذا امتنع عن التسليم فاخذ بختك وكتب الى الملك النعمان

من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة والسلطان وسيد ملوك هذا الزمان الى خادمهِ واقل عمالهِ النعمان حاكم العربان

انت تعلم ايها العاصي الخائن اني ملكت الارض من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها وحكمي نافذ في كل جهة فمن لم يدخل في خدمتي يخشى باسي ويدفع لي الهدايا في كل عام وانت كنت من جملة خدمي واعواني الذين ياتون اليَّ فيقبل يديَّ في كل مدة حاملاً الجزية فضلاً عن الهدايا حتى ظهر حمزة العربان فاكرمته وقدمته مني واما اظن ان اكرامي هذا يحل محله وبسببهِ رفعت مقامك وقدمتك في ديواني بعد ان كنت تجلس بين الخدم والحجاب وقد نهاني مرارًا وزيري الامين بختك بن قرقيش وبين لي ان اكرام العرب ينتهي بخلعهم طاعتي وجحدهم الجميل فلم اصغَ اليهِ حتى ثبت عندي بعد ذلك عصيانكم ونكرانكم المعروف وطمعكم بمالي وعرضي فاخذتم بنتي كسبية وجعلتم تفرون بها من مكان الى مكان تقاسي عذاب السفر ومشاق الطرقات واهوال الغربة والانتقال بعد ان كانت قد تربت على الدلال والترفه وسعة المعيشة وكان يخدمها كثير من مثل ملوك العرب وقد وقع بيني وبينكم الحرب لما كان حمزة بينكم وبسببهِ انكسرت عساكري ورجعت الى المدائن فجمعت في مدة اكثر من ستين الف الف وسبعمائة الف فارس من ابطال الفرس وشجعان الديلم وغيرهم من الامم وعندي زوبين الغدار الذي لا يصطلى لهُ بنار وقد عزمت ان ابيدكم عن اخركم وانزع اسم العرب من الدنيا غير ان شفقتي عليكم حملتني على التردد في ذلك فارسلت هذا التحرير اطلب اليكم ان تضعوا المناديل برقابكم وتاتوا لتقبيل اقدامي صاغرين طائعين نادمين على كل ما وقع منكم وما ابديتموهُ من المخالفة والعناد ويكون بينكم ولدي فرمزتاج الذي اسرتموهُ وجسرتم على تقييدهِ وفوق كل ذلك فانكم ترجعون اليَّ بنتي مهردكار مع جميع ما وصل اليكم من الاموال واعدكم اني اعفو عنكم واعيدكم الى مناصبكم ولا اواخذ احدًا بجريمتهِ حيث ان الذنب بذلك على حمزة وانتم اخلصتموهُ الود بعد ان تغلب عليكم فهذا اخر ما عندي والاَّ تصادفون الشر والوبال

وبعد ان وقع كسرى على هذا الكتاب بعثهُ الى الملك النعمان وفرسان العرب فوصلوا اليهم وقرأوهُ وكان الامير حمزة بينهم وهو مختفٍ فاجاب الرسول اذهب الى سيدك واخبرهُ انهُ وان كان اميرنا غائبًا عنا الاَّ ان كل واحد منا بهِ الكفاءة لان يقوم مقامهُ وسوف ترى منا ابطالاً لا يخافون الموت ولا يرهبون المنايا ولا يفوتهم عن قبض النوس فوت وهذا جوابهُ عندنا وفي الغد يقوم بيننا الحكم الفاصل والقاضي العادل وهو السيف اليمان الذي يقضي بالحق والانصاف . فرجع رسول كسرى اليهِ واعاد عليهِ كل ما سمعهُ من العرب فاغتاظ وتكدر واضطرب وقال ان العرب لفي ضلال مبين واجلهم يعلمهم الكبر والعظمة ولا ريب ان دولتهم ستنقرض وتغضب عليها النار ذات الشرار واني احسب ان هذه الامة ما كانت على وجه الارض ولا دخلت بين ممالكي . ثم قال لبختك اريد منك ان تنشر اعلانًا في كل العساكر ان صباح الغد يبتدئ القتال واني سمحت بدماء العرب وسلبهم ونهبهم فلتزحف العساكر مرة واحدة عليهم ويحرقوا وينهبوا ويقتلوا ويعذبوا كل من وقع بايديهم من اعدائنا دون شفقة ولا رحمة ففعل بختك في الحال واخذت الفرسان تستعد وتتأهب الى اليوم القادم وبات الفريقان الى ان اشرقت شمس ذاك اليوم المنتظر من العرب والعجم

وما بزغ الفجر حتى ضربت طبول العرب فارتجت لها الجبال والوديان واجابتها طبول كسرى انوشروان تنذر الابطال والفرسان بالاسراع الى الاستعداد . والتهيء لخوض معامع الطراد . فنهض كل ذي حماسة الى سلاحهِ فافرغهُ عليهِ وتعدد وتدرع وجاء الى جوادهِ فركبهُ وانضم الى صفهِ فانتظم بهِ وهو مشهر حسامهُ ينتظر الاذن بالهجوم والقتال وما اشرقت الشمس حتى كان اصطف الصفان . وترتب الفريقان . وركب كسرى انوشروان وامامهُ بيكار الاشهار ومن حواليهِ الحراس والفرسان . وركب حمزة العرب ومن عندهُ من الفرسان . وحالما وقعت العين على العين تحركت الضغائن من المعسكرين . فصاحوا وحملوا وهاجوا وماجوا وفي ايديهم الاشطان . والعواميد الحديدية وعيدان الزان . وراج سوق المنايا اي رواج . واحتاط بالفريقين من جيش الفناء واتخذ له من جيوش العدم امتن سياج . فتدفقت الادمية كالانابيب . وتحدرت من ينابيع الرقاب والصدور كتحدر الماء في المياذيب . واتخذ كل فارس من الابطال لنفسهِ مقامًا في سوق المجال . فباع واشترى . واجرى الدماء انهرا . ولا سيما فرسان العرب وابطالها المشاهير . فانهم اخترقوا تلك الجماهير . وفعلوا افعال المردة الطيارة والجن السيارة . غير ان كثرة العساكر كانت تضيق عليهم المجال فلا يقتل الفارس فارسًا الاَّ انحدر اليهِ اثنان في الحال . لان عساكر العجم كانت كما تقدم تتجاوز ١٧ كرة وعساكر العرب دون الثلثمائة الف فارس وعلى هذا فقد عرف اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل و باقي فرسان العرب انهم اذا ثبتوا هم اشتد جيشهم وتقوى واذا قصروا ضعف واخل ولحق به الفناء ولا سيما الامير حمزة فانه كان يقاتل قتال الاسود و يخط على الجيوش انحطاط البواشق فيشردها ذات اليمين وذات الشمال وهو متخف عنها لا ينادي باسمه ولا يفتخر بنفسه والعجم تزدحم عليه ولا تفارقه وهي لا تعلم انه بلوة الانس والجان ولو عرفته لتفرقت منه واشترت ارواحها بالفرار والبعد عنه ومن المعلوم انه اثناء القتال انه لا يثبت في مكان لانه كان يخاف ان تصاب جيوشه بالاضمحلال او يلحق باحد فرسانه سوء فيتفقد الجميع واين كانت جيوش الاعداء مجتمعة فرقها وقد تعب في ذاك اليوم التعب الكلي ليحفظ نظام معسكره الذي كادت تتغلب عليه الكثرة واخذ في الرجوع الى الوراء ولولا اعماله واعمال رجاله لانقرض واختار التشتيت على البقاء امام اعدائه الكثيرين وكان الملك كسرى على الدوام يبعث باوامره بين عساكره يحرضهم على الثبات وان ينهوا امر العرب في ذاك النهار وكذلك بختك الخبيث الغدار فانه كان مطمأن البال بالفوز والانتصار . لما راى قلة العرب وكثرة جيشه الجرار . وكان اكبر رجائه بزوبين الغدار . نسل اللئام الاشرار . حيث كان وعده انه في ذاك النهار . لا بد من وصوله الى مهردكار واسترجاعها الى عساكر الاعجام بقوة الصارم البتار . وكانت جهنم تشتعل بفيصان لهيب النار فتلتهم كل من يقدم ضحية الفناء والبوار

قال وبينما كانت عساكر العرب في وسط المعمعة وهي ضيقة الانفاس لكثرة الازدحام ومضايقة الاعداء وفرسانها تخبط في عباب ذاك البحر المتلاطم بامواج الاهوال وعساكر العجم وان كانت ترى قتلاها تزداد على الدوام الا انها كانت تتقدم مومّلة انها لا بد من ان تضعف العرب وفي كل ظنها ان غياب الامير حمزة وسيلة كبرى لفوزها وتقدمها والا لو سمعت بذكر اسمه فقط لوقع الرعب في قلوبها وخافت من التقدم وكسرى وبختك مسرورين من بعض النجاح الذي نالة العجم واذا برايات اندلسية تخفق وجيوش حبشية تتقدم وفوارس لا تخاف المنية وقد اسرعوا المسير ومن فوقهم الغبار قد علا وثار حتى حجب شمس النهار ثم انقسمت تلك الجيوش الى قسمين قسم مال الى جهة الشمال وقسم الى جهة الجنوب فالقسم الاول كان في مقدمته عمر الاندلسي المتقدم ذكرهُ ومعهُ نحو ثمانين الفًا من عساكر الاندلس وقد صاح وحمل لما راى الحرب قائمة على ساق وقدم وهو ينادي انا عتيق سيف حمزة البهلوان وخادمهُ طول الزمان ومثله كان يفعل صاحب القسم الثاني وهو النجاشي سلطان الحبشة ومعه مائة وعشرون الفًا من رجاله وابطاله وفي الحال باشروا الحرب والقتال وخاضوا ساحة ذاك المجال فارتاع كسرى من اعمالهم وامر ان ترجع عساكرهُ الى الوراء والا احاط بها الاعداء ووضعوها في الوسط وانزلوا بها البلاء وقد تكدر من ذلك وتعجب كيف ان هذين الملكين جاءا لعضد اعدائه وداست

الحرب الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى الخيام لا يصدقون بالخلاص من شر ذاك اليوم الكثير الزحام ورجع كسرى فنزل في صيوانه وضرب امامه العلم الاكبر وبعد ان تناول الطعام وشرب الشراب جاءهُ الوزراء والاعيان وشرح كل واحد حالة الجيش وما عرفهُ منهُ فقال بختك اني كنت ارى في الاول ان النصر سيكون لنا في هذا اليوم وان في صباح الغد لا بد ان نتفرق عساكر الاعداء ولذلك كنت مسرورًا جدًّا وكان عندي من الفرح ما لا مزيد عليهِ ونفسي تطلب سرعة النهاية ولكن النار في هذا اليوم لم تكن راضية عنا على حسب الواجب فلم تخولنا النصر التام وقد حفظتهُ اما الى اليوم الاتي او الذي بعدهُ . فقال كسرى اني اعجب من عمر الاندلسي والملك النجاشي فاني انا الذي قد بعثت ودعوتهما الى نصرتي ومعونتي فاعتذرا عن الحضور والان قد انضما الى العرب وجاءا لنصرتهم ولولاهما لكنا فزنا بالمطلوب في هذا النهار ولا اعلم ما هي الرابطة التي دعتهما الى مساعدة العرب لان مثل الملك النجاشي اذا كان مع العرب يقوي شوكتهم ويزيد عتوهم لانهُ كثير الجنود والاعوان وملك عظيم قوي السلطان . قال ان هذا لا يهمنا يا سيدي فانهُ لو اجتمع مع العرب كل اهل الارض بالطول والعرض فاننا نحن الفائزون عليهم المنتصرون ما زال حمزة غائبًا من بينهم فكن باطمئنان وراحة وسوف تجلي لك حرب الغد الحقيقة . فصبر كسرى وهو مشغل الفكر لا يعرف ماذا يلاقي من حرب اعدائهِ وقد رآهم زادوا عددًا وكثروا مددًا وان اكثر عساكر بلاد العرب وجميع جيوش بلاد الحبشة تحارب معهم

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا الى الخيام مسرورين بقدوم هذه النجدة القوية وحال وصولهم الى الخيام اجتمع المقيمون بالاتين وسلموا على بعضهم البعض وشكروا من الملك النجاشي وعمر الاندلسي . وسالهما حمزة عن سبب اجتماعهما ببعضهما . فقال النجاشي اني بعد مفارقتك اخذت ان اجمع جيوشي بسرعة عظيمة وفي مدة ثلاثة ايام اجتمع عندي جيش عظيم فاخذت قسمًا منهُ وسرت في اثرك تحت امل اجتمع بك في الحال حيث ما عدت اقدر ان اطيق صبرًا على فراقك وما زلت سائرًا حتى وصلت الى بلاد الاندلس فرايت عمر الاندلسي قد جمع بعساكره وخرج من المدينة وسار على طريق مراكش فاجتمعت بهِ وعرف كل منا الاخر واننا سائران الى خدمتك وعجلنا مسيرنا حتى وصلنا في هذا اليوم الكثير الاهوال فلم نقبل ان

الى هنا انتهى الجزء السابع من قصة الامير حمزة
ويليهِ الثامن عما قليل ان شاء الله

الجزء الثامن

من قصة الامير حمزة البهلوان

تضيع الوقت فباشرنا الحرب . فقال حمزة بارك الله فيكما فانكما نصيرا الحق وعندي اننا في الغد نقهر جيوش كسرى ونرجعهُ مبددًا مشتتًا . فقال اندهوق ما زلت لا تظهر نفسك فجيش العجم لا يتفرق ولا يرتعب ولا ينكسر ولو قتل وفني عن اخرهِ لان ظهورك يلقي الخوف على كل واحد منهم فتنحل اعصابهُ ويرجف قلبهُ ويخاف من البقاء قال اني لا اظهر نفسي ما لم اقبض على علم بكار الاشتهار واحرم كسرى منهُ فيعرف ان حمزة لا يغيب ويقدر على كل ما يقول . فقال لهُ كن انت في الغد امامي فاحمي ظهرك واجعل عمرًا بين يديك فلا يفارقك ولا يفارقني واننا ناتي بالمقصود . ثم نظر حمزة الى كامل الفرسان فراى معقل البهلوان غائبًا فسأل عنهُ فقال لهُ عمر اني منذ الغد ما رايتهُ ولا شاهدتهُ ولا عرفت اين هو وانا اظن انهُ ليس في الخيام حتى انهُ في هذا اليوم ما باشر معنا القتال ولا الحرب والنزال . فقال سر انت واسال عنهُ في رجالهِ وبين قومهِ . فسار عمر وطاف كل العرب وهو يسال الكبير والصغير وما من واحد منهم افادهُ عنهُ او عرف اين هو موجود او راهُ فعاد الى اخيهِ واخبرهُ ان معقلاً غائب عن المعسكر ولا احد يعرف بمكان وجودهِ فقال اخاف ان يكون قتل في هذا اليوم وشرب كاس الافات وانحدرت دمعة الامير حمزة على خدهِ فقال لهُ عمر لا تخف فان معقلاً لم يباشر الحرب واني في صباح هذا اليوم طفت كل المعسكر قبل اشتباك الحرب وفتشت الكبير والصغير فما رايتهُ قط وفكرت انهُ لا بد ان يكون منذ الغد او قبلهُ في الصيد ولم يرجع بعد فشغل بال الجميع من اجلهِ وباتوا تلك الليلة يتحارسون الى ان اشرقت شمس اليوم التالي فاصطف الصفان وتقدم العسكران ورفعت رايات الابطال والفرسان وباقل من ساعة انتشبت نار الوغى واضطرمت واشتبكت الجيوش واصطدمت . ووقفت جيوش عزرائيل في كل ناحٍ وقد تهيئات لقبض الارواح . وهي فرحة بذاك النهار الكثير الاهوال . حيث تيسر لها فناء الوف من الرجال ووقف عزرائيل واخذ بيدهِ بوقهُ لينفخ فيهِ ويبدد جماعتهُ ويحثهم في اعمالهم حتى لا يفوتهم احد من محاربي ذاك النهار

هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . ونفوس المحاربين مسرعة الى العدم . والكل بين السنة لهيب جهنم . تدفعهم اسنة الرماح . وتشرحهم البيض الصفاح . وما برح السيف يعمل

والدم يبذل والرجال تقتل . ونيران الوغى تشتعل . حتى ارتفع الغبار الى العنان . وحجبت الشمس عن العيان . واصفر وجه كل جبان . عند مشاهدتهِ هول تلك الوقعة الكثيرة الاخطار . والعظيمة الاهوال والاضرار . واحمر وجه كل شجاع . في موقع القتال والصراع . من كثرة ما رش من ادمية الفرسان . التي كانت تندفق من الاعناق وتشيب الابطال والشجعان . فتصبغهم بازكى الالوان . وتغير من شكلهم عما كان . ثم تنحدر الى بساط الصحصحان . وتجمع في اقنية ذاك المكان . وتسير مجدولة كينابيع الغدران . وكثيرًا ما تطنو على وجه الارض فتغرق بها الخيل او تشرف على الغرق . وقد قل من المتقاتلين النفس والرمق . واخذهم الاضطراب والقلق . وسحبت منهم بحور العرق . وما عاد يرى الا خيولاً غائرة . وادمية فائرة . واكفًا طائرة . واعينًا غير ناظرة . وقد رافقت رجال عزرائيل رجال العربان . وسعت في ركابهم من مكان الى مكان . وهم يسلبونها من ارواح الاعجام . ويكثرون لها من العمل والشغل في ذاك المقام . لان كل فارس من العرب تكون ضربتهُ قاضية في الحال . فيقع خصمهُ دون تاخير ولا امهال . وقبل ان يصل الى الارض . تخطف روحهُ وترسل للحسبان في يوم العرض . فلله در المعتدي حامي السواحل وما فعل في ذاك اليوم الكثير الاهوال . وكم قتل وكم اسر من الابطال . وكذلك قاهر الخيل فقد مدد الرجال . على بساط الرمال . وانزل عليهم الدمار والوبال . ولم تكن افعال باقي الفرسان اقل من افعالهِ . ولا اعمالهم دون اعمالهِ . ولا سيما عمر الاندلسي فانهُ اراد ان يظهر لحمزة صدق خدمتهِ . وعظائم فعلهِ اثناء المعركة وحسن براعتهِ . فبدد الاعداء وانزل عليهم ميازيب العناء . وارماهم في حفر الفناء . وهو ينادي رقومة من وراء تقاتل وتضارب . انا عمر الاندلسي عتيق سيف حمزة فارس المشارق والمغارب . وكذلك الملك النجاشي فقد فتك بجماعتهِ فتكًا لا ينتسى ذكرهُ الى آخر الزمان . وبالاختصار ان تلك الوقعة كانت اعظم الوقائع التي مضت على العرب والعجم . لا بل وعلى غيرهما من القبائل والامم . من سكان تلك الاعصر العظيمة الوقائع . والكثيرة المعامع . حيث كان عدد المتقاتلين يزيد عن الخمس والعشرين كرة وفيهم مشاهير الرجال والابطال العظام ما لم ياتِ مثلهم في غير ايام . ولذلك تغطت الارض بالقتلى وحامت عليها غربان الجوّ ووحوش الفلا طالبة رزقها في ذاك المكان ناظرة فيهِ ما يشبعها ويكفيها الى آخر الازمان . منتظرة النهاية لتاخذ نصيبها من تلك الاجسام وتذخرها الى غير ايام . كل هذا وكسرى ينظر ويرى ويشاهد ما يحل برجالهِ وما يقع على ابطالهِ . وهم يقعون ويقومون . ويجرحون ويقتلون . ورماح العرب تخرق صدورهم . وسيوفهم تغمد في نحورهم . وهم تائهون في ديجور تلك المعمعة لا يعرفون ماذا يعملون ولا من يقاتلون ولذلك اسودت الدنيا في عينيهِ . وانطبقت اربع جهات الارض عليهِ وقال لبختك ها ان

عساكري ستنقرض في هذا النهار ويحل بها الفناء والبوار . والعناء والدمار . وتتشتت في الاربع اقطار . والتزم الى الهرب والفرار وركوب طريق الذل والعار . فقال له بختك شد عزمك يا سيدي ولا تؤخذ بالظواهر . فلا بد من استظهار فرساننا بالاخر . لان عمل العرب هذا ومن والاهم سيلقيهم اخيرًا في التعب وتضعف قواهم ويكون لقومنا عليهم الثار . فيبطشون بهم بطش الليث الجبار . قال وفيما هما على مثل ذلك واذا بجيش الحرس قد اضطرب وارتبك وجفل ومال من اليمين الى الشمال واخذ في التقهقر والتاخير والاضمحلال وسمع كسرى من وسطهِ صوتًا تميل له الجبال . وترجف عند سماعهِ اسود الدحال . وتضطرب العواصم والبلاد والحصون والاطواد . وقائل يقول ويلكم لئام غير كرام قد جاكم فارس الفرسان . وبطل هذا الزمان . وسيد ساداتهِ الشجعان . ونقمة كسرى انوشروان . ومطوع جبابرة الانس والجان . الامير حمزة البهلوان

قال ولا يخفى ان الامير حمزة من حين مباشرة القتال اتكل على فرسانهِ واوصاهم بالمحافظة على بعضهم البعض وان يساعد احدهم الاخر . وخاض هو ذاك البحر العجاج . المتلاطم بالامواج ومن خلفهِ اندهوق بن سعدون . البطل الميمون . فاخترقا الصفوف . وشردا المئات والالوف وانزلا عليها الحتوف . وهما تارة يميلان الى جهة اليمين وتارة الى جهة الشمال . والفرسان تزدحم عليهما وتطلبهما الابطال . وحمزة يضرب في صدورها . فيرسلها الى قبورها . واخوهُ عمر يخطف بين يدي جوادهِ اليقظان ويضرب بالخنجر في صدور الخيول فيرميها الى الارض وتقع عن ظهورها الفرسان . وما برح على هذا العمل وقد قتل الوفًا من الابطال وجرح كثيرًا من الرجال واندهوق يحمي ظهرهُ فلا احد يقرب منهُ الى ان فات الظهر وكلما شردت العساكر عنهُ بعدت ثم عادت وتجمعت من حواليهِ وهي ترى قتالهُ قتال الامير حمزة انما كانت لا تعرفهُ ولذلك كانت نفوسها تدلمنها بقتلهِ وفناهُ وهو يتقدم الى الامام حتى كاد يقرب من بيكار الاشتهار وهو العلم الاكبر وابطال العجم من حواليهِ والحراس تدور بهِ من مكان الى مكان حتى انهُ اخيرًا صاح وتكنى باسمهِ ونادى انا حمزة البهلوان نقمة كسرى انوشروان . فلما سمع العجم صوتهُ وقع الرعب في قلوبهم وتبقنوا انهُ هو نفسهُ فطاروا من بين يديهِ اخرهم يضرب باولهم يتسابقون الى الفرار وهو يضرب باقفيتهم حتى سمع كسرى ذاك الصوت وراى ما حل بحرسهِ فارتاع وخاف وقال لبختك ويلك ياخبيث يا غدار تقول ان حمزة في جبال قاف وها هو في وسط عساكري وقد فرّق حرسي وكاد يصل اليّ . قال اني اخاف ياسيدي ان يكون احد فرسانهم قد تكنى باسمهِ فجفلت منهُ عساكرنا لانهُ لو كان بينهم لما هربوا الى هذه الجهات وفيما هما على ذلك واذا بحمزة قد وصل من بيكار الاشتهار فضرب بحسامهِ كل الذين حواليهِ وتناولهُ بالرغم عن كل ممانعة

ومدافعة وقد صارت مزاحمة قوية عندهُ وتكرست القتول كالتلول ولما صار العلم في يدهِ سلمهُ الى اندهوق وعاد الى مداومة القتال واذ ذاك صاح كسرى بحجابهِ وقال لبختك ويلك عجل بالهرب والفرار والاَّ دفعنا بايدي حمزة ونال منا مرادهُ فان الهلاك قريب منا فقال بختك صدقت ان هذا اليوم يوم بئس ونحوس والنصر بهِ للاعداء فسارعوا الى الهرب . ثم انهُ امر الحجاب ان ترفع كسرى والصيوان وتسرع في التقهقر والفرار ففعلت في الحال ودارت اقفيتها للعرب وطلبت الخلاص من جهنم سيوف الامير حمزة ورفاقهِ وراى باقي العجم ما فعل كسرى وحرسهُ فجاروهم على عملهم وطاروا ذات اليمين وذات اليسار . هذا والعرب قد شكرت من حمزة على هذه النصرة فجودت الطعن والضرب ومالت ان تشفي غليلها من الاعداء ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان مشتاقًا الى وقوعهِ في مثل هذه المعمعة ليشفي غليل قلبهِ بعد غيابهِ وبقاعدهِ عن القتال ثلث سنوات ولذلك كانت القتلى حولهُ كالتلال وهو غارق ببحر من الدماء ويحيط عليهِ من الاربع جهات وهو يطعن ويضرب ويصيح . ينادي باسمهِ والرعب يموج باقلوب الهاربين وكل واحد منهم يظن من نفسهِ انهُ وراءهُ يرن باذان كل واحد يرن ودام العرب في جدهم واجتهادهم حتى حجب الظلام عن اعينهم اخصامهم فكروا راجعين بعد ان ابعدوا عن مواقعهم مسافة طويلة فامر الامير حمزة ان تجمع الاسلاب والمكاسب وتوخذ الخيام وترفع الى المعسكر فدار العرب الى جمع الخيول الشاردة ونزع اسلحة من المقتولين وقلع الخيام وما فيها من الاون والامتعة فكان شيئًا كثيرًا يعجز القلم عن وصفهِ

فامر الامير حمزة ان يقسم على كل من افراد العساكر وضباطهم ولا يترك احد بدون ان ياخذ نصيبهُ منهم واول ان اجتمع في صيوان اليون شاه واجتمعت سائر الفرسان والملوك اخذوا في ان يهنوا بعضهم البعض بهذه النصرة ويمدحوا من الامير حمزة على ما اجراهُ في ذاك النهار حيث شيد لهم اسمًا لا يمحى مدى الدوران فقال لهم ان كل هذه النصرة وعواقبها لا تساوي في عيني ما زال اخي معقل البهلوان غائبًا ولا نعلم مكانهُ واذا كان اصيب بضرٍّ فهو خير من رجال الفرس كبيرهم وصغيرهم . فقال لهُ اندهوق عندي ان معقلاً بعد عن المعسكر بقصد الصيد فعرض لهُ امر عاقهُ عن الرجوع الينا . فقال الامير حمزة اني لا ارتاح ولا يهدأ لي بال ما لم اعرف شيئًا عن اخبارهِ وربما كان اسيرًا في احدى الجهات او يكون جرى عليهِ حيلة او خدعة القتهُ في احدى المتاعب والمهالك ولذلك ساعهد الى اخي عمر العيار بالتفتيش عليهِ والبحث والاستقصاء من سائر النواحي ولا بد ان يكون احد الناس عرف شيئًا من اخبارهِ فقال للامير عمر اني سآتيك بخبرهِ عن قريب واخرج عنك هذه الكربة والضيقة

ثم ان حمزة بعد ذلك نهض الى مهردكار فاكل الطعام عندها وهنئتهُ بالنصر والظفر وقالت

له لو لم يكن انه معك لما قدرت على مثل هذا الانتصار العجيب العظيم بمدة يومين فقط مع انه لو كان غيرها ... سنين واياماً ... دون ان ينال المراد . فقال لها اقاتل وقلبي مكمود وملسوع ... التي ... بيني وبين ابيك وجعل احب الناس عندي عدواً لي ... يقع بيدي بخنك الوزير ... الشر والفساد والكيد ... هذا الذي اريده واتمناه واعرف اكيداً انك اذا قتلت بخنك او ابعدته عن ... الوفاق والان اسالك ان لا تنسى اخي ... لا تدعه بالعذاب فقال اني افتكر بذلك ولا ... البهلوان ان اكرمه واجعل له مقاماً عندنا والان هو بخير وقد ... وبعد ان صرف وقتاً من السهرة عندها ... ان يغتنم الفرصة بالاقتران بها ... فوانه ... العالم انه تزوج بها ونال ما تمناه ... بذلك ... عن الرجوع الى الحرب ويعود الى دوام الحب والالفة والسلام

قال ... نهض الامير عمر ... جماعته بالاهتمام والسهر اذا طال غيابه وخرج من المعسكر ... والبحث عن الامير مقبل البهلوان وقد اختار الطريق الاقل اطراقاً ... ان الامير مقبل البهلوان لا ... ان يسلك الا منفرداً بنفسه وما زال سائراً حتى قرب نصف النهار ... في اي جهة ... واي بلد يقصد في الاول وبينما هو على مثل هذا الامر ... الى جهة البر فوجد فارساً يسير الى جهته ومن خلفه هودج على باذل يقوده جماعة من العبيد فالتقى ساتيه الى ناحية ذاك الفارس وقلبه يدله انه هو الامير مقبل ... قبل ان ... منه عرفه وتاكده وعرف ان غيابه كان لهذا السبب ولما وصل منه ... وقال له ان غيابك احدث اطراقاً بالعرب ولا سيما عند اخي الامير حمزة ... زاد ... عليك بعد ان تبدد شمل كسرى وانجلى عن هذه الاراضي ... الامير مقبل واندهش وقال ... ما تقول كيف يمكن تفريق مثل هذه العساكر العظيمة بمدة ... مع اني لم اغب ... الا ثلاثة ايام . قال ان العرب قاتلت قتال الاسود لما شاهدت انفصال اميرها ... وادى الحالة الى ان يبدد الالوف شرقاً وغرباً حتى وصل الى بيكار الاشتهار ... من ... بالرغم عن كل مانع وصار منذ الان ينصب امام صيوان الامير حمزة

قال وكان سبب غياب مقبل البهلوان هو انه كان قد خرج الى الصيد واوسع بالبر وهو

منفرد بنفسهِ لا احد راهُ ولا رافقهُ وفيما هو يطارد الوحوش والغزلان راى غزالة قد مرَّت بجانبهِ ونفرت مسرعة كالبرق الخاطف فاطلق من خلفها جوادهُ وقد خفق قلبهُ ومالت اميالهُ الى مسكنها والقبض عليها وما برح يطاردها وهي شاردة بين ايديهِ حتى دخلت في روض ملتف الاشجار حول قصر قائم في تلك الجهة فدخل خلفها ومالبث الى ان راها قد دخلت القصر واختفت فوقف هناك متعجبًا من عمل الغزالة ومحرقًا كيف تخلصت منهُ واخذ في ان يتامل في ذالك المكان ويحب ان يعرف من داخلهُ ولمن هو وفيما هو على مثل ذلك واذا بطاقة القصر قد فتحت وتغنت بها صبيّة من نساء المغاربة ذات خد احمر ووجه جميل رائق وعيون سوداء كبيرة تجرح من اول وهلة فانعطف قلبهُ اليها ومالت اميالهُ الى معرفة اخبارها فوقف محدقًا بها الى ان بدئتهُ بالكلام وحيتهُ بالسلام فاجابها على تحيتها وقد اخذ عقلهُ بعذوبة الفاظها. فقالت ما الذي اوصالك الى هذا القصر وماذا اضعت عندهُ فاني اراك محيرًا. قال اعلمي ياوجه القمر ان غزالة كنت اطاردها فطارت من بين يدي ودخلت في هذا القصر وقد اوصلتني اليهِ ولم اعد اراها بعد ذلك واحترمت حمى صاحب القصر فلم اعد اسال عن صيدها ولكن قلبي كان لا يطيق فراقها وتركها ولذلك كنت واقفًا بارتباك بين قلبي وارادتي. قالت فعلت حسنًا فانت الآ من كرام الناس وامرائهم وساداتهم فان الغزالة دخلت في حماي وهي لي فهل لك ان تبدل غزالتك بغذاء وتشرف محلنا فتاكل طعامنا. فسلب عقلهُ وكاد يغيب عن صوابهِ وقال لها من ابن لي هذا الشرف واما غريب عنك وانت لا تعرفي من انا ولا سالتني عن اسمي. قالت ان دلائل الكرام تظهر على وجوههم ولا تخافي عن بصائر اولي الالباب فضلاً عن انهُ ليس من كرم الاخلاق ان اسالك عن نفسك قبل ان تاكل الطعام وترتاح من مشاق الصيد وتعرف من انا

فدخل الامير معقل وهو مسرور الفؤاد وقد اسرع اليهِ الخدم فاخذوا منهُ الجواد وصعدوا بهِ الى اعالي القصر فترحب بهِ صاحبتهُ وتلقتهُ بالاكرام والبشاشة ودخلت بهِ الى غرفة الاستقبال فاجلستهُ على كرسي من الحرير الاحمر محشوة بالريش النعام وهي من خشب الابنوس فجلس واخذ لنفسهِ الراحة ردحة ثم قدم لهُ الشراب فشرب وبعد ذلك قدم لهُ الطعام فاكل وهي معهُ تظهر لهُ كل انس ولطف وسرور بوجودهِ عندها ولا يخفى ان الامير معقل كان جميل الخلقة عظيم الهيكل بهي الطلعة وقورها فعلقت بهِ الفتاة وقدمت لهُ كل ما في وسعها من الترحاب واخيرًا سالها عن اهلها وما سبب وجودها في ذاك القصر. فقالت لهُ ان اسمي ذات الجمال بنت حاكم طينور الغرب وهو صاحب هذه البلاد وهذه الاراضي وقد ابتنى هذا القصر منذ ازمان يقيم فيهِ في زمن اشتداد الحر ولما كبر وشاخ ما عاد يطلع اليهِ فسالتهُ ان يسمح لي اقيم فيهِ كل

سنة مدة ثلاثة اشهر فاجابني وصار كل سنة يرسلني اليهِ مع جماعة من خدمي فاقيم بهِ ويزورني في اكثر الاحيان واريد منك ان تخبرني من انت لاني موكدة انك من قوم العرب النازلين بجوارنا لا بل من ساداتهم واعيانهم . قال لقد اصبت فاني من رفقاء الامير حمزة العرب سيد القبائل وفارس الفرسان واسمي معقل البهلوان صاحب قلعة تيزان وقد جئنا الى هذه الديار البلاقية من سفرتهِ فتبعنا كسرى انوشروان بعد ان وصل الينا ا يرنا ولا بد من ان نبطش بهِ ونذله مع قومهِ كما فعلنا معهُ بالسابق . فقالت له نعم الرجل فانت من السادات العظام ولذلك لم يخطئ قلبي وقد اصاب بتعلقهِ بك ومعك ولا ريب انك اذا كنت من كرام الناس لا ترد طلبي ولا تمنع سوالي واريد منك ان تصرف هذه الليلة عندي وفي الصباح تذهب الى قومك ومتى انتهيتم من حرب كسرى بعثت الى ابي فاخذتني منهُ زوجة لك ولا ريب انهُ يجيبك الى ذلك . قال حبًّا بك وكرامة وهذا الذي تريدينهُ فاني متشوق اليهِ واذا اطعتيني سرت بك الى قبيلتي من هذه الساعة وارسلت من هناك الى ابيك رسولاً في الحال وسالته زواجك بي . قالت اخاف ان ابي ينسب اليَّ العصيان وطاعتي بالمسير معك يحط من قدري عند قومي فاجابها الى طلبها واقام معها على حظ ومسرة وقد صفت الخمور واحضرت الكاسات والزجاجات ورتبت النقل والازهار واقامت معهُ على مثل هذه الحالة كل تلك الليلة تعاطيهِ ويعاطيها وهما بجنة من النعيم

قال ولما دخل الامير معقل القصر وعرف بنفسهِ ذات الجمال كان احد الخدم واقفًا يسمع ويرى فاسرع الى مدينة طيفور واخبر اباها بوجود احد امراء العرب عند بنتهِ وانهُ كان يطارد غزالة فجاءت القصر ودخلته ومن ثم دخل هو واقام عند ذات الجمال . فلما سمع هذا الكلام اضطرب واغتاظ في داخلهِ الاَّ انهُ استعمل الحكمة والدراية وجمع اليهِ اعيان قومهِ وعرض عليهم امر بنتهِ ومعقل البهلوان وسالهم كيف السلوك في هذا الامر الخطر فقال لهُ احد عقلاء قومهِ انت تعرف ان العرب قد جاءوا هذه البلاد منذ زمان طويل وما من احد قدر على عنادهم ومطاردتهم او اشهر بوجههم حسامًا والان قد نعهم كسرى الى هذه البلاد لاجل محاربتهم ولا ريب ان احد الطرفين يتغلب على الاخر وعندي اننا نذهب الى قصر ابنتك ونحتال على هذا الفارس العربي ونقبض عليهِ ونأتي بهِ الى المدينة فاذا انتصر الفرس سرنا بهِ الى كسرى وسلمناهُ اياهُ ونلنا منهُ المكافاة واذا انتصر العرب اعتذرنا اليهِ وسلمناهُ بنتك اذ لا بد لهُ من اخذها واصطلحنا معهُ ومع العرب واما الان فليس من العدل ان نظهر عداوتنا لاحد حفظًا لبلادنا واموالنا من الخراب والنهب وليس من الصواب ايضًا ان نترك هذا العربي عند بنتك على هذه الحالة حفظًا لناموسنا . فاجاب الجميع الى هذا الرأي وساروا الى قصر ذات

الجمال وفيما هي مع حبيبها على حظ وفرح وسرور وانشراح وشرب عقار ومناشدة اشعار واذا باحد خدمها قد دخل عليها واخبرها ان اباها قد دخل القصر مع بعض اعيانه فارتاعت واضطربت . فقال لها معقل البهلوان لا تخفي ولا ترتاعي فاني اعرف كيف اتصرف مع ابيك فاذا قصد عنادي اخذتك بالرغم عنهم جميعهم وسرت بك الى قبائل العرب واذا وافق على اكرامي اخبرته بالقصة وسالته زواجك وطلبتك منه وكانت هذه الفرصة احسن الفرص وانسبها واذ ذاك دخل ابوها الغرفة مع قومه فنهض لهم معقل واقفا على الاقدام وهو مدجج بالسلاح . فبش حاكم طيفور في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً بك ايها الامير لقد تركت محلها على غير انتظار واتيت منزلك فعلى الرحب والسعة واني لما عرفت بقدومك اسرعت لخدمتك لان قومك العرب نزلوا ضيوفًا في بلادنا ومن موجبات الضيف الاكرام . ومثل ذلك فعل باقي قومه وتقدموا من الامير معقل وسلموا عليه واكرموه ومدحوه فشكرهم واثنى عليهم وهو يظن صفاء بواطنهم ولم يفكر بهم الغش والخداع . ثم زادوا من الخمرة وشربوا جميعا وهو يشرب معهم مستحيًا بنفسه بينهم لعظم اكرامهم له وكذلك ذات الجمال فانها كانت لا [illegible] ان تلاقي من ابيها مثل هذه المعاملة وما برح الامير معقل هناك الى المساء واذ ذاك [illegible] في مكانه وقد دارت الخمرة براسه وكاد يغيب عن هداه فهجموا عليه ومسكوه [illegible] على [illegible] ورجعوا من القصر وجاءوا ايضا بذات الجمال دون ان [illegible] على عملها [illegible] ابوها بعاملها بالبشر والانس . حتى وصلوا المدينة ودخلوا [illegible] حاكم طيفور [illegible] الى العرب يراقب اعمالهم مع كسرى ويأتيهم في النهاية بالخبر اليقين وما يكون [illegible] من الرابح ومن الخاسر فسار ذاك الرسول واقام بين العرب [illegible] في المساء ودخل الى حاكم طيفور فقال له [illegible] هذا اليوم ما كدت لا اصدقه واكذب نظري فلا ريب [illegible] صناديد ولا سيما اميرهم حمزة فاني رايته وانا في اكمة عالية [illegible] منهزمة كانها الموت الاحمر لا يمتنع عن ادمان [illegible] كانهم النار الشديدة الاضطرام اذا وقعت على القش اليابس [illegible] ان تكرم معقل البهلوان وتعتذر اليه وتترضاه وتتحاشى من [illegible] فانهم لا يتركون [illegible] عليه ومتى عرفوا بما حصل له عندك زحفوا على المدينة [illegible] مع كثرتهم وعددهم الذي لا يحصى [illegible] فقومك ان تفعل . فلما سمع حاكم طيفور كلام رسوله قال [illegible] العرب ونصطلح مع معقل البهلوان [illegible] ذات [illegible] القصر

الذي فيهِ معقل ودخل عليهِ فوجدهُ يزأر كانهُ الاسد وهو مغتاظ من الغدر بهِ ووقوعهِ في ايدي حاكم طيفور . فسلم عليهِ . فقال لهُ معقل لم يكن بعهدي ان تسلكوا سبيل الغدر والخيانة وتاخذوني وانا امين منكم ولو انكم اسرتموني وانا على ظهر جوادي لما صعب عليَّ ولكن لا بد ان يتوصل الامير عمر العيار الى معرفة مكاني فياتي مع العرب لخلاصي وتجازون على شرّ اعمالكم فقال ابو ذات الجمال انا ما غدرنا بك لشر ولاقصدنا لك ضرًّا غير ان بعض قومي حكى بعرضي فكدرني ففعلت ما فعلت خوفًا من ان تترك بنتي وتذهب الى حالك ويبقى اسم المذلة والعار عليَّ . والان الحمد لله قد ثبت لدينا انك من كرام الناس واوفاهم مروَّة وكرامة وشهامة وقد جئت اليك وانت صاحٍ لاعرض عليك صداقتنا واني ارغب في ان تكون صهري وتكون القرابة والنسابة بيننا ولا اكون فعلت امرًا مكدرًا . قال اني ارغب في بنتك ذات الجمال واريد ان تكون لي زوجة غير اني لا اريد ان اقرب منها وازف عليها الاَّ في قبائل العرب عند قومي . قال كفانا ان نعقد عقد الزفاف عندنا ونسلمك اياها فتصبح زوجتك واخلص من اللوم وبعد ذلك فلك الخيار ان ابقيتها عندنا او ذهبت بها الى قومك . فوافقهُ معقل على ذلك وحينئذٍ احضروا ذات الجمال وعقدوا زواجهُ عليها وسلموهُ اياها مع البستها وحلاها وخدمها وكل ما هو لها وامر ان يسلم اليهِ جوادهُ فدفع اليهِ فاخذهُ وسار بعروسهِ الجديدة يقصد العرب وهو لا يعرف ما جرى عليهم حتى التقى بعمر العيار كما تقدم معنا الكلام فسار واياهُ الى المعسكر حتى وصلا ودخل معقل على الامير ففرح بهِ وسلم عليهِ وسالهُ عن سفرتهِ فاخبرهُ بكل ما توقع لهُ وما جرى مع ذات الجمال وانهُ جاء بها لعمل عرسهِ هناك

قال فلما سمع حمزة ذلك تحركت بهِ دواعي حبهِ لمهردكار واطرق مدة الى الارض . ثم رفع راسهُ بين قومهِ وقال لهم انتم تعلمون انني لاقيت كثيرًا وحاربت كثيرًا لاجل مهردكار وانتم تتعذبون بسببي وتحاربون وتتنقلون من مكان الى مكان وقد احرمتم الراحة وبعدتم عن الاهل والاوطان اكرامًا لي ولذلك لا انسى انكم من اكرم ما خلق الله صفاتًا ومروَّة وحيث الان قد انتهينا من امر العجم وانهزم كسرى وانجلت اثار رجالهِ عن هذه الارض وقد طفح الكيل ومضى قسم من العمر اريد ان اغسل وسخ هذه المصائب والمصاعب والاتعاب بقيام العرس والفرح مدة خمسة عشر يومًا فيها ازف انا على مهردكار وعلى الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل ويزف الامير معقل على درة الصدف بنت ملك مصر وعلى ذات الجمال هذه التي جاء بها الان ومن ثم نسير من هنا الى مدينة حلب نقيم بها الى ان يظهر لنا خبر كسرى وما يريد ان يعمل . فقال الملك النعمان وباقي الامراء والفرسان لقد اصبت يا حمزة فاننا نرغب لك مثل هذه الايام ونتمنى زواجك بمهردكار وطالما اردنا ان نشترك بهِ بارواحنا واني اشكر الله الذي بعد

كل هذه المتاعب منّ علينا بكل ما نطلبهُ ونسالهُ بهِ والان انشر بين قبائل العرب وكل المجمعين عندنا من حلفائنا ان ايام الافراح ستبتدئ من الغد ويكون الفرح في كل ناحية وفي كل جهة من جهات المعسكر وكل ذلك يصرف من اموال كسرى المحفوظة عندنا التي جمعناها من بلادهِ وعمالهِ ويسلم امر تدبير الزفاف الى اندهوق بن سعدون وعمر الاندلسي ومن اراد من الامراء ان يكون مساعدًا لها فلا يتاخر لعلمي ان الجميع يسرون من خدمة زفاف اميرهم وفارسهم واذ ذاك تقدم عمر العيار وقال اني لا اريد ولا اوافق على زواج اخي حمزة ولا ارغب فيهِ الان . فقال حمزة اني اعرف غايتك وامتناعك لاي سبب هو ولا بد بعد زمان ان يصبح مال العرب باجمعهِ عند جماعتك العيارين فتاخذ اموال السادات وتدفعها للعبيد . قال نعم كل واحد يسأل عن مخصصيهِ ورجالهِ وجماعتي مساكين يخدمونني بجد واجتهاد ولم اكافئهم حتى اليوم . فامر الملك النعمان ان يدفع الى عمر من كل شخص خمسمائة دينار وان يقدم لجماعتهِ ما يكفيهم من الخمور والنوق والاغنام لتكون لهم في ايام العرس فعل ودفع حمزة لعمر ثلاثة الاف دينار لهُ ولقومهِ العيارين وقال لهُ هذه مقابل اكرامي لهم في مثل هذا الزفاف فكاد عمر يطير فرحًا وماصدق ان قبض الاموال حتى دعى بجماعتهِ وسار امامهم وساروا من خلفهِ كسرب القطا حتى جاء اكمة ونثرها عليهم حسب عادتهِ وهم يلتقطونها حتى فرغ وبعد ذلك قال لهم اعلموا ايها العبيد ان في الغد يبتدئ عرس حمزة فامسكوا واشربوا وغنوا وارقصوا وافعلوا كل ما تريدون من اسباب الحظ والمسرات والافراح والتهاني فصفقوا وقالوا انا الى مثل هذا الامر ننتظر وعادوا جميعًا

قال ثم ان الامير حمزة امر في الحال ان يقدم اليهِ فرمزتاج بن كسرى فاتى بهِ وحالما دخل الى الصيوان نهض حمزة واقفًا وتقدم اليهِ وفك وثاقهُ بيدهِ وقال لهُ لم يهن عليَّ ايها الملك العظيم ان تهان ويصل اليك الاذى وانت ابن كسرى انوشروان واخو هرمز كار وانا نحن العرب وان تكن الحرب بيننا وبينكم قائمة وقد فزنا عليكم وفي وسعنا ان نبيد دولتكم لكننا لا نزال نعتبركم حق اعتباركم ونعرف مقامكم فهو مقدم على كل مقام ولو ترك ابوك مودتنا وعاد الى صالح نفسهِ لما عمل على عداوتنا بعد ان خدمتهُ حق الخدمة وخلصت لهُ بلادهُ من عدوين خارجين فقال لهُ فرمزتاج لعنت النار بختك الف لعنة ولعنت روح ابيك بختك التعس نهو جرثومة الشر ولولاهُ لما كانت كل هذه العداوة بل كان ابي بخير ونعمة وكنت بدافعهِ وتلافيهِ . ثم ان حمزة اجلس فرمزتاج بمكان مرتفع على الجميع وامر ان يقدم اليهِ كل اكرام واحتفال وعظم شانهُ . ثم قال لهُ اخيرًا اني كنت احب ان ارسلك من هذه الساعة الى المداين باحتفال وتعظيم غير اني اريد ان تشاركنا بزفاف اختك وتفرح معنا ومن ثم تسير فتخبر اباك بذلك عساهُ يرجع

من السعي في خرابهِ وهلاك قومهِ ويعرف ايضاً زوبين الغدار ان املهُ قد انقطع وان التي يعلق آمالهُ بزواجها قد تزوجها من هو احق بها . فشكرهُ فرمزتاج وكان يظن قبل ذلك ان حمزة لا يبقي عليهِ ولا بد ان يقتلهُ جزاء لابيهِ وكيداً لهُ فصادف خلاف ما افتكر وملئ قلبهُ فرحاً وسروراً . واقام مع العرب الى المساء وفي المساء ذهب بهِ الى صيوان مهردكار ولما راتهُ بكت فرحاً بهِ وقبلتهُ وسرت بعمل حمزة وشكرتهُ مزيد الشكر . وقالت لهُ اني لا اقدر ان اكافيك ياسيدي على مثل هذه النعمة العظيمة . فقد عاملتني معاملة الحنو والرفق بحيث شفقت على اخي واكرمتهُ وما اهنتهُ . قال اني اعرف قدر ملوك العجم واحترمهم مهما عملوا بي وانا عرف اني اقدر على كيدهم وقهرهم ولكن لا سمح الله ان اكون انا البادئ بالشر واني حتى الساعة اذا سلمني ابوك بختك سرت اليهِ بنفسي وقدمت لهُ طاعتي وخدمتهُ كان ما صدر منهُ مكروه بحقي وضدي . فقال فرمزتاج لاخته اني اراك مصيبة بحبك لحمزة فهو رجل من اكرم الناس وارقهم مع انهُ من اشد الفرسان واشجعهم وانا منذ هذه الساعة احاصم كل من يخاصمهُ واحب كل من يحبهُ ولا سيما حيث عاملني هذه المعاملة وما كنت اظن قبل الان الاَّ بالموت والهلاك والقتل حتى سمح لي الله ان احضر زفافهُ في هذه الايام وفي هذه البلاد

وكانت مهردكار مسرورة جداً بعمل اخيها وبالاتفاق الذي رأتهُ بين الامير وبينهُ وهي لا تعرف من نفسها بماذا تكافي الامير على معاملتهِ اخيها تلك المعاملة ومحبتهِ لهُ واملت ذاتها انهُ ربما ينتهي الخصام بين العرب والعجم اذا رجع فرمزتاج الى ابيهِ واخبرهُ بما عملهُ معهُ وتاملهُ بهِ حمزة . وبعد ان ذهب الامير الى مبيتهِ رقدت هي على مثل هذه الافكار وقد نام اخوها بسرير اعد لهُ وهي جالسة تفكر فيما ستلاقي في هذا الزفاف وما يكون لها مع الامير من الراحة والرفاهية وتنظر في كل مستقبلها بنظر السعادة والاقبال كانها كانت تريد ان تدفن الماضي في تلك الساعة وتطلب ان تنسى كل ما وقع عليها ولم يخطر لها قط ان الزمان كثير الغدر وان ما املتهُ من ان بزفافها تكون نهاية مصائبها بل ان بهذا الزفاف تزيد اكدارها ومصائبها ويكثر من حولها الاكدار والاهوال لان حول ابيها رجال المكر والكيد فلا يدعون بالهُ يهدأ او ينزل عن بغضهِ ويرجع عن عنادهِ بل كل ما طالت الايام يطيل اصرارهُ على الانتقام من العرب . وما برحت نحواً من ساعة تفكر في مثل هذه الامور وهي تارة ترتاع من زواجها هذا كيف سيكون بعيداً عن بلادها واهلها وليس عندها من نساء قومها او قوم الامير حمزة من تتسلى بهِ او يصلح شانها وليس عندها الاَّ البنات اللاتي سيكون نصيبهن مثل نصيبها ان كل واحدة ستشرب الكاس التي ستشربها هي وطوراً تتسلى من نفسها بنفسها وتقول في ذاتها يكفاني ان يقال باني صرت زوجة لحمزة العرب مهما كان دون ذلك من العذاب والمشاق والوحدة والانفراد واني ساكون

سعيدة بالقرب منهُ واني ساقوم بشان نفسي وما هي الاَّ مدة ايام قليلة تنقضي وبعد ذلك اصبح زوجة شرعية ويكون لي ولمن احبهُ قلبي ما يكون من روابط الزوجين غير اني لا ريب ساكون من افرح عباد الله منذ هذه الساعة وكل ما كنت اتمناهُ سالاقيهِ وانا لهُ بالرغم عن كل حاسد وعدو فقد خلا لنا الجو ولم يبقَ بيننا الان من يكدر عيشنا ويمنع قراننا فبشراك ياقلبي بشراك ستنضم في ليالٍ قليلة الى من احببت وتنتهي بذلك احزانك وتبدا ايام سعودك لا تضطرب ولا ترتع عند ذكر الماضي فكل ما مضى لا يحسب بشيء في جنب ساعة واحدة من الساعات والايام والشهور والسنين التي اعدت لك من حبيبك وصفيك ثم جعل السرور يطفح على فوادها ويزيد سرورها وتردد ناشدة

لا بلغ الحاسد ما تمنى   فقد قضى وجداً ومات منا
ولا اراهُ الله ما يرو   مهُ فينا ولا بلغ سوءا عنا
اراد برمي بيننا لبيننا   فجاء في القول بما اردنا
ابلغكم اني انجدت حبكم   اصاب في اللفظ واخطأ في المعنى
ظن حبيبي راضياً بسعيهِ   فشن غارات الاذى وسنا
فمذ راى حبي اليَّ محسناً   اساءني فعلاً وساء ظناً
يا من غدا للبدرين ثالثاً   وثانيَ الغصن اذا تثنى
ومن سالنا منهُ منا بالمنى   فمنَّ بالوصل منا ومنا
اشمتني بالضد بعد شدة   ومن تعنى بالهوى تهنا
فعد بوصل واغتنم طيب الشذا   فان ذا يبقى وذاك يفنى

وهي تدفع بكل قواها الفكرية والفوادية ثقل ذاك الليل الطويل وتتمنى انقراضهُ ومحوهُ وهي قليلة الصبر الى ملاقاة اليوم القادم اي اليوم الذي سيبتدى بهِ الفرح. وتسمع بين تلك الجموع المتنوعة اصوات الافراح والتهاليل بداعي زفافها على من احبتهُ وهي تتصور بهاءهُ وحسن طلعتهِ وكيف سيكون مشرقاً وضاحاً بين قومهِ ومكللاً باكاليل البهاء والسناء ولا يكون نظيرهُ احد فينار جميع من يقرب منهُ من شروق شمس جمالهِ وكان لسان حالهِ يقول

الوجد منك عن الصواب يضلني   واذا ضللت فانهُ يهديني
وتميتني الالحاظ منك بنظرةٍ   واذا اردت بنظرةٍ تحييني
وكذاك من مرض الجفون بليتي   واذا مرضت فانها تشفيني
فلذاك اشري الوصل منك بمهجتي   وابيع دنيائي بذاك وديني

وصرفت كل ليلها على مثل هذه الحالة تفكر فيما تقدم وفيما تكون فيهِ في اليوم الثاني. والذي بعدهُ في

مدة الزفاف ولا ترى كيف نظرت وكيف رات باعين افكارها الآن جمال من احبت يجلي سوداء قلبها ويسهل عليها كل صعب ويعدها بسعادة دائمة وراحة منتظرة

ولم تكن سلوى اخت المعتدي حامي السواحل اقل منها شوقًا الى ملاقاة الامير وطلب سرعة الزواج والوصول اليه وهي بنفس الافكار التي كانت عليها مهردكار غير انها كانت تزيدها بفكر كان لا يخطر لتلك وهو كيف سيكون لها في من تحبهُ ويكون زوجًا لها مشاركًا وقرينًا وكانت تتكدر من وجود مهردكار وكم كانت تحسب نفسها سعيدة لو لم تكن مهردكار محبوبة من الامير وحق لهذه ان تحسد تلك وتتكدر منها لان مهردكار كانت موكدة انهُ لو وجد للامير الف زوجة لا يفضل واحدة عليها وسيقدمها على الجميع ويخصص لها اكثر اوقاتهِ ولهذا كانت لا تتكدر من سلوى ولا تفتكر انها ستزاحمها بحبيبها نعم انها ستكون زوجتهُ لكن قلبهُ لا يكون لها بل يبقى في يدها بخلاف سلوى التي كانت تعلم انها ستلاقي بعد زواج الامير بها برودًا وفتورًا منهُ مهما كان بينها وبينهُ من الحب والمودة وقد مرّ عليها كثير من البراهين الدالة على ذلك حيث ان الامير كان يمضي بعض ايام لا ياتي لزيارتها مع انهُ كان لا يطيق تمضية ليلة واحدة لا يزور فيها مهردكار ولا يقدر على النوم دون ان ياتي صيوانها يراها وتراهُ ويسامرها فضلاً عن ان آكلهُ وشربهُ على الدوام عندها وبقربها . وكانت لا تعرف كيف يكون حالها مع مهردكار وهل تقدر تحولهُ عنها اذا اصبح زوجها واصرّت بفكرها اخيرًا انها ان كانت مكرمة عندهُ بعد زواجها مثل مهردكار وعاملها معاملة واحدة بقيت عندهُ والاَّ سالتهُ ان يرسلها الى مكة الى ابيهِ تقيم هناك

واما درة الصدف وذات الجمال محبوبتا الامير معقل البهلوان فان كل واحدة منها كانت تهتم بنفسها وتفتكر بامرها وتدبير احوالها واصلاح شانها غير ان درة الصدف كانت اكثر اهتمامًا واعظم سعيًا ونظرًا باحتياجها لانها كانت غريبة وليس امامها احد من اهلها ليساعدها في مثل هذا الزفاف بخلاف ذات الجمال فانها في بلادها وكل ما ستحتاجهُ يصل اليها ولا بد من ان تاتيها نساء قومها . والحاصل ان كل فتاة من تلك الفتيات كانت قلقة في ذاك الليل ولم ياخذها نوم لعظم تراكم الافكار شأن كل فتاة في ليلة زفافها أو قبلها بليلة ولا سيما اذا كان الرجل المزمعة ان تقترن بهِ محبوبًا عندها ومعظمًا في اعينها

ونهض رجال العرب في صباح ذاك اليوم نهوض المهتم بالافراح واجتمع الامراء والسادات الى صيوان الملك النعمان فجيءَ لهم بالطعام والشراب فشربوا وخمروا وطربوا كل ذاك النهار وكذلك باقي الانفار فانهم انقسموا الى فرق وجماعات وكل فرقة عندها من اسباب الحظ ما يكفيها ويرضيها فكان الفرح سائدًا في كل الجهات وقد عم الكبير والصغير والملك والامير

وكان عمر العيار يطوف فيما بينهم يراقب احوالهم وينظر في من كان منسيًا فياتيهِ بالاغنام والمدام وباقي الاسباب وقد قدم لجماعتهِ العيارين كل ما يلزم لهم ليكونوا افرح اهل الحلة واكثرهم سرورًا وطربًا وحبورًا وعلى هذا فكانت اصوات الطبول والزمور والموسيقات تضرب في كل ناحية من المعسكر والرقص وتصفيق الايدي عامل في كل فرقة حتى كان المساء فوقع الجميع سكارى وناموا الى ثاني الايام فعادوا الى ما كانوا عليهِ مدة سبعة ايام و في اليوم الثامن اجتمع الفرسان والابطال ونصبوا ميدانًا في وسط الساحة وركب كل ذي ساعد قوي من بطل وشجاع واخذوا في لعب الجريد وضرب الرماح وقد جردوها من الاسنة واظهر كل واحد بسالتهُ واقدامهُ وشجاعتهُ فتنوعوا بفنون الحرب وانواع الطعن والضرب وركب الخيل والغارات حتى كان ذاك اليوم يوم القيامة وكان اندهوق ينازل المعتدي حامي السواحل وهما بمنزلة واحدة لا يزيد الواحد عن الاخر مقدار ذرة فتعجب منهما الكبير والصغير كل هذا وحمزة راكب على جوادهِ اليقظان كانهُ من ملوك بني حمير او فراعنة مصر تحيط بهِ الخدم والعبيد والسادات والملوك وصرفوا على مثل هذه الحال مدة خمسة ايام حتى كل اكثر الفرسان ومع ذلك فهم بسرور زائد وفرح لا يوصف الى ان صدر امر الامير حمزة بترك القتال وفي اليوم السادس اي اليوم الثالث عشر نصب الامير عمر صيوان اليون شاه ملك جبال قاف الذي جاء بهِ كندك المارد من اسما بري في وسط القبيلة ونصب عند بابهِ علم كسرى المعروف ببيكار الاشتهار وهو يلوح ويخفق وعلى راسهِ بيضة تتوقد من الماس لا تقدر النواظر تحدق بها مقامة على عامود من الذهب الاصفر مصقول من راسهِ الى اسفلهِ ومنقوش بالنقوش البديعة الصنعة وفي مقدار كل قيراطين بقعة من الترصيع تجمع كثيرًا من الحجارة الكريمة كل واحدة بلون واحد من اخضر واحمر وزمردي وابيض وغير ذلك وعلى ارتفاع ذراع من الارض معلق ببيكار الاشتهار سرير من الذهب عليهِ افرشة من الحرير محشوة بالقطن الناعم كان يجلس عليها كسرى في وقت الافراح وفي اخر ذاك العلم اربعة قوائم من الذهب كانت تحمل بها رجال كسرى وحجابهُ عندما كان يسير ويجلس على السرير او كان في وقت الحرب وقد طلب الانهزام خوفًا من ان ينفرد بنفسهِ فيعلم قومهُ انهُ تحت بيكار الاشتهار فيسيران من حواليهِ الى ان يتخلصوا من العدو . فكان ذاك الصيوان وذاك العلم بهجة للناظرين تاتي قبائل العرب وطوائفها للفرجة عليها

ولم يكن الا القليل حتى جاء حمزة بثياب الملك سليمان المرصعة بالجواهر واليواقيت وقد تقدم الكلام عنها في محلهِ وجلس على كرسيهِ في الصدر ومن ثم دخل الصيوان الملوك والفرسان وجلسوا في مواضعهم وكل واحد منهم بالزينة الفاخرة والاثواب البهجة فاصبح ذاك الصيوان يعج بالزين ويضج بالفرسان ولما تم اجتماع الامراء وانتظموا طلب الملك النعمان قاضي العرب

الذي كان في قومه ان يعقد للامير حمزة على عروسيه مهردكار وسلوى ولمعقل البهلوان على عروسيه درة الصدف وذات الجمال ففعل وشهد كل الحضور قبول المتعاقدين والمتعاقدات ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح . ثم بعد ذلك تقدم الملك النجاشي من الامير حمزة وهناه بهذا الزفاف السعيد وقال اني اشكر عناية المولى سبحانه وتعالى الذي سهل لي ان اقاتل بين يديك اهل الكفر والطغيان وسهل لي ان احضر زفافك واشاهد فرحك واقاسمك به وافرح لفرحك فزاد الله عظمتك وجعل كل ايامك مقرونة بالفرح والسعادة والاقبال . ثم انشد وقال

تبسم ثغر الافق عن شنب الفجر ... فهيج اشواقي الى العس الثغر
وشقت جلابيب الشقيق يد الصبا ... كما مزقت جيب الرياض يد النهر
وناحت على العيدان هاتفة الضحى ... فجالت عيون الطل في انجم الزهر
وغضت عيون النرجس الغض عندما ... تبسم ثغر الزهر عن حبب القطر
وابدت نهود الجلنار اشعة ... مركبة في سندس اوراقه الخضر
لدى روضة ابدت سماء زمردٍ ... عليها نجوم قد طلعن من التبر
وحيث الدجى ولى بادهم ليله ... وقد جد الى ادراكها اشهب الفجر
وحيث تولى بعده القلب خافقاً ... كود كئيب غاله حادث الدهر
وحيث السهى قد رق من عظم شوقه ... لرؤية بدر التم في رابع العشر
وحيث سهيل مقتفٍ اثر زهرة ... كحادٍ سوق قد اظل على قفر
وحيث ترى الجوزاء في افق غربها ... وشاح لجين قد ادير على خصر
وحيث ترى الاكليل في مفرق الضحى ... كمائم ورد كللت اوجه النسر
اجل ملوك الارض جداً ووالداً ... وحسبك آباء خضارمة الجبر
تملك رق الجود واستخدم الغنا ... فلم يبق عانٍ يشتكي الم الفقر
بنيل محبيه ويغني عداته ... فياتي على الحالين بالنجح والصبر
لطيف المعاني كامل الحسن والبها ... حليف المعالي طاهر السر والجهر
فما الصبح الا ما ابان من الرضى ... وما الليل الا ما اراك من الهجر
وان رام مداح الثنا وصف مدحه ... فاوصافه تملي والاقلام تجري
معاليه لا تحصى لفرط اعتلائه ... كذاك معانيه تجل من الحصر
من القوم حلوا كل آفاق دولةٍ ... فهم في سماء العز كالانجم الزهر
سراة المعالي زهر افاق سعدها ... جبابرة الهيجا اكاسرة الدهر

فحبك يا فرع المكارم والعلا   اصول زكت في روضة المجد والفخر
اهنيك بالافراح ياركن عزها   وقهر عدوّ الله طاغية الكفر
بقيت بقاء الدهر فينا اذ انقضت   اواخر عصر عاودت مبتدا عصر
ولا زلت ذا فعل جميل مصدق   بقول مطاع النهى ممتثل الامر

وبعد ان فرغ الملك النجاشي من شعره مدحة الامير حمزة وشكر من حبه وغيرته واثنى عليه مزيد الثناء . وبعد ان جلس في مكانه تقدم بعدهُ عمر الاندلسي وبعد ان ادى ما هو واجب عليه من فروض الهناء انشد فقال

لا زال سعدك دائمًا   ونحور ضدك داميه
وعدو ملكك هائمًا   وسحاب جودك هاميه
وحسود فضلك سائمًا   وسعود مجدك ساميه
والنصر حولك حائمًا   وصدور ضدك حاميه
مولاي ان اكُ شائمًا   تلك البروق الساميه
اغدو لجدك راميًا   ويد النوى لي راميه

ثم ابدى بعدهُ الملك النعمان الهناء للامير حمزة واظهر سرورهُ وافراحهُ بنوال غايته وانشد فقال

بنيت العلا قبل هذا البناء   لذلك اضحى محل الهناء
رحيب الفناء رفيع البناء   مشيد الثناء عزيز السناء
فاصبح وهو مقيل الضيوف   عرين الاسود كناس الظباء
فلا زلت تلبس فيه الغنى   وتسمع فيه لذيذ الغناء

وبعد ذلك تقدم اندهوق بن سعدون من الامير وقبلهُ وازرف دموع الفرح وقال اني لمثل هذا اليوم السعيد كنت اشتهي واريد حتى منّ الله عليّ به واوصلني اليه ولذلك فانا الان من افرح عباد الله اشكرهُ على مثل هذه النعمة التي لا تعد ولا تحصى فساعة من ساعات هذا النهار كافية لان تنسينا كل ما مضى علينا من المصائب والاهوال والغربة والمشاق ومحاربة الاعداء . ثم انهُ انشد

يا زهر روض يقتطف   وهلال تم في سدف
اشرب هنيئًا فالطلا   احلا شراب يرتشف
وانشق ازاهر روضة   خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنايا غادة   حوت الملاحة والطرف

واطع نصيحك في الهوى ودع التحمل والكلف
يا من علا اعلى شرف اذ حاز بالنسب الشرف
اصبحت منهاج الهدا ونهجت منهج من سلف
اوضحت شاكلة الصوا ب فكنت عن سلف خلف
وطلعت في افق الزما ن طلوع نجم في سدف
لو لم تكن روضًا لما ابديت زهرًا يقتطف
يا بدر مجدٍ قد اضا وسحاب جود قد وكف
لا زلت تبقى جامعًا جمل المحاسن والظرف
ولقيت اسباب الهنا ووقيت دائرة التلف
ما مد زاخر راجزٍ وابان درًّا في صدف

فشكر الامير حمزة من محبة اندهوق واثنى عليهِ مزيد الثناء لعظم ما ابداهُ نحوهُ من الشعور والاحساسات الصادقة التي لم تكن وقعت بين اخوين او صديقين قبلهما . ثم جلس اندهوق في كرسيهِ فتقدم بعدهُ المعتدي حامي السواحل وقبل الامير واظهر مزيد سروره وفرحه بزفافهِ وشعورًا بذلك انشد

آلى الزمان عليهِ ان يواليكا يثني عليك ولا ياتي بثانيكا
فان سطا فباحكام تنفذها وان سخا فبفضل من مساعيكا
ليهن ذا العرس حظ منهُ حين غدت علاهُ ثم حلاهُ من اياديكا
مجملاً باياد منك فائقة معطرًا بغوالٍ من غواليكا
واني يهني بك الدنيا ونحن بهِ يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من يضاهيك فيما حزت من شرف ومن يدانيك في حكم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهي قاصرة عن بعض ايسر شيء من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجدٍ فمن علياك مكتسبٌ وكل فخر نراهُ من حواشيكا
وما حكى السلف الماضي وحدثنا بهِ من الفضل بعض من معاليكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة ويحسد الفلك الاعلى معانيكا

ثم بعد ان جلس المعتدي حامي السواحل نهض قاهر الخيل وهنأ الامير واظهر فرحهُ وسرورهُ واشار مادحًا

يا ابن الاماجد انت من اي الافاضل وابن من
كذب الذي حسب الزما ن اني بمثلكم وظن
ايقاس ما غرس العلا يوماً بخضرائه الدمن
والآل بالغيث المغيـ ث اذا توالى او هتن
والمجد سار الى جنا بك من ابيك على سنن
وبك المناصب فخرها دون الورى من قبل ان
فاليك مني روضة بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطير بي الرجا ء الى حماك مدى الزمن
وبذرت لي حب المنا ونصبت لي شرك المنن
وملكت رق مدائحي بالخلق والخلق الحسن

وما برحت الفرسان واحداً بعد واحد تهني الامير وتمدحهُ حتى فرغ الجميع وانقضى النهار وجاء الليل وصرفت السهرة على مثل ذلك ومن ثم جاء الامير حمزة صيوان مهردكار فوجدهُ مزيناً بالزين الفاخرة ومكللاً بالزهور الزكية الرائحة البهية الالوان وروائح العطر والند تنبعث منهُ ونظر الى مهردكار فوجدها كانها البدر في رابعة النهار وقد برزت بحلة مزركشة نظيفة ووضعت على راسها اكليل من الزهور البيضاء يتخللها بعض زهرات حمراء وزرقاء ومنثورية وافرغت عليها ايضاً كل حلاها وجواهرها التي جاءت فيها من بيت ابيها حين خروجها مع اندهوق بن سعدون حتى خيل لهُ انها من ابدع حوريات الجنان قد جاءت اليهِ نعمة من ربهِ ولما رائهُ وكانت بانتظارهِ وقفت اكراماً لهُ وتقدمت منهُ وقبلت يديهِ فقبلها في خدها وكان بشوق زائد الى قتل هيامهِ وغرامهِ وما لاقى من شدة الفراق والوله في السنين الماضية فتناولها وصرف ليلة على الحظ والراحة والهناء والمسرة يقوم ويقعد ويسكر ويخمر وهي تبدي لهُ كل ما في وسعها لسرورهِ وانشراح صدره غائبة عن الصواب لعظم ما نالها من المسرات لا تصدق انها في نفس تلك الليلة ولا تصدق ان الامير قد قرب منها واصبح زوجها شرعاً وفعلاً وصارت منذ ذلك الحين امرائهُ المعروفة عند الخاص والعام وما برحا على مثل تلك الحالة حتى اغاظتهما مفاجئة الصباح وكدرتهما وحلة الليل الذي كان عليهما اقصر من شبر النملة . وحينئذٍ نهض الامير الى ثيابهِ فلبسها وتزين وخرج بعد ان وعد مهردكار الى العودة في غير ليلة وجاء الى صيوانهِ فوجد امراء العرب وملوكها بانتظارهِ فترحبوا بهِ وهنوهُ بما لاقى وبانقضاء اشواقهِ . ومهردكار تحبل من الامير بولد ذكر يدعى اسمهُ قباط ويكون سلطان العرب وحكماً فيهم وفي نفس تلك الليلة دخل الامير معقل ايضاً بدرة الصدف ولاقى كل ما يسرهُ وخرج مسروراً منشرح الصدر فهناه

الامراء والاعيان

قال وصرف العرب ذاك اليوم بالفرح والمسرة والهناء والغناء وقد ذبحوا الاغنام والنوق وفرقوها على عموم الرعية واطعموا الفقراء والمساكين وما بقي طرحوها في الفلاة لتاتي وحوش البر وطيور السماء تشبع ويمتلئ بطنها فتدعو لصاحب هذه الوليمة وتشكره وتهنيه بزفافه وتعلم انه تزوج بمهردكار وعند انصراف السهرة ذهب الامير معقل الى صيوان ذات الجمال ودخل بها وصرف ليلة بالمسرة والانشراح ومعقل البهلوان هذا لم ياتِهِ ولد ذكر قط لا من ذات الجمال ولا من درة الصدف . وجاء الامير حمزة في نفس تلك الليلة الى صيوان الاميرة سلوى فكان مزينًا بكل زينة فاخرة ولم يكن اقل بهاء من صيوان مهردكار فلاقته وترحبت به وقبلت يديهِ وابدت لهُ كل مؤانسة وملاطفة واستئناس وجلست واياهُ على صفرة المدام الى ان لعبت الخمرة براسيهما فنهضا الى المنام وقد تقدم معنا ان الاميرة سلوى كانت باعلى درجة من الجمال والاقدام فسلمت بنفسها الى الامير وكان حظها منهُ في تلك الليلة نفس حظ مهردكار الى ان اشرق الصباح فخرج الى الصيوان العام وكان ذاك اليوم هو الاخير من ايام الافراح فبعد التهنية والثناء على الامير ختم العرب افراحهم بالصلاة والشكر لله على توفيقهم ونجاحهم وعلى ما اولاهم من الفوز والنصر والتوفيق ودعوا لاميرهم بالبقاء وطول العمر ودوام السعادة والاقبال وبقي العرب عدة ايام بعد ذلك في تلك الارض والامير يصرف اكثر وقته عند مهردكار وهو لا يمتلئ من حسنها ولا يفتر عن اشتداد غرامهِ وكانت هي ترى من نفسها انها في مجرى السعادة والاقبال وان العذاب والمشاق قد انقضى ولم يعد اليها الدهر بما تكرهه ولا ترغب فيهِ وقد غاب عنها ان الدهر كثير الغدر ان اضحك يومًا ابكى ايامًا وان اذاقها ساعة حلاوة عيشة اشبعها سنين مرارات غدر وكيد فما كانت تلك الايام الا وسيلة عذاب تتذكرها عند اشتداد احزانها ومصائبها وتتمنى بحرق رجوعها وتندم على فواتها ولتقيس بينها وبين ما تلاقي في زمنها الآتي اذ ما من وسيلة لرجوع السلام بين ابيها وبعلها

واما الاميرة سلوى فانها كانت تصرف كل عنايتها وجهدها لتجعل الامير ينصف بينها وبين مهردكار فلم تنتفع من ذلك ولا قدرت عليهِ لان الامير لم يكن ظالمًا غير ان قلبهُ كان مولعًا كل الولوع ببنت كسرى وما صدق ان نال مراده منها وصارت زوجتهُ فكان لا ياتي سلوى الا في الاسبوع مرة او في كل اسبوعين مرة وهي صابرة عليهِ مؤملة بان هذا الحب لابد ان يقل من جهة مهردكار ويضعف فيعاملها مثلها غير انها كانت في الاخير تراه قد اشتد وكثر وعظم وفتر من جهتها وبرد فاغاظها ذلك ورات نفسها انها حامل ففرحت واقسمت انها تفارق الامير والعرب وتذهب الى مكة فتلد هناك ولهذا عندما زارها الامير وجدها قد هيأت ملابسها

وكل أحتياجاتها فتعجب منها وقال لها لما ذلك قالت اني اريد ان اذهب الى مكة المطهرة الى امك وابيك وانتظر هناك قدومك وانا بانتظارك لاسالك ان تبعثني الى هناك قال هذا لا يمكن ولا اريد ان تفارقيني قالت اني وطدت العزم ونويت كل النية فاذا شئت ان ترحمني ولا تظلمني لا تمنعني من غايتي والا فاني اموت في الحال فلا خير في البقاء فجعل يتلطف بها ويعدها بكل خير وهي لا تقبل ولا ترضى ان ترجع عن عزمها . وفي الصباح اخبر اخاها بذلك وساله ان يترضاها ويسالها البقاء بين العرب فذهب اليها واخبرها بما طلبه الامير فابت وقالت اني لا اطيق البقاء واريد من كل قلبي ونيتي ان اذهب الى الحجاز واقسمت الاقسام العظيمة اني لابد ان اسافر او اموت . ولما راى الامير ان لا بد من مبارحتها ومسيرها الى مكة دعا بالامير عقيل وطلب اليه ان يسير الى مكة المطهرة مع الامير سلوى وان يصحب معه كل ما يحتاجه من المؤن والخدم والرفاق ودفع اليه كل شيء ثم ان الامير ودع سلوى وبكى لفراقها وخرج مع اخيها وباقي الاعيان لوداعها مدة يوم كامل وعاد حزيناً على بعدها لانها زوجته واخت اكبر فرسان قومه ومساعده في ضيقاته وشداته . وبعد ان رجع دعا بفرمزتاج اخا مهردكار وقال له انت مخير الان بالبقاء عندنا وبالذهاب الى بلاد ابيك فاختر لنفسك ما يحلو . قال اريد ان تسمح لي بالذهاب الى بلادي لاخبر ابي بما فعلت معي من الجميل واريد ان اكون واسطة صلح بينك وبينه عسى ان الصدف تساعدني فاكيد بختك وافوز بالمطلوب . فاجاب الامير حمزة طلبه وجهزه بموكب عظيم من خدم وعبيد ومواشٍ ونوق يستعين بها في سفره وخرج مع سائر ملوك العرب وفرسانهم لوداعه وودعته اخته وبكت لفراقه وبكى لفراقها وسالته ان يجهد نفسه الى مصالحة العرب والعجم

قال وصرف العرب مدة ستة اشهر في طنجه الغرب بعد تفريق جيش كسرى وارتياح ضمائرهم وهم براحة واطمئنان . وبعد ذلك اجتمع العرب باجمعهم في صيوان الملك النعمان وتفاوضوا فيما يفعلون اذ ليس من الصواب ان يبقوا في تلك الارض وان من الضرورة ان يعرفوا غاية كسرى وماذا يقصد وهم مؤكدون انه بعد هذه الكسرة لا يسكت ولا بد من العود ثانياً الى القتال او استعمال وسائط اخر لاذلالهم وكيدهم فقال الامير عمران من رأيي الذهاب من هنا الى مدينة حلب فنقيم هناك ونستخبر عن العجم وملكهم ونعرف هل في نيتهم القتال او الصلح والسلام . فاجاب الجميع هذا الطلب وراوه عين الصواب وعليه صدر امر الامير حمزة بالاستعداد للركوب والمسير عن تلك البلاد ليروا ما كان من امر عدوهم . فاهتم العرب بالرحيل واستعد كل واحد الى السفر حتى كان صباح يوم ركب الامير حمزة على جواده اليقظان وتقدم في اول الفرسان وركب من بعده كل فارس وبطل وركب النجاشي برجاله الحبشة وعمر

الاندلسي بابطالهِ الاندلسيين ورحلوا عن تلك الارض وبارحوها بعد ان اقاموا بها عدة سنين وقد ملأوا السهل والجبل ومواشيهم ونوقهم وانعامهم تكاد لا تحصى كلها من اموال كسرى انوشروان وما نهبوا وسلبوا منهُ وداموا على مسيرهم مدة ايام وشهور حتى وصلوا من مدينة حلب وتبينوا اسوارها فبعثوا برسول الى نصير حاكم المدينة فسرَّ جدًّا بقدومهم وكذلك اهل البلد لانهم كانوا من الطمع على جانب عظيم يحبون الارباح فيكسبون من العرب الاموال عند حلولهم عندهم

ثم ان نصيرًا خرج برجالهِ واعيانهِ الى ملاقاة الامير حمزة وقومهِ ولما التقى بهم ترجل وترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ثم ساروا حتى وصلوا من ضواحي المدينة فضربوا خيامهم وتفرقوا من حواليها كل فرقة في ناحية . وبعد ان اقاموا مدة ثلاثة ايام دعت العرب بنصير الحلبي وقالوا لهُ نريد ان نعرف ماذا جرى على كسرى وهل عندك طرف من اخباره . قال ان اخباره كانت قد انقطعت عنا ولم نعد نسمع عنهُ شيئًا مدة طويلة غير ان بعض المسافرين في هذه الايام الاخيرة اخبر انهُ راى عساكر قد جاءت الى مدينة المدائن ونزلت حواليها ولا اعرف غير ذلك . فقال حمزة ان كشف اخبار العجم لا بد منهُ ولا يقدر على ذلك الا عمر العيار فقد يمكنهُ الذهاب وكشف الاخبار دون ان يطلع على امره احد ثم امرهُ بالمسير الى بلاد كسرى واوصاهُ بان يقبل عنهُ ايادي بزرجمهر ويستشيره في كل اعمالهم . فاجاب وفي الحال غير ملابسهُ وتزيا بزي الاعجام وانطلق في بر الله الاقفر مدة ايام وليالٍ حتى وصل الى المدائن فراى العساكر مجتمعة هناك وقد سدت الفضاء شرقًا وغربًا جنوبًا وشمالاً فثبت عندهُ ان كسرى لا يزال على عناده فتخلل الجيوش وهو يتدرج عليها حتى جاء ابواب المدينة ودخل منها فلم يعرفهُ احد ثم جاء الايوان ووقف بين الحجاب يراقب اعمال كسرى وقد لاحت منهُ التفاتة الى الداخل فراى كسرى كعادتهِ جالسًا في صدر الايوان وحولهُ وزراءهُ واعيانهُ وراى رجلاً عظيمًا عن يمين الملك يقاربهُ بالعظمة والجلال وهو لابس ملابس الملوك الكبار اصحاب التيجان والصولجان وعن يسار كسرى ايضًا غلامًا امرد الوجه ابيضهُ لا نبات بعارضيهِ وعليهِ ملابس كبار الفرس وكسرى يقدم لهما الاكرام والاحترام . فقال في نفسهِ لابد ان يكون من عظماء الفرس وقد دعاهما لمعونتهِ وصبر الى المساء ليسال من بزرجمهر عنهما وما صدق ان اقبل المساء وارفض المجلس وذهب كل واحد في ناحية فسار عمر في اثر بزرجمهر الى ان دخل قصرهُ فقرب منهُ وحياهُ وقبل يديهِ فعرفهُ وفرح بهِ وسالهُ عن اخيهِ والعرب فقال لهُ هم بخير وقد جاءوا الى مدينة حلب يراقبون اعمال كسرى وقد بعث بي الامير حمزة اليك لاستشيرك في امر القتال ولاقف منك على حال الاعجام وما كان من امرهم وماذا يقصدون ان يعملوا . قال ان كسرى

بعد ان انهزم من امام وجه العرب جاء سبنير مدينة الاكاسرة التي اصلهم منها فاقام هناك مريضاً ستة اشهر ولما شفي وعادت اليهِ صحتهُ جاء المدائن وهو مكدر مغتاظ من عظم ما لحق بهِ وبختك يزيد في غيظهِ ويعظم في وجههِ ذنبكم وفي ذلك الوقت وصل اليهِ ابنهُ فرمزتاج واخبره بما كان من امر زواج اخيك بهردكار وعرسهِ فزاد هذا من غيظ كسرى ولم يسمع لنصيحة ابنهِ الذي سالهُ ان يترضى العرب ويحصم النزاع بينهما بل سمع الى بختك حيث قال لهُ على ما يظهر ان العرب ينوون خلع ملكك وخراب بلادك وربما موتك ولو كانوا كما يزعم فرمزتاج لما هجموا على صيوانك واخذوا بيكار الاشتهار وهو العلم الفارسي الذي من ملكة ملك العجم وكان حاكمها وعلى هذا فيكون في نية حمزة ان يجلس على كرسيك اما في حياتك واما بعد موتك حيث ان نسبهُ قد اتصل بنسبك وتزوج ببنتك وجميع قبائل العرب والعجم تخافهُ وتخشاه فلا يرى مانعاً ولا مدافعاً ففي صلحهِ خطر عظيم علينا اكثر مما في حربهِ فمال كسرى اليهِ ونوى على تجدد الحملة على العرب وكاتب البلدان ان يمدوه بما امكن من العساكر والجيوش والفرسان فوردت عليهِ ولا تزال ترد . قال اني ارجوك ياسيدي ان تفيدني عن الرجل العظيم الذي كان جالساً الى يمين كسرى وعن الغلام الذي كان الى يساره فانهما على ما يظهر من الاجلاء الفخام اصحاب المناصب العالية . قال اصبت فان الرجل هو ابن كسرى واسمهُ افلنطوش واما الذي تقول عنهُ غلام فهي انثى لا ذكر غير انها تدعي انها من الابطال وقد تعهدت لكسرى ووعدتهُ بقتل الامير حمزة واسمها طوربان بنت افلنطوش اي بنت ابن عم كسرى والان كل الرجاء والمعول عليها وقد تعلقت الامال بها ويتيقن كسرى ان طوربان قادرة على قتل الامير

فضحك عمر وقال اكان من امر البنات ان يعدن بقتل الامير حمزة ولا بد اذا سمع بذلك يغتاظ ويقصد العجم الى هذه البلاد ليرفع الطمع من رؤوسهم ثم ان عمرًا استشار الوزير في كيف يكون القتال فقال لهُ ان كسرى لا بد ان يقصد حلب فالقوة هناك ولا بد ان الله سبحانهُ وتعالى يزيد في نجاحك واني على الدوام ادعو لكم لتذلوا دولة الكفر وترفعوا كلمة الايمان فاقرِ مني السلام ملوك قومك ولا سيما اخاك واوصيهِ ان يبقى على عناد كسرى الى ان يفوز بالمطلوب فان هذه غاية الحق سبحانهُ وتعالى نعم انهُ سيمر عليكم ايام نحوس وتلاقون تاخيرًا في اماكن كثيرة غير ان الله معكم ولا يسلم باخيك للاعداء مهما جرى عليهِ . فشكر عمر من الوزير وقبل يديهِ وخرج من عندهِ وجاء الى مدينة حلب ودخل على العرب فتلقوهُ وترحبوا بهِ وشكروا سعاهُ بسرعة القدوم وقال لهُ حمزة اخبرنا ماذا رايت وهل ان كسرى على نية القتال . قال انهُ لا يزال مصرًا على اخذ الثار وجمع القوات وقد رايت حول المدائن جيوشاً كثيرة جمعت

مجدداً فوق التي انهزمت معهُ ولما جئت الى الايوان رايت ملكاً عظيماً الى جانب كسرى وغلاماً الى يساره وسالت بزرجمهر اجابني ان الرجل المهاب هو افلنطوش ابن عم كسرى والغلام هو بنتهُ وتدعي البسالة والاقدام وقد وعدت بكسر العرب وقتل فرسانهم على اني رايت منها جمالاً وبهاء وانا اظنها فتى اعجبني فقلت في نفسي جعلها الله من نصيب العرب لانها اشبه الناس بهردكار في تقاطيع جسمها ولون وجهها وسود عينيها ومن لا يحقق النظر بينهما لا يعرف الواحدة من الثانية . فقال الامير حمزة وهل هذه وعدت بقتلي . قال نعم . ثم اخبرهُ ايضاً بما قال الوزير عن ايام النحوس وعن البقاء بحلب . فقال حمزة من يعرف الى اي زمان تكون مدة اقامتنا واعرف جيداً ان كسرى يحب التطويل لانهُ في بلادهِ ونحن غرباء في هذه الارض ومرادي انهي امر هذه الحرب وارجع الى مكة المطهرة اقيم عند ابي واهلي فهلمّ بنا نركب في الحال ونسير في عرض البر ونفاجأ كسرى دفعة واحدة فنمتلك بلادهُ ونطردهُ عنها فالوقت اصبح على النهاية بيننا وبينهُ . ثم ان حمزة نهض واعلن بين العرب الاستعداد للرحيل بعد قليل من الايام وكان اكثر الفرسان والابطال والقواد والجنود قد اخذوا لهم زوجات من نساء حلب واختلطوا بهم كل الاختلاط

وبعد نحو خمسة ايام ركب العرب باجمعهم مع من انتصر لهم وساروا عن مدينة حلب يقصدون المدائن وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو كانهُ البرج المشيد مدجج بالسلاح ومن تحتهِ جوادهُ اليقظان كانهُ السرحان وفوق راسهِ بيكار الاشتهار يلوح ويخفق ويلمع بما عليهِ من الذهب والجواهر ويظهر للراي انهُ من اعظم الاكاسرة واكابر الملوك العظام وبين يديهِ عمر العيار نقمة الانس والجان وعفريت ذاك الزمان وهو يقفز كالغزال وينطلق باسرع ريح الشمال تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وقد وزع بعيارية تسير بين ايادي الفرسان وامام هوادج النساء وما برحوا يتقدمون حتى جاءوا المدائن ونيوا اسوارها وراوا ما حولها من الفرسان فعرجوا الى ناحية متسعة وضربوا خيامهم بها ونصب الامير حمزة صيوان اليونن شاه في وسط المعسكر وضرب عند بابهِ علم بيكار الاشتهار وضربت صواوين الامراء والملوك من حواليهِ وسرحت من خلفهم النوق والفصلان

وبلغ كسرى خبر اتيان العرب ففرح وقال لقد قربوا علينا الطريق ولا بد من هلاكهم في هذه الارض لاننا في بلادنا نقاتل براحة واطمئنان وننام عند نسائنا وفي اسرتنا . ثم امر ان تخرج امراؤهُ وتضم الى المعسكر فخرج الجميع وخرج هو ايضاً وضرب لهُ صيوان في نصف المعسكر ونظر الى جهة العرب فراى انتشارهم وكثرتهم وشاهد صيوان حمزة وهو كانهُ الكواكب اللامعة تضيء في وسط الظلام فاستصغر نفسهُ وحكتهُ احساساتهُ بفضل الامير حمزة وانهُ مسعود

الطالع موفق الاعمال وإن شانهُ بعلو ويرتفع على الدوام - ولما وقعت عينهُ على بيكار الاشتهار وراءهُ مضروبًا امام الصيوان انفطرت مرارتهُ وكاد يغيب عن صوابهِ والتفت الى وزيره بختك وقال لهُ الم ترَ الى صيوان حمزة وحسنهِ وكيف ان بيكار الاشتهار مضروب امامهُ فقد غاب عني وعيي وطار عقلي . قال الم اقل لك ان العرب يحبون العظمة والفخار وانهم يقصدون ملك نزع سلطنتك شيئًا فشيئًا لتكون لهم ويقيمون الامير حمزة مكانك فها انهُ يقتدي بك ويظهر بعظمتك حتى كل من راهُ لا يظن انهُ انقص مقامًا منك لا سيا وقد اخذ علم العجم الذين يجتمعون تحتهُ وهو من عهد اجدادك وابائك . الاَّ اني اعدك ان في هذه المدة لا بد من ابادة العرب وكسر شوكتهم واذلالهم وعندي ببركة النار ان تكون هذه الايام اخر ايامهم فنجعل بطون ارضنا مدافن لهم . وكان افلنطوش حاضرًا . فقال اني اقسم بالنار والنور وتربة جدنا سابور لا بد لي من اذلال العرب وهلاك الامير حمزة وكل من انتصر لهُ في هذه المرة ونزع بيكار الاشتهار باقرب وقت ونهب كل الاموال والامتعة التي معهم ولا سيما هذا الصيوان الذي اراهُ اعظم من صيوانك وابهى

قال وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان على نية ان يباكروا الى الحرب والقتال وفي الصباح نهض كسرى من منامهِ وركب جوادهُ وتقدم في الوسط محاطًا من الحجاب والحراس وركب افلنطوش وبنتهُ طوربان وزوبين الغدار وهو الى جانبها ينظر اليها وقد وقعت من قلبهِ وحركهُ خبثهُ الى زواجها فاراد ان يريها قتالهُ في ذاك النهار . وكذلك ركب العرب من كبيرهم الى صغيرهم وتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم الامير حمزة البهلوان فارس الانس والجان وهو على جوادهِ اليقظان . اعظم من كسرى انوشروان . ولما راى ان جيوش العجم قد صارت في وسط الميدان اطلق لجوادهِ العنان ولما صار في الوسط التفت الى جيوشهِ واشار اليهم بالحسام ان يحملوا من اليمين والشمال ويتبعوهُ في الحال . واقتحم ذاك البحر العجاج المتلاطم باعظم الامواج . وهو ينادي ويلكم يا عبدة النار ونسل الاوباش والاشرار . قد عدتم الى الحرب بعد ذاك الانكسار . وما وعيتم الى افعال حمزة مذل كل جبار ومبيد كل فارس مغوار . فاليوم آخر الايام عليكم فاستعدوا للفناء والبوار . ولم يكن الاَّ قليل من الوقت حتى انتصب سوق القتال واضطرمت نارهُ بلهيب الاشتعال . وقامت القيامة من كل ناح وعلا الصراخ والصياح . والتقى كل خصم بخصمهِ . يقصد اعدامهُ ومحو اسمهِ . فغنى السيف القرضاب . في محكم الرقاب . واتخذ لهُ في الصدور مقامًا رفيعًا . وفصل بين الاجساد والارواح فصلاً سريعًا . فكم من راس قد طار . في ذاك النهار . وكم من دم قد فار . واندفق الى الارض كالانهار . فعظم الخطب وعم الكبار والصغار . ووقع السلب والقتل في كل ناح تحت ذاك الغبار . الذي ارتفع وانسح

بالانتشار. وحجب من الشمس الانوار. واخفاها عن الابصار. حتى ضاقت انفاس الفرسان وتمنت الموت والقلعان. وشرب كاس الهوان. ولا الرجوع بالخيبة والخذلان. وكان زوبين يقاتل في ناحية منفردة من المعسكر وهو يلحق بطوربان. وهي تبعد عنهُ وتنفرد من مكانٍ الى مكان. حتى اخيرًا تركت القتال وضجرت من فعل هذا الخبيث الخوان. لان نفسها ضجرت كل الضجر وكرهت في الحياة من ان ترى ذاك الوجه القبيح المهان. واما الامير حمزة فانهُ اجهد نفسهُ بالحرب. وجود الطعن والضرب. فقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن. وبدد الفرق في كل الجهات. وانزل عليهم ميازيب الويلات والحسرات. ورماهم بشهب الهلاك والممات. وبرماح الفناء والشتات فكان اينما حلَّ تفرقوا واضطربوا ومالوا من امامهِ وهربوا املاً بالنجاة وطمعًا بالحياة لان عزرائيل الاكبر كان يرافق حسامهُ فلا ينفك عنهُ لرواج عملهِ ومهنتهِ وكان الفرس اينما ساروا يروا حمزات العرب واقفة فان اندهوق بن سعدون لم يقصر في ذاك النهار. وقاتل قتال كل صنديد جبار. وفعل مثلهُ المعتدي نسل الاخيار. وقاهر الخيل البطل المغوار. ومعقل البهلوان وعمر الاندلسي وكل فارس كرار. وما صدق الاعجام ان مالت الشمس الى الغروب وضربت طبول الانفصال. حتى تركوا الحرب والنزال وعرجوا عن ساحة القتال. ورجع فرسان العرب كاسود الدحال. متكدرين من فراغ ذاك النهار. وانقراضهم دون نوال المراد من الاعجام الاشرار

قال وبات الفريقان يتحارسان الى ان اشرق صباح اليوم الثاني فعادوا الى ما كانوا عليهِ من القتال وخوض معامع النزال فاقتتلوا والتحموا وصرفوا ذاك اليوم بحالة اليوم الاول بل اعظم منهُ الى المساء فرجعوا عن القتال الى اليوم الثالث وداموا على مثل ذلك مدة عشرة ايام حتى وقع النقص بالعجم وراوا سرعة انقراضهم وعرفوا اكيدًا انهم اذا قاتلوا مدة خمسة ايام اخر لا يبقى منهم ولا نفر ولذلك دعا كسرى بقومهِ وقال لهم ان النصر سيكون للعرب على كل حال لانهم قد طالوا واستطالوا ونالوا كل ما تمنوهُ وعن قريب يدخلون المدينة ويجلسون على كرسي الاكاسرة فانظروا في امر نرى بهِ الفرج والاَّ دخلنا وقفلنا الابواب وحاصرنا في الداخل الى ان نرى الفرج وتنعم علينا النار ببركتها وتبعث لنا بالنصر. فقال بختك اني ادبر هذا الامر بنفسي وفي الغد يكون النصر ان شاء الله عن يد زوبين الغدار فيقتل حمزة وتتبدد من بعدهِ قومهُ وكان زوبين في كل هذه المدة مشغل البال من جهة طوربان ومتكدر من نفورها منهُ وكرهها فيهِ وتركها القتال وقد قرب منها ذات يوم وقال لها لما هذا النفار ياذات الجمال الا تعلمي اني سيد في قومي وعليَّ المعول في حرب العرب والعجم قالت اني اكرهك كل الكره ولا اريد انظر في وجهك ولذلك تراني ارغب البعد عنك وانت تتبعني وتقصد القرب مني

قاصدًا بذلك عذابي فارجوك ان تبعد عني ولا تدنو مني . قال لما هذا البغض الا تعلمين ان الملك كسرى الذي هو سيد ملوك الارض كان راضٍ في ان يجعلني صهرهُ ويقربني منهُ ويزوجني بمهردكار فهل انت اعظم من بنت عمك . قالت اني اكره فيك لانك رجل غدار وقبيح المنظر فما عمي كسرى الاَّ مجنون حيث يريد ان يجعلك صهرهُ ويترك مثل الامير حمزة الذي لا نظير لهُ في هذا الزمان ثم اعرضت عنهُ واظهرت لهُ الجفاء فانفطرت مرارتهُ واغتاظ كل الغيظ وقال في نفسهِ اني ساصرف الجهد الى مراضاتها واسال بختك في ان يساعدني في ذلك والاَّ غدرت بها واغتصبتها وجعلتها عبرة لغيرها واذللتها فتلتزم ان ترضى بي دفعًا لمصيبتها وكان خبيثًا وخداعًا يزين لهُ كل عمل شرير

ولما كان ذاك اليوم راى بابًا للفرج في ان يخبر بختك اذا انفرد بهِ وعندما وعد بختك كسرى بان النصر سيكون على يدهِ فرح وقال لا بد ان يكون قد دبر حيلة على هلاك حمزة فصبر الى ان دعاهُ بختك وذهب بهِ الى داخل المدينة وجاء بصندوق ففتحهُ واخرج منهُ ثلاث حراب وقال لهُ اعلم يازوبين ان ذخائر الفرس في يدي وتحت امري وانا الموكل عليها ولذلك اريد ان تعرف فعل هذه الحراب فهي حادة سامة اذا لمست الجسم سرى السم اليهِ كلهِ ولذلك ابرز في الغد الى الامير واسالهُ ان تضربهُ ثلاث ضربات بها واغدر بهِ واجهد نفسك ان تصيبهُ فانهُ لا يلبث ان يموت بمدة اربع وعشرين ساعة . قال اني اعرف ان في ذلك خطر عظيم غير اني ساسلكهُ فقط اريد منك المساعدة بامر واحد . قال وما هو . قال اني كنت مؤمل قبلاً بزواج مهردكار حتى خرجت من يدي وتزوجها حمزة ولم يبقَ لي قط مطمع بها ولذلك علقت نفسي واملي بطوربان بنت افلنطوش واريد منك المساعدة بان ازف منها . قال اني ساجهد النفس في ذلك وهذا امر سهل علينا ولا اظن انها تمتنع عنك . قال اني الحظ منها نفورًا وجفاء ثم اعاد عليهِ امرها . فقال انها وان تكن قد امتنعت فان اباها سيحل هذه العقدة ويجبرها بطلبي وطلب الملك كسرى الى القبول فهي في يدنا وتحت امرنا ومتى قتلت حمزة كان لك اكبر حق على مملكة الفرس فلو طلبت نصفها سلمناهُ اليك وفوضناك امرهُ . فانشرح صدر زوبين وفرح مزيد الفرح بوعد بختك واخذ الحراب الثلاث وهو مضطرب البال يرغب في النجاح لينال المراد ويرى امامهُ صعوبة عظيمة بالوقوف في ساحة القتال امام الامير حمزة عدوهُ الالد لاسيا وان لهُ عليهِ اعظم ثار وهو يتمنى ان يراهُ وكان يعرف من نفسهِ انهُ لا يقدر ان يثبت امامهُ ولا هو ممن يلقاهُ في ساحة المجال غير انهُ وطد العزم على الخداع وهوَّن لهُ حبهُ سلوك سبيل الخطر والخوف

ولما كان صباح اليوم التالي ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الجيشان وعول

حمزة على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد صار في الوسط وصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال فامتلأ قلب حمزة فرحًا وسرّ مزيد السرور واملـ انهُ في نفس ذاك يوم ياخذ بثاره منهُ ولذلك اطلق لجوادهِ العنان حتى صار مقابل زوبين وقال لهُ لقد فعلت حسنًا في هذا النهار لاني كنت في وقت القتال افتش عليك فلا اراك والان ترى الفرسان ما يكون بيني وبينك ويعرف العام والخاص والحقير والامير نتيجة الغدر كيف تكون . قال اعلم اني ما برزت الاّ بقصد قتالك واني اريد ان ابارزك على مرأى من الجميع لا طمعًا بان افوز بالنصر عليك بل كرهًا بالحياة لاني اعرف انك اشد باسًا مني ولا اقدر على قتالك وحربك ونزالك ولا احد من فرسان هذا الزمان يثبت امامك وينال الغرض منك . نعم اني غدرت بك في الاول وانا اجهل قدر شجاعتك وارغب في زوجتك واما الان وقد اختبرت كرمك وانصافك في القتال وقطعت الامل من الوصول الى مهردكار فاردت ان اقتتل واياك ساعة واحدة لا غير ولابدّ لا حدنا ان يفوز بالمطلوب فلا نحارب ضربًا وطعنًا ذهابًا وايابًا الى غير ذلك بل اني اريد ان تضربني برمحك او بسيفك او بهما شئت ثلاث ضربات حتى اذا خلصت منها وبقيت حيًا عدت فضربتك بثلاث حربات معي واذا لم ابلغ المراد عدت الى ما كنت عليهِ اي استئنفنا الضرب الى ان يفوز احدنا بالظفر . فقال حمزة اني منصف بالقتال فلا امنع خصمي من ارادة شيء يريدهُ ويتمناهُ فافعل ما انت فاعل فاضربك برمحي وانت تضربني بحرابك . وكان زوبين يعرف جيدًا ان حمزة كثير الانصاف وعظيم المروَّة فلا يقبل ان يكون هو البادي ولذلك اراد ان يحاولهُ بعملهِ خداعًا فقال لهُ اعلم ايها الامير اني لا اريد ان اكون البادي بالعمل فاضرب بدورك وانا استعد للمدافعة عن نفسي . فقال الامير حمزة هذا لا اريدهُ ولا اقبلهُ ولا يمكن ان اكون البادي فاضرب حرابك اولاً ومن ثم اعود بدوري . فاجاب زوبين وهو مسرور في الداخل وقد انتهى لهُ كل ما اراد . ثم انهُ اطلق لجوادهِ العنان حتى راهُ كل من الفرسان ثم وقف امام حمزة وتناول حرابهُ ورفعها بيدهِ وزج بها الامير فكان اسرع من البرق غطس تحت بطن الجواد واضاعها في الهواء وباقل من لح البصر عاد الى بحر سرجهِ وصاح بخصمهِ هات الثانية ولا تبطئ فتكدر زوبين من عدم نجاحهِ غير انهُ امل بالثانية فاخذها بيدهِ ولعب بالهواء وزج بها الامير فمال عنها وعينهُ تراقبها فراحت بالارض حتى امتلأ زوبين غيظًا وكدرًا وكادت تشق مرارتهُ وتنفطر ولذلك نوى على الغدر والخيانة وقال في نفسهِ اني لو سربت الثالثة بالامير فلا ريب انها تذهب سدسى لانهُ فارس صنديد سريع الخفة بالقتال سبق سرعة وقوع الحربة فلا ينال منهُ المراد ولهذا من الواجب ان لا اضيع هذه الحربة فعوضًا ن اصوب بها الى جسمهِ ارمي بها جوادهُ فاقتلهُ من تحتهِ فيقع الى الارض فانحط عليهِ واضربهُ

بالرمح او بالحسام وانال منهُ الغاية ومن ثم رفع الحربة بيدهِ بعد ان صال وجال وكان الامير يظن انهُ يضربهُ بها حتى راها وقد خرجت من يدهِ الى صدر الجواد فطار صوابهُ وثبت في ذهنهِ باسرع من لمح البصر انها قاتلة الجواد اذا لحقت بهِ ولذلك ارسل برجلهِ بخفة عجيبة وعارض بين الحربة والجواد حرصاً عليهِ فاصابت الحذاء وخرقتهُ وجاءت باللحم فجرحتهُ وفي الحال شعر الامير بان ناراً التهبت في كل بدنهِ وشعلت في احشائهِ وتمزقت عروق جسمهِ فرمى بنفسهِ على رقبة الجواد فكر راجعاً الى الوراء وكان زوبين قصد ان ينهي على الامير لما شاهد حالهُ غير ان نبلة خرجت من يد عمر العيار الى جوادهِ فرمتهُ من تحتهُ ووقع الى الارض واراد عمر ان ينقض عليهِ وياخذ بثار اخيهِ الا انهُ التهى بما راى من ضياع الامير وما حل بهِ وخاف من ان يقع عن ظهر الجواد الى الارض فاسرع اليهِ ومسكهُ وكانت مثلهُ الفرسان قد ركضت وجاءت حول الامير واخذتهُ من عن ظهر الجواد وهي منفطرة الفواد على حالتهِ وهو لا يعي على احد وقد امتلأ كل جسدهِ من سم تلك الحربة وايقن انهُ هالك لا محالة فانزلوهُ في صيوان مهردكار وجاء اسطون وجعل يضع لهُ المبردات والادوية ليسكن بها مرضهُ وهو بحالة الغيبوبة لا يشعر بغير الالم والوجع وقام الصياح في العرب من كل ناح وهم يظنون ان الامير قد مات . وفي تلك الساعة حملت فرسان العجم فرحة مسرورة مؤملة بالنجاح والنصر والاصلاح فكدر ذلك فرسان العرب وتكدر اندهوق بن سعدون فنادى بابطال العرب وقال ويلكم لاتدعوا المساء ياتي وفي العجم بقية رمق والا فموتوا في كيدكم وارسل لنبلهِ العنان وصاح المعتدي حامي السواحل من ملء راسهِ وهو يضطرم بنار الغيظ وكذلك الملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر والامير معقل وكل فارس وبطل فالتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزعزعت الجبال ومالت من عظم صياح الابطال فكانت وقعة عظيمة الاهوال تشيب لهولها روؤس الاطفال واندهوق يخط على تلك الخلائق انحطاط الصواعق وهو يفرق الفرسان ويبدد الشجعان ويطلب ان يرى زوبين الغدار في الميدان فلم يقدر على ذلك ولا قدر ان يراهُ لانهُ ترك القتال ورجع الى الوراء وكذلك المعتدي حامي السواحل فانهُ اجرى الدماء من صدور الرجال والقى الرعب على الفرسان والابطال وقلبهُ مشتعل واي اشتعال على ما لحق بالامير حمزة يطلب ان ياخذ لهُ بالثار في نفس ذلك النهار والحاصل ان كل فرسان العرب كانت تقاتل بجد واجتهاد طالبة ان تقع بزوبين الغدار فلم تنل من ذلك المراد وما برحت حتى ادخلت الاعجام الى الخيام وانزلت عليها مصائب الحرب والصدام ولو لم يسرع الظلام لما رجعوا عن الحرب ولا تركوا الطعن والضرب غير انهُ حالما اسود الليل العساكر ضربت طبول الانفصال ورجعت العرب على اعقابها مسرعة الى صيوان اميرها ترى كيف حالهُ

وما صار بهِ في غيابها

قال وكان الامير حمزة في حالة يرثى لها وهو ملقى على فراشهِ يصيح من الالم ويتوجع الوجع الشديد لا يقدر على التقلب على جنبيهِ لا تبرد لهُ غلة ولا يروى لهُ كبد واسطون الحكيم يداويهِ ويضع لهُ الضمادات على جرحهِ ويسقيهِ المبردات فيمنع اشتداد الالم كثيرًا لكن كان لا يخفف عن حالتهِ ولا يسكن الالم . ولما راى عمر العيار رجوع العرب منصورين قال لاندهوق ابقَ انت عند اخي لا تفارقهُ الى ان اعود اليهِ بالدواء من الوزير بزرجمهر لان هذا الداء علاجهُ عندهُ . فقال لهُ اسرع بهِ قبل ان تحل بالامير مصيبة فنخسرهُ فترك عمر العيار العرب بعد ان غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام . وجاء صيوان الوزير بزرجمهر فراهُ فيهِ فقبل يديهِ واخبرهُ بغرضهِ قال ان الدواء حاضر وكنت اعرف انك لا بد ان تاتي بطلبهِ فهيئتهُ . غير اني قلت لك قبلاً ان لا تاتوا المدائن ولا تحاربوا كسرى في هذه الايام فكيف جئتم وخالفتم الزمان الا تعلمون ان الانسان تمرُّ عليهِ الايام والليالي فبعضها يحمل خيرًا وبعضها يحمل شرًّا وهذه الايام تحمل لكم الاذى والنحوس ومن اللازم ان تنتظروا الايام التي بها السعود والاقبال قال ان الحق بذلك على اخي لاني اخبرتهُ بذلك فقال ان المقدور ما منهُ مفرٌّ وان قيامهُ بحلب يكون سنين واعوام فاراد حسم الحرب والرجوع الى مكة بامان واطمئنان . قال هذا بعيد عنهُ فان كل ايامهِ تنقضي بين السيف والقنا فلا يرتاح الاَّ عندما ياذن الله باذلال الاعجام وقهرهم والان خذ هذا الدواء واسرع الى اخيك في الحال وامر العرب ان يرحلوا في هذه الليلة ويقيموا في حلب الى ان ياتيهم الفرج منهُ تعالى واياهم ان يباشروا حربًا قبل ان ياتي صاحب الفرج فان كل واحد يموت من العرب ظلمًا مسئول بهِ الامير واما على حياتهِ فلا خوف فهو سينهض من هذه المرة ايضًا كما في المرة الاولى . فسرَّ عمر من كلام الوزير وقبل يديهِ وشكرهُ على معروفهِ وخرج من بين يديهِ بعد ان كتب كتابًا الى اسطون الحكيم يقول لهُ فيهِ ان يسهر على حياة سيد العرب ويشير اليهِ في كيفية استعمال العلاج

ولما وصل عمر الى المعسكر وجاء صيوان اخيهِ وجد الناس لا تزال باضطراب وهي مزدحمة بكثرة حولهُ وكلهم يصيحون يا الله ويطلبون الى الله شفاء اميرهم فسكن خوفهم وقال ان الامير بخير ولا يلبث ان يشفى ويعود الى ما كان . ثم دخل الصيوان وقرب من اخيهِ وهو يتوجع ويتالم ودفع زجاجة الدواء والرسالة الى اسطون فاخذهما وسكب على جرحهِ من الدواء وسقاهُ حسبما اشار بزرجمهر وباقل من دقيقة سكن الالم وخف قليلاً وجعل ان يهدأ روعهُ شيئًا فشيئًا . واذ ذاك قال عمر لاندهوق ان الوزير يامرنا ان نرحل عن هذه الارض في نفس هذه الليلة حتى اذا جاء الصباح لا يكون لنا اثر هنا وما ذلك الاَّ لعلمهِ اننا لا نفوز بالانتصار

وان يكن لنا بعض نصرات غير ان هذه لا تقف في وجه النحوس المقدرة علينا وهو يحتم بوجوب بقائنا في حلب الى ان يصل الينا الفرج المنتظر . فاجاب اندهوق وقال ان امر الوزير لا بد منه وهو نصوح للعرب محب لخيرهم ونجاحهم . ولا ريب ان قيامنا بحلب الى حين شفاء الامير اوفق من القيام هنا ومداومة الحرب . وفي الحال اعتمد ملوك العرب وفرسانهم على الرحيل الى حلب والبقاء هناك الى ان ياذن الله بالفرج فسار كل واحد الى رجاله وقومه . وما مضى نحو ساعتين من اواخر ذاك الليل حتى اقلعت العرب عن تلك الديار وسارت في طريق حلب بعد ان حملوا الامير في سريره على هودج محمول على ظهري ناقتين وعنده اسطون الحكيم على الدوام وفي النهار ايضاً مهردكار تلازمه ولا تفارقه

فهذا ما كان من امر العرب واما ما كان من امر كسرى انوشروان ورجاله فانهم في المساء بعد الفراغ من القتال اجتمعوا الى بعضهم وجاء بختك وزوبين وجلسوا كل منهم في مكانه وبختك مفتخر بنفسه وبعمل رفيقه وقال لكسرى الان قد تحقق لنا النصر والظفر وفزنا بما نريد من قتل الامير حمزة . فقال كسرى وهل ثبت قتله واخاف ان يشفى ويرجع الى اخذ ثاره قبل ان نبدد قومه . قال ان الحربة التي جرح بها هي سامة فاذا لمست الجسم سرى اليه السم فكم بالحري وقد جرح بها وعندي من المؤكد الثابت ان حمزة لا يعيش هذا الليل وفي الصباح نتاكد كلامي ويظهر لك صدق قولي فلله در هذا البطل زوبين فانه ضربه ضربة صائبة وقعت في قسم من جسده فالفضل الاكبر له ولا زال يمنع عنا الشدائد ويدفع المصائب والنوائب وكان بفكرنا ان نجازيه قبلاً بزواجه بمهردكار فلم نصل اليها لانها هربت الى العرب وسارت معهم اينما ساروا واخيرًا تزوجت من الامير حمزة مغضوبة من النار مكروهة من قومها وعندي ان لا بد من زواجه بسيدة تقابلها وتقارنها وتكون افضل منها عقلاً وادبًا وغيرة على قومها وابناء جنسها . فقال كسرى ان صح ما قلته من موت حمزة فلا بد من تفريق العرب بعده واذ ذاك أعد زوبين اني ازوجه من طوربان وازيده فوق ذلك الانعام والاكرام . قال سوف ترى ما يكون في الغد . ولما سمع زوبين هذا الكلام فرح غاية الفرح وسرَّ مزيد السرور وانشرح صدرهُ وامل نوال غايته وكيد طوربان التي رفضت جدًا ونظر اليها متبسمًا ليرى دلائل وجهها فوجدها قد قطبت في الاول واضطربت ثم اظهرت عدم الاكتراث ونظرت اليه باستهزاء وسخرية واعرضت بوجهها كانها تقول له اذا مت ولقيت العناء لا يمكن ان تنال مني المراد . فزادت هذه الحالة قلقه واضطرابه واغتاظ منها ولولا شدة حبه لعمل على الغدر بها واغتصبها في نفس تلك الليلة غير ان وعد كسرى له واملهُ ببختك واقتداره على مساعدته حمله على الصبر والرضوخ الى استعمال الوسائط الحسنة فيكيدها ويرغمها على الزواج به . وما صدق ان انقضت

الشهرة حتى ذهب مع بختك وقال له ان وعد كسرى لي جعلني بامان غير ان امتناعها يخيفني ويجعلني بارتياب من نجاح طلبي ولولاك ولولا ثقتي بحبك لتاكد عندي كل التاكيد ان هذا الوعد لا ينتهي . قال كن باطمئنان قبلت او لم تقبل فلا بد من زفافك عليها بالرغم او بالرضى فكن براحة وما علينا الاّ تفريق العرب لان حمزة سيموت لا محالة وضميري يخبرني بذلك ويدلني عليه وعندي انه لا يغشني قط . قال اني متكل على وعدك وقد لاح لي بعد ان نصرف الجهد الى اقناعها فاذا امتنعت غدرت بها ذات ليلة واغتصبتها وارغمتها ان تقبل بي بعد ذلك بالرغم على انفها وماذا يا ترى يقول ابوها والملك كسرى . فقال بختك ان هذا العمل يغيظها ولكن افعله سرًّا فلا يعرفان به وهي لا يمكن ان تخبر عن نفسها به بل تظهر قبولها عن رضا واختيار ولكن من اين لك ان تتوصل اليها وتقدر على اغتصابها وهي قادرة على مقاومتك وعنادك . قال اني لا اجيئها جهارًا وافاجئها وهي نائمة فاربطها بالحبل واخرج بها مع خادمي تحت ظلام الليل لانها تنام في صيوانها لوحدها وبعد ذلك اعيدها . قال حسنًا تفعل لكن هذا ابقه الان الى حين فراغنا من حرب العرب وتبديد شملهم وبعد العجز عن نوال المراد والزواج بها والاّ ما زال الملك بعدك وانا اساعدك فلا بد لنا من الوصول الى المطلوب والغاية الوحيدة هي ان تصل اليها وتكون زوجتك . ولم يكن بختك اقل غدرًا وخيانة من زوبين الغدار وقد استحسن فعله هذا ووافقه عليه عن رداءة طبع وشرّ موجود في قلبه لا يفارقه على الدوام وهو لا يعرف الفضيلة ولا عمل الخير ولا يرى من الحسن السلوك على طرق الاداب والمحافظة على الناموس

وبعد ذلك ذهب زوبين الى صيوانه ودخله وقلبه مملوء من حب طوربان وغير شخصها لا يلوح له ولا يفتكر بمعنى غير معنى جمالها وقد زاد به الغرام والهيام ومن المقرر ان الجفاء يزيد بالمغرمين اسباب الغرام ويمكنهم من ان يثبتوا عليه اذا كان في قلوبهم جرثومة ولاسيما زوبين فانه فرغ من مهردكار وقطع رجاؤه منه وقلبه يكاد ينفطر كيف فضلت البدوي الاجنبي وعاندت اباها وتركت بلادها ولم توافقه على الزواج وهو كان يعد نفسه بالسعادة حالاً اي بالحصول عليها وبالتقرب من اكبر ملوك العالم وهو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان بحيث يصبح صهره ويصير صاحب الامر والنهي في بلاده . وانقطع امله منها بزواجها وقلب حبه بغضًا وصار يتمنى ان ينتقم منها ومن الامير حمزة لو امكنه وبقي صابرًا على نوال المراد حتى تسنى له ان يرى طوربان ويشاهد فيها المعنى المنتظر من وحداثة جمالها ورقة الفاظها وهي اصغر سنًّا من مهردكار لا تبلغ الثالثة عشر من العمر وصرف ليله قلقًا بين الرجاء والامل فلما يفتكر بوعد كسرى يطمأن باله ويقول نعم اني ساكون زوجها وهي تكون لي وفي يدي ولا تقدر ان

تخالف عمها وإباها ثم يطرق ذهنة ما كان منها وكيف نظرت اليهِ مستهزئة ساخرة به وبوعد الملك فيسود قلبهُ ويتردد في اتمام املهِ ويقول انها غير راضية من هذا ولولا اصرارها على العناد لما فعلت ما فعلت

ولما كان الصباح نهض كسرى انوشروان وجلس في صيوانهِ ونهضت فرسان الاعجام على نية القتال في ذاك النهار فلم يروا اثرًا لاعدائهم وروا ان العرب قد بارحوا تلك الديار ورحلوا منها . فاخبروا كسرى بذلك . فقال لقد صدق بختك واصاب ولولا موت حمزة لما رحلت العرب لانهم قد فازوا وقربوا من النجاح التام حتى لو كان حمزة حيًّا وانقرض العرب باجمعهم وبقي هو وحدهُ في قيد الحياة لما انهزم وترك القتال فقال بختك اني اعرف جيدًا ان الحرب ستنتهي بالاخير بالفوز لنا لاننا اكثر رجالاً واعظم ملكًا ووسائط النجاح عندنا كثيرة ولا سيما بيننا مثل زوبين الغدار صاحب البطش والاقتدار والمجد والفخار واريد منك ان لا تنسى لهُ هذه الخدمة ولا تتقاعد عن مكافاتهِ . قال اني اعرف فضلهُ واعترف بهِ واوكد مساعدتهُ لك الان . ولكن انت تعلم ان العرب لم يزلوا متجمعين وربما عادوا الينا ومن الصواب ان نرسل العساكر في اثرهم اذا عرفنا باي طريق ساروا واعظم غايتي هي حصولي على بيكار الاشتهار ولولاه لكنت اتغاضى الان عن العرب واترك قصاصهم ولكنهم هربوا واخذوهُ معهم وفي نيتهم ان يداوموا على العصيان ولو كان فيهم من العقل مقدار ذرة لكانوا ارسلوا اليَّ بهِ وابدوا طاعتهم واعترفوا بذنبهم وانا اعرف ان الحق بذلك كلهِ على الامير حمزة . فقال بختك لا ريب ان العرب رجعوا الى حلب ليروا بامر انفسهم هناك فارسل في اثرهم العساكر مع زوبين وافلنطوش حتى اذا وصلوا اليهم سالوهم ان يسلموا بالعلم وبهردكار وبالطاعة فاذا اجابوا امنوهم على انفسهم وتركوا حربهم والاَّ فاجتثوهم وباغتوهم بالقتال ونزعوا منهم كل راحة وبددوا شملهم قبل ان يرتاحوا . فاستحسن كسرى هذا الراي وطلب من زوبين ان يستعد للرحيل في اليوم الاتي مع عساكره ومع ابن عم كسرى افلنطوش وبنتهِ طوربان ويتاثروا العرب الى حلب واين كانوا ثم اوصى افلنطوش ان يكون في راس الجيوش ويسير الى حلب وان يعتمد على زوبين ويتكل عليهِ في كل الامور

وفي اليوم التالي ركب افلنطوش بعساكره وجيوشهِ وركب زوبين برجالهِ وفرسانهِ بعد ان اخذوا المؤن والذخائر وما يحتاجون اليهِ في هذه السفرة وفي كل نيتهم ان حمزة قد مات وشرب كاس الافات وصار يعد من سكان المقابر وان العرب بعدهُ ستسلم الى كسرى وتنقضي هذه الحرب ولا زالوا سائرين مدة ايام وليالٍ حتى جاءوا حلب وشاهدوا ان العرب هناك وقد وصلوا اليها قبلهم بيومين ودخلوا المدينة واقاموا بها وكان الامير حمزة قد اتجه الى الصحة والعافية

وصار يقدر على الخروج الاَّ ان اثار الجرح لا تزال في جسدهِ ولم تضمد بعد . فامر افلنطوش ان ينصبوا خيامهم في ضواحي المدينة وان يسرحوا بانعامهم في مراعيها بينا يكون قد بعث بكتاب الى العرب . وفي اليوم الثاني كتب كتاباً الى الملك النعمان يقول لهُ فيهِ

من افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان الى ملك العربان

قد بعثني اليك الملك الاكبر لاعرض عليك طاعتهُ واخبرك بغايتهِ وهي ان تسلموا عن بيكار الاشتهار صاغرين وتعترفوا بذنبكم وترجعوا مهردكار الى ابيها ليقتص منها على عنادها لهُ وخروجها عن طاعتهِ واما انتم فقد اذن لي ان اعفو عنكم واسلم برجوع كل واحد منكم الى منصبهِ وبلادهِ لان لا حق عليكم بل كل الحق على الامير حمزة الذي قتل و بقتلهِ نرى ان القتال انتهى وما من عداوة بينكم و بين العجم واذا ابيتم او امتنعتم فاني اباكركم بالقتال ولا انفك حتى ابدد شملكم ولا يكون بعد ذلك من امل لكم بحلم كسرى وعفوهِ ورحمتهِ . ثم بعث الكتاب مع رسول مخصوص وهو الرسول الذي كان قد اخذ للعرب الكتاب في مكة المطهرة عندما كانت العجم تظن ان حمزة قتل ايضاً في ذاك الوقت

ولما وصل الرسول الى ابواب المدينة دخل وجاء قصر الاحكام حيثما كان الامير حمزة والامراء والملوك مجتمعين ولما وصل الى الديوان تقدم من الملك النعمان فسلمهُ الكتاب ففضهُ وقراه وعرف فحواه . ثم ارجعهُ اليهِ وقال لهُ ادفعهُ الى الامير حمزة فارس العرب وسيدهم ليعرف ما تضمنهُ وبماذا يجيب فاضطرب الرسول ونظر ذات اليمين وذات الشمال فرأى ان الامير حمزة جالس في مكانهِ كانهُ الاسد الكاسر لا يزال عليهِ دلائل المرض والضعف فتقدم منهُ وقبل يديهِ وسلمهُ الكتاب . فاخذ الكتاب وقراه وعرف رموزهُ وكل ما تضمنهُ . وقال للرسول ايظن كسرى اني اموت وبالعجم بقية رمق . فاخبر سيدك افلنطوش اني رجعت الى الحياة بعد الموت ولا بد من الرجوع الى ثل عرش كسرى وخراب ديارهِ واما زوبين الغدار فلا بد من موتهِ وهلاكهِ بخنك الخبيث الخائن وكل آتٍ قريب . ثم امر ان يدفع الى الرسول الف دينار وقال لهُ هذه اجرتك عن تعبك ومجيئك الينا وكان الرسول فصيحاً اديباً فشكر من حمزة ومدحهُ وخرج مسروراً بما نالهُ حتى جاء الى معسكر الاعجام فرأى افلنطوش بانتظارهِ فقال لهُ ما وراءك من الاخبار اهل اجاب العرب بالايجاب . قال كيف يمكن ان يجيب العرب الى الطاعة وكلهم فرسان وابطال ولا سيما ان اميرهم حمزة لا يزال حيًّا وقد رايتهُ في مجلسهِ اعظم من كسرى في ايوانهِ وقد كاد يشفى من الجرح ولم يبقَ الاَّ اثارهُ وقد انعم عليَّ بالف دينار واخبرني ان اخبركم انهُ لا يموت وبالعجم بقية رمق ولا بد من الانتقام من زوبين على غدرهِ وفعلهِ فهذا الذي سمعتهُ منهُ ورايتهُ هناك . فلما سمع افلنطوش ان حمزة لا يزال حيًّا عرف ان الحرب ستطول

وخاب امله وظنه وتكدر مزيد الكدر وعزم كل العزم على محاصرة المدينة قبل ان يقدر الامير حمزة على الركوب وعلى الحرب . واسودت الدنيا على زوبين الغدار فخفق قلبه وتكدر مزيد الكدر ولعب بقلبه داعي الخوف والهلع ونهض من صيوان افلنطوش الى صيوانه لا يعرف يمينه من شماله ولا يرى ما بين يديه ولا سيما عند ما فكر ان امله قد بعد وربما انقطع من طوربان لانها لا تقبل به ولا يقدر على اجبارها ما زالت الحرب قائمة بين العرب والعجم وما يراه منها من النفور الزائد جعله على ان يوطد العزم والنية على اتمام غايته ومراقبة طوربان الى ان يغتصبها ويرغمها على القبول به بعد ذلك وصار منذ ذلك الحين يراقب اعمالها وحركاتها ويقصد ان يتمكن من الانفراد بها وهي نائمة ويغتنم الفرصة باغفال خدمها ليدخل الصيوان وهي لاهية عن ذلك لا تفكر به ولا تعتني بامره وقد خطر لها كل الخاطر انه اذا كان ابوها او كسرى اجبراها على الزواج به قتلت نفسها اوفعلت كابنة عمها مهردكار وجعلت اتكالها على العرب واختارت واحداً منهم فان ذلك خير من زواجها بزوبين وهي تراه في عينيها كاكبر عدو وتنظر الى اعماله نظر القبح والكره فتعلم انه خائن غدار خبيث مكار لا يعرف الناموس والشرف وهي على غير ذلك

وفي ثاني الايام امر افلنطوش ان يحاصروا المدينة فحاصروها وقصدوا الهجوم عليها فارجعهم العرب بضرب النبال عن الاسوار ولا سيما عمر العيار فانه اقام مع عياريه يرشقون النبال وكانوا اعرف اهل الارض بذلك فوقعت على الاعجام كوقوع الامطار فالتزموا الرجوع الى الوراء . وفي اليوم الثاني خرج العرب وصارت موقعة عظيمة من الصباح الى المساء وفيه رجعوا ودخلوا المدينة وكان الامير حمزة يريد ان يركب ويخرج الى الحرب فمنعه عمر العيار وقال له لا تخرج فانك لا تزال مريضاً والتعب يعيدك الى الضعف ولا سيما ان بزرجمهر منعني من ان ادعك تباشر حرباً واوصاني كثيراً بذلك ولو انقرضت العرب الى ان ياذن الله بالفرج فان الضيقة محاطة بنا في هذه الايام ولا تزول هذه النحوس الاّ على يد غير منظورة الان منا . فاصغ الى كلام هذا الوزير ولا تخالف فتندم . فراى حمزة ان من الصواب السكوت عن هذا الامر وما برح القتال عاملاً بين العرب والعجم على غير اهمية كبرى فيوماً تخرج العرب وعشرة ايام لا تخرج ينتظرون باب الله والفتح حتى كان ذات يوم وقد ضجرت العجم من القيام في تلك الارض وضاق عليها الحال وطال المطال فباكرت وفي نيتها القتال العظيم وكذلك العرب فانهم خافوا ان يبقوا داخل المدينة وتطول مدة الحصار فيفرغ منهم الزاد والمؤن ويقعون في الضيق والضنك ولذلك قال الامير حمزة لقومه الى متى هذا المطال فاني ارى ان العجم مكتفون بالحصار والذخائر والمون قد قلت فاذا بقينا على هذه الحالة عدة ايام اخر فرغت فنحتاج بالرغم

عنا الى الخروج اما للحرب واما للحياة وعندي حيث صرت قادرًا ان اركب جوادي واحارب وما من وجع بي يمنعني ان انزل ساحة النزال واطرد الاعداء عنا فان نفسي سئمت من المطاولة والاستنظار . فقال عمر لا تطمع نفسك بالقتال فما من وسيلة الى ذلك ولا بد ان ينتهي قول الوزير بزرجمهر واما من جهة فرسانك فدعهم يقاتلون ويناضلون ولا ريب ان قوة الاعجام تضعف واذا تاخروا عادوا الى المدينة وانت ما زلت بالحياة لا يحسب تاخرهم فشل او انكسار. فقال اندهوق اني اعدك في هذا النهار بالفوز فكن بامان واطمئنان وليرتح بالك علينا فكلنا بخدمتك وخروجك الى الحرب يغيظنا ويكدرنا ولا نريد ان نفعل خلاف ما اشار عمر وخلاف ما امرنا الوزير بزرجمهر . فسكت الامير وقال افعلوا ما شئتم واما اصغى الان اليكم بالرغم عليّ والموت اهون جدًا من ان اشاهد الاعداء تحاصرني واما امتنع عن طردهم وانقاعد عن اذلالهم

قال ثم ان العرب خرجت الى قتال الاعجام وباقل من ساعة نادى منادي القتال فاشتبك الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وتحدر الدم وسال . واختلط الاعراب بالاعجام . اختلاط الظلام بالظلام . وارتفع فوقهما كثيف القتام . فاخفى عنهما نور السلام والقاهما في ديجور الحمام . فلم يكن يسمع الاَّ اصوات السيوف على الدرق . ولا يرى الاَّ طعنات الاسنة في النحور والحدق فكم من فارس انكب ووقع . وكم من دم انهمر وهمع . وسال كالانابيب في ذلك الموضع . ولم تكن الاعجام تسمع صوت حمزة قط فتاكد عندها انهُ غائب عن القتال . فثبتت ثبات اسود الدحال . وقاتلت قتال صناديد الابطال . فاتسع سوق المجال . وعظمت المصائب والاهوال وضاقت في وجوه القوم الامور والاحوال . فعرف كل واحد منهم انهُ سائر في طريق الهلاك والوبال وانهُ على شفير الانتقال . ولم ترَ العرب التاخير والاذلال . بامر الله الواحد المتعال . بالرغم عن اجتهاد اندهوق والمعتدي وباقي الرجال . الذين كانت اسنتهم تفعل ايشم الافعال . وتخترق الصدور باسرع من ريح الشمال . ورات الاعجام انها ان نجحت في ذاك اليوم فازت الفوز العظيم . وانزلت على اعدائها البلاء الجسيم فلا يعود بعد ذلك للعرب ثبات . ويلتزمون الى التفريق والشتات . وطمعوا بالنصر وحركهم غياب حمزة الى توطيد العزم فداروا باعدائهم من كل ناح . واكثروا فيهم الصراخ والصياح . كل هذا وزوبين الغدار مع طوربان في معالجة ومحاولة وقد راها انفردت الى ناحية ولم تباشر القتال فلم يعد لهُ صبر عن مفاتحتها فقال لها لمَ اراك ياذات الجمال تتركين القتال وتنفردين على الدوام بنفسك فاني اراقب ذلك حيث اريد ان اكون بالقرب منك احفظك وارعاكِ ولا بد ان لذلك سبب من اعظم الاسباب فابدِ ولا تخفي شيئًا فاني صفيك ولا اظهر مرادك . قالت نعم ان السبب الاكبر هو وجودك

في المعسكر وفي المعمعة فهذا الذي يثقل عليّ ويدفعني الى الوراء ويجعلني ان اكره القتال والا لولا ذلك لرايتني الان في اول المحاربين فترى الفرسان والابطال افعالي فارجع عن سوالي ولا تكلمني مرة ثانية ولولا الخوف من غضب ابي لما اتيت مع المعسكر ولا احتملت صعوبة النظر الى وجهك القبيح ولا بد لي من ان ابعد بسوالي عن صيوان ابي الى اطراف المعسكر فلا اجتمع معكم ولا اراك لا في مساء ولا صباح فاقصر اذن . قال اني اعجب كيف تكرهين النظر الي واني ارغب التقرب منك وافضل الموت بجانبك على الحياة بالبعد عنك . فاتركي هذا العناد واصغي الى ما اقوله لك واجيبي سوالي ولا تظني انه يتيسر لك قرين مثلي صاحب عظمة وسلطان ومقدم من عمك كسرى انوشروان اكثر من سائر الابطال والفرسان . ومع ان العالم في هذه الايام اتفقوا ان الامير حمزة هو افرس ممن ركب الجواد فقد كجته مرتين وجرحته جرحين وفي كل مرة يشرف على المات ولهذا اكون انا اشد منه باسًا وتشهد لي بذلك ابطال الفرس ونفرها وعالها ودونها . فضحكت منه وقالت انك لا تعرف من نفسك الخيانة والغدر فاين انت من حمزة وقد شاهدت حربك معه وخيانتك فلو قاتلته قتال الابطال لما ثبت امامه ساعة واحدة فارجع عني الان والاّ طعنت قلبك بهذا السنان فانفطرت مرارته واحترق قلبه ولم يسعه ان يبدي لها كلمة واضمر لها الشر واصرّ في فكره على اتمام عمله في تلك الايام وهم بضواحي حلب واعرض الى غير جهة

هذا والحرب ما برحت بالاضطرام . والفرسان عاملة على الحرب والصدام . وطوائف العرب تتاخر امام طوائف الاعجام . واندهوق والمعتدي وباقي الفرسان يقاتلون قتال الجان وينادون العرب بالثبات في الميدان وان يفضلوا الهلاك والقلعان . على التاخير والخذلان . فلا يفيدهم ذلك شيء بل داوموا على الرجوع الى الوراء شيئًا فشيئًا قاصدين ان يدخلوا الابواب وقد قتل منهم خلق كثير في ذاك اليوم الكثير العذاب . وفيما هم على مثل هذا الامر والشان . والاعجام تطاردهم وتزاحمهم من كل ناحية ومكان وهي فرحة بذاك التقدم الذي لم تزها قبل ذاك الان وقد قارب الوقت العصر واذا بصياح من ناحية البر قد ملأ الفلاة وبيارق قد ظهرت ومن تحتها جيوش كسرب القطاء وفي المقدمة غلام امرد لم ينبت الشعر بعارضيه وهو فوق جواد مسرج بالسرج الافرنجي وعليه من الحديد ما لا يطيق حملة الجبال ولما راى ان الحرب عقدت بنودها . وقد حكمت قضاتها وتركت شهودها . صاح بلغته وحمل كانه قضاء الله اذا نزل فاخترق الصفوف . وفرق الميئات والالوف . وقد راى ان الاعجام تطارد العرب وعرف منهم ذلك . فانزل عليهم ميازيب المهالك . وقد حملت من خلفه ابطاله وفرسانه وعددهم نحو الثلاثين الفًا وكان يفعل في الاعداء كما تفعل النار في القش اليابس فجفلت من بين يديه الفرسان

وراَت من قتاله آنهُ اشبه بقتال حمزة البهلوان فخافتهُ كل الخوف ورجعت الى الوراء متحسرة على ضياع ذاك النصر والظفر ومتكدرين من مجيء تلك العساكر والابطال فدافعت عن انفسها وقاتلت قتالاً عظيمًا وراَت العرب تلك النجدة وتاخر الاعجام فعادت الى الامام ولا سيما عندما سمعت عمر العيار يخترق الجموع وهو ينادي بالعرب ان تطارد اعداءها ويقول لهم هوذا الفرج المنتظر قد جاء فجودوا الطعن واكثروا من الضرب ومن رجع ارديتهُ قتيلاً . وما جاء اخر النهار الا وحلّ بالاعجام البلاء وذاقوا كاس العناء . ومن ثم ضربت طبول الانفصال فرجع العرب الى المدينة فرحين بالنصر الاخير وهم من التعب على جانب عظيم لا يصدقون بنزع العدد عن اجسادهم ووصولهم الى الجلوس على اسرتهم . وعرجت تلك العساكر التي جاءت الى ناحية من تلك الارض وضربت خيامها واقامت لوحدها تنتظر ما يكون في الصباح وبعد ان هدأ بالها واكلت الطعام نهض اميرها الغلام واتجه الى جهة المدينة وهو راكب على جواده ومدجج بالسلاح

ولما كان المساء اجتمع سادات العرب في مكان واحد واخذوا في ان يحكوا للامير ما كان من حرب تلك النهار وما لاقوا منها وكيف انهم كانوا يتاخرون الى ان جاءهم الفرج بالنجدة التي كان يتقدمها ذاك الغلام الامرد ثم اخذ كل واحد ان يتكلم عما راى منهُ وما شاهد من حربهِ وقتالهِ وهم ساهون ويبالغون . فقال الامير عمر العيار اني تاكدت عن بعد ان هذه العساكر هي يونانية لا ريب فيها ولا ارتياب لكن فارسها الذي تعنون عنهُ لم يكن يونانيًا وقد رابني قتالهُ وقد نظرت منهُ بطلاً لا كالابطال وفارسًا لا كالفرسان فهو اشبه في حربهِ ونزالهِ وحملاتهِ على اعدائهِ باخي حمزة حيث كان لا يستقر في مكان ولا يقاتل في جهة واحدة بل يدخل من الشرق فيخرج من الغرب والرجال تتبدد بين يديهِ على بساط الرمال وتقع تحت حوافر الخيل ولا يجسر احد منهم ان يقرب اليهِ او يدنو منهُ او يبقى واقفًا امامهُ . فقال الامير حمزة لقد شوقتموني الى ملاقاة هذا الغلام حتى انهُ اخذ في فوادي مكانًا عاليًا وصار لهُ عندي ارفع مقام وكان من الواجب ان ترسلوا اليهِ الرسل وتدعوهُ يدخل المدينة وينضم الينا برجالهِ لانهُ جاء لنصرتنا وهذا هو الفرج الذي اشار اليهِ الوزير بزرجمهر لاننا لم نكن بانتظار مساعد ولا معين غير ان الله بعث الينا من نعرف فضلهُ ونعترف بهِ لبقي شانهُ مرفوعًا بين العرب والعجم واريد الان منك يا عمر ان تذهب الى هذا المعسكر وتنظر لنا في اخبارهِ وتدعو هذا الغلام ان ياتي الينا لنرى في امرهِ ومن هو واذا ابى عن الاتيان الينا سرنا نحن اليهِ وسلمنا عليهِ وشكرنا فعلهُ . فاجاب الامير عمر طلب الامير حمزة وكرّ سائرًا الى ان قرب من باب المدينة وقبل ان بفتحهِ سمع صوت طرقهِ فسال البواب من هذا فاجاب الطارق هذا انا الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة العرب فوقع

هذا الصوت في اذان الامير عمر العيار طار فوادهُ شعاعًا وراى في معنى الصوت لهجة اخيهِ ثم سمع الطارق يقول افتح الباب حالاً واذهب الى عمي عمر العيار وقل له ان ياتي اليَّ لاذهب واياهُ الى ابي . فاسرع عمرُ الى الباب وفتحهُ ونظر واذا بهِ يرى الغلام الذي كان يقاتل في ذاك النهار . فدنا منهُ وسلم عليهِ وعرفهُ بنفسهِ وقال له ابشر يا ابن اخي فاني انا عمر العيار ولكن ابن من انت ومن هي امك لاني كنت في هذه الساعة ذاهبًا اليك لادعوك ان تاتي الى خدمة امير العرب وسيدهم . قال اني اتيت لارى ابي حيث قد عرفت انهُ مجروح وانهُ جاء من المدائن الى هذه البلاد وانا بشوق زائد الى مرآهُ فاخبرني هل هو بخير وهل صار قادرًا على نقل السلاح واما سوالك عن امي فهي زهر بان بنت استفانوس اليوناني . فلما سمع الامير عمر هذا الكلام تحقق عندهُ انهُ ابن الامير فزاد فرحهُ وقال له ان اباك بسلام وعما قليل تراهُ فسارا الى حيث اجتمع العرب

قال وكان السبب في مجيء عساكر اليونان مع عمر اليوناني هو انهُ كان كما تقدم معنا في ما مضى ان الامير حمزة عند ما كان يجمع الاخرجة ويلم الميرة جاء بلاد اليونان وتزوج بزهر البان بنت ملك البلاد وانها رجعت الى بلاد ابيها واقامت هناك وهي تؤمل انهُ عند عودتهِ من سفرتهِ ورجوعهِ الى بلادهِ يرسل فياخذها اليهِ وتقيم عندهُ وكانت حامل منهُ وبعد مضي اشهر الحمل ولدت غلامًا كانهُ القمر في تمامهِ صبوح الطلعة مسعود الطالع كامل الهيئة فسرَّت بهِ مزيد السرور ولا سيما عند ما رات انهُ يشبه اباهُ كثيرًا وارسلت فاخبرت اباها استفانوس فجاء اليها ونظر الغلام وهو في اللفافة واخذهُ على يديهِ وقال لامهِ اعلمي ان هذا الغلام هو يشبه اباهُ ولا بد عند كبرهِ اذا علم بانهُ ابن الامير حمزة تركك وذهب الى اهلهِ ونحن لا نعرف ان كان زوجك يعود فياخذك ثانيًا او يبقى باقي عمرهِ مشغلاً بالحروب مع كسرى وغيره فلا يفكر بك فتنسلين بهذا المولود ولذلك اريد منك ان لا تلفظي امامهُ ولا مرة واحدة اسم ابيهِ ولا ابن من هو بل قولي له ان اباك اسطفانوس فاربيهِ كاب له الى ان ياذن الله بالفرج ونرى كيف يكون من امر ابيهِ وهل يمكن ان ياتي بلادنا مرة ثانية او يرسل فياخذك اليهِ . قالت اني اعرف انهُ لا بد من ان يدعوني اليهِ وياخذني عندهُ عند ما يعود الى بلادهِ ويرتاح ضميرهُ من حرب كسرى . قال ان ذلك بعيد المدة طويلها ولا نعلم ما تكون عاقبة هذه الحروب ومن يكون الفائز من المتحاربين لان العرب وان كانوا شديدو البطش والبسالة الاَّ ان كسرى قوي السلطان كثير الاجناد يقدر ان يقاتل العرب خمسين سنة وهو يجرد العساكر حيث يملك على اكثر اقسام الدنيا شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا . ثم توافقا على ان يخفيا عليهِ امر ابيهِ واوصيا الخدم والجواري والمراضع بان تقول على الدوام بان اباهُ اسطفانوس وقد دعيا اسمهُ عمر اليوناني على

ثم عمر العيار. وصار الغلام يكبر ويترعرع منذ ذلك الحين ولما بلغ سنة من العمر كان يمشي ويخرج الى خارج القصر ويتكلم وكل من راهُ لا يظن الاّ انهُ ابن اربع سنوات. ولما صار عمره اكثر من سنتين طلبت زهر البان من ابيها ان ياتيهُ بالاساتذة والمؤدبين فوضع لهُ المعلمين يعلمونهُ العلوم فكان يتعلم بوقت قريب ولا يضيع الوقت بالباطل وما ادرك العشر سنوات حتى كان قد درس كل الدروس والعلوم اليونانية والعربية والفارسية وفاق بها على من سواهُ وتعجب منهُ الخاص والعام. ومن بعد ذلك صار يخرج الى الساحات ومحلات الاجتماعات ويشاهد الفرسان والعساكر وهي شاكية السلاح فتحرك بهِ المطرق العربية الى تعلم فن القتال فاتخذ لهُ اعواناً وصار يتعلم منهم ركوب الخيل ولعب الرمح وضرب السيف وبمدة سنتين اصبح كانهُ افرس فارس في بلاد اليونان ولم يعد يقدر ان يثبت امامهُ احد من الابطال والفرسان وهو يفتخر بنفسهِ ويتشامخ على ابناء جنسهِ وما من رجل يقدر ان يعلمهُ ان اباهُ حمزة وانهُ وان كان على ما هو عليهِ فلا عجب من ذلك ولا زال يشتد ساعدهُ ويقوى باعهُ وهو يظن ان اباهُ اسطفانوس ولا يعرف غير ذلك ولا خطر لهُ ان يكون ابن عربي و [صـ]ـار يخرج الى البراري والقفار يطارد الوحوش ويبعد في جهات الارض ولا يخاف من احد وامهُ وجدهُ لا يخافان عليهِ بعد ان رايا ما هو عليهِ من الاقدام والبسالة الى ان كان ذات يوم عاد من الصيد والقنص ومعهُ شيء كثير من الذي اصطادهُ فراى امهُ جالسة وحدها منفردة بنفسها تبكي ودموعها تتساقط على خديها فارتاع وجفل قلبهُ فدنا منها وقبل يديها وقال لها لا ابكاك الزمان يا اماه فما الداعي لذلك اهل مات احد اقاربنا ام اصبت بوجع فاخبريني لان بكاك افطر قلبي فرادت بالبكاء رغماً عن جلدها وتكفكف دموعها فالقى بنفسهِ عليها وبكى وقال اني اقسم عليك بحيات ابي ان تخبريني الصحيح ما هو الداعي لهذا البكاء. فقالت لهُ اعلم يا ابني ان لكل بداية نهاية وان لا يصح في هذه الدنيا الاّ الصحيح ولا بد من اطلاعك على امر ابيك لتعرفهُ وتعرف من هو. قال ماذا تقولين وما طرأ عليك اليس ابي اسطفانوس حاكم هذه البلاد وملكها قالت كيف يكون اسطفانوس اباك وهو ابي فعي الى ذلك واعلم ان اباك الامير حمزة العرب فارس ربة الحجاز ومذل الجبابرة ومبيد الاكاسرة. فنهض واقفاً وقال ماذا تقولين اني سمعت كثيراً عن هذا الرجل انهُ فارس لا نظير لهُ في هذا الزمان وانا اتوقع ان اسير اليهِ واقاتلهُ لاعرف من ما اشد موقعاً في ساحة القتال. فكيف يكون ابي ومن جاء بهِ الى هذه البلاد. فاعادت عليهِ زهر البان كل ما كان من امر ابيهِ وامرها وكيف جاء الى تلك البلاد وفصلت لهُ الواقعة تماماً وكيف ان كسرى يحاربهُ وقالت لهُ اني ما برحت من حين ذهابهِ وانا اطلب كل من يكون في سفر وفي سياحة فاستخبرهُ عن حالة العرب والعجم فتصلني الاخبار مسرة وقد كسر جيوش كسرى عدة مرار و [طر]دها وتزوج بنتهُ

بالرغم عليهِ واخيرًا اخبرني احد التجار وكان قد ذهب الى بلاد العجم فجاء ببضائع منها ليبيعها في هذه البلاد انهُ سمع ان اباك بعد ان كان قد حصر كسرى وكاد ينهي امره غدر بهِ زوبين الغدار فرماهُ بحربة سامة كادت تميتهُ فحملهُ فرسان العرب وتركوا المدائن وجاءوا بهِ حلب لاجل مداواتهِ وهو بحالة خطرة بين الموت والحياة ولذلك تراني ابكي كيف اني بعيدة عن ابيك ولا اقدر على خدمتهِ وربما اصيب بنكبة وهو لا يراك وانت ابنهُ وكم كان يسر اذا راك وشاهدك فهذا الذي ابكاني ويبكيني ولا اعرف ماذا جرى عليهِ

قال فلما سمع عمر كلام امهِ صاح من ملء راسهِ وهو يرغي ويزبد وقال ويلكم وويل جدي ايريد ان يخفي عني امر ابي وهو الامير حمزة فارس الارض من تناقل اخبارهُ الركبان وانا قاعد عن التقرب منهُ وراضٍ ان يكون ابي هذا الشيخ اسطفانوس وكيف اكون انا بهناء وراحة وابي يخوض معامع القتال ويحارب الاعجام فلا بد لي من المسير الى حلب لاوى ماذا حلّ بهِ فاذا كان لا يزال حيًّا سرت اليهِ وقاتلت بين يديهِ والاّ سرت الى المدائن واخذت له بالثار ولا ارضى على نفسي العار ويقال عني اني تقاعدت عن نصرة ابي فاستعدي للسفر وانا إذهب الى جدي واسالهُ ان يسافر حالاً بالعساكر لندرك حلب باقرب وقت . ففرحت بذلك ودعت لهُ . ثم انهُ جاء قصر الاحكام ودخل على جدهِ وهو عابس الوجه قاطب فارتاع لذلك وقال لهُ ماذا حل بك ياولدي ولما انت على هذا الامر . قال لهُ من هو ولدك ولاي سبب اخفيت عني امر ابي وهو حمزة العرب . قال من اخبرك بهِ . قال اخبرتني بهِ امي ولذلك اريد منك ان تخرج من هذه الساعة الى المعسكر وتامرهُ بالركوب فما عدت اصبر عن الرحيل دقيقة واحدة فقال اني كنت اخفي عنك ذلك بالاول خيفة عليك لانك لا تزال صغيرًا وتتوق نفسك الى ابيك وانت عاجز عن مساعدتهِ اما الان وقد صرت تعد من فرسان هذا الزمان فما من خوف عليك فاذهب الى امك وفي الصباح نركب بالعساكر ونسير الى حيث تريد لاني مشتاق الى ابيك واحبهُ كشوقك اليهِ . فاطمأن بال عمر اليوناني وعاد الى امهِ فاخبرها بواقعة الحال فهيئت كل ما هو لازمها من ثياب وجواهر وحلي وهي تؤكد انها لا تعود ثانيًا فترى تلك البلاد ومن فيها وقلبها يخفق من السرور والفرح لمشاهدة زوجها التي لم تكن رأتهُ واقامت مدة الا اياماً قليلة جدًا . وفي صباح اليوم الثاني ركب اسطفانوس بثلاثين الفًا من العساكر وركب عمر اليوناني في المقدمة وهو يريد ان يطير ليصل الى حلب ويشاهد اباهُ وركبت زهربان على هودج عالٍ من الحرير الغالي وسار الجميع عدة ايام وليالٍ الى ان وصلوا مدينة حلب ورأوا الحرب قائمة على ساق وقدم فخاضوا معمعة القتال وجرى ما تقدم ذكرهُ بين الفريقين وفي المساء سار الامير عمر اليوناني الى ان التقى بعمهِ الامير عمر العيار

ـ ولما وصل عمر من القصر المقيم بهِ الفرسان ومعهُ ابن اخيهِ دخل ونادى اخاهُ بشراك يا اخي فان هذا الغلام الذي انتم باضطراب وقلق من اجل معرفة اصلهِ وفصلهِ فهو ابنك الامير عمر اليوناني ابن زهر البان بنت اسطفانوس ملك اليونان وقد جاء امهُ وابو امهِ وها هو معي . ولما وقع صوت عمر في اذان الامير نهض بالرغم عن وعيهِ وقلبهُ طائر ونظر الى ولدهِ ورمى بنفسهِ عليهِ وهو فرح كل الفرح ومسرور كل السرور وجعل يقبلهُ ودموعهُ تذرف وكذلك فعل الامير عمر اليوناني فانهُ قبل ايادي ابيهِ والقى بنفسهِ على صدره وكل منهما يضم الاخر وحمزة لا يفتر عن شكر الله . وهذا هو الولد الاول الذي راهُ وشاهدهُ وذاق لذة محبتهِ وحنوه ودارت بهما الفرسان من كل ناحٍ وهم يطلبون ان يبعد الامير عن ولدهِ ليتقدم كلٌّ منهم اليهِ ويسلم عليهِ ويتعرف بهِ ومن ثم اخذ يسلم عليهم واحدًا بعد واحد وكلهم يتعجبون من صغر سنهِ وبسالتهِ واقدامهِ وما منهم الاَّ من يصفق من الفرح واجلسوا الامير عمر الى جانب ابيهِ وهو ينظر اليهِ لا يرفع نظرهُ منهُ وقد سالهُ عن امهِ وجدهِ فاعاد عليهِ ما كان من امرهم جميعًا وحينئذٍ امر الامير ان تخرج الفرسان في صباح اليوم الاتي مع العساكر والرجال الى خارج المدينة وينصبون خيامهم في ضواحي المدينة الى جانب عساكر اليونان ليصرف بعض ايام بالهناء والولائم اكرامًا لولدهِ ولزوجتهِ وقال لهم ايضًا ان الفرج المنتظر قد جاء وهذا الذي كان قد اشار اليهِ الوزير بزرجمهر واي فرج للعرب اعظم من هذا الفرج الذي جاءنا وحلَّ علينا بوجود والدي فارس اليونان ومجلي الكروب عن العرب . وصرفوا اكثر ذاك الليل بالحديث والاستخبار ولم ينم رجال العرب الاَّ القليل حتى جاء النهار فنهض كلٌّ منهم واستعد برجالهِ وقومهِ وانتظروا الى ان خرج الامير راكبًا على جوادهِ اليقظان وهو كانهُ في عظمتهِ الملك سليمان او كسرى انوشروان وخرج من بعدهِ الملك النجاشي والملك النعمان وعمر الاندلسي واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر وكل فارس وبطل مع العبيد والخدم وضربوا الخيام وسرحوا الانعام واصبحوا يجون ويموجون في تلك الارض وقد ملأُوا السهول والجبال وجاء الامير حمزة من الملك اسطفانوس فسلم عليهِ وترحب بهِ وشكر من معروفهِ واعتنائهِ بولدهِ واهتمامهِ بتربيتهِ الى ان خرج بطلاً صنديدًا ودنا من زوجتهِ فسلم عليها وبكى عندما راها وحركتهُ محبتهُ القديمة لنحوها واعتذر اليها . فقالت لهُ اني اعرف ان قصورك ما كان عن خاطر منك او ارادة فاني كنت على الدوام اسأَل عنك واطلب الى كل غادٍ ورائح ان ياتيني باخبار العرب فتصلني على الدوام وكنت اجازي الجميع واكافيهم بالعطاء ليعودوا ثانية الى الوقوف على ما يكون من امركم . وانا مشغلة بتربية ابني ومهتمة بتهذيبهِ لا اظهر لهُ اسمك وامرك حتى ادرك اشدهُ وصار آفة من آفات الزمان . واذ ذاك بلغني خبر جرحك

من زوبين الغدار فلم يعد في وسعي الاخفاء فبحت لولدي بما كنت أكتمهُ عنهُ الى الان وعرضت اليهِ واقعة الحال بالتفصيل فكان منهُ ان ارغم ابي اسطفانوس على المجي الى هنا والحمد لله الذي رايناك بخير وصحة جيدة . ثم ان الامير حمزة جاء بزهر البان الى مهردكار وتعرفت كل واحدة بالاخرى

قال وانعكف الامير على عمل الولائم وقيام الافراح والمسرات وقد شغل عن الاعجام وتركهم وشانهم مدة ايام وقال ان الحرب لاتفوتنا ولا بدَّ ان نهلك العجم عن قريب بعد ان نصرف ايام هنائنا ونرى ما يكون من اعدائنا . فذات يوم بينما كان الامير عمر العيار يدور حول المعسكر حسب عادتهِ خوفاً من وقوع امر لم يكن في الحسبان واذ جاءهُ ابن اخيهِ وقال لهُ يا عماه اني ارى الاعداء حولنا ولذلك اريد منك ان تذهب بي الى معسكر الاعجام لاتفرج فيهِ وانظر هذا زوبين الغدار ومن هناك من الابطال والفرسان . فقال لهُ هلم بنا لنذهب ولكن لا تبدِ حركة هناك ولا تتظاهر بانك من العرب فيعرفونك ونقع بايديهم فاخذهُ وسار بهِ بعد ان غيرا زيهما وعندما قربا من معسكر الاعجام نظر عمر اليوناني جماعة من الفرس يلعبون بالجريد ويمرحون في تلك الارض فحركتهُ جهلهُ الى الدخول بينهم وقد احتقرهم ولما صار فيما بينهم جاءتهُ جريدة فاصابتهُ فطار الشرار من عينيهِ وكان يظن بنفسهِ انهُ وحدهُ يفني جيش العجم برمتهِ ولذلك صاح و يلكم اوغاد غير امجاد فقد جاءكم الفناء والهلاك ثم استل سيفهُ وهجم عليهم فوعوا اليهِ وعرفوا من صوتهِ انهُ عربي فمالوا اليهِ وجردوا بسيوفهم فالتقاهم واخذ بينهم الضرب والطعن وهو يقتل فيهم ويبددهم على بساط الرمال وينادي انا الامير عمر اليوناني ابن حمزة البهلوان والفرسان تتقاطر من كل ناحية ومكان وتزدحم حواليهِ وترسل باسنتها اليهِ وهو يطعن فيها طعن الابطال ويشردها ذات اليمين وذات الشمال وعمر العيار يختطف الارواح بضربات خنجرهِ ويحمي ظهر ابن اخيهِ الاَّ انهُ لما راى ان الفرسان تتكاثر خاف من ان تحمل عساكر العجم فيقع مع ابن اخيهِ في قبضتهم وراى من المناسب ان يتركهُ قليلاً ما زال قادراً ان يدافع عن نفسهِ و يذهب الى اخيهِ الامير حمزة يدعوهُ لنصرتهِ فاطلق ساقيهِ للريح حتى جاء معسكر العرب ونادى اخاهُ وقال لهُ ادرك ابنك فهو بحرب الاعداء وكرَّ راجعاً الى محل القتال واسرع حمزة وكل الفرسان الى خيولهم فركبوها وتطايروا من خلفهِ فادركوا عمر اليوناني وهو يطارد الفرسان ويطردهم بين يديهِ كانهُ الباشق يفتك باضعف العصافير هذا ولما وصلت الفرسان ورأت ما رأت صاحت وحملت وهي متعجبة من افعال عمر اليوناني ومن حملاتهِ التي لا يقدر عليها الاَّ ابوهُ . ولا يزالوا يقاتلون وقد ردوا الاعجام الى الوراء وفي المساء رجعوا الى الخيام وقد قال الامير حمزة لابنهِ كيف جئت الى معسكر الاعداء ودخلت بينهم دون ان يكون عندنا علم بذلك فما هذ الاَّ

مخاطرة عظيمة . ثم التفت لعمر العيار وقال له يا وجه القرد كيف اطعت ولدي ورميت بهِ بين الاعداء الا تعرف غدرهم وخداعهم وجهل ولدي وهو لا يعرف الحرب وخدعتها فقال عمر اليوناني لا تغضب يا ابي على عمي فانا الذي سرت والتزم ان يسير معي ولا تحسب مسيرنا غلطاً فما الاعجام الاّ اشبه بالنساء ولو لم تاتوا اليَّ لما لحق بي خطر بل كنت افنيت منهم كثيرًا وعدت منصورًا فائزًا

واقام الجميع في الخيام بعد ذلك مدة ثلاثة ايام وفي نية الامير حمزة ان يعودوا الى القتال فيبدد اولئك الذين جاءوا من قبل كسرى وهو مملوءٌ من الفرح والسرور لا يمتلئ من النظر الى ولدهِ وفي اليوم الرابع جاءهُ ابنهُ وقال لهُ لما يا ابتاه نتقاعد عن القتال ونترك امامنا الاعداء ونحن قادرون ان نبيدهم بيوم واحد قال له ان هذه الايام ايام افراح بقدومك علينا واجتماعنا ببعضنا ولذلك لا اريد ان يشوبهُ كدر ولا اريد ان اكون فيها انا البادئ بالشر اذ كل بادي بالشر خسران وهلاك الطائفة التي امامنا لا يفوتنا . فسكت عمر وهو يتوق الى الحرب وجاء عمهُ عمر العيار وقال له قد عرفت يا عماه ان عندك مكحلة اذا تكحل فيها الانسان وطلب ان يغير زيهُ ويتزيا باي زي اراد يصير لهُ وانا اريد منك ان تكحلني بهانه لاصير كواحد من الاعجام فاذهب بينهم وانفرج عليهم وارى زوبين الغدار واعرف كيف هو ومثلهُ باقي فرسان الفرس . قال هذا لا يمكن ابدًا لاني اعرف جيدًا انك لا تقدر ان تضبط نفسك فمتى صرت بين الاعجام ونظرت افلنطوش وجماعتهُ وسمعتهم يسبون العرب او يتكلمون مثل هذا الكلام لا تصبر على الاهانة ويدفعك جهلك الى اظهار نفسك واخذ حقك منهم فتقع بايديهم ويكون ذلك ويلاً علينا ويعتب ابوك عليَّ ويغضب مني . قال هذا لا بد منهُ واني اعدك اني لا افوه بكلمة مهما سمعت ومهما رايت قال لا تطمع نفسك بالمحال فما من وسيلة لان اجيبك الى طلبك . فقال وانا لا اتركك ولا بد من ان اذهب واياك الى الفرجة على ترتيب الاعجام ومن مشاهدة زوبين الغدار وافلنطوش . واكرر لك القسم بك وبابي اني لا افوه بكلمة ولا ابدي حركة ولو سمعت الف كلمة وافعل كما تفعل انت

ولا زال عمر اليوناني يلح على عمر العيار حتى سمع لهُ ووافقهُ على طلبهِ ووعد انهُ يذهب واياه واشرط عليهِ ان لا يظهر نفسهُ وان يتغاضى عن كل ما يسمع ويرى ثم كحلهُ بالمكحلة وتكحل هو فصار الاثنان كانهما من الاعجام لا شك بهما ولا ارتياب . ولبسا ملابس الحجاب وسارا من معسكر العرب ودخلا بين الاعداء ولا زالا سائرين حتى وصلا الى ديوان افلنطوش فنظر اليهِ عمر اليوناني وراى ملابسهُ وعظمتهُ وقال لرفيقهِ اني اراهُ يفتخر بنفسهِ كثيرًا قال هكذا عادة الاكاسرة يحبون العظمة والفخار ثم نظر الى زوبين الغدار وهو الى جانب افلنطوش فتعجب من

قباحة منظرهِ وكآبة طلعتهِ وكبر شدقيهِ وتشامخ انفهِ وتجعد خديهِ فلعبت نار الغضب في قلبهِ منهُ وقال ان هيئتهُ تدل على انهُ اكثر الناس غدرًا واحتيالاً ونظر الى عمهِ وقال لهُ اني سمعت من خالتي مهردكار ان طوربان بنت عمها عند ابيها وهي تشبهها جمالاً وكمالاً الا انها تزيدها بسالة واقدامًا فاين هي الان فاني لم ارها بين الفرسان . قال اني متعجب من ذلك لانها كانت تجلس دائمًا بجانب ابيها والان لا اراها قط ولا اعرف اين هي . وفيما هما على مثل ذلك سمع افلنطوش يقول اني اعجب الان من بنتي طوربان فانها لم تحضر حتى الان ولا جاءني منها خبر عن سبب غيابها . فاستدرك زوبين الكلام وقال اني سالت عن ذلك يا سيدي فقيل لي انها ذهبت في هذا الصباح الى الصيد والقنص وستعود في المساء وقد نسيت ان ابدي لك ذلك وانت تعرف رغبتها في فن الصيد ولا ريب ان خدمها ذهبوا بمعيتها فهي بامان من العرب الان وتعرف ان لا حرب في هذا اليوم . وعلى ما اظن ان العرب الاوباش خائفون منا لا يباشرون القتال والحرب والنزال وكان بظني انهم يسارعون الى اقتطاف ثمرة ذاك الانتصار ولا بد ان يكون لذلك من سبب عظيم وعليهِ فاني عولت ان اباشر الحرب في الغد واذيق العربان كاس الهوان واقتل حمزة البهلوان واذيقهُ كاس المذلة وافعل فعلاً يذكر بعدي الى اخر الازمان . لاني اطلت روحي كثيرًا ولم يعد في وسعي الصبر والسكوت من ذل العرب وابادتهم . وكان بفكر زوبين ان يشغل افلنطوش عن السوال عن بنتهِ . فاغاظ كلامهُ هذا عمر اليوناني وقدحت عيونهُ شرار النار وقد احمر واخضر واصفر فوضع يدهُ على سيفهِ وفي نيتهِ ان يجردهُ فلحظ منهُ عمر العيار ذلك فارتاع ودنا منهُ في الحال وقال لهُ لا تفعل والاَّ هلكنا واخرج من هذا المكان وقد اقسمت بابيك ان لا تبدي حركة . فخرج عمر اليوناني وهو يرغي ويزبد . فقال لهُ لما فعلت ذلك قال اني قصدت ان اقتل زوبين وافلنطوش معًا ولو قتلت فيما بعد ولولاك لفعلت ذلك . قال اني اشكر الله حيث قدرت ان تكظم غيظك فاذهب بنا الان من حيث جئنا . وكان عمر اليوناني لا يريد ان يذهب قبل ان يرى طوربان فاراد محاولة عمهِ وقال لهُ اني سمعت منك فاصغَ اليَّ واسمع مني حيث اريد ان اطوف بعد بين طوائف الفرس اري الخاص والدون حتى ناتي على اخر المعسكر فنخرج من هناك وناتي بعيدين في البر حتى نصل الى معسكرنا قال افعل ما بدا لك ولو اقمت شهرًا بين الاعداء فابقى معك لكن بشرط ان تحافظ على السكينة وتبقى كاتمًا امرك فان من النظر لا احد يعرفنا . قال اني اعتدت ان اسكت وسوف ترى مني ما تريدهُ ثم جعل يطوف واياهُ حتى اخر المعسكر وخرجا من هناك وافكار عمر اليوناني مشتغلة مضطربة كيف لم يتيسر لهُ ان يرى طوربان فوقف يتامل وفي نيتهِ ان يعود ثانيًا الى بين المعسكر غير انهُ فكر ان يقنع عمهُ انهُ يعود بهِ مرة ثانية فتكون قد عادت من الصيد فمشى الى جانب عمر

العيار واوسعا في السر فصعد اكمة عالية ثم نزلا الى حضيض متشعب فرايا صيوانًا مضروبًا وعند بابه عبد واقف وآخر بعيد قليلاً عنهُ فقصد عمر العيار وتبعهُ رفيقهُ ولما قرب من العبد الاول واراد أن يجتازهُ الى جهة الصيوان منعهُ وقال لهُ ارجع مع رفيقك ولا تقرب من الصيوان فهو لسيدي زوبين الغدار وقد اوصى ان لا ندع احدًا لا من العجم ولا من غيرهم يقربهُ والاَّ غضب منهُ وانزل بهِ العبر فارجع الى الوراء قبل ان يحل بك الاجل وتشاهد الموت ولا بد انهُ قريبًا يكون هنا . فما تركهُ عمر العيار ان يتم كلامهُ حتى ارسل خنجرهُ الى صدره فرماهُ قتيلاً ولما راى العبد الواقف على الباب ما حل برفيقهِ خاف على نفسهِ من الهلاك فصاح الى عبد اخر كان داخل الصيوان ان يخرج ويتبعهُ وهرب من ناحية ثانية فلم يلحقهُ عمر بل بقي سائرًا الى ان وقف في باب الصيوان الامير عمر اليوناني وحالما وقف نظر الى داخلهِ واذا بفتاة هناك كأنها الشمس بالاشراق او البدر عند تمامهِ لم يخلق الله احسن منها جمالاً ولا ابهى كمالاً ولقد صح ما قيل فيها

البدر طلعتها والغصن قامتها ... والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كأنها افرغت من ماء لؤلؤةٍ ... في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وحالما راتهما الصبية صاحت مستغيثة واظهرت لهما انها موثوقة بالحبال وقالت بلغتها الفارسية هلما ادركاني وخلصاني يا اولي المروَّة فاني . اكافيكما على فعلكما لاني انا طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان ملككم وسيدكم وقد غدر بي زوبين الغدار واحتال عليَّ وانا في فراشي غافلة عن كيدهِ وبعث بي مع خدمهِ الى هذه البرية وفي نيتهِ ان يفعل القبيح فحلاني قبل ان ياتي المساء وياتي هذا المكان وكانت تتكلم وعمر اليوناني واقفًا ينظر اليها ويحدق بها وهو لا يعي الى ما تقول ولا ماذا تريد بل راها موثوقة فبهت متعجبًا من امرها ماخوذًا من جمالها الباهر ولونها الابيض المتشرب حمرة ومن عينيها السوداوين اللتين يعلوهما حاجبان لا نحيفان ولا رفيعان وامواج النور تتوارد من وجهها وتتدفق فضاع من ذلك عقلهُ وحار لبهُ واصبح لسان حالهِ ينشد

بدت تختال في ذل النعيم ... كما مال القضيب مع النسيم
واشرق صبح واضحها فولى ... هزيع الليل في جيش هزيم
وكف الصبح قد سلت نصالاً ... تخرق حلة الليل البهيم
واجج من شعاع الشمس نارًا ... اذاب لهيبها برد النجوم
فتاة كالهلال فان تجلت ... ارتنا البدر في ثوبٍ ذميم
وكنت بها احب بني هلالٍ ... فمذ نمت هويت بني تميم

مخصر مثل عاشقها نحيل ... وطرف مثل موعدها سقيم
وقد لو مرّ به نسيم ... لكاد يودهُ مرُّ النسيم
ايا ذات اللى رفقًا بصب ... يراعي ذمة العهد الكريم
يعلل من وصالك بالاماني ... ويقنع من رياضك بالهشيم
نظرت اليك خاسنا سرت قلبي ... فادركني الشقاء من النعيم
فطرفي من خدودك في جنان ... وقلبي من صدودك في جحيم
ارى سقم الجفون برى فوادي ... وعلمني مكابدة الهموم
لعل الحب يرفق بالرعايا ... وياخذ للبري من السقيم

وكان ما يشغل خاطرهُ ويستدعي انعطاف قلبهِ وجودها ذليلة مقيدة الايدي مع انها ملاك وهي فارسية تتكلم وهو ملتهٍ بن معنى كلامها فشغل خاطرهُ لذلك وضاع وعيهُ وفقد لبهُ فتقدم وحاكاها بلسانهِ العربي موملاً انها تجيبهُ على سوالهِ فلم تجب وحينئذٍ تقدم منهُ عمر العيار وقال لهُ مالك ولهذه الغاية فاذهب بنا ودعها وشانها فان امرها لا يعنينا وكان قد فهم كلامها كلهُ وعرفهُ حق المعرفة . فقال له عمر اليوناني كيف اتركها وهي على هذه الحالة اما من نخوة في راسك ومروة وانت تدعي الشرف والناموس فاقسم بحق خالق الليل والنهار لا برحت من هذا المكان الاَّ وهي معي واقتصصت لها من عدوها ايًّا كان ولو كان كسرى انوشروان . قال ان هذه عدوتنا وبنت اكبر اعدائنا هذه طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى وقد غدر بها زوبين الغدار وارسلها الى هذا المكان ولا اعرف كيف فعل ذلك وفي نيتهِ ان يانيها فدع عبدة النار يفعلون ببعضهم ما يريدون فهم اهل فحش وقبح . فلما سمع عمر ابن الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انها نفس طوربان زاد بهِ الوجد والهيام وهاجت بهِ نار الوجد والغرام لانهُ كان يضمر في نيتهِ ان يراها على ما سمع عنها من زوجة ابيهِ مهردكار وهو متكدر من عودتهِ كيف لم يرها وقد راها وشاهد فوق ما سمع عنها وهي بتلك الحالة الموجبة للشفقة والاغاثة فقال لعمهِ اسرع اليها وفكها حالاً . فاني لا اذهب من هنا الا وهي برفقتي فادرك الامير عمر العيار معناه وماذا يقصد وقال لهُ ماذا يا ترى نستفيد من حلها فاننا اذا حللناها عادت الى قومها الاَّ اذا كنت تريد ان ناخذها لك زوجة فنذهب بها قال اني اريد ذلك ولا ابرح الا وهي معي قال وكيف يمكنك ان تتزوج بها وهي على دين النار وانت على دين الله العزيز الجبار الا تعلم ان اهل الله لا يختلطون بالكفار . قال اعرض عليها الايمان . فاذا قبلت خلصناها وذهبنا بها وهي مطلقة الايدي والا اخذناها معنا وهي على الحالة التي هي فيها واخبرها ايضًا بامري واني اريد ان اتزوج بها وتكون عندي دائمًا ويكون حظها كحظ بنت عمها مهردكار . فتقدم منها

عمر العيار وقال لها اعلمي ياذات الجمال اننا سمعنا كلامك وعرفناك بنت من انت ولذلك نريد ان نخلصك ونذهب بك عن قومك فهل ترضين بذلك . قالت الى اين تذهبان بي وانتما من الاعجام اصحابنا ورجالنا . قال كلا بل نحن من العرب اعدائكم فانا عمر العيار وهذا الذي معي هو الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان صاحب المجد والجاه ورفعة المكان وامه زهر البان بنت اسطفانوس حاكم بلاد اليونان وقد وقعت من قلبه موقعاً عظيماً واحبك من نظرة واحدة ولا يريد ان يذهب من هنا دون ان تكوني برفقته اما مقيدة واما مطلقة الايدي . فلما سمعت طورمان هذا الكلام وقع من قلبها موقعاً حسناً وكانت تحب من كل قلبها ان تتخلص من زوبين ومن جيش العجم وتمنى الموت والبعد ولذلك قالت لعمر اني اعرف جيداً أن بذلك الفخر والشرف لي واتمنى ان يكون نصيبي كنصيب مهردكار واني راضية واقبل بكل ما اشرت اليه وارغب ان اكون زوجة لابن سيد العرب وفارسهم . قال ان ذلك لا يكفينا لان العرب لا يتزوجون بمن هنَّ على غير دينهم ولذلك نعرض عليك اولاً الايمان فاذا قبلت بكلمة الحق وامنت بالله تعالى و برسله الاطهار كان لك عندنا التعظيم والاعتبار والاَّ فلا امل بزواجك وانت على دين النار قالت اني اعرف ذلك وما قلت لك اني ارضى بزواج ابن الامير الا وفي نيتي ان اكون على دينه ومنذ الان اترك عبادة النار واتمسك بعبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار . فلما سمع ابن الامير حمزة منها هذا الكلام اسرع الى وثاقها فحله في الحال وقال لها انت منذ الان في زمامي وتحت لوائي ولا يقدر احد ان يصل اليك

ثم طلب اليها ان تسير وراءه فسارت وهي تتأمل فيه وتنظر في جماله وصفاته وقلبها يهلع من الفرح ومن السعادة التي عرفت من نفسها انها نالتها ووقعت بها لانها رات غلاماً لا يتجاوز الخامسة عشر من العمر او السادسة عشر باهر الجمال بديع الاوصاف معتدل القامة كامل الهيكل عريض الاكتاف ابيض اللون عليه هيئة الكرامة ودليل البسالة والاقدام وهي لا ترفع بنظرها منه وقد فضلت الموت والعذاب وملاقاة كل هول بالقرب منه وقالت في نفسها اين زوبين الغدار من هذا الامير الذي لا يوجد له ثانٍ في ممالك العالم لا من الشبان ولا من النساء فسبحان من خلقه وقدر عليَّ ان اكون زوجة له انال عنده السعادة العظيمة والحظ الوافر واتمتع بباهر جماله وبديع محاسنه وبدقائق قليلة اصبحت عاشقة من اكبر عاشقات ذاك الزمان وقد نست اهلها واباها ودينها وتعلقت به وهي تراه كانه

اوضحت نار خده للمجوس ... حجة في السجود للتقديس
واقامت للعاشقين دليلاً ... واضحاً في جواز نهب النفوس

رشاء من جآذر العرب لكن	حاز ارث الجمال عن بلقيس
لابسًا من بهائهِ ثوب بدرٍ	ومن الوشي حلة الطاووس
وشهدنا من خده وسناه	كيف تكسى البدور نور الشموس
وجلاها والصبح قد هزم اللي	ل وهم الرفاق بالتعريس
والثريا ولت ومالت الى الغر	ب فكانت كالطائح المنكوس
ولد الشرق شكلها وهو لحيا	ن فصارت في الغرب كالانكيس
فعلت مقلتاه في انفس العش	اق فعل السلافة الخندريس
اهيف القد مخطف الخصر ساجي الـ	طرف انس النديم روح الجليس
لا تلام العشاق في تلف الار	واح في عشقهِ وبذل النفوس
نظروا ذلك الجمال وقد لا	ح نفيسًا فخاطروا بالنفيس

هذا وعمر اليوناني يسير امامها والى جانبها وكان قلبهُ مملوءا من الفرح والسرور وعلى نوال غايتهِ وكان لا يزال خاليًا فامتلأ من محبة طوربان وصار لا شغل لهُ الاَّ الاهتمام بها والنظر في امرها وكان جهلهُ وداعي سنهِ يحركانهِ الى التباهي والتفاخر لدى حبيبتهِ واصبح يطلب ان يقاتل امامها لتراهُ وتسرَّ من عملهِ وعليهِ كان وهو سائر يعرج الى جهة الجيوش العجمية وعمر العيار يضادهُ في ذلك ويطلب اليهِ ان يبتعد ولا يدنو من معسكر الاعداء وهو لا يصغى ولا يرجع ويقول لهُ ما من باسٍ علينا واذا رآنا الاعجام وحملوا علينا فاني ارى من نفسي اني كفوء لهم اردهم وحدي وفيما هم على ذلك رأى جماعة من الاعجام قد تقربوا منهم وهم يظنونهم مثلهم ففرح عمر وصبر الى ان قرب من الاول فاشهر حسامهُ وضربهُ بهِ على هامهِ فالقاهُ قتيلاً ولما رأى رفاقهُ ما حل بهِ حملوا عليهِ وصوبوا باسنتهم اليهم وسار واحد منهم الى المعسكر واخبرهما رأى وماسمع من عمر اليوناني ومناداتهِ بنفسهِ حتى اجتمع حولهُ خلق كثير وهو يطاعن ويضارب كانهُ القضاء المنزل فيفرق الصفوف ويطعن في الميئات والالوف . ولما رات طوربان ما حل بحبيبها وان اعداها محيطة بهِ تناولت سيفًا ومجنا من بعض المتقدمين وصاحت وحملت وكانت من البطش على جانب عظيم

قال وكان السبب في وجود مهردكار في ذاك الديوان موثوقة كما تقدم الكلام هو ان

انتهى الجزء الثامن من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء التاسع عما قريب

الجزء التاسع

من قصة الامير حمزة البهلوان

زوبين الغدار كان يراقبها كما تقدم معنا وقلبهُ مملوءٌ من الحب والغيظ معًا حيث كانت لا تريد ان تراهُ ولا ترغب في ان تشاهد وجههُ قط وقد صرف كل جهدهِ الى مرضاتها فلم تزد الاَّ نفورًا وبغضًا وعداوة وكرهًا ولا زال الى ان كان قبل ذلك اليوم بيوم استغنم فرصة انفرادها فجاء اليها واعاد عليها حبهُ وقال يا قرة العيون ليس من الصواب ان تعامليني بالجفاء والقطع وانت تعلمين شدة حبي لك وشوقي ولا اريد منك الا شيئًا ممدوحًا بحيث اريد ان تكوني لي زوجة فاحصل عليك بطريقة حسنة شريفة وتكوني قد رحمتي قلبًا حزينًا مولعًا لا يرضا الاك ولا يميل الى سواك وبذلك ترضين النار التي ترغب في الازدواج ليكثر نسل بنيها وعبادها فقاطعتهُ وقالت لهُ قلت لك مرارًا اني لا اريد فيما تقول ولا ارغب في الزواج منك ولا من غيرك فدعني وشاني فاني لا اعرف الحب ولا اريد ان اعرفهُ فاجعل اعتمادك على غيري ولا تعلق املاً بي فما من نتيجة بالحصول عليَّ ولا سيما اني اعرفك كما انت واعرف غدرك وخياناتك وقلبي لا يرغب في ان يقرب من الخائنين فوجودك بين جيش العجم جعلني ان اكره فيهِ واتمنى لبعد عنهُ واكرر لك ما قلتهُ سابقًا من ان الموت عندي افضل بكثير من الدنو منك ومن ن يقال عني اني تزوجت بزوبين الغدار واما غضب النار عليَّ ورضاها فلا يتعلق بك كيف كان الحال واني مع ذلك لا اسال رضيت ام غضبت فاني حرة من نفسي وما من معبود حقيقي يجبر فتاة على الزواج بمن تكرههُ . قال اسمعي لي وعي لقولي ولا تنظري الى بغضكِ فاني احكمك نفسي وقومي فتكونين سيدة مالكة واكون لك كعبد على الدوام وكان عهدي بان قلوب لنساء رقيقة شفوقة وارى قلبك اشد من الحديد صلابة لا يلين لذلي ولا يشفق على توسلاتي إذا كنت تكرهينني لغدري بالامير حمزة فهذا بين المجد والفخر لان الحرب خدعة وعلى الانسان ن يقهر عدوهُ باي طريق كان اليس وقد حارب حمزة كثير من الابطال والفرسان وما منهم ن قدر ان يثبت بين يديهِ او يصل باذًى اليهِ وانا قد قهرتهُ مرتين وفي كل مرة تتاخر العرب يشرف على الموت والهلاك . فابعدي عنك الاوهام وارضي بحبي واجيبي طلبي فيكون ذلك رادتك وقبولك وفي النهاية لا بد منهُ لان الملك كسرى ووزيرهُ بختك قد وعداني بذلك عدًا صادقًا لا بد من اتمامهِ وابوك يرغب ويختار ان اكون زوجًا لك فماذا يا ترى يوقف في

طريق حصولي عليك وهل اذا امرك ابوك وعمك تمتنعين وتخالفين . قالت وماذا يمنعني من ان اقول لها اني اكرهه ولا ارضاه وابغض النظر الى وجهه وماذا يبعدني عن ان اظهر لها ان قلبي ينفر منه كونه قبيح المنظر خبيث الاعمال لا ريب انهما ينظران الى كلامي بعين الرضا ويعرفان انك كما اقول ولا تخفى عليهما حالتك ولا تظن ان عملك مع الامير حمزة ممدوح من الناس فان الرجل البطل يفضل ان يقتل بين يدي خصمه من ان يغدر به او يخدعه بطريقة دنية فارجع الى مكانك واتخذ لك زوجة غيري واعمل على سلوي . ومن القبيح على الانسان ان يحب من لا يحبه ويعلق قلبه بفتاة تكرهه وتبغضه وتتمنى هلاكه وموته . فلما سمع زوبين منها هذا الكلام انفطرت مرارته وهاج غضبه وتمنى ان يشرب من دمها على هذه الاهانة الا انه وجد نفسه غير قادر في تلك الساعة ان يبدي حركة وقد اضمر كل الشر في قلبه . ولذلك قال لها . اني موكد انه لا بد ان يكون قلبك قد تعلق بغيري وانك تهوين فتى وانت عاملة على حبه دون علم اهلك واطلاعه على ذلك وهذا ما يزيدني غضباً منك وسوف ترين مني خلاف ما تظنين وان اصرّ على طلبي ولا بد من قهر غايتك واهمالك واجبارك على الزواج مني بوقت قريب لاني منذ وجدت في هذا العالم وانا احصل على كل ما اريد واصرف الجهد الى نوال الغاية . وكنت قبلاً ارغب في زواج مهردكار فهربت وتزوجت بحمزة ومع ذلك فكنت عزمت ان الازم الحرب وابذل الجهد الى الحصول عليها لا حبًّا بها بل كيداً لها وقهراً لتقدم ذبيحة للنار وتعرف شرّ عملها و بغضها فيّ الى ابن ذهب بها ومنذ رايتك كرهت في مهردكار وعلقت قلبي بك وانا متيقن انك تكونين حكيمة عاقلة اكثر من بنت عمك ويكون لي معك الحظ والسعادة فجاء الامر بخلاف ما ظننت وسوف يكون لي ولك حديث يذكر بين قومنا فيما بعد . فضحكت من كلامه وهزت راسها وقالت افعل ما انت فاعل فاني لا افكر بك وان شئت ان تغدر بي وانا بالحرب فاني متحذرة منك وها ان سلاحك معك وسلاحي معي فاذا اردت القتال فهلمّ فاما ان تقتلني واما ان اقتلك . قال ليس لي في قتلك نفع

ثم انه تركها وكرّ راجعاً الى صيوانه وفي قلبه لهيب النار يتوقد واحشاؤه تتمزق من شدة ما لاقى منها من الاهانة والاحتقار وهو ينظر في الطرق التي توصله من قهرها واغتصابها من نفسها وكانت افكاره القبيحة تزين له الطمع والحصول على غايته وتزيد من اهتمامه بنوال المراد ومن شدة غيظه ذهب الى صيوانه ولم يجتمع باحد كل ذلك النهار ولا رضي ان يرى احداً الى ان كان المساء واسود الليل فكثرت به الهواجس وقلق القلق الزائد وراى في نفسه انه اذا مضت تلك الليلة ولم ينفذ غايته في طوربان يموت كيداً وقهراً ولذلك دعا بكبير عبيده وكان اسمه عدو الامانة فاحضره اليه وقال له اني اذخرك لمثل هذا الوقت والان اريدك ان تسرع الى

طلبي وتسعى في غرضي ولك مني مهما طلبت . وكان عدوُ الامانة شديد الغدر والخيانة يعرف ابواب الحيل والخداع . فقال مرني يا سيدي بما شئت فاني اقضيه لك ولو كان بذلك ذهاب روحي . قال اعلم اني احب طوربان بنت افلنطوش وقد صرفت الجهد الى مرضاتها واقناعها فلم تقنع ولا رضيت بل اكتفت باهانتي واحتقاري وعملت على ذلي وتوبيخي حتى طلبت نفسي الانتقام منها واغتصابها وقهرها ولم اكن ارى وسيلة الى ذلك اقدر ان اخفي بها عملي عن ابيها وخدمها واريد ان يتم ذلك في هذه الليلة . فقال العبد ان ما تزعمه يا سيدي سهل وعندي له طريقة حسنة وهي ان كبير عبيد طوربان هو ابن عمي وبيني وبينه مودة عظيمة ولا يقدر احدنا ان يفارق الاخر ففي كل ليلة بعد نصف الليل اما يجيء عندي فاشرب الخمر واياهُ مع جماعتي العبيد واما اذهب اليهِ انا واقيم عندهُ على الحظ مدة ثلاث ساعات بعد ان اوكل بالمحافظة على الصيوان جماعتي العبيد . ففي هذه الليلة اذهب اليهِ واجتمع به عند صيوان طوربان مع جماعتهِ العبيد فاضع البنج في الخمر ومتى سكروا رفعتهم مع عبيدي الى البرية فيخلو صيوان طوربان ويمكنك ان تذهب اليها وتنال غايتك منها . قال ان بقاءها في الصيوان بين قومها مما يظهر الامر وربما لم اقدر ان اتمكن منها وعندي ان تاخذ صيوانًا الى البرية خلف اكمة منعزلة تنصبهُ هناك وتاخذ طوربان وهي نائمة الى هناك فتوثقها وتربط ايديها وتبقى على محافظتها الى مساء اليوم الاتي فاذهب اليها واصرف ليلي معها وهي واعية لنفسها لكنها مقيدة الايدي وبذلك اقهرها وانال ما انا طالبهُ وبعد ذلك اعتقك من رق العبودية وازوجك بالجارية التي تريدها واعين لك الاموال الغزيرة . فلما سمع عدو الامانة كلام سيدهِ فرح الفرح العظيم وقال له سوف ترى ما يسرك

ثم انهُ اخذ اربعة من عبيدهِ وبعث صيوانًا مع عبيد اخر واوصاهم ان ينتظروهُ خارج المعسكر في مكان عينهُ لهم وبقي سائرًا الى ان قرب من صيوان طوربان فاوقف العبيد الذين معهُ وسار هو وحدهُ حتى وصل من العبيد فسلم عليهم ودنا من عبد طوربان وقال له اعلم يا ابن العم اني في هذه الليلة جئت قبل الوقت لاني كنت بشوق زائد الى رؤياك اتمنى ان اشرب الخمرة معك وارى من نفسي اني مسرور جدًّا ولا يطيب لي الحظ الاَّ بالقرب منك نتعاطى الكؤوس معًا . فقال بارك الله فيك واني بانتظار ذلك غير اني ارجوك ان تصبر عليَّ الى ان تنام سيدتي لاني اراها في هذه الليلة قلقة وفي كل برهة تدعوني اليها وتوصيني بالمحافظة والتيقظ . فقال له اني انتظرك حتى الصباح فما من عائق يعيقني لان سيدي قد نام ولا يقوم الى الصباح ووكلت بالمحافظة عليهِ اتباعي . وكانت طوربان متكدرة متأثرة في تلك الليلة مما جرى بينها وبين زوبين الغدار وهي حزينة جدًّا تتمنى البعد عن المعسكر والرجوع الى المدائن او القيام في مكان اخر

بحيث لا تراهُ ولا يراها وقد شغل فكرها من بُعدهِ ووعيدهِ لانها كانت تعرف انهُ غدار خبيث دنيّ الاعمال قبيحها ولهذا كانت توصي العبد بان يبقى متيقظاً لتصرف تلك الليلة حتى اذا جاء اليوم التالي اخبرت اباها بعزمها على الرجوع الى المدائن وبعدت عن زوبين هذا . وصرفت اكثر من ثلاثة ارباع الليل وهي ساهرة قلقة الى ان تغلب عليها النعاس وفتك بها سلطانهُ فنامت وغرقت ببحر سُبات عميق . ولما تيقن عبدها انها نامت جاء عدو الامانة وقال له اني اعجب من مولاتي فانها لم تفعل في كل حياتها مثل هذه الليلة فانها خائفة جدًّا على نفسها ولا اعلم ممن ولولا تغلب النعاس لما نامت او لو كان عندها من يسليها لبقيت الى الصباح . فقال له دعها نائمة وهيا ادعُ جماعتك العبيد لنشرب الخمر معاً ونبقى محافظين عليها الى النهار اجابة لطلبها . فاحضروا الخمر واجتمع العبيد حول عدو الامانة فاخذ يسامرهم ويحكي لهم القصص والنوادر ويشغلهم ويلهيهم حتى تمكن من وضع البنج بالزق وهو متضجر قلق على الوقت الذي يمضي وقد خاف كثيرًا من ان تنقضي تلك الليلة ولا ينال مرادًا ولا يتوصل الى غايته ثم سكب الخمر وناول كل واحد منهم قدحه بدوره وصبر عليهم نحو خمس دقائق واذا بهم قد وقعوا الى الارض كالاموات . ففرح مزيد الفرح ونهض الى جماعته العبيد فدعاهم اليه وامرهم ان يشدوا عبيد طوربان ويحملوهم في الحال الى الخارج ويخفوهم في المغائر وينتظروهُ في البرية ففعلوا ودخل هو الى الداخل فوجد طوربان نائمة على سريرها فلفها بالفراش وربطه من الخارج وقد اخفاها داخله وهي غير ظاهرة وفمها مسدود بطرف الفراش وحملها على عاتقهِ واسرع يركض الى خارج المعسكر وكان صيوان طوربان منفردًا عن باقي الصواوين وكانت تقصد بذلك البعد عن ان ترى زوبين في غير صيوان ابيها وبقي عدو الامانة يعدو بها حتى التقى بالعبد الحامل الصيوان فسارا حتى جاءا خلف تلك الاكمة فنصبا الصيوان وانزل طوربان وهي ضيقة الانفاس على آخر رمق من الحياة فرفع الفراش عنها واوثق ايديها وسقاها الماء فوعت الى نفسها والتفتت يميناً وشمالاً فلم ترَ الا ذاك العبد فقالت له ويلك من جاء بي الى هنا ولما ذلك قال ان الذي جاء بك الى هنا هو انا عبد زوبين الغدار صاحب العظمة والفخار وقصدهُ يغتصبك وبذلك لتعلمي من نفسك كيف تكون نتيجة عداوته . فقالت لهُ ويلك وماذا يكون من امرك اذا رجعت الى المعسكر فاني بدون شك اقتلك شرَّ قتلة واقتل معك زوبين الخبيث المحتال وهل يظن انه يتمكن مني وانا بقيد الحياة قال انهُ ينال غايتهُ باسهل الطرقات لانك موثوقة لا تقدرين الدفاع عن نفسك وباي شيء يا ترى تدافعين ومتى نال ذلك فلا ريب انك ترضين بزواجه وتصبحين سيدتنا ومولاتنا ويكون لنا الفخر الاكبر بعملنا هذا عندك وسوف تكافينا عليهِ المكافاة العظيمة مع اني امين على مطالب سيدي ولا بد من اتمام اوامرهِ ولو كان بذلك هلاكي ولا

ويجب انك تعلمين اني خادم ومفروض عليّ طاعة سيدي وقد عملت الواجب ولا اعرف ما يكون بينك وبينه

ثم انه اعرض عنها وتركها تعض على شفتيها تحرقًا والمًا من فعل هذا الماكر المحتال وقد علمت انها وقعت في حبالهِ وخبث اعمالهِ وانهُ اذا جاءها زوبين ينال مرادهُ منها فبذلها وتلتزم بعد ذلك على قتل نفسها ولإخفاء امرها وجعلت تبكي على تهاملها بامر نفسها . وخرج عدو الامانة الى خارج الصيوان وارسل العبد فجمع باقي العبيد وسالهم ماذا عملوا . فقالوا له اننا اخفينا العبيد في المغائر . فابقى عندهُ عبدين وارجع الباقين الى المعسكر واوصاهم ان يدخلوا على زوبين سرًّا ويخبرونهُ بما كان وانهُ يبقى محافظًا على طوربان الى ليل اليوم القادم ولا يدع احدًا يطلع على امرهِ او يعرف اين هي ولا سيما ان الصيوان بمكان منفرد عن الناس وراء اكمة عالية لا يظن انها هناك وان ما من احد اطلع على هذا السرّ الاَّ العبيد . وكان نور الصباح اخذ في ان يظهر شيئًا فشيئًا فعاد العبيد حسب امر سيدهم وجاءوا الى المعسكر ودخلوا على سيدهم واخبروه بكل ما كان من امرهم وما فعله عدو الامانة وانهُ عند طوربان بالصيوان ففرح مزيد الفرح وسقط عن قلبهِ هم عظيم وتكدر من حلول النهار وجعل ينتظر انصراف ذاك اليوم ويذهب بانوارهِ ويأتي الليل بظلامهِ فيسير تحت اجنحتهِ لارتكاب القبيح ونوال المراد وكان يرى ان كل دقيقة اطول من سنة وهو يحاول ان يخفي امر طوربان عن ابيها ويشغلهُ عن السوال عنها والبحث عن امرها الى ان وصل الصباح الى افلنطوش وهو في صيوانهِ واخبر ان عمر اليوناني في وسط المعسكر يقاتل ويناضل والى جانبهِ طوربان تفعل كفعلهِ . فطار عقل زوبين الغدار وهو لا يصدق بمثل هذا الخبر واسرع مع افلنطوش الى ساحة القتال

قال وكان عمر اليوناني كما تقدم معنا انكلام يصيح وينادي انا عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان وقد جئت لانتقم منكم لغدركم بطوربان وهو يطرد الجيوش فتسير بين يديهِ كانها قطيع من الغنم وهي تزدحم وتتناطر من كل الجهات وطوربان تحمي ظهرهُ ولا تدع احدًا يقرب منهُ وتمدد الرجال على بساط الرمال وتنزل بهم الهلاك والوبال وهي متعجبة من صبر حبيبها على القتال وبراعتهِ في فنون الحرب خائفة من ان يقع في ايدي قومها لانهُ وحيد وهم كثيرون ولذلك صاحت بعمر العيار وقالت لهُ دع عنك القتال واسرع الى الامير حمزة واخبرهُ بامر ابنهِ قبل ان يصل ابي وزوبين الغدار وتحمل العساكر برمتها عليهِ وانا وعمر اليوناني نقدر على الثبات والبقاء الى حين تاتون . فقال لها لا تفارقيهِ الى ان اعود . ثم انطلق حتى جاء معسكر العرب وصاح باخيهِ حمزة وقال لهُ ويلك ادرك ابنك فانهُ في وسط الاعداء وقد فعل بهم العجائب وانزل بهم النوائب ولا بد ان يقع بهِ التعب فيصاب بنائبة او يقع بيد الاعداء وقد توافق

مع طور بان بنت افلنطوش وهي تقاتل معهٔ وتحمي ظهرهُ فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابهٔ وغاب وعيهٔ واسرع الى جوادهِ فركبهُ وحمل على معسكر الاعجام وحمل من خلفهِ اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وكل فارس وبطل عربي وعندما وصلوا الى ساحة القتال وجدوا ان قبائل العجم قد حملت باجمعها على الامير عمر اليوناني وافلنطوش يحركها ويصيح بها ان تتقدم منهُ وتحمل عليهِ وزوبين الغدار مع طور بان في نزال ومحاولة وهي تطلب ان تقتلهُ وهو كذلك وقد امتلأ قلبهُ حنقا منها وكره في الحياة الاَّ انهُ لما سمع صوت الامير حمزة وشاهد حملة العرب ترك طور بان وغاص بين قومهِ وكان القتال عظيمًا والنزال جسيمًا وقد اتسع المجال على الامير عمر اليوناني عند وصول ابيهِ وقومهِ ومباشرتهم القتال فجعل يخترق الصفوف ويلتمس في الميئات والالوف وطور بان الى جانبهِ وقد دفع اليهما عمر العيار جوادين فركباهما ودام القتال الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى المنازل والخيام ودعا حمزة بولدهِ وباخيهِ عمر العيار ولامهما على مثل هذا الجهل وقال لاخيهِ اما اوصيتك في المرة الاولى ان لا تذهب بولدي الى المخاطر. فقال انهُ ليس انا الذي ذهبت بهِ بل هواهُ ونصيبهُ وقد حصل على ما هو طالب ونال غايتهُ لانهُ كان يقصد ان يرى طور بان فحصل عليها وجاء بها وهي هنا الان ويقصد ان يتزوج بها وما سرت معهُ الا خوفًا عليهِ. ثم ان عمر العيار حكى لحمزة كل ما توقع لهُ مع ابنهِ من الوقائع لها مع الاعداء وكيف رايا طور بان موثوقة في البرية تقاسي الذل والهوان. فدعا حمزة بطور بان ونظر اليها فوجدها على جانب عظيم من الحسن والجمال وهي اشبه الناس بزوجتهِ مهردكار وكان قد راها وسط القتال وشاهد منها اشتداد ساعدها وقوة باعها وخبرتها من الحرب والقتال فعلم انها تليق بولدهِ واحبها كثيرًا واستعاد منها حديثها. فاخبرتهُ بما كان من امرها مع زوبين منذ اتيانها الى معسكر كسرى انوشروان الى ان خلصها ابنهُ. فقال لها اني اعرف ان هذا زوبين من اكثر الناس غدرًا وخداعًا وما ذلك الا لانهُ يعبد النار ولو كان على دين الحق ويعبد الله العزيز الجبار لما يقدم على مثل هذه الخيانة واني اسالك الان الزواج بولدي فهل ترضين ذلك عن طيبة خاطر ورضا لان شريعتنا تحرم الزواج الاَّ برضا الزوجين. قالت اني بطلب مثل هذا الشان تركت معسكري وابي واهلي ليكون نصيبي سعيدًا كنصيب بنت عمي مهردكار. قال لكن بقي عليك ان تتركي عبادة النار وتتمسكي بحبال الله وتسلكي على حسب شريعتهِ. قالت اني فعلت ذلك وعاهدت ابنك عليهِ. ثم دعا بولدهِ واعرض عليهِ زواج طور بان. قال هو الغاية والمراد فاني ما سرت الى قبائل الاعجام الاَّ لاراها واعرف هل هي كما قيل لي عنها او انها بخلاف ذلك فوجدتها فوق ما وصفت وقد سهلت لي العناية طريق الوصول اليها وهي بحالة مكدرة تحتاج الى مساعدتي فانتشلتها من العار. ففرح

الامير حمزة وعزمه بان يزف طوربان من ابنه في مدينة حلب وامر ان توخذ الى قصر يليق بشانها تبقى به الى حين سنوح الفرصة وذلك بالقرب من مهردكار . فاخذت وجاءت اليها مهردكار وسلمت عليها وقالت لها حسناً فعلت يا بنت العرفان العرب قوم اصحاب وفاء وزمام لا يهينون الزوجة ولا يظلمونها ولهم الشريعة المطهرة والناموس الحقيقي يبذلون كل النفيس والنفائس في المحاماة عن العرض ورفع الاذى بخلاف قومنا الاعجام فان لا اعتبار لمثل ذلك في صدورهم فيكرمون الزوجة احياناً واحياناً يتخلون عنها لغيرهم كانها غريبة منهم وفي نياتهم ان غيرها تقوم مقامها . قالت اني عرفت ذلك واعرفه ولا سيما ان الفرق بين من احببته واحبه وبين زوبين الغدار لا بل عموم رجال الفرس عظيم جداً واني اهنئ نفسي بذلك واهنئك على ما سبق منك في مراعاة صالح نفسك والنظر في راحة حياتك

ولما هدأ روع طوربان واختلت بنفسها نظرت الى فعلها والى تركها ابيها وقومها نظر المضطرب وقالت ماذا يا ترى يقول عني ابي وهو يجهل السبب في ذلك نعم انه ينسب لي الخداع والمكر والخيانة ويغضب عليّ وصرفت وقتاً تفكر في ذلك وفي كل خاطرها ان اباها لا يعرف بفعل زوبين فارادت ان ترسل له كتاباً تطلعه به على باطن القضية وظاهرها وتشرح له عما فعله معها زوبين الغدار من الاول الى ذاك اليوم وما نوى على عماه فكتبت كتاباً في ذلك وقالت في اخره ولا تعتب عليّ يا ابي فيما فعلت فاني اصبحت اسيرة لغلام من اشد فرسان العالم بسالة بحيث خلص حياتي من العار والذل فملت اليه حباً باعماله وكرهاً بزوبين الغدار الخبيث ورايت ان الراحة وحفظ الشرف بالبعد عنه . وبعد ان فرغت من الكتاب دعت بعمر اليوناني واخبرته بذلك وقالت له اريد منك خادماً يسير الى ابي يدفع اليه هذا الكتاب ويعود من حيث ذهب فدفع الكتاب الى عبد اخذه وسار حتى وصل الى افلطوش في صيوانه وعنده زوبين الغدار وهو في حالة جنونية وضياع عقل وقد هان عليه فقد الحياة وتمنى الموت على ما يلاقي من عناد التدابير وثبت في ذهنه ان طوربان ستفارقه الى الابد ويكون من امرها كابنة عمها مهردكار . فدفع الخادم الكتاب الى افلطوش فاخذه وقراه فزادت في قلبه نيران الغيظ وقال لزوبين هل وصل بك الغدر الى مثل هذا الحد حتى نويت ان توقع ببنتي وتلبسني العار مع انك كنت قادراً ان تطلعني على امرك فاجبرها ان تتزوج بك بطريقة شريفة . قال ان ما تزعمه هو على غير الصحيح لاني رجل احافظ على الشرف العجمي جداً وان الذي فعل هذا الفعل العبيد . ولا بد من ان اباكر في الغد الى القتال وابذل المجهود لاسترجاع طوربان وحينئذٍ تفحص عن سر هذه المسالة فيظهر لك الحق من الباطل . وكان افلطوش يعلم بغدر وخيانة زوبين فثبت عنده ان هذا الفعل فعله وان لا احد يجسر ان يصل الى الايقاع بابنته

وحمل مثل هكذا امر الا هو الا انه سكت على غيظه وقد راى نفسه محتاجًا اليه والى رجاله وخاف من الانشقاق والتفليت وترك هذا الامر الى وقت اخر

ولما كان صباح اليوم التالي نهض العجم من مراقدهم وامر زوبين بضرب طبول الحرب والكفاح وهو يريد ان يلقي بنفسه في ميدان الاخطار فاما انه يفوز بالمقصود واما انه يرتاح من الانكيس الحاصل له . وكذلك العرب فانها عند ما رات غاية العجم بالقتال امر الامير حمزة بضرب طبول القتال وركب على جواده اليقظان وركب عمر الاندلسي والملك النجاشي واندهوق بن سعدون وعمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وكل فارس وبطل وحالما وقعت العين على العين . حمل كل من الطائفتين . وقوم السنان . واطلق العنان . فاختلط العربي بالعجمي . والحبشي بالديلمي . وقامت الحرب على ساق وقدم . وحكم سلطان العدم . وجار فيها حكم واستبد وظلم . وقسى وما رحم وسلم بهلاك وفناء تلك الامم . التي اقلقت راحة السلام . ولم يكن لعنادها وقتالها نهاية ولا ختام . فاندفقت الادمية في افنية الارض كالانهار . واختلطت اجساد المقتولين بالتراب والاحجار . حتى ضاقت منها الصدور ووقعت تحت قضاء الله المقدور . وسلمت انفسها تسليم المؤمن الى القضايا وقربت نفوذها على مذابح الفوز ضحايا ولا زال القتال يعمل والدم يبذل الى ان اقبل الزوال وحان اوان الفراغ من القتال . فضربت طبول الانفصال . ورجع كل من المتقاتلين في الحال . وقد قتل في ذلك اليوم من الاعجام الكثير ورجعوا مقهورين مذلولين الى ان كان صباح اليوم الثاني اصطف الصفان وترتب الفريقان وهجما على بعضهم البعض حتى ارتجت جنبات تلك الارض ودار دولاب الحرب . وتبادل الطعن والضرب . طول ذلك النهار حتى كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان ودام القتال سبعة ايام حتى وقع بعساكر الاعجام الفناء وامتلأت السهول من القتلاء وراى افلنطوش ما هم عليه من التاخير والتعب فايقن بالهلاك والوبال . فجمع اليه زوبين الغدار وقال له اين اصل هذا الشر انت وقد ابعدت عني بنتي ولم تنفع بامر لان العساكر اصبحت على وشك الانقراض والتاخر ولم نر وسيلة الا النصر من الاعداء فوقع هذا الكلام على زوبين اشد من ضرب الحسام . وقال له اني وعدت بخلاص طوربان ولابد منه وانا اعرف ان النصر يكون لنا اذا قتل حمزة وقد جربت القتال معه مرتين فتوقفت الى قتله ولا بد في المرة الثالثة من النجاح غير انه من الواجب ان تبعث الان بكتاب الى العرب تسالهم الهدنة الى عشرة ايام لندفن قتلانا ويكون العسكر قد ارتاح واطمأن نوعًا ما ورجع اليه بعض قواه

قال فراى افلنطوش ان ذلك صوابًا فبعث بكتاب الى الامير حمزة يسأله ترك القتال

عشرة ايام لكما يكونوا قد دخلوا القسطنطينية فاجاب الامير سؤاله وكان في نيته ان يزف ابن علي طوز بان في هذه المدة حيث كان قد تولع بها كل التولع واحبها الحب الشديد وصار لا يفارقها الا حين القتال وهي لا تصبر على بعده : واذ ذاك دعا اليه السادات والاعيان وقال لهم اني اجبت الملطوش الى طلبه املاً ان تصرف هذه الايام بالافراح والمسرات فنزف ولدي علي طوز بان لاني احب ان لا يفاجيء ما قاسيت ولا يلاقي ما لاقيت من حب مهردكار ولذلك سنبتدي بالعرس منذ الغد . فسر الجميع لذلك ولاسيا عمر ابيو الذي كانت ابنته تقرب سوال المراد ممن احبها قلبه على صغر سنه وولع بها كل الولوع واحبها الحب الزائد وذهب اليها وهي جالسة بانتظاره وقال لها لقد آن اوان الاجتماع وحل وقت الزفاف وقد امر ابي ان يكون في هذه الايام ولذلك تريني مسرورًا جدًا ولا ريب انك تشاركيني في هذا الفرح . فقالت له ان قلبك يدلك على عظم سروري . وان كان من الواجب علي ان لا [illegible] لبعد اهلي وابي واني سازف بك كاسيرة بيدك او كابنة احد اعدائكم غير ان ثقتي [illegible] حبك تدفعني الى التمسك بحبال الامل الطويل الوطيد ان اكون الان وعلى الدوام اسيرة حبك واعامل منك معاملة المحبوب الامين فانت سيدي وفخري وابي وامي لا بل انت السيد والمحبوب والرجاء والامل الوحيد . ثم بكت وانشدت قائلة

دنوًا لقد اوهى نجاديَ البعدُ وصلاً فقد ادمى حوانيَ الصدُّ
اجن غرامًا فيك خشية كاشح من مدمعي ودق وفي كبدي وقدُ
وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى لكن الى ان يجزع الاسد الوردُ
فيا من يبين الرشد فيمن احبه [illegible] يلتقي الحب المبرح والرشدُ
تلاعبت بالاشواق حتى لعبن [illegible] [illegible] كنت ادري ان هزل الهوى جدُّ
بليت [illegible] بادل القد [illegible] [illegible] لي الحجر الصلدُ
اذا جئته [illegible] لست [illegible] [illegible] باشبان على مثلها اغدو
تهددني من مقلته اذا [illegible] واغضب مهما يصنع الله لا الهند
حداد يلوح الموت في صفحاته [illegible] لها في كل جارحة غمدُ
كأن عليها القتل ضربة لازب [illegible] لها ما تحاولة [illegible]
نعلم منها الدهر صولة فاتك [illegible] تزداد فتكًا وتشتدُّ
كانها في حلية الصيم فارسًا [illegible] وكل منهما سابق بعدو
فافزع من جور الخطوب والتجني [illegible] اضحى له الحل والعقدُ
تصدى لنصر الدين بعد انخذاله [illegible] اعقابه الزمن الوغدُ

اعني ايا ابن الكرام فانني غريبة قوم انت لي العون والقصد

فضمها اليه وقبلها ومسح دمع عينيها وطيب بخاطرها وهو يعرف انها مولعة به كل الولع شديدة الحب وصرف اكثر ليله عندها على شرب العقار ومناشدة الاشعار . وفي اليوم الثاني اخذتها اليها مهردكار ووضعتها في قصرها واصلحت شانها . واخذ العرب في عمل زفاف ابن الامير حمزة وكلهم فرحون بذلك يرقصون ويطربون ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويشربون الخمور مدة سبعة ايام وفي اليوم الاخير عقد للامير عمر على طوربان بحضور سادات العرب وقضاة حلب ودخل بها وامتلأ من حسنها وجمالها وصرف نحو ثلاثة ايام عندها لا يخرج من القصر وهما على اهنى ما يكون من لذة العيش وقتلا الهجران بطيب الوصل والتقرب . وبلغ في اليوم الاخير افلنطوش ان ابنته زفت على عمر اليوناني ابن الامير حمزة فتكدر جدًّا وكاد يفقد صوابه وكذلك زوبين الغدار فانه اصبح كالمجانين وانقطع امله وانفطر فؤاده وهان عليه الموت بعد ذهاب طوربان من يده وهو صابر على لوم افلنطوش وتوبيخه له . وما صدق ان حان يوم القتال حتى نهض هو قبل الجميع وركب على جواده وامر بضرب طبول الحرب والقتال فضربت ونهضت الاعجام الى خيولها فركبتها وفعل مثل ذلك العرب واصطف الصفان وترتب الفريقان وعولت العساكر على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد سقط الى وسط المجال وهو فوق جواده مدجج بالسلاح فصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان . ثم انه وقف في الوسط ونادى . هيا يا سادات العرب فابعثوا الي باميركم حمزة وغيره لا اريد فاما اني اقتله واريح كسرى من شره واما اني اقتل واكون قد لاقيت جزائي منه . ونظر الامير حمزة الى زوبين الغدار وهو في وسط الميدان وتعجب من امره وهو لا يصدق انه هو ذاته ولذلك اسرع اليه خوفًا من ان يندم على البراز ويرجع من ساحة القتال . ولما صار امامه قال له ويلك يا زوبين الى متى وانت مختفٍ عني وانا اتمنى ان اراك وما الذي حملك على البراز اهل رايت طريقًا اخر للغدر بي والخيانة اجاب اني عرفت ما فعلت معك ولذلك جئت كما تراني واطلب اليك اذا قدرت عليَّ ان تقتلني لاني ارى الى ذنوبي وقد وضحت امام اعيني لاهانتي فاستعد الان فليس في وسعي الكلام فانه يزيد احزاني واكداري ويضعف قلبي ويذكرني بخيانتي . فانحط عليه الامير انحطاط البواشق وانقض عليه انقضاض الصواعق واخذ معه في القتال والحرب والنزال . وهو يراقب كل حركاته ويخاف من غدره وخيانته وزاد عليه الدرهم فنطار وضيق في وجهه واسعات تلك القفار حتى ايقن بالهلاك والبوار وشاهد الموت يحيط به احاطة السوار وعرف ان حمزة في هذه المرة لا يترك له طريقًا للخلاص ولا ينخدع اذا اراد خداعه ولا يقدر ان يحفظ نفسه من الهلاك الا اذا سلم نفسه اسيرًا ولذلك صاح الامان الامان يا فارس الزمان وجوهرة

الفضائل والاحسان . فها ان سيفي بين يديك وروحي مسلمة اليك . ثم رمى بسيفه الى الارض ووقف ذليلاً . فاغمد الامير حمزة سيفة في الحال وانقض عليهِ وقبضة من جلباب درعهِ ورماهُ الى الارض . واذا بعمر العيار قد انقض عليهِ واوثقهُ ورجع بهِ الى الخيام وفي تلك الساعة حمل عمر اليوناني وحمل من خلفهِ فرسان العرب وداروا بالاعداء من كل الجهات وانزلوا عليهم انابيب الويلات وقيدوهم بحبال الشدات ولا زال القتال دائم وعزرائيل الهلاك قائم حتى اقبل الظلام . وقد تقهقر العجم الى الخيام وايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كاس الحمام . فرجع عنهم العرب الى المنازل وهم متيقنون ان حالتهم حالة ذل وويل وانهم ما عادوا ينفعون لقتال ولا يقدرون على المقاومة

وعند ما رجع الامير حمزة الى الخيام نزل في صيوانهِ اي صيوان اليون شاه وكان العرب من كبيرهم الى صغيرهم فرحون باسر زوبين الغدار ويتيقنوا ان الامير لا بد ان يقتلهُ ايشم قتلة ولذلك كانوا قد ازدحموا الى الصيوان ينتظرون امر الامير بالاتيان بهِ وكان زوبين نفسهُ يعتقد انهُ هالك في تلك الليلة وانهُ لا بد من وقوع نظر الامير عليهِ يقتلهُ في الحال . ولما انتهى اجتماع الامراء والملوك في الصيوان . قال الامير لاخيهِ عمر العيار اذهب واتني بزوبين الغدار فسار واحضره وهو مقيد الايدي والارجل والناس تزدحم حواليهِ من كل الجهات حتى أُدخل بهِ الصيوان . فوقف بين يدي الامير حزيناً واطرق الى الارض واظهر على نفسهِ الذل والكآبة فقال لهُ الامير حمزة . ماذا رايت من نفسك يا زوبين وهل ثبت لديك ان عاقبة الغدر وخيمة ذميمة . قال اني عرفت ذلك من قبل ان بارزتك ولذلك سلمت بنفسي لاخلص من حياتي الذميمة وقلت في نفسي اذا قتلني الامير نلت ما انا مستحقهُ وجازاني على شري واذا عفى عني اكون قد تخلصت من خدمة العجم ومن قباحة دين النار الذي لا يمنع من الغدر ولا يعد عمل الخير فاعيش عندهُ وفي خدمتهِ . وذلك لاني كنت احسد فرسانك وابطالك الذين بين يديك يخدمونك ويتقربون منك وهم معظمون مفضلون . قال كيف يمكن ان اصدق صفاء نيتك وصدق قولك بعد ان رايت ما رايت من غدرك بي وما اوصلت اليَّ من الشرّ وانت توسم بالغدار . قال اني لا الام على غدري بك لاني اعرف واعترف انك اشد مني باساً واقوى مراساً ولا اقدر ان اكيدك في ساحة القتال ولا يمكني ان اتخلى عن حربك حيث كان اوصلني الطمع الى ان اعد نفسي زواج مهردكار وبعدها بطوربان ولو كنت انت مكاني في مثل ذاك الوقت لفضلت الموت على عباد الرمان . ولا سيما اني كنت اوثثر على عبادة النار والآن وطدت كل العزم على عبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار وهذا الذي يجعلني ان اخبرك بالصدق وافضل الصحيح على غيره وكفاك شاهداً برازي اياك وطرح نفسي بين يديك مع انه

بمكان في وسعي ان اخفيه مخفياً بين قومي واذا انهزموا انهزمت معهم وعلمت الى للمدائن انتظر الفرص . فقال له حمزة ان كنت تومن بالله سبحانه وتعالى وتعتبر وصاياه وترضى بان تكون معنا عفوت عنك وجعلت لك مقاماً بين رجالي وابطالي . قال ان ربك يشهد علي ان لا اتكلم الا الصحيح واني لا اخفي في باطني شراً . ... قط وما انت قادر علي فاما ان تميتني فحقك واما ان تبقي علي فمن كرمك وعدلك . قال حمزة اني عفوت عنك وتركت لك جريمتك واعدت اليك سيفك فتكون بين رجالي ... . وازع عنك اسم الغدار واسميك بعبد الله زوبين . فلا يكون اسمك منذ هذه الساعة . هذا ولا ريب انك اسرّ من ذلك

قال ولما سمع الفرسان كلام الامير و... عن زوبين . دار بينهم الحديث وتنفسوا من عمله وما مان عليهم بقاء زوبين حيّاً ... عمر العيار لما هذا العفو ... نحن بحاجة لمثل هذا الخائن الغدار وهل تظن ان ما ... ق واني اقسم بالله العظيم انه يقصد الشر والخداع كسابق عادته فما من نفع في حياته ... ان نقتله ونريحنا من شره وكذلك قال باقي الابطال والرجال الذين في الصيوان ... تعلمون ان قتل الاسير حرام ولا سيما انه يقول ويوكد بانه قبل الايمان وصار من ... فكيف كان الحال فقتله يحسب اثماً علينا وخطيئة . واذا كان يخفي خلاف ما اظهر ... ريعاملة الله . ثم نهض في الحال واطلق قيد زوبين وارجع اليه سيفه واعد له مكاناً بين ... ن وما منهم من يريد ان يقرب منه او يحاكيه بليح ولا باطل . وقد تعجب الجميع من ... باطن الامير وحلمه وحسن طويته وعدله وحبه الله واعتقاده واعتباره لارادته . واما زوبين فكاد يطير من الفرح وايقن بنوال المراد وبلوغ الغاية واعد له الامير حمزة مكاناً يقيم به فنام ذلك الليل الى ان كان صباح اليوم الثاني جاء الى صيوان اليون شاه فوجد الامير حمزة والفرسان قد جاءوا واقام كل واحد في مكانه فسلم عليهم وجلس . ثم قال للامير اعلم يا سيدي انه لا خفاك ان افلنطوش قد رحل عن هذه الديار في الليل وسار الى جهة المدائن وقد خطر لي ان اتبعه فاما ان اقنعه واجبره ان ينقاد الى عبادة الله سبحانه وتعالى وينضم الينا ويعادي ابن عمه كسرى انوشروان واما ارجع بقومي ورجالي لانهم ساروا معه ويكونون عوناً لنا . وليس من العدل ان اتركهم بيد الاعجام وبينهم وقد جئت استشيرك بذلك فاذا سمحت لي فعلت . قال اما الاتيان برجالك فلا باس ... فهو لازم واما اقناع افلنطوش فهذا لا اظنه ولا يمكن لانه من عائلة الاكاسرة وعبادة النار مزروعة في قلبه قال اني اعرف ذلك ولكن اعرف ايضاً انه يبيع دينه وبلاده ورجاله وكل ما هو عزيز لديه اذا قدر ان يكون قريباً من بنته يراها في كل يوم لانه يحبها محبة تفوق محبة الالهة . قال له اني اسمح لك فافعل ما انت فاعل . فركب عبد الله زوبين في الحال وسار في طريق المدائن

ركضاً ليدرك عساكر الاعجام

وكان افلنطوش في تلك الليلة قد حدثته نفسه بالهرب ورأى انه اذا بقي يوماً اخر هلك واهلك كل رجاله وثبت في ذهنه ان الامير حمزة لا يبقي على زوبين ولا يتركه دقيقة في قيد الحياة وعليه فانه امر رجاله ان تستعد لترحل بعد نصف الليل وتسير على طريق المدائن وهو متكدر كل الكدر على فراق بنته وعلى مصابه وتاخره . وبعد نصف الليل باكثر من ساعة ركب وركب من تبقى معه من فرسان العجم وساروا في طريقهم وعند الصباح افتقدهم العرب فما راوهم ولا زالوا سائرين الى قرب الظهر وحينئذٍ ادركهم عبدالله زوبين وتبينوه عن بعد ففرحوا وللحال امر افلنطوش بان تقف العساكر فوقفت فرحة الى ان دنا منهم واجتمع بافلنطوش فسلم عليه وهناه بالسلامة وقال له كيف خلصت من بين يدي حمزة . قال اني قبلت كلمة الايمان وعبدت الله سبحانه وتعالى فوجدت في ذلك لذة عظيمة وقد صرت منذ الان على دين حمزة ومن رجاله اقاتل بين يديه وجئت لاطلب اليك ان تجاريني في هذا العمل ونتفق معي على عبادة الله وترك عبادة النار والتخلي عن كسرى انوشروان فتجد في ذلك لذة كبرى وتنال الخير العظيم فضحك افلنطوش منه وقال له بارك الله لك بهذا الدين الجديد ودامت عليك نعمة واما انا فلا تطمع نفسك بي فاني ساسير الى كسرى وعندي انك تسير معي وهناك ندبر في امر هلاك العرب . قال هذا لا يمكن فارضَ بما اعرضه عليك وسترى ما يسرك من امر العرب وسيدهم . وكان زوبين يتكلم بجد حتى توهم الجميع انه عبد الله وترك عبادة النار وصار من رجال حمزة الا انه لما اختلى بافلنطوش قال له اتظن اني اترك ما انا عليه واعادي كسرى واجاري العرب على دينهم واضم اليهم . غير اني وجدت من الحيلة ان اكون واياهم على اتفاق واقي عندهم الى ان ينسوا ما فعلت معهم ويامنوا اليَّ واذ ذاك اغدر بهم وادبر على هلاكهم وقتلهم فاذا شئت ان تتمم هذه الحيلة ارضَ بما اعرضه عليك وسر معي طائعاً الى امير العرب واعرض عليه طاعتك وانك قبلت الايمان واطلب اليه ان يدفع اليك رجالاً يعلمونك ويعلمون العساكر الايمان والشريعة ومن العجيب ان حمزة الذي يحسب في هذه الايام من اعظم العالم بسالة واقداماً واشدهم مجداً وفخراً بسيط القلب يصدق كل ما يسمع ولا يظن الشر باحد وهذا يساعدنا على نوال المراد واري من الضرورة ان تكون انت معي بينهم فيسهل علينا كلما نريد ونوقع بهم ونقتل الامراء والاكابر ولو احتملنا منهم في الاول الاهانة وعدم الركون لكننا سنلاقي فيما بعد النصر وناخذ ثارنا منهم . فاطرق افلنطوش عند سماعه هذا الكلام الى الارض وراى ان كل ما اشار اليه زوبين عين الصواب وما من ضرر بذلك . ثم قال له اني ارضى واجيب الى طلبك فان به الخير والنجاح لكن من الواجب ان نطلع كسرى على كل ما جرى ونخبره

بامرنا وإننا ما دخلنا مع العرب الا لإتمام الحيلة ونوال المراد حتى اذا بلغهٔ ذلك يعرف نفس المسألة فلا يتكدر قال هذا لا بد منهُ فارسل له كتاباً الان ونحن سنجعل الرسل متواصلة بيننا وبينهُ . وفي الغد عد بنا الى حلب

ثم ان اقلنطوش كتب كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بما كان من امرهم مع العرب وكيف انهم تاخروا واخيرًا راوا من الصواب ان يخدعوا العرب ليوقعوا بهم ويذلوهم وهم بامان منهم ويسال منهُ ان يكتم هذا الامر عن الوزراء وكل احد كي لا يعرف العرب بذلك او تصل اليهم الاخبار من احد . وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان وعند الصباح عادوا الى ان جاءوا مدينة حلب وكشفوا معسكر العرب فامر زوبين رجالهُ ان تضرب الخيام بالقرب من خيام الاعداء وان يصيروا هم من العرب ويتصل الطنب بالطنب واعلن بينهم انهم منذ ذلك الحين اصبحوا مساعدين لحمزة ورجاله ففعل معسكر العجم كل ما اشار اليهِ زوبين واما هو فانهُ سار بنفسهِ واخذ معهُ اقلنطوش حتى جاء صيوان الامير حمزة فوجدهُ على كرسيهِ جالسًا كانهُ الاسد في مربضهِ ومن حولهِ الفرسان والابطال كلٌّ الى جهة بحسب رتبتهِ ومقامهِ ولما دخل دنا من حمزة وقال له هذا هو اقلنطوش وقد صرفت الجهد الى اقناعهِ وبينت له حسن طويتك وحلمك وعدلك وإن لنا الراحة العظيمة والمجد الاكبر بقربنا منك ووعدتهُ لا بد ان تستولي على تخت كسرى فتعهد به اليهِ فاجاب واذان له انهُ متكدر من ابن عمهِ لانهُ لا يعاملهم بحق ولا يقدرهم حق قدرهم . ثم تقدم اقلنطوش من حمزة وسلم عليهِ واشار الى باقي الفرسان بالسلام فاجلسهُ عمر العيار في مكان يليق بشانهِ وقلبهُ يحترق من عمل اخيهِ . وبعد ان جلس قال له حمزة اعلم ايها الامير والسيد العظيم اننا قوم نعبد الله تعالى العزيز الجبار خالق الليل والنهار يعرف ما في الخبايا ويطلع على السرائر والخفايا . فاذا شئت ان تكون معنا وبيننا وتحسب نفسك كواحد منا يجب ان تعبدهُ وتترك عبادة النار والاصنام وكذلك كل معسكرك والذين معك من الكبير الى الصغير ولا بد ان تلاقون راحة ولذة في هذه العبادة . قال لقد اخبرني زوبين بكل ما لاقى منك من الاكرام والحلم وانك بعد ان كنت قادرًا على قتلهِ عفوت عنهُ واكرمتهُ وتركت له جرائمهُ العظيمة ونسيت غدرهُ بك وخيانتهُ السابقة فتعجبت وعرفت انك من كرام الناس ولا ريب ان من كانت هذه الصفات صفاتهُ وهذه المزايا مزاياهُ يفدى بالارواح ولا يعادى وكنت قبلاً متكدرًا من زواج بنتي بابنك والان رضيت وفرحت بهِ لانها وحيدة لي ومن العدل ان تكون زوجة لرجل مثل ابنك فتلاقي الراحة والسعادة . وها انا الان على دينكم وبين يديكم فعلمونا كل ما هو واجب ان نعملهُ وما انا بافضل من بنتي طوربان ولا نطيق نفسي البعد عنها لانها عندي افضل من ممالك العالم واعز من كل ما فيها وهذا احكيهِ لكم عن صدق قلب ونية

الا اقصد الاَّ الحقيقة واني منذ هذه الساعة صرت عدوًّا كبيرًا لكسرى انوشروان حيث لم ينظر في مصلحة نفسهِ حق النظر ولو كنت مكانهُ لسلمت بكل ملكي و بلادي اليكم وجعلتكم عونًا لنا وغوثًا لدولتنا . فقال حمزة اني اشكرك على قولك ولا بد من ان ادفع اليكم الاسانذة لتعلمك وتعلم قومك شريعتهُ تعالى لكنني اقول لك امرًا واحدًا فقط . وهو ان الهنا يسالنا ان نسالم العالم ونعرض عليهم الايمان كما فعلت انا فمن قبل حرم علينا قتالهُ وهو لا يغش ولا يغدر به فاذا كان ايمانكم عن رضى وانكم بالحقيقة تقبلون كلمتهُ وشريعتهُ جازاكم بالخير وساعدكم وما ترك الكفر يتمكن منكم . والاَّ اذا كان ايمانكم عن كذب وانكم تقصدون الشر جازاكم بمثلهِ وانزل عليكم بغضبهِ وما ترك لكم باب الشر مفتوحًا بل سدهُ في وجهكم ورد كيدكم الى نحركم . ومن هذا تعلمون اني اقبلكم كاخوة بالله واترك ما تضمرون لله تعالى . ثم انهُ نهض الى افلنطوش وقبلهُ وترحب به وامر فرسانهُ وابطالهُ وملوكهُ ان تقرب منهُ وتسلم عليهِ وتقبلهُ وتعاهدهُ كواحد منهم فنهض اليهِ الجميع وقبلهُ كل واحد بدوره وهم يتذمرون ويتمقمون من عمل الامير ويتعجبون من صفاء باطنهِ وحسن اعتقادهِ بالله مع تيقنهم ان زوبين وافلنطوش وقومها من الكفرة لا يؤمنون بالله سبحانهُ تعالى ولو سلخوا وشووا على النار وان ايمانهم كذب ولا بد من الغدر والخيانة ونووا ان يبقوا متحذرين منهم غاية التحذر على الدوام وان عمر العيار كذلك بقي محافظًا على اخيهِ وابن اخيهِ وزوجتيهما

قال وصار عبدالله زوبين وافلنطوش منذ ذلك اليوم مع اعيان معسكرهما ياتون الى صيوان اليون شاه ويقيمون بين العرب كانهم منهم ولا يظهر من امرهم شيء مكدر يجعل العرب بارتياب منهم نحو خمسة اشهر وفي كل هذه المدة كان يجتمع افلنطوش ببنتهِ ويظهر لها محبتهُ كالعادة وفي قلبهِ لهيب النار كيف انها مكنت منها عدوهم ورضيت عن قصد وطوع ان تكون زوجة لهُ دون ان يكون اباها راضيًا بذلك والرسل على الدوام متواصلة بين كسرى وبينهُ وهو ينتظر نتيجة لهذه الخدعة . الى ان كان ذات يوم وهم جالسون بالصيوان واذا بالعبيد قد دخلوا على الامير حمزة وبشروهُ بان زوجتهُ مهردكار قد ولدت ولدًا ذكرًا وهي سالمة ففرح وسرَّ مزيد السرور واعتق العبيد واجزل العطاء وانعم عليهم ووهب الاموال وفرَّق الذهب و بعد ذلك جيء اليهِ به وهو في لفافتهِ محمولاً على ايدي العبيد والخدم فاخذهُ وقبلهُ ونظر في وجههِ فراهُ كانهُ البدر في تمامهِ عليهِ دلائل السعد والاقبال فامتلأ قلبهُ من حبهِ ولا سيما لانهُ ابن مهردكار التي احبها الحب العظيم وفضلها على كل نسائهِ . ومن ثم اخذهُ الامراء والفرسان كل واحد بدوره ينظر اليهِ ويقبلهُ ويهنئ الامير حمزة به ولما اخذهُ افلنطوش ونظر به انفطرت مرارتهُ وهاجت بقلبهِ نيران العداوة وتذكر في داخلهِ كيف يكون هذا ابن بدوي من بنت سيد العجم وملكهم وقد

اخذها بالقهر والجبر رغمًا على ابيها وكل قومها الا انه اخفى ذلك وهنأ الامير بو كغيرة وكذلك زوبين فانهُ راى به دلائل والدته التي كان احبها وتمنى ان يتزوج بها . وبعد ان طيف بالولد على الجميع اعيد الى ابيه وسأل ماذا يريد ان يسميه . فقال اني تركت الحق بمشيئته لامه ولذلك من الواجب ان ابعث استشيرها على هذا ثم ارسل احد العبيد يسألها في ماذا تريد ان تدعوه ليكون اسمهُ معروفًا بين قومه منذ ذلك اليوم . فقالت للعبد اخبر مولاك اني اريد ان اسميهُ قباط حيث قد ولدتهُ في غربتي . وحينئذٍ دعا الامير حمزة اسمهُ قباط واعادهُ الى امهِ وامر ان تقيم عندها المراضع والجواري لخدمة الطفل وتربيته وهذا المولود يكبر ويسود بين العرب ويكون لهُ اعظم شانٍ وارفع مقام ويصير ملكًا عليهم كما سياتي ان شاء الله

وكان عموم العرب قد لاحظوا حال افلنطوش وما وقع منهُ عند رؤيته الغلام وكيف اضطرب وقلق فاجتمعوا بعضهم وقال اندهوق اني لا ازال الاحظ على زوبين وافلنطوش حالها وما هما عليهِ ولا ريب انهما لا يزالان على الشر والكفر لا يرضيان من نجاح العرب ولا راحتهم وظهر لي ذلك عيانًا في هذا اليوم وعندي ان تخبر الامير بذلك وتسالهُ ان يطردهما عنا او يبعدهما الى مكان اخر مع قومهما فقال النجاشي ان الامير سليم القلب فلا يرضى ان يكون ظالمًا ويغدر بهما وان كانا مملوئين من الغدر والخيانة ولذلك فليبقَ كل واحد محافظًا على نفسهِ وقومه منتبهًا في الليل والنهار خشية من الغدر حتى اذا ظهر منهما ذلك بطشنا بهما واهلكناهما مع قومهما ولا ريب ان الامير اذ ذاك يعذرنا ويعرف خيانتهما . قال عمر الاندلسي ان خوفنا على الامير منهما فانهُ سليم القلب يسلم لهما ويصدق كل ما يسمع فاذا احتالا عليهِ وانفقا وحينئذ يغتنمان الفرصة وينفذان ما ربهما بهِ . فاجاب النجاشي ان الامير محروس منهُ تعالى محفوظ بعنايته فلا تنفذ فيهِ غاية الاشرار ومع كل ذلك فان عندهُ عمر العيار نقمة الانس والجان من لا تغفل لهُ عين ولا ينام عن عدوه ولا ريب انهُ ساهر على حفظ اخيهِ لا بل على حفظ العرب باجمعهم وهو يعرف ان افلنطوش وزوبين وسائر الاعجام لم يأمنوا بالله عن يقين وان قلوبهم مملوءة من الشرّ والخداع والفساد ولا بد من ان تكون نقمة العجم عن يده . وهكذا اصبح كلٌ من العرب في حذر من زوبين وافلنطوش ولكن قضاء الله اذا كان واقعًا لا بد من اتمامهِ مهما تحذر المتحذرون

فهذا ما كان من العرب واما ما كان من افلنطوش وعبدالله زوبين فانهما بعد ان تركا صيوان الامير حمزة سارا الى معسكرهما وقد قال افلنطوش لعبد الله زوبين اني تكدرت في هذا اليوم كثيرًا فوق ما انا متكدر لانهُ ما كفانا انا في كل يوم نرى اعداءنا ونقيم بينهم ونسمع لهم ونذل بين يدي اميرهم كسيد لنا ونراهم يتمتعون ببناتنا رغمًا علينا حتى اخيرًا ياتوننا باولادهم

ولعرضوهم علينا لنقبلهم ونفرح فيهم مثلهم وما هذا الا عار عظيم علينا ونفسي لا تكاد تحمله وقد ندمت على الاتيان معك اليهم والصبر على الانضمام اليهم . قال قد مضى الكثير ولم يبقَ الا القليل وسوف ترى ما يكون من امرنا معهم ولا بد من مسك مهردكار وطوربان وارسالها الى المرازبة وخدمة النار لتكونا ضحيتين للنار عن ذنوبنا نحن الذين التزمنا بسببها ان نكفر بديننا وننضم الى عبدة البطل والكفر . قال افلنطوش هذا لا بد منه فاني ساقبض على كل النساء اللاتي هما كدرة الصدف وغيرها ونجعل همنا واهتمامنا ان ناخذ النساء فقط ونسافر عن هذه الديار لان العرب منتبهون الينا كل الانتباه ويطول امرنا معهم اذا اردنا ان نغدر بهم ولولا الامير حمزة لما قبلونا قط ان نكون بينهم ولذلك سا بعث اخبر كسرى ان بنته ولدت ولدًا ذكرًا ودعت اسمه قباط وهذا كان اسم احد اخوتها وقد توفي ولم يكفها ان صارت كواحدة من العرب حتى انتحلت اسم اخيها وهو من الاسماء المكرمة عند العجم ودعت ولدها به ولا بد انه يتكدر من ذلك ويخبرنا كيف نفعل ونطالعه على انتباه العرب وتيقظهم منا واننا اذا اردنا ان نغدر بهم لا نقدر الا بعد زمن طويل جدًا لا يعرف مقداره اي الى حينما تطمئن افكارهم ويثبت لديهم صفاء بواطننا ويتوهمون ان لا خوف ثمة منا . قال اكتب بذلك الى كسرى واني اوكد لك انه يفضل ان نبقى اكثر من عشر سنين وعشرين سنة بين العرب وهو بامان منهم على امل ان نقتل الامير حمزة

ومن ثم كتب افلنطوش كتابًا الى كسرى انوشروان يخبره بولادة بنته وانها دعت اسم ولدها قباط وسال منه هل يبقى على الانتظار او يترك العرب ويعود برجاله الى المدائن اذ انه لا يرى وسيلة لنوال مراده في الحال ولا يقدر احد من العجم ان يصل الى حمزة البهلوان . وبعث الكتاب مع نجاب ولما وصل الكتاب الى كسرى عرف ما فيه ارسل له الجواب يقول له فيه ابقَ مكانك ولا تترك ما انت عليه واحفظ مودتك مع العرب في الباطن الى ان نقتل الامير حمزة وتعدمه الحياة ولو بقيت دهرًا واني ساع في ايجاد الوسائط السرية لنوال المراد فكن مطمئنًا . وعندما وصلت هذه الكتابة الى افلنطوش بقي على ما كان عليه وما مضى على ذلك الا اشهرًا قليلة حتى ولدت طوربان ولدًا ذكرًا ففرح به الامير اكثر من فرحه بولده وامر ان تزين مدينة حلب خمسة عشر يومًا وتدار الافراح في كل ناح ففعلوا وبعد ذلك جيء به الى صيوان البهلوان شاه وناوله الى الامير حمزة فاخذه وقبله ودفعه الى جده الاخر وهو افلنطوش فمد يده لياخذه فجعلت يده ترتجف وخاف من ان يسقط من يده فقال لحمزة اني كنت لا اصدق ان بنتي تاتي بولد ذكر وابقى حيًا فاراه فهي عزيزة لي والان لا اعرف ماذا اصنع فاني ارى كل اعضائي تتحرك وتمرض ولما اخذ الولد اليه وجده كانه البدر في تمامه جمع بين بهاء ابيه وجمال

الامير فزاد اضطرابه فؤاده الا انه تجلد وقال اصهره بشراك بهذا الغلام فاني اراه مسعودًا واشكر الله على مثل هذه النعمة واطلب اليه ان يعيش كثيرًا وينال ما ناله ابوه وجده من الاقبال والتوفيق . ثم اخذه ابوه وقبله في جبهته وقال لابيه حمزة ماذا ندعوه . قال حيث ولد في ايام الراحة والهناء فلندعوه سعدًا لان السعد بوجهه . ثم اعادوه الى امه ووضع له المراضع والخدم واخذ الولدان يكبران ويترعرعان يومًا فيومًا وفي كل مدة يوتى بهما الى بين الفرسان ينظرهما الخاص والعام ويقبلهما الامير حمزة وابنه وافلنطوش ودام الامر على مثل ذلك حتى صار الطفلان يقدران على المشي فياتيان مع الخدم الى افلنطوش يومًا بعد يوم ويقبلان يديه وهو يكاد يقضي عليه من ذلك ولكن كان يظهر في وجهها الرضا والقبول ويهش خشية من اظهار الامر وقلبه يتمنى لهما الموت والهلاك ومثله لامهما حيث انهما نجستا عبادة النار واحتقرتاها جدًا ودخلتا عن حقيق في دين الاله تعالى

فذات يوم نهض الامير من نومه مرعوبًا مضطربًا ودعا بفرسانه واعيانه الاخصاء وقال لهم اني رايت حلمًا راعني وارعبني وجعلني قلق الافكار مضطرب البال واني خائف من عاقبته جدًا ولذلك دعوتكم لاعرف ماذا ترون في امر هذا الحلم . وهو اني بينما كنت نائمًا في اعمق نومي وجدت نفسي كاني في مكة المطهرة بين قومي وهناك رايت اسرابًا من الغربان تحوم حول المدينة ورايت بعض هذه الغربان ياتي المدينة ويخرج منها ومن ثم حانت مني التفاتة الى احداها فوجدت واحدًا كبيرًا يحمل في فمه ابي ابراهيم ويسرع في طيرانه ورايت بعض هذه الغربان ايضًا تحمل من سادات مكة وتخرج مسرعة فغاظني ذلك واردت ان اتبع بهم واذا بي قد استيقظت فوجدت نفسي في فراشي فحزنت جدًا بتذكرت ابي ورجاله وتلك الارض التي تفوح بمسك الطهارة وارتبت في راحتهم وقلت لا بد ان يكون قد وقع عليهم امر مكدر وفي ظني اني اركب واسير الى مكة وانظر كيف حال ابي وقومي فقال اندهوق لولا وجود الاعجام بيننا لرحلنا عن هذه الديار الى تلك النواحي واقمنا فيها بضع سنوات الى حين نرى ما يكون امر كسرى غير اننا لا نزال مرتابين من صدقهما ونخاف ان نذهب بهما الى تلك الارض فننجسها بوجودهما عليها وهما على الكفر والنفاق وقلة الامانة ونمكنهما بانتهائنا بالاسفار من الوصول الى الغدر بنا . قال الامير ما لنا ولهذا الفكر فهذا لا يعرفه الا الله تعالى نعم اني ارى من اعمالها ما يجعلني في ارتياب لكني لا اريد ان افعل شيئًا قبل ان ارى منهم دليلاً على الغدر واضحًا فلا اكون ظالمًا بعد ان امنتهم على انفسهم . فقال المعتدي حامي الساحل اني ارى من الصواب ان يذهب عمر العيار باسرع من البرق الى ارض مكة فيشاهد من بها ويخبرنا بكل ما يرى هناك ويخبر اباك باننا بخير وان الله قد انعم عليك بغلام فيسر بهذا . قال عمر اني كنت اخاف ان اسافر فيغتنم

زوبين فرصة غيابي لكني ساضع في مكاني جماعتي العيارين واحرضهم على الامير وعلى خدمته واوصيكم انتم ايضاً ان تحذروا ولا تنفسكم اياماً قليلة فاني لا اغيب الا القليل وكيف كان الحال فيمكنكم ان تثبتوا على ملاحظة عدوكم الى حين ايابي واني اودعكم من هذه الساعة

ثم تركهم وجاء عياريه فجمعهم اليه واوصاهم بالمحافظة والانتباه وعلمهم كيف يجب ان يعملوا في غيابه وقسمهم الى فرق بعضها في خدمة الامير وبعضها حول صيوانه وصيوان ابنه وبعضها يطوف في المعسكر على الدوام وفي كل ليلة وسار من هناك واستلم طريق مكة المطهرة واسرع في الجري حتى بعد نحو خمسة ايام واذا به اقبل على شجرة كبيرة في جانب الطريق فعرج اليها ليجلس قليلاً تحتها واذا به يرى رجلاً نائماً هناك ملتفاً بردائه متظللاً بفيئها من حرارة الشمس فدنا منه وصاح به فوعي الرجل واذا به الامير عقيل رئيس الثماني مائة فارس اخصاء الامير حمزة ففرح به عمر وسلم كل منهما على الاخر. ثم سأله ما هو الذي اوجب اتيانه وحده الى تلك الارض وهل جرى على رجال مكة شيء مكدر . قال اني سائر الى جهة حلب اخبر الامير بما كان من امر ابيه واما انت فالى اي جهة سائر . قال اني كنت سائراً الى مكة حيث ان اخي راى حلماً مريعاً دعاه الى التيقظ والانتباه وان يعرف ما جرى هناك من الامور في كل هذه الايام والحمد لله الذي رايتك هنا وخففت عني ثقل السفر الطويل اذ لا اريد ان اغيب كثيراً عن المعسكر . فاعد علي ما جرى عليك بعد ان فارقتنا وما جرى على اهل مكة المطهرة . قال اني بعد ان فارقتكم مع الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل سرت بين يديها وفي خدمتها الى ان وصلنا بالسلامة الى المدينة ودخلت على الامير ابراهيم واخبرته بكل ما جرى لنا وكيف انا قهرنا كسرى وطردناه عنا وابدنا كثيراً من جموعه وان الامير حمزة تزوج بمهردكار ففرح وشكر الله على ذلك وقال كان بودي ان اكون حاضراً زفاف ولدي لا فرح به واجبر كسر شيخوختي غير ان الله سبحانه وتعالى قضى عليه ان يكون طول زمانه غريباً بعيداً عني فاشكره على سلامته وعلى تخصيصه بالسعادة والتوفيق . ثم قرب منه الاميرة سلوى وسلم عليها فقبلت يديه واقامت في بيت اعد لها وبعد ذلك ذهبنا الى البيت وطفنا حوله ثلاثاً وكل اهل المدينة يصلون ويشكرون نعمة الله على هذا النصر الذي ناله الامير وساد به العرب وارتفع صيتهم على رؤوس الكبار والصغار . واما انا فاني بعد ذلك ذهبت الى مكاني واجتمعت باهلي واقمت بينهم املي باشواقي منهم وصرت في كل يوم احضر الى ديوان الامير ابراهيم ابقى كل نهاري هناك واعود في المساء الى ان كان ذات يوم من هذه الايام الاخيرة جاء مكة جماعة من العرب واظهروا ان قصدهم زيارة بيت الله الحرام فنزلوا في ضواحي المدينة وصاروا يدخلون ويخرجون ونحن بما منهم وفي كل نيتنا انهم من العربان الذين ياتون حسب العادة لقضاء فروض الزيارة . ففي

ذلك يوم اتينا ديوان الامير ابراهيم فلم نجده هناك ففتشنا عليه وطفنا كل المدينة فلم نقف له على خبر وافتقدنا اولئك الزوار فلم نر لهم اثرًا فشغل بالنا جدًا ولا سيما عندما ثبت لدينا ان سادات مكة ايضًا قد فقدوا وغابوا عن المدينة . فطفنا كل النواحي والجهات وسالنا من الغادي والصادي فلم نقف لهم على خبر فزاد بنا الغيظ والكدر وحسبنا ان ذلك وقع من الاعداء ففارقت مكة وصرت استخبر عن مكان وجودكم حتى عرفت انكم لا تزالون بحلب فسرت اقصدكم لاخبركم بما كان من امر الامير ابراهيم

فلما سمع عمر العيار هذا الكلام قال لا ريب انه عمل عياري الاعداء قد احتالوا على سادات مكة وفعلوا هذه الافعال فهلمَّ بنا بسرعة نقصد فرسان العرب لنطلعهم على هذا الخبر . قال سر امامي فاني لا اقدر ان ارافقك في السفر ولا يمكن للجواد ان يجري كجريك . قال اني اخفف عنك ثقلة المشي . ثم تناوله ووضعه في جراب اسماعيل وكر راجعًا مثل البرق الخاطف حتى جاء حلب ودخل بين معسكر الاعجام فوجدهم على حالهم فاطمأن باله . ثم جاء معسكر العرب ودخل ديوان الامير حمزة فرأى الفرسان مجتمعين من حواليه وبينهم افلنطوش وعبد الله زوبين فاشار الى اخيه ان يتبعه ولما اختلى به على انفراد اخرج الامير عقيل من الجراب وامره ان يعيد القصة ثانية على الامير حمزة ففعل . ولما سمع هذا الخبر اطرق الى الارض متحيرًا مرتبكًا وقد اسودت الدنيا في عينيه وكاد يغيب عن صوابه كيف يفقد ابوه ولا يعرف من الذي فعل هذا الفعل وخاف من ان يكون قد لحق به سوء او ان الاعداء يقتلونه . ثم قال لعمر العيار قد اشكل علينا الامر ونحن لا نعرف من اين جاءتنا هذه المصيبة وكيف الوسيلة للاطلاع على حقيقة الامر لنتلافاه ونرجع قومنا قبل ان يحل بهم العذاب . قال اني فكرت بامر به الخير والنجاح وهو اني اسير الى المدائن وادخل على الوزير بزرجمهر واعرض عليه واقعة الحال واسأله في ذلك ولا بد ان يكون عرف بما جرى اذا كان كسرى عمل هذا العمل ويدلنا على المكان الموضوع به السادات فنسعى في خلاصهم ونرى ما يدبره الله تعالى . فقال حسنًا تفعل فسر عاجلاً وائتني بالخبر اليقين فودعه بعد ان اوصى ان لا يدعوا عبد الله زوبين وافلنطوش وكل جماعة الاعجام يعرفون بمثل هذا الامر

ولا زال سائرًا حتى جاء المدائن وترقب الوزير حتى رآه خرج من الديوان وذهب الى قصره فتأثره حتى دخل ودخل من خلفه وتقدم اليه وسلم عليه ففرح به وسأله عن العرب وعن اخيه هل هم بخير فاخبره بكل ما جرى للعرب من السعادة والاقبال والنصر والافراح . قال اني لمثل هذا اتمنى لهم واعرف انهم سيلاقون بعد اعظم من ذلك . والان اتيت على ما اظن تسأل عن الامير ابراهيم وسادات مكة الذين سرقوا قال نعم لقد وصل الينا الخبر بذلك

ونحن نجهل السبب فانت لا عرفة واعرف ابن وجودهم حيث لم يكن لنا من سبيل الى خروجك
بالمجيء اليه ونستمد اراءه ونطلب مساعدتة . قال اعلم ان الامير ابراهيم والسادات قبضوا
وارسلوا الى نهروان يشتغلون هناك ببناء القلع . وسبب اسرهم ان عيارين من عياري العجم
وهما عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي ذهبا بجماعتهما الى مكة المطهرة ومعهما جماعة العيارين
وتزيوا جميعًا بزي العرب واحتالوا على الامير ابراهيم فسرقوه وسرقوا اعيان قومه وجاءوا بهم
الى كسرى ففرح بذلك وانعم على العيارين وارسل الاسرى الى نهروان وامران يشتغلوا
بالاشغال الشاقة هناك وان يهانوا كل الاهانة ولو سبقت نحو ثلاثة ايام لكنت وجدتهم هنا
ولكن الان قد بعدوا كثيرًا فارجع الى اخيك واخبره واطلعة على سر المسالة واعلمة ان هذا
كان بتدبير بختك الوزير قصد به اهانة حمزة ليشغل له باله ولا يدعه مرتاحًا ويلتزم ان
يسعى خلفة ويفتش عليه وهو لا يعرف في اي مكان فاسعوا في خلاصه وخلاص السادات حالاً
ولا تتاخروا ولا دقيقة واحدة . فشكره عمر العيار على ذلك وقبل يديه وكرّ راجعًا في الطريق
الذي جاء منه حتى جاء حاجب فدعا اخاه سرًا واطلعة على كل ما عرفة من الوزير بزرجمهر فتميز
غيظة وقال قبح الله كسرى وبختك فانهما لا يصنعان الاّ بالمكر والاحتيال واذا كانا قد
ظنا اني اعجز عن تخليص قومي فقد اخطاءا ولا بد لي من المسير في هذا اليوم الى نهروان لارى
اعدائي كيف حالهم . ثم انة دعا معقل البهلوان واخبره بغايتهِ وقال له كن على اهبة السفر فاني
مزمع ان اسير الى نهروان . فاجاب طلبة وفي الصباح ركب الامير ومعه معقل البهلوان وعمر
العيار وما زالوا سائرين عدة ايام حتى كشفوا نهروان فوجدوا البناء مشتغلاً في قلاعها من
كل ناحٍ والفعلة تنقل الاحجار وتحمل الترابب وكان نحو خمسة وعشرين الف رجل يشتغلون
في تلك الناحية وعليهم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وعيار وهما ومن الجملة الامير
ابراهيم وسادات مكة وهم يهانون اكثر من الجميع فنزل الامير عن جواده الى الارض وقلت
كربة وسقاه واطعمة ثم عاد فركب عليه وفعل مثلة معقل البهلوان . ثم ان حمزة قال له اريد
منك ان تسير الى جهة الشمال وانا الى جهة اليمين ونحط بغتة على هذا الصيوان المنحرف الذي
في طرف القلاع لان يظهر من امره انه صيوان رئيس القوم وربما كان للعيارين الخبيثين اللذين
سرقا ابي ومن ثم نحط على الباقين فمن سلم عفونا عنة ومن امتنع قتلناه فاجاب معقل البهلوان
امره وافترقا وهجم كل واحد من جهة فثار العيارون وهاجوا واضطربوا ولما سمعوا ان الصياح
هو صياح الامير حمزة تركوا الاسارى وطلبوا الفرار فادرك حمزة عمر بن شداد الحبشي فشد وثاقة
ومعقل البهلوان اسر سقلان الرومي وبعد مضي ساعة من الزمان تفرق كل من كان في ذلك
المكان وحينئذٍ تقدم الامير من ابيه وترجل عن جوادهِ وقبل يديه وبكى لما راه بتلك الحالة

وقال له قبح الله كسرى الخبيث الغدار فانه يستحق اعظم من هذه الاهانة وهو لا يراعي حرمة العظماء ولا يقدر للشرفاء حق قدرهم. فقبله الامير ابراهيم وشكر الله سبحانه وتعالى على خلاصه وقال لولده لا تكدر يا ولدي من وصول مثل هكذا امر اليّ فما ذلك الا بسماح منه تعالى فقد قدّر عليّ ان اشتغل بالتراب لاعرف حالة الانسان وتعبه وان الله لا فرق عنده بين الرفيع والوضيع وبينما كنت الاقي مثل هذه الاهانة كنت ارى نفسي مسرورًا والتذ اللذة التي ما كنت اشعر بها عند ما كنت اجلس في ديواني بين اعياني فاشكر الله سبحانه وتعالى تكرارًا على نعمته وفضله

ثم ان الامير سلم على باقي سادات مكة وصرف ذاك النهار في ذاك المكان وفي اليوم الثاني قال لمعقل البهلوان اريد منك يا اخي ان تذهب من هنا مع اخي عمر العيار الى حلب وتخبر العرب بما كان من امرنا وتطلعهم على سرّ هذه المسألة وتوصيهم ان يكونوا على الحذر والانتباه وانا مرادي الذهاب الى مكة لاوصل ابي واشاهد امي وزوجتي الاميرة سلوى ومن ثم اعود الى حلب. فقال له افعل ما بدا لك. ثم ركب الامير وركب ابوه وباقي السادات ووافقوا عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وساروا بعد ان ودعوا الامير معقل البهلوان وعمر العيار وسار كل فريق في طريق. واما العيارون الذين هربوا من امام حمزة داوموا المسير حتى جاءوا المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بان الامير حمزة قد فاجاهم الى تلك الجهات وخلص اباه وقومه وباقي الاسارى واسر العيار بن فتكدر كسرى واغتاظ وتعجب من وصول الخبر الى العرب في الحال مع انهم بعيدون عن مكة وكان اعظم الحنق واقع على بختك الوزير وقد وقع في سوء التدبير واحتار في امره. واما الامير حمزة فانه ما برح سائرًا مع قومه حتى جاء مكة المطهرة وعرف به اهلها وكانوا باضطراب عظيم فخرجوا افواجًا افواجًا نساءً ورجالاً واطفالاً وهم فرحون برجوع السيد ابراهيم اليهم ولما التقوا به قبلوا ايديه ونادوا بالافراح ولا سيما عندما راوا الامير حمزة سيدهم وسيد قبائل العرب باجمعها. وعادوا الى المدينة ودخل الامير حمزة على والدته وقبل يديها وسلم عليها فقبلته ودعت له بالبركة وطول البقاء. ومن ثم جاء الى زوجته سلوى واقام عندها ليلته وقد طيب خاطرها واظهر لها شوقه واقام في مكة سبعة ايام وقد طاف بالبيت وادى فروض الزيارة وسلم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي الى محافظين من رجال المدينة واوصاهم بالمحافظة عليهما وان يكون شغلهما على الدوام تنظيف الازقة والشوارع ورفع الاقذار الى الخارج الى ان يموتا وهذه الاهانة كان يراها الامير ضرورية لهما. ثم انه ودع اباه وقومه والاميرة سلوى وهذه هي المرة الاخيرة التي يراها بها حيث لم يعد يراها فيما بعد وخرج من مكة وهو مطمأن الخاطر قرير الناظر على اهل البيت ووجه بكل افكاره الى جهة حلب وهو يود ان

اصل الى هناك ليعرف ماذا جرى على قومه وهل ان زوبين وافلنطوش . بلا برحان على الامانة او انهما عادا الى الشر والخيانة . ثم خطرت في ذهنهِ مهردكار فانفطر قلبهُ من اجلها وارتاع . وقال في نفسهِ ان كان زوبين يرجع الى الغدر والخيانة فلا ريب انهُ لا يتمكن من الغدر باحد الا بمهردكار وطوربان وانجلت له افكار جديدة فندم على البقاء عليهما وقال ماذا يا ترى جرى عليَّ حتى عاندت قومي وفرساني وتركت الافعى تسكن بينهم . ولا ريب ان هذا سيعود عليَّ بالشر والوبال ووطد العزم انهُ عند عودتهِ الى حلب يبعد العجم عن العرب ويعين لهم مكان اقامة بلاد الشام فاذا كانوا على دين الله يبقون على الراحة والسلام واذا كان بينهم الغدر والخيانة فيظهر امرهم في الحال ويرتاح منهم ولا سيما انهُ ليس في حاجة لان يطلب مساعدتهم او يرجو منهم خيرًا وعونًا . ثم زاد عليهِ الامر وقال وربما كان زوبين غدر بمهردكار قبل ان اصل الى المعسكر وهرب فماذا يا ترى اعمل وهذا الفكر اشغلهُ جدًّا وضيع لهُ صوابهُ فجعل يسوق جوادهُ وهو يتمنى ان يصل باقل من ساعة الى حلب ويشاهد مهردكار وابنها هل هما بخير وسلام وقد هاجت عليهِ البلابل فانشد

بكيت لتغريد الحمائم في الفجر ... وبرَّح بي وجدي وزايلني صبري
وملت كما مال النزيف كانما ... سقاني حنين الورق كاسًا من الخمرِ
وساربما ابقين لي من تجلدي ... نسيم بريًّا الظاعنين اتى يسري
خذي جسدًا يا ريح يحكيك رقة ... فلاقي بهِ قلبًا مع الركب في اسرِ
ايا جسميَ البالي تجسمت من ضنى ... ويا كبدي الحرا تكونت من جمرِ
براني الاسى والحزن بعد رحيلهم ... فلم يتركا مني سوى عبرة تجري
غدوا يستحثون المطيَّ على السرى ... فهل في جمود الدم للصب من عذرِ
وباتوا وجسمي فيهِ بعض بقيةٍ ... فلم يبقَ منهُ ما يصور في فكرِ
تنازع روحي للخروج يد النوى ... فتحبسها عنهُ الاماني في نحري
اعلل قلبي بالمنى ان سنلتقي ... واحسبها كالآل يلمع في القفرِ
سفكتم دمي عمدًا ولم تحرجوا ... وعاقبتموني بالمنون بلا وزرِ
لقد رقَّ لي ما تجرعت من اسى ... فواد عذولي وهو اقسى من الصخرِ
سهاد وسقم واشتياق ولوعة ... وصبح بلا ضوء وليل بلا فجرِ
ودمع بلا جفن وعين بلا كرى ... وقلب بلا اسٍ وسرٌّ بلا ستر
وكم قائل جهلاً تسلَّ بغيرها ... ولا تجرِ ذكراها بسرٍّ ولا جهرِ
وكيف ترى يسلو العليل شفاءهُ ... وليس سلو الالف من خلق الحرِّ

الا فأدر ذكراهُ صرفًا فانني   اغيب به عن حالة الصحو والسكرِ
احب به الوجدُ فيه صبابة   وإن كان يفضي بي الى البوس والضرِّ
فلو تم وجدٌ فوق وجدي لعاشق   بميتة ان يتحمل الى صدري
ولم انسَ اذ احيي قتيل صدودها   وقد زرت خوف الوشاة على ذعرِ
وفرطس احشائي سهام لحاظها   رمتني بها عمدًا عن النظر الشذرِ
فعاطيتها كاس العتاب مشوبة   بدمع حكى في فيضهِ زخرة البحرِ
واخجلتها حتى تلهب خدها   تلهب احشائي من الصد والهجرِ
ورصت بها احلاقها وهي صعبة   فلانت واهوى من قطوب الى بشرِ
وحييت بمسك عطرة اكهها   وانفاسها اركى من المسك والعطرِ
وبتنا ندير الانس والليل قد سجا   وقد غربت شمس المدامة في البدرِ
وحليت بالياقوت فضة نحرها   وجيد الدجا حالٍ بانجمهِ الزهرِ
تقول وقد اوهى النعاس جفونها   وأغمد سيف اللحظ منها على قسرِ
اريد تعيد الانس قلت لها متى   فيوم تلاقينا ابيع به عمري
فقالت وبدر الليل للغرب قد هوى   وجفن الدجا يبكي من الفجر القطرِ
اذا امتلأت من دمع هذا تغور دا   فقلت لها ماذا فاومت الى البدرِ
واخفت واستار الظلام تكشفت   قليلاً وقد كاد الصباح بنا يغري
سقيت السحاب الجون يا زمنًا مضى   ولم يبقَ منهُ للمشوق سوى الذكرِ
احبتنا لم يبقَ صبر ولو بقي   لنا بعدكم صبر لكان من الغدرِ
طوينا بساط الانس واللهو بعدكم   وهذا بساط الحزن والدمع في نشرِ
عسى تبرد الاحشاء من حرقة الجوى   دموع الاسى والشوق ان لم تكن تجري
تناسيتمونا بعد انسٍ والفة   احب الى الحاني من الامن والنصرِ
اتاح لنا تفريقنا الدهر غادرٍ   ولا غرو ان الغدر من شيم الدهرِ
فياقلب صبرًا للقضا وتوكلاً   فليس لغير الله شيءٌ من الامرِ

وكان ينشد وهو يسير مسرعًا وقلبهُ وعقلهُ وكل حواسهِ تطوف في معسكر حلب يرى ما جرى هناك وهل من حادث وقع في غيابهِ مستدعي قلقهُ وقد عدلهُ صبرهُ بان عبد الله رويس لابد ان يغدر عهد دكار وان قلوبهم عدوة كما تساح من انه وفيما هو على مثل هذه الافكار مطلق لجوادهِ العنان . واذا بامراة قد نبتت ... قد سقطت من الجو الاعلى ووقفت امام الجواد ومنعتهُ من الجري وقالت السلام ايها الامير لقد ... ولم اسد اخطر لك على بال فنظر

فيها وعرفها فاندهش وخاف من ان تثاقل عليهِ وهو على تلك السرعة الاّ انهُ لجابها على سلامها وسلم عليها وترحب بها وقال لها ابن تقصدين وماذا تريدين . فقالت اما قصدي فانت واما ما اريدهُ فهو ان تذهب معي الى جبال قاف لاني بشوق زائد اليك وما برحت اصبر القلب وهو لا يصبر حتى عيل صبري فجئت لاذهب بك تقيم عندي بضع ايام وتنصفني منك وتعاملني كغيري من زوجاتك . قال دعيني الان فاني مشغل الافكار ومتى وصلت الى معسكر حلب ووجدت فرساني بخير وما من سوء عليهم سرت معك الى حيث تريدين . قالت اني اعرف انك ترغب في سرعة الجد لترى مهردكار وتحب ان تصل الى فرسانك لتقيم عندها بعض ايام فانا احق من الجميع وما كفاك كل هذه الايام الماضية حتى تريد ان تخدعني الان لتصل الى زوجتك . ثم انها اختطفتهُ عن جواده وسارت بهِ في الجو الاعلى وهو غائب الصواب لا يعرف ماذا جرى عليهِ يتعجب كيف انها جاءت اليهِ وهو في مثل تلك الحالة حتى جاءت بهِ الى جبال قاف وهو يلعن ويسب الساعة التي جاءت بها وقال لها اترضين في عذابي وقهري وقد وعدتك ان تصبري عليَّ الى ان اشاهد قومي . قالت لا شيء عليهم فان عندهم من الفرسان ما يجعلك مرتاح البال وانا اريد منك ان تبقى عندي فقط سبعة ايام ومن ثم اوصلك الى قومك فصبر على مضض وقلبهُ يتلهب بنار الاشتعال

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من العرب فانهم كانوا باضطراب على غياب الامير وقد ظنوهُ في الاول انهُ ذهب للصيد والقنص مع عمر العيار ومعقل البهلوان الى ان جاءهم معقل واخبرهم بكل ما كان من امر الامير حمزة وابيه ابراهيم وسادات مكة وكيف انهم ساروا لخلاصهما وبعد ذلك ذهب الامير الى مكة ليوصل اباهُ ففرحوا بذلك وارتاح بالهم واقاموا في حلب على ما كانوا عليهِ قبلاً وهم ينتظرون عودة الامير الى ان مضت مدة ايام وذهب الاجل الذي كان عينهُ لمعقل البهلوان وصبروا بعد ذلك ايضاً بعدة ايام فلم يرجع فاجتمعوا مع بعضهم ودعوا عمر العيار وقالوا لهُ نريدك ان تذهب الى مكة وتري لنا كيف حال الامير وما السبب لتاخره عنا . فاجاب وذهب عنهم وكان افلطوش وزوبين قد علما بما كان من امر حمزة وخلاص ابيهِ فكتبا بذلك الى كسرى ووعداهُ من حيث ان حمزة غائب لا بد ان ينالوا المراد باقرب وقت . وبقي عمر العيار ذاهباً في طريق مكة حتى وصل الى نصف الطريق وهناك لاحت منهُ التفاتة الى جهة البر فراى جواد اخيهِ اليقظان يرعى في تلك السهول وهو نافر عن الطريق العام فارتاع وارتبك وقصده فنفر منهُ فصاح بهِ فلما سمع الجواد صوتهُ عاد اليه وجعل يشمهُ فقبلهُ عمر وراى رمح اخيهِ معلقاً بسرجهِ فارتاع وجعل يفتش بتلك الارض علهُ يجد لهُ اثراً فلم يرَ فتكدر مزيد الكدر ووقف مبهوتاً وهو لا يعرف اين ذهب اخوه . فقال في

نفسه لا ريب انهُ خرج من مكة قاصداً حلب وفقد في هذه الطريق ولكن كيف فقد لا اعرف ومن الصواب ان ارجع الى العرب وابقي الجواد هناك واسير من ثم افتش على اخي . وكرّ راجعاً حتى جاء مدينة حلب ودخل على الامراء واخبرهم بما كان فحاقوا جداً على الامير وقالوا ان امره مشكل علينا ولا نعرف ما حل به وهل هو بقيد الحياة ام مات واصبحوا بارتباك واضطراب وشاع هذا الامر في كل القبيلة حتى وصل الى زوبين وافلنطوش . فاجتمعا وقال الثاني للاول الان وقت نوال المراد وغير هذه الفرصة لا يتيسر لنا فان الاعداء الان مشغلون بغياب الامير وقد التهوا عن مراقبتنا وحمزة غائب عن المعسكر فمهما نريد ان نفعلهُ الان نفوز به . قال نعم ان هذه فرصة كبري لكن نحن لا نخاف من حمزة بقدر ما نخاف من عمر العيار واني اعرف جيداً انهُ ما زال بين معسكر العرب لا نفوز بالمطلوب لاننا اذا قصدنا ان نبدي حركة راقبها قبل وقوعها واظهر امرها لقومه ولا بد ان في هذه الايام للتفتيش على حمزة فاصبر قليلاً ترى العجائب وجعلا يترقبان غياب عمر منذ ذلك اليوم

واما العرب فانهم بعد ثلاثة ايام من رجوع عمر اجتمعوا واستشاروه فيما يفعلون فقال لهم ان صدّق حذري يكون عند اسما نري وقد لاقتهُ في الطريق واخذتهُ بالرغم عنهُ وهو غير منتبه وفضلاً عن ذلك فاني عزمت على المسير الى المدائن لاجتمع بالوزير بزرجمهر واسالهُ علهُ يعرف عنهُ خبراً او يفيدنا بامر يرتاح لاجله بالنا . فقالوا افعل ما انت فاعل واسرع في الجواب فانا على مقالي النار . فودعهم وسار يقصد المدائن وبعد مسيره بقي العرب على حالهم من انشغال البال والخاطر وكلهم مرتابون في صحة حياة الامير ويتوهمون انهُ ربما قتل في الطريق غدراً او مات او وقع في اسر الاعداء . واما زوبين الغدار فانهُ اجتمع بافلنطوش وقال لهُ اني في كل هذا اليوم ما رايت عمراً في المعسكر وقد بعثت بعشرين رجلاً من رجالي طافوا كل معسكر العرب ما وجدوا لهُ اثراً ولا ريب انهُ سافر للتفتيش على اخيه قال الان قد جاء الوقت المنتظر فهلمّ ننكس العرب في هذه الليلة فنذيقهم العذاب الاليم قال يجب ان نصبر على ذلك الى بعد الغد لانهُ اذا كان ذهب باحثاً لا يعود باقل من شهر واخاف ان يكون مختفٍ يترقب اعمالنا قبل ذهابه فكن على حذر الى بعد يومين واتفقا على مثل هذا الامر . وفي كل يوم يذهب زوبين وافلنطوش بين العرب ويظهران تاسفهما مع العرب والعرب في شاغل عنهما الى ان تحقق زوبين غياب عمر العيار وبعدهُ عن العرب فسرّ مزيد السرور ورجع الى المعسكر يدبر امرهُ وبقي افلنطوش الى المساء . وبعد انقضاء السهرة تفرق كل واحد من العرب الى ناحية ودخل صيوانه على الحالة التي تقدم ذكرها وقد اشغلهم غياب الامير عن ملاحظة اعدائهم وناموا مطمئنين من غدرات الزمان الى ان مضى نصف الليل واذا بعساكر العجم قد

حملت من كل ناح وأكثرت من الصراخ والصياح واغتنمت هذه الفرصة فذلت سيوفها في اعدائها وانزلت عليها شرار شرها وبلائها وغاصت بين الخيام ولم تترك للعرب سبيلاً للرجوع الى الحرب والصدام وزوبين الغدار يصيح وينادي اليوم يوم الاعادي وقد قصد صيوان طوربان وفي نيته ان يقتل عمر اليوناني وياخذ طوربان ليعذبها ويذيقها كاس الهوان ولما وصل الى الصيوان وجد عمر اليوناني قد خرج منهُ وبيده الحسام وعول على الركوب والمدافعة عن العرب . فلم يتركهُ زوبين ان يستوي على ظهر الجواد حتى فاجأهُ من قفاه وضربهُ بسيفهِ على راسهِ فجرحهُ جرحًا بالغًا لان عمرًا لما استيقظ ووجد الصياح قد ملأ الارض وسمع صراخ الاعجام وعويل العرب ايقن ان زوبين قد غدر بهم وخاف من ان يلحقوهُ وهو في الصيوان فيذيقونهُ الممات ولذلك تناول سيفهُ ولم يعد يصبر ليفرغ عليهِ درعهُ ويلبس خوذتهُ وفي فكره انهُ اذا استوى على ظهر جواده وبيدهِ الحسام يكفيهِ للدفاع عن العرب ورد الاعداء عنها الا انهُ جرح قبل ان تمكن من غايتهِ فغاب صوابهُ وضاع وعيهُ وما عاد عرف حالهُ في اي مكان هو فشرد بهِ الجواد وخرج من بين المعسكر وسار في البر الاقفر وهو عليهِ صائع الوعي لا يسمع ولا يرى والدم يسيل من جرحهِ كالانبوب واما باقي العرب فانهم نهضوا مرتاعين فبعضهم شرد في الفلاة وبعضهم قتل من سيوف الاعجام واكثر الفرسان نهضوا من مراقدهم فوجدوا خيولهم مفقودة فارتاعوا وطلبوا الامان لانفسهم بالالتجاء الى البراري ليروا بعد اتيان النهار ما يكون من امر الاعداء وما منهم الاَّ من يلوم حمزة ويعنفهُ على تركهِ زوبين حيًّا . ودام القتال على مثل تلك الحال حتى كاد الفجر ان يظهر للعيان وإذ ذاك امر زوبين بان ترجع الفرسان وكل واحد يصحب معهُ ما وصلت اليهِ يدهُ من الاموال والخيل والانعام وقد قبض على طوربان ومهردكار وولديهما وغيرهما من النساء وقيد الجميع اذلاء حيارى وقد نكبت العرب نكبة لم تذقها قبل ذلك اليوم وتشتتوا اي مشتتٍ وشردوا في البراري وما منهم من بقي على نفسهِ او يقدر ان يعرف في اي مكان هو

ولما رجعت عساكر الاعجام الى الوراء امرهم افلنطوش ان يسيروا في الحال على طريق المدائن وان لا يتركوا عقالاً في تلك الارض قبل ان تجتمع العرب وتنضم الى بعضها فسار وهو فرح بالنصر والظفر يشكر من زوبين ويقول لهُ حسنًا فعلت في العرب ولولا هذه الحيلة التي عملناها عليهم لما نلنا منهم المراد وعندي انهم من بعد الان ما عادوا يقدرون على حرب وثبات ولا ريب ان حمزة قتل ونال شرَّ عملهِ ولاقى كل بوس وضير ولا بد ان يرى ابن عمي كسرى عملنا هذا بعين الشكر والرضا . قال اني اعرف ذلك وافرح لاجلهِ واعظم فرحي بطوربان ومهردكار فاني ما زلت حتى قهرتها ولا ريب انهما يستحقان الحرق بالنار حيث قد خانتا حقوق

الوالدية واقتمتا الى الاعداء وكل واحدة منها طلبت ذلي وقهري وتفرت مني كيدًا لي . قال لا بد ان يقدمهما كسرى لقدمة للنار لتحرقا مع ولديها قباط وسعد . وداوموا على المسير الى المدائن على تلك الحالة . واما العرب فانهم في اليوم التالي اخذوا يجمعون ويلتمون الى بعضهم ولا سيما بعد ان راوا ان تلك الارض قد خليت من الاعجام وقلوبهم تضطرب نارًا من عملهم ويعصون على زنودهم ويحرقون من عمل اميرهم كيف بعد ان كان قادرًا على هلاك هذه الطائفة سلم اليها بزمام امانه وقربها منهُ وجعلها بينهم كواحدة منهم غير انهُ كان قد انفذ فيهم قضاء الله المقدور وتفرقوا ونهبوا وسبيت نساؤهم واولادهم ولم يروا وسيلة الا الصبر على هذه المصيبة الى حين يجمع الله شملهم ويعيد اليهم النصر فياخذون لانفسهم بالثار ويرون ما يقدرهم الله عليهِ وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام جاءهم عمر العيار ورأى ما راى من حالة العرب وشاهد القتلى قد ملأت الارض فناح وبكى وحث التراب على راسهِ وتقدم من الفرسان وسالهم عن السبب فاخبروهُ بكل ما جرى وقالوا لهُ كل ذلك جرى علينا من ايدينا لانا لو اوقعنا بالاعجام وقتلنا زوبين وافلنطوس لارتحنا من كل هذه المصائب والويلات وتقدمنا في طريق الراحة والسلام خطة عظيمة واما الان فقد تاخرنا وضيعنا كل النصر واخذت طوربان ومهردكار وباقي الحريم والاولاد . قال ان هذا وقع بقضاء منهُ تعالى وهو الذي جعل اخي ان يرى فيهم التوبة والامانة قالوا وماذا عرفت عن اخيك وفي اي مكان هو . قال اني لما وصلت الى الوزير بزرجمهر واخبرتهُ بفقدان اخي قال لي ان حمزة حيّ وان التي اخذتهُ هي زوجتهُ اسما بريّ وسياتي عن طريق قماصيا فعدت وانا لا اعرف شيئًا مما جرى عليكم فقالوا اهل رايت الاعجام في طريقك سائرين الى بلادهم . قال لا ريب انهم يسيرون في الطرقات العامة الواسعة لكثرة عددهم واما انا فاني في اكثر الاحيان اسير في الشعاب والهضاب فاتسلق الاكام وانزل الوديان اختصارًا للطريق وتقربًا للمسافة فاذا وصلت الى مكان ووجدت ان الطريق طويلة وانها ماخوذة بميلة ودورة اخترقت الادغال وقربت الوصول الى راسها الثاني وعلى هذا لم يتيسر لي ان اراهم . وفي كل نيتي انا نسير الى قماصيا للتفتيش على الامير واما الان فصار لنا شاغل مهم واريد ان اعرف ابن ذهب عمر اليوناني ابن الامير حمزة واخاف ان يكون قتل وشرب كاس الافات . قالوا لا نعرف كيف ذهب هل هو اسير او هرب بالفلاة او قتل وهمنا الان ان نعرف ماذا جرى على نساء الامير واولادهُ فاذهب الى الوزير بزرجمهر واسألهُ عنهم واستشيرهُ في امرهم فقال اني كنت عزمت على ذلك ولا بد من الرجوع الى المدائن واسال الله العزيز الجبار ان يوصلني الى خلاصهم اجمعين

ثم ان عمر العيار ترك الفرسان في حلب وكرّ راجعًا وهو كئيبًا حزينًا على ما حل بهم وبريد

ان يعرف ماذا جرى على عمر اليوناني هل قتل او اخذته الاعجام اسيرًا . وما برح في مسيره حتى جاء المدائن ووجد الناس في هرج ومرج وعساكر زوبين الغدار وافلنطوش حول المدينة مع عساكر كسرى وهم بفرح لا يوصف فصار الى ان خرج بزرجمهر الى قصره فتبعه حتى انفرد به فسلم عليه وقال له لا خفاك ياسيدي ما جرى على العرب ولذلك جئت اليك مستخبرًا . قال اني عرفت كل شيء ولذلك تراني متكدرًا جدًا كيف ان اخاك ترك روبين وسمح له ان يتمكن من الغدر به وبقومه . قال انت اخبر الناس بسلامة قلب اخي حمزة وحسن طويته وقد نهيته عن ذلك فقال ان الله اخبر بما في قلبه وانه بعد ان طلب اليه الامان وعاهده على عبادة الله لم يرَ ان في قتله صوابًا وما ذلك الا حكم العزيز الجبار والان قد مضى ما مضى واريد منك ان تخبرني ياسيدي ماذا جرى على مهردكار وطوربان واولاد اخي حمزة عمر وقباط وابن عمر اليوناني سعد . قال ان عمر اليوناني هو مشتت الان لم يقع قط بيد العجم واما مهردكار وطوربان فانهما وضعا في مكان منفرد تحت الحفظ ليقدما الى النار . وذلك انه لما وصل افلنطوش الى هذه الديار وبلغت اخباره كسرى انوشروان وان زوبين الغدار قد شتت العرب فرح وامر الوزير بختك ان يخرج الى ملاقاتهما في الحال بالموسيقات والدفوف وزينت المدينة وكان لعملهما هذا موقع عظيم عند عموم الفرس من الكبير الى الصغير ولما قدمت مهردكار وطوربان الى كسرى اراد ان يوبخهما ويجازيهما بالعذاب فمنعه بختك وقال له من الصواب ان لا تضيع كلمة معهما فهما قد خرجتا من مصاف الاعجام ونجستا دين النار وحيث ان لا غاية لنا فيهما الان وما عاد احد من قومنا يرضى ان يكون زوجًا لواحدة منهن فمن الواجب ان تضعهما في قصر منفرد مع الاولاد والنساء وتضع عليهم الحراس بكثرة وترسل كتابًا الى هدهد مرزبان قاعدة دين المجوس وسيد المرازبة وامام النار فياتي الى هنا وياخذهم جميعًا ويقدمهم ضحية للنار فتاكلهم وترضى عنا فيما بعد بحيث تعرف اننا ما بخلنا باولادنا عليها اذ خرجوا عن عبادتها . فاستحسن كسرى هذا الراي ولم يرضَ ان يرى وجه احد منهم وامر ان يضعوا تحت الحفظ ووضع عليهم الحرس الزائد الكثير والحجاب حتى لم يعد للطير طريق ان يمر من جهة فيرى احدًا الا من النساء ولا من الاولاد فاذا تم ما يقصدون تكون خطيئة هؤلاء الابرياء برقابكم لان مهردكار وطوربان سلمتا بانفسهما اليكم وفي نيتهما انكم تحافظون عليهما فوضعتموهما مع اعدائهما وكان موتهما وموت اولادهما بسبب تهاملكما فاطرق عمر العيار الى الارض برهة وسقطت الدموع من عينيه . ثم انهض راسه وقال في اي يوم يقدم النساء والاولاد الى النار فقال في عيد النيروز بحيث ان في تلك الايام يكون هدهد مرزبان قد وصل الى هذا المكان . قال وكم من المدة باقٍ لهذا العيد . قال بعد ستة اشهر من هذا التاريخ . قال اني اعدك ياسيدي وعدًا لا يمكن وحياتك ان اكذب به وهو اني لا تمضي

هذه الايام حتى اكون خلصت الجميع من الكبير الى الصغير . قال ان هذا يصعب عليك جداً ولا اظنهُ يتم او ينتهي لان الاحتياط متخذ من كل جهة ولا يمكن ان تهرب بهم وتنجو . قال اني اعرف كيف اقدر على خلاصهم وفي كل ذلك اني اعدك ايضاً بان اضع في قلب كسرى حسرة لا ينساها الى الابد وهو اني احتال عليهِ واجعلهُ يقبل يدي عن طوع واختيار مع وزيره بختك وكل اعيان الفرس وسوف اذكرك بكل شيء قال ان قدرت على ما تقول شهدت لك وتكون قد فعلت ما يعجز غيرك عن فعلهِ فاذهب موفقاً بعنايتهِ تعالى وانا على الدوام ادعو لك بالسعادة والتوفيق في سائر اعمالك وادعو لمهردكار وطوربان بالخلاص فان قلبي حزين عليهما جداً واريد ان يتخلصا من العذاب ومن الحريق

وبعد ان ودع عمر العيار الوزير بزرجمهر سار من المدائن الى ان جاء حلب واجتمع بالفرسان والابطال وطمنهم على مستقبلهم وقال لهم كونوا براحة واطمئنان وليضم بعضكم الى بعض وادخلوا البلد الى ان اعود اليكم فاني ما زلت حيّاً اجريت غايتي في كسرى انوشروان وحملت العرب على النجاح والتوفيق واعدت اليهم نساءهم واولادهم واموالهم وتركت حالة الفرس من اسوإ الحالات . غير اني اريد اولاً ان اسير الى قماصيا وانظر هناك الامير حمزة قبل كل شيء ومتى عدت بهِ تم لنا كل ما نريدهُ ونختارهُ . قالوا افعل ما بدا لك ولا تطيل علينا غيابك فانا في حالة تاخير نحتاج بعدها الى الاصلاح والراحة ولا نريد ان نصبر على الاهانة والاحتقار . ولما قصد السفر جاء اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي اني اريد الذهاب معك الى الامير حمزة ولا اطيق فراقهُ اكثر من هذه المدة فخذني معك الى قماصيا قال اريد ان تكون رفيقي غير اني مستعجل جداً ولا اريد ان اتعوق وانت لا تقدر على رفقتي لان الذي اقطعهُ بيوم لا يمكن ان تقطعهُ انت بشهر . قال كيف كان الحال فاني رفيقك ومتى راينا الامير حمزة سرت انت الى قصادك ما تروم وبقيت انا مع الامير حمزة . فالتزم عمران ياخذهُ معهُ لما راى اصرارهُ على الذهاب معهُ وسارا عن حلب يقطعان البراري والقفار والسهول والاوعار يقصدان قماصيا وتلك الجهات

فهذا ما كان من امر العرب والعجم بعد ذهاب حمزة البهلوان عن تلك الديار واما ما كان منهُ بعد وصولهِ الى جبال قاف فانهُ امل بعد مضي اسبوع تذهب بهِ اسما بري الى حلب واقام عندها على الحظ والهناء الى ان مضى الاسبوع فقال لها اريد منك ان توصليني الى قومي فقد كفى ان لاقيت ما لاقيت من الاضطراب بالبعد عن العرب ولا اعرف ما جرى عليهم من بعدي . قالت اني فارقتك كل هذه المدة وقلبي بشوق لا يوصف اليك فهل تظن ان سبعة ايام لا تكفيني لان اسلم عليك بها فاصبر بعد سبعة ايام أُخر فما من خوف على العرب بعدك فكلهم

الفرسان يقدرون على حماية انفسهم فقال لها اذا لم اكن بينهم لا يتوفقون . قالت انك غبت عنهم قليلاً عدة سنوات وعدت اليهم فوجدتهم كما كانوا والآن اذا عدت اليهم تراهم على الخير والراحة ثم انه اقام عندها سبعة ايام اخر وطلب اليها ان تحمله لمحاولته وقالت له لا بد من بقائك عدة ايام اخر اكراماً لخاطر بنتك قريشة فقد سالتني بذلك وما زالت تطيل مدة قيامه سبعة سبعة وهو صابر عليها وقلبه يتحمل ذلك حتى ضاق صدره وعيل صبره فقال لها الى متى هذا التطويل فاني اذهب لوحدي ماشياً على اقدامي ولا عدت اقدر ان احتمل منك اكثر مما تحملت . قالت اصبر عليّ الى ان اعود فقد خطر لي ان اذهب لزيارة بعض مدني وبلادي ومتى عدت اوصلتك . ثم تركته واوصت مردة الجان والطوائف ان لا احد يوصله وفي نيتها ان تحاوله سنين واعواماً . وبعد ان ذهبت جلس الامير مفتكراً باهله ووطنه فبكى على فراق الجميع وكان قلبه يحدثه بوقوع مصيبة على العرب وانطبقت الدنيا في عينيه وفيما هو على مثل ذلك جاءته بنته وقالت له لما يا ابتاه تبكي هل كل ذلك لاجل ان فارقتك امي في هذا اليوم . قال كلاً يا بنتي فاني ابكي لوقوعي بين يدي امك وهي تريد ان تبقيني عندها الدهر بطوله وكنت اريد ذلك لو لم يكن عندي شغل مهم وقد تركت العرب قومي بضيق واخاف ان يصابوا بضرّ واذا هلكوا قتلت نفسي لا محالة واريد منك ان توصليني الى اول العمار ومن ثم اسير انا الى بلادي . قالت اني افعل لك ذلك اكراماً لك ومهما شاءت امي فلتفعل فاني لا اخافها . ثم انها حملته وطارت به في الجوّ الاعلى ولا زالت سائرة حتى وصلت الى اول العمار فانزلته وقالت له ان بلادك من هنا قريبة وانا اريد الرجوع الى جبال قاف فقبلها وقبلت يديه وودعته ورجعت الى بلادها واقامت في قصرها الى ان جاءت امها وهي بشوق زائد الى الامير وفكرها مشغل عليه ففتشت عليه فلم تجده فسالت ابنتها قريشة عنه . قالت قد اوصلته الى بلاده . قالت وكيف قدرت على ذلك ولم تساليني به وانا لا اقدر على فراقه . اجابت كفاك ما فعلت معه وهو يتحرق على بلاده وقد ترك معسكره في حلب ولا يعلم ما جرى به واذا كنت لا تطيقين فراقه فاذهبي اليه واقيمي على الدوام عنده وبين نسائه كواحدة منهن . اجابت انا لا اطيق ان اراه مع غيري فكيف اوافق ان اكون عند مهردكار وهو يحبها اكثر مني ولا بد لي من ان اذهب اليه واعيده الى هنا ولا يمكنني ان اترك ملكي وابقى عنده . قالت قريشة اذا اتيت به الى هنا عدت انا فاوصلته ولو كان ذلك الف مرة الاّ ان يقبل بالقيام هنا ولا بد له بعد مضي زمن الحرب من الراحة فاذا جاء واقام عندنا عدة سنوات لا يكون خلفه ما يشغله . فتأملت اسما رّي من كلام ابنتها الاّ انها كتمت امرها وسكتت وعرفت ان من اللازم الصبر على الامير الى ان يصفو له الجوّ ورات انه ليس من المناسب عناد قريشة

واما الامير حمزة فانهُ بقي سائرًا في الطريق الذي وجد عليهِ وهو لا يعرف من اين يشير وقد تيقن انهُ عن قريب يصل الى احدى المدن والبلدان ومنها ياخذ لهُ جوادًا ويسير من بلدٍ الى بلد حتى ياتي حلب ويجتمع بقومهِ وهو مسرور غاية السرور وفرح بالخلاص من جبال قاف ولا زال في مسيره الى ان قرب من البحر المالح فجعل يمشي على الشاطي وسيفهُ وطارقتهُ عليهِ وصرف ثلاثة ايام دون ان يرى انسانًا او يمر على بلدة فضاق خلقهُ وفرغ منهُ الزاد ولعب بهِ الجوع فعرج قليلاً عن الشاطي وسار حتى دخل بين خميلة من الاشجار ملتفة وكلها مثمرة فجعل يقتطف من اثمارها وياكل لسد رمقهِ وفيما هو على تلك الحالة واذا بهِ يرى رجلاً جالسًا تحت شجرة من تلك الاشجار مطرقًا براسهِ لا ينظر الى ما حواليهِ ولا يرى غير بين يديهِ فتقدم من ورائهِ ونظر اليهِ فراهُ مسندًا بظهرهِ الى جذع شجرةٍ وقد وضع بين يديهِ ورقة ينظر فيها ويتامل بما عليها فنظر الامير حمزة الى تلك الورقة واذا بهِ يرى عليها صورة فتاة جميلة المنظر بديعة المحيا حسنة التركيب على راسها اكليل من الزهور وفي عنقها عقد من الجوهر وعليها ثوب اسود يزيد في بياض وجهها . فتعجب من ذلك وغاب صوابهُ وراى ان داخل قلبهُ واحشائهِ تحرك الى صاحبة تلك الصورة وسبح الله الخالق وظن في نفسهِ انهُ لا يمكن ان يوجد في عالم الانس من هي توافق تلك الصورة وفيما هو على ذلك انتبه اليهِ الرجل وراهُ من خلفهِ فارتاع منهُ ونهض اليهِ وقال من انت ولما اتيت الى هذا المكان . قال لهُ اني مسافر ممررت من هذه الجهة ودخلت بين الاشجار فرايتك جالسًا ففرحت اليك وتعجبت عند ما وجدتك تنظر الى هذه الصورة بتامل فهل هي ذات اصلٍ او انها صورت وهمًا . اجاب لا بل هي ذات اصلٍ وصاحبتها لوعة القلوب بنت ملك قماصيا التي ضرب بحسنها المثل في هذا الزمان . فقال لهُ من اين وصلت اليك واين صاحبة هذه الصورة . اجاب اخذتها من بعض الدراويش وعند ما رايتها وجدت مكتوبًا تحتها . ان هذه صورة لوعة القلوب بنت ملك قماصيا . وتحت ذلك هذين البيتين

الم ترَ ان الحسن خير بضاعة   تباع وتشرى بين كل الخلائقِ
فسبحان من خص الجمال جميعهُ   بغادة حسنٍ كالشموس الشوارقِ

فمال قلبي الى صاحبتها ولعبت بي لواعج الغرام فتركت ملكي وسرت اطلبها . فقال لهُ وهل انت ملك اجاب نعم واسمي شرشوح واسم مدينتي مسابع الجوهر . قال وكيف وصلت الى هذه النواحي ودخلت بين هذه الاشجار وجلست في هذا المكان . اجاب اني اتخذت مركبًا وسافرت عليهِ قاصدًا قماصيا فهاجت علينا الرياح واضطرب البحر وقذفت بالمركب الى البر فتكسر وغرق كل من فيهِ . الاَّ انا فاني صعدت سالمًا الى البر ومشيت حتى وصلت هذا المكان فاقمت الى ان جاءني النعاس فنمت ثم قمت وتذكرت هذه الصورة وكنت قد وضعتها في قماشٍ مطلٍ بالقير

ووضعتها في جيبي . وخفت كثيرًا من ان تكون قد عدمت فاخرجتها من جيبي واذا بها كما تراها ففرحت جدًّا وصرت انتقل كل يوم الى جهة انتظر الفرج حتى وصلت الى هذا المكان فاعجبني جدًّا واكلت من اثماره . ثم جلست اتامل في هذه الصورة وعرفت يقينًا ان لا نصيب لي بها والاّ لما كان صار عليّ ما صار وفيما انا اتامل فيها وجدت مكتوبًا في اربع زواياها اربعة احرف كل حرف بزاوية ففي الاولى حرف ح وفي الثانية م وفي الثالثة ز وفي الرابعة ة . وما احد يقدر ان يعرف سرّ هذه الاحرف . فاحدق الامير بتلك الاحرف فراى كما اخبرهُ شرشوح فاحتار وقال ان هذا اسمي ولا ريب ان صاحبة هذه الصورة تقصد هذا الاسم . وشغل باله زيادة عن الاول وطلبت نفسهُ ان ترى لوعة القلوب ويجتمع بها ويشاهد غايتها واخفى ذلك عن الملك شرشوح وقال لهُ هلمّ بنا نسير الان فما في جلوسك في هذا المكان فائدة عسانا نصل الى باب الفرج فندخل منهُ ونجتمع بالناس من ابناء جنسنا . فنهض شرشوح صاحب مدينة منابع الجوهر ومشى مع الامير حمزة وهما يتحادثان بشان لوعة القلوب والامير يسالهُ عن بعد بلاد ابيها وقوتهِ ودينهِ وعدد رجالهِ وفيما هما على مثل ذلك واذا بهِ يرى شخصًا يركض خائفًا من مطارد يطاردهُ وجاء الى تحت الامير واحتمى بهِ فنظر الامير اليهِ بتعجب وقال لهُ ما بالك وممن تخاف . فلم يتمكن ذاك من الجواب واذا بهِ يرى صبية من الجان قد انحطت امامهُ وقصدت ان تتناول خصمها وتضربهُ بسيفها فتقطعهُ قسمين فاعترضها الامير حمزة وامتشق من وسطهِ الحسام وضربها بهِ فجاء في بطنها ودخل الى احشائها فصاحت وتالمت ووقعت الى الارض مائتة . وحينئذٍ نهض الرجل ورمى بنفسهِ على ارجل الامير يقبلها وهو يتعجب من شجاعتهِ وكذلك شرشوح فانهُ خاف كل الخوف وقال لا ريب ان هذا الرجل من اشد الابطال حتى يقدر ان يفتك بالجان ولا يخاف ولا يرتاع . ثم ان الامير حمزة سأل الرجل عن سبب خوفهِ من الجنية وما هو الداعي للحاقهِ وقتلهِ . اجاب اعلم يا سيدي اني منذ مدة وهذه الجنية تحاولني لتتزوج بي وانا امتنع عليها وفي هذا اليوم جاءت اليّ وحملتني الى هذه الارض وراودتني من نفسي فحاولتها كثيرًا فلم ترجع وقالت لي لم يبقَ لي قط درهم صبر عن وصلك فاما تجيب طلبي واما اقتلك وارتاح من شرك ولما رايت نفسي مغتصبًا وان لا نجاة لي اردت ان اجيبها الى طلبها غير اني ترددت وفضلت الموت على التقرب منها حيث ان نفسي كانت تكره ان تراها واذ رايتكما مررتما من هذه الجهة خطر لي ان التجي اليكما وقد فعلت ذلك على غير انتباه ولا قصد . فكان لحسن حظي ان قتلتها وارحتني من شرها وصار لك عليّ الفضل والجميل . قال الامير حمزة وما هو اسمك انت . اجاب اسمي شمروخ . قال الحمد لله صار معي شرشوح وشمروخ وهذه رفقاء اخر الايام

ثم انهُ صار سائرًا معها من تلك الناحية الى جهة البحر فمشوا عند الشاطي الى قرب العصر حتى وصلوا الى نهر يصب في البحر المالح ووجدوا عند فم النهر جماعة من النوتية يملأُون ماء ومعهم جماعة من التجار في قارب هناك فدنا الامير منهم وسلم عليهم فردوا عليهِ السلام وسالوهُ عن سبب وجوده في ذاك المكان قال نحن كنا في مركب فهاجت الارياح وغرق المركب وصعدنا على اليابسة ولنا عدة ايام نطوف في هذه الجهات الى ان رايناكم هنا فاستانسنا بكم فمن انتم ومن اين تاتون . قالوا نحن تجار نقصد مدينة منابع الجوهر وقد فرغ معنا الماء فرسي المركب الذي كنا فيهِ وطفنا في هذا القارب على الماء حتى عثرنا على هذا النهر ونحن نملي منهُ وسنرجع الى مركبنا قال الامير هل لكم ان تكرموا علينا وتاخذونا معكم الى تلك المدينة فتحيون نفوسنا ويكون لكم بذلك الاجر والثواب . قالوا حبًّا وكرامة . وبعد ان فرغوا من اخذ الماء صعدوا القارب جميعًا وساروا الى جهة المركب فركبوهُ وقد فرح الامير بسيره الى مدينة شرشوح ليسير من هناك الى مدينة قماصيا ويرى لوعة القلوب وكان قلبهُ قد تولع بها جدًّا وصار في كل مدة ياخذ الصورة من سرشوح وينظر فيها ويتعجب من ذاك الحسن البديع العجيب وهو لا يصدق ابدًا ان لوعة القلوب تكون في جسمها كما في رسمها وما زال المركب سائرًا والريح موافقة لهُ حتى قرب من مدينة منابع الجوهر فرسي المركب وبعد ان استقر جاء محافظو البحر وصعدوا على المركب وفتشوا فيهِ فراوا البضائع التي فيهِ فطلبوا من اصحابها رسمًا عليها يعادل قيمتها . فقال التجار ما هذا الظلم فان كلها لا تساوي هذه القيمة ولا تباع بها واذا كنتم لا ترحموننا نرجع من حيث اتينا . قالوا ان هذا لا يفيدكم فان طلبكم السفر لا تحصلون عليهِ ولا بد من دفع الرسم المطلوب او نحجز البضاعة ونذهب بها الى البر فارتاع التجار وخافوا على اموالهم ولم يعد في وسعهم الامتناع ولا التسليم ووقفوا محتارين في امرهم . وكان الامير حمزة واقفًا يشاهد كل ما يجرى وقد اغتاظ جدًّا من المحافظين فدنا منهم وقال لهم هل انتم على الدوام تاخذون هذا الرسم ام ضربتم ذلك موخرًا . قالوا كلاَّ فان قبل هذه الايام كان يحكم علينا ملك عادل اسمهُ شرشوح فكان لا ياخذ الرسم قطعًا ويسهل للغرباء ان ياتوا بلادهُ غير ان هذا الملك قصد السفر منذ ايام فوكل مكانهُ رجلاً ظالمًا غاشمًا لا يخاف العاقبة ولا يراعي حرمة الانسانية فجعل يفعل الفحشاء ويضع الضرائب على العباد وزاد دخلهُ فكانهُ يسلب الاموال عيانًا من اصحابها حتى ترى المدينة في قلق وضجر وكل الناس يتمنون هلاكهُ ولا يقدرون على الاتيان بحركة ضدهِ . وعليهِ يكون الرسم هذا لهُ لا لنا ونحن لا ذنب علينا وجل ما نتمناهُ ان يرجع الينا ملكنا شرشوح ليخلص من ظلم هذا واذا ما انفذنا امرهُ قتلنا واهلكنا . فقال لهم حمزة اصبروا هنا الى ان اعود اليكم . ثم انهُ نزل الى القمرة فوجد شرشوح جالسًا والصورة بين يديهِ ينظر اليها و يبكي فلعبت بهِ الغيرة والحمية

فتناولها من امامه ومزقها ورماها وقال له انهض حالاً فان بلادك قد خربت وماذا يفيدك العشق ولا نصيب لك به فاراد شرشوح ان يدافع وقد احترق قلبه فدفعه دفعة ارعبته وسار معه الى ان جاء المحافظين وقال لهم هوذا ملككم شرشوح وقد عاد اليكم فانزعوا عنكم ثقل هذا الحاكم الظالم الجديد وعودوا الى المدينة وبشروا اهلها برجوعه وها نحن في اثركم ولما راى الرجال ملكهم فرحوا به جداً وقبلوا يديه وسلموا عليه واخبروه بما لاقوا من الحاكم الجديد . فقال لهم سيروا اماما الى البر ثم نزل في القارب وامر حمزة التجار ان تخرج بضائعها الى البر وتبيعها بغير رسم ونزل المحافظون على الشاطي ودخلوا المدينة وجعلوا يطوفون في اسواقها وينادون بشراكم يا اهل مدينة منابع الجوهر لقد رجع اليكم ملككم شرشوح وتخلصتم من ظلم الحاكم الحاضر اليكم الامان والاطمئنان . فكانت الناس تجتمع من مكان الى مكان وتتبع المنادي وترى ملكها فرحة به وهو سائر الى ان دخل دار الحكومة واذا بجماعة العسكر قد اعترضوا حمزة وشرشوح فجرد سيفه وانحط عليهم وفرقهم وقتل منهم اكثر من عشرة انفار ثم دخل الديوان فوجد الحاكم الجديد جالساً على كرسيه فصاح به وقال له من حيث انك ظالم غاشم لا تراعي حرمة العباد وراحة خليقة الله فقتلك لا بد منه كيف كان الحال ولا تستحق ان تبقى في هذه الدنيا . ثم ضربه بسيفه فقطعه نصفين والتفت بعد ذلك الى ارباب الديوان وقال لهم هوذا ملككم شرشوح قد عاد اليكم فاما ان تطيعوه واما يكون نصيبكم كنصيب غيركم من المعارضين . فقال الجميع اننا لا نريد لنا ملكاً غير شرشوح ونحن ما اطعنا هذا الا خوفاً منه والحمد لله على خلاصنا وجاء بشرشوح واجلسه على كرسيه وعاد حال المدينة كما كان سابقاً . ثم ان الامير حمزة اظهر نفسه لاهل المدينة وعرفهم عن سبب وصوله اليهم وكانت اخباره واصلة الى تلك الجهات فاكرموه مزيد الاكرام واولموا له الولائم وعملوا له الافراح مدة سبعة ايام واهل المدينة ياتون اليه ويتفرجون عليه . وقد نصح حمزة لشرشوح ان يترك لوعة القلوب اذ ما من وسيلة له للوصول اليها . فقال له اني تركتها لاني كنت قبلاً ارى صورتها فاتذكرها والآن نزعتها عن افكاري شيئاً فشيئاً وما من نصيب لي بها

وبعد ان قام حمزة سبعة ايام في مدينة منابع الجوهر سال شرشوح ان يحضر له مركباً يسافر عليه الى البصرة فاجاب سؤاله واحضر له مركباً كبيراً واسعاً . فودع شرشوح واهل المدينة وسار من هناك على ظهر البحار مسافراً الى جهة البصرة وقلبه يضرب في جهة قماصيا ونفسه تطلب ان ترى لوعة القلوب بنت حاكمها وما زالت الريح موافقة والبحر ساكناً حتى رسى المركب عند شاطي البصرة فنزل على قماصيا وسار الى جهة المدينة وكان الوقت بعد غروب الشمس بساعة فراى ابواب المدينة مقفلة فطرق الباب وسال الحارس فتحه فقال له يجب ان تبقى الى الصباح

الان ابواب البلد لا تفتح الاَّ في النهار واما في الليل فتقفل ولا يؤْذن بفتحها قط لاحدٍ . فوقف الامير مبهوتًا ثم التفت الى شمروخ وقال له سر بنا للتحري الى كهف نبيت فيهِ هذه الليلة او نرى فندقًا ناوي اليهِ الى حين الصباح . فعرجا وسارا مقدار نصف ساعة واذا بالامير قد راى قصرًا منيرًا في تلك الناحية فمال الى ناحيتهِ وقرب منهُ فوجد بابهُ مقفلاً فجلس عند جذع شجرة هناك على مصطبة نظيفة ومكان مرتب للجلوس وقال لشمروخ اجلس قليلاً هنا ولا بد من السوال عن اهل هذا القصر وسكانهِ فاذا قبلونا هذه الليلة بتنا عندهم واذا كان في ذلك ثقلة عليهم بقينا هذه الليلة هنا الى الصباح فان المكان يوافق للسامة . وبينما هما على ذلك واذا بثلاثة من الخدم قد حضروا امام الامير وقدموا لهُ مائدة عليها الوان الاطعمة فتعجب من ذلك وقال لمن هذا الطعام . فقالوا هو لكما . قال ومن اين عرفتمانا حتى قدمتما لنا الاكل ومن الذي بعثهُ . قال ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قماصيا تقيم فيهِ ايام الحرّ وقد اعدت هذا المكان الذي انتما عليهِ الان لجلوس المسافرين فيمرون على الدوام من هنا ويبيتون بانتظار الصباح لكي يدخلوا المدينة وسيدتنا اعتادت ان ترسل لهم الماكل بحيث يكونون قد دخلوا في ضيافتها . فلما سمع الامير هذا الكلام طار قلبهُ فرحًا وقال لقد وصلت الى المطلوب من اقرب طريق . ثم تذكر الصورة وما راي مكتوبًا عليها من الاحرف فاراد ان يمتحن القصية . فقال للخدم هل في وسع سيدتكم ان تقبلنا لنبيت في هذا القصر باقي ليلنا وفي الصباح نرحل عنها الى المدينة . قالوا هذا لا يمكن قط لانها مقيمة في اعالي القصر وليس عندها ذكر قط ونحن لا نراها الاَّ نادرًا وعندها قهرمانتها فانوس فنخاطبها بواسطتها وما من احد من جميع الذين صافونا طلب هذا الطلب او بات داخل باب القصر بل في اعالي الشجرة . قال اذهبوا الى سيدتكم واخبروها ان الذي ضافها هو الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز وطلب اليها ان يدخل هذه الليلة الى القصر فيبيت فيهِ . فلما سمع الخدم هذا الكلام ما منهم الاَّ من ارتاع واضطرب لانهم كانوا يسمعون بان الامير حمزة يحارب كسرى وقد اذل العجم وخافت باسهُ السلاطين والملوك فعادوا متحيرين وجاءُوا سلم القصر ونادوا القهرمانة فانوس فجاءتهم وقالت لهم هل يحتاج ضيوفنا الليلة الى شيءٍ غير الطعام . قالوا اخبري سيدتنا ان ضيفنا هذه الليلة هو بحاجة الى ان يدخل القصر وقد ذكر لنا اسمهُ ونحن نكاد لا نصدق انهُ هو . قالت وما اسمهُ . قالوا قال لنا انهُ الامير حمزة البهلوان ابن امير مكة المطهرة الذي انتشر صيتهُ في العالم من مشرق الشمس الى مغربها ولا نصدق ان ذاك الرجل ياتي هذا المكان على مثل هذه الحالة وعندهُ الملوك والفرسان في خدمتهِ وتحت طاعتهِ . فلما سمعت هذا الكلام وقفت مبهوتة نحوًا من خمس دقائق . وكانت لوعة القلوب قد سمعت بعض هذا الكلام فنزلت من غرفتها للاستفسار ودنت من فانوس وقالت

لها ماذا يقول الخدم . قالت لها والله يا سيدتي ما يقولونه يحير الافكار و يصيع العقول وهو انهم اخذوا الطعام لضيفين زارا مصيفنا هذه الليلة فطلب احدهما ان يدخل هذا القصر وسال الخدم ان يطلبوا الى سيدتهم ان تاذن له بالدخول وادعى انه الامير حمزة صاحب السند والعلم ومذل الجبابرة والابطال الذي لا يخفاك امره وعلو منزلته في هذا الزمان وهذا لا يكاد يدخل عقلنا قالت ويلك كيف لا يدخل عقلك وهل من العجب ان يزور سيد العرب لوعة القلوب وقد سألت الله ذلك الوف مرات . فامري الخدم ان يطلعوهُ الينا ومتى رايناهُ عرفناهُ . وفي الحال رجع الخدم الى الامير حمزة وقالوا له ادخل فان سيدتنا بانتظارك . فدخل وترك شمروخا في الخارج وحالما دخل نزلت اليهِ فانوس وترحبت بهِ كل الترحيب واصعدته الى اعالي القصر وهي تتعجب من حسن طلعة الامير وهيبتهِ وقد تبت عندها انه هو هو الامير حمزة بعينهِ . ولما صار في الطابق العلوي تقدمت منه لوعة القلوب وسلمت عليهِ وقالت له لقد شرفت فتاة صرفت اشهرًا واعوامًا تتمنى لقاك وترغب ان تراك فالحمد لله على هذا الملتقى الغير منتظر وقد عملت جميع الوسائط لتعلم بي واني عشقتك بمجرد السماع . قال ان من حضر ما غاب ولو رايت صورتك من قبل لما تاخرت الى هذه الايام . فالحمد لله الذي وصلت اليك ورايتك وكنت لا اصدّق ان هيئة جسمك تنطبق على رسمك والان اراك ابدع صورة مما في الصورة ولم يقدر المصور ان ياتي ببراعة الصنعة بل قصر جدًّا عن الاتيان بكل معناك وها اراك الان ربة الجمال والمنة ثم وضعت يدها بيدهِ وهي طائرة الفواد لا تعي على نفسها من شدة الفرح والمسرة ودخلت الى غرفة فسيحة مفروشة بالاثاث الفاخر والبسط العجمية وجلست على مقعد من الحرير واجلسته الى جانبها وهي لا تفتر عن شرح حالها له وقد قالت ملأت الارض صورًا وانا متيقنة بان لا بد ان تقع في يديك احدى هذه الصور فتقصد ان تراني . قال ومن اين عرفتِ بي . كنت ذات ليلة في قصر ابي واذا بتاجر من نواحي حلب قد دخل مدينتنا وهو من اصحاب الفكاهات والنوادر فزار ابي حسب عادتهِ وكان رجلاً شيخًا اعتاد الاسفار والتجارة في نواحي الارض شرقها وغربها محبوبًا من الملوك والوزراء وكان ابي سامعًا طرفًا من حديثك فسأله عنك فاعاد عليهِ قصتك من الاول الى ان رجعت من جبال قاف وان كل من راك من النساء احبك وقد تزوجت بعدة نساء وقهرت كسرى انوشروان . وكان الرجل وقلبي يهلع ويخفق ووقعت من قلبي موقعًا عظيمًا حتى صرت احسب نفسي من نسائك وانا اصلي الى الله تعالى ان يقيدك اليَّ ولا يحرمني منك ثم خطر لي ان اصور نفسي وانشر صوري بيد الدراويش والسياح عسى ان واحدة منها تصل اليك فتدرك الغاية وتاتي اليَّ فهلاً وقعت واحدة منها بيدك . قال نعم لقد رايت واحدة منها ولهذا السبب جئت اليك . واعاد عليها حديثه مع شرشوح وشمروخ حتى وصل الى قصرها

فشكرَتِ الله وامرت قهرمانتها ان تقدم لهما الطعام ففعلت واكلا وهما غارقين ببحر الغرام والهيام. وبعد ان فرغا من الطعام قدمت لهما القهرمانة صفرة المدام والنقل والزهور وارادت الانصراف فقالت لها لوعة القلوب لا تنصرفي بل ابقي عندنا واحضري العود واضربي لنا عليهِ فان لليلتنا هذه ليلة حظ وما من باس بقيامك معنا فاجابتها واحضرت العود وجعلت تضرب عليهِ وكانت ذات صوت رخيم جدًّا وبراعة بضرب العود وبعد ان شدت الاوتار واصلحت شانهُ وضربت بهِ انشدت

لك لا لغيرك اشتكي ... جور الصدود المهلكِ
وارحم اسيرك ابي ... القي السلاح ام افتكِ
اشكو الى من لا يجي ... ب ولا يرق لمشتكي
واقول يا عين اسمحي ... فيقول ياعين اسفكي
يامعرضًا فضح استتا ... ري واستباح تهتكي
اني فنيت وانما ... امل التلاقي ممسكي

وكانت تلك الغرفة ترقص من الحظ والفرح والامير يشرب الخمر من يدي لوعة القلوب وهي تشرب من يدهِ وتطلب ان لا ياتي صباح تلك الليلة فيبقى حبيبها عندها وتطول حالتها على مثل هذه الحال غير ان ليل الاجتماع قصير كما ان ليل الفراق طويل فداما على الحظ والمسرة والهناء ومناشدة الاشعار ومعاطاة الخمار الى ان تبلج وجه الصباح وحينئذٍ قال الامير اني رجل اود سرعة العودة الى بلادي ولذلك ارغب في ان اذهب هذا اليوم الى المدينة واسعى في التقرب من ابيك فاتزوج بك واعود الى بلادي لارى كيف حال قومي ورجالي مع كسرى وقومهِ قالت ان هذا اريدهُ واني مثلك ارغب في سرعة التقرب من بعضنا فافعل ما انت فاعل وتراني مطيعة لك في كل ما تريد . قال لكني اريد ان اسألك سوالاً عن سبب قفل ابواب المدينة من حين غياب الشمس وقد تاكدت ان لا بد لذلك من سبب عظيم . قالت نعم وهو انهُ منذ سنة تسلط على مدينتنا اسد هائل المنظر فيدخل اليها ويفترس منها اثنين او ثلاثة اشخاص وقد صرفوا الجهد الى قتلهِ فلم يقدر عليهِ احد ولما اعياهم الامر اتفقوا ان يقفلوا ابواب المدينة في المساء ويفتحوها في الصباح وعليهِ فقد ردوا عنهم شرهُ فياتي الليل والابواب مقفلة فيطوف حول المدينة ولا يقدر على الدخول اليها الاَّ انهُ كان يفترس كل من يصادفهُ وعليهِ فاني لا اخرج قط خارج قصري في الليل ولا ادع احدًا من قومي يخرج بعد اشتداد الظلام . قال وهل ياتي الى نواحي هذا القصر . قالت لا اعرف فاني ما علمت انهُ جاء قط ولكني اتوهم انهُ لا بد ان يمر من هنا . قال والذين ياتونك ضيوفًا . قالت بعد ان اقدم لهم الطعام انصح لهم ان يبيتوا في

جوف الشجرة فيعملون من الاغصان سريرًا ويبنون فضلاً عن اني امرت خدمي فهن يعملوا اسرة في جوف الشجرة حتى اذا مرّ الاسد لا يرى شرًا ولم يعتدِ عليّ الاسد قط ولا اظنهُ يعتدي عليّ فلما سمع الامير منها هذا الكلام ظهر عليهِ الكدر والاضطراب وقال لها كان من اللازم ان تخبريني بذلك منذ اول الليل فان لي خادمًا اسمهُ شمروخ تركتهُ في الخارج واخاف ان يكون الاسد قد افترسهُ . قالت اني شغلت بك ولم يخطر في ظني ان معك رفيق كما انك شغلت بي عن خادمك وعلى ظني انهُ لا يزال حيًا . فنهض الامير الى شباك القصر ونظر واذا بهِ يرى الاسد جالسًا يفترس شمروخًا ويهرش عظامهُ فصاح واحسرتاه عليك ياشمروخ خلصتك من الجان ورميتك بانياب الاسد . ثم استل سيفهُ وكرَّ في سلم القصر فتعلقت بهِ لوعة القلوب وقالت لهُ لا تخاطر بنفسك يا سيدي فان خادمك قد هلك ومات ولا بد للاسد بعد ان يفرغ منهُ يذهب قال لا بد من قتلهِ بثار خادمي وحيث قد اصطاد انسانًا في هذه الناحية فلا بد من تكرار رجوعهِ قالت ان حياتك عزيزة عندي . قال سوف تريني اذبحهُ كالشاة فهو عندي كالهرة فقفي في الشباك وانظري اليّ قبل ان يذهب وما من وسيلة للتقاعد عنهُ فكوني براحة من جهتي فقد قتلت مثلهُ كثيرًا والاَّ كيف اكون حمزة العرب وسيد السيف والسنان اذا كنت ارهب الاسود فتركتهُ ورجعت الى الشباك واذا بهِ خرج من باب القصر وبيدهِ الحسام وصاح بصوت اشبه بالرعد القاصف وقال ويلك يا كلب البرية اما حلا لك غير خادم حمزة العرب اما وصلك طرف من اخباري اما عرفت سطشي وقوة ساعدي حتى قدت نفسك الى حفرة الهلاك فلما رأى الاسد الامير وسمع ارعاد صوتهِ تنفص واستعد للهجوم عليهِ وقد احمرت عيناهُ منهُ وزئر زئيرًا عاليًا جعل لوعة القلوب ان تخاف على حبيبها وقد تمسكت بيديها في جهتي الشباك وبويت ان رات الامير وقع بين يدي الاسد رمت بنفسها الى الارض فتموت ويكون قبرها وقبر حبيبها جوف الاسد . ومن ثم قد رات الاسد اجتمع على الاربع وانحذف بكليتهِ على الامير وهو مكشر الانياب مقوم الاظافر فزاد خوفها وعولت على رمي نفسها واذا بها قد ارتاحت الى ضربة سيف وقعت من كف الامير بين عيني الاسد فشقت راسهُ وعنقهُ وصدرهُ وجوفهُ الى ما بين افخاذهِ وانحذف نصفاهُ يمينًا وشمالاً ثم مسح سيفهُ بجلدهِ وقال ويلك ايها المعتدي اظننت ان حمزة كغيرهِ يصبر على عدوهِ . ثم عاد الى ما بقي من جسم شمروخ وجعل يبكي عليهِ وقد تكدر لاجلهِ مزيد الكدر وذم الهوى الذي جعلهُ ان ينسى خادمهُ ورفيقهُ ويلتهي بحبيبتهِ وامر بعد ذلك الخدم ان تدفنهُ التراب وصعد الى اعالي القصر فوجد لوعة القلوب لا تزال واقفة في الشباك وهي غير منتبهة اليهِ بل ماخوذة العقل والفواد من عظم ما نالها من الفرح فدنا منها واخذها الى صدره وسقاها الماء فعادت الى وعيها وقالت لهُ اصحيح ايها الامير انك تمسي واني

استحق أن أكون زوجة لرجل باسل نظيرك تخافهُ الاسود وتذلّ لديهِ الابطال. فقال لها هدّئي روعك فانا حبيبك ولا انفكاك لي عنك فسأتزوج بكِ وارجع الى بلادي وانت تكونين من سيدات العرب وزوجة كبيرهم واميرهم. قالت اذن من الواجب ان تذهب الى المدينة وتدخل على والدي وتعرفهُ بنفسك ومن ثم تطلب اليهِ ان تتزوج بي فيساً لني فاجيب ولا تظهر لهُ انك اتيت عندي او عرفتني. قال هذا اعرفهُ وافعل كل ما يرضيك فكوني في قصرك كما انت وساعود اليك في كل ليلة الى ان نزف من بعضنا

ثم انهُ ودعها وخرج من القصر وهو محروق الفؤاد على شمروخ وبعد دقائق قليلة وصل من ابواب المدينة فوجد احدها بفتح وحالما فتحهُ البواب وجدهُ عندهُ فاظهر التعجب والاندهاش وقال لهُ اين كنت نائمًا طول هذه الليلة قال كنت نائمًا عند الباب. قال وكيف لم يفترسك الاسد قال جاء اليَّ فطاردتهُ ففرَّ من امامي فادركتهُ وقتلتهُ وهنذا ترونهُ مقتولاً في الخارج فهلموا اليهِ لتتفرجوا عليهِ. وكان جماعة من اهل المدينة واقفين يسمعون هذا الكلام فتعجبوا منهُ وساروا معهُ حتى قربوا من قصر بنت الملك وراوا الاسد قسمين واقعًا الى الارض فتعجبوا وارتاعوا من الامير واستعظموهُ في اعينهم وعادوا راجعين الى المدينة ونادوا بها بقتل الاسد وصارت الناس تخرج وتتفرج عليهِ وكلهم من الفرح على جانب عظيم وبرهة قليلة وصل الخبر الى حاكم قماصيا فسقط الهم عن قلبهِ وطلب ان ياتوهُ بالرجل الذي قتل الاسد فقدم اليهِ الامير وسلم عليهِ وجلس امامهُ فقال لهُ انت الذي قتلت الاسد قال نعم. قد قتلتهُ عندما اراد ان يعتدي عليَّ وهذا ليس بعجيب فقد قتلت مثلهُ كثيرًا في زمني. قال من اين انت وما اسمك وما الذي جاء بك الى بلادي. قال اما انا فاسمي عبد الله واصلي من بلد الله جئت هذه البلاد لانوصل اليك وانعرف بك والان اسالك هل من عدو لك في كل هذه النواحي وهل من احد من اتباعك عاصٍ عليك وخارج عن طاعتك. قال نعم ان كل القبائل التي حول جبل قماصيا لا تدفع الجزية منذ خمس سنوات وحتى اليوم خارجة عن طاعتي. قال سوف اجعلها كلها كالعبيد بين يديك. ففرح به جدًّا وعمل لهُ وليمة فاخرة ذاك النهار هذا والناس تاتي من كل ناحية للفرجة عليهِ. وعند المساء طلب من الحاكم ان يدفع اليهِ مائة رجل من رجالهِ ليكونوا في رفقتهِ ويستدل منهم على القبائل العاصية. فاجابهُ ودفع اليهِ مائة رجل فخرج بهم وانحط على الاعداء فانزل بهم الويل وقتل منهم كثيرًا وارغمهم على الطاعة الى حاكم قماصيا ثم انتقل الى جهة ثانية وفعل فيها كالاولى حتى انتشر الخبر بين كل تلك القبائل المجاورة ووقع الرعب في قلوبهم واخذوا يتقاطرون من تلقاء انفسهم الى المدينة صاغرين مظهرين الطاعة نادمين على ما جرى منهم. والحاكم يطلب اليهم ان يدفعوا الجزية عن السنين الخمس الماضية

فيدفعون اليه وهو مسرور من عمل الامير حمزة فرح به . ولما راى الامير ان جميع العصاة قد انقادوا الى سيد البلاد عاد اليه . وقال لهُ لقد فعلت ما يرضيك فهل من حاجة بعد في قلبك . قال اني اعرف ان بلادي قد عاشت بك بعد ان كادت تخرب واريد منك ان تسمع مني وتبقى عندي في بلادي واياها اشاركك في الحكم واجعلك غفير البلاد وحاميها من الاعداء . قال هذا لا ارغبهُ ولا اريدهُ واني بعد ايام قليلة اسافر عنك فاذا كان في نفسك حاجة فابدها . فلما سمع الحاكم هذا الكلام تكدر وخاف من غيابهِ وتمنى ان يبقى عندهُ لترتفع بهِ شوكتهُ وتتسع بلادهُ . فقال اني لا اريد ان افارقك وصار لك الحق في البلاد اكثر مني ولا ريب انك تسرُّ بالبقاء هنا فاني وجميع اهل بلادي نعرف قدرك ونعترف بفضلك ولا يصير لك عند غيرنا ما يصير لك عندنا . قال لا بد من السفر بعد ايام قليلة . ثم خرج من دار الاحكام الى المكان الذي اعد لهُ ولما كان المساء ذهب تحت ظلام الليل الى قصر لوعة القلوب فوجدها بانتظاره فسلم عليها وسلمت عليهِ وترحبت بهِ وقالت لهُ قد مضت كل هذه الايام وانت بعيد عني ولم اسمع عن طلبك الزواج الى ابي مني فلما ذلك . قال اني اردت في الاول ان اباديهُ بالجميل والمعروف ليعرف قدري ويتعلق بي وحتى الساعة لم اذكر لهُ اسمي ولا عرفتهُ بحالي بل قلت لهُ ان اسمي عبد الله وفي هذا اليوم استاذنتهُ ان يسمح لي بالسفر الى بلادي فتكدر وقدم لي بلادهُ لاكون حاميها وصار لا يقدر على فراقي ولا ريب اني اذا طلبت اليهِ الان الزواج منك اسرع فاجاب وفرح كل الفرح وفي الغد اسالهُ في ذلك . فقالت لهُ حسنًا فعلت . ثم تناولتهُ من تحت ابطهِ ودخلت واياهُ غرفة الطعام وجلست معهُ على المائدة فاكلا وشبعا . ثم خرجا الى غرفة ثانية حيث كانت فانوس القهرمانة قد اعدت صفرة المدام وصفت عليها الزجاجات والاقداح وجلست هي بالقرب منها تضرب على العود وكانت كما تقدم رخيمة الصوت ناعمتهُ حسنة الضرب . فجعلت لوعة القلوب تشرب وتسقي حبيبها وتسمع صوت الالة وكلٌّ منهما غارق ببحر هواهُ ضائع العقل عند الاخر وما زالا على ذلك الى ان فاجئتهما سنة الكرى فنهض كل واحد الى فراشهِ وهو ثامل من شدة شرب العقار . وعند الصباح نهض الامير حمزة وودع لوعة القلوب وجاء المدينة ودخل على حاكم قاصيا

قال وكان ابو لوعة القلوب بعد ان خرج الامير من امامهِ قال لقومهِ ماذا ترون في امر عبد الله فاني لا ارغب ان يسافر عنا ويترك بلادنا ونحن في حاجة اليهِ ولا ارى كيف العمل لنجعلهُ ان يبقى عندنا طول عمره ولا يبارحنا . قالوا ان الراي عندنا ان تعرض عليهِ الزواج من ابنتك لوعة القلوب وهذا الامر يربطهُ بك ويجعلهُ بالرغم عليهِ ملزومًا ان يحافظ على البلاد ونطلب الى لوعة القلوب ان تقنعهُ بذلك . قال اخاف ان لا يرضى عبد الله بهِ ويذهب عنا

ويتركنا . قالوا لا ريب انهُ يرضى ويكون ممنونًا من هذا لان لوعة القلوب نادرة المثال لا نظير لها في كل العالم فاذا عرف بذلك فرح وسلم امرهُ اليك . فاتفقوا على ذلك ولما كان اليوم الثاني وجاء الامير الى مجلس ابي لوعة القلوب ترحب بهِ واجلسهُ الى جانبهِ وزاد في اكرامهِ وقبل ان يبدي الامير كلمة تتعلق بشان لوعة القلوب قال ابوها اني ارجوك ان تبقى في بلادنا وخطر لي ان ازوجك من بنتي لوعة القلوب التي لا نظير لها في هذا العالم وقد طلبها كثير من الشرفاء والعظماء ولم تقبل ان تكون زوجة لاحدهم واريد منك ان تقبل هذا وترضاهُ ولا ريب ان بنتي ايضًا تسرُّ بهِ بعد ان بلغها شدة بطشك وعظيم قدرك وجسيم بسالتك . قال اني كنت لا ارغب ان اقيم في هذه البلاد اكثر من ايام قليلة وحيث قد انعمت عليَّ بلوعة القلوب فاني اعرف منك هذه النعمة واقدرها حق قدرها واشكر لك هذا المعروف . ولما سمع حاكم قاصيا هذا الكلام سرَّ بهِ جدًّا وفرح فرحًا ما عليهِ من مزيد . وقال لهُ انت منذ هذه الساعة صهري ومساعدي ومعيني ولك الحق في بلادي وفي تدبير امرها كما لي . فكن انت المتصرف والحاكم مثلي ولي ثقة كبرى انك تزيد في شان قاصيا وترفع قدرها وتوسع دوائر حكومتها وتاتي لها بكل نفع

ثم ان حاكم قاصيا ارسل الى بنتهِ وجاء بها الى قصرهِ وعرض عليها امر عبد الله وقال اريد منك ان تقبلي بالزواج منهُ لاننا بحاجة اليهِ واذا ذهب عن بلادنا ساء حالنا واذا كان صهري زوجك خاف باسنا الملوك الكبار والفرسان والابطال وقد رايت من افعالهِ ما ادهشني فقد قتل الاسد الذي عجزت عنهُ انا وكل جيوشي واذل العصاة وسهل لي ولبلادي طرق الاتساع فهو بدون ريب نادرة المثال سينتشر صيتهُ في الافاق كانتشار صيت حمزة العرب وربما كان اعظم منهُ ثباتًا في ساحة القتال . قالت افعل ما بدا لك فاني لا اخالف لك امرًا في الزواج بهذا الرجل حيث اني احب الابطال واريد ان اكون زوجة لرجل يدفع عني الغارة وكل معتدٍ ويحمي بلادنا من حملات الاعداء فسرَّ ابوها من كلامها ومدحها وهو لا يعلم ما بينها وبين الامير وعاد اليهِ فاخبرهُ بجواب بنتهِ . ومنذ تلك الساعة اشتهر خبر زواج لوعة القلوب بعبدالله ففرح الناس وبدأ بعمل العرس ودعا القريب والبعيد وقد قامت الافراح في كل ناحية مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عقد للامير على لوعة القلوب ودخل بها وسرَّ منها سرورًا لا مزيد عليهِ وصرف عندها وقتًا ليس بقليل واطمأن بال حاكم قاصيا من جهة عبدالله وثبت عندهُ انهُ سيبقى الى الممات في بلاده . والامير في قصره وحده مجتمعًا بها يشرب ويسرُّ ويطرب وهو لا يحب ان يفارقها وان يصرف اياماً بقربها يتمتع بجمالها وعذوبة الراحة عندها . وهذه تروح من الامير حامل بولد ذكر يدعى سعد الطوقي ويكون من الفرسان والابطال ويفرج عن العرب الشدة

والضيق كما سياتي في محله

فهذا ما كان من الامير حمزة ولوعة القلوب وحاكم قماصيا ولنرجع الى عمر العيار ومعقل البهلوان حيث قد تركناهما سائرين الى قماصيا ليجتمعا بالامير كما تقدم معنا ولا زالا سائرين من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة يخترقان السهول والاوعار ويتسلقان الجبال والآكام وعمر يلتزم ان يسير الهوينا ليساوي في مسيره معقل البهلوان الى ان وصلا قماصيا وصادف انهما جاءا نحو الساعة واحدة من الليل قصر لوعة القلوب وهي فيه مع زوجها الامير حمزة البهلوان فعرجا اليه وجلسا تحت الشجرة التي عند بابه وقد اعجبهما ذلك المكان وقال الامير عمر لرفيقه حيث قد وصلنا البلد والوقت ظلام فننام هذه الليلة هنا وفي الصباح ندخل المدينة ونفتش على اخي . قال قد اعجبني هذا المكان . وجد ب واياه واخرجا ما معهما من الطعام ليأكلا واذا بخدم القصر قد خرجوا منه حسب العادة وجاءوا لهما بالطعام فقدموه بين ايديهما . فقال عمر لهم لمن هذا القصر وكيف ارسلوا لنا هذا الطعام . قالوا ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قماصيا ومن عادتها ان تكرم ضيوفها فمن جاء هذا المكان قدمنا له الطعام حيث يكون في ضيافتها فهي كريمة الفعل والطباع . قال جزاها الله خيرًا . ثم تناول الطعام وذهب الخدم في حال سبيلهم فقال عمر يظهر لي ان بنت صاحب قماصيا كريمة وصاحبة فضل ومعروف . قال لا بد ان نجازيها على فعلها هذا اذا ساعدنا الزمان ولا عجب اذا صار منها ذلك فان اهل هذه البلاد اهل كرم وسلام . ثم صرفا ساعات قليلة يتسليان بالكلام . ومن بعدها نام معقل البهلوان وعلا غطيطه . فتركه عمر العيار وقال لا بد لي من ان اعرف لوعة القلوب هذه واعرف من داخل القصر لاني ارى انوارًا كثيرة فيه واسمع اصوات الغناء والعود وجاء القصر وجعل يدور من حوله من كل جهاته حتى ادرك المكان الذي يمكنه الدخول منه فتسلق الحائط وجاء النافذة واسحب منها ثم قلب الى الداخل واسل في دهاليز القصر وصعد سلالمه حتى جاء الغرفة التي فيها لوعة القلوب والامير حمزة وكانا اوائذ على صفرة المدم فقرب من نافذتها ونظر الى الداخل واذا به يرى الامير حمزة جالسًا مع لوعة القلوب وهي كانها الكوكب الوضاح يلالئ في ظلام الليل الحالك وامامها القهرمانة قانوس وقد وضعت العود بين نهديها تضرب به وتغني برخيم صوتها والامير مشغل مع محبوبته بالكلام وقد سمعه يقول لها اني اسرُّ الان بك جدًا ويفرح قلبي الفرح العظيم ولكن فكري لا يزال يشتغل عند ضواحي حلب حيث ان جيشي مقيم هناك ولا اعرف ماذا صار به واريد منك ان تذهبي برفقتي الى هناك كي تكوني مع نسائي . قالت لا ازال اراك مشتغل البال عند قومك وهم بامان وسلام وراحة وعندهم عمر العيار الذي حكيت لي مرارًا انه صاحب الراي الحسن والتدبير العظيم وان العرب بدونه لا تصلح لشيء ولا لشيء .

قال انا اعرف انهٔ ما زال عمرًا بينهم لا خوف عليهم ولا تصلهم اذية لكنهم لابد من ان يضطربوا لغيابي ويلتزم عمران يسعى خلفي بالتفتيش عليّ واذ ذاك يترك المعسكر ويبعد عنهم وربما جاء هذا المكان ايضًا واعظم شيء يدفعني الى الذهاب هو شوقي لولدي ورجالي ونسائي ولا سيما اخي عمر. قالت دع عنك الان هذا الحديث وخذ هذا القدح فاشربهٔ لصحة اخيك عمر ودع قانوس تنشدنا عليه شيئًا من الشعر تضربهٔ على عودها . فضربت القهرمانة ضربًا يحرك الحواس من داخلها ويطرب الشجي الولهان وانشدت

نفسي الفداءُ لشادنٍ حشمتهُ — وشفيت بالتقبيل منهُ غليلي
ظفرت يداي بصيدهِ بوصيدهِ — فاجدت ثم توصلي بتوصولي
صادفتهُ واكففهُ مشغولة — بابارق قد اترعت بشمولِ
فمنعتهُ بالضم من القائها — وجعلتها تحيةٍ للتقبيلِ

فلما سمع عمر العيار من الخارج ذاك الصوت وشاهد تلك الجلسة غاب صوابهُ ودخل بغتة وقال السلام يا اخي حمزة انت جالس هنا على الحظ والانشراح وضرب العود وشرب الخمار ونحن ندور البلدان ونسأل الركبان ولم نترك قط في مكان . فاندهش الامير ولوعة القلوب من عمر ونهض اليهِ وقبلهُ وسلم عليهِ وقال لهُ اني لا ازال اتذكرك فاهلاً وسهلاً بك . ثم سلم على لوعة القلوب والقهرمانة قانوس وقد مال قلبهُ اليها ورأى فيها من معاني الحسن ما جعلهُ يميل اليها كل الميل ويحبها محبة عظيمة . فقال لاخيهِ ابقَ يا اخي على ما انت عليهِ فما اتيت لانغص عيشتك بل اتيت لاطمئن عليك والحمد لله انت بخير وسلام . قال اجلس الان معنا وشاركنا في سرورنا فهذه زوجتي لوعة القلوب وقد جئت قاصدًا لاجلها وتزوجت بها . فقال عمر لقد احسنت . فهي وقهرمانتها نادرتا المثال . فادرك الامير غايتهُ واجلسهُ الى جانبهِ وهو مسرور بهِ كل السرور وقد تناول قدحًا وناولهُ اياهُ فشربهُ وامر قانوس ان تنشدهُ شيئًا من الشعر . فاخذت العود وضربت ضربًا ناعمًا لطيفًا ترقص لهُ بنات الافكار وتطرب عند سماعهِ الحور والولدان وانشدت

رقصوا مقام الحرب واشتبك القنا — من كل قد كالقضيب اذا انثنى
ونضوا من السود المراض صوارمًا — بيضًا فلم نعلم علينا ام لنا
هزوا الغصون وكلموا اعطافهم — حمل الجبال فكان طلمًا بيننا
من كل ردفٍ كالكثيب مجاذب — قدًّا اغض من القضيب والينا
صدوا وردوا سافرين وجوههم — نحوي فشاهدت المنية والمنا
ضمنوا قرب اساعنا وعيوننا — للعين رقصهم وللسمع الغنا

فبكى الامير عمر العيار عند سماع صوتها وغاب صوابهُ وزاد في قلبهِ الغرام ولم يتمالك نفسهُ عن ان ينشد

شجى رشفا لما شدا وترنما · فانعس ايقاظًا وايقظ نوّما
وجس من الاوتار مثنى ومثلثا · فحفت بنا الافراح فردًا وتوّما
اغن كان العود ضمّ صدى لهُ · يحاكيهِ في الناظرِ ان تكلما
يحاكيهِ في الحالين صوتًا ولهجة · فقد كاد يلقى ضاحكًا متبسما
اذا رتلت الفاظهُ الشعر معربًا · وعادت لنا اوتارهُ اللفظ معجما
لهُ منطق يستنزل العصم عندما · يحرك في الاوتار كفًا ومعصما
يضم الى نهديهِ عودًا تظنهُ · نسيمًا تجزّى او دمياً مجسما
كان حشاهُ ضمّ سرًّا مكتمًا · يكتم عنهُ او حديثًا مجمجما
يطارحنا شرح الضروب مبرهنًا · فناخذ نقل اللهو عنهُ مسلما
وان حركتهُ الكف ابدى تململاً · تحرك ما يذبلا ويلملما

وعندما راى الامير حمزة الى حالة اخيهِ عمر التفت الى لوعة القلوب فراها تنظر اليهِ كعاملة بحالهِ فغمزتهُ ان يجمع بينهما فاجاب في الحال والتفت الى عمر وقال لهُ اني اعرف انك احببت فانوس وهي تستحق هذه المحبة وقد عزمت ان ازوجك بها في هذه الساعة فتكون زوجة لك وتكون انت بعلاً لها وتساويها بالمسرة والحظ. قال حسنًا تفعل فاني ما شغلني زماني بفتاة ولا عشقت فتاة كعشقي لهذه الفتاة. ثم قالت لوعة القلوب لقهرمانتها اني ارتك الآن من الامير عمر العيار فتكونين عندهُ على الدوام لانهُ سيد في العرب ونافذ الكلمة عليهم فاطاعت فانوس كلام سيدتها وفي الحال حسبت زوجة لهُ وبعد انصراف السهرة ذهب كل بزوجته يصرف باقي الليل معها وفانوس هذه تلد من الامير عمر ولدًا ذكرًا يسمى الشاه ذئب ويكون لونهُ احمر وسياتي ذكر حديثهِ ان شاء الله

وفي الصباح نهض الامير واجتمع بعمر وهناهُ بليلتهِ وقال لهُ هل جئت وحدك من حلب او صحبك احد من الفرسان والامراء فانتبه اذ ذاك الامير عمر الى حالهِ وافتكر بانهُ ترك في اسفل القصر معقل البهلوان وقال لاخيهِ قد ارتكبنا غلطًا عظيمًا وفعلنا فعلاً جسيماً نستحق لاجلهِ اللوم وشغلت بفانوس وبك عن ان افتكر بمن تركتهُ في اسفل القصر وهو معقل البهلوان وقد تركتهُ نائمًا وجئت انظر من في القصر على امل ان اعود في الحال. ولما سمع حمزة ذلك تكدر وقال لهُ ياوجه القرد كيف لم تخبرني بذلك منذ اول الليل وماذا ياترى يقول عنا معقل وكرّ الامير من اعالي القصر قاصدًا ملاقاة صديقهِ ليسلم عليهِ ويصعد بهِ القصر ويعتذر لهُ عن

نهائه في الخارج وكان في الصباح نهض الامير معقل ونظر الى ما حواليهِ فلم يرَ عمرًا فخاف ان يكون قد اصيب بمصيبة او انهُ وقع في ايدي اهل القصر فقصدوا عليهِ ولذلك استل سيفهُ وهجم على باب القصر ونادى ويلكم يا اهل هذا القصر اخبروني هل ان رفيقي الاسود الذي كان معي بالامس دخل القصر فاذا كان عندكم ردوهُ اليَّ والاَّ هجمت وقتلتكم باجمعكم وفعلت معكم فعلاً يذكر الى اخر الزمان وهدمت على روُّوسكم قصركم. فاجابهُ الامير من الداخل مرحبًا بك يا اخي معقل فانهُ دخل القصر وجاء الينا. ثم انهُ فتح الباب ونظر كل واحد الى الاخر ورمى بنفسهِ عليهِ يقبلهُ ويضمهُ الى صدره ومعقل يتعجب من وجود الامير في ذلك المكان. ثم ان الامير اخبرهُ بما كان من امر سمر العيار وقال لهُ ارجوك المعذرة يا اخي فاني لم اطلع على امرك الاَّ الان وعمر لم يخبرني بهِ قط وقد شغل عنك بزوجتهِ الجديدة. قال اني لا احسب عليهِ فان النساء يشغلن البال ويلهين الاخ عن اخيهِ والاب عن ابيهِ. ثم ان الامير صعد بهِ الى اعالي القصر واجلسهُ هناك وامر الخدم باكرامهِ وان يقدم لهم الطعام جميعًا فاكلوا وشربوا وسروا وطربوا فرحًا ببعضهم. وعاتب عمرًا كيف نسيهُ وتركهُ لوحده في الخارج. قال اني وجدت الامير على صفرة المدام فنسيت ان اذكر لهُ انك في الاسفل وارجوك المعذرة واريد منك ان تبارك لي ولاخي بهاتين الزوجتين اللتين امامك فان لوعة القلوب قد تزوج بها الامير حمزة الذي اذا طال عليهِ الزمان تزوج نساء العالم اجمعها وما ترك فتاة جميلة الاَّ واختارها لنفسهِ وتمنى ان تكون لهُ والثانية وهي فانوس كانت من نصيبي. قال بارك الله لكما بهما. ثم ان الامير حمزة قال اريد الان ان اذهب الى المدينة فهلما ننزل معًا فتتفرجان عليها وتريان اهلها فاجاباهُ وذهبا جميعًا. ولا زالوا في مسيرهم حتى جاءُوا دار الحكومة فوجدوا عندها خيولاً غريبة مربوطة وعليها سروج رومية مزركشة بالذهب والفضة فتعجب حمزة من ذلك وقال لا بد من ان يكون قد زار المدينة قوم غرباءُ لامرٍ مهم ودخل الى الديوان ووقف ببابهِ واذا بهِ يرى رجلاً عليهِ ملابس العظمة والجلال جالسًا على مقربة من حاكم قاصيا وهو يوبخهُ ويعنفهُ ويلومهُ بكلام عالٍ وهو مطرق الى الارض لا يبدي خطابًا ولا ياتي بحركة فلعب الغضب بالامير وقامت عيناهُ في ام راسهِ ودخل بغتة الى وسط الديوان وصاح بالرجل ماذا تريد ولاي سبب هذا الكلام. قال ان سيدي قد بعثني بمهمة لهذا الحاكم الغاش ولا بد من خراب بلادهِ وهلاك فرسانهِ وكل رجالهِ وقلع اثاره وهرق دماهُ. ثم اخذ الرجل في ان يبدي للامير حمزة واقعة امره وسبب تهكمهِ على حاكم قاصيا

وذلك انهُ لما انتشر خبر لوعة القلوب في كل البلاد وذاع صيتها في جهات كثيرة من العالم وصل خبرها الى الملك مج ملك الصقالبة ورأى بعض تلك الصور التي كانت تصورها فهام بها

وعشقها على السماع وارسل وزيره الى ابيها يطلبها منه زوجة له فلما جاء الوزير والى ابي لوعة القلوب رسالة زوجها بسيده احضرها واخبرها بذلك فابت وقالت اني لا احب الزواج ولا اريد ان اكون زوجة لاحد من الناس بل احب ان ابقى منفردة بنفسي بعيدة عن هذا العالم صارفة كل وقتي في قصري فالح عليها ابوها بان ترضى بهذا الملك لانه جبار صنديد وفارس مجيد وبطل عنيد وعنده من الجيوش ما لا يعد ولا يحصى . قالت اني اعرف ذلك واعترف ان هذا الملك هو اعظم الملوك واشدهم ولو كنت احب الزواج ما اخترت سواه ولكنني لا اريده ونفسي تطلب البعد عنه . فعاد الوزير الى سيده واخبره بما سمع من لوعة القلوب . فقال اني لا ارغمها على الزواج فربما كانت تكره فيه لكن اذا كانت حكت ذلك عن غش وخداع وتزوجت بغيري لابد من خراب بلاد ابيها وسبيها بالرغم عنه . ووضع منذ ذلك الحين العيون والارصاد في قاصيا واقام الجواسيس في قصر حاكمها تخبره بما يكون من لوعة القلوب هل ترد طالبًا آخر او تتزوج به وبقي الامر الى ان جاء الامير حمزة الذي كانت بانتظاره ولا ترضى احدًا سواه فتزوجت به كما جاء معنا وحينئذٍ عادت الرسل الى الملك عج واخبرته بما كان من حمزة وان لوعة القلوب زفت عليه فقام وقعد وارغى وازبد وقال لا بد من هلاك ابيها وخراب بلاده فقال له وزيره ان لوعة القلوب ذات حسن وجمال وهي معظمة بنفسها وما امتنعت اولًا الا كرهًا بك لا بالزواج واراد ابوها ان يجبرها عليه فما قبلت فهي المسئولة لديك والخطيئة عندك فالمجازاة يجب ان تقع عليها . قال اريد منك قبل كل شيء ان تذهب الى قاصيا وتطلب من حاكمها ان يرسل لي لوعة القلوب معك سبية فاتمتع بها زمانًا ثم اردها الى زوجها او ابقيها عندي واذا اجاب عفوت عنه وعن بلاده . والا زحفت بجيشي على قاصيا واهلكت كل ذي نفس فيها فاجاب الوزير امر سيده وسار حتى جاء قاصيا ودخل على ابي لوعة القلوب وجعل يتهدده بمثل هذا الكلام ويهينه ويطلب اليه ان يسلمه بنته لياخذها ويعود بها الى سيده وهو مطرق الى الارض لا يعرف ماذا يجيب وقد وقع الخوف والرعب على قلبه وارتاع واضطرب وايقن اما بخراب بلاده واما بتسليم بنته . وفي تلك الساعة دخل الامير حمزة وراى ما راى واعاد عليه الوزير طلب سيده الملك فقامت قيامته وصاح بصوت اهتز منه القصر من اربع جهاته واشهر سيفه وضربه به وهو غائب عن الصواب فاصاب راسه فشقه ورماه الى الارض قتيلًا فاضطرب حاكم قاصيا واعيانها وصاحوا بالويل والحرب وقالوا لقد رميتنا يا عبدالله بويل عظيم وشر جسيم فما امامنا الا خراب الديار وقلع الآثار وعما قليل تروح ارواحنا وتدوس رؤوسنا خيول الصقالبة وان ملكهم جبار لا نظير له في جبابرة هذا الزمان وقد اعد بعشرة الاف فارس . فقال حمزة لا بد من قتل هذا الرجل وتشتيت عساكره وهلاك رجاله وتفريقهم فقال ابو لوعة القلوب

الملك لا تقدر على ذلك لا انت ولا الوف مثلك وعما قليل ترى رجاله مثل الجراد المنتشر حول بلادنا تهدم اسوارنا وتخرب ديارنا وتنزل بنا البلاء الجسيم قال لقد آن الاوان وصار من الواجب ان تعرف من انا وما هو السبب الذي جئت لاجله بلادك واذ ذاك تعرف ان الذي فرق جيوش كسرى انوشروان وانزل عليه ميازيب العذاب والهوان بعد ان جمع عليه جيوش الشرق والغرب وكل فارس قدر على الطعن والضرب . انا الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ونقمة الاكاسرة وسيد الحق والعدل في هذا الزمان وقد جئت اتزوج بلوعة القلوب حيث قد سمعت بجمالها وانا عائد من جبال قاف

قال فلما سمع الحاكم وجماعته هذا الكلام سقطوا عن كراسيهم الى الارض وصاحوا بصوت واحد بشراك يا لوعة القلوب لقد نلت السعادة والاقبال وقاربت بنت كسرى انوشروان ودنوا من الامير يسلمون عليه سلامًا جديدًا ويترحبون به وهم ماخوذون من هذه الكرامة التي اختصهم بها الله سبحانه وتعالى بان جعلهم قريبين من رجل ذاك الزمان ووحيد العصر والاوان . فمدحهم وقال لهم كونوا براحة وامان وسوف ارسل اخي عمر العيار لياتي ببعض فرساني وابطالي لكبح هذا الملك الذي يريد ان يبرع مني زوجتي . ثم اخبرهم بخبر عمر ومعقل البهلوان فسلموا عليهما وجلسوا جميعًا ثم ان حمزة دعا برجال الوزير وقال لهم احملوا سيدكم وخذوه الى بلاده واخبروا ملككم انه اذا حدثته نفسه بالاتيان اليها لاقي ما لاقاه الوزير فحملوه وساروا وبعد مسيرهم امر حمزة اخاه ان يسير الى حلب ويسرع بالاتيان برسائه الاخصاء ويخبرهم ان مراده خلاص زوجته ومن ثم يعود معهم الى المعسكر . فسار عمر الى حلب وبعد مسيره سال حمزة عمه ان يجمع العساكر التي عنده ويظهر في عددهم قال ان كل ما اقدر ان اجمعه هو نحو عشرين الف فارس قال مرهم ان يجتمعوا في هذه البلد قبل ان يصل اليها ملك الصقالبة اذ انه لا ريب يصل قبل ان تصل عساكري ورجالي فبعث برسله الى القبائل المتفرقة حول المدينة ان تجتمع عنده وبمدة عشرة ايام اجتمع عنده العدد السابق ذكره اي عشرون الف نفر . وما مضى على ذلك ايام قليلة حتى وصل الخبر بوصول الملك مع رجاله وهم بعدد الرمل الذي على شاطىء البحر حيث كان رجال الوزير قد حملوه اليه واخبروه بقتله فارغى وازبد وقام وقعد وحلف انه لا بد ان يفلح بلاد قماصيا وان لا يترك ذات نسمة فيها . ونهض في الحال وسار بنحو مائه الف فارس

انتهى الجزء التاسع من قصة حمزة البهلوان

ويليه الجزء العاشر عما قريب ان شاء الله

الجزء العاشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

من فرسانهِ الاشداء وسار بهم في البحر الى ان وصل الى قماصيا فصعد البر وضرب خيامهُ بالقرب منها وسرح خيولهُ وعزم على الهجوم عليها في اليوم التالي حيث تكون عساكرهُ قد ارتاحت من سفر الطريق ولما راى حمزة ذلك دعا اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي ان اهل هذه المدينة قوم حساء يشبهون نساء العجم فما من رجاء بهم على القتال واريد منك ان تبذل الجهد في قتال هذا الجمع الكثير الى ان يصل الينا رجالنا وابطالنا . قال سوف ترى مني ما تعهدهُ لي . وحينئذٍ اخذ حمزة العساكر وخرج بهم الى مقابل عساكر الصقالبة وضرب خيامهُ واقام ينتظر صباح اليوم التالي واهل المدينة في اضطراب عظيم بعضهم يومل النجاح والفوز لما يعهدهُ بالامير حمزة من القوة والبطش وبعد الصيت وبعضهم يخاف من الفشل وخراب البلاد عند ما يرى اردحام الاعداء وكثرتهم

وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق صباح اليوم التالي وسطت انوارهُ على البسيطة فهبت العساكر من مراقدها ونهضت الى خيولها فركبتها وركب الامير حمزة ومعقل البهلوان وركب الملك عج ومن حلفهِ ابطالهُ ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان صاح الامير حمزة وحمل كانهُ قضاء الله المنزل وكان منذ زمان طويل ما باشر حربًا ولا قتالاً ولا خاض معمعة ولا نزالاً وفعل مثلهُ معقل البهلوان فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وانقطعت الاوصال وطال سلطان الموت واستطال وكان ذاك اليوم كثير الاخطار . عظيم الاهوال فيهِ ارتفع الغبار . وحجب نور الشمس عن الابصار وانزل على المتقاتلين امطار الدمار . فلله در الامير حمزة وما فعل وكم من فارس وسيد قتل ولم يكن الملك عج قصر في اعمالهِ . او تهامل في قتالهِ وقد اوقع بعساكر قماصيا اي ايقاع وهم لا يحسبون على ثبات ولا دفاع ولولا حمزة ومعقل البهلوان . لتشتتوا بين البراري والكثبان واختاروا الهرب على البقاء في ساحة الميدان . ودام القتال الى المساء وفيهِ رجع الامير مع رفيقهِ الى الخيام وبات الى اليوم التالي فنهض القومان وتحاربا الى المساء فصرفت طبول الانفصال ورجعا الى المبيت ودامت الحال على مثل هذا المنوال مدة خمسة ايام حتى كاد يتفرق جيش قماصيا لضعفهِ وقلتهِ والامير يشجعهُ ويطيب بخاطرهِ ويعدهُ بقرب النصر وفي الليلة الاخيرة اجتمع بمعقل البهلوان وقال لهُ لم

ارَ بزماني قوماً يخافون الحرب ويهابون الموت مثل اهل هذه المدينة واني تعبت جداً في هذه الحرب حيث اريد ان افني الاعداء واريد ان احميهم ولا اتركهم عرضة بانياب الاعداء ولهذا ارى ان الحالة التي نحن فيها صعبة جداً واذا تاخر فرساننا التزمنا ان ندخل عساكر قماصيا الى المدينة ونبقى نحن نقاتل على قدر جهدنا الى ان يفعل الله ما يشاء . فقال معقل لا بد في الغد او ما بعدهُ ان تصل الينا الفرسان لان عمرًا يكون قد وصل اليهم بايام قليلة فساروا في الحال وكيف كان الامر فاننا قادرون على الثبات الى ان ياتينا بالفرج فهذا ما كان من العرب واما ما كان من الصقالبة فان ملكهم اضطرب وتعجب من فعل الامير حمزة وقال لاعيان قومهِ اني ما كنت اظن ان عساكر قماصيا تثبت امامنا ساعة واحدة واني اعرفهم واعرف انهم من اكثر الناس جبنًا ولكن زوج لوعة القلوب هذا الذي يحميهم ولم يسمح لي القتال ان التقي بهِ لاضربهُ ضربة واحدة ازيل بها راسهُ عن جسدهِ وعليهِ فاني عولت في الغد ان اقسم عساكري الى قسمين فعند هجوم عساكر قماصيا ورجالها نضربهم من جهتين ونتركهم في الوسط ولا ندع لهم مجالاً ونبيدهم عن اخرهم كبيرهم وصغيرهم

قال ثم انهُ قسم العساكر الى قسمين واشار اليهم كيف من الواجب ان يعملوا مع الاعداء وكيف يقاتلوا . وعند اقبال الصباح هبوا من مراقدهم وتقلدوا بسيوفهم . وركبوا على خيولهم . وانقسموا الى قسمين وفي كل نيتهم انهم في ذلك اليوم يبيدون الاعداء ويمرلون عليهم ميازيب الفناء واذا بالامير حمزة صاح وحمل ومال الى جهة اليمين ومعقل البهلوان الى جهة الشمال وقامت الحرب على قدم وساق ومدت لاسنة الرماح والبيض الصفاح طوال الاعناق . ولعبت فيهم ريح المحاق . واخذ عزرائيل وقومهِ الى قبض الارواح بالسباق هذا والحرب تضطرم والرجال تصطدم ورواق العذاب ينتشر من الشرق الى الغرب . ويرسل من اوتار كبدهِ سهام الويل والكرب . ورأى الملك عج افعال الامير حمزة في رجالهِ فخاف واضطرب . واقسم انهُ لا بد من ان يضيق عليهِ في ذاك اليوم ولا يتركهُ يفنيو فصاح برجالهِ وبالكم قوّموا عزاريقكم وارسلوها الى هذا العاتي ومتى قتل انتصرنا انتصارًا عظيماً وملكنا المدينة بساعات قليلة ومن هرب منكم كان جزاؤهُ الموت والاعدام فقومت العساكر اعنتها وارسلت اليهِ باسنتها واحتاطت بهِ من اليمين والشمال وكان الصقالبة من الرجال الاشداء الذين تضرب بهم الامثال في الشجاعة والاقدام ففضلوا الموت على البقاء واصروا انهم لا يرجعون عن ساحة القتال ما لم يقتلوا الامير حمزة ولو قتلوا عن اخرهم ورأى الامير عنادهم فجعل يحط عليهم انحطاط الصواعق ولو كان عنده جواده اليقظان لما وقع في ارتباك وضيق ولكن الجواد قصر من تحتهِ ولم يجبهُ الى غايتهِ حيث كان من عادتهِ عند ازدحام الفرسان من حواليهِ ان يخرقها من اولها الى اخرها ويقلبها من باطنها

الى ظاهرها . وعليه فقد شعر بالتقصير وخاف من ان يقع من تحته الجواد اذا طال عليه الحال في ذاك المكان محاطًا بالرجال والابطال . فبذل جهده وابدى من الشجاعة ما يعجز عنه كل من حمل سيف وباشر قتال من فرسان الزمان من عهد ادم الى ذاك اليوم وكذلك معقل البهلوان فانه وقع بالضيق والشدة واحاط به الاعدا من كل جهة ولم يكن من فارس يفرج عنه او يساعده في القتال ليتسع عليه الحال وعرف ان اتكاله على نفسه وان الامير لا يقدر ان يصل اليه حسب عادته لبعده عنه ففعل افعال الجان . وقاتل قتال عفاريت السيد سليمان وراى الصقالبة بدء ذاك الهياج ولاح لهم شخص النصر من خلال ذاك القتال فما قبلوا ان يضيعوا تلك الفرصة فزادوا في القتال وابدوا اشد الاعمال وبربروا بلغاتهم ورموا بانفسهم على الاعداء حتى سالت الدماء . واكتست منها الارض بالاحمرار . وصبغت بلون النهار . وفيما القوم على مثل تلك الحال والامير حمزة ومعقل البهلوان في ضيق المجال . وقد تفرق رجال قاصيا وتركوا الحرب واختاروا السلامة على الممات واذا بعمر العيار قد خرج من بين تلك القفار . كانه السهم الطيار وهو ينادي ويلكم ايها الاوغاد قد جاءكم البوار . وحاق بكم الدمار . فخلوا عن الحرب والقتال واطلبوا رؤوس البراري والتلال . حيث وصلت اليكم فرسان العربان . لتلبسكم اثواب المذلة والهوان وما انتهى من كلامه حتى ظهر من خلفه اندهوق بن سعدون فوق جواده والمعتدي حامي السواحل . وباقي الابطال الحلاحل . كعمر الاندلسي والنجاشي وقاهر الخيل وبشير ومباشر ولما راوا الحرب قائمة صاحوا وحملوا حملات الاساد وخاضوا معمعة البرار والطراد . فاهتزت الارض لحملتهم . واضطربت الصقالبة عند سماع اصواتهم وقدمتهم . وظنوا ان الارض انطبقت عليهم من كل الجهات وان اسوار العراء احاطتهم بحيطان الشدات ولا سيما عند ما راوا رماح العرب تخترق الصدور وتلقي بالاعداء الى وهدات صعاب الامور وسمع حمزة صوت اخيه عمرو وباقي الفرسان فعاشت روحه وانتعشت نفسه وباقل من نصف ساعة راى عمرًا حواليه يدافع عنه ويقاتل ويحمي ظهره ولذلك صاح ونادى بالنشر والامان وسمعت العرب صوته بعد ان غاب عنهم كل تلك المدة فسرت الراحة في ابدانهم وجودوا الطعن والضرب كل اثنين في جهة وقرب العصر التقى الامير حمزة بالملك عج فصاح به وخبله وتحاول واياه مقدار ساعة ثم ضربه بحسامه على راسه شقه نصفين فالقاه قتيلاً فقطع عمر راسه ورفعه على خنجره وجعل يصيح بين الفرسان هذا راس ملككم يا صقالبة واذا ثبتم فنيتم عن اخركم ولما راى الصقالبة ذلك فروا من امام ابطال العرب وطلبوا الهرب وغابوا عن تلك الناحية والفرسان تضرب باقفيتهم الى ان جاء الليل فرجعوا فرحين ولما راى عسكر المدينة انهزام الصقالبة فرحوا جدًا واخذوا في جمع الاسلاب والغنائم والتقى حمزة برجاله فسلم عليهم واحدًا

بعد واحد واذا بابي لوعة القلوب قد وصل اليهم فسلم عليهم وترحب بهم ودعاهم الى المدينة فدخلوا بالفرح والاستبشار ولاقتهم النساء بالمزاهر والدفوف وبايديهم المصابيح وهم يدعون لحمزة وقومهِ ويشكرون من اعمال العرب . وقد امر الامير ان تجمع الخيول والمؤن وكل ما تركهُ الصقالبة ويعطى الى حاكم المدينة ورجالها وصرفوا تلك الليلة مع بعضهم البعض وحاكم قاصيا يذبح لهم الذبائح ويقدم لهم الطعام والخمور وهم فرحون بسلامة الامير حمزة ولم يرضَ احد منهم ان يخبرهُ بفعل روبين الغدار وافلنطوش خوفًا من تصديع خاطرهِ على مهردكار وابنهِ عمر اليوناني بل اتفقوا ذلك الى حين يعودون معًا . وكانوا وهم بحلب ينتظرون عودتهُ الى ان جاءهم عمر ودعاهم اليهِ فاجتمع مائة فارس من رؤساء العرب وساروا في الحال بعد ان ادخلوا الجميع الى البلد خوفًا ان ياتي كسرى في غيابهم ويبطش بهم ويذيقهم العذاب الاليم

هذا والامير في تلك الليلة فرحان بقومهِ وفكرهُ عند لوعة القلوب لانها كانت في القصر وحدها ولا بد انها تحب ان تراهُ ليطمئن بالها ويرتاح ضميرها عليهِ ووطد العزم انهُ في الصباح يذهب اليها ومن ثم يرحل في الحال الى بلادهِ وينهي من غيابهِ وسفرتهِ ولم تطعهُ مروتهُ ان يفارقهم تلك الليلة بل بقي بينهم الى الصباح وعند الصباح ركب وخرج الى قصر لوعة القلوب فوجد بابهُ مفتوحًا فدخل قليلاً واذا بهِ يرى الخدم مقتولين ومتروكين على سلم القصر فارتاع وخفق قلبهُ وخاف على زوجتهِ فصعد القصر في الحال وفتش على لوعة القلوب وعلى قهرمانتها فانوس فلم يرَ لها اثرًا فزاد قلقهُ وفتش في كل نواحي القصر دون ان يحصل على نتيجة وحينئذٍ كرَّ راجعًا في الحال واخبر اخاه بما كان من امرهِ في القصر وكيف ان الخدم مذبوحون وهي مع خادمتها مفقودتان فاضطرب الجميع وخافوا ان تكونا قد سرقتا واخذتا مع جماعة الملك عج الذين هربوا وساروا عن تلك النواحي . وكان عمر باضطراب على زوجتهِ فقال لاخيهِ اذا شئت ان تفتش على زوجتك وزوجتي فهلمَّ بنا نسير في البحر على احدى المراكب فنلحق بالاعداء ونفتش المراكب ومن كانتا في مركبهِ غرقناهُ ورجعنا بهما . فاسرع حمزة الى البحر وركب على مركب وسار يخترق البحار واينما وجد مركبًا سائرة عرَّج اليها حتى وصل الى مركب قد جمع شراعهُ ووقف في وسط البحر فقرب منهُ ودخلهُ مع اخيهِ عمر واذا هو من مراكب الصقالبة فقبضوا عليهِ وعلى من بهِ وسالوهم عن لوعة القلوب فما منهم من اجاب . واخيرًا كان بينهم رجل يعرف الفارسية فحاكاهما بها وقال ان جماعة الصقالبة جاءوا بفتاتين الى مركبنا هذا ونزلوا معهما وساروا جميعًا وانا بينهم حتى وصلنا الى هذه الناحية والريح طيبة معنا والمركب على اتم سرعة واذا بفتات من فتيات الجان قد انحدرت من الجوّ الاعلى الى قاع المركب فاختطفت الفتاتين وطارت بهما في الجوّ الاعلى فارتبكنا في امرنا وجمعنا شراع المركب ونحن كما ترانا

متحيرين مضطربين . فقال الامير ومن الذي جاء بهما فدلة عليهم فهجم عمر العيار ورماهم الى البحر وعاد الى اخيه وبرلا في مركبهما ورجعا الى المدينة حزينين . ولما صارا في البر قال حمزة لعمر اني لا ارجع ما لم ارجع لوعة القلوب وعليه فاني ساطلب من فرساني ان ترجع الى حلب وتنتظرني الى ان اعود واسير واياك نفتش على بركة الله عساه يوصلنا الى نسائنا فنرجع بهما فقال له كفى يا اخي فاننا الان في ويل اعظم وقد حان الوقت الذي يجب فيه ان ارجع مهردكار وابنها وطوربان وابنها . قال ويلك اين مهردكار وطوربان قال اعلم يا اخي اني لما جئت هذه المدينة وجدتك بحظٍ وسعادة وهناء فما اردت ان انغص لك عيشك بل صبرت وفي نيتي ان اعود واياك بعد زمن قريب فاخبرك بما وقع على العرب ثم كان ما كان من امر الصقالبة والان تحب ات ان تطيل المدة وتسير في بر الله الاقفر فتهلك روحنك ولا تعود تراها في كل حياتك . ثم اخبره بكل ما كان من امر العرب مع روبين الغدار وافلنطوش المكار وكيف غدرا بهم وسرقا النساء وبعد الجميع عن حلب . قال ويلك وابن ابني عمر اليوناني . قال لا نعرف اين مكانه ولا باي ارضٍ هو فاننا في صباح اليوم الذي كبس به العجم العرب افتقدناه فما وجدناه ولا علمنا في اي مكان هو وقد سرت الى المدائن واجتمعت بالوزير بزرجمهر فاخبرني ان كسرى ارسل خلف هدهد مرزبان ليأتي ويأخذ مهردكار وطوربان وباقي النساء والاولاد ليقدموا في عيد النيروز ضحية للنار وانا عازم على خلاصهم لكن اخرت ذلك الى حين مجيئك الى قومك فيبقى فكري براحة والان قد كاد يقرب زمان هذا العيد الذي تحترمه الفرس وتعتبره ونقدم ضحاياها فيه . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام غاب عن الصواب وسار الى ديوان ابي لوعة القلوب فسأله عنها . فقال ما وجدتها وضاع فكر الامير وغاب وعيه ونسي لوعة القلوب وصار كل فكره عند مهردكار واولاده . ثم اجتمع بفرسانه وقال ويلكم كيف ما اخبرتموني منذ الاول بامر مهردكار وما فعل بكم الاعجام . فقال له انّا ما جئناك بوقت سلام بل وصلنا اليك وقت القتال . ومع كل ذلك فان الحق باجمعه عليك لاننا طالما اخبرناك ان الفرس لا يعبدون الله وان زوبين لا يمكن ان يقلع عن غدره ولو ملكته الدنيا باسرها ولولاك لقتلناه وقتلنا افلنطوش وكنا الان براحة منهما ومن قومهما قال قد مضى ما مضى ولم يبق الآن السعي في سبيل خلاصهم ومحاراة كسرى وقومه على الغدر والخيانة . ثم انه في الحال ودع حاكم قباصيا ووعده انه لا يترك لوعة القلوب ولا بد من ان يفتش عليها وسار من هناك بكل عجلة مع قومه وابطاله

قال وكان السبب في فقد لوعة القلوب هو انها كانت في قصرها عندما كانت الحرب واقعة بين زوجها والصقالبة واذا بعشرة رجال قد دخلوا بغتة القصر وقتلوا العبيد وجاءوا لوعة القلوب فحملوها وحملوا فانوس وساروا بها الى البحر وكان الوقت في اول الليل والصقالبة

قد هربوا وركبوا المراكب وساروا منقطعين خوفاً من ان يلحقهم العرب ويمنعوهم عن دخول البحر فنزل هولاء في مركب كان باقٍ بانتظارهم وساروا بلوعة القلوب وقاموس وفي كل نيتهم انهم فازوا بالمطلوب وحصلوا على الفتاة التي وقع الحرب لاجلها وقهروا الامير حمزة بالحصول عليها وسار المركب بهم الى ان بعد كثيراً وقد انفرد عن باقي المراكب ليعرج الى احدى الشواطي وينزل الرجال هناك يتمتعون بغنيمتهم ولما اشرق النهار ووضحت الشمس نظر الصقالبة الى لوعة القلوب فوجدوها حورية من حوريات الجنة لا نظير لها في بلادهم فمالت قلوبهم لها وتمناها رئيسهم وقال لهم اني احب ان اخذها لنفسي ولا اترك احداً منكم يصل اليها وكفاكم الفتاة الثانية فافعلوا بها ما تريدون . قالوا لا بل هي غنيمتنا فانا نطيع لك في كل شيء اما في ترك هذه الفتاة فلا فانا نعادي بحياتنا من اجلها . قال لا بد لي من ذلك فاصرّوا على العناد وكاد يقع بينهم القتال . وبالصدفة كانت اسما برّي طائرة في الجوّ الاعلى ومن خلفها بنتها قريشة حيث كانت لا تفارقها خوفاً من انها تصادف اباها فتاتي به كالعادة لتعذبه وتبعده عن قومه عند حاجتهم اليه فرات ما هو واقع في المركب فسقطت من الجوّ الاعلى لما رات لوعة القلوب تبكي وكذلك قاموس واخذتهما من المركب الى البرية وسالتها عن حالها . فقالت لها لوعة القلوب اني بنت حاكم قاصيا وزوجة الامير حمزة البهلوان . وحكت لها كل ما هو حاصل لها وواقع عليها وعلى قومها وزوجها وكيف انه يحارب الصقالبة وقد كسرهم في ذلك اليوم وابعدهم عن المدينة وفيما هم هاربين انفرد منهم عشرة واخذوها وهم يتقاتلون لاجلها . فتكدرت اسما برّي عند علمها انها زوجة الامير حمزة وقالت لها من اين صرت زوجة له وفي اي يوم تزوج بك فاخبرتها بامرها معه فالتفتت اسما بري الى بنتها قريشة وقالت لها كيف رايتِ اباك وانت تلوميني فانه اينما سار يتزوج ويقيم عند نسائه اشهراً ويحارب من اجلهنّ واما لا يقيم عندي الاّ بالرغم عليه وكيداً له اريد ان اقتل هاتين الجاريتين واقتل كل نسائه كي لا يبقى له زوجة غيري . قالت ان ابي حرّ بذاته لا نقدر ان نقدر على عناده ولا ادعك تمدين يداً الى هذه الفتاة فانها خالتي زوجة ابي وقتلها يغيظه فاذهبي في حال سبيلك ودعيها وشانها مع رفيقتها . ثم حملتها قريشة ووضعتها بالقرب من قرية هناك وقالت لها سيرا على توفيق الله فهو يعينكما على الحياة الى ان تصلا الى بلادكما وتركتها ومضت الى والدتها وذهبتا من هناك ودخلت لوعة القلوب مع جاريتها الى مدينة صغيرة هناك وكلتاهما حاملين وصارت تبيع من حلاها وتصرف على نفسها ولنتركها هناك الى ان ياتي الكلام عليها في محله

واما الامير وجماعته داوموا المسير يقصدون حلب حتى وصلوا الى وادٍ اسمه وادي الكمال فنزلوا فيه ليرتاحوا وقال لهم عمر العيار ابقوا هنا الى ان اعود اليكم ومرادي ان اسير الى المدائن

واری كيف حال مهردكار وهل وقع شيء حديد بشانها وربما قدرت على خلاصها وخلاص الذين معها . فارجع ومعي الجميع ولا بد لي في هذه المرة من ان القي بقلب كسرى حسرة لا تستأصل الى اخر الايام . فاجابوهُ واقاموا في ذاك الوادي ينتظرون رجوعهُ وسار هو الى ان وصل الى المدائن في نصف النهار فدخل حسب عادته الى الديوان ووقف ينتظر خروج بزرجمهر الى ان خرج فسار في اثره حتى دخل قصرهُ فتاثرهُ ودنا منهُ وسلم عليهِ . وقال لهُ اني عدت ياسيدي من قماصيا ومعي اخي والفرسان وقد تركتهم في وادي الكمال بانتظاري وجئت اليك اقبل ايديك واری ماذا جرى في كل هذه المدة اي في حين غيابي وهل لا يزال الملك كسرى مصرًّا على تقديم النساء ضحية للنار . قال كيف يعدل ويجنك الوزير يذكرهُ به في كل يوم وانا قائم على مقالي الجمر الليل والنهار خوفًا من احراقهن مع الاطفال وقد قرب عيد النيروز وعما قريب سيصل هدهد مرزبان فيأخذهم الى خراسان يضحيهم جميعًا فتأكلهم النار . ويكونوا قد اصيبوا بهذه المصيبة بسببكم ولا بد ان الله يجازيكم عليها لانهن قد تركن دينهن وتمسكن بدين الحق وخالفن اباءهن وسلمن بانفسهن اليكم فلا سامح الله اخاك اذا اصبن بشيء حيث تقاعد عن قتل زوبين وسلم الى عدره وخيانتهِ . قال لا تخف يا سيدي على النساء فاني قادر على خلاصهن وسوف اذكرك بذلك وتراني قد فعلت شيئًا عجيبًا يذكر الى اخر الزمان واريد منك فقط ان تخبرني انهُ عندما يجيء هدهد مرزبان ماذا يفعل وكيف يكون مجيئهُ ومن الذي يرافقهُ وكيف تكون عادة النار فاخذ الوزير في ان يشرح لهُ بالتفصيل كل شيء وكيف في كل عام ياتون المدائن وماذا يكون من كسرى عند وصولهم . ثم قال لهُ اخيرًا لا تنهاملي يا عمر فان هدهد مرزبان سيكون هنا بعد عشرة ايام وقد وعد رسول كسرى بذلك وعين لهُ الزمان فاذا تاخرت هلك الجميع واحتملتم خطيئتهم وحاسبكم بها الله في اليوم الاخير ولا سيما مهردكار وطوربان فانهما عاملتان على البكاء الليل والنهار لا تنفكان وقد قطعتا الياس والرجاء من الحياة وخصوصًا عند ما تريان ان الوفًا من العساكر والحجاب تحيط بهما خوفًا عليهما من الخلاص قال كن براحة يا سيدي فاني قريبًا اريك بعينك ما اريد ان افعلهُ وتشهد لي باني اقدر على اتمام ما اقول ثم انهُ ودع الوزير وخرج من عنده عند نصف الليل وهو لا يريد ان يضيع دقيقة من الزمان وسابق البرق بسيرهِ حتى وصل الى وادي الكمال حيث كان الفرسان والابطال بانتظاره فقال لا تبارحوا هذا المكان حتى اعود اليكم بالنساء وافعل ما خطر لي فعلهُ لان عيد النيروز قد قرب والمرزبان الاكبر سياتي المدائن وياخذ النساء والاولاد الى المعبد ليقدموا ضحية للنار كفارة عن خطايا اولئك الاشرار . فقال حمزة دعنا نكمن لهم في الطريق فمتى جاءوا بالنساء كبسناهم وخلصناهن منهم قال ان الوزير اخبرني انهُ سيكون مع هدهد مرزبان نحو خمسين

الف فارس فيحتاج الامر الى قتال عظيم بينكم وبينهم واني اعرف انكم تقدرون على تشتيت اولئك الفرسان غير انهُ ربما ما قدرتم على خلاص النساء والاولاد فيهربون بهم عند شعورهم بكم ومع كل هذا فاصبروا هنا الى ان اعود اليكم وارى كيف تكون الحال . ثم دعا بكبير عيارية واسمهُ شيحان وامرهُ ان يسير خلفهُ ومعهُ خمسة عشر عيارًا من عيارية فاجابهُ وساروا جميعًا الى ان وصل من وادي خرسان وكشف عن بعد صواحيهُ فرأى خيامًا منصوبة وخيولاً تسرح ورجالاً تمرح في ذاك الوادي . فتاكد انهم من الفرس فاوقف عيارية في ذاك المكان واوصاهم ان يحتبئوا الى ان يعود اليهم وجاء الى ذاك المعسكر واختلط بهم . ثم انفرد بواحد منهم وسلم عليهِ وقال لهُ اظنكم يا سيدي سائرون الى المدائن فاني منذ اربعة اشهر سمعت بان سيدنا الاعظم وركن ديننا هدهد مرزبان سياتي لياخذ الكافرات اللاتي نجسن دين النار واركبن علينا العار فيقدمهن مع اولادهن ضحية للنار فهل انتم الان سائرون الى قضاء هذا الامر . قال نعم وقد خرجنا مع مولانا لنكون في خدمتهِ نستمد بركاتهِ ونستضيء بنوره وندافع عنهُ غارات الاعداء اذا تجاسروا ان يمكروا بهِ شرًا وهو الان في صيوانهِ مع مرازبتهِ الاثني عشر وبعد قليل من الايام نكون في المدائن فناخذ هدايا كسرى وكل ما يريد ان يقدمهُ اكرامًا لعادتنا ونأتي ايضًا بمهردكار وابنها وطوربان وابنها ومن معها لنرميهما بالنار يوم عيد النيروز ونسالها السماح والرضى عن الفرس . فصبر عمر الى ان انفرد بنفسهِ وجاء الى ناحية صيوان هدهد مرزبان فوجد عند بابهِ اربعة من الحجاب يمنعون الناس من الدخول فوقف ونظر الى الداخل فرأى في الصدر رجلاً مسنًا جليل القدر عظيم الهيبة والوقار جالسًا على تخت من الفضة محلى بالذهب وعلى جانب من التخت كرسيًا من الفضة ايضًا جالسًا عليها رجل يقرب بالعظمة والجاه والى جانب هذه الكرسي ١١ كرسيًا يجلس عليها ١١ رجلاً وكلهم من المرازبة وفي وسطهم تنور من الفضة تضرم بهِ النيران ويفوح منها الروائح الزكية وكلما خف اشتعال تلك النار اضرمها اولئك المرازبة فصبر يفكر فيما يعمل وهو يتامل في تلك الحالة ويستفيد منها وقد عرف ان الرجل الثاني هو كاتم اسرار المرزبان الاكبر والواسطة بينهُ وبين باقي رفاقهِ وبين من يريد منهُ بركة او يسالهُ امرًا . وفيما هو على مثل تلك الحالة واذا بهِ رأى ذاك الرجل قد خرج فسجد لهُ الحجاب وانفرد قليلاً لقضاء حاجة فباغتهُ عمر ولف راسهُ بعباتهِ وعدا بهِ بعيدًا عن الصيوان ولم يمكنهُ من ان يصيح صوتًا واحدًا قبل ان صار في البرية وحالاً انزلهُ الى الارض ورفع عن راسهِ العباة . وقال لهُ اذا حدثتني بكل ما اسالك اياهُ عفوت عنك والاَّ اخترقت صدرك بهذا الخنجر فارتجف وقال لهُ اسالني ماذا تريد اجيبك قال ما هو اسمك وما هي خطتك عند المرزبان الاكبر . قال اسمي هرزان كبير مرازبين هدهد مرزبان وحافظ سره والواسطة بينهُ وبين الناس وكل من يريد منهُ امرًا

حيث ان من قواعد ديننا انهُ لا يجوز لمن كان رئيساً للدين ان يخاطب حتى اذا شاء لا يخاطب كسرى انوشروان فلا يجسر على الوقوف امامهُ فيسالهُ ما يريد بواسطتي . قال والى اين سائرين الان قال انا سائرون الى المدائن لناتي بهردكار وطوربان ومن معها لنحرقهما يوم العيد وفي مساء امس اخبرني ان مرادهُ بقي المعسكر في هذا المكان وسير بوبحر الى المدائن فياتي بالنساء ونعود جميعاً حيث ان الطريق امان وما من عدو فيها وعند رجوعنا نقيم في هذا الوادي مدة ايام فعمل العيد فيهِ ونضرم النار في كل مكان للعبادة والسجود وندعو كسرى بنفسنا اليهِ . وبقي الامير عمر يسالهُ كلما يحتاج ان يسالهُ اياهُ ولما فرغ ضربهُ بالخنجر فقتلهُ وواراهُ التراب بعد ان نزع ثيابهُ ولبسها ونظر في المرآة وطلب ان يصير كهرزان المقتول فصار في الحال نظيرهُ وجاء الى المكان الذي بهِ شيحان وجماعتهُ فجاء بهم وامرهم ان يكمنوا حول الصيوان الى ان يدعوهم ودخل هو فقام لهُ المرازبة احتراماً ثم تقدم الى النار المتقدة ورمى فيها من البنج شيئاً كثيراً وسد انفهُ فوقع الجميع كالاموات فدعا بعياريهِ ان يدخلوا وينزعوا ثيابهم ويلبسوا ثياب اولئك المرازبة ففعلوا وطلب من المرآة ان يصيروا كمرازبة النار فصار الجميع ثم تناول خنجرهُ وقتل الجميع وطرحهم في ذاك المكان ولبس هو ملابس هدهد مرزبان وجلس على تختهِ والبس شيحان ملابس هرزان الذي قتلهُ في الخارج وجلس الجميع حول النار واقام اربعةً من الحجاب عند الباب وهم الذين زادوا من عياريهِ وبعد ساعتين اصبح ذاك الصيوان يجمع عمراً ورفاقهُ وهم كانهم من اعظم رؤساء اديان الفرس وباتوا تلك الليلة فرحين بالسرور وعمر على ذاك التخت المصي وعليهِ الملابس الذهبية وعند الصباح نهض من فراشهِ ونظر الى العياريين وصار يضحك في قلبهِ منهم ثم نظر في المرآة ورأى وجههُ واذا هو كهدهد مرزبان الذي كان راهُ في الليل وحينئذٍ دعا شيحان وقال لهُ ياهرزان قل لباقي المرازبة ان يتقدموا مني ويقبلوا يديَّ قبل ان يدنو من النار ويسجدوا لها . فلما فهم شيحان ذاك تقدموا وسجدوا بين يديهِ وقبلوا اذيالهُ ورجعوا جلسوا حول النار فقال لهم عافاكم الله انقنتم الصنعة واحسنتم الطاعة والعبادة . ثم انهُ التفت الى شيحان وقال لهُ اخرج انت الى باب الصيوان ونادي بقواد العساكر ان ياتوا الى امام الصيوان ويسجدوا للنار حسب عوائدهم وبعد ذلك اخطب عليهم ما هو كذا وكذا واعلمهم بان عاتي ان يقولوا في في هذا المكان واسير انا بكم الى المدائن ومن ثم اعود بالنساء ونعمل العيد في هذا المكان مدة ثلاثة ايام . ثم توسد عمر على التخت وتمدد فقال لهُ شيحان بارك الله فيك من مرزبانٍ لا نظير لهُ بين عبدة النار . ثم ان هرزان وقف في باب الصيوان وصاح بالقواد والاعيان فحضر الجميع ومن خلفهم العساكر . فقال لهم ان النار قد اتقدت فاسجدوا لها وفي الحال خرَّ الجميع وسجدوا بكفرهم وضلالهم الى ذاك اللهيب وبقوا نحواً من ساعة . ثم رفعوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما

يامر بهِ سيدهم هدهد . فقال شيحان

اعلموا ايها القوم الذين اصطفاكم سيدكم الاكبر قاعدة دين النار الحائز على رضاها والخادم الامين على عبادتها سيد الانقياء وينبوع البركات انهُ راض عنكم مسرور منكم (فصاح الجميع فلتنعم علينا النار ببركاتهِ) ولذلك لا يريد ان تتحركوا من هذا المكان حيث انهُ يريد ان يعمل العيد فيهِ فاسرحوا وامرحوا واحضروا ملابس العيد وانتظروهُ هنا الى ان يذهب الى المدائن ويبارك كسرى انوشروان ويستلم منهُ النساء اللاتي اعددن للضحايا والاموال التي اعدها لكم لتقسم بينكم والهدايا التي تقدم اليهِ . وحيث من عوائدكم في مثل هذا العيد المبارك ان يقدم كل منكم تقدمة للنار لتحرق على نيتهِ فتكون راضية عليهِ وحافظة لروح ابائهِ واجداده فاحضروها الى حين عودتهِ واعظم شيء اوصاني سيدي وسيدكم هدهد مرزبان ان لا يقرب احدكم من المكان الذي ضرب بهِ صيوانهُ لانهُ مقدس ومبارك وعاينة ان يجعل الاتون الكبير في هذا المكان فاياكم ان تدنو منهُ او تقربوا اليهِ فيغضب عليكم ومن قرب او افتكر ان يقرب يكون محروماً ومغضوباً من قاعدة الدين . واخيرًا اني اطلب الى النار ببركة هذا السيد العظيم ان تقبل ارواحكم وان تحرق ارواح ابائكم واجدادكم وتحفظها فيها الى ابد الابدين وان تحرم منها ارواح اعدائكم وكل الدين على غير دينكم امين

وبعد فراغ هرزان من خطبتهِ صح الجميع بالدعاء للمرزبان الاكبر وحينئذٍ اشار اليهم ان ينصرفوا فانصرفوا شاكرين متعجبين من فصاحة هرزان وحكمة هدهد مرزبان . وبعد ان انصرفوا تقدم شيحان من سيدهِ وقال لهُ لقد انهدت عاينك وبلغت القوم ما امرتني فماذا تريد بعد ذلك قال اريد ان تجمع هذا الصيوان وترفعهُ على البغال وتتقدموا انتم الاثنا عشر مرزباناً وتحملون هذا التخت وتسيرون بي في طريق المدائن فقال لهُ شيحان ان هذه ثقلة كبيرة تريد ان تحملنا اياها فكيف نحملك انت والتخت الى المدائن فقم امشِ مثلنا واي متى صرت تحمل على العواتق قال قلت لك افعل ذلك والا امرت النار ان تحرقكم وجعلتها تغضب عليكم اذا عصيتم لي امرًا . فضحك حينئذٍ هرزان وقال لهُ انا نحملك الى ان نغيب عن المعسكر وبعد ذلك نرميك الى الارض ودع النار تفعل ما تشاء بنا . ثم انهم جمعوا الصيوان ورفعوه على ظهور البغال وساقوها امامهم ومن خلفها الحجاب من عياري عمر وتقدم الاثنا عشر مرزباناً فحملوا التخت على عواتقهم وطافوا بهِ من كل جهاتهِ وساروا عن تلك الارض الى ان قرب العصر فنظروا الى ورائهم فلم يروا احدًا وتاكدوا انهم بعدوا كثيرًا عن المعسكر . فقال شيحان انزل يا عمر فقد تعبنا منك . قال قلت لكم سيروا والا عزلتكم وجعلت النار تغضب عليكم فاني مرتاح من هذا الحمل وما ذقتهُ زماني بطولهِ . فامر شيحان باقي العيارين ان يضعوا التخت ففعلوا وقال

لعمر جعلناك مرزباناً كذاباً على الاعجام لا على العرب فقم وامش ِ. فنهض وهو يضحك منهم ورفعوا التخت وساروا على تلك الحالة حتى كادوا يقربوا من المدائن وحينئذٍ قال لهم عمر قد اشتقت للحمل وصار من الواجب ان تعودوا الى وظائفكم وتوقدوا النار ولا تظهروا خلاف ما علمتكم كي نتمم حيلتنا وننهر الفرس ونسترجع النساء والاولاد ففعلوا وحملوه وساروا به حتى لم يعد بينهم وبين المدينة الا ساعة واذ ذاك ارسل شيحان وقال له اذهب الى كسرى واطلعهُ على قدومي وامرهُ ان يخرج الى تقبيل يدي هو ومن عندهُ وان لا يتاخر ولا دقيقة . فاجاب وسار حتى دخل باب المدينة فرآهُ الناس وفرحوا به وجعلوا يزدحمون عليهِ ويقبلون يديهِ ويرفعون اذياله على رؤوسهم يتباركون بهِ لعلمهم انهُ كبير مرازبة هدهد مرزبان وحافظ سرّ النار وحامل اوامر قاعدة الدين واساسة المتين . ولا زال سائرًا حتى وصل من ديوان كسرى فركض الحجاب واخبروا الملك كسرى فارسل وزيرهُ بختك لملاقاتهِ ففعل ودنا منهُ وزاد في اكرامهِ ودخل بهِ على الملك كسرى انوشروان فترحب بهِ مزيد الترحاب واكرمهُ غاية الاكرام وسالهُ عن هدهد مرزبان فقال لهُ قد جاء وهو في خارج المدينة محمولاً على اعناق المرازبة وارسلني لاخبرك بقدومهِ لتخرج اليهِ وتقبل ايديهِ مع اعيانك ووزرائك فلا تخسرون البركة والرضا فاظهر كسرى الفرح والاستبشار وقال هذا فرض عليَّ فاني اذهب منذ هذه الساعة ثم امر العساكر ان تقيم على الطرقات من باب المدينة الى الديوان وان تزين كل الجهات وخرج بموكبهِ وسار الى ان خرج من باب المدينة وسار قليلاً واذا بهِ قد اشتم رائحة المسك فانتعشت روحهُ وروح قومهِ وسجدوا لعلمهم انها منبعثة من النار التي تضرم امام هدهد مرزبان ولما وصلوا من التخت وقفوا بعيدًا عنهُ وقال كسرى لمرزبان نقدم من سيدي هدهد واخبرهُ بقدومنا واسالهُ في ان يرضى علينا ويسمح بتقبيل ايديهِ فدخل على عمر وهو موسد على التخت غير مهتم بمن حضر ولا بمن جاء فسالهُ مرزبان السماح لكسرى بتقبيل ايديهِ فاشار بيده الا فاصبروا فبقي كسرى وقومهُ واقفين منتظرين الامر بالسماح ليدنوا منهُ ويقبلوا يديهِ ويتباركوا من اذيالهِ ومن الفاظهِ . ثم بعد ساعة اشار اليهم ان يذهبوا امامهُ واشار الى المرازبة ان تحملهُ وتسير الى المدينة فتعجب كسرى من ذلك واشتعل في قلبهِ لهيب الخوف وقال لبختك ماذا تظن يا وزيري واي شيء عملناهُ فاغضب استاذنا وسيد ديننا فاننا بانتظار امرهِ لنقبل ايديهِ فلم يقبل مظهرًا غضبهُ منا . قال لا اعرف واني محتار بذلك واخاف ان يذهب بالسماء ولا يسمح لنا بهذه البركة العظيمة ولا بد لهُ من رحمتنا والشفقة علينا فياذن لنا بتقبيل يديهِ وبقي كسرى سائرًا الى الايوان وهو مرتعب القلب خائف ان تكون النار غير راضية عنهُ ومن بعد ذلك امر عمر المرازبة ان تسير بهِ وان توقد التنور وتحمل بين يديهِ ففعلوا وحال دخولهم المدينة سجد الناس الى الارض مكرمين النار

ومحترمين قاعدة الدين هدهد مرربان يتباركون من النظر الى وجهه والنساء تزدحم من كل
الجهات وتدعو له وتسالة بان ترضى عليهن وعلى اولادهن واكثرهن يرمين عليه الزهور من
الشبابيك والمحلات المرتفعة وهو على التخت غير مهتم بكل هذه الامور الى ان قرب من الديوان
فدخل والحجاب سجود الى الارض ووضعة المرازبة في الوسط وحينئذٍ نهض الجميع وقوفاً
وكشفوا رؤوسهم واطرقوا الى الارض ينتظرون الامر بالاذن كي يتقدموا منهُ ويقبلوا يديهِ
ويستعطفوه بالرضا ودام ذلك مقدار نصف ساعة . واخيرًا قال كسرى لبختك تقدم من هرزان
ودعهُ يسال لنا سيدهُ بقبولنا ويسمح لنا بتقبيل ايديهِ وكان بختك يتكدر من زيادة عمر وعلوهِ فدنا
منهُ على اعين الناس وسجد امام التخت ودنا من يده فقبلها وقال له سرًا كفاك تعاظمًا وافتخارًا
فمر كسرى وقومهُ بتقبيل ايديك فانهم على الانتظار وقوفًا وارجلهم تكاد لا تحملهم من التعب
ومن الخوف ان تكون غضبانًا عليهم فتحرك حينئذٍ عمر وابدى اشائر الرضا ثم جلس واشار الى
كسرى وقومهِ ان يتقدموا فتقدموا وجوههم من الفرح وصفقوا بايديهم ودنا في الاول كسرى
انوشروان وقد رفع التاج عن راسهِ واطرق بهِ قليلاً الى الارض ثم تقدم من السرير ومد له عمر
يدهُ فقبلها باحتشام ورجع بترتيب الى الوراء ثم تقدم بعدهُ افلاطوش فقبل يدهُ واراد الرجوع
فمسكهُ ونظر اليهِ نظرة القبول وقال لهُ ان النار راضية عنك انت حيث فعلت مع اعدائها
فعلاً يذكر امامها فاعاد التقبيل ثانية ورجع والدنيا لا تسعهُ من شدة الفرح . وتقدم بعدهُ بختك
وقبل يدهُ ثلاثًا . فقال لهُ انت مكرم ومحبوب من النار لانك حافظت على دينها وقواعدها
ولا تزال تخدمها بامانة . فرجع ايضًا مسرورًا وتقدم بعدهُ بزرجمهر وقلبهُ يلتهب من الغيظ
والحنق وهو خائف كل الخوف على مهردكار وطوربان وثابت عندهُ انهما ستسلمان الى هدهد
مرزبان في ذاك اليوم وتحرقان مع باقي النساء والاطفال . ولما اخذ يد عمر واراد ان يقبلها ضغط
لهُ على يدهِ وقلبها فانتبه الوزير وطرق ذهنهُ حالاً كلام عمر العيار الذي قالهُ لهُ من اني لا بد
ان ارمي بقلب كسرى حسرة لا ينساها الى اخر الزمان فقبل اصبعهُ ورجع وهو يقول لله درك
يا عمر ما اشد حيلك واكثر خداعك وقد فعلت الان فعلاً عظيمًا وابقيت بقلب كسرى حسرة
لا تمحى الى اخر الايام حيث قبل يديك وسجد لك . ومن بعد ذلك تقدم زوبين بهش في وجههِ
والتفت الى كسرى وقال لهُ اوصيك ايها الملك ان تكافي زوبين احسن مكافاة فقد نصح في
خدمة النار وهي راضية عليهِ كل الرضا . فقال سمعًا وطاعة ساجعلهُ حاكمًا في بلادي ولا اعز
عنهُ عزيزًا . وبعد ذلك تقدمت الاعيان والامراء واحدًا بعد واحدٍ يقبلون يديهِ ويرجعون
باحتشام وهو يتظاهر بالعظمة والمجد ويرضى عليهم ويشكر منهم . ولما فرغ الجميع من تقبيل
يديهِ وعادوا الى الوراء اشار اليهم بالجلوس فجلسوا في مراكزهم . ثم اخذ كسرى كاسًا من الشراب

واراد ان يقدمهُ بنفسهِ لهُ . فعارضهُ هرزان وقال لهُ لا تفعل فان سيدي صائم للنار ولهُ عشرين يوماً ما اكل طعاماً ولا شرب شراباً يواظب الدعاء لك بالنصر والظفر على العرب حتى وعدهُ الوحي بان النار اكراماً لخاطره تساعدك وترسل لهيبها فتحرق العرب وتبددهم في اربع اقطار الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فاضطرب كسرى وقال العفو يا سيدي فاني ما عرفت ذلك وارجو منهُ المعذرة والرضى ولا يتكدر عليَّ ثم رجع الى مكانهِ وبعد ذلك دعا هدهد مرزبان بهرزان وبلغهُ ان يخطب عليهم خطاباً ويدعو لهم برضا النار ذات الشرار فاجاب الى ذلك ووقف في الوسط وقال

ان الاستاذ الاعظم والسيد المكرم قاعدة دين النار والرافع عن خبايا الكفر الاستار قد امرني بكلام اقولهُ بينكم واعرضهُ عليكم وهو انكم اعرتكم النار وحفظتكم مدى الادهار هي العبادة التي لا ينكر فضلها ولا يجحد نفعها وفعلها . ظاهرة للعيان . وعليها مدار الاكوان . ومنها تسري الحرارة في الابدان . وتنتعش روح الانسان . لولاها لما وجد الجائع طعاماً ولا حفظ في مسيره على الارض ترتيباً ولا نظاماً فمنها تحصل الانوار وتنير ظلام الاعتكار فترون في الليل الحالك كما في النهار . مستغرقة بذاتها . منفردة بآياتها . لا يقدر المرء ان يدنو منها في اي وقت شاء . وضرامها متصل على الدوام الى الاعداء . محبة للسلام . تزور بيوت الاصدقاء والاخصام . على امل انهم مع التمادي يشعرون بفضلها . ويعترفون بغزارة نفعها وفعلها . فيسرعون الى عبادتها . ويجودون بكرامتها . فلا تمضي السنون القليلة الا ويصير كثير من الناس على دينها القويم . ويتقاطرون من كل فج مقدمين لها التبجيل والتعظيم . وان استاذي اوصاني ان اقول لكم ان بين العرب رجل كثير الاحتيال كانهُ شيطان محتال اسمهُ عمر العيار فاحذروهُ كل الحذر . واذا وقع بايديكم فاذيقوهُ موارد الضرر . لان النار غضبة عليهِ . ساعية بالشر اليهِ . فريدوا في عذابهِ ولا تقتلوهُ بالحال بل ابقوهُ واستشيروه في ماذا يريد ويكون لكم بذلك الاجر السديد . ودوموا انتم ببركة النار . وعيشوا مدى الاحيال والادهار . محفوظين منها باشد الحرارة واللهب وارواح ابائكم واجدادكم فيها الى ابد الابدين

فلما سمع كسرى وقومهُ هذا الخطاب صاحوا بالدعاء للاستاذ الاكبر وهم متعجبون من غزارة علمهِ وسعة معرفتهِ واذ ذاك قال هدهد مرزبان الى كسرى انوشروان . اني اريد منك الان ان تسلمني مهردكار وطوربان وباقي المسجونين مع الاموال التي اخذها افلطوش وروبين العدار من العرب لاسير بهم الى وادي خراسان حيث مرادي احرقهم في ذاك المكان واما انت فاتبعني بعد ثلاثة ايام مع كل فارس وبطل وامير ووزير لتشاهدوا حريق الجميع واطلب من النار ان تباركم ونقدم لها الدعاء المخصوص لتبديد العرب وتفريقهم وهلاك حمزة واخيه عمر العيار

وجميع اولئك الفرسان الاشرار. ثم ان عمرًا نزل عن السرير ومسكهُ اثنان من المرازبة من تحت ابطيهِ وامر كسرى وحدهُ ان يسير امامهُ الى القصر المقيم بهِ النساء فاطرق كسرى الى الارض وسار بين يديهِ ذليلاً لا يقدر ان ينظر في وجههِ او يحدق احترامًا للدين ولهُ وكذلك الناس في الطرقات كانوا يلتمون التراب والحجارة التي يدوس عليها ويتبركون منها ويفرقونها على بعضهم البعض وهو يظهر رضاه منهم ويباركهم ومن ثم وصل الى سراية الحريم ففر الحجاب من كل باب وفتحوا طريقًا فدخل كسرى ومن خلفهِ هدهد مرزبان ولما صارا في وسط القصر قدم الى هدهد مرزبان سريرًا من العاج فجلس عليهِ ليرتاح. ثم امر ان تقدم اليهِ مهردكار وطوربان واماها فقدموا جميعًا ووقفت مهردكار فمد لها يدهُ وقال لها قبلي يدي. فقالت اني امرأة عبدت الله سبحانهُ وتعالى وعرفت الحق فلا اميل لغيره. وليس لي في تقبيل يدك من نفع قال نعم انت عاصية النار وقد نجست عبادتها حتى غضبت على ابيك ولا ترضى عليهِ الاَّ بعد ان يسمح بك وتحرقين بها وسوف ترين ما يحل بك. قالت اني اعرف النار التي تعظمها انت وغيرك من الاعجام هي من القش والحطب الذي يوجدهُ الخالق سبحانهُ وتعالى فتضرمونها بايديكم ثم تطفئ بقليل من الماء او بول الحمير ولذلك انتم تعظمون ما لا نفع فيهِ واني اعتقد ان الاله الذي يعبدهُ زوجي يسهل لي الخلاص من يديكم ويبعدني عن الضرر ويحفظ لي ولدي ويرجعني الى زوجي. فاظهر هدهد مرزبان الغيظ والحنق وقال لابيها قد تمادت بنتك بالكفر وخرجت عن طريق الصواب وصار من الواجب حرقها باقرب آن والا غضبت عليك النار غضبًا ليس بعدهُ رضا. قال اني اعرف ذلك ياسيدي ولاجلهِ ارسلت اخبرتك بامرها وطلبت احراقها. وكانت ام مهردكار موجودة فرمت نفسها على ارجلهِ وقالت ياسيدي لا تواخذها بكلامها بل اعفُ عنها واصبر عليها فلا بد من ان تعرف الحق وترجع الى عادتها فهي جاهلة الان قال كلا لا بد من احراقها والا افسدت دين النار ثم دفع ام مهردكار بصدرها وابعدها عنها وقال لها ابعدي عني ولا تلمسيني بيدك فرجاؤك غير مقبول

ثم التفت الى طوربان وقال لها وماذا حملك انت ان تتركي اباك وقومك وتتعلقين بالاعداء وقد رفضت الزواج بزوبين الغدار وهو من الحائزين على رضا النيران. قالت حملني على ذلك الحق والسعادة وبغض الغدر والخيانة لان زوبين الغدار اراد لي الشر وفعل القبيح فارسل لي الله عمر العيار وزوجي فخلصوني ومن ثم عرفت ان الله الذي يعبدهُ العرب هو القادر على كل شيء وهو سبحانهُ وتعالى يحيي ويميت خلق المخلوقات وعلمها ما لا تعلم. قال ادعي هذا الاله الذي تدعين بمقدرتهِ على كل شيء ان يخلصك مني ومن النار التي عما قليل تاكل جسمك وتذهب بروحك. قالت اني اعرف انها لا تقدر ان تصل اليَّ ولا تحرقني ولا يلبث الله ان يرسل لنا عمر

العيار فيخلصنا من ايديكم ولو فعلتم معنا مهما فعلتم واذا قتلتمونا فموت على الحق ويبقى لنا الرجاء باليوم الاخير فاقصر يا هدهد مرزبان ولا تتهددنا فانا لا نخافك ولا بد ان الله ينتقم لنا منك فلما سمع هذا الكلام اظهر الغيظ والحنق ونهض مكدرًا وقال لا بد من احراقكم جميعًا فهلموا سيروا امامي . فعاودت ام مهردكار الى بين يديهِ وبكت وشكت حالها وقالت له العفو ياسيدي فاني احب بنتي وارجو لها السماح منك واني اضمن لك انها تعود الى عبادة النار وتترك عبادها هذا . قال محالاً ترجين فاني لا اقبل الا بهلاك الكافرين لتستعز النار وتحفظ من الشوائب ويرى ذلك باقي البنات فيعلمن صدق هذه العبادة التي لا تتقاعد عن الخارجين . ثم دفع ام مهردكار وتركها تنوح وخرج من القصر وبين يديهِ كسرى والنساء والاولاد وهم صاغرين ولا زال في مسيره حتى جاء الى الديوان فنهض له الجميع وقوفاً وقبلوا يديهِ تابعاً فباركهم وامر ان يرفعوه على السرير ففعلوا . ثم قال اي كسرى انوشروان مر الان خدمك ان تسوق الاموال التي كانت مع العرب امامي وتسير تحت امري ولا تبقي منها عقالاً في هذه المدينة فهي من خصائص معابد النيران لا حق لك بها لانها اخذت من الاعداء واما انت فاني آمرك انك تنتهي بعد ثلاثة ايام محفوفاً بالزين الفاخرة المخصوصة بمثل هذا العيد المبارك ويكون العيد في وادي خراسان . فاجاب بالسمع وفي الحال اخرج جميع ما كان سالة ونهبة افلطوس ورويس وحملة على البغال والجمال وساق الانعام ولم يبق منها ولا واحدة وقد ملأت السهل والوعر . ثم جاء كسرى بهدية فاخرة من الجواهر والماس والذهب الخالص وقدمها له وترجاهُ قبولها فاخذها ومن ثم تقدم بختك وقدم له مثل ذلك وبعدهُ بزرجمهر وباقي الامراء والاعيان وهو ياخذ هداياهم ويباركهم حتى اجتمع عندهُ ما يعجز عن وصفهِ القلم فامر ان يحمل على البغال فحمل . وبعد ذلك اشار بيدهِ مودعاً الجميع فخروا له ساجدين فباركهم وفي قلبهِ يلعنهم وامر شيبان ان يحملوا السرير ففعلوا ورفعوهُ على عواتقهم وهو موسد فوقهُ وقد اغمض بعينيهِ وجعل نفسهُ نائمًا وسار بين يديهِ النساء والاولاد وامامهم الاموال شيءٌ كثير جداً وهو مسرور بنجاح غايتهِ وبلوغ مراده وخلاص النساء والاولاد وبعد ان خرجوا من المدينة التفت فراى الملك كسرى سائرًا على الاقدام مع سائر بطانتهِ لوداعهِ واشار اليهم بالرجوع فرجعوا جميعاً وسار هو محمولاً على طريق خراسان كلَّ ذلك النهار حتى المساء وعند المساء انزلوهُ عنهم وقال له شيبان كفاك دلالاً فانا نكاد نهلك من التعب وانت مسرور قال بارك الله فيكم فانكم مأجورون على خدمة سيدكم ولا بد ان اجعل النار ترضى عليكم وتباركم وانت ياشيبان ساوصي بعد موتي ان تكون انت مكاني فيكون لكم اعظم اكرام واعتبار ويقبل كسرى الملك الاكبر يدك ويذل بين يديك وانت تعرف ياهرزان اني مسموع الكلمة عند الفرس لاني قاعدة دينهم ورسول النار

عندهم . فقال له شيحان دع عنك هذا الهذيان فقد انتهت اعمالنا ومن الان وصاعداً ما عدنا نخملك ولا نسير بك وما عدنا نعرفك الا عمر العيار . ونريد ان لا تنسانا من نصيبنا من هذه الهدايا التي وصلت اليك . قال هي لكم ولاخي حمزة ثم نصب الصيوان وجلس فيه وامر ان تقدم اليه مهردكار وطوربان لوحدهما فقدمتا فمسك مهردكار من يدها وقال لها ادني مني فانتشلت يدها وقالت له دعني منك ايها الكافر ومن لا دين له فلست انا ممن تعهد وما انت عندي الا رجل الاحتقار والاهانة قال اني قادر على هلاكك وبعد قليل ساقدمك للنار ضحية على التصاقك بالعرب اعداء الدين وعلى نكرانك جميل الدين الذي ولدت فيه وربيت عليه فهو الذي القاك بيدنا . قالت كذبت فانت وكل عبدة النار عاجزون عن ايصال الاذى اليَّ ما زلت اعتقد بالله سبحانه وتعالى واعرف جيداً انه قادر على خلاصي واومل ان عمر العيار اخا زوجي سهران على خلاصي ولا يمكن ان يتقاعد عنا قال ومن اين يقدر ان يصل اليك عمر وانت صرت قريبة من الاحتراق وبين يديَّ . قالت هو في كل ساعة قريب منا ينتظر الفرص بدون ريب ولا بد قبل ان تصل بنا الى خراسان وتحرقنا هناك ينحط عليك مع اخيه حمزة وباقي الفرسان فيهلكونك ويتشلونا من بين ايديكم . فاقصر عن غايتك ودعني وشاني . فلما سمع عمر كلامها لم يقدر ان يتمالك نفسه عن تحريك حواسه واسقاط الدمعة من عينيه وقال لها مرحباً بك يامهردكار لقد اصبت فانت بالحقيقة جوهرة النساء وقد شاهدت منك من الثبات والحب والطاعة لله ما لم اكن اظنه فيك قبلاً فانا اخوك عمر العيار وقد خلصتك وفعلت كل ما فعلت بتوفيق منه تعالى . فافرحي واسي عن قلبك الاحزان فان اخي والفرسان قريبون من هذا المكان

فلما سمعت مهردكار بذلك اغرورقت عيناها بالدموع لشدة الفرح ومثلها طوربان وجعلت كل واحدة منهما تشكره وتدعو له بالبقاء وطول العمر وتثني على اعماله . ثم قال عمر لمهردكار هل صحيح ما تقولين من املك بالخلاص على يديَّ قالت نعم اني كنت في كل دقيقة انتظر وصولك باي حيلة كانت وهذا الذي كان يقويني ويشدد من عزمي وهاك طوربان فاني كنت اقول لها لا تخافي الموت فان عمراً لا يتركنا حتى ولو وصلنا الى باب اتون النار لوجدناه داخله بانتظارنا ليخلصنا وما ذلك الا لعهدي بك ورجائي بالله سبحانه وتعالى فهو يحب نبيه ولا يترك نساء مثلنا تركنا اهلنا وتعلقنا به ولا يسلم بهلاك اطفال مظلومين كاطفالنا فيموتون محروقين بالسنة اللهيب ولا ذنب عليهم . قال حقاً انك وحيدة بين النساء وانا منذ هذه الساعة سنسير ليلاً ونهاراً حتى ندرك اخي ولا بد انه يكون على مقالي النار في وادي الكمال . ثم امر ان يقدم الطعام فاكل واكل الجميع وشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه . وبعد ذلك تقدم من

السرير فقطعه قطعاً صغيرة ووضعه في خزانة اسماعيل . فقال له شيحان اعطنا قسماً منه فقد تعبنا نحن اكثر منك قال هو كله لكم ولا امنع عنكم شيئاً وبعد ان يراه اخي افرقه عليكم فانزعوا عنكم ثيابكم وادفعوها اليّ قالوا كلا بل هي لنا ولا يمكن ان نتخلى عنها لان ما عليها من الذهب يكفينا . قال اني لا احرمكم من شيء فاخذها كلها ووضعها في حراب اسماعيل وساروا من هناك الى وادي الكمال وسبق شيحان الى الامير واخبره بكل ما فعل عمر وانه خلص مهردكار وطوربان والاولاد ففرح مزيد الفرح وخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وهو يكاد لا يصدق ان يراهم بخير وبعد ان استراحوا قليلاً واكلوا الزاد نهضوا الى خيولهم فركبوها وساروا من هناك حتى قربوا من مدينة حلب فخرج اهلها الى ملتقاهم مع من بقي من فرسان العرب الكبير والصغير وكان لهم يوماً عظيم الشان وقد اولموا الولائم ونشروا الافراح في كل ناح . واجتمع الصديق بالصديق والصاحب بالصاحب

وهذا ما كان من العرب وعمر العيار واما ما كان من كسرى انوشروان فانه اخذ يستعد للمسير في اثر هدهد مرزبان بعد ثلاثة ايام وامر جماعته واعيان دولته ان كل واحد منهم يكون حاضراً ومتهيئاً لصرف العيد في المكان المعهود فجعل كل واحد يجمع من الخمر والماكولات ما يكفيه الى ثلاثة ايام ويحضر الهدايا والتحف والاموال ليقدمها الى المرازبة والنار وبعد مضي الاجل المعهود ركب كسرى وركب بخدمته الوزير بزرجمهر وافلنطوس ابو طوربان وزوبين الغدار وكل فارس عظيم الشان رفيع المقدار واعلنوا في المدينة ان مرادهم الذهاب الى هدهد مرزبان ومن شاء فليتبعهم . وسار كسرى واعيانه من حواليه والموسيقى تضرب بين يديه والناس تتقاطر افواجاً افواجاً بعضهم ماشٍ وبعضهم راكب وتبعهم كثيرون من كهول وشيوخ وشبان ونساء واولاد لان ذاك العيد عندهم من اعظم الاعياد وافضلها ولا زال كسرى في مسيره حتى قرب من وادي خراسان وعرف بقدومه الرجال الذين تجمعوا في ذاك المكان فخرجوا جميعاً وقد ملأوا السهل والوعر وفي كل ظنهم ان هدهد مرزبان وباقي المرازبة موجودون مع كسرى وبعد ان ترجلوا وحيوا ملكهم ولم يروا مرزبانهم الاكبر سألوا كسرى عنه . فقال لهم انه منذ ثلاثة ايام رحل من المدائن يقصد هذا المكان بعد ان سلمته مهردكار وطوربان وباقي النساء والاموال وكل ما جيء به من العرب والاموال ولم يبقوا ولا عقالاً فقالوا انه لم يصل الينا ولا رأيناه قط ونحن بانتظاره قائمين في هذا المكان كما امرنا . فطار صواب كسرى عند سماعه هذا الخبر والتفت الى بختك وقال له هل تظن ان هدهد مرزبان سار في غير طريق او تأخر في جهة من الجهات فخفق قلب بختك لما علم بغياب هدهد مرزبان وحدثه فكره ان لا بد من وجود حيلة في سر المسألة . فقال لكسرى اني لا اظن ياسيدي ان

هدهد مرزبان يضيع عن الطريق او يعرج الى جهة ثانية واذا صدق حذري يكون [illegible]
[illegible] عمر العيار وهو عائد ومعهُ فرسان العرب فطيشوا بهِ وقتلوهُ مع المرازبة واخذوا [illegible]
والاموال . فزاد غيظ كسرى من ذلك واضطرب واطرق الى الارض لا يبدي خطاباً ولا
كلمة نحو ربع ساعة ثم التفت الى بختك الوزير وقال اريد منك تحقيق هذا الامر لاعرف اين
سار قاعدة ديننا ومرزبان ايماننا واذا كان اسرهُ العرب او فعلوا بهِ شرًّا يكون ذلك من
اكبر الويلات التي وقعت علينا من هذه الطائفة الدنيئة فنظر بختك الى جماعة خراسان وقال
لهم هل رأيتم احدًا غريبًا قبل سفر سيدكم من هذا المكان وهل جاءهُ رجل بحيلة فارسيًّا كان
او عربيًّا وكيف كان عملهُ قبل سفره . قالوا ما رأينا احدًا قط ولا سمعنا بوصول احد اليهِ
ولكن قبل سفره خرج الينا هرزان المرزبان وخطب فينا واخيرًا اوصانا ان لا نقرب من
المكان المضروب بهِ صيوانهُ وان من يعيد بن عنهُ ومن خالف ذلك غضبت عليهِ النار ورفضت
روح آبائهِ واجداده واخرجتها الى البرد والثلج فاجابة لامره ما قرب احد منا من ذاك المكان
ونحن متعجبين من ذلك لان من عادتنا ان نأتي المكان الذي يكون بهِ الصيوان ونتبارك من
ترابهِ ومن اثار النار ومن ثم سار هدهد مع مرازبتهِ ونحن حتى الساعة بانتظاره . فقال لهم
بختك دلونا على المكان الذي كان قد ضرب بهِ الصيوان لنفحص هناك ما السبب من ذلك
فساروا جميعًا الى ذاك المكان وقبل ان يصلوا اليهِ بمائة خطوة شموا رائحة كريهة جدًّا فتعجبوا
وارتابوا وتقدموا واذا بتلك الرائحة تزيد حتى تكاد لا تحتمل وعندما وقفوا على مكان الصيوان
المذكور اشاروا اليهِ فنظر بختك واذا بهِ يرى التراب محفورًا جديدًا فامر ان يرفع التراب
فعلوا واذا بهِ يرى هدهد مرزبان مذبوحًا مع جماعتهِ ومطمورًا بالتراب فغاب صوابهُ وحث
التراب على رأسهِ وقال حيلة عظيمة ومصيبة اعظم ياسيدي فان العرب فعلت بنا فعلاً قبيحًا
ورمتنا بسهام الخيانة فقد قتل مرازبة ديننا ولم يبقَ منهم ولا واحد قط وان الذي فعل ذلك
هو عمر العيار وجماعتهُ ولا احد غيرهُ يقدر ان يتوصل لمثل هذا العمل الخطير . فلما سمع كسرى
هذا الكلام وقع الى الارض من شدة الكدر وغاب عن الوجود نحو ساعة من الزمان وقد ظن
الجميع انهُ فارق الحياة ثم وعي الى نفسهِ ولطم على وجههِ وقال أكان من قدر العرب ان
تفعل بنا مثل هذه الافعال وتذبح لنا المرزبان الاكبر وجماعتهُ ولم تبقِ لنا واحدًا منهم نقيمهُ
مرزبانًا كبيرًا وفوق كل ذلك فان هذا العبد الخبيث القبيح المنظر تجاسر بان جعلني انا ملك
ملوك العرب والعجم والفرس والديلم وسيد هذا الزمان ان اقبل يديهِ واسجد كعبد لهُ واقف
ذليلاً حقيرًا فاهلكتهُ النار ولعنتهُ الف لعنة واني اقسم بالنار والنور وقبر جدي سابور ان من
جاءني بعمر العيار لاقتلهُ واشفي غليل قلبي من عذابهِ اعطيتهُ نصف مملكتي . ثم صعد الزند على

اشداقه وضرب الدم في دماغه واحمرّت عيناه وتفجرت انابيب انفه وكاد يختنق فلم يجسر احد ان يقف امامه او يدنو منه او يفوه بكلمة ومضى عليه وهو على ذلك نحو ساعتين حتى رجع الى صوابه فبقي مطرقًا الى الارض برهة ثم نظر الى بختك وقال له انت اصل كل هذه البلايا والمصائب فما كنت افكر في اعادي العرب قط حتى حملتني على عداوتهم واوصلت اليّ اذيتهم فتجاسروا على احراق حرمتي واخذوا بنتي جبرًا وارغموني على ان اسكت عنهم وقد جمعوا اموال بلادي وغنائمها ونزعوا مني علم بيكار الاشهار الذي افضله على المدائن وخراسان وكل بلد عظيم في طاعتي فهم يجمعون تحفة كاكبر ملوك الاكاسرة واخيرًا احتالوا عليّ وقتلوا شيخ النار وسيد الدين واهلكوا جماعة وفوق كل ذلك فاني كنت انشوق ان اقبل ايدي عبدهم النحس ولا يسمح لي بذلك . فلعنت النار العرب وكل من يميل اليهم واقسم بابائي واجدادي ان كل من ذكر لي العرب منذ هذه الساعة قتلته ولو كان ابني الاكبر واعز الناس عندي . ثم افتكر بما كان من عمر وتصور تلك الحالة التي كان فيها وكيف مد يده ليقبلها بعد الرجاء والامتنان فعاد غاب صوابه ولما وعي نهض الى جواده فركبه وترك تلك الارض غير ملتفت الى النار ولا الى من يقيم مرزبانًا لان ما من واحد كان يقدر ان يخدم النار ويعرف قاعدة الدين الا المرزبان الاكبر وهذا يختار لنفسه جماعة يعلمهم ويقدمهم واحدًا على واحد ويدرس عليهم واذا مات يقوم مقامه الاكبر منهم واذا مات واحد منهم اختار عوضه من الشعب فيعلمه ويشده مرزبانًا ويقدمه شيئًا فشيئًا وسار خلف كسرى جماعة وهم على تلك الحالة مكدرين مأيوسين مغتاظين يلعب الغيظ في قلوبهم حتى وصلوا الى المدائن ودخلوا المدينة ودخل كسرى قصره وصرف عدة ايام على الحزن والكآبة وقد لف قصره وايوانه بالقماش الاسود وفعل مثل ذلك كل اعيان البلد وكان الحزن شاملاً الكبير والصغير وصار عند ما يخرج الى ديوانه يجلس صامتًا لا يفوه بكلمة ولا يفكر الا بما وقع عليه ويلوح امامه شخص عمر العيار فيضطرب ويغتاظ وما من واحد من قومه يقدر ان يذكر له العرب او اسم واحد منهم

فلنترك كسري حزينا ونرجع الى العرب فانهم كانوا بغاية الفرح والسرور وما من شيء يكدرهم الا غياب عمر اليوناني ابن الامير حمزة فكان يفكر على الدوام به ويتمنى ان يعرف في اي مكان هو وهل باقٍ بقيد الحياة او فقد في ذاك اليوم الذي غدر به العجم بالعرب . وارسل بعض العيارين في تجسس الاخبار واستطلاع الاحاديث والبحث في الجهات المجاورة عسى ان يقف له احد على خبر . واما طوربان فانها كانت مسرورة جدًا بخلاصها من يد الاعجام وخلاص ابنها من الحريق ولكن عند ما علمت بغياب زوجها وانقطاع خبره كل هذه المدة تكدرت جدًا وشعرت بضياع رجائها وخافت من ان يكون قد قتل واختفى امره وكانت تتمنى الموت

وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب او جُرقت بالنار ولا واتها تلك الوحشة ولا علمت بفقدان من اجنتة الحب العظيم وحعلت كل اتكالها عليه واملت ان تعيش واياهُ كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منهُ وكانت حالتها حالة الحزن واليأس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما أنشدتهُ

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي ... قد حرت ما بين نظّار وغزّال.

يا حبذا في الهوى وجد اكابدهُ ... من جوهر الثغر او من عنبر الخال

روحي فداؤك من بدر نحاسة ... قد ناسبت بين اسماء وافعال

اهلكت قلبي بانواع الغرام وقد ... ملكتهُ فارعَ حفظ المال بآمالي

كحلت عيني بميل السهد فاتصلت ... مسافة البعد يا عيني بآمالي

ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ... ان لو غدا ناظرًا بالخير في حالي

افديهِ من ناظرٍ ماضي الولاية بل ... واحرّ قلباه من ذا الناظر الوالي

ناديتهُ يا غزالاً جلّ عن شبهٍ ... ما كفو جيدك الاّ عقد اغزال

وعاذلٍ رام يسليني فقلت لهُ ... ما عذل مثلك يسلي عنهُ امثالي

ان المحبة للاهواء فائدة ... وللهوى خطرات ذات ارقالِ

صمت عن العذل آذاني بهِ فلذا ... قد ارغم الله فيهِ انف عذالي

ليت الثغور حكت برقًا بهم فراوا ... سحاب دمع على الخدين هطال

حسبي وحسبي الهوى اني فنيت بهِ ... ارجو اللقاء باوجاعٍ واوجالِ

آيات اوصافهِ ام عمر ريقتهِ ... تتلى عليّ بالحان وتجلى لي

اذاب حسي بنار الهجر ثم قلى ... قلبي وقال نعم هذا هو القالي

ورام يشري بغالي الهجر انفسنا ... رخصًا فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احيانًا واحيانًا يكون وسيلة تذكرها بهِ فتبكي على بعدهِ مشخصة امام اعينها تلك الايام الملذة القصيرة العهد التي صرفتها بجانبهِ ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسوال عن ولدهِ لسلمت نفسها الى الهلاك يأسًا واختارت الموت على الحياة من دونهِ

ومضى على العرب نحو اربعين يومًا في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليهِ بعد علمهِ بحيلة عمر وموت مرازبتهِ فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الاميرانهُ مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل على حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليفاجئنا

الى هذا المكان طلبًا لثار مرازبته وانتقامًا من عمر العيار . قال عمر اني اسير بقلبي بحسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مُصرًّا عليه قال ابن الخوق نخاف عليك ان تقع بايديهم وانا اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان ياكل لحمك باسنانه على ما فعلت معه . قال اني اعرف ذلك واعرف ايضًا ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيه يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل . ثم ان عمرًا غير زيه وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقه حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يمينًا وشمالاً فيرى كل انسان في عمله وما راى قط اهتمامًا كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فراه مسودًّا وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامه والايوان بجماعته ورجاله هادٍ ساكت كان لا رجل هناك فزاد تعجبه وشعر بان كل ما هو جارٍ من هذا القبيل بسببه وان سقوط شرف كسرى امام قومه من تقبيل يد دعاه ان لا ينسى ذلك بل يتذكره على الدوام وكلما تذكره تهيج في احشائه نيران الغضب فصبر يضحك في داخله الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيله فتاتر بزرجمهر حتى دخل قصره فدخل من خلفه واغلق الباب فلما راى عمرًا وقد تقدم منه وقبل يديه عرفه فهش له وقبله بين عينيه وقال له مرحبًا بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت اود ان اراك لاشكرك على عملك الذي عزت به وبلت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى آخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلته انت بيوم واحد اوقعه بالحزن وراه ثقيلاً عليه اكثر مما حاربه العرب منذ البداية الى هذا اليوم . قال اني لحظت منه ذلك وعرفت ان سبب غيظه وغضبه وسكوته عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليه الحملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءه بك حيًا او ميتًا اعطاه نصف ملكه وماله وقدَّمه على سواه من رجاله وما قصده الاَّ ان يشفي قلبه منك ويراك ميتًا . قال ان هذا لا يناله ولا في المنام وسوف يرى مني في حياته اعظم مما راى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والان اريد منك ان تخبرني ما نيته وعلى ماذا عوَّل وما يريد ان يفعل في هذا الشان وهل لا يزال يصرّ على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على آرائه . قال انه منذ يوم علمه بموت مرازبته اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامه العرب قتله واعدمه الحياة وعليه فان هذه المدة كان كما ترى وما من احد جسر ان يباحثه او يخاطبه او يساله امرًا من هذا الوجه وعلى ما اظن انَّ كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانه وتعالى

وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب او حرقت بالنار ولارائت الملك الوحشة ولا علمت بفقدان من احبته الحب العظيم وجعلت كل اتكالها عليه واملت ان تتمم واياه كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منه وكانت حالتها حالة الحزن واليأس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما انشدته

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي قد حرت ما بين نظّار وغزّال
يا حبذا في الهوى وجد اكابدهُ من جوهر الثغر او من عنبر الخال
روحي فداؤك من بدر محاسنهُ قد ناسبت بين اسماء وافعال
اهلكت قلبي بانواع الغرام وقد ملكتهُ فارع حفظ المال يا مالي
كحلت عيني بميل السهد فاتصلت مسافة البعد يا عيني باميالي
ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ان لو غدا ناظرًا بالخير في حالي
افديه من ناظرٍ ماضي الولاية بل واحرّ قلباه من ذا الناظر الوالي
ناديتهُ يا غزالاً جلّ عن شبهٍ ما كفو جيدك الاّ عقد اغزال
وعاذلٍ رام يسليني فقلت لهُ ما عذل مثلك يسلي عنهُ امثالي
ان المحبة للاهواء فائدة وللهوى خطرات ذات ارقال
صمت عن العذل آذاني به فلذا قد ارغم الله فيه انف عذالي
ليت الثغور حكت برقًا بهم فراوا سحاب دمع على الخدين هطال
حسبي وحسبي الهوى اني فنيت به ارجو اللقاء باوجاعٍ واوجال
آيات اوصافه ام عمر ريقته تتلى عليّ بالحان وتحلى لي
اذاب حسبي بنار الهجر ثم قلى قلبي وقال نعم هذا هو القالي
ورام يشري بغالي الهجر انفسنا رخصًا فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احيانًا واحيانًا يكون وسيلة تذكرها به فتبكي على بعد متشخصة امام اعينها تلك الايام الملاذ القصيرة العهد التي صرفتها بجانبه ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسؤال عن ولده لسلمت بنفسها الى الهلاك يأسًا واختارت الموت على الحياة من دونه

ومضى على العرب نحو اربعين يومًا في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليه بعد علمه بحيلة عمر وموت مرازبته فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الامير انه مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل على حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليهاجمنا

الى هذا المكان طلبا لثار مرازبته وانتقاما من عمر العيار. قال عمر اني اسير نفهمي بحسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مصرًا عليه قال له الجوق نخاف عليك ان تقع بايديهم وانا اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان ياكل لحمك باسنانه على ما فعلت معه. قال اني اعرف ذلك واعرف ايضًا ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيه يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل. ثم ان عمرًا غير زية وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقه حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يمينًا وشمالاً فيرى كل انسان في عمله وما راى قط اهتمامًا كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فراه مسودًا وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامه والايوان بجماعته ورجاله هادٍ ساكت كان لا رجل هناك فزاد فرحه وشعر بان كل ما هو جارٍ من هذا القبيل بسببه وان سقوط شرف كسرى امام قومه من تقبيل يد دعاه ان لا ينسى ذلك بل يتذكره على الدوام وكلما تذكره تهيج في احشائه نيران الغضب فصبر يضحك في داخله الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيله فتاثر بزرجمهر حتى دخل قصره فدخل من خلفه واغلق الباب فلما راى عمرًا وقد تقدم منه وقبل يديه عرفه فهش له وقبله بين عينيه وقال له مرحبًا بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت اود ان اراك لاشكرك على عملك الذي فزت به وبلغت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى آخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلته انت بيوم واحد اوقعه بالحزن وراه ثقيلاً عليه اكثر مما حاربه العرب منذ البداية الى هذا اليوم. قال اني لحظت منه ذلك وعرفت ان سبب غيظه وغضبه وسكوته عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليه الخملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءه بك حيًا او ميتًا اعطاه نصف ملكه وماله وقدمه على سواه من رجاله وما قصده الا ان يشفي قلبه منك ويراك ميتًا. قال ان هذا لا يناله ولا في المنام وسوف يرى مني في حياته اعظم مما راى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والان اريد منك ان تخبرني ما نيته وعلى ماذا عوّل وما يريد ان يعمل في هذا الشان وهل لا يزال يصر على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على آرائه. قال انه منذ يوم علمه بموت مرازبته اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامه العرب قتله واعدمه الحياة وعليه فان هذه المدة كان كما ترى وما من احد جسر ان يفاتحه او يخاطبه او يساله امرًا من هذا الوجه وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانه وتعالى

ويتزوجن بكم وهذه اكبر وصية اوصيكم بها فوعده عمر بكل خير وطلب رضاءه ودعاءه [illegible]
المدائن عائداً الى حلب وقد التقى بقومه واخبرهم بكل ما كان من امر كسرى و بزرجمهر فسُرّ
وقال حمزة فلندعهُ وشأنهُ يعض على زنوده ويحترق بنار غضبه فقد راق لنا العيش وصفا الزمان
ولم يكن من شيء يكدر الاّ غياب ولدي عمر اليوناني ولي رجاء بانهُ في قيد الحياة واني سالتقي
به بعد امد قريب

قال وصرف العرب اكثر من ستة اشهر وهم على السلم والامان لا حرب ولاقتال ولاطعن ولا نزال يجتمعون في كل نهار عند اميرهم و في المساء يتفرقون الى بيوتهم وابن مهردكار وابن طوربان يترعرعان ويكبران والامير يعتني بهما و يعلمهما ما يحتاجان اليه وكانت طوربان صارفة كل عنايتها واجتهادها في تخريج ولدها بطلاً من الابطال فعلمتهُ بنفسها كل فنون الحرب وكان وهو ابن اقل من تسع سنوات كانهُ في العشرين من العمر وذلك لضخامة جسمه ومتانة اعضائه . وفي ذات يوم بينما كان الامير جالساً في صيوانه وعنده فرسانهُ وابطالهُ واذا بخادم اصطبله قد وقف بين يديه وهو مطرق الى الارض حزيناً فارتاب من امره وقال لهُ ما السبب لحضورك اليَّ في مثل هذا الوقت اهل اصيب جوادك اليقظان بامر او جرى شيء اخر قال اعلم يا سيدي اني منذ ثلاثة ايام خرجت بالجواد الى احدى الحقول وسرحتهُ هناك ياكل من ربيع الارض على حسب العادة وعدت لقضاء بعض مصالحي وانا امن من وجود عدو في المعسكر ومن ثم عدت الى ذلك الحقل وفتشت فيه فلم ارهُ فسالت عنهُ وفتشت كثيراً في مدة هذه الايام الثلاث دون ان اصل الى علم يريح لي فكري من هذا القبيل فعلمت ان الجواد قد سرق واخذ الى خارج القبيلة وكنت اخاف منذ الاول ان ابدي لك ذلك الا انهُ لما كان لا بد لك ان تسال عنهُ وتطلبهُ اتيت اخبرك بواقعة الحال فاعفُ عني يا سيدي اذا كنت تراني قد قصرت في عدم انتباهي وتيقظي غير اني مطمأن البال والخاطر من وجود لص بيننا فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وتكدر مزيد الكدر واغتاظ الغيظ العظيم وبقي برهة غائب الصواب ثم التفت الى عمر وقال لهُ سر انت وفرق عياريك في سائر الطرقات والنواحي عسى ان احداً منكم يعثر به او يعرف بمكانه فانطلق العيارون بالتفتيش عليه والبحث على امره وقال حمزة لخادم الاصطبل ارجع انت وابحث عسى ان الصدف توقعك على امره وتعرف من الذي سرقهُ

وبقي الامير في غيظ وحرد لا يلتذ بطعام ولا يشرب المدام وهو مشغول الفكر والخاطر من اجل جواده اليقظان حيث كان يحبهُ محبة عظيمة ويفضّلهُ على نفسه ويحترق ليعرف من الذي تجاسر وفعل هذا الفعل وسرق الجواد وهو وقومهُ على غير انتباه اليه وبعد

بذلك اخذ العيارون في ان يرجعوا الى حلب بالخيبة دون ان يقفوا له على اثر ورجع عمر وقال لاخيه اني فتشت في كل هذه النواحي فما وقفت على خبر اليقظان ولذلك عدت لاخبرك اني ذاهب الى المدائن لتيقني ان الذي سرقه يذهب به الى هناك ولا بد ان يطلع على امره الوزير بزرجمهر . قال سر متكلاً على الله سبحانه وتعالى فهو يدلك الى الصواب فسار عمر بعد ان غير الزيئة وصار كواحد من الاعجام وقد دخل المدائن ووقف في ديوان كسرى على حسب العادة فراه كالمرة الاولى لا يبسم ولا يضحك ولا ينظر الى احد بل راه مطرقًا الى الارض فعرف انه باق على الغضب والحنق فصبر الى ان انصرف الديوان وخرج بزرجمهر فسار في اثره واجتمع به في قصره فسلم عليه وقبل يديه فقبله وساله عن اخيه و باقي العرب فقال له هم بخير ولكن جواد حمزة قد سرق وما عرفنا من الذي اخذه فجئت المدائن اكشف امره واستعلم منك لعلمي انك تكون قد عرفت شيئًا من امره قال نعم اني عرفت ذلك واظن ان اخاك حرم من هذا الجواد بالكلية وما عاد يقدر ان يصل اليه ولا يراه بطول حياته قال ولما ذلك ومن الذي سرقه وسار به واين هو الان قال اعلم ان الذي سرق الجواد هما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اللذين تركهما اخوك في مكة المطهرة يكنسان اسواقها فقد احتالا وهربا من هناك وجاءا الى المدائن واجتمعا ببختك واخبراه ان مرادهما الايقاع بالعرب واستعمال حيلة يقتلان بها الامير حمزة فقال لهما اذهبا من هنا الى حلب ولا تخبرا كسرى بشيء من هذا والا قتلكما ولا تخبرا احدًا بانكما اجتمعتما بي واعلمهما بما وقع من ملك على كسرى وكيف انه صار يكره ذكر العرب ولا يريد ان يسمع من احد ذكر احدهم فقالوا لا بد لنا من مسك عمر العيار في هذه المرة والاتيان به الى كسرى ليقتله فقال اذا فعلتما ذلك اعطاكما نصف ملكه وقدمكما على غيركما من سائر الناس فسارا حتى اختلطا بالعرب واقاما فيما بينكم يختفيان في النهار ويظهران في الليل يتوقعان الايقاع بك او باخيك دون ان ينالا مرادًا لانهما راياك ساهرًا كل السهر على نفسك وعليه وفي ذات يوم كانا خارج المدينة في احدى الحقول فرايا اليقظان جواد اخيك فقال احدهما للاخر هذا جواد الامير حمزة وهو عنده بمقام نفسه فاذا اخذناه تركناه يحترق عليه ولا بد انه يفتش عليه و يسير في اثرنا من اجله او يرسل عمرًا العيار فنقبض عليه ونمسكه وننال المراد ثم تقدما من الجواد ليمسكاه فلم يقدرا فجاءاه بفرس وقدماها منه واحتالا عليه بجنسها حتى قيداه فجراه خلفهما وجاءا الى المدائن فرحين مسرورين بذلك ودخلا على كسرى ومعهما الجواد ولم يبديا كلمة فاستشاط غضبًا وسال بختك من الذي ذكر لهما ان ياتياه بالجواد فانكر انه ما راهما ولا عرف شيئًا من امرهما فطردهما كسرى من امام وجهه وامرهما ان لا يبقيا الجواد في المدائن قط والا قتلهما مخرجا وفي المساء اجتمعا بالوزير الخبيث بختك بن قرقيش فقال لهما ان كسرى

لا يطيب خاطره ولا يترك عنه غيظه ما لم يقبض على عمر ويقتله ويشفي فؤاده منه فاخبرتهُ بكل ما كان لها عندكم وكيف انهما ما قدرا الا على سرقة الجواد ولها الامل الاكبر بمسك اخيك او مسكك فقال لها حيث ان الملك الاكبر لا يقبل أن يبقى هذا الجواد في المداين خوفاً من وقوع حيلة ثانية من عمر العيار عليه فاذهبا به الى بلاد العبيد والسودان الى فرهود صاحب التكرور وهو قادر ان يحميكما من غدرات الايام وانا اعرف ان العرب لا يتركون الجواد ولا بد من ان يعرفوا انه هناك فيسيرون في طلبه ويقرضوا في تلك النواحي واني اكتب كتابة لفرهود على لسان كسرى اوصيه بكما واسأله ان يعتمد عليكما في كل اموره فاستحسنا هذا الامر واخذا كتابة منه الى فرهود وفي نفس ذاك اليوم عرفت بهذا الامر واخبرني احد خدام بختك بكل ما سمع وهو من اتباعي ومحبيّ يظهر لدى مولاه بغضي وبغض العرب وفي السر يحبنا جميعاً ويعبد الله العزيز الجبار وقد تكدرت من هذا الخبر لعلمي ان الجواد اخذ الى تلك النواحي ولا يمكنكم المسير اليها لبعدها وصعوبة مسالكها وحزنت جداً على ذاك الجواد الذي لا نظير له وانا قاطع الرجاء من رجوعه الى اخيك قال اني اعدك ان اخي يذهب الى تلك النواحي ويأتي بالجواد ويقتل فرهوداً ويجازي اللصين اللذين سرقا جواده وسوف تصل اليك الاخبار قال وفقه الله وابعد عنه كل شر وويل وقهر اعداءه بين يديه

فشكره عمر على غيرته وقبل يديه وخرج من المداين وهو يتعجب من عمل عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي كيف انهما كانا في حلب واقاما بينهم عدة ايام وهو ساه لاه عنهما وما عرفهما ولما وصل الى حلب دخل على اخيه وعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر عن الجواد وانه اخذ الى داخل بلاد السودان الى فرهود صاحب التكرور فغضب حمزة وقال اني ابقيت على هذين الشريرين علة لنا ونقمة واني ساسير في اثرهما اين سارا ولا اترك جوادي ولو اخذاه الى داخل البحور السبعة او الى ما وراء جبال قاف ثم التفت الى قومه وفرسانه وقال لهم انكم سمعتم ان اليقظان هو الان في بلاد السودان وعليه فاني عولت ان اذهب الى خلاصه واعيده الي اذ لا صبر لي على فراقه وتركه بيد اعدائي فمن منكم اراد المسير معي فاليكن على حذر ومن اراد البقاء في هذه البلاد فله الخيار فقال له الجميع انا لا نفارقك ولا نبعد عنك ولو سرت الى الموت كنا معك ولا حياة لنا الا بقربك ولا بد من ثأر هذين الخبيثين وارجاع الجواد من تلك البلاد الصعبة فشكر الامير من اهتمامهم وحبهم واوصاهم ان يكونوا على اهبة المسير فيبارحون تلك الارض في مدة ثلاثة ايام فاخذ كل في تدبير امر نفسه وحملوا الاحمال والخيام وقادوا الجنائب وسرحوا الاغنام وكل ما يلزمهم من المؤن وفي اليوم الثالث ركب الامير على جواده الاشقران وركب الى جانبه اندهوق بن سعدون والملك النجاشي وعمر الاندلسي والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدزبندي وكل بطل من ابطال الكفاح وساروا عن حلب وبعد ان حصنوها وتركوا اثارهم فيها ولا زالوا في مسيرهم مدة ايام وليال حتى جاءوا دمشق الفيحاء وكان ذلك في زمن الربيع وقد فتحت الازهار وفاحت الروائح الزكية واكتست الارض ثوبًا اخضر بما يبهج الانظار ويذهب بالافكار فسر الامير من تلك الارض وامر عساكرهُ ان تنزل في ضواحي البلد واوصى ان لا يضر احد بالمزروعات والحياض وكل ما ياخذونهُ من المدينة واهلها يدفعون ثمنهُ مضاعفًا فخرج اليهِ اهل البلد وقدموا لهُ طاعتهم وشكروهُ على نزولهِ عندهم وترحبوا بهِ كل الترحيب وقدموا لهُ الاكرام الواجب . فعظموا في عينيهِ وحبب القيام بينهم وصرف مدة الربيع هناك وقد راى منهم من الانس واللطف والظرف ما لم يرهُ في بلد من كل البلاد الذي جاءها ودخلها وعرف ان ما كان يسمعهُ عن اهل تلك المدينة هو اقل من الحقيقة ولذلك قال لروحتهِ مهردكار اذا سمح لي الزمان وتركت الحرب ما اخترت غير هذه المدينة موطنًا لانها جنة عدن واهلها ملائكة الوداعة والعذوبة فهم عائشون في نعيم وقد نظرت منهم ما يكاد ينسيني اهلي وجوادي الذي انا سائر في طلبهِ . قالت اني عرفت ذلك وما سرورك باعظم من سروري واني كنت احب ان ارجوك البقاء في هذا البلد ولو اشهرًا واذا خيرتني رضيت البقاء فيها طول عمري قال اليك ما تطلبين فهذه فرصة ولذة عيش ينبغي ان نختلسها ويطيب قلبك فيها ولا اعلم هل يسمح لنا الزمان بالرجوع الى هذا الفردوس البهيج مرة ثانية ام لا . وصار الامير يزور رياضها وجناتها وبساتينها وفي كل يوم يسهرون الى ان يقرب الصباح وهم على اللهو والحظ والانشراح يتمثلون بقول القائل

دعك من نهي النهاةِ ... وملام العاذلاتِ
وديار خالياتٍ ... وطلولٍ بالياتِ
لا يروق الشعر الا ... في رقيق الوجناتِ
واعتبر في تركك الرا ... ح باموات الصحاتِ
في قصور عالياتِ ... ورياضٍ عطراتِ
تحت استار غصونٍ ... فوق ديباج نباتِ
قولهم افديك مولا ... ي خذ الكاس وهاتِ
فاختلس فيهِ التصابي ... سابقًا وشك الفواتِ
واطرح وصف الفيافي ... ووخيد اليعملاتِ
ما الذي يحسن من نعـ ... ـت رسوم دارساتِ
فابذل المجهود في وصـ ... ـف مدامٍ وسقاتِ

واسرق اللذات ما دا م لك الدهر موات
بين تغريد حماما ت وانشاد رواة
ونداما هم نجوم ل بدور الداجيات
واقاح الروض في الوصـ ف تغور الغانيات
واشفع اللهو باصوا ت المثاني المطربات

وما برحوا في ذاك النعيم مدة غير قصيرة حتى قارب فصل الخريف فرحلوا من هناك آسفين على هذا الرحيل وما منهم الاّ من يتمنى لو طال زمان قيامه بين اولئك الاقوام الذين ضربت بانسهم وكرمهم الامثال ما عدا طوربان فانها كانت طول تلك المدة ضيقة الصدر مفطورة القلب باكية العين تندب بعد زوجها وغيابه كل هذه الايام وليس عندها الا ولدها سعد وقد قارب العشر سنوات الا انه اصبح كالغول وهو يتمنى ان يلتقي بابيه وداموا في المسير مدة ايام وليال حتى قربوا من مصر وشاع خبر وصولهم الى تلك الديار فجعلت العمال وحكام القطيعات تاتي اليهم وتزورهم وتقدم لهم كل احتياجاتهم والامير يردها اليهم ويشكرهم على طاعتهم وفي كل مكان يقيم اياماً واخيراً خرج اسمدار حاكم مصر الذي كان اقامه عليها حاكماً كما تقدم معنا فترجل بين يدي الامير وسلم عليه وسار بين يديه الى المدينة وقد خرج الكبير والصغير الى ملتقاه والسلام عليه وقد زينوا له البلد وذبحوا الذبائح واولموا الولائم واكثروا من الدعوات والامير يزور الكبير والصغير ويحرضهم على الطاعة والسلام ويمدح من التفاتهم وبقي هناك عدة ايام . ولما عزم على المسير والرحيل وصل الامير اندهوق كتاب من عمه الذي اخلفه في سرنديب يقول له فيه .
اعلم يا ابن اخي انه منذ غيابك عنا والبلاد في امان واطمئنان غير ان هذه الايام قد طمع بنا ملوك التركمان وهم ثلاثة ومعهم العساكر العديدة وقد زحفوا على البلاد وفي نيتهم ان يملكوها ودافعنا الدفاع العظيم الا اننا لم نقدر ان نمنعهم عنا ونفوز عليهم بل بالعكس انكسرت شوكتنا فتاخرنا وحاصرنا داخل المدينة مؤملين ان نبقى على هذا الحصار الى حين مجيئك فاياك من الاهمال والتاخير فان البلاد ستخرب والنساء ستسبى والرجال ستقتل ولا يبقون على احد واذا وقعت بايديهم لا بد من ان يقتلوني ويرسلوا لي العبر فاسرع بقومك والسلام

فلما قرأ اندهوق الكتاب تكدر غاية الكدر واطرق الى الارض برهة كانه واقع بحيرة عظيمة فقال له الامير هيا بنا نسير يا اخي الى بلادك ونفرج عنكم هذا الكرب ومن ثم نعود الى بلاد السودان ونخلص الجواد من آخذيه . فقال انه الامر لا يحتاج الى مسيرنا كلنا فاني اعرف من نفسي اني كفوء لهلاك المعتدين ومهاجمي بلادي غير ان غيظي وكدري من وقوع مثل هذا الامر وانا بحاجة لان ابقى بين يديك واقاتل في ركابك خدمة للعرب . قال انما لا نعدم

من بسالتك واقدامك فسر الى بلادك وافرج الكرب عن قومك واذا رايت ان الامر بحاجة الينا سرنا اليك وكشفنا عن بلادك الضيم واهلكنا التركمان عن اجمعهم . فاجاب اندهوق رأي الامير ونهض بقومهِ وودع العرب وهو باكي العين حزين القلب على فراقهم وكذلك هم فانهم حزنوا جدًّا وودعوهُ بدموع الحب والمودة ودعوا لبعضهم بالبقاء والسلام وسار اندهوق لنحو سرنديب الهند بقومهِ ورجالهِ الذين جاء بهم وهو يتمنى ان يصل باقرب آن . ومن بعد مسيره امر الامير العرب ومن معهم ان يركبوا ويسيروا في طريق السودان ليزحفوا من هناك على التكرور فركبوا ومشوا والامير في مقدمتهم وهو حزين جدًّا لا يفوه بكلمة قط وقد لاح في خاطره ان فرحهُ بقومهِ وفرسانهِ المجتمعة ربما انقلب الى حزن ووبال لانهُ فقد ولدهُ وهو ركن عظيم في العرب تفتخر بهِ وقت القتال وكذلك اندهوق بن سعدون ولا يعلم ماذا يكون من امره هل يسمح لهُ الزمان ان يراه مرة ثانية ام لا . وما بعد عن مصر الا ساعات قليلة حتى ظهر من خلفهِ غبار مرتفع الى العنان ومن تحتهِ فرسان تسير مسرعة الى ناحية مصر فوقف الامير في مكانهِ وقال لاخيهِ عمر العيار سر الى كشف اخبار هذه الشرذمة لنعلم من عليها ومن اين آتية واخاف ان يكون قصدها نحن فاذا بعدنا عن البلاد نصيح عليهم ويصيعوا عنا فاجاب عمر سؤال الامير وانطلق الى ان قرب من ذاك الغبار وتبين ما تحتهُ فاذا هم قوم من الاكراد فتقدم قليلاً ليرى من عليهم والى اي جهة سائرون واذا بهِ يرى في مقدمتهم الامير عمر اليوناني والى جانبهِ رجل عظيم ايضًا من الابطال فصاح صياح الفرح وصفق بيديهِ وتقدم نحوهُ فلما راهُ ابن حمزة ترجل عن الجواد ورمى بنفسهِ عليهِ وجعل يقبلهُ وهو يشكر الله على سلامتهِ واخبره بان اباه ارسلهُ لكشف خبره وانهُ بكدر عظيم من اجلهِ ثم انهُ كرَّ راجعًا حتى وصل من الامير ونادى بشراك يا اخي فقد فرج الله كربك وارجع اليك ولدك وهو سالم من غدرات الزمان ونوائب الايام فطار فؤاد الامير فرحًا وكاد يغمى عليهِ من شدة الفرح وما لبث حتى وصل منهُ ابنهُ فترجل وتقدم منهُ ففعل هو ايضًا وجعل يقبلهُ ويشكر الله على رجوعهِ اليهِ سالمًا وفعلت مثلهُ جميع فرسان العرب من الكبير الى الصغير وكان الفرح شاملاً الجميع وسلموا ايضًا على باقي الذين معهُ وقال الامير ودعت في هذا اليوم اخي ولاقيت ولدي ومن الواجب ان افرح بهِ وامر ان يعود الجميع الى مصر ليبقى هناك بعض ايام اكرامًا لهُ ليرتاح من مشاق السير والجد في تلك الطرق المقفرة الطويلة فرجعوا ثانية الى المدينة وقد ترحب بهم اسمندار كل الترحاب وهنا الامير بولده واولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة اكرامًا لهُ وزين المدينة زينة فاخرة وبعد ذلك سال الامير ابنهُ اين كانت غيبتهُ وفي اي مكان بقي كل هذه المدة ومن الذين رفقوه فاخبرهُ بقصتهِ من الاول الى الاخر .

قال وهو ان عمرًا لما جرحهُ زوبين الغدار كما تقدم معنا وشرد بهِ الجواد في البرّ الاقفر كان هو غائب عن الصواب لا يعي الى اي جهة يسير فسار بهِ الجواد ركضًا الى ان وقف في ناحية من الارض مقفرة بعيدة عن الخوف وحينئذٍ انتبه الامير الى نفسهِ قليلاً ورمى بنفسهِ الى الارض وشعر قواه لان الدم كان يسيل بغزارة من بدنهِ ولا يقدر على صمد جرحهِ من نفسهِ ولم يعي على مثل ذلك وقد يئس من الحياة وشعر بفقدان القوى وصار يودع هذه الحياة وكان وهو في تلك الحالة يفكر بقومهِ وما حل بهم واعظم همهِ كان طوربان ووالدهِ سعد الطوقي كيف انهُ يموت ولا يراهما وماذا يا ترى يصير بزوجتهِ اذا فارق هذه الحياة وعرفت بذلك وفيما هو على ذلك واذا بثلثمائة من الاكراد تحت رئاسة الامير الغضبان قد صادف مرورهم من الناحية فرأوا الجواد عن بعد فتقدموا منهُ ورأوهُ ملقى الى الارض وهو يأن من الوجع والالم فشفقوا عليهِ وتقدموا منهُ وحملوه معهم بعد ان صمدوا جرحهُ وربطوه بمنديل وغسلوهُ بالماء وساروا بهِ حتى جاءوا قبيلتهم وكانت تلك القبيلة تحت امرة اخت الغضبان وهي من البنات ربات الجمال قد اعطيت من الحسن ابهاهُ ومن الشجاعة اسماها اسمها الاميرة هدلا فعرضوا اليها امر الامير عمر اليوناني وكيف رأوهُ يكابد نزاع الموت على تلك الارض منقطعًا عن المساعد والمعين فحنت اليهِ وقالت حسنًا فعلتم لان الانسان يحتاج الى مساعدة بني جنسهِ ونظرت اليهِ وامعنت فيهِ وكانت ذات فراسة وامعان فعرفت انهُ من اولاد الملوك او الامراء وان لا بد ان يكون لهُ حديث وشان فامرت ان يوضع في بيتها وان يلازمهُ الطبيب في المساء والصباح . وان تبقى عندهُ الخدم الى ان يشفى وتذهب عنهُ الالام ويمكنهُ الجلوس وصارت في كل يوم تاتي اليهِ وتخدمهُ بنفسها وتلازم مداراتهِ وقد رأت منهُ شابًا جميلاً وهيبة ووقارًا فاخذ من قلبها موقعًا عظيمًا وصارت تتمنى ان يشفى لتسالهُ عن حالهِ وتعرف من هو وما الذي جرى عليهِ ومن الذي جرحهُ ولما كان جرحهُ بليغًا اقتضى لهُ وقتًا طويلاً للشفاء وصرف اكثر من ستة اشهر في الفراش حتى صار اخيرًا يمكنهُ الاستواء والجلوس والكلام واذ ذاك دنت منهُ الاميرة هدلا وهي مسرورة السرور العظيم وقالت اعلم ايها الرجل اني لست من الناس الذين يتباهون بعمل الجميل ولا اريد ان اذكرك باني وجدتك في البرية بحالة الياس وقطع الرجاء فعاملتك معاملة الام الحنونة لان الانسان ملزوم بان يعول ابن جبلتهِ ولا سيما من كان مثلك عليهِ دليل الكرامة والجلال وكنت احب ان لا اسالك عن نفسك ولا اريد ان اعرف من انت كي لا يقال باني عملت ما عملت لاجل غاية حتى ان نفسي لا تساعدني ان اعرف من هو الذي عملت معهُ المعروف ويكفاني ان اعرف فقط انهُ انسان لكن لما كانت غايتي الوحيدة ان اتوصل الى سبب جرحك لاعرف من الذي جرحك وبنفسي شيء اخر اريد من اجلهِ ان اعرف اصلك وفصلك وهل اني مخطئة بظني لتاكدي انك من

السادات العظماء قال اني لا اريد ان اباهي بنفسي وكان بقصدي ان اخفي امري الى ان يسمح
لي الزمان بمكافاتك على معروفك معي وانعطافك عليّ غير اني لا ارغب في الكذب وحيث
سالتني عنهُ فاشرحهُ لديك لعلمي بانك وضعت الجميل في محلهِ فانا ابن من رجح ميزان العرب
واخفى شمس العجم تحت سحاب الغرب . فاهتزت طربًا ومالت من الاعجاب وقالت انعم واكرم
لقد عرفت بانك من فارس برية الحجاز وسيد سادات هذا الزمان الامير حمزة البهلوان الذي
طالما تمنيت ان اكون في ركابهِ وبين يديهِ ونفسي تحدثني على الدوام ان اراهُ وارى كيف هو
فهل انت من زوجتهِ مهردكار فقال كلا ثم حكى لها قصتهُ من الاول الى الاخر الى ان جرحهُ
زوبين الغدار غدرًا وخيانة وشرد بهِ الجواد وهو عليهِ يمسك نفسهُ موقعهُ على غير انتباه فقالت
قطع الله يد زوبين الغدار واسكنهُ رمسهُ واني اشكر الله الذي اوصلك اليَّ وسمح لي ان احدمك
واقوم بين يديك فتكون مكافاتي عندك قبولي خادمة لك واكون عندك الى الابد فادرك عمر
غايتها من انها تريد ان تتزوج بهِ وقد اعجبهُ حسنها وتعقلها وكرامة اخلاقها ولذلك سكت
وكان يريد ان يمتنع كي لا يغيظ طوربان ولا ياخذ عليها زوجة ثانية الاّ انهُ كان يشعر
بمعروفها معهُ واهتمامها بهِ وما اراد ان يبدي حركة او اشارة بل اظهر على نفسهِ انهُ متالم وصبر
الى حين شفائهِ وكانت قد ادركت ذلك بفراستها وركانتها وعرفت ان اصل منشئهِ كونهُ متزوجًا
بغيرها وكانت تتكدر من ذلك وتحرق كيف سبقتها عليهِ طوربان وساعدها الزمان بان تكون
زوجتهُ الاولى والامرأة التي احبها قبل كل امرأة فاخذت المركز الاول من قلبهِ ومع كل ذلك
فقد علقت املاً كبيرًا بانها ذات يوم تكون زوجتهُ وقالت في نفسها انهُ لا يزال مريضًا ومن
اللازم السكوت عن هذا الامر الان الى وقتهِ وقد تعلقت بهِ كثيرًا وزاد هيامها وغرامها عندما
تاكدت انهُ من اشرف الناس وسادات ذلك الزمان وان اباهُ الامير حمزة البهلوان شريف
العمل والاصل وزادت في اكرامهِ وانتشر خبر ذكرهِ في كل القبيلة فصار كل واحد منهم يرغب
ان يراهُ ويشاهده ويخدمهُ ويكون بين يديهِ ليتوصل الى تقبيل ايادي ابيهِ وبقي الامير عمر
على ذلك مدة اشهر ايضًا الى ان شفي تمام الشفاء وصار يمكنهُ ان يركب ويذهب الى البراري
والقفار ويسير الى القبائل المجاورة مع الاميرة هدلا ومع اخيها ويسطو على كل عاصٍ حتى جعل
للقبيلة صيتًا واسعًا بعيدًا وكل هذه المدة وهو مع هدلا على الحظ والانشراح ورأى نفسهُ مضطرًا
لان يحبها ويباديها على جميلها بالجميل واللطف فتكون قد اشترت حياتهُ وخدمتهُ لاجل نفسها
ولا سيما عند ما راى من صفاتها الكريمة ما اعجبهُ وابهرهُ وما تصوره بغيرها من ربات الخدور
وفي النهاية اخذها زوجة لهُ وزف عليها وسرَّ من قربها وصرف اياما اخر على الحظ والهناء
والسعادة والراحة وبعد ان انقضت هذه الايام قال لها قد انتهى كل شيء ولم تبقَ حاجة بنفس

يعقوب ولا خفاك اني مشغل البال بسبب اهلي ولا اعرف ما جرى عليهم في غيابي ولا ارى ماذا حلّ بي وهل رجع اليهم او لا يزال بعيدًا عنهم وهل لا يزالون مجتمعين او انفرضوا وذهب كل منهم في ناحية ومن الواجب المسير الى حلب والانضام الى العرب قالت اليك ما شئت فانا كلنا الان عبيدك وبين يديك وما من واحد يخالفك وجميع من في القبيلة يرغب ان يسير الى ابيك ليقبل يديهِ ويكون بين العرب في خدمتهِ وهاك اخي الغصبان فانهُ رئيس القوم واميرهم وهو منتظر امرك واما انا فما عاد يمكني الا الاقامة في البيوت والامتناع عن الركوب فوق الخيول ومباشرة الحروب كوني صرت مملوكة

وفي الحال ركب عمر اليوناني وركب معهُ كل فارس من الاكراد وحملوا الاحمال ورحلوا عن تلك الارض وداوموا المسير مدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى حلب فلم يروا هناك احدًا من العرب فخفق قلب عمر اليوناني وتقدم من المدينة فخرج اليهِ نصير الحلبي صاحب حلب وسلم عليهِ وهناه بسلامتهِ واخبره بان اباه سار بالعرب في طريق مصر على بلاد الصعيد والسودان واخبره بقصة الجواد وانهُ سرق واخذ الى هناك . فاقام عمر اليوناني تلك الليلة في المدينة واخذ ما يحتاج اليهِ في سفره من المؤن ورحل من هناك في اثار ابيهِ يجد السير ويقطع الفيافي والقفار حتى وصل الى الشام فاخبروهُ انهُ سار عنها فرحل من هناك ولا زال ياخذ اخبارهُ حتى اجتمع بهِ في مصر كما تقدم معنا وفرح كل واحد وكانت طوربان اشد الجميع فرحًا وسرورًا وقد زالت عن قلبها الاكدار والاوصاب واطمأن بالها وخاطرها وسكن جاشها وصبرت الى ان جاءها فتلقتهُ وترحبت بهِ وسلمت عليهِ وبكت بكاء الافراح وكان من امرهِ ان اخذها الى صدره وقبلها في جبينها وشكر الله الذي راها سالمة وكذلك ولدهُ سعدًا وراه قد كبر وصحتهُ جيدة جدًّا . ففرح بهِ واخبر زوجتهُ بما كان من امره فقالت اني سعيدة من الله الذي ارجعك اليَّ سالمًا وفرج كربي لاني كنت في كدر عظيم وتخلصت منهُ بعنايتهِ تعالى فعشت انا وعاش ولدي ورجعت انت بخير . ثم انها حكت لهُ كل ما كان من امرها عند كسرى انوشروان وكيف ان روبين الغدار واباها قصدا هلاكها وهلاك ولدها مع باقي النساء والاولاد الى ان جاء عمر العيار وخلصهم جميعًا وحكت لهُ كيف عمل حتى خلصهم فضحك من عملهِ وقال لها ياذل العرب من بعدهِ لانهُ ساهر عليهم لا يغفل دقيقة عن صوالحهم ولا يقدر العدو ان يصل شرًّا الينا الا اذا كان غائبًا عنا واما روبين فقد نوبت على هلاكهِ ولا بد عند وقوعهِ بيدي ان اهلكهُ واميتهُ شرَّ ميتة فقد طال في غدره وتمادى في شره ولولا اني لقتلناهُ في هذه المرة وارتحنا منهُ . وصرف باقي ليلتهُ عندها الى الصباح

وبقي الامير حمزة في مصر ستة ايام أُخر وبعد ذلك رحل من هناك في طريق بلاد

السودان بتلك الحملة العظيمة ودام في المسير على تلك الاراضي الحارة المحرقة وكل ما وصلوا الى ارض نزلوا بها للراحة واقاموا عدة ايام لياخذ العسكر راحته ولا يتكدر احد منهم من التعب وشدة الحر وانتهى المسير بعد ذلك الى بلاد الملك فرهود صاحب التكرور فضربوا خيامهم ونزلوا في ساحة فسيحة وقد سدوا السهل والجبل وضرب الامير حمزة صيوان اليون شاه ونصب عند بابه علم بيكار الاشتهار حتى ابتهجت منه تلك الارض وتزينت من جماله وبهائه ولما استقر بالامير المقام كتب رسالة الى فرهود وبعثها اليه وانتظر الجواب

قال وكان فرهود من الابطال العظام اصحاب البسالة والاقدام وكان يندر وجود مثله في زمانه طاع باع فذات يوم جاءه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ومعهما اليقطان فسلماه اليه ودفعا كتابة كسرى فقراها وقال لا بد لي من الاتمام والاجابة ولا بد ان يرى ماذا افعل له بالعرب اذا جاءوا بلادي واما انتما فعلى الرحب والسعة واكرامًا لخاطر كسرى اقدم بلادي بين ايديكما فسيرا واحكما وما من معارض يعارضكما قالا انا لا نريد امرًا ولا نحملك ثقلة بل اقبلنا في بلادك الى حين نخلص من ظلم العرب ولا بد ان يعلموا بنا ويأتوا الى هذه النواحي. قال سوف يظهر لكما عملي وكان قد سرّ جدًا من الجواد اليقطان واحبه واراد ان يركبه فامتنع عليه فحاول واياه وقتًا فلم يقدر ان يعلو ظهره وهو يضرب برجليه الارض ويعلو بايديه ويهجم على كل من يقرب منه حتى قتل خمسة من العبيد فغضب منه فرهود واراد ان يقتله لولا حبه له ومعرفته انه اذا كان على ظهره وقاتل اعظم الابطال فاز عليه فقاده العبيد الى اصطبل مخصوص وضعوه فيه وجعلوا يقدمون له الاكل وصبر فرهود الى ان ينال مراده منه وصار في كل مدة ياتي ويجرب نفسه دون ان يحصل منه على نتيجة الى ان وصل العرب تلك الديار واخذ مكتوب الامير حمزة ففضه وقراه واذا به

بسم الله الحي القيوم

اعلم ايها الملك الجاهل اني انا الامير حمزة فارس برية الحجاز ومذل الاكاسرة وابطال هذا الزمان قد جئت بلادك لاجل غاية واحدة لا اريد سواها وهي انه بلغني ان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد سرقا لي جوادي وهربا اليك فقبلتهما واكرمتهما واخذت الجواد لنفسك فاريد منك ان ترجع اليّ جوادي في الحال وتسلمني هذين الحبشيين اللصين فاسير عنك في الحال ولا اضر باحد من بلادك وتكون قد حقنت دماء بني البشر ورفعت عن قومك ثقلة حرب العرب ورفعت العداوة من بيننا والا فاني لا انفك عن بلادك ما لم اخربها واقتل كل امير وسيد فيها واسترجع جوادي قوة واقتدارًا فلا يدفعك العناد ولا توخذ باقوال عمر ابن شداد وصقلان الرومي فهما يقصدان غشك والسلام

فلما قرأ فرهود هذه الرسالة التفت الى عمر بن شداد وقال له اسمعت ما يقول امير العرب كأنه يظن باني اخافه او اخاف رجاله وسوف يرَ مني حربًا لم يرها زمانهُ بطوله وهو يتهددني قاصدًا اخافتي وفزعي قال له اعلم ياسيدي ان العرب قوم كذابون وما هم الا اهل بادية ومتى حاربتهم عرفت انهم من اجبن اهل الارض لا يثبتون امامك ولا يطيقون حربك وخصامك فاخرج اليهم بالعساكر والابطال حتى اذا رأوا منك ذلك خافوا واضطربوا وعرفوا انك من الابطال الاشداء اصحاب الصولة والعظمة فيرجعون في الحال على اعقابهم او انهم يفنون بسيفك وحسامك ولا ريب انهُ اذا عرف الملك الاكبر بانك قتلت حمزة وبددت العرب انعم عليك الانعام الكثيرة ومدح منك ومن معروفك وشاع صيتك بين الناس اجمعها في اربعة اقطار المسكونة فيعترفون بانك فارس هذا الزمان الامجد وبطلهُ الاوحد فيطيعك البعيد والقريب ويمكنك ان تملك على قسم كبير من العالم من مصر الى اقاصي الارض فامر فرهود في الحال بجمع العساكر والاستعداد للحرب والقتال وارجع رسول حمزة بلا جواب واقام العرب مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس خرج فرهود برجالهِ وابطالهِ السودان وهم كالجراد المنتشر ويدبر امرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وضرب خيامهُ مقابل خيام العرب ونزل بعساكره هناك فعرف الامير حمزة ان في اليوم التالي ينتشب الحرب والقتال فاستعد مع قومهِ الى ان كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وخرجت الفرسان من مرابضها كانها اسود البطاح وقد اشهرت بيض الصفاح وهزت عوامل الرماح وتقدمت من بعضها البعض وانتظرت الاوامر بالهجوم وكان الامير حمزة في الوسط فاخرج سيفهُ من غمده واشار الى العرب بالهجوم والقتال واقتحم تلك المعركة بقلب قد من صوان الجبال وهو ينادي انا حمزة العرب سيد الفرسان والابطال وحبيب مهردكار ذات الحسن والجمال وفعل مثل ذلك الامير عمر اليوناني وهو يهدر كالجمال . ويرأ ر كاسود الدحال . وعمر الاندلسي والنجاشي والمعتدي حامي السواحل الاقيال . واصفران الدربندي ومعقل البهلوان وقاهل الجبل ومباشر وبشير فتعاظمت الاحوال وعظمت الاهوال . وانتشر غبار الموت . واندفع عزرائيل الى قبض الارواح خوفًا من ان يفوتهُ الفوت . واما فرهود فانهُ قوم سنانهُ . واطلق لجواده عنانهُ . وغاص بين العرب . وانزل عليهم ميازيب العذاب والكرب . وقد قلب المياسر على الميامن والميامن على المياسر واهج بقتالهِ الخواطر . وحير النواظر . وما قصد كتيبة الا فرقها . ولا وقع على فرقة الا ومحقها . هذا وقد اشتد القتال والطعان . وراج سوق الموت والهوان . ونادى منادي الهلاك والقلعان . الا هبوا الى الرحيل فقد آن الاوان . ونصبت كفة الميزان . ليظهر الراجح من الخسران . والناقص من الرجحان . وقد كثر الهول وقلَّ الامان . وانتشبت اظافر الهلاك

في افئدة الشجعان . فالقت بها الى بساط الاكفان . تقلبها في حجر الفناء تقلب الموجوع السهران على فرش الضنا من لسع الثعبان . فصمت الآذان . وعميت العينان . وثبت الشجاع وفرّ الجبان يختبي في مغائر ذاك المكان . الى ان ينقضي النهار . ويقبل الليل بالاعتكار . ويعود متظاهراً بالقتال مفتخراً بالنزال . وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم . ونيران الوغى تزداد وتضرم الى ان ولى النهار وانهزم . واقبل جيش الظلم . فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى المضارب والخيام بعد ان صبغوا وجه الارض بالاحمرار . وكسوا البسيطة ثوباً بلون البهار . وتركوا القتلى والجرحى فيها اكثر من رمل البحار . فسبحان العزيز الجبار . والواحد القهار . الذي قدّر على الانسان ما شاء واختار . وجعل من مزاياه حب الانتقام . من الاعداء والاخصام كما جعل في قلبهِ حب الامان والسلام . من الاحباب والاهل والاصحاب

وبات القومان وهما من التعب في هم وغم وكان قد تعجب الامير حمزة من ثبات السودان وجلادهم على الحرب والطعان وهم لا يخافون الموت ولا يحسبون حساباً للقتل والهلاك كأن البربرية فرضت عليهم ان من الواجب على الانسان الموت في ساحة الميدان وعند ما اشرق وجه الصباح ولاح نوره وانبسط على تلك البراري والبطاح . نهضت الفوارس الى خيولها فركبتها والى اسلحتها فتقلدتها . وتقدم الصفان . وترتب الفريقان . وباقل من ساعة من ساعات الزمان . حمل الجميع على بعضهم البعض . وابتدوا يتضاربون ويتطاعنون ويبربرون بما يخيل للناظر انهُ جاء يوم العرض . وكان القتال في هذا اليوم اعظم من اليوم الاول . والموت اشد واعمل حتى ادرك الظلام واقبل . فرجع المتقاتلان الى الخيام وفي الصباح رجعا الى الحرب والكفاح . ودام القتال على هذا المنوال مدة عشرين يوماً على التمام . وفي الاخير ضجر كل من الفريقين وقد قال اسود لقومهِ اني ما كنت احسب ان فرسان العرب بهذا المقدار قوية الجاش ثابتة العزيمة فقد اهلكوا اكثر من نصف قومي وان كنت اهلكت منهم كثيراً لكني لا ارى وسيلة لانقراضهم لانهُ يبقي منهم لثبت وقاتل ووقف في وجه فرساني . وقد كدر في هذا كثيراً وجعلني بحالة ياس وخوف على رجالي ان يفنوا قبل ان اتم عملي واهلكهم جميعاً . فقال لهُ عمر بن شداد الحبشي ان العرب كثيرون وهم من عالم مختلف وبينهم كثير من الفرسان الذين اذا قتلوا انقرضت بسالة جماعتهم وتفرقوا ومن الراي عندي ان لا تلقي برجالك الى ساحة القتال بل ابرز انت وادعهم واحداً بعد واحد فاذا قتلتهم واقتلعت فرسانهم هرب الباقون او سلموا ولا سيما الامير حمزة والملك عمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل . فقال لقد اصبت ولا بد لي من ان اترقب ذلك وابتدر القتال بنفسي وامنع قومي وسوف ترى ما افعل بالامير حمزة وفرسانهِ

فهذا ما كان منهُ واما ما كان من الامير حمزة وقومهِ فانهم عند رجوعهم من ساحة القتال

دار بينهم الكلام في هذا الشان . فقال الامير اني اريد ان اعرف فكر فرهود في امر القتال
وكيف انهُ لم يحارب علي الجواد واخاف ان يكون جوادي قتل او ابعدوهُ عن هذا المكان
والاَّ لو كان بيد فرهود لكان حارب عليهِ وافتخر بهِ . فقال عمر العيار اني ساذهب في هذه الساعة
واكتشف خبر السودان وارى اين هو الجواد واذا تسهل لي ان اصل اليهِ احتلت واتيت بهِ
ولو كان دونهُ الف عيار ومحتال . فقال لهُ الامير سر على توفيق الله ونجاحه عسى ان الصدف
تخولك في هذه المرة كما في غيرها فتاتيني باليقظان . فاجاب عمر في الحال ولبس ملابس السودان
وتزيا بزيهم حتى صار كواحد منهم وانطلق الى معسكرهم واختلط فيهم وهو سائر من مكان الى
مكان حتى وصل الى صيوان فرهود فدخلهُ ووقف بين الخدم ونظر الى فرهود في الصدر ومن
حواليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسمع عمر بن شداد الحبشي يكلمهُ بشان العرب
الى ان قال لهُ اخيرًا واني اكفل لك النصر ياسيدي والفوز لانهُ خطر بفكري خاطر وهو انهُ
عندي سلسال من الحديد اذا القيتهُ على الفارس ولو كان بعيدًا علق بهِ فتسحبهُ اليك اسيرًا
وحيث قد نويت على البراز فلا بد ان يكون معك فتنال المراد وانا منذ هذه الساعة ساذهب
الى صيواني وارجع اليك بعد قليل ومعي السلسال . فقال افعل ما بدا لك وعجل بالسلسال
فنهض عمر وخرج امام الجميع من الصيوان وبقي عمر العيار ينظر اليهِ ويتعجب من خباثتهِ حتى راهُ
قد خرج من الصيوان وبعد وما عاد بان فاعاد بنظره الى فرهود وهو آمن من غدرات الزمان
ولم يخطر بفكره بان احدًا يعرفهُ من اولئك الحضور ولا غيرهم من عالم الانس والجان وفيما هو
كذلك ما شعر الا وعمر بن شداد الحبشي قد قبض عليهِ من الوراء وصاح هذا هو عمر العيار
ياسيدي قد وقع بايدينا وجاء لحتال علينا فهلموا ياخدم الى مسكهِ فاسرع الجميع اليهِ وقبضوا
عليهِ فانبهر كيف اخذ بغتة وكيف عرف واراد ان يحاول وينفي عن نفسهِ فلم يسمع لهُ احد بل
كتفوهُ وقربوه من فرهود وقال لهُ هذا ياسيدي راس العرب وفخرهم فلولاه لما نجحوا ولا فازوا
وهو حاميهم في الليل والنهار وطالما قصدت ان اسرق الامير حمزة او غيره من الفرسان فامتنعت
خوفًا منهُ لانهُ ساهر العين متيقظ الخاطر لا يغفل عن احد ولا يرى فوزًا بالعرب بدونهِ . ففرح
فرهود غاية الفرح وقال طالما سمعت عنهُ انهُ شيطان في صورة انسان ولكني اراه كواحد منا
وليس من العرب ومن اين عرفتهُ ولو رايتهُ الف مرة لما تاكدت الاَّ انهُ من قومي . قال هذا
لا اعرفهُ ولا اعرف حيلهُ من هذا الوجه وجل ما اعرفهُ عنهُ انهُ يتزيا بزي كل رجل من رجال
هذا العالم حبشيًا كان او عجميًا . ثم اخبره بما كان من امر هدهد مرزبان وكيف قتلهُ واحتال
على كسرى فتركهُ يقبل يديهِ وخلص النساء فتعجب فرهود وانبهر وقال هذا لا بد من قتلهِ
وهلاكهِ لترتاح الناس من شرهِ وكيدهِ فخذهُ واقتلهُ قال ليس في قتلهِ فائدة الان ياسيدي لاننا

اذا ذهبنا بهِ الى كسرى انوشروان وسلمناه اياهُ حيًّا يقتلهُ وينتقم لنفسهِ منهُ اعطانا نصف مُلكهِ واصبح ممنونًا منك شاكرًا من صدقك ومودتك وهكذا كل فارس اسرناه سرنا بهِ الى المدائن ولا بدّ لي من الاحتيال بسرقة الامير حمزة حتى اذا فرغنا من الحرب سرنا بهما الى الملك الاكبر وسوف ترى ما يكون لك من الاكرام عندهُ والانعام . قال صدقت ولا بد من المحافظة عليهِ والتشديد في اسره واني ساسلمهُ الى عياري الاكبر فرار واوكلهُ بالمحافظة عليهِ الليل والنهار ولا يفارقهُ ابدًا حتى ابدد قومهُ

قال وكان السبب بمسك عمر العيار هو ان ابن شداد كان كما تقدم معنا خبيثًا محتالاً متيقظًا منتبهًا من اكبر العيارين واعظم السلالين وقد عرف ان الامير عمر لا بد لهُ ان ياتي الى صيوان فرهود في كل الاوقات ويغير زيهُ حتى لا يعرفهُ احد وعرف هو ايضًا انهُ اذا راهُ ربما اشكل عليهِ امرهُ وما انتبه اليهِ فعد عدد الخدم الموكلين بخدمة الصيوان فاذا هم عشرة ففكر انهُ متى راهم زادوا واحدًا يكون الزائد عمر لكنهُ بقي عليهِ ان يعرفهُ ويعرف من هو من بينهم ليقبض عليهِ فدعا بالخدم المذكورين واخبرهم بهذه القصية وقال لهم اني موكد بان هذا الخبيث لا بد ان ياتي يسترق منا الاخبار او بالحري يسرق سيدكم واني نويت على مسكهِ واخاف ان لا اعرفهُ من بينكم فمتى رايتموني نظرت اليكم ووضعت يدي على راسي فليقبض كل واحد بيدهِ اليمنى اذنهُ اليسار واحدًا بعد واحدٍ ومن لم يقبض اذنهُ يكون هو فيقبض عليهِ ولا نعفو عنهُ واياكم من التقصير واوصاهم بذلك كثيرًا ويكتم هذا الامر بينهم وجعل في كل ليلة دابهُ ان يعدهم في كل دقيقة فيراهم على حالهم وهو مكدر كيف لم ياتِ عمر لانهُ يشتهي ان يقبض عليهِ لياخذهُ لكسرى ويقبض انعاماتهِ التي وعد بها وصرف نحو عشرين يومًا قلقًا ولكنهُ ما فتر عن الانتباه وفي كل يوم يعيد الامر على الخدم ويوصيهم بالطاعة ويومل انهُ في اليوم القادم ياتي حتى تلك الليلة فعد الخدم بلحظة وهو يكلم فرهود فراهم قد زادوا واحدًا فسقط الهم عن قلبهِ وتاكد مجيء عمر العيار وكاد يطير فرحًا لكنهُ اخفى حالهُ وخاف ان اظهر امره حالاً فرّ وطار ولا يقدر على مسكهِ فمد يده الى راسهِ فانتبه الخدم وجعل كل واحد بدوره يقبض اذنهُ ما عدا عمر العيار فانهُ ما عرف هذه الحيلة وما انتبه اليها ولما عرفهُ اكيدًا نهض واحتال بقولهِ ان مرادهُ ياتي بالسلسال حتى بعد عن الصيوان ثم عاد متلصصًا وقبض عليهِ بغتة . فانفطر قلب عمر من عملهِ واحتار كيف ان هذا الخبيث عرفهُ مع ان لا احد في الدنيا يقدر ان يعرفهُ وصار عمر بن شداد الحبشي يعد نفسهُ بانهُ ينال نصف اموال كسرى ويتقدم في دولتهِ كثيرًا وقال في نفسهِ لا بد لي من اتمام العمل واسر الامير حمزة . ثم ان فرهودًا دعا اليهِ عياره فرارًا وقال لهُ اني اسلمك عمر العيار هذا واوصيك ان لا تفارقهُ دقيقة وانا الان في غنى عنك ما زال عندي ابن شداد وصقلان

الرومي وإياك من الغفلة فاجعل دائماً المحافظة عليه وإذا هرب كان جزاؤك الاعدام . قال يا سيدي اني لا افارقه دقيقة واحدة فانام عنده واقوم عنده واطعمه من يدي ولا ادع احداً ايراه فسلمه اياه فرهود فاوثقه بالحبال وربط يديه وشدهما الى بعضهما وقاده الى خيمته واقام عنده وجعل يطعمه ويسقيه من يديه وقد شده الى وتد بن في الخيمة مربوط الرجلين والايدي وهو يتحرق ويتحسر على ما اصابه

فهذا ما كان منه واما ما كان الامير حمزة والعرب فانهم صرفوا قسماً من الليل في صيوان البهلوان شاه بانتظاره فلم يرجع فشغل بال الامير من جهته وقال لا اعرف كيف بقي الى الان وما رجع الينا فقال النجاشي ربما تاخر ليسرق الجواد ويرجع به واني اوكد بان لا احداً يعرفه منهم لتغيير حالته واخيراً نهض الامير الى صيوان منامته فنام وتفرق العرب كل الى صيوانه . على امل ان ينهض في الصباح الى الحرب والكفاح . واما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانهما بعد ان انصرفا من حضرة فرهود قال الاول للاخر قد تاكد لدينا النجاح ولا بد لي بعد نهاية الحرب ان اخذ عمر العيار الى المدائن واسلمه الى كسرى فنسال انعامه . قال لا بد ان الملك الاكبر يسر منا سروراً لا مزيد عليه ولكن يبقى عليه عداوة العرب لانهم لا يتركون عيارهم وعندي ان نحتال على مسك حمزة العرب فاذا فعلنا ذلك انطفئت جمرة العدوان وتفرق العرب بعد انكسار شوكتهم وسرّ كسرى سروراً كاملاً فيقتل الاثنين معاً . قال صدقت واذا كان لذلك من فرصة فهي الان لان امير العرب ينام مطمئناً لجهله ما وقع على عياره ولا ريب انه بدون محافظة ولا حارس ينتظر عودة حارسه فهلمّ بنا الى معسكر العرب فناتي بحمزة فاجابه الى ذلك وانسل الاثنان بين العرب يتلددان من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة والعرب نائمين في حجر الامان . حتى وصلا الى مكان الامير حمزة فلم يريا احداً عند بابه سوى خادمين تغلب عليهما النعاس وسطا عليهما سلطان النوم فهجم كل واحد على واحد وبغتة سد فمه والقاه الى الارض واخذا قليلاً من البنج فاشعلاه وحذفاه الى داخل الصيوان وصبرا بريهة ثم دخلا وربطا الامير حمزة وحملاه وسارا به في الجهة القريبة من البر . ثم عرجا الى المعسكر وهما بمزيد الفرح والمسرة وكلاً منهما يعد نفسه بالسعادة والاقبال ولما وصلا الى معسكر السودان دخلا على فرهود وهو نائم وايقظاه من فراشه ودفعا اليه الامير ففرح غاية الفرح وقال حسناً فعلتما وكيف قدرتما على ذلك فاخبراهُ بعملها . وبعد ذلك امرهما ان يعطياه ضد البنج ففعلا ولما استيقظ حمزة وجد نفسه بين الاعداء وامامه فرهود وعدواه الالدان ابن شداد وصقلان فعض على كفيه من شدة الاسف وتاكد وقوعه بايديهم وبقي صامتاً . الى ان قال له فرهود كيف ترى نفسك الان فهل عرفت ان عداوة كسرى لا تطاق وان العالم باجمعه بخدمته وانه اذا حاربكم

الى اخر الزمان لا يكل ولا يمل ويقدر ان يسحب بعشاكره لقتالكم مهما قتلتم ولا بد من هلاككم وموتكم باقرب وقت لا ربح الدنيا من شرك واخدم الملك الاكبر خدمة صادقة . فقال صقلان سنسير به الى المدائن ونذبحه عند اقدام كسرى مع اخيه . ثم قال لحمزة اعلم ان اخاك قد وقع بايدينا وما من سبيل لنجاته بعد الان وهو مربوط الايدي والارجل لا يقدر احد الى الوصول اليه . فاغتاظ حمزة من هذا الامر وتاكد عنده ان العرب ستباد بعده وبعد اخيه وندم غاية الندم كيف انه ابقى على هذين الشقيين ولم يقتلهما ويرتاح من شرهما ولكنه اظهر الجلد وقال لفرهود ان كنت تظن حمزة وقع في اسرك وانك تقدر على هلاكه فقد غلطت لان الهي يقدر على خلاصي في كل دقيقة وسوف تدور الدائرة عليك فتذهب طعاماً للاسنة لان بين جيوشي كثير من مثلي ولا بد من اخذ ثاري ولو انك اسرتني في ساحة الميدان لحق لك ان تفتخر وتباهي ولكن الحيلة عار على فاعلها ولو كنت اريد ان اخذك غدراً كما اخذتني لما صعب عليّ ولكني اكره الاسراف واحب ان اخذ خصمي مواجهة وجهاً لوجه فافعل الان ما انت فاعل فغضب فرهود من كلامه واراد ان يميته في الحال فقال عمر بن شداد الحبشي ابقه الان تحت الحفظ حتى نهلك قومه ونسير بهما الى المدائن . وعندي ان ترسله الى قلعة الحديد عند شاطي البحر وتوكل به حاكم القلعة الى ان تطلبه منه واوصه ان لا يسلمه الى احد حتى ولا الى ملك ملوك السودان وحاكم العبيد باجمعها حتى ولا الى كسرى انوشروان الا انت بنفسك . فاستصوب هذا الامر وارسله مع جماعة من عسكره الى محافظ القلعة وكتب له ان يحافظ عليه ولا يسلمه الى احد مطلقاً . فاخذه المحافظ وكان اسمه الامير هداد ووضعه داخل القلعة واقفل ابوابها واعتمد ان لا يفتح لاحد وراى الامير حمزة نفسه مقيداً وماسوراً في ذاك المكان فانطبقت الدنيا عليه وشعر بانسلاخ حياته وخاف كثيراً على العرب ولا سيما على اولاده وزوجاته من كيد الخبيثين واخيراً صلى الى الله وطلب منه المعاونة والاغاثة وبقي على امل الفرج منه تعالى

وفي صباح اليوم الثاني نهض العرب من مراقدهم وافتقدوا اميرهم فما وجدوه ورأوا الخادمين على تلك الحالة ففكوهما وسالوهما عما كان من امر الامير فاخبراهم بعمل السلاليين فتكدروا من ذلك وخافوا على حمزة ووقعوا باليأس والمصائب وعند ما راى عمر اليوناني حالهم قال لهم لا ترتاعوا ولا تضطربوا فتشلوا عزائمكم وقووا قلوبكم واحملوا على الاعداء فاذا فزتم خلصتم الامير ولا ريب ايضاً ان عمر العيار وقع بايديهم واصابه ما اصاب ابي فالاتكال علينا والا ذهبنا ذري الرياح وطمع السودان فينا واصابونا باكبر مصيبة وان كان ابي قد اسرفانا مكانه وتروني افدي روحي في سبيل النجاح والفوز . فقالوا له انا نقسم بالله العظيم ان تكون ارواحنا فدية عن الامير ولا نرجع عن القتال حتى نخلصه ونهلك الاعداء او نهلك عن اخرنا فمدح منهم

الامير في الحال بضرب طبول الحرب والقتال فضربت وارتجت منها السهول والجبال وتقدمت عساكر العرب كانها اسود الدحال وكان فرهود يظن بان العرب لا تقدر بعد الامير حمزة على القتال ولا يمكنها الثبات في ساحة المجال حتى راهم وقد حملوا فتعجب من عدم تاثيرهم وركب بعساكره وفي كل نيته انهُ يوقع بهم في ذاك النهار ويفنيهم عن اخرهم . وباقل من ساعة حمل العرب على السودان . واشتبك القتال في كل مكان وكثر الضراب والطعان . وفعلت فرسان العربان . افعال مردة الجان . او عفاريت السيد سليمان . وقد القت نار واحها في حفر المخاطر . والقت باجسادها بين مشتبك الرماح والخناجر . حتى تركت القتول كالتلول والدماء كميازيب السماء وما جاء اخر النهار حتى اظهرت لفرهود عظيم فعلها وغزير بطشها ورجعت عند المساء وفي مقدمتها عمر اليوناني كانهُ شقيقة ارجوان . مما سال عليهِ من أدمية الفرسان وقد سر من عمل العربان باعدائهِ السودان ورجع فرهود وهو متكدر الخاطر مما راى في ذاك النهار وما حل بقومهِ من اعدائهِ الا انهُ كان بطلاً صنديدًا يتكل على نفسهِ كل الاتكال ويعرف انهُ يقدر وحده على ابادة الرجال ولو كانوا بعدد الرمال فعول ان يبارزهم فيما ياتي من الايام اذا عادوا الى الحرب والقتال غير ان العرب في ثاني الايام ما باشروا القتال وقد اختاروا ان يريحوا اجسادهم اياما قليلة من تعب ذاك اليوم حتى يتمكنوا من الثبات ومن فعل يوم اخر كذاك اليوم

قال وكان الامير عمر عند فرار العيار على ما تقدم معنا يلازمهُ الليل والنهار ولا يبعد عنهُ الا قليلاً من الوقت ولم يترك لهُ مجالاً لان ينظر الى احد او يحتال لنفسهِ في الخلاص وقد قال لهُ بعد اسرهِ بثلاثة ايام ان نجم سعد العرب قد افل وسوف يبادون ويبددون وتكون بطون وحوشنا مدافن لهم جميعًا . فقال لهُ عمر ماذا يهمنا يا ابن خالتي اذا سلم العرب وهلكوا فاني غريب عندهم وما انا الا عبدهم وما صدقت ان خلصت منهم ووقعت بيد اناس من السودان اعداء البيضان يخلصوني منهم ويعيدون اليَّ الحرية فاذا هلكوا اخلصت الود الى سيدي فرهود وخدمتهُ معك وتعينت من رجالك لانك على ما يظهر لي من السادات الكرام اصحاب الفضل والاحسان تغار على ابناء جنسك وتراعي حرمة الانسانية واني ارجوك متى لحق بالعرب مصيبة لا تخفها عني لاني افرح لها واتامل انقراضهم باقرب وقت لاتخلص منهم . قال انهم بويل وشدة وقد سار عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي الى معسكرهم ليلاً وسرقا اميرهم حمزة وجاءا بهِ الى ملكنا وسيدنا فرهود مقيدًا ذليلاً فارسلهُ الى قلعة الحديد في وسط البحر ووكل بهِ الامير هداد واوصاه بالتشديد عليهِ ولا يمكن ان يتخلص من هناك ولا بد ان ياتوا بالعرب واحدًا بعد واحدٍ ولا يتركوا منهم سيدًا ولا خادمًا وعندي انهم يتفرقون وينقرضون بايام قليلة . فلما

سمع عمر هذا الكلام كادت امعاءهُ ان تتمزق وتتقطع وقال في نفسهِ هلكت والله العرب فاذ تقاعدت عن نصرتهم وعن التحيل بالخلاص اصيبوا وانقرضوا الى آخر الازمان وما بقي منهم انسان الا انهُ اظهر الفرح وابدى خلاف ما اضمر وقال لفرار بشرك الله بالخير يا اخي فهذ الذي كان يحيرني الى خدمتهِ ولا خفاك اننا نحن السودان مهما خدمنا البيضان لا نخدمهم الا خوفاً منهم ومتى لاحت لنا فرصة للخلاص تخلصنا ولو هلكوا . واريد منك يا اخي ان تطلق سراحي لاذهب الى فرهود واعرض عليهِ خدمتي واتوقع على اقدامهِ علهُ يقبل ما اسألهُ اياهُ . قال اني اكرمك واطعمك واراعيك واما اطلاق سراحك فلا امل بهِ لاني اعرف يقيناً ان سيدي لا يقبل بخدمتك وانهُ مصرٌّ على هلاكك ولا بد من ارسالك الى كسرى انوشروان لتموت هناك . فبكى عمر على حالهِ وقال لهُ صدقت يا اخي فما من سبيل للحياة وقد نسيت ذلك واني لا ابكي الان على نفسي ولكني ابكي على ما معي من الدخائر التي كنت افوز بها على كل سيد وبطل ومولى واخاف اذا مت ياخذهم كسرى انوشروان او الاعداء اللئام . وهي اذا اردت ان اتزيا بزي فرهود سيدكم لما صعب عليَّ واذا اردت ان اعرف طرقات الموت والبلاد كلها عرفتها بدقيقة واحدة واذا قصدت الاكتشاف على خبايا العالم وكنوز الارض ظهرت لي كأنها بين يديَّ . وغير ذلك مما لا يوجد عند احد من العالم . فلما سمع فرار هذا الكلام مال قلبهُ الى اخذ هذه الذخائر وحدثتهُ نفسهُ ان يحتال على عمر العيار وياخذها منهُ . فقال لهُ لا ريب يا امن الحالة اذا مت اخذوها منك وانتفعوا بها ولا سيما هذان الحبشيان اللصان اللذان سرقا جواد اخيك . قال واين هو الان فاخبرهُ بقصتهِ وجعل يقدم لهُ الاكرام ويراعيهِ ويعطيهِ الاكل اضعاف ما تعين لهُ حتى جاءه ذات يوم وقال لهُ اني حر بن جدًّا يا ابن خالتي على مصابك ولا اعرف ماذا يصير بك واسال زحل والنجوم السيارة وكل معبود ان يرضى عليك ويخلصك من ايدي هولاء الظالمين قال لا امل لي بالخلاص لكن يا اخي اريد منك ان تقبل مني الذخائر التي اشرت لك عنها فتاخذها ولا تطلع احدًا انها عندك والا نزعوها منك واحرموك اياها فهي تساوي ملك كسرى انوشروان ولا تثمن بثمن من الاثمان . فانت احق بها من غيرك لانك راعيتني واحترمتني واحسنت معاملتي . فلما سمع فرار هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وما صدق هذا الكلام وقال لهُ اصحيح ما تقول . قال اي وابيك فاطلق لي يدي الواحدة فقط فادفع اليك الجميع واعلمك عن كل واحدة ماذا تعمل بها وكيف تستعملها وبذلك يظهر لك صدق حبي وتعرف اكيدًا اني لا اترك مكافاتك واني اعرف الجميل قال وكيف اقدر على اطلاق يدك وقد منعني سيدي من ذلك واخاف ان تتخلص ويحصل لي من بعدك العذاب ويقتلني سيدي . قال من اين اتخلص وانا مقيد الارجل ويدي الثانية مربوطة وانت واقف

اماني لا تبارحني تنظر اليّ وتراقبني ومع كل ذلك فانا لا ارغب في اطلاق يدي الا لاجلك فاذا رفضت ذلك تندم فيما بعد ويأخذ ما معي غيرك وتكون قد رفضت السعادة بيدك فتحركت عواطف فرار الى الحصول على هذه الذخائر وقال في نفسه اذا فككت له يده ماذا يا ترى يقدر ان يفعل وانا بين يديه ورجلاه مقيدتان ويده الثانية مربوطة ومتى اخذت منه هذه الذخائر وتعلمت كيفية العمل بها اعدته الى الكتاف . ثم قال لعمر اني لا اخاف منك يا اخي واجيبك الى ما تطلب وها انا الان افك لك اليد الواحدة واطلقها الى حريتك فافعل ما انت فاعل واعذرني على امتناعي لاني اخاف من فرهود فاقاص على هذا العمل . قال اني اعرف ذلك ولو كان لي اقل امل بالخلاص لما سألتك هذا السؤال ورجوتك قبول ما معي ولكني موكد موتي فيأخذ اعدائي متاعي واكون مت مغتاظاً مقهوراً محصوراً فمتى اطمأن بالي اموت براحة واعرف ان اعدائي السبب الذي كنت انقلب به عليهم

واذ ذاك تقدم فرار من عمر وفك يده الواحدة وقال له قم بوعدك يا اخي فقد اجبتك الى طلبك قال مرحباً بك ثم مد يده الى داخل ثيابه واخرج السيف ذا الشطلين وقال له هاك السيف الذي لا يوجد مثله عند كسرى انوشروان وهو من عمل اليونان القدماء فاخذه فرار ونظر فيه فاعجبه جداً فقال جزاك الله خيراً فما معك غيره فاعطاه الخنجر وقال له هذا يصلح لك لا لغيرك فاعجبه جداً ثم دفع اليه المرآة والمكحلة وقال له هاتين الذخيرتين لا نظير لهما فانك اذا نظرت في المرآة عرفت خبايا العالم وتعلمت طرقاتها وما اختفى عليك شيء مما تريده واذا تكحلت بالميل واردت التزيي بأي كان لا يصعب عليك ذلك . قال حسناً وهبت يا اخي فجزاك الله خيراً ونظر في المرآة فانبهر وتحير وكاد يطير من الفرح . ثم قال لعمر وهل باقٍ معك شيء آخر يا اخي . قال نعم باقٍ معي ذخيرة واحدة يصعب عليّ التسليم بها واريد ان احفظها لي قال وما هي . قال هي علبة صغيرة من النحاس فيها برغي اذا حللته ورفعت الغطاء وطلبت اي نوع من الطعام حضر في الحال كأنه مغروف من الوعاء ومرفوع عن النار . قال يا اخي انت لم تبخل عليّ بغيرها فكيف تبخل بها ولا ريب انك مائت لا محالة فيأخذها غيري قال صدقت فخذها الان واحضر لنا الطعام الذي تريده لنأكل معاً . ودفع اليه علبة بقدر الجوزة وفي رأسها برغي متقوب فاخذها وقصد ان يفتحها فلم يقدر فقال له عمر امسكها بيدك وشد البرغي بفمك فاخذ العلبة بين يديه وجعل يشد عليها باسنانه وقد توجه البرغي المتقوب الى انفه وكان في تلك العلبة بنج فلعب في انفه وفي فمه وفي الحال وقع الى الارض كالقتيل غير واعٍ الى نفسه فتناول عمر الخنجر وقطع به وثاقه وتيقن بالخلاص وفك رجليه في الحال وتقدم من فرار فربطه وهو غارق بالسبات واخذ منه ما كان اعطاه وخرج من الخيمة مسروراً وكان الوقت اذ ذاك

ظلاماً فلم يقصد صيوان فرهود بل بقي كامناً الى ان عرف الصيوان المقيم فيهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانتظر بعيدًا مستترًا بالظلام الى ان راها قد جاءا الصيوان ودخلاه فصبر ايضاً ساعة الى ان تاكد نومها فجاء من ظهر الصيوان ومزقهُ بحفة بخنجرهِ ورمى قطعة من البنج مولعة الى الداخل وصبر قليلاً حتى تاكد فعلها بهما فوسع الخرق ودخل منهُ بخفة وتقدم من اللصين فربطها واخذ خنجرهُ وقطع اذانهما وانفيهما واخرج من عبهِ مرهماً وصعهُ على مكان الجرح ليقطع الدم فقطع في الحال فاعطاهما ضد البنج وتركهما وخرج وهو يقول في نفسهِ اني لو قتلتهما لما فعلت حسناً واذا استيقظا ورايا حالتهما وعلما اني انا الفاعل امطرت مرارتاهما وبقيت هذه الحسرة بقلبهما الى اخر الزمان ودام في مسيره حتى وصل الى معسكر العرب وجاء الى المكان الذي فيهِ العيارون فنهضوا اليهِ واعترضوه وصاحوا بهِ فاظهر لهم نفسهُ ولما تاكدوا انهُ عمر سيدهم صفقوا من الفرح وقام الصياح بالافراح من كل ناح وانتشر الخبر بين الجميع وما من رجل الا استيقظ وجاء يستخبر من عمر عن حالهِ ونهض عمر اليوناني ورؤساء القبائل وجاءوا جميعاً الى الصيوان الاكبر واجتمعوا بعمر وهنوه بالسلامة وسالوه عن حالهِ فاخبرهم بما توقع لهُ حتى تخلص من الاسر فمدحوهُ على فعلهِ وقالوا لهُ اننا نخاف على الامير من العذاب والهول لانهُ تحت الحفظ وربما فعل بهِ فرهود شرًّا قال كونوا براحة فما زلت مطلق الحرية اقدر على كل عمل ولا يصعب عليَّ خلاص اخي واريد منكم فقط مداومة الحرب والثبات في الميدان وان تباكروا الى الهجوم على فرسان العبيد الى ان يعود اليكم فارسكم . فقالوا هذا نداوم عليهِ واننا ثابتون على الحرب ولو بقيت سنين عديدة . ثم انهم صرفوا باقي تلك الليلة دون نوم الى ان اشرق الصباح

وكان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد نهضا من نومهما في ذاك الصباح ونظر احدهما الاخر مشوهًا على تلك الحالة فجعل يضحك منهُ واخيرًا عرف كل واحد انهُ اصيب بما اصيب بهِ رفيقهُ فتكدرا جدًّا من هذا العمل وضاق صدراهما وقال صقلان اني اوكد لك ان ما فعل هذا الفعل الا عمر العيار وقد تخلص من الاسر وجاء الينا ليترك بنا اثرًا سيئًا . قال ياليتهُ قتلنا لكان افضل من بقائنا وكيف يمكننا ان نواجه احدًا ونحن على هذه الحالة وانا لا اخرج الان من الخيمة . وفيما هما على ذلك وصل اليهما رسول فرهود وقال ان سيدي نهض منذ الصباح وجلس في صيوانهِ واجتمع عنده كل رجالهِ ولما لم تحضرا شغل بالهُ جدًّا وتكدر عليكما فبعثني ادعوكما اليهِ وانظر في امركما . وفي الحال نهضا وتقدما معهُ الى صيوان فرهود وكل من راهما في الطريق ضحك وتعجب من حالتهما وهما صابران على ذلك حتى دخلا الصيوان وراهما الجميع على تلك الحالة بلا آذان ولا انوف فضحكوا من هذا العمل وهم لا يعرفون سببهُ وسالهما فرهود عما حلَّ بهما فقالا اننا لا نعرف السبب وكل ما نعرفهُ اننا في الصباح نهضنا ونظرنا الى بعضنا واذا

نحن على هذه الحالة وان صدقني حذري يكون عمر العيار قد تخلص وجاء الينا . فارسل فرهود الى فرار واذا هو على تلك الحالة فاحضروه اليه ففك وثاقه وساله عن اسيره فاطرق الى الارض فقال لا تخف اخبرنا بما احتال عليك عمر العيار ولك الامان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها . وقال ما كان بظني انه يفعل هكذا وهو مقيد الرجلين واليد وانا الى جانبه . فقال صقلان انه شيطان رجيم يفعل كل ما يريد وقد حذرناك كثيرًا ونحن خائفين ان يفعل ما فعل واعظم . وفيما هم على مثل ذلك واذا بقبائل العرب قد تقدمت طالبة القتال حاملة من كل ناح وارتجت الارض من وقع حوافر خيولها فالتزم فرهود ان يحمل بابطاله وفرسانه وفي الحال انتشب القتال . وراج سوق المجال . وبطل القيل والقال . وزادت الاهوال وعظمت الاحوال . فما كنت ترى الا راسًا طائرًا . ودمًا فائرًا . وجوادًا عائرًا . وغبارًا ثائرًا . وقد فعل عمر اليوناني في ذاك اليوم افعال عنترة بن شداد وطعن في الصدور والاوراد . والقى بالوف من الفرسان على بساط الوهاد . ومثله فعلت بقيت الفرسان الشداد . حتى تركوا الارض مغطاة من اجسام المقتولين ودام القتال الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجع العرب مسرورين بفعل ذاك النهار وعمر العيار يمدح من اعمالهم ويشكرهم على افعالهم ولا زالت الحرب مدة ثلاثة ايام حتى ضاقت الارض من كثرة ما تكوم فيها من القتلى وحينئذٍ اتفق القومان على عقد هدنة الى عشرة ايام لترفع الاموات من ساحة القتال وتدفن في التراب . وكان ذلك بطلب عمر العيار حيث كان قد قصد ان يذهب في خلاص اخيه من قلعة الحديد وفي نفس تلك الليلة ذهب الى صبوان مهردكار ليخبرها بانه يقصد الذهاب الى خلاص زوجها فسمعها تبكي وتنوح وتندب بعد زوجها واسره وتنشد وتقول

بلغ النوى مني مناهُ والشوق جاوز منتهاهُ
يبكي ويبكيه الحبيـ ـب وليس ينفعهُ بكاهُ
اهلاً بطيف زائرٍ كشف الدجى عني سناه
حيا فاحيا في الكرى فقضى عليَّ الانتباهُ
فعل الغريب بنفسهِ ما ليس تفعلهُ عداهُ
اهلاً بطيف طارقٍ زاد الردى عني سراه
يحظى به القلب المشو ق ومقلتي ليست تراه

وبعد ان فرغت من هذا البكاء تنهدت ثانية وقالت تخاطب نفسها كيف اصبر على بعده وهو في يد اعداه يقاسي العذاب والاسر لا اعرف هل يبقى عليه او يقتله الاعداء وما من مجير ولا نصير غير البكاء والنواح لقد تغافل عمر العيار وتقاعد القوم عن مساعدتي فهل من منجدٍ لي

وهل من مسعف فاليك يارب اشكو ذلي وصعبي فارحم قلبي واجبر كسري وارحمني . ثم عادت فانشدت .

يا راحتي وارتياحي	وبهجتي وسروري
ذكراك مونس قلبي	في غربتي وسميري
لي انة كل وقت	مقرونة بزفير
لاحرقتها بجمر	في صدري المصدور
يا مونسي ونديمي	في غيبتي وحضوري
لا تشرح الرسل والكتب	بعض ما في الضمير
لولا مست نار شوقي	اليك نار السعير
قد ضاق غل التنائي	على خناق الاسير

فلما سمع عمر منها هذا النوح والتعداد حن لها وشفق على حالتها وعرف انها صادقة المودة كثيرة الحب لاخيه فتقدم منها وطمنها على مقصدها ووعدها انه سيذهب الى خلاص اخيه ولا تمضي ايام قليلة حتى يكون في معسكره عند قومه وتراه ويرتاح بالها من اجله . فشكرته على ذلك ومدحته وقالت له اني رايتك لاه عني وعنه فكدرني ذلك واني غريبة منقطعة لا احد يسليني فاشكو اليه مصابي . قال اني ما التهيت قط ولكني اشغلت فرهود بالحرب حتى خسر كثيرًا من قومه وتعب كثيرًا ولذلك ما عاد يمكنه الا الراحة ويشتغل عن اخي بجمع العساكر ودفن الموتى واريد منك الان ان تدفعي اليَّ كل ما عندك من الحلي والجواهر ولا تظني انها ترجع اليك قالت اليك الجميع فاني لا اسال عن شيء ولا ارغب في شيء وجل ما ارغبه خلاص اخيك فقط فاسعى بذلك قريبًا ولو فقدت جواهري . ثم نهضت واحضرت له كل ما طلب فكان شيئًا كثيرًا فاخذه منها وذهب الى حاله بعد ان وعدها بكل خير واوصاها ان تبدل حزنها بفرح وتصبر مدة خمسة ايام او ستة فيكون عندها . وجاء بعد ذلك الى فرسان العرب وقال اريد منكم ان تجمعوا كل السلاح القديم الموجود عند العرب من سيوف ورماح ومجنات وغير ذلك فاخذ العرب في جمع ما طلب وسار هو من هناك ومعه بعض عياريه مسافة يومين حتى جاء البحر وراى هناك موكبًا راسية فنزل اليها مع جماعته بقصد الفرجة ولما صار فيها امر عياريه بان لا يبقوا على واحد من الملاحين ففعلوا وقتل الجميع وجاء بالمركب الى شاطئ اخر منفرد بعيد عن السكان وامر العيارين ان يذهبوا الى المعسكر ويحضروا السلاح الذي طلبه ليشحن به المركب فنقل العيارون السلاح على ظهور البغال والجمال وانزلوه المركب ولما امتلأ امر العيارين ان ينزلوا اليها ولبس هو ملابس ملك كبير عظيم السطوة والمقدرة وافرغ عليه تلك

بالحلى والجواهر من راسه الى قدميه واخذ المرآة في يده وتكحل بميل المكحلة وقال بحق ما كتب عليك من الاسماء ان تغيري حالي الى حال قابض بن مخلص ملك ملوك السودان وسلطان العبيد الاكبر حتى من رآني لا يظن الا اني هو نفسهُ ونظر في المرآة فاذا هو كما قصد وحينئذٍ امر جماعتهُ ان تحل المراسي وتنشر الشراع ونسير الى ظهر البحر ففعلوا وما مضى الا ساعات قليلة حتى غابت السفينة عن الشاطئ وبعدت كثيرًا واذ ذاك امر عمر بان يديروا مقدمة السفينة الى جهة قلعة الحديد ففعلوا وصارت السفينة سائرة والريح موافقة لها تخترق البحار وقد نشرت علمًا كبيرًا يدل ان فيها رجلاً عظيمًا ذا قدر ومقام وفي اليوم الثاني وصل المركب من القلعة وقاربها فخرج الامير هداد محافظ القلعة واعترض على المركب السائرة ان لا تقرب من القلعة اذ ما من اذن لاحد بالدنو منها فصاح به بعض الملاحين وقال له ويلك ما هذه الجسارة القوية هلمَّ الى تقبيل يدي الملك الاكبر قابض بن مخلص سيد السودان وفخرهم وهو يدعوك الى تقبيل ايديهِ ويريد ان يسال منك بعض سوالات يجب ان تجيبهُ عليها . فلما سمع هذا الكلام اضطرب وخاف وبادر في الحال الى المركب وهو يتعجب كيف ان الملك العظيم جاء الى تلك القلعة وما ذلك الا لسبب عظيم ولما وصل بين يديهِ سجد وقبل الارض بين يديهِ وقبل قدميهِ ووقف مطرقًا الى الارض ينتظر امره وهو ماخوذ مما شاهد عليهِ من الحلى والجواهر كانهُ الشمس المضيئة في رابعة النهار . ثم قال له ماذا تريد من عبدك ياسيدي . قال اريد ان اسالك عن الحرب مع العرب هل تعرف شيئًا عنها . قال لا اعرف الا ان الحرب واقعة بين قومنا والعرب وقد اسروا سيد العرب وبعثوه الى القلعة وهو اسير عندي . قال قبح الله فرهود فلا بد من فصله ومجازاته على عدم اعتباري كيف يحارب العرب دون ان يبعث اليَّ ويسالني وقد اهلك كثيرًا من السودان ولما بلغني الخبر حضرت بنفسي لطرده وحبسهِ في هذه القلعة الى ان يموت واما انت فاني اعرف صدق خدمتك وطاعتك لي وانهُ يليق بك ان تكون ملكًا وسيدًا فقد اقمتك حاكمًا بدلاً من فرهود منذ هذه الساعة ولكن اكتم هذا الامر وابقهِ في قلبك الى ان يتم وارى ماذا يكون من امر العرب . ولما سمع الامير هداد سيد القلعة كلام القابض بن مخلص فرح فرحًا لا يوصف وامل بالخير الكثير وانهُ بعد قليل يصير حاكمًا على السودان عوضًا عن فرهود فزاد في اكرام مولاه وتعظيمهِ وتبجيلهِ ودعاه الى القلعة ليتناول الطعام عنده . قال سافعل ذلك واتنازل اليهِ اكرامًا لخاطرك ولكن اخبرني كم عدد الحرس المحافظين على القلعة . فقال اعلم ياسيدي ان فرهود اعهد اليَّ برئاسة خمسة عشر نفرًا من الحراس وهولاء جميعهم عندي في هذه القلعة . فاظهر عمر كدرًا وغيظًا وقال قبح الله هذا الخائن فانهُ يريد ان يخرب بلادنا ويجعل مطمع الفاتحين نافذًا فيها فانهم اذا علموا بان لا نفر بالقلعة الاَّ خمسة عشر فقط طمعوا فيها وجاءوا اليها وملكوها وهو

فيشغل بقتال العرب لا يرسل اليّ بالاخبار ولا يقدر ان يدافع عن السواحل وسوف ترى ثم يجل به واجازيه على عدم اعتباري واحترام شاني . فهلمّ بنا الى القلعة . ثم امر العيارين ان ينقلوا السلاح الى القلعة وامر حاكم القلعة ان يامر جماعتهُ بنقل السلاح وقال ابقها في القلعة الى حين يصل اليها باقي العساكر والرجال الاتين على المراكب فيتسلحون وينزلون الى الشاطي . واجاب امره طوعاً وقلبهُ يكاد يطير من الفرح ويعد نفسهُ بكل جميل ونجاح

ومن ثم صعد الامير عمر وجماعتهُ العيارون الى القلعة فلاقاهم الحرس وتحدقوا بالملك الاكبر وقبلوا يديهِ فتبسم في وجوههم فاندهشوا وظنوا بانفسهم انهم ملكوا الدنيا بما فيها . ولما جلسوا قال الامير هداد اذا شئت ياسيدي اتيتك بالامير حمزة العرب الذي اخبرتك عنهُ بانهُ اسير في القلعة . قال ما من حاجة لي بهِ الان وسوف انظر ما افعل بهِ واما انت فاصعد الى اعالي القلعة وانظر لي في واسع البحار هل اقبلت المراكب ام لا تزال بعيدة فاني على انتظارها . فصعد الجميع الى فوق ورأوا مركباً بعيدة جداً تكاد لا تظهر فعادوا اليهِ واخبروهُ بما رأوا فقال لا ريب هذه طليعة المراكب وابدى الفرح والاستبشار وكان بمدة تغريبهم عنهُ الى اعالي القلعة ارسل كبير جماعتهِ ليضع البنج بالطعام الذي كانوا يصلحونهُ في الاوعية . وبعد قليل احضر الطعام على الموائد وصف امام عمر وجماعتهُ فقال لهداد ان هذا الطعام هو لكم واما انا فلا ارى ان آكل الا من الطعام الذي اعتدت عليهِ واحضرتهُ معي ثم امر ان يؤتى بالطعام فاسرع العيارون وجاءوهُ بهِ فوضعوه امامهُ واخذ في ان ياكل وامر حاكم القلعة ان يجلس على صفرة الطعام مع جماعتهِ فامتنع تادباً منهُ وقال حاشاي ان اتطرف بمثل هذا امام سيدي الاكبر . فقال لهُ اني اريد ذلك فانك صرت منذ الان من عظماء رجال السودان وسيد عليهم ومثل ذلك هولاء الرجال فساقيم كلاً منهم على مقاطعة واخص بهم السيادة والتعظم على البلاد . فلم يمكنهم المخالفة وجلسوا جميعهم باحترام وابتدأوا ياكلون ويتعجبون من كرامة اخلاق ملك ملوك السودان صاحب القدر الرفيع الشان الا انهم ما لبثوا ان وقعوا الى الارض كالاموات فامر عمر العيار ان يذبحوا عن اخرهم ما عدا الامير هداد فذبحهم العيارون ودخل هو الى غرف القلعة وفتش بها واحدة فواحدة حتى راى الامير حمزة في حجرة في اسفل القلعة مظلمة فدنا منهُ وفك قيوده وعرفهُ بنفسهِ ففرح فرحاً عظيماً وشكر منهُ وصعدوا في الحال الى العيارين وتركوا القلعة واخذوا معهم الامير هداد ولما صاروا في الخارج اضرموا النار بها وركبوا المركب وساروا عليها يتقدمون الى الشط الذي خرجوا منهُ وعمر يخبر الامير حمزة بما كان من امره مع عمرو بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وكيف قد شوه وجهيهما وقد سعى الى خلاصهِ بعد ان قاتل العرب قتالاً عجيباً وارعبوا السودان وفرهود فسرّ الامير من ذلك وقال الله سبحانهُ وتعالى قد اجاب طلبنا ونظر غربتنا فلم يقبل

بذلنا والا لو فقدت انت وانا وتمكن منا الاعداء لتفرق العرب وانقرضت هذه الدولة . فقال له عمر اني اشور عليك شورًا به الخير للعرب وهو ان تضمهم جميعًا الى ملك واحد تقيمهُ عليهم منهم فيكون للعرب ما للعجم من العظمة وعلو المنزلة فيصيرون اكثر من الان انتظامًا وترتيبًا لانهم يميلون الى ذلك وعندك علم بيكار الاشتهار فيجتمعون تحتهُ فهم افضل من قوم كسرى واعظم واشد بسالة . قال هذا يكون عند ما يروق صافي عيشنا ويطلب الفرسان ذلك واما انا فلا اسالهم فيه ولا اريدهُ والا يظنون ان غايتي ان ابقيهم عندي على ذلك الى الابد فيتركون بلادهم واوطانهم مع انهم مختلفو الاجناس وربما كان اكثرهم يرغب في الرجوع الى اهلهِ وملكهِ وتجلهُ مني حملة ان ينضم الينا ويبقى برفقتنا في وقت القتال

وما زالوا حتى وصلوا الى الشاطي فخرجوا الى البر وساروا من هناك على اليابسة حتى وصلوا الى معسكر العرب ولما عرف الفرسان بوصول اميرهم كادوا يطيروا فرحًا وسرورًا وتقدموا منهُ وسلموا عليهِ وهنأوهُ بالسلامة ودارت الافراح فيما بينهم وعمت الكبير والصغير والرفيع والوضيع ودخل الامير بعد ذلك على زوجتهِ مهردكار فوجدها منفردة تنتظرهُ ولما رأتهُ دنت منهُ وقبلت يديهِ وهنأتهُ بالسلامة فشكرها وقال لها ان الله لم يسمح بذلي وايصال الاذى اليَّ . قالت هو يعرف ذلي وتغربي فلا يريد ان يصرَّ بي قط فاسالهُ تعالى ان يحصر هذه الحال ويريحنا من شر الحروب والعذاب ويرجعنا الى مكة لنقيم على الراحة ايامنا الاخيرة . قال اني اعرف جيدًا ان اباك وقومهُ ولا سيما بختك لا ينفكون عن عداوتي الى ان ينقرضوا او اموت انا وتنقرض العرب ولو كنت اعرف انهُ يسر برد الشيء الذي اخذتهُ وغصبتهُ اياه ويترك عداوتنا لفعلت فكل ما نحن بهِ من اعمال بختك الوزير لانهُ هو الذي دس الينا سم هذه الفتنة وبعث بالعيارين عمر بن شداد وصقلان الرومي . قالت اني اظن ان ابي يرضى عنك اذا ارجعت اليهِ علم بيكار الاشتهار . قال اني ارضى ذلك ولكني اعرف ان فرساني يتكدرون منهُ لانهُ هو الذي يجمعهم ولو كنت اعرف اكيدًا انهُ يرضى بهِ لفعلت ولو اغظت قومي وتفرقوا عني حيث يعودون الى بلادهم واعود الى بلادي ويطيب لي وطر الوقت ولو كنت اعرف ايضًا ان اباك يحسم النزاع بيني وبينهُ اذا ارجعتك اليهِ لفعلت وما ذلك الاَّ حفظًا لراحتك لانك تعذبين بسببي كثيرًا ولم تري سنة واحدة وافتك براحة وامان . فشعرت مهردكار ان قلبها قد نزع من جسدها عند سماعها كلامهُ وكانت لا تنتظر ان تسمع منهُ مثل هذا الكلام القاسي غير ان حبها لهُ جعلها ان تبسم في وجههِ وقالت لهُ وان كان يرضي ابي ذهابي اليهِ لكني اعرف موكدًا انك تفضل ان ترى الدنيا قاعًا صفصفًا وان ترى الارض خاوية خالية وروح الله يرف على وجه المياه من ان تراني بعيدة عنك وانا ارى ان كل ما احتملهُ هو هين وسهل عليَّ وجل غايتي ان اراك تاركًا الحرب كارهًا في

سفك الادمية وقتل النفوس التي حرمها الله . وقطعت بعد ذلك الحديث معهُ . ولما انفردت بنفسها جعلت تبكي على حالها وعلى ما اصابها وخافت من ان يتم ما قالهُ من انهُ يرسلها الى ابيها وجعلت تتردد في صدق مودتهِ وقالت في نفسها امثل هذا الكلام يخرج من فم الامير حمزة وانا اعهد بهِ الامانة وحفظ العهد . نعم لا اظن انهُ تغيره من الرجال الذين اذا طال زمن زواجهم كرهوا نساءهم او بالحري اخذوا في ان يكرهوهن شيئًا فشيئًا ولا سيما اذا لم يلدن اولادًا وكان قلبها وضميرها يتنازعان في هل ان حمزة يفعل ما يقول او انهُ حكى ذلك ليمتحن محبتها وليعرف هل باقية على حالها او انها ضجرت لكثرت ما لاقت من الاهوال والعذاب والاسفار الطويلة واخيرًا سلمت بامرها الى الله سبحانهُ وتعالى واضحت تترقب الاحوال وتلاحظ اعمال الامير لتعرف ما هو عليهِ من قلبها ومع كل ذلك فانها كانت لا تفتر عن البكاء قطعًا في كل فرصة والامير يلحظ منها ذلك ولا يريد ان يمنعها عنهُ وقد ظن ان هذا من جرى الغربة والوحدة وطول العذاب وصار في بعض الاحيان يعرض عنها وفي البعض الاخر يسليها وبقيت على ذلك مدة كما سياتي معنا في غير هذا المكان

ولنرجع الى ما كنا عليهِ وقد بات الامير حمزة في تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني نهض من نومهِ فسمع طبول السودان تضرب والعساكر تتهيأ فامر ان تضرب طبول العرب وتركب فرسانها وابطالها . وباقل من ساعة انتشبت نيران الوغى بين الفريقين . ولعبت بنحورهم اسنة البين . واحتاط بهم جيش الهلاك ولم يرغب بالتخلي عنهم والانفكاك . وباتت الارواح عرضة للفناء . والاجساد محطًا للتعب والعناء . فكان ذاك اليوم عظيم الاهوال . فيهِ طال حمزة واستطال . وطرح باجساد الرجال . الى حفر الوبال . وشك بصدور الابطال . عوامل الرماح الطوال . ومددهم على بساط الرمال . وفعل مثلهُ باقي رجالهِ . وابطالهِ واقيالهِ . وكذلك فرهود فانهُ قاتل وما قصر في ذاك النهار . وانزل على العرب شهب الخراب والدمار . واذاقهم مرَّ العذاب والبوار . لانهُ كان كما تقدم معنا من الفرسان الذين اشتهروا في ذاك الزمان . وعند المساء ضربت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والقتال . وبراوا في الخيام وكلهم من التعب على جانب عظيم وقد ملئت الارض من القتلى والجرحى فلم يكن يسمع الا اصوات انين وبكاء وتشكيًا ولا سيما عساكر السودان . واظهر فرهود من ذلك غيظهُ وكدرهُ وقال لمن حولهِ من رجالهِ اني انعجب من ثبات العرب واقدامهم فقد اهلكوا منا كثيرًا ولا يزالون على حالهم وهذا يودي بنا الى الخراب والدمار فقال لهُ عمر بن شداد الحبشي لقد اعرضت لك قبل الان ان العرب قوم صناديد وجلّ غايتهم القتال فيساعد بعضهم بعضًا ويتسع عليهم المجال ومن اللازم ان تبارزهم واحدًا فواحدًا ومتى قتلت رؤوسهم هانت عليك الاذناب . قال اني في الغد لا بد

ان افعل ذلك وكان في نيتي ان اطلب البراز في هذا اليوم غير ان الكبر منعني وعزة نفسي اوقفتني
عن ذلك فانتظرت ان يكون منهم اولاً فلم يفعلوا واما الان فقد نويت كل النية ان اتأكد
الى طلب ابطالهم وفرسانهم ولي ثقة كبرى ان افنيهم عن اخرهم ولا ابقي منهم من يخبر بخبر . وبات
فرهود على هذه النية

وفي صباح اليوم التالي نهض من فراشهِ فركب فرسهُ وتقلد بسلاحهِ وسبق الجميع الى ساحة
القتال وكانت العرب قد ركبت وتقدمت وفي نيتها الهجوم الاَّ انها توقفت عندما رأت الامير
فرهود يصول ويجول ويطلب مبارزة العرب وفي الحال صدمهُ الامير حمزة صدمة جبار صنديد
واخذ معهُ في الحرب والقتال . والطعن بالسمر الطوال . وقد اتسع عليهما المجال . فانتقلا من
مكان الى مكان فتارة في اليمين وطوراً في الشمال . حتى تعجبت منهما الابطال . وتحيرت من
قتالهما الرجال . وهما لا ينفكان عن بعضهم البعض وقد جوفا بارجل جواديهما جنبات تلك
الارض . وما زالا على مثل ذلك الى ان خيم الظلام فافترقا على سلام . ورجع العسكران الى
الخيام . وباتوا الى الصباح . فتقدموا يطلبون الحرب والكفاح . واذ ذاك توسط فرهود الميدان
ولعب على الاربعة اركان واراد حمزة ان ينزل اليهِ واذا بهِ راى الامير سعد اليوناني قد صار امامهُ
ولما راهُ فرهود تعجب من صغر سنهِ وقال لهُ اني احزن عليك ايها الغلام فارجع الى امك ولا
تخاطر بنفسك فما انت من رجال سيد السودان فقال لهُ سوف ترى مني ما تتحدث بهِ الفرسان
جيلاً بعد جيل كيف لا وجدي الامير حمزة البهلوان وابي الامير عمر اليوناني عروس الميدان .
ثم صاح بهِ وارتمى عليهِ فالتقاه فرهود بقلب اشد من الجلمود وهو يتعجب من عملهِ وصغر سنهِ مع
انهُ ولد امرد بديع الصورة جميل الخلقة فغاصا تحت القسطل . والتحما كانهما من امتن القلل .
هذا والامير حمزة في حيرة عظيمة من وقوع ابن ابنهِ بين يدي الامير فرهود وقد خاف كل
الخوف وكاد يطير صوابهُ فتقدم قليلاً ينتظر ما يكون من امرهِ يلاحظ حركات القتال وقد
عزم على ان يخلصهُ اذا راه وقع بين يدي خصمهِ او لاحظ منهُ التعب والانحلال ولو كان بذلك
عليهِ عار وشنار الا انهُ كان يرى منهُ ما يدهشهُ لانهُ كان ينقض على فرهود انقضاض الصواعق
ويدور من حواليهِ كقضاء الله المنزل ولا يترك باباً من ابواب الحرب مفتوحاً وما زالا على مثل
ذلك الى ان انقرض النهار ومضى بانوارهِ وتقدم الليل ونشر ظلامهُ على العباد وحينئذٍ افترق

انتهى الجزء العاشر من قصة حمزة العرب ويليهِ
الجزء الحادي عشر عما قريب ان شاء الله

الجزء الحادي عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

المتقاتلان على سلام ورجع الامير سعد ماخذة جدهُ وقبلهُ بين عينيهِ وجاء بهِ الى صيوانهِ وهناك قال لهُ اني اشكرك على ثباتك واقدامك ولكنني الومك على نزولك الى فرهود وهو مجرب من الدهر وبطل عظيم وانت لا تزال صغير السن وقد خفت عليك كثيرًا وصرفت النهار على مقالي النار قال اني بعنايتك ودعائك لم يلحق بي ضرر وقد امرتني امي ان ابرز اليهِ ولولا انها تعلم اني كفوٌ لهُ لما سلمت معي بذلك فارسل الامير في الحال الى طوربان فحضرت بين يديهِ . فقال لها كيف تلقين بولدك الى الخطر وتسلمين معهُ بقتال فرهود وليس لك سواهُ فما ذلك الاّ جنون وبعض مسك لهُ . فقالت كلاّ ياسيدي فاني جرّبت ولدي وربيتهُ بيدي وبارزتهُ كثيرًا واعرف مقدار شجاعتهِ واقدامهِ قال كيف كان الحال فهو دون فرهود الان لانهُ صغير السن وهذه المرة الاولى التي دخل بها ساحة القتال وكان من الواجب ان يتطرق على الحرب شيئًا فشيئًا وليس من الاصابة ان يقاتل اول مرة مثل فرهود . قالت اني ارغب في ان يكون بطلاً عظيمًا اي لا يكون دونك في ساحة القتال ومن يقاتل في اول مرة مثل فرهود وهو بهذا السن لا يصعب عليهِ فيما بعد ان يربح الحال وجل غايتي ان يكون لهُ اعظم اسم بين العرب فاما ان ينال ذلك واما يموت وبعد ذلك خير لهُ من ان يكون جبانًا او يخاف مبارزة فارسٍ او بطلٍ ان كان كفرهود او كغيره . فقال سعد لا تخف عليّ يا جداه فالعمر محدود واني اعرف صغر سني واني لست اعد الان من الابطال ولو كان عطبي اشد مما هو لما تركت خصمي ينتل الضمان ومع كل هذا فلا بد لي من قتلهِ وارجوك ان تسمح لي في الغد بقتالهِ ثانية لاريك ماذا افعل فيهِ . فقال هذا لا اريدهُ ولا اسمح بهِ فانا اعرف ان فرهودًا قليل القتال ولا اريد ان يبرز اليهِ سواي . واما انت فاني اقيمك اميرًا على قبيلة الكراد فتكون رئيس قوم منذ الان

فهذا ما كان من الامير وحفيده واما ما كان من فرهود فانهُ رجع الى صيوانهِ وهو كثير الغضب والغيظ ولما اجتمع بهِ قومهُ وجاء اليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي سالوهُ عن حالهِ في النهار . فقال اني اعرف واعترف بان العرب قوم جبابرة فكل من فيهم يقاتل كالاسد وقد رايتم ان الذي قاتلني في هذا اليوم لا يبلغ الحادية عشرة من العمر ومع ذلك فليس هو دون الامير حمزة في الجولان والاخذ والعطاء واني اقول الصدق ان حالنا مع العرب في تاخير ولا بد

لهم من ان يذلونا وقد مالت قلبي اليهم ومن عادة الشجاع ان يحب الشجاع . فلم يكن عمر بن ... ورفيقة ان يجيبا بشيء ولما اجتمعا ببعضهما قال الواحد للاخر على ما يظهر لي ان العرب ... على فرهود ولابد لهم بعد ذلك من القبض علينا ولذلك ارى من الواجب ان نستعد للسفر والرحيل حتى اذا راينا الغلبة على السودان غطسنا تحت الظلام وتعمقنا في جهات الارض فلا تصل الينا العرب وانا اعرف ان حمزة يطلبنا ولا يتخلى عنا واذا وقعنا بيديه اهلكنا لا محالة فاجابهُ رفيقهُ الى كلامهِ واعتمدا على السفر والهرب . هذا وقد سرت طوربان بما نالهُ ابنها من علو الشان مع صغر سنهِ وقالت قد صرت الان اميرًا على ثلاثين الف فارس واذا اشتد ساعدك لا بد ان يزيد جيشك ويعظم امرك وتصير واحدًا بين العرب . قال لها سوف ترين ما يكون من امري واني لا انفك عن طلب المجد وبعد الصيت حتى اناله .

ولما كان الصباح خرج العسكران الى ساحة القتال واصطفا من اليمين والشمال وترتبا احسن ترتيب واذ ذاك سقط الامير فرهود الى ساحة الميدان وطلب المبارزة وان تتقدم اليه الفرسان فصدمهُ الامير حمزة وقال لهُ هذا اليوم اخر ايامك وقد عولت ان لا اتركك اما لي واما لك . ثم هجما على بعضهما هجوم اسود البطاح . وتطاعنا باسنة الرماح . واظهرا من براعة الحرب ما يعجز عنهُ كل فارس جحجاح . وقرم نطاح . وقد حجبهما الغبار . عن اعين النظار . وهما مشتبكان اي اشتباك . غير خائفين من الدمار والهلاك . وبقيا على هذا الشان . نحو ساعتين من الزمان . حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح . فالقياها الى بساط البطاح . وعمدا الى البيض الصفاح . لانهم اقرب الى اختطاف الارواح فوقعت على الطوارق . كوقوع الصواعق وتطاير منها الشرار . كما يتطاير من اتون النار . الى ان قرب العصر . وهما على مثل ذلك الامر . وقد استقتلا وهان عليهما شرب كاس الحمام . ولا يرجعان من ساحة الحرب بسلام . ولا سيما الامير حمزة فانهُ راى ان المطاولة تضر بهِ ولا ينال المراد الا بالجد والاجتهاد . فرمى سيفهُ باسرع من لمح البصر . وقبض على خصمهِ بيديهِ وعول ان يقتلعهُ من بحر السرج ويرمي بهِ الى الارض ففعل فرهود كفعلهِ وتقابضا على ظهور الخيول ووقعا الى الارض وهما كاسدين درغامين وبطلين عظيمين حتى قرب الزوال فطال الامير حمزة على خصمهِ واستطال . وقد اتعبهُ والحق بهِ الكلال والملال . فاخذهُ اسيرًا وسلمهُ الى اخيهِ عمر فشد وثاقهُ ورجع من ساحة القتال . بعد ان صرت طول الانفصال . وهو متعجب من شدة باس فرهود وعظم ثباتهِ . ولما راى عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ما حل بفرهود ايقنا بالهلاك وعولا على اتخاذ الوسائل للهرب والفرار فطلبا الى عساكر السودان ان ترجع الى المدينة وتبقى فيها ريثما يريان طريقة لخلاص فرهود فرجعوا جميعًا تحت ظلام الاعتكار ودخلوا البلد وهم بحزن عظيم على ما حل بسيدهم فرهود . ورجع حمزة

الى معسكرهم ودخل الصيوان وطلب الطعام فاكل حتى اكتفى واجتمع حواليه فرسانه وابطاله وجلسوا في مراكزهم حسب العادة . وحينئذٍ امر بان يقدموا منهُ فرهود فجاءوا بهِ اليهِ وهو مقيد بسلاسل من الحديد . ولما راه الامير قال لهُ ويلك يافرهود لقد تعديت واطلت العناد على حين لم يكن بيني وبينك عداوة ولا سبب موجب لاهراق دماء العباد وقد غششت بخداع عمر بن شداد وصقلان حتى القيت بنفسك الى حفر الذل والاهانة فكيف ترى نفسك الان وقد وقعت في يدي وصرت قادرًا على هلاكك وان افعل بك ما اريد فاطرق فرهود براسهِ الى الارض حياء وسقط الدمع من عينيهِ لانهُ راى ان الموت اهون عليهِ كثيرًا من سماع هذا الكلام فعرف منهُ حمزة ذلك فقال لهُ وان كنت اعرف اني لو بقيت بيدك لما عفوت عني بل قتلتني او ارسلتني الى بلاد العجم الى عدوي كسرى انوشروان فاني ارغب في خلاصك والعفو عنك لانك من الفرسان الاشداء ونفسي تأنف ان تهين بطلاً استحق العظمة والفخار فاذا امنت بالله تعالى وتركت الحقد من قلبك حللتك من قيدك واطلقتك . فلما سمع فرهود هذا الكلام من الامير حمزة زادهُ خجلاً فوق خجل وعلم انهُ صادر عن نفس كريمة ولذلك قال لهُ اني لا الام ايها الامير على قتالك فقد دفعت اليهِ بكتابة من كسرى انوشروان جاء بها الخبيثان الخنا لاني لم اكن اعرف ما انت عليهِ من كرامة الاخلاق وحسن الطوية وسلامة الباطن واني الان لا اعرف بما اجيبك وقد حملني الخجل ما لا يطاق فاما انك تقتلني فتحقك واكون قد لاقيت شر عملي وجوزيت على طيشي وتعديَّ عليك واما انك تقبلني في خدمتك كواحد من رجالك الامناء ومساعديك الذين في خدمتك واقاتل بين يديك الى ان اموت وادفن تحت التراب . وما تطلبهُ اليَّ من ان اعبد الله فهذا لا امتنع عنهُ قط بل افعل كل ما تامرني واكد ان لا دين ولا دنيا تنفصلني عنك منذ الان فقد وقعت محبتك من قلبي وما عدت اقدر ان افارقك ولا دقيقة . وساسلمك عمر بن شداد وصقلان الرومي حال وصولي الى المدينة لانهما بدون شك يستحقان القتل والصلب والرمي بالحجارة . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انهُ صادر عن نية سليمة وقلب صادق تقدم منهُ واعتذر اليهِ وحل وثاقهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ انت مخير بالبقاء معنا او الذهاب الى بلدك ومعسكرك ولا اجل بان اقدم لك احسن مقام عندي . قال اني لا ادخل المدينة الا وانت معي لانها اصبحت ملكك وصرت انا تحت طاعتك

ثم ان فرهودًا جلس على كرسي بقرب الامير حمزة وقدم اليهِ الشراب ونهض فرسان العرب واحدًا فواحدًا وصافحوهُ وسلموا عليهِ وترحبوا بهِ وقد ارتاحت اليهِ ضمائرهم ورغبوا في مصاحبتهِ ولاح لهم من معنى كلامهِ انهُ صادق في كل ما قال . ثم ان حمزة سال فرهود عن اليقظان وهل احسن معاملتهُ وكيف لم يركنهُ ويحارب عليهِ . فقال اعلم ايها الامير العظيم ان قلبي مال كثيرًا

هذا الجواد ونويت ان اهديه بلادي وملكي في سبيل وجوده على الدوام عندي وحالما وصل الي اردت ان اركبه فامتنع علي وكان يظهر العجائب فاخذتني الدهشة من اعماله وزادت رغبتي فيه وقلت انه يحفظ مودة صاحبه ومن رباه فلا يدع غيره يعلو ظهره وقلت لا بد على طول الايام ان ينساك فوضعته في مكان منفرد ووكلت بخدمته جماعة من العبيد يقدمون له العلف جيدًا ويحسنون سياسته ويعاملونه بلطف . ومع كل ذلك فاني حاولت مرارًا ان اقرب منه فيصرعه ويقوم كل من يقرب منه وقتل جماعة من خدمي . وعليه فاني اعدك ان هذا الجواد يحفظ كرامة صاحبه فلا يعلوه غيرك . فبشراك به وبشراه بك وقد حق له ان يفعل اكثر من ذلك .

فاغرورقت عينا الامير شوقًا الى جواده وتمنى ان يراه وخاف من ان عمر بن شداد وصقلان الرومي يفعلان بالجواد شيئًا فقال لفرهود اطلب اليك الان ان ترجع الى المدينة وتقبض على الشقيين اللذين فيها قبل ان يقع منهما ما يكدرنا وفي الغد انزل انا المدينة مع اصحابي وفرساني ونرى ما يكون هناك . قال اريد ان تذهب معي يا سيدي . قال هذا لا يمكن ومن الواجب ان تذهب بنفسك اولاً وتعلم قومك بما كان بيننا وبينك وتعرض عليهم عبادة الله عزّ وجلّ فمن قبل كان صديقنا ومن امتنع كان عدونا واعظم من كل شيء ان تسرع بما امكن للقبض على عمر بن شداد وصقلان لاشفي غليل قلبي منهما . فاجاب فرهود في الحال وودع الامير حمزة وجماعته بعد ان عزمهم الى ضيافته وان يدخلوا في الصباح الى المدينة وسار الى ان جاء الابواب فوجدها مقفلة فطرقها واخبر قومه بوصوله ففرحوا الفرح العظيم وفتحوا له فدخل واجتمعوا حواليه وهنأوه بالسلامة وسألوه عن سبب خلاصه فاخبر بحلم الامير حمزة وعرض عليهم ان يكونوا على محبته ومحبة الله فاجابوه وقالوا كلنا بين يديك نتبع امرك وكل ما وقع عليك يقع علينا قال اني صرت من هذه الساعة من فرسان العرب وساسير ابن ساروا واقاتل من يقاتلهم وساختار منكم من يمكنه المسير معنا وقد عاهدته على ذلك الى اخر نسمة من حياتي . ولكني لا ارى بينكما عمر ابن شداد وصقلان الرومي . قالوا اننا من حين دخولنا البلد ما رايناهما وفتشنا عليهما فلم نقف لهما على خبر فثبت لدينا انهما خافا من ان يقبض عليهما الامير حمزة فطلبا الفرار فلم نلتفت الى ذلك وعذرناهما لعلمنا انه يطلبهما دون غيرهما . فاغتاظ من ذلك وامر ان يعاد التفتيش والبحث في كل مكان ومن يراهما يقبض عليهما . فدار البحث والتفتيش في كل ناحية دون الحصول على جدوى فثبت عنده هربهم وكان يريد ان يرضي الامير بتسليمهما اليه ويقدم له برهانًا على خلوصه . ثم افتقد الجواد اليقظان فوجده في مكانه فسرّ من عدم تمكنهما من اخذه وفي صباح اليوم التالي خرج فرهود واعيان قومه الى العرب فوجدوهم يستعدون للنزول الى المدينة فالتقوا بعضهم ببعض ورجعوا امامهم وبالاختصار ان ذاك اليوم كان عظيماً جدًا فرحت به اهل المدينة فرحًا

لا يوصف وقد اخبر فرهود الامير بحكاية اللصين فاغتاظ وقال اني لا ازال ارغب ولا بد من ان الزمان يساعدني فانتقم لنفسي منهما ولكني اريد اولاً ان ارى الجواد . وحين دخلوا المدينة ساروا الى الاصطبل وامر ان يفتح له ففتح الباب ورمى الامير بنفسه عليه وعانقه وهو يبكي من الفرح واما الجواد فانه جعل يصهل ويمرغ راسه عليه وكانا كعاشقين متحابين التقيا بعد فراق طويل حتى تعجب منهما كل من راهما . ثم فك الامير قيوده واخرجه الى الخارج وسلمه الى سايسه الذي كان قد اعتاده عليه وقد هنأ الجميع اميرهم بجواده ورجعوا الى دار الضيافة وهم على الولائم والافراح وقد سروا بنهاية الحرب وقرب رجوعهم الى الاوطان

وبعد ان انقضت مدة الولائم والدعوات قال الامير لفرهود انه لم يبق في وسعنا ان نبقى في هذه البلاد اكثر من خمسة ايام ومن ثم نرحل الى حلب قال اني بانتظار امرك وسادبر نفسي في هذه المدة . واخذ منذ تلك الساعة في ان يجمع العساكر التي يريد ان ياخذها معه واقام مكانه وكيلاً على بلاد السودان من ابناء عمه واوصاه بالعدل والحلم وان يكتب له على الدوام عما يحصل في بلاده وفي نهاية الخمسة ايام ودع قومه وداعاً اخيراً وقد بكوا على فراقه وبعده واخذ عياله وجميع ما يحتاج اليه من المؤن فحمل الاحمال وكذلك العرب فانهم حملوا باحمالهم وودعوا اعيان المدينة وقد سار مع فرهود من قومه نحو ثمانين الف مقاتل وانضموا جميعاً الى علم بيكار الاشتهار ورفع فوق روسهم ونقلوا عن تلك الارض ومشوا في طريق مصر كل سيد على قبيلته يتاثرون ذاك العلم الكبير الذي كان يجمعهم وداوموا المسير الى ان وصلوا الى اراضي مصر فضربوا الخيام هناك ونزلوا للراحة وبلغ اسمدار حاكم مصر رجوع العرب منصورين ونزولهم في ضواحي المدينة فخرج في الحال مع اعيان قومه وسلموا عليهم وترحبوا بهم كل الترحيب وعملوا لهم الولائم والافراح وذبحوا الذبائح وكانت ايام اقامتهم هناك على الحظ والانشراح والفرح والمسرة ياكلون ويلهون وما من امر يكدرهم وقد مضى عليهم نحو عشرة ايام على مثل ما تقدم وفي اليوم الحادي عشر اجتمع جميع فرسان العرب في صيوان اليون شاه واخذ كل مركزه بعد ان استقر بينهم الجلوس ودار الحديث في مسائل الملوك والسلطان واحوال الشعوب ومن منهم الفائز ومن المذلول وحينئذ نهض المعتدي حامي السواحل وقال للامير حمزة اعلم ايها الامير اننا اتفقنا على امر ونريد ان نعرضه عليك ولا اظن الا انك تستحسنه وتوافقنا عليه وتسعى به معنا في الحال اذ كان لا بد لنا منه . قال قل فاني ارغب على الدوام في كل ما به الخير والنجاح لكم ولي ولقومي اجمعين قال انت تعلم اننا لا بد ان نرجع الى حلب ونقيم هناك نترقب احوال كسرى انوشروان ونعرف ايضاً ان الحرب لا بد ان تعود الى الانتشاب بيننا وبينه ما دام بختك بن قرقيش حياً لانه يستغنم الفرصة المناسبة ليحمله على الانتقام منا وان كان كسرى لا يرغب في ان يذكر له احد

العرب غير ان هذه الحالة لا تدوم مدة ولا بد من انه ينهض ذات يوم بهمة اشد من الماضي
وسلطان عظيم ومملكة واسعة جدًّا حتى انه ولو ما قصدنا الحرب فلا بد ان نقصده نحن لنمحو
وقعة الحال ولا يمكننا ان نتفرق الاّ بعد انقراض الدولة الكسروية او وقوع المصالحة وارتياح
الفكر من جهة الحرب وانقطاعها بيننا . ومن حيث ان الحرب لا بد منها ونحن حتى الساعة متفرقين
الكلمة ولم ينتظم لنا حال كالواجب تارة يتفرق بعضنا وطورًا يغيب اميرنا وعليه فقد
اعتمدنا ان يكون لنا من السلطة والعظمة ما لغيرنا ونكون كلنا تحت سلطة واحدة وراي واحد
وعلم واحد نجتمع تحته ونسير اين سار . قال اني لا اسمعكم من ذلك فانظروا فيما يوافق . قال
المعتدي ان ما يوافق لبقاء ذلك هو ان نختار لنا واحدًا نقيمه ملكًا علينا ويكون له السلطان
المطلق فينا برضانا واختيارنا ويكون على الدوام تحت العلم الاكبر ويختار له مدبرين ومشيرين
ووزراء وكما للعجم ملك عظيم واسع السلطة عند العجم يكون للعرب كذلك . قال ان هذا
يوافق حالتنا فاختاروا لكم ملكًا وافعلوا ما اردتم بذلك فانا كواحد منكم ارغب في انماء سلطتنا
وعلو شان العرب وان لا يكون كسرى ارفع مقامًا بل ربما مثلنا العظمة والسلطان الذي له الينا
قال المعتدي اننا اتفقنا واخترنا ان يكون صاحب هذا العلم انت ونحن باجمعنا من اتباعك
وفرسانك . قال هذا لا يمكن ان يكون ولا اقبله قط واذا كنت انا الملك انقرضت دولة العرب
في الحال ووقعنا في مضايق كثيرة لان من الواجب على الملك ان لا يباشر بنفسه حربًا ولا قتالاً
بل يبقى على الدوام تحت الاعلام ليعطي الاوامر ويدبر الملك الى غير ذلك واما انا فاني رجل
حرب ولا يمكن اذا وقع قتال بيننا وبين احد الاّ اكون بالاول وعليه فمن يقوم تحت العلم
ومن حوله الفرسان والابطال فضلاً عن اني لا ارغب ذلك ولا ارضاه . فراى الجميع كلامه
حقًّا ونظروا الى بعضهم وتكلموا بهذا الشان الى ان قرّ رايهم وحينئذٍ قال المعتدي اعلم ياسيدي
ان كلامك هذا هو الصواب وقد اتفقنا ان يكون الحاكم علينا ابنك عمر اليوناني . فرفض عمر
هذا الامر وقال اني كابي ارغب في كبح اعدائي وان لا ارى الحرب قائمة واتفرج عليها فاختاروا
لكم ملكًا غيري . فعادوا الى التفكر واخيرًا اتفقوا وقالوا للامير اعلم ايها السيد اننا اتفقنا اتفاقًا
باتًّا وما من عذر فيه لك وهو من اوفق ما يمكن ان نعتمد عليه وذلك ان ابنك قباط هو
ابن مهردكار ومهردكار هي بنت كسرى انوشروان فقد اخترناه علينا ملكًا لانه من نسل ملكي
اصلي وابوه ابن امير مكة المطهرة وفارس العرب واشرفهم وعليه فيكون اختيارنا في محله وما ذلك
الا من توفيق الباري . فلما سمع الامير كلامهم عرف انهم اصابوا الا انه خاف من ان يقع تحت
لوم مهردكار اذا اصيب ابنها بمصيبة فهي لا ترغب ان تفارقه ولا تريد ان يكون الا امام اعينها
بعيدًا عن الحكم والقتال ولهذا السبب منعته من ركوب الخيل ومباشرة علم القتال مكتفية بان

علمتهُ العلوم الادبية والسياسية . ولذلك قال لهم ان ابني قباط وان كان يتوافق لان يكون ملكاً فهو صغير السن لا يحسن القيام بمثل هذه الادارة وتدبير شعب عظيم كالعرب . قالوا انَّنا نعرف صغره لكننا نؤكد ايضاً انهُ اكثر ادراكاً واوسع عقلاً واعظم سياسة من اكثر ملوك العالم وافضلهم لا سيما وانهُ تحت وصايتك فما يفوتهُ تبعثهُ اليهِ وتحملهُ عليهِ فلم يرَ بدّاً من ان يظهر لهم غايتهُ فقال لهم اني اعرف موكداً انكم مصيبون كلَّ الاصابة غير اني لا ارغب في ان اقع تحت لوم مهردكار وتعنيفها فاذا وقع على قباط امر مكره تصرف كل حياتها بالبكاء وتقول لي لولاك لما وقع على ابني ما هو كذا وكذا فاذا كان ولا بد من ذلك فاذهبوا انتم اليها واعرضوا عليها طلبكم فانْ اجابت كان خيرًا والا انا فلا اخابرها بمثل هكذا امر . فقالوا لا بد من الذهاب اليها ثم اجتمع سادات العرب مجيعاً وساروا الى صيوان مهردكار فدخلوه وسلموا عليها وجلسوا بين يديها فترحبت بهم واكرمتهم واحتارت في سبب مجيئهم جميعاً دون ان يكون معهم الامير حمزة وسالتهم عن ذلك . فقالوا لها انا جئنا اليك بامر يتعلق بك وحدك ونريد ان نعرضهُ عليك وتوافقينا في الحال وبهِ الخير لنا ولابنك قباط . قالت اخبروا ماذا تطلبون . فاخذوا في ان يشرحوا لها بالتفصيل كل ما ارادوا وما دار بينهم وبين الامير حمزة من الكلام وكيف ان امر قباط منوط لخاطرها فاذا لم تقبل لا يوافق الامير . فقالت اني اعرف ان هذا الراي موافق للعرب ولا بد لهم منهُ الا انهُ لا اخفاكم انهُ حتى الساعة لم ياتني غير هذا الولد فهو عندي بمنزلة عظيمة واخاف ان يصاب بمصيبة فاقع مع زوجي بالقال والقيل لاني كارهة الدنيا واطلب الموت لا محالة فهو احب لديَّ من ان يبعد عني يوماً واحداً او اسبوعاً ومع كل ذلك كيف لم يات الامير معكم اليَّ وهو ابنهُ وشريك الراي فيهِ . قالوا اننا عرضنا هذا الراي عليهِ فاجاب انهُ يوافق كثيرًا الا انهُ قال لنا ان مهردكار لا توافق عليهِ فاخذنا على انفسنا العهدة بان ناتي اليك ونسالك في ذلك ونطلب اليكِ قبولهُ اكراماً لخاطرنا ولا ريب اذا قبلتِ انت التماسنا ورجانا سرَّ هو ايضاً . قالت وكيف ايضاً لم يحضر الامير عمر العيار قالوا لم نعرض عليهِ امر مجيئنا لعلمنا ان الامير حمزة هو اخوه وانهُ لا يرضى الا اذا رضيت انت فرضاك هو في اول الجميع فانظري في طلبنا نظر حسن الصالح فان العرب باحتياج الى ذلك فاطرقت الى الارض برهة صامتة وقد خجلت من سادات العرب واخيرًا رفعت راسها وقالت لهم انتم تعلمون ان ابني اذا اجبتكم سيصير راساً عليكم ويلتزم ان يحمل اثقال العرب جميعها ولو كنا بسلام لكان ذلك موافقاً لهُ لكننا في حروب واهوال وابوه لا ينفك عن القتال وعدوكم هو من اقوى العالم واكثر ملوك الارض رجالاً وابطالاً ولو حاربناه الى اخر الزمان وفي كل يوم شتتنا لهُ جيشاً لقدر على الاتيان بغيره وتجديد القتال ولا سيا ان عنده رجل خبيث ماكر وهو بختك بن قرقيش فاذا

[illegible] العرب [illegible] مملكة مطلقًا وسلطانًا عظيمًا ليقيمه في مقام كسرى فاخاف [illegible]
وحقيدة الحرب والقتال وربما احتالوا على قتل ملككم او اسره او ابعاده عنه اعني فلا [illegible]
حزن وابرد الى قبري كئيبة ومع هذا فانا اجيب طلبكم لكن بشرط ان يأتي معكم اما الامير
حمزة واما عمر العيار وتحلفون لي اليمين على محبة الملك وتكفلون السهر على راحته فهذا جل ما
اريده منكم وارجوكم بان لا تتكدروا والسلام

فلما سمع الفرسان والملوك كلامها سكتوا ولم يجيبوا بشيء وقد علموا انها اصابت في طلبها
هذا لان ولدها وحيد عندها وتحبهُ كثيرًا ولا تريد ان تسلم به ولا سيما لانها غريبة وما من سلوة
لها غيره وساروا من هناك وجاءوا صيوان اليون شاه ودخلوا على الامير حمزة فوجدوه بانتظارهم
فقال لهم ماذا فعلتم قالوا اننا عرضنا الامر لمهردكار فاجابت تحت شرط أن تكون انت
معنا او اخوك الامير عمر فتسلمنا قباط فنكفلهُ لها ولذلك نريد منك ان تذهب معنا اليها .
قال هذا لا يمكن ولا اريد ان اكلم مهردكار بمثل هذا الشان فطلبوا الى عمر وسالوه ان يذهب
معهم فقال لاخيه اتريد ان اذهب واكفل لها ابنها قال لا تسالني بهذا الشان فاذا شئت ان
تذهب فاذهب من نفسك فوقف عمر العيار وقال هلموا ياسادات فاني اسير معكم لعند مهردكار
واجيب الى كل ما تطلبهُ ولو نعت في ذلك حياتي ثم انهم ساروا جميعًا حتى دخلوا صيوان
مهردكار وجلسوا عندها وقالوا لها ها قد جاء معنا عمر العيار وهو يجيب الى كل ما تطلبينهُ منهُ
فالتفتت اليهِ وقالت لهُ انت تعلم بان لا ولاد لي غير قباط ولم يشأ الله ان يرزقني غيرهُ فاحبهُ
كثيرًا لكنني لا اريد ان امنعهُ عنكم بل ارى من الواجب عليهِ ان يكون معكم وفيما بينكم غير انهُ
لم يكن رجل حرب ليدافع عن نفسهِ فهل تكفل لي حياتهُ من الاعداء وان تحامي عنهُ مع الفرسان
والابطال فقال كيف وهو ابن اخي واحبهُ كروحي فاذا اصيب بسائبة كنت لهُ الفداء قالت اصبروا
حتى اتيكم بهِ . ثم دخلت داخل الصيوان وجاءت بالامير قباط وقالت هوذا سلطانكم فاقربوا
مني لاسلمكم اياه فجاءوا اليها جميعهم فاخذت اليد الواحدة وسلمتها لسادات العرب جميعًا واليد
الثانية سلمتها الى عمر العيار وقالت اني اقسم عليكم بالله العظيم رب زمزم والحطيم واستحلفكم بكل
نبي عظيم هل تخدمون ولدي خدمة امين وتحامون عنهُ من اعدائهِ وتسهرون على حياتهِ كما
يريد الله سبحانهُ وتعالى فاقسموا لها جميعهم وشدد الامير عمر الاقسام ودنا من ابن اخيهِ فقبلهُ
وقبلوا بعضهما وبكيا . وحينئذٍ سلمتهم اياه فاخذوه وساروا الى صيوان اليون شاه وسلموه الى
ابيهِ فقبلهُ وقال هذا ملككم فارفعوه عليكم وهذا الذي اخترتموه فلا امنعكم منهُ فدعوا باستدار
سادات مصر وقاموا بالولائم والافراح من اجل ذلك مدة سبعة ايام وقد زينت المدينة ابهى
زينة اكرامًا لسلطانهم الجديد وفي اخر الايام جاءوا بصولجان الملك الذي اعدوهُ لهُ فسلموه اليهِ

[illegible] من [illegible] تسببت [illegible] على [illegible] واحتملوا [illegible]
واظلموني فغضضت الطرف عنكم وحولت ان لا يذكرلي اسمكم الى آخر الايام فاتركم وشأنكم
وفي ظني انكم ترجعون عن غيكم وتذهبون الى بلادكم وتتركون عنكم كل هذا التعدي بل ترجعون
وتتفرقون . فبلغني انه كان من امركم ان تعاظمتم واتخذتم سكوتي من باب العجز والضعف
واجتمعتم واقمتم لكم سلطانًا عظيماً اقمتموه بالسلطان الاكبر وبعثتم الى البلاد التي في بني مملكتي
وتحت حكمي تعلمون ذلك وتدعوهم الى طاعتكم فعرفت وتاكدت من وزيري بختك ان قصدكم
نقل عظمة العجم الى العرب ونويتم على عزلي من تختي وانحطاطي وقرض الدولة الكسروية
القديمة العهد ولذلك اخطركم اني منذ الان ساسير في اثركم واقفي اخباركم واحاربكم الحروب
الهائلة حتى تفنون ولا يبقى منكم انسان ولي القدرة الكافية على ذلك وانتم تعلمون عظم سلطاني
وعلو شاني واقسم بتربة اجدادي الاكاسرة ان افعل اعظم ما اقول الا اذا رجعتم عن خطلكم
ونزعتم التاج عن ملككم الجديد وتفرقتم وكل واحد سار الى بلده فتحفظون بذلك حياتكم وينفصم
الشر والخصام وكفاكم ما فعلتم والخير والنجاح لمن نظر موضع النظر والويل والهوان لمن كابر
وعمل على العصيان

ولما سمع العرب هذا الكتاب سكتوا منتظرين ماذا يجيب السلطان قباط وما فهم قبل ان
يتقدم او يبتدي الى ان قال اسمعتم ايها السادات ماذا يطلب الينا كسرى فماذا تريدون ان
تجيبوا . قالوا انت الآمر فينا والملك علينا فاجب بما تختار فامر ان يكتب الجواب كما ياتي

بسم الله الواحد القهار والصلاة والسلام على انبيائه ورسله الاطهار

من السلطان قباط بن الامير حمزة فارس برية الحجاز سلطان العرب والمصريين والاحباش
ومن جاراهم الى جده كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

لقد وصلتني كتابتك واطلعت على كل ما تضمنته فاذا بها ما يدل على عتوك وتفاخرك وقد
تعجبت من ذلك مع انك تعلم ان العرب اصحاب سلطان ولهم الكلمة النافذة في كل مكان وفخرهم
مثبوت منذ قديم الازمان والاعجب من ذلك انك تعرف يقينًا اننا اعداؤك الالداء خربنا في
بلادك وقللنا من سلطانك فاذلنا من قدرك ولا نزال حتى نبيد شوكتك ونمحو عظمتك فلا
يقال فيما بعد كسرى انوشروان وتطلب الينا ترك سلطاننا كانك لا تزال الحاكم فينا او كاننا
ما برحنا في حوزتك وتحت امرك وفعلنا شيئًا مخالفًا لغايتك . والحاصل فليكن عندك اكبر
علم اننا ما فعلنا ذلك الا لننقل الفخر الذي كان للعجم الى العرب ونهدم الايوان ونقيم في المدائن
حاكمًا عليها من قبلنا ولا تندهش من ذلك لاننا عبيد الله نأمن به ونسأل منه التوفيق وهو
يبادر على اغاثتنا ومعونتنا واجابتنا الى كل ما نسأله ولو كنت تعبده لما فعلنا بك شرًا فكن

على جهر ربه فإن قبل شرابنا حول المدينة وبرشاتنا تصبح بحرنا فتردهم الى الظلام لمن احب السبيل ويكون في الاسر لنفسه واطاع امر الله بلا تشكك ولا خلاف

هذه وعندما قرأ الكتاب سرّ منه العرب باجمعهم ففرحوا الفرح العظيم ومن ثم دفعوا الكتاب الى الرسول فاخذه وسار يطلب المدائن وبعد مسيره قال السلطان قباط اعلموا ايها السادات ان كسرى لما كتب مثل هذه الكتابة الا وفي عزمه ان يحاربنا ولا ريب انه جمع القوات اللازمة وصار يعزم على حربنا واتباع آثارنا ونخاف ان يأتي حلب او يذهب الى مكة فيدكها قبل ان تعرف شيئاً من اخباره ونحن بعيدين من ديارنا وارى من المناسب ان نرحل من هذه الارض ونترقب حركات كسرى واعماله فاستعدوا للسفر حتى اننا بعد ايام قليلة نكون بعيدين عن هذه الديار . فقال الجميع انا على حضر ولا بد من مسيرنا وعلى كل فاننا ننتظر اشارة منك . ثم نظروا الى الامير حمزة فوجدوه يبكي وقد نزل الدمع من عينيه وبلّ شعر ذقنه فانذهلوا في امره وقالوا له لما هذا العمل ونحن الان في فرح لا يوصف وكل شيء لدينا حسن ومن ولدك يخرج الفخر للعرب وربما للعالم اجمع . قال اني اعرف عظم الفرح التي نحن فيه ولكني على الدوام اتذكر شيئاً واما اعد نفسي به وقد عولتم على الرحيل قبل الحصول عليه واطمئنان بالي من جهته . فقالوا ماذا تطلب واي شيء تتذكر ولا نعلمه نحن . قال انتم تعلمون جيداً اني في هذه الارض فارقت اخي اندهوق بن سعدون وكان بعهدي ان لا تطول غيبته وان لا ابارح هذه الارض قبل عودته وحتى الساعة لا اعرف شيئاً عنه ولهذا تروني ابكي ومن منكم لا يعرف فضل هذا الامير وحبه لنا وقد صرف قسماً من حياته بجد واجتهاد في خدمتنا ولولاه لما اقام شان العرب في حال غيابي . فقال الجميع لقد اصبت وانما متأ ترون من بعده مثلك ولا نعرف في اي يوم يرجع الينا ولا ماذا صار به وربما سار الى حلب او الى مكة . قال هو لا يزال في بلده فلو جاء لتبعنا الى التكرور واني اقسم بالله لا ابرح من هنا الا عندما يرجع اليّ اندهوق بن سعدون . ولا بد لي من الاستطلاع على اخباره والاستكشاف عن احواله واطلب الى اخي عمران يسرع الى سرنديب الهند ويطفئ بمجيئه قلوبنا هذه الجمرة وكان عمر العيار يرغب في ان يعرف ماذا وقع على اندهوق لانه كان يحبه كثيراً . فاجاب طلب اخيه وقال له ابشر ايها الامير فالذي تطلبه انت ارغب به قبلك وسوف اعود اليك بالخبر المفرح ان شاء الله ثم التفت الى السلطان واستأذنه بالمسير فاذن له وسار من هناك بعد ان ودعهم جميعاً ولا زال في مسيره الى ان قرب من سرنديب الهند فنظر الى بعد عن وادٍ قريب واقع بين آكام تلك الجهة فعرج اليه وكان لابساً ملابس الدراويش حتى من رآه لا يمكن ان يعرفه ولو كان اخوه حمزة فتقدم من احد الحراس وسأله لمن هذا المعسكر . قال لاندهوق بن سعدون

وهو من كرماء الناس يكرم الضيوف ويحب الدراويش ويغم عليهم فدونكه . ففرح عمر عند سماعه هذا الكلام وايقن بنجاح سفرته من اولها وتقدم الى صيوان كبير مفتوح الابواب من الحرير الاخضر ولما قرب من الباب وقف فيه فوجد اندهوق جالسًا ومن حوله ثلاثة ملوك من ملوك التركمان فدنا عمر الى بين يديه وسلم عليه ثم طلب احسانه ومدحه واثنى على كرمه فاعجب من انصاحته وامر ان يدفعوا له سمائة دينار فدفعوها فاخذها على يديه وجعل ينظر فيها كأنه غير راضٍ بها . فقال له اندهوق كأن لم يعجبك هذا المقدار من المال . فقال كلا فانه لم يرضني واري من العيب على رجل عظيم مثلك ان يعطني مثل هذا العطاء القليل . فتكدر اندهوق وقال غير هذا العطاء لا اعطي فاذا قبلته خذه والا فاتركه وتكون قد تركت نصيبك . قال اني لا اذهب من هنا ولا اقبل هذا العطاء . واما رجل طماع احب المال وعندي من مثلي كثيرون ينتظرون ان اجيئهم بالمال . فادفع لي حالاً ما يرضيني قال وما هو المبلغ الذي يرضيك . قال اخبرني اولاً عن قيمة المال الموجود في خزينتك حتى اعرف ماذا اطلب والا اخاف ان اطلب مبلغًا ويكون في يدك اكثر فيفوتني فزادت حيرة اندهوق ولعبت نار الغضب في قلبه منه الا انه لم يرضَ ان يكسر بخاطره لانه فقير ودرويش من رجال الله وفيما هو على مثل ذلك واذا شيحان كبير عياري عمر وقف في الباب وقال لا تكن طماعًا ايها الدرويش فتحرم نفسك من نصيبك فخذ هذا المال فيكفي لاصحابك واذا امتنعت ضربت بهم . فالتفت عمر وراه وعرف انه لحق به غير انه لم يندهش من ذلك بل قال كلا لا ابرح من هنا حتى يرضيني هذا الامير او يذهب معي الى حيث اقول له . واما اندهوق فانه عرف شيحان واندهش من وجوده وقال له من هذا وقد اشتبه فيه ربما يكون عمر العيار قال هو فخر العرب ودليلهم وبراسهم في ظلامهم الحالك . فنهض اندهوق واقفًا وسقط عن كرسيه ورمى بنفسه على عمر وسلما على بعضهما وقد ترحب اندهوق بضيفه مزيد الترحاب وابدى من المسرة ما ادهش الجميع . فقال له ايكون عطاء اندهوق الى عمر هكذا مبلغًا قليلاً قال اني ورب الكعبة لا امنع عنك شيئًا وكل ما هو لي تحت امرك خذ منه ما شئت واي وقت شئت فشكر منه عمر ونزع عنه ثوب الدراويش وتقدم من الحاضرين فسلم عليهم جميعًا واخبر اندهوق عن كل ما وقع مع العرب في بلاد السودان من الاول الى الآخر فتعجب من ذلك وقال لا ريب ان الامير حمزة موفق جدًا وان الله سيعطيه اضعاف ما اعطاه وقد علمتم خيرًا وحسنًا بانتخاب الامير قباط سلطانًا عليكم فالان تمت سعادة العرب ونالوا من المجد ما لم ينله كسرى لان في معسكرهم من الفرسان ما لم يوجد في اقطار الدنيا نظيرهم ومن ثم اخذ اندهوق يخبر عمرًا بكل ما كان من امره بعد مفارقتهم

وهو انه ما زال سائرًا بجماعته يجدون الليل والنهار حتى قربوا من سرنديب ولم يبقَ بينه

وبينها الا مسافة يوم فنزلت العساكر في تلك الارض وباتوا الى الصباح وفي الصباح نهضوا وركبهُ على ظهر فيله وامر جماعته ان يتبعوه وسار مسرعاً لوحده على امل ان يصيروا خلفه عند اتمام ركوبهم وبعد مضي ثلاث ساعات اقبل على المدينة فوجدها محصورة من كل الجهات وحولها ثلاثة ملوك التركان . فقال والله من مثل هذا كنت اخاف ولم يأخذه صبر ولا توان لانه يعرف ان هولاء الملوك ما جاءوا بعساكرهم الا عندما تأكدوا غيابة فاراد ان ينادي باسمه ويرعبهم بعمله فصاح فيهم وحمل عليهم وهو ينادي ويلكم اوغاد غير امجاد قد جاءكم قضاء الله الذي لا يرد ولا يدفع صاحب هذه البلاد اندهوق بن سعدون ساقي الاعداء كاس المنون وهزّ الرمح بيده وانحذف على التركان فاضطربوا وارتاعوا وهم يعلمون بعظم بطشه ومقدرته ويتأكدون ان وراءهُ جيوشه الجرارة وخافوا من ان يخرج رجال المدينة اذا عرفوا بوصوله اليهم فقاتلوه بخوف واضطراب ثم انهزموا امامه الى جهة الشمال وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم حتى بعدوا عن المدينة نحو عشرة اميال وهناك تأكدوا ان لا احد غيره من الفرسان في اثرهم فعادوا اليه واحتاطوا به وقوموا اسنتهم وصوبوا نحوهُ نبالهم وهو يضرب فيهم ويبدد الرجال على الرمال وقد ترك القتلى كوماً اشبه بالجبال وما زال على مثل هذه الحالة حتى لعب به التعب والملال لانه كان يقاتل الوفاً ومئات الوف وهو وحيد منفرد بنفسه وقد بعد عن المدينة وعن قومه واذ ذاك تمكن منه اعداؤهُ فقبضوا عليه واسروهُ وكبلوه بالحديد وساروا به الى بلادهم وهم فرحون غاية الفرح مسرورون بما وصلوا اليه وثبت لديهم انهم بعد ان يرجعوا الى بلادهم يجمعون ما قدروا على جمعه ويجددون الحمل على سرنديب فيفتحونها او انه لا بد لجماعته وعمه ان يقصدونهم الى بلادهم فيبددون شملهم ويخلو لهم الجو

فهذا ما كان منه ومنهم واما ما كان جماعته وعساكره فانهم بعد ان انتهى انتظامهم ساروا في اثره بترتيب حتى اقبلوا على المدينة فلم يروا حولها احداً فتقدموا من الابواب فوجدوها مقفلة فطرقوها وعرفوا بهم اهل البلد فخرجوا الى ملتقاهم وجاء عم اندهوق اليهم وسلم عليهم وسالهم عن ابن اخيه فقالوا له انه سار امامنا وفي ظنا انه دخل المدينة . فقال لا ريب انه يحارب الاعداء وقد اجلاهم عن البلد وسار في اثرهم ولا بد انهم يجتمعون عليه ويضايقونه ويأسرونه قالوا لا بد لنا من الاستطلاع على خبره لنعرف ابن راح وكيف ذهب وان كان اسيراً الى اي مدينة اخذلان بلاد التركان واسعة جداً ونحن لا يمكننا ان نتمرق فيها ونخاطر بانفسنا قبل ان نحقق باننا قادرون على خلاصه . فتوافقوا على ذلك وبعثوا بالجواسيس يكشفون لهم الاخبار

فهذا ما كان منهم واما ما كان من ملوك التركان فانهم اخذوا اندهوق وساروا به الى بلادهم

ويوصلونه في السجن ووكلوا به الحراس والعيارين وكان السجن في قصورهم يزورونه في كل يوم لينا كسن قلبه واخذوا يدبرون في جمع العساكر ليجددوا الحملة على بلاده ويفتحوها ويملكها عليهم الايام على مثل ذلك والناس ترد افواجًا افواجًا تتفرج على اندهوق بن سعدون وتتعجب من كبر جثته وعظم هيكله ويتحدثون باعماله وبسالته وصارت النساء تاتي اليه اكثر من الرجال

قال وكان لهولاء الملوك الثلاثة عدو قوي يقال له الامير ماجد بن سالم وهو كثير الاعوان وفي كل مدة يسطو على بلادهم وينهب ما تصل اليه يده منها فتقوم الحروب بينهم فتارة يفوزون عليه بالنجاح وينهبون امواله وطورًا يفوز هو ولا يدع لهم راحة الى ان كان تلك الايام بلغ الملوك ان الامير ماجد يستعد لياتي اليهم فهاجوا وماجوا واتفقوا ان يجمعوا بعساكرهم ويقصدوا الى بلاده ويفاجئونه بغتة ولما اعتمدوا على ذلك دعوا اليهم بناتهم وكان لكل واحد منهم بنت فقط وعند غيابه يعهد اليها بتدبير الاحكام عنه اذ كان لا يامن لغيرها ولما وقفن بين ايديهم قالوا لهن اننا سائرون الان الى بلاد الامير ماجد ولا بد لنا من الفوز عليه في هذه المرة تمامًا ولا نرجع عنه حتى نهلكه ونخرب بلاده وسناخذ معنا العساكر والرجال ونقفل عليكن باب المدينة فلا تدعن احدًا يدخل او يخرج قبل ان نعود نحن الى المدينة خوفًا من ان ياتي العدو الى المدينة او ربما جاء جماعة اندهوق لاجل خلاصه واياكن من ان تدعن احدًا يقرب منه او يسعى في خلاصه فوعدتهم بكل خير وانهن يحافظن على الاحكام حق المحافظة ولا يفعلن الا ما يرضيهن الى ان يعودوا الى المدينة . واذ ذاك رحل الملوك بعساكرهم يقصدون بلاد الامير ماجد وهم يؤملون بالسلب والنهب والحصول على الخيرات العظيمة في هذه المرة وبعد ذهابهم صار الثلاث بنات ياتين الديوان وينظرن في امر الدولة ويقمن مقام اباءهن الى ان كان ذات يوم طلبت احداهن ان ياتوا باندهوق الى الديوان فوافقها الثنتان الباقيتان وفي الحال احضر مقيدًا الى بين ايديهن فنظرن اليه وتفرجن عليه وكن يسمعن بذكره وعظم قدره فتاكد لديهن ذلك وجعلن يسالنه عن بلاده وقومه وهو يخبرهن بكل ما كان من امره ويحدثهن بحديث الحرب مع كسرى ووقع في قلوبهن بمركز عال وكل واحدة رغبت في ان تسعى في خلاصه لتاخذه لنفسها وتسير به الى بلاده وما من واحدة اظهرت غايتها للاخرى لكن كن يخطرن على بعضهن ذلك وبعد ان ابقينه عندهن في الديوان نحو ساعة ارجعنه الى سجنه حياء من الناس الى ان كان المساء رجعن الى قصورهن وامرن ان يوتى به اليهن وصرن يمرحن ويلعبن معه ويسالنه اذا كان يرغب بالرجوع الى بلاده وهو يجيبهن عما يفكره غير انهن كن لا يعرفن كيف يتصرفن في امره . وفي ثاني الايام اخبرن بان الامير ماجد وصل الى ضواحي المدينة وقد خالف في الطريق فلم يلتقي باباءهن فتكدرن وعظم عليهن الامر وخفن ان يفتح البلد قبل ان تصل

العساكر وقد فنيت ولم يكن الا القليل حتى حاصر البلد وجعل يرمي عليها السهام والنبال واحتاط بها برجاله من كل الجهات . الى ان كاد يفتحها وحينئذٍ اجتمع البنات الى بعضهن وقالت الواحدة اتتم تعلمون ان الامير اندهوق هو فارس عظيم وبطل جسيم وما منا ولا واحدة الا احبته وتمنته وعليه فلكي ننصف بعضنا ارى من الواجب ان نتفق نحن الثلاث ونعرض عليه انفسنا ونسأله ان يتزوجنا ويكون لنا جميعاً وحينئذٍ نطلقه ونرد اليه سلاحه ونأخذ عليه العهد بان يرد عنا الامير ماجد ويستلم البلد . فاتفقن على مثل هذا الراي ودعينه اليهن وعرضن عليه ما تقدم فاجاب انى لا ارغب في الامتناع اذا كنتن على دين الله سبحانه وتعالى وما من مانع يمنعني من الزواج او يمنعكن . فقلن له اننا على دين الواحد القهار ثم تقدمن اليه وفككن قيوده وسلمنه سلاحه واخبرنه بامر الامير ماجد فوعدهن بكل جميل ونزل الى فيله فركبه واخذ جماعة من اهل البلد ومن العساكر المتخلفة للمحافظة وسار حتى وصل الابواب فامرهم ان يفتحوها وكان عندها جماعة من الاعداء فلما فتحت قصدوا الهجوم فصدمهم اندهوق بفيله وصاح فيهم وردهم الى الوراء وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم ولما سمعوا صياحه وانه على ظهر الفيل تفرقوا عنه الى ان خرج من معه وجعل يضرب فيهم بصمصامته ويدحرج الرؤوس كالاكر على الارض حتى التقى بالامير ماجد فتجاولا واياه ساعة من الزمان ثم القاه قتيلاً على بساط الارض وهجم على جماعته ومن خلفه رجال التركمان حتى فرقوا الجميع واجلوهم عن المدينة ورجعوا كاسبين غانمين وقد لموا العدد والخيول وكل ما كان للعدو وحينئذٍ جمع البنات كبار اهل البلد وقلن لهن اننا باتفاق مع اندهوق وقد سلمنا اليه البلد وعاهدناه على ان يتزوج بنا ونكون له فمن منكم يقبل ذلك كان له الخير العظيم ومن امتنع جازاه بالهلاك والاعدام . فقالوا اننا باجمعنا نرضى ذلك ونتمناه لان مثل اندهوق من سعدون يحب ويخدم ويفدى بالنفوس . وتقدموا منه وسلموا عليه وابدوا طاعتهم بين يديه فمدحهم ووعدهم بكل نجاح وعقد له على البنات الثلاث وتزوج منهن واحدة بعد الثانية وصار ياتي الديوان وينهي ويامر واصلح شان الاحكام . وبعد نحو خمسة ايام رجع ملوك التركمان الى البلد وكانوا وصلوا الى بلاد الامير ماجد فلم يروا احداً وعرفوا انهم خالفوهم في الطريق فانحطوا على بلاده ونهبوها وما تركوا بها عقالاً ورجعوا على اعقابهم قبل ان يعلم هو كذلك في بلاده وداموا المسير حتى وصلوا الى قرب البلد فوجدوا القتلى ممددة وما راوا ولا واحداً من الاعداء فتعجبوا كل العجب وقربوا من الابواب وارادوا الدخول وكان اندهوق عرف بذلك فبعث اليهم باعيان المدينة يخبرونهم بالواقع فاذا اجابوا سمح لهم بالدخول واذا امتنعوا خرج اليهم وجازاهم بالهلاك لانه غير مسرور منهم . فخرج الشيوخ واوقفوهم عند الابواب وقالوا ان حاكمنا لا يسمح لكم بالدخول . فتعجبوا من كلامهم وظنوا بان الامير

ماجد دخل البلد فارتاعوا وسالوا من هو حاكمكم وهل لكم حكام غيرنا . فقالوا نعم انهُ لما جاءنا الامير ماجد وحاصر المدينة اتفقنا مع اندهوق بن سعدون وسلمناهُ الحكم وازوجناه ببناتكم فخلص المدينة وقتل الامير ماجد وحكم فينا بالعدل والانصاف وهو كذلك يعاملكم ولا يريد ان يجازيكم على اعمالكم معهُ الا بالخير والحسنى فاذا قبلتم بما فعل ورضيتم بزواجهِ من بناتكم . فنظروا الى بعضهم وتخابروا مليًّا وقالوا ان الامر قد وقع وصار اندهوق صهرنا وهو رجل شريف الحسب عالي النسب صاحب كرامة نادر المثال في زمانهِ وصار كواحد منا ولا يمكن ان نرى لبناتنا زوجًا نظيرهُ . ثم انهم اظهروا قبولهم ورضاهم من عمل بناتهم واندهوق فرجع الشيوخ واخبروه بما كان فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وسلموا عليهِ وشكروهُ على فعلهِ وعلى قتلهِ للامير ماجد وخلاص بلادهم وقالوا كان في ظننا انك اذا ملكت قيادك تعاملنا خلاف هذه المعاملة لاننا اسأنا اليك وتعدينا عليك مع انك لم تكن قد فعلت معنا شيئًا قبيحًا فعذرهم على ذلك وقال ان ما مضى مضى وقد صرتم الان انسبائي واقاربي وبلادي وبلادكم واحدة

وبعد ذلك عملوا الولائم واقاموا الافراح وذبحوا الذبائح ودعوا الدعوات وجددوا عرس بناتهم وتمكنت محبة اندهوق من قلوبهم وصاروا لا يفارقونهُ ولا يفارقهم مدة شهر تمام وبعد ذلك اخبرهم بما كان من امره مع الامير حمزة وكيف انهُ تركهُ ذاهبًا الى بلاد السودان وقال اني ارغب الان في المسير اليهِ فاني لا ارغب في ان ابعد عنهُ او افارقهُ فهو سيد هذا الزمان وبطلهُ وله على الجميل والايادي البيضاء . فقالوا اننا نسمع بذكر هذا الامير وانهُ عدو كسرى انوشروان وقد بدد رجالهُ عدة مرات واهلك منهم كثيرًا فاذا شئت سرنا معك الى خدمتهِ ورافقناك في سفرك ولا نرجع الا بعد ان ترجع انت الى بلادك فقال حسنًا تفعلون ثم انهم جمعوا رجالهم وفرسانهم ودبروا احوالهم واقاموا الوكلاء على البلاد واوصاهم بالمحافظة على الامن والعدل واذا جاءهم عدو يدفعونهُ واذا ما قدروا عليهِ يستعينون بعم الامير اندهوق ويكون البلدان بلد واحد واذا راوا الغلبة بعثوا بالاخبار الى بلاد حلب وودعوا اهل البلد جميعًا وخرجوا بموكب عظيم يقصدون سرنديب الهند وكان اندهوق قد بعث الى عمهِ فاخبرهُ بخلاصهِ وانهُ سيعود اليهِ بعد ايام . فلما عرف بوصولهِ خرج للاقاتهِ مع قومهِ وترحبوا بملوك التركمان ودخلوا المدينة باحتفال عظيم وسلموا على بعضهم البعض واقاموا هناك مدة ايام الى ان ارتاحوا وبعد ذلك نهض اندهوق يطلب الرحيل وقد اصحب معهُ رجالهُ وابطالهُ وفرسانهُ وودع عمهُ وسار في طريق مصر اي على الطريق الذي جاء منها حتى اذا وصل الى ارض مصر يسال اسمندار عن حمزة فاذا كان لا يزال في السودان سار في اثرهِ واذا جاء حلب سار هو الى هناك واجتمع بهِ وما سار الا القليل ووصل الى ذاك الوادي حتى جاء عمر العيار كما تقدم معنا الكلام واخبر كل واحد

الاخر ما جرى عليهِ وعلى قومهِ . وقال عمر اشكر الله يا ابن سعدون حيث رايتك بخير لان اخي يتالم كثيرًا لبعدك وهو يبكي على الدوام وكان يقصد سلطاننا السفر الى حلب فابى الامير واقسم انهُ لا يفارق مصر الا ان يعرف ماذا جرى عليك حتى اذا كنت بخير عدت اليهِ واذا كنت بضيق سار هو اليك فشكر اندهوق من محبة الامير وامر بالمسير في الحال

قال ولا زالوا سائرين بذاك الموكب وقد سدت جيوش الهند والتركمان الارض بالطول والعرض الى ان قربوا من مصر فنزلوا للراحة وسار عمر العيار ليبشر اخاهُ بقدوم صديقهِ واخيهِ اندهوق ولما اقبل على صيوان اليون شاه ودخلهُ قطب وجههُ وعبس وسلم وهو مقطب فردوا عليهِ السلام وسالهُ السلطان عن امره وعن اندهوق فلم يجب بل بقي معبسًا فعرف الامير حمزة قصدهُ وان لهُ زمان طويل ما اخذ لعيارهِ شيئًا من المال . فقال لهُ اخبر بالخبر ولك مني الف دينار . فقال السلطان واني اريدك فوقها العين فقال اسمدار ولك مني مثل ذلك وجعل كل واحد يكرمهُ بقدر مقدرتهِ . الى ان جمع مالا كثيرًا وحينئذٍ قال للسلطان اني جئتكم بالامير اندهوق وقد تركتهُ في اثري وبعد ساعتين يكون في هذا المكان فارحوا جميعًا ولا سيا الامير وخرجوا في الحال الى ملاقاتهِ واجتمعوا بهِ وقبلوا بعضهم البعض وكان لهم يومًا عظيمًا جدًا ذبحوا بهِ الذبائح وضربوا بالدفوف واختلط المقيم بالآتي وعرف اندهوق ملوك التركمان بفرسان العرب وسلطانهم وترحب بهم الامير كثيرًا وعين لهم مقامًا بين الملوك في صيوان اليون شاه وصاروا منذ ذلك الحين مع العرب كانهم منهم . واولم اسمدار وليمة فاخرة اكرامًا لاندهوق وللامير حمزة وزينت المدينة بالزين المرفهة الزاهرة . وكان عمر العيار قد دعا بجماعتهِ وقال لهم اتبعوني فقد جئت اليكم بغنيمة باردة فتاثروهُ فرحين بما سيغنمون ولما صار على اكمة عالية جعل ينثر الاموال وهم يلتقطونها حتى فرغ فتكدر وعاد حزينًا وقال لهم يا ليت اموال العالم كلها لي لكنت افعل بها كما ترون

وبعد ان صرفوا ايام الافراح في ذاك المكان ولم يعد من مانع يمنعهم عن الرحيل امر السلطان فنادى بالركوب والمسير فركبوا جميعًا بحسب مراتبهم ورفع علم بيكار الاشتهار فوق راس السلطان وطاف بهِ الحراس من كل ناحية ومكان ومشت بعدهُ الطوائف على الترتيب طائفة طائفة وكل طائفة عليها اميرها وملكها وقد سدوا الفضاء شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ومعهم من الاغنام والجمال والمواشي ما انتشر الى مسافة ثلاثة ايام ومن خلف الجميع الحماية بشير ومباشر وكان فرهود في موكبهِ ايضًا مسرورًا بمصالحة الامير حمزة وبمثل هذا السلطان العظيم وهو يتمنى ان يقع الحرب بينهم وبين كسرى ليقدم للعرب برهانًا على حبهِ وركب اسمدار لوداعهم كل ذاك النهار وعند المساء رجع الى بلاده وساروا وهم في طريقهم ينتقلون من مكان الى مكان ومن

بلد الى بلد حتى قربوا من حلب وعرف بوصولهم نصير الحلبي فخرج الى ملتقاهم وهنأهم بالقدوم ورجعوا جميعًا الى المدينة وسلم الجميع على بعضهم البعض والتقى الاحباب بالاحباب والاصحاب بالاصحاب وفي اليوم الثاني اجتمع العرب بنصير الحلبي في الديوان فسالهُ الامير عن حالة كسرى وما سمع عنهُ من الاخبار . فقال جل ما نعلمهُ عنهُ انهُ مضطرب الافكار وانهُ الان يجمع الرجال والابطال بقصد الحرب والقتال وقد عاد الى المدائن عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي واخبرا هناك باسر فرهود وتملك بلاد السودان و بلغ هذا الخبر كسرى فاغتاظ و بلغهُ ايضًا انكم اقمتم سلطانًا عليكم فزاد غيظهُ ونوى ان يعود الى ما كان عليهِ اولاً ولا ريب ان الذي حملهُ على ذلك هو بختك بن قرقيش . فقال الامير فليفعل ما يشاه فاننا لا نخافهُ ولا بد من كيدهِ . ثم امر ان تقام الافراح في المدينة و يتزوج من يريد الزواج من بنات البلد وضواحيها وكان الامير في كل مرة يفعل ذلك ليجعل حلب محطًا محبوبًا من العرب وبزيد نسلهم ويختلط الجميع ببعضهم بسبب الزواج فيصيرون اقارب واهلاً واحبابًا فقامت الافراح وتزوج في تلك الايام نحو ثلاثين الف شاب ثلاثين الف ست فكانت الاعراس قائمة في كل جهة والغناء والرقص غير منقطع من الكبير الى الصغير وصرفوا على الحظ والملاهي نحو ستة اشهر على التمام حتى غسلوا اقذار التعب والوصب والعذاب الذي لاقوه في سفرهم الى بلاد السودان ومعهم فرهود وقد راى لذة عظيمة في صحبة الامير والعرب ونسي بلاده ووطنهُ

و بعد ذلك قال الامير اننا نريد ان نعرف ماذا يفعل كسرى في هذه الايام وقد انقطعت عنا اخباره ونخاف ان يكون سكونهُ هذا لدسيسة يفعلها او خداع اخر فنوخذ فيهِ بغتة . فقال عمر العيار اني اذهب انا بنفسي كالعادة لاني اشتقت كثيرًا ان ارى بزرجمهر واقبل يديهِ وارى كيف صحتهُ فزودوه السلام اليهِ والشكر وسار يقطع الفيافي والقفار ويخترق السهول والاوعار الى ان قرب من المدائن واذا بهِ يرى الجيوش مجتمعة خارج المدينة والخيام منصوبة حولها والخيول تسرح كانها بعدد الكواكب . فقال في نفسهِ لا ريب ان كسرى يجمع العساكر لقتالنا وحربنا ونزالنا وقد اخذ مما راى كثرة الجيوش والعساكر فاخترق الاقوام المذكورة ومرَّ من بين الخيام وهو كواحد من الاعجام لا يعرفهُ احد منهم ولما وصل الى ديوان كسرى واختلط بين الحجاب نظر الى كسرى فوجدهُ جالسًا والى جانبهِ بختك واعيان العجم وملوك القبائل وكلهم يتحاورون بشان العرب ويتباحثون في شان حروبهم وبختك يزيد الطعن في العرب ويحرك من ضغائن كسرى ما استتر وعمر يسمع ويرى ويقول في نفسهِ لا بد من ان نريك كيف تفعل العرب . وبقي صابرًا الى ان انقضى النهار وانصرف كل الى قصره وسار بزرجمهر الى بيتهِ فتاثره حتى دخل خلفهُ ولما انفرد بهِ تقدم منهُ وقبل يديهِ و بلغهُ سلام اخيهِ وسلطان العرب وقال لهُ

اني اتيت مستخبرًا عن احوال كسرى ولماذا يجمع هذه العساكر . فقال لهُ اني كنت بشوق اليك لاعرف منك ما تفعل العرب واخاف ان يفاجئكم كسرى وانتم في غفلة وينال غايتهُ منكم وقد عزم في هذه المرة ان يجمع من العساكر ما تضيق الارض دونهُ ولا يعرف لهُ اول من اخر ومنتهى ما عرفت من الذين سيسيرون الى حربكم ان عددهم ٢١ كرة وقد ابتنى كسرى في هذه الايام مدينة سماها نهروان وارسل اليها افلنطوش وزوبين مع خمسمائة الف فارس من فرسانهِ لينتظرونهُ هنالك وتعوق منتظرًا داهور الهندي لان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اخبراه ان داهور هذا من اشد فرسان العالم بسالة واقدامًا لا نظير لهُ في هذا الزمان فعلق بهِ كبير امل قال عمر اني لا افارق هذا المكان حتى يصل داهور وانظره وامتحن بافكاري شجاعتهُ ولكن اريد ان اسالك كيف ان كسرى بعد ان سمع على اذنيهِ سماع ذكر العرب رجع الى عداوتنا وعمل المحاربة . قال انهُ كان اصرَّ اولاً ان يترككم وشانكم لانهُ يعرف التعب الذي يلحق بهِ من جرى تاتركم غير ان بختك عندما بلغهُ ما فعلتم في السودان تكدر جدًا وجعل يدس الدسائس لينهض همة كسرى وقد وجد وسيلة كبرى عندما وصل اليهِ الخبر بانكم اخترتم سلطانًا كبيرًا عليكم وبلّغهُ ذلك بواسطة نسائهِ فتكدر كسرى وتصور انكم ما عملتم ذلك الا وفي نيتكم نقل كرسي الاكاسرة الى مكة ونزع الملك منهُ فخاف على عظمتهِ وشرف دولتهِ فعاودت تحركت في نفسهِ دواعي الانتقام وعزم ان يفاجئكم في هذه المرة بقوة تفوق الحد واقسم انهُ لا يرجع عنكم اما بخرابكم واما بخرابهِ ولو جمع في كل يوم مليونًا من الانس . فقال عمر انما نستعين عليهِ بالله خالق الليل والنهار . ولكن اريد ان اسالك هل يوافق ان اخبر اخي بالذهاب الى نهروان قبل ان يصلها كسرى قال اني احب ذلك واذا وقع بايديكم زوبين وافلنطوش فاقتلوهما فقد طال امرهما لانهما من المكر على جانب عظيم فضلاً عن ان في نهروان مونة كسرى وعساكره وقد ارسلها الى هناك وقصد ان يجعل تلك المدينة محطًا لانتقالهِ فتكون جامعة لذخائره واحتياجات جيشهِ على الدوام

قال وبقي عمر في المدائن مدة اربعة ايام وفي كل يوم ياتي الديوان ويختلط بين الخدم والحجاب الذين كانوا كثيري العدد وعند المساء يعود الى قصر بزرجمهر ويبيت عندهُ يلتقط من كنوز جواهر معارفهِ ويتبرك من ادعيتهِ ونقاوتهِ . وفي اليوم الخامس وصل الخبر الى كسرى بقرب وصول داهور فامر بختك والاعيان ان يخرجوا الى ملاقاتهِ فخرجوا جميعًا وخرج فيما بينهم عمر العيار ولا زالوا سائرين حتى راوا العساكر قد اقبلت افواجًا افواجًا وكلها من رجال الهند الطوال القامات واكثرهم بركب الافيال والخيول العالية ورجلاه تكاد تبلغ الارض . فتقدم عمر ليرى داهور الهندي فوجد بختك قد وصل اليهِ وسلم عليهِ وترجل الجميع للسلام فنظر فيه

وقيمة فاعجبه جداً فاخبره بعمله وعرف انه من ابطال الحرب والقتال نادر المثال في زمانه وراه طويل القامة جداً يزيد عن اطول رجال قومه نصف ذراع عريض الاكتاف جداً واسع الصدر طويلة كبير الراس وعليه من السلاح المتين ما لا يقطع فيه السيف اليماني ولا تخترقه الصواعق الشداد . وبعد ان راى عمر ما راي قال في نفسه يلزم اولاً السعي وراء التدبير وما من الحسن ان ابقى في الديار بعد ان شاهدت ما شاهدت من صعوبة الامر ولا بد من الاسراع الى اخي لادعه ياتي نهروان قبل ان ياتيها كسرى حيث لا يزال مشغلاً بالاستعداد وبداهور . ثم اطلق ساقيه وضرب الارض برجليه فخرج يجري كانه فرخ النعام حتى وصل حلب بقليل من الايام ودخلها بسلام واذا به يرى العرب مضطربين عليه لانهم رأوه قد تعوق عن العادة فخافوا ان يكون قد وقع في ايدي الاعجام كون عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرمي من اكثر اهل الارض خداعاً فيمكنهما ان يتوصلا الى معرفته وكلهم بقلق زائد وكدر لانه اذا فقد لا تعود تقوم لهم قائمة ولا سيما ان كسرى انوشروان متكدر منه جداً ويرغب في هلاكه ولو بذل نصف ملكه . ولما رأوه فرحوا كثيراً وسلموا عليه وسالوه عن سبب عاقته فاعاد عليهم كل ما راى وسمع من الوزير بزرجمهر واخبرهم عن داهور الهندي وعظم جثته فقال حمزة نحن لا نخاف عظام الهامات والاجسام واني اريد الان ان نذهب الى نهروان ونستولي على المهمات والذخائر وناسر افلنطوش وزوبين ونهلكهما مع الذين معهما قبل ان تصل عساكر كسرى اليها . فمن منكم يوافق على ذلك فاجاب الجميع اننا تحت امرك وامر سلطاننا فاذا امرنا سرنا في الحال وما زال علم بيكار الاشتهار يجمعنا فكيف مشى نمشي من حواليه . وحينئذ امر الملك قباط ان يستعد الجميع ليرحلوا على عجل في صباح اليوم التالي وعند الصباح ركب السلطان على جواده واحتاط به حراسة والى جانبه عمر العيار كوربر اعظم وبين يديه عياروه وخدمة ورفع علم بيكار الاشتهار فوق رؤوس الجميع ومشت المواكب والكتائب افواجاً افواجاً وكلهم كالبحور الزواخر من طوائف مختلفة وزمر متعددة بعضهم عرب بادية وبعضهم مصريون ومغاربة وهنود واحباش واكراد وتركمان الى غير ذلك . وداموا المسير الى المساء ونزلوا على بساط القفار وضربوا المضارب والخيام للمبيت وبعد ان اجتمعوا في صيوان السلطان حسب العادة لصرف السهرة نهض الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني وتقدم من عمه السلطان وقال له اريد منك ان تسمح لي بالذهاب في مقدمة الجيوش وان اتقدمكم اولاً لان من اللازم ان يسبقكم احد الفرسان ليشغل افلنطوش بالقتال قبل ان تاتوا حيث ان كثرة عددنا لا تدعنا نسير بالعجلة الواجبة فلما سمع ذلك الامير حمزة اعترضه قبل ان يجيبه السلطان وقال له لا يجب ان تنفصل عنا وتتركنا ولا اريد منك الا الطاعة على الدوام واذا سرت وحدك لا يمكن ان تنال المراد واذا قسم الجيش الى شطرين لا يوافق ومن

الصواب ان نبقى كلنا الى بعضنا ولو تعوقنا بزيادة ثلاثة ايام . قال اني اطيعك ياسيدي بكل شيء الاّ في هذا الامر فلا لاني عزمت كل العزم ان لا ارجع الا بعد ان انال مرادي ولا بد لي من ان اسبقكم واسير في هذه الليلة لان لي تارًا على زوبين الغدار وافلنطوش واريد ان اشفي قلبي منهما . فقال له اهل ان امك حملتك على هذا العمل واخبرتك بما كان من امر زوبين معها قال اني اعرف انه عدوها والحت عليّ ان اركب في مقدمتكم بجيشي واسير فوعدتها بذلك ولا يمكن ارجع مطلقًا ولو قطعت اربًا اربًا . فغضب الامير حمزة من عمل طوربان ودعاها اليه في الحال فجاءت وسلمت وسالته ماذا يريد . قال ان ابنك اخبرنا انك سالته الذهاب امامنا الى نهروان ليحارب زوبين الغدار ويلقي بنفسه في مواقف الاخطار . قالت نعم اني فعلت ذلك ولا انكره . قال كيف يهون عليك ان تخاطري به الى هذا الحد فاذا قتل تعدمينه وليس لك سواه فضلاً عن انك تريدين ان تحمليه على العصيان ومخالفة امرنا . قالت معاذ الله من ذلك وحلّ ما اريد ان يسعى خلف المعالي لينالها وانت تعلم ان زوبين اراد الغدر بي وفعل معي افعالاً لا يمكن انْ انساها الى اخر الزمان ولا سيما عندما قصد حرقنا بالنار وحرق اولادنا وعليه فان ابي كان قد مات من تلك الايام فزيادة عمره كانت من الله وخير عندي لمن يموت تحت ظل السيوف من ان اراه متقاعدًا عن اخذ تاره ومتكلاً على غيره ولا اريد قط الاّ ان يذهب لوجده اولاً ويشفي غليل قلبه وقلبي . فلما سمع الامير حمزة كلامها تكدر منها وعنفها بالكلام وابى ان يسمح لابنها بالذهاب فخرجت غضبى ونويت كل النية على الدهاب والسفر في تلك الليلة

وبعد ان نام الامير حمزة بنحو ساعتين جاءهُ الامير عمر العيار وايقظه من نومه وقال له ان الامير سعدًا قد ركب بجماعة الاكراد وسار فطلبت اليه ان يرجع فابى فهو عنيد جدًا لا يسمع ولا يصغي . فامر الامير ان يأتيه بابنه عمر فسار اليه ودعاهُ الحابه ولما جاء قال اريد منك ان تذهب الى ابنك وترجعهُ عن السفر . قال اني لا افعل ذلك وقد نهيته فما قبل لانهُ محب لامه فامهُ لا تقبل الا ان يسير في الاول وعندي ان ندعهُ وشانهُ ففي الصباح نسير في اثره ومهما سبقنا لا يسبقنا بكثير فلا يبعد عنا كثيرًا . فسكت الامير وهو غير راضٍ من الامير سعد ومن عناده وخائفًا عليه انْ يرمي به جهله في حفرة الخطر فيعدمهُ وهو من الابطال الاشداء . وعند الصباح امر العساكر ان ترحل والفرسان ان تركب فرفعت الاحمال وركبت الرجال وساروا يتقدمون خلف الامير سعد الى جهة نهروان . وكان الامير سعد بعد رجوعه الى معسكره امر الغضبان رئيس الاكراد ان يستعد للرحيل ويأمر الرجال بالمسير بعد قليل ففعل وبعد ان تنصف الليل ركب وركب الغضبان وطوربان وساروا فشعر الوزير عمر العيار به لانهُ كان

ساهراً على المعسكر فاعترضة فلم يستفد شيئاً وبقي سائراً بجد واجتهاد وهو يتمنى ان يصل الى بهرولن ليأخذ لنفسه بالثار من زوبين الغدار وجده افلنطوش المكار ولما وصلوا الى قرب معسكر الاعجام كان الوقت ليلاً . فوقف سعد ونظر اليهم ثم قال لاخوا علي اني لا اريد ان اضيع هذا الوقت عبثاً وفي نيتي ان اكبس الاعداء وارميهم بالفشل قبل اتيان الصباح قالت افعل ما انت فاعل قال اذاً ننقسم الى ثلاث فرق ونهجم عليهم بغتة فانا اتكنى بالامير حمزة وانت بالاندهوق بن سعدون والغصبان بالمعتدي حامي السواحل واذا رأى الاعداء ذلك ظنوا ان العرب اجمعهم كبسنهم موقعوا بالارتباك وتفرقوا فاستصوبت رأيه وانقسم الاكراد الى ثلاثة اقسام كل عشرة الاف في ناحية تحت امرة واحد . وبينما كان الاعجام نائمون وهم آمنون من حوادث الايام ولم يكن يخطر لهم قط ان العرب تصل اليهم او تعلم بهم واذا بالامير سعد قد انحط عليهم كأنه قضاء الله المنزل واطبقت العرب من كل ناحية وعملوا في اعدائهم السيوف والصوارم واشغلوهم بالصياح والصراخ وارعبوهم رعبة عظيمة فاستيقظوا خائفين هائمين واسرعوا الى خيولهم فركبوها وحملوا يدافعون عن انفسهم وهم بارتباك عظيم والامير سعد يفعل بهم كما تفعل النار بالقش اليابس وينادي انا الامير حمزة العربان فارس فرسان هذا الزمان فيقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وقد ترك القتلى كالتلول بين يديه وكل من وقع امامه كان جزاؤه الاعدام . ومثل ذلك فعلت طوربان والامير غصبان وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم الى ان اشرق النهار وبان العدو من الصديق وحينئذٍ نظر زوبين وافلنطوش ان عدد الآتين قليل جداً وكانا قد ركبا جواديهما وتقدما للاختباء في جهة المدينة مع كثير من فوقهما ولما تحققا الخبر عند الصباح وعرفا ان لا حمزة هناك جمعا فرسانهما من كل باح وقاتلا كل ذاك النهار الى المساء وقد قتل في الليل نحو خمسين الفاً من الاعجام وفي النهار تبتوا ولم يقتل الا القليل وفي اليوم التالي اصطف الصفان وترتب الفريقان وكان عدد جماعة افلنطوش نحو اربعمائة وخمسين الفاً والاكراد ثلاثين كما تقدم فحملا على بعضهما البعض حملات اسود الغاب . واضرما نار الهلاك والعذاب . واشتد الدمار والوبال . وعظمت الاهوال وضاقت الاحوال . وكثر القيل والقال . ودارت عساكر الاعجام بالاكراد . وعملت فيهم بالسيوف الحداد ولولا الامير سعد وطوربان . لما ثبتوا ساعة من الزمان . لانهما كانا يفرقان الجيوش فيطرحانها على بعضها البعض ويبددانها على تلك الارض ثم يعودان الى جهة العساكر فيريانها قد اهتزت وتأخرت فيقويانها ويدافعان عنها الى ان يقوما في وسط الجموع وزوبين وافلنطوش يصرفان الجهد الى مسك طوربان وولدها ويصيحان بالعساكر ان تهجما عليهما حتى ضاقت من الاكراد الانفاس . ووقعوا بالقنوط والياس . وايقنوا بالهلاك لا محال . اذا لم يطلب

النهار سريعة الارتحال . وقد خاب رجاء الامير سعد من قومهِ وعرف انهُ لا يبقى حيًّا الى المساء الا اي كان هو وامهُ طوربان فقط وقد تعبا كل التعب لانهما قاتلا جيشًا عرمرمًا كثيرًا وارادا ان ينالا المراد وكانت طوربان عالمة بانها هالكة فارادت ان تموت شريفة ولا تؤخذ اسيرة وجل غايتها ان تصل الى زوبين فتقتلهُ او يصل اليهِ ابنها فيعدمهُ الحياة و بعد ذلك اذا قتلت او قتل ابنها فلا اسف عليها وقد خافت كل الخوف من ان تعدم هذه الغاية ومن ان يحل بها مصاب قبل هلاك زوبين

وفيما هما على مثل ذلك وعساكر الاكراد ترجع الى الوراء والامير سعد وامهُ في وسط الاعداء وقد داروا حواليهما كالبناء المرصوص ووطدوا العزم ان لا يرجعوا الا بهلاكهما او اسرهما وذوبين من افرح الناس بذلك وهو يتعجب من اعمال سعد ومن حملاتهِ التي تزعزع الجبال . واذا بالاصوات قد خرجت من طرف البر وعساكر الهند قد اقبلت وهي مسرعة طالبة القتال وحملت باسرع من ريح الشمال وفي مقدمتها فارسها الاوحد وبطلها الامجد وقد حمل على الاعجام حملة الذئب الكاسر او الاسد الزائر وقد فرّق الجموع واملاهم بالويل والفناء وكساهم اثواب الفشل والضناء وهو ينادي ابشر ياسعد فقد جاءك الاندهوق بن سعدون يسقي الاعداء كاس المنون . وكان من خلفهِ فرسانهُ وملوك التركمان . فحملوا من كل ناحية ومكان . حتى ارتجت من حملهم الارض واتسع على الامير سعد وطوربان المجال فطالا واستطالا وضربا في الاعجام بالصارم الصمصام . وابلياهم بالهلاك والاعدام . وصارا هما من ناح والاندهوق وملوك التركمان من ناح . حتى زاد الصراخ والصياح . ولحق بهم التأخر وعدم النجاح . فعولوا على الهرب والفرار . قبل الهلاك والبوار . غير ان الامير سعد وجماعتهُ سدوا عليهم الطرقات . واحاطوهم بجيوش الممات . وطوربان تخترق الصفوف . وتبدد الالوف . وتود ان تلتقي بزوبين الغدار لتسقيهُ كاس البوار . غير ان ابنها الامير سعد سبقها اليهِ وهو عامل على الهرب . وسد في وجههِ كل مذهب . وضربهُ برمحهِ فقلبهُ عن ظهر الجواد . فادركهُ بعض رجالهِ وشد كتافهُ وربطهُ بالحبال . وبعد ذلك التفت طوربان بابيها فعوّل ان يضربها بسيفهِ كيدًا وبغضًا لما رآها تفعل هذه الافعال فاخذت لنفسها الحذر منهُ ورمتهُ الى الارض واخذوهُ اسيرًا وقرنوهُ الى صاحبهِ وصديقهِ بالغدر والخيانة زوبين الغدار هذا والقتل عامل في الاعجام من كل ناح وقد سد الله في وجوههم طرق الهرب فلم يعرفوا كيف يسيرون . ولا في اي طريق ينجون . وسعد كالاسد الكاسر لا يقع نظرهُ على واحد الا وانحط عليهِ واعدمهُ الحياة باقل من رمشة عين او اسرهُ وسلمهُ لاصحابهِ وكان من جملة الذين اسرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي

هذا وما جاء العصر من ذاك النهار وفي الاعجام من يقدر على الدفاع وقد فنيوا عن آخرهم

تقريباً ولم يبقَ منهم الا النزر القليل الذي لا يذكر ليوصل الخبر ومن ثم اخذ العرب في ان يجمعوا الاسلاب والغنائم والخيول وقد التقوا ببعضهم البعض وسلم الامير سعد على اندهوق ابن سعدون وشكر من غيرته وحبه وكذلك طور بان مدحه جداً وقالت له لولاك ايها البطل الاوحد لما نجونا قط بل كان لعب الحاق بنا وخسرتمونا فقال من مثل هذا كان يخاف الامير حمزة وقد بعثنا في اثرك في اليوم الثاني لاننا سرنا كل النهار وعند المساء امر السلطان بالنزول والمبيت في ارض على جانب الطريق فامتنعت انا واخبرت الامير بان في خاطري ان اسير في اثركم فاستحسن هذا الراي واذن لي بالمسير خلفكم وان لا اتهامل او اتعوق في طريقي بحيث لا يبقى بيني وبينكم الا مسافة يوم وفي هذا اليوم لا يقع عليكم التأخير ففعلت الى ان ادركتكم وانتم على تلك الحالة والحمد لله الان على سلامتكم وخلاصكم ونوال المراد من الاعداء الاوغاد ولا ريب ان الامير وسائر العرب سيسرّون جداً بالذين اسرناهم ويزول الهم عنهم وينتقمون منهم . فقال سعد كيف لا واني اريد بيدي ان اقتل زوبين الغدار واجازيه على فعله القبيح وكذلك جدي افلنطوش حيث لم يشفق على امي وعليّ بل اراد ان يحرقنا وينتقم منا ظلماً وعدواناً وبغضاً واما نحن فاذا قتلناهُ فبحق واستحقاق قصاصاً على عمله . وبعد ذلك رجع العرب الى الخيام . ونزلوا فيها للراحة والمنام . واكل الطعام . وكان الفرح عاماً شاملاً الجميع وهم بانتظار السلطان وكان الاعجام الذين نجوا من المعركة ساروا هرباً في طريق المدائن يقصدون كسرى انوشروان حتى وصلوا وهم متقطعون من عشرة وعشرين ينادون ويبكون ويولولون وقد عرف الجميع بما اصاب الاعجام في نهروان ولما وقفوا امام كسرى سألهم بالتفصيل عما حلّ بهم فاخبروه من الاول الى الآخر وان ابن عمواسر وزوبين الغدار وعمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسكاما وورقا وكثير غيرهم من الاعيان ولم يبقَ من الجيش احد فاضطرب واي اضطراب وقام وقعد وارغى وازبد وجعل يلوم بختك وقال له ما قدمت لي رأياً الا وكان به العذاب والهلاك فستطالبك النار بدم الذين قتلوا وهلكوا من قومنا ولا سيما ان العرب يقتلون ابن عمي في هذه المرة لانه وقع بايديهم فبرّد الله روح آبائك واجدادك بوادي الثلج وابعدهم عن لهيب النار . قال اني لا استحق ياسيدي لهذا الملام والتوبيخ فما دبرت الا حسناً ولم اكن اعرف من ابن علم العرب بان عساكرنا في نهروان واني اعدك ان في هذه المرة ستنقرض هذه الطائفة انقراضاً تاماً ولا يبقى منها انسان وذلك من سيوفنا وسيوف داهور الهندي وقد تجمع عندنا الان نحو ٢١ كرة وكل كرة مائة الف عنان وهذا العدد كافٍ لان يبيد فرسان الارض قاطبة واما خوفك على ابن عمك فهو من الاوهام لاني اعرف جيداً ان العرب لا تمد اليه يداً خوفاً منا ومن سطوتنا ولا يقدرون ان يرفعوا يداً على رجال الدولة الكسروية العظيمة . فامر ان

تستعد العساكر للرحيل حتى في مدة سبعة ايام تركب ونسير الى هلاك العرب وخلاص ركبه
ونزع علم بيكار الاشتهار منهم وان نجمع المؤن والذخائر مجدداً لان باستيلاء العرب على نهروا
يستولون على كل ما فيها من المؤن والذخائر . فامر كسرى بذلك وان يكون الجميع على اه
الرحيل والسفر في اليوم السابع .

قال هذا ما كان من كسرى ولنرجع الى العرب فان الامير سعد احضر في المساء جد
وزوبين وجعل يوبخها ويشتمها ويتوعدها بالهلاك والموت وهما لا يعرهان بكلمة وزوبين يب
ويتندم وهو لا يلين ولا يصغى . وقد قال لها لو كان امركما بيدي لقتلتكما لا محالة ولكن أمر
عائد الى جدي الامير حمزة وبعد قليل يكون هنا ولا ريب انهُ يقتلكما ويمحو من الارض ذكر
فقد تعديتما عليهِ كثيرًا . وقد اذاقهما من العذاب اشدهُ وجعل يراقبهما بنفسهِ خوفًا من الخلاص
وبقي على ذلك مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لاح علم بيكار الاشتهار عن بعد واشرقت انوا
تضيءُ في الفلا من تكسير نور الشمس على جوهرتهِ الكبيرة الوهاجة وعلى عموده الذهبي المصقو
الوضاح . فخرج اذ ذاك اندهوق والامير سعد وطوربان وملوك التركمان وتقدموا الى ملاق
سلطان العرب ومن معهُ ولما وصلوا ترجلوا وسلموا فالتقاهم الامير حمزة واولاده ومن معه
وسألوهم عما اصاب الاعجام فاخبره اندهوق بالنصر وبالاستيلاء على كل ذخائر الاعداء وباس
زوبين وافلنطوش وعمر بن شداد وصفلان وسكاما فسرَّ سرورًا لا مزيد عليهِ وساروا جميعًا ا
ضواحي نهروان . فنظر الوزير عمر في البر فاختار مكانًا عظيمًا موافقًا لهم وامر ان تضرب الخيا
فيهِ وتنزل العرب هناك ويسرحون انعامهم في مراعيهِ ففعلوا ولم يكن الا القليل حتى امتلأت
تلك النواحي وضربت الخيام كل امير الى ناحية وكل ملك الى جهة وفي الوسط ضرب صيوا
اليون شاه وهو اعلى من الجميع على اعمدة من الذهب متوجة بالجواهر الكبيرة التي لا يوجد مثلها
بين عالم الانس الاَّ جوهرة علم بيكار الاشتهار الذي ضرب عند بابهِ . وبعد ان استقرَّ بهم المقا
عاد اندهوق فاخبر حمزة بما فعل الامير سعد وكيف بدد شمل الاعداء واسر زوبين . فقال
سعد اننا كدنا نهلك لولا يدركنا اندهوق ويساعدنا ويخلصنا من ايديهم . فقال الامير نحن
نعرف ذلك ونعرف ان جهلك يلقيك بالمخاطر وان كنا نتاكد فيك الشجاعة والبسالة التي
لا توجد بغيرك من فرسان هذا الزمان لكن يجب من الان فصاعدًا ان تطيع اوامرنا و
تعصاه والاَّ ولا تكون معنا . فقال لهُ ياجداه انت تعرف ما فعل زوبين الغدار مع امي في قد
الزمان وكيف قصد اذلالها واهانتها ولو لم يخلصها ابي لكان فعل ما فعل وبعد ذلك غدر بج
وبهردكار وبنا واخذونا هو وافلنطوش الى المدائن واعتمدوا على هلاكنا بالنار لو لم يسارع عم
العيار الى خلاصنا فكيف اسمع مثل هذه الاخبار واسكت عن اخذ الثار ولا سيا ان امي تدفعن

اليه وتحركني عليه ولا تريد ان احدًا ياخذ لها بثارها الاّ انا وهي لتشفي غليل قلبها من قتلها . وها قد انقضى الان الامر ولم يبقَ الا صدور امرك بقتلها لينا لا جزاء غدرها . فسكت الامير وعرف ان الحق بيدها وان قتل زوبين ورفاقه لا بد منه

ومن ثم امر السلطان ان تقدم الاسارى لبين يديه فجاءوا بهم مقيدين مذلولين مهانين ولما رآهم الامير حمزة والعرب تحركت فيهم شهوة الانتقام وقال لهم الامير حمزة قد آن اوان قتلكم وستجازون على فعلكم . فقال له زوبين وعلى اي شيء نستحق القتل وما فعلنا معكم شيئًا وقد خدمناكم مدة واخلصنا لكم الود وعبدنا عن صدق نية الحكم الذي لا اله الاّ هو فلم تقبلوا منا ذلك وكنتم تعاملوننا ببرود وعدم ركون وذهبتم وتركتمونا غير ملتفتين الينا كاننا من بعض العبيد على ان لو عاملتمونا كانفسكم لوجدتمونا صادقين معكم ولا اظن انكم تجازون الامناء بالقتل وانتم المتعدون على ما يريده الله سبحانه وتعالى ولا ريب انه يتكدر من اعمالكم ولا يعفو لكم هذه الخطيئة الاّ اذا اصلحتم معنا الماضي وصرتم تعتبروننا كاننا من امراء العرب ويركن الينا كبيركم وصغيركم ولا احد منكم يفكر اننا من اعدائه . فقال عمر العيار ان الزمن الاول قد مضى ولا طمع لكم بالخلاص قط . فقد عرفناكم وعرفنا انكم من الاشرار الاشقياء من جبلتكم الخيانة والخداع ولولا اخي حمزة لما تركناكم في ذاك الزمان لان كلامكم لا نصدقه ولا يمكن ان نصدق الكذب قط بل نعرفه واما الان فان امركم عائد الى خاطر السلطان قباط سلطان العرب ووليهم . فقال السلطان لا بد من محاكمتكم فاذا كنتم كما قلتم وكان الحق معكم عفونا عنكم والاّ حكمنا عليكم بالقتل او بالقصاص حسب ما استحقيتم ثم ان السلطان قباط اقام مجلسًا للحكم مركبًا من اسطون الحكيم والملك اسطفانوس جد عمر اليوناني وثلاث ملوك التركمان والنجاشي وفرهود ملك السودان . وقال هؤلاء ملوك ولا يمكن ان يحكموا ظلمًا وعين في اليوم الثاني محاكمة المجرمين فمن كان له دعوى عليهم فليدعِ في ذاك الوقت

ولما كان اليوم الثاني وجاء الوقت المعين جلس مجلس المحاكمة واحضر المجرمون مقيدين بارجلهم الى الحضرة وحينئذٍ تقدمت في الاول طورمان وادعت على ابيها وروبين بانهما كانا في الاصل على وفاق عليها وان زوبين اخذها غدرًا وخيانة وقصد اغتصابها فجاء عمر اليوناني وخلصها وبعد ذلك لما غدروا بنا وقادونا الى المدائن ونووا كلهم النية على قتلنا وهلاّ كنا بعد ان اذاقونا مرّ العذاب . فقال زوبين اني ما غدرت بها قط وان كنت قد غدرت بها فقد سامحتني في المرة الاولى ولم تطلب الانتقام مني وحيث تركت حقها فلا حق لها من هذا الوجه واما من جهة الغدر فما غدرنا قط ولكن اغتظنا من عمل العرب معنا وكدرنا احتقارهم لنا فعلنا ما فعلنا واما امر احراقهم في المدائن فهذا لا يعنينا لكن من خصائص كسرى الملك الاكبر لان

امر الهلاك والبقاء عائد اليه ولا امر ولا علاقة لنا به ومثل ذلك قال افلنطوش ثم اخبر حمزة بما فعل معهُ سكاما وورقا وعمر بن شداد وصقلان . والحاصل ان في النهاية حكم المجلس بوجوب قتل الجميع لانهم خائنون وجزاء الخائن الاعدام وطلبوا الى السلطان ان يامر بقتلهم . فقال اني اوافق على ذلك لانهم يستحقون القتل لا محالة ولا اظن ان الله سبحانهُ وتعالى يحاسبنا على قتلهم ولو كانوا كما يدعون على دين الحق مع انهم يكذبون بذلك فما هم الا من الاشرار الكذابين غير اني لا اريد قتلهم الا بعد ان ياتي كسرى ويتحقق وقوع الحرب بيننا وبينهم وارغب في هذا ان اقتلهم على مرأى من كسرى والاعجام فيعرفون احتقارنا لهم وتحرق قلوبهم عليهم ولا سيما قلب كسرى على ابن عمهِ ليتاكد بختك اننا ما فعلنا ذلك الا لتريهُ انهُ اذا وقع بايدينا فعلنا معهُ ذلك . فلم يعترض عليهِ احد في ذلك واخذ المجرمون الى مواضعهم الى ان ياتي كسرى وبقي السلطان قباط وجماعتهُ في ذاك المكان مدة سبعة ايام اخر بانتظار العجم الى ان ظهر لهم غبارهم وقد سد الفضاء وملأ الجوّ الاعلى فعرفوا بوصولهم وحينئذٍ امر السلطان ان يرافقهُ الفرسان الى اكمة عالية ليروا جيوش كسرى ويشاهدوا داهور الهندي الذي حكى لهم عنهُ عمر العيار فجاؤوا مكانًا عاليًا مطلاً على الطريق واذا بجيوش كسرى اخذت في ان تتقدم وتتوسع في تلك الأرض وهي منتشرة كالجراد والاعلام تلوح من تحت الغبار ولا زالوا في تقدمهم حتى وصلوا من مكان متسع فضربوا خيامهم ونزلوا على جانب منهم وقد نظروا الى داهور وهو على ظهر الفيل وشاهدوا طولهُ وعرضهُ فتعجبوا منهُ وتاكدوا انهُ من الابطال الصناديد اصحاب البطش والقدرة العظيمة وصدقوا ما قالهُ عمر العيار وما منهم الا من حسب لهُ حسابًا . وقال الامير حمزة اني اقول ان في الدنيا كثير من الفرسان الذين امتازوا وفازوا ولا يقال ان هذا بطل الزمان فقد يوجد بدون شك اعظم منهُ ولا يعرف من هو الاول بينهم . ثم انهم رجعوا الى الخيام ينتظرون وقوع القتال

قال واما كسرى فانهُ نظر الى معسكر العرب وشاهد تلك الترتيب والعظمة التي هم عليها فقال لبختك انظر الى العرب فانهم يتظاهرون بالعظمة ويباهون كانهم من الاكاسرة واني لا انظر الى علم بيكار الاشتهار الا وينفطر قلبي ويتكدر خاطري ولا اعلم في اي زمان احصل عليهِ او انزعهُ من اعدائي . قال لا ريب اننا في هذه المرة نقلع اثار العرب ونبيدهم عن اخرهم ونرجع شرف الفرس وننصب العلم امام صيوانك . فاكتب الان كتابًا وارسلهُ اليهم واطلب ارجاع العلم المذكور وتهددهم بالفناء او يتفرقون ويسلمونك العلم ومهردكار وطوربان وحمزة واولادهم من نسائنا ولا ريب انهم شاهدوا كثرتنا وراوا ما اخافهم واضاع عقولهم واخبرهم انك تعفو عن كل من يطيع ويرجع عن مصاحبة العرب وتكافيهُ بالانعام الزائد . فاستحسن كسرى ذلك وكتب

كتابيًا الى سلطان العرب يأمرهُ ان ينزع التاج عن راسهِ ويحضر الى ديوانهِ صاغرًا فيعفو عنهُ وعن امهِ مهردكار واما ابوه حمزة فلا بد من قتلهِ وقتل عمر العيار ويطلب ان يأتيهُ ايضًا بعلم بيكار الاشتهار ويامر الفرسان المجتمعة ان تتفرق كل واحد الى بلاده فيتخلص من غضب الاعجام ومن الانتقام . وعند ما انتهى من كتابة هذا التحرير بعثهُ مع رسول الى السلطان قباط فاخذهُ الرسول وجاء معسكر العرب ودخل صيوان الببون شاه ووقف باحتشام بعد ان ناولهُ المكتوب فاخذه قباط وفضهُ ثم دفعهُ الى وزيرهِ ليقراه علنًا ففعل حتى سمعهُ الجميع وحينئذٍ قال الملك للرسول اذهب الى مولاك وقل لهُ ان لا جواب عندنا الا الاسمر الهندام والصارم الصمصام واننا ما جئنا هذا المكان الا لاجل محاربتهِ وفي كل نيتنا ان ننزع منهُ الملك ونلبسهُ ثوب الذل والهوان وليكن موكدًا عنده انا سنجعل المدائن خرابًا ونهدم على راسهِ الايوان ونبيد عن وجه الارض كل من لا يعبد الله العزيز الجبار

قال فرجع الرسول الى معسكر الاعجام ووقف بين يدي كسرى واعاد عليهِ كل ما سمعهُ وما راه من العرب وسلطانهم فغضب الغضب الزائد واقسم بالنار ذات الشرار ان لا يبقي من العرب ديارًا ولا من ينفخ بالنار . وامر العساكر ان تستعد تلك الليلة وتبات على نية المباكرة الى القتال والطعن والنزال وكذلك العرب فانهم هيئوا نفوسهم للحرب ودبروا ان يقتلوا الاسارى في الصباح فنصبوا في وسط الميدان ايوانًا من الخشب يظهر من كل الجهات ويعلو عن الارض نحو ذراعين . ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح فتقدم الفرسان لياخذ كل واحد مقامهُ ومرتبتهُ . وقبل ان يتم الانتظام احضر عمر العيار وجماعتهُ الاسارى باجمعهم ورفعوهم على ظهر الايوان وهم موثقين بالحبال واذ ذاك تقدم حمزة العربان وهو على ظهر جواده اليقظان ورفع صوتهُ ونادى بافصح لسان هيا فانظر يا كسرى انوشروان ماذا يجري بفرسانك واعيانك وابناء عمك وسوف يحل بك ما يحل بهم عن قريب من الزمان . ثم جرد حسامهُ من غمدهِ وهجم على ذلك الايوان وقبل ان يصل اليهِ سبقتهُ طوربان وصاحت يالثارات الشرف والناموس من هذا الخائن المهان . وضربت روبين الغدار بالصارم البتار . فقسمتهُ قسمين . والقتهُ الى الارض قطعتين . وجعلت تقطعهُ بحسامها قطعًا وهجم مثلها باقي ابطال العرب وكان حمزة قد قتل افلنطوش وقتلوا هم الباقين وقطعوهم اربًا اربًا . ولما راى كسرى ذلك طار الشرار من عينيهِ وكاد يغمى عليهِ وصاح من ملوء راسهِ بفرسانهِ ان تحمل على العرب وهو يلعن بختك ويذم الزمان بغيب عن صوابهِ من جرى قتل ابن عمهِ افلنطوش

هذا وقد حمل العرب على العجم والعجم على العرب . وهاج زاخر بحر المنايا واضطرب . وتحرك سلطان العذاب والكرب . ونادى منادي الويل والحرب . وانفتح ميزاب الهلاك وانسكب

واحتطم صحيح الراحة وانقلب . وثبت قوي الجنان ونادى وانتسب . وتاخر ضعيف القلب يبحث عن طريق الهرب . وكان ذاك اليوم من الايام المشهورة . وحربة من الحروب المعدودة المذكورة بها سطا الامير حمزة سطوة جبار . ورمى الاعداء بشهب الهلاك والبوار . وقد دخل من اليمين فخرج من اليسار . واهلك في طريقه نحوًا من الفين من الاعجام الاشرار . ثم عاد فدخل ثانية في عباب تلك البحار . وفعل مثلهٔ فرهود البطل المغوار . وقد قتل كثيرًا من ذلك الجيش الجرار . والقى بالوف من الفرسان على بساط القفار . واما اندهوق بن سعدون الاسد الكرار . فقد عمل عمل الاحرار . اصحاب العظمة والوقار . وارعب بفعلهِ قلوب الكبار والصغار . والمعتدي حامي السواحل فانهٔ انزل بالاعادي الاخطار . ورماهم بسهم الذل والعار . وعمر اليوناني ابن الاخيار . وولدهُ سعد صاحب البطش والاقتدار . فانهما صبغا من الدماء بالاحمرار . واشعلا في قلوب جماعة كسرى مواقد النار . وكشفا عن ضعفهم غطاء الاسرار . وتكللا باكليل المجد والفخار . ولم يفعل اقل من فعلهما عمر الاندلسي والملك النجاشي وبهير وماشر فقد كشفوا الاستار وعززوا من العرب رايات الانتصار . وكذلك باقي فرسان العرب فقد خاضوا الغبار . وفعلوا افعالا تحير الافكار وتدهش الانظار . وتورخ في صحائف التواريخ مدى الادهار . وتذكر في محافل الملوك باعظم اذكار . ودامت الحرب قائمة الانتشار . وكلما تقدمت ساعات النهار . وعلت الشمس ذات الانوار . كلما اشتدت افعال الحرب بالاضرار . وزاد اشتباك المتقاتلين طلبًا للاختصار . وتحرك حقد المتحاربين الى الانتقام واخذ الثار . وطاف بهم عزرائيل الموت ودار . وحام فوق رؤوسهم غراب البين وطار . ونادى منادي الموت الا هبوا الى الرحيل عن هذه الديار . فقد فرغت الاجال والاعمار . وجاء يوم الحساب المسطور في دفتر الاقدار . وكانت الدماء تتدفق كالامطار . وتجري في اقنية الارض كالانهار . وتلتقي بعضها فتضطرب كاضطراب البحر الزخار . فاكتست الارض لونًا بلون البهار . وتغطي وجهها فلم يعد يعرف لهٔ من اثار . ولا زال القتال شديد الوقوع الى ان اكتست الشمس شعار الاصفرار . وعولت الى الاختفاء خلف حجاب الاعتكار . وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال . وترك المتقاتلان القتال . وهما لا يصدقان بالخلاص من جور ذاك اليوم الكثير الاهوال . العظيم الاحوال . ورجع داهور الهندي بعد ان قتل كثيرًا من العرب وانزل بهم العطب ولو وجد ثلاثة فرسان مثلهٔ في فرسان العجم لفازوا بالمطلوب ونالوا المرغب . لانهٔ على ما يقال من طبقة الامير حمزة في القتال . واشد منهٔ صبرًا عند النزال . الا انهٔ لم يكن لهٔ من التوفيق ما كان لذاك

وعندما رجع الى معسكره واجتمع في صيوان كسرى ودار بينهم حديث العرب قال بختك اني سررت اليوم فيما رأيت من عمل داهور الهندي والحق يقال انهٔ اعظم بكثير من فرسان العرب

فما قصد كتيبة الاّ فرقها ولا طلب موكباً الا ومحقه . فقال كسرى انوشروان اني رأيت ذلك وشاهدتهُ الا اني ما رأيت داهور قتل فارساً من العرب الا بعد مجاولة ومطاولة ولكن رأيت من العرب ما ادهش النواظر وحير الخواطر . لانهم كلهم فرسان عظماء وملوك وابطال يندر وجود مثلهم فقد قتلوا كثيرًا من فرساننا واوقعوا بنا التأخير والعناء وكنت اتحرق من عمل حمزة وقلبي يتكدر من صولاتهِ وجولاتهِ وكلما قتل فارساً احترق من اجلهِ قلبي ولعب بي الغضب وتمنيت ان اكون واصلاً اليهِ لاعدمهُ الحياة واجعل اخر ايامهِ من هذه الدنيا غير اني كنت لا استفيد الا زيادة تحرق وتحرك . فقال داهور في هذا اليوم راى العرب افعالي ومع ذلك فاني ما اظهرت كل قوتي ولا فعلت كما اريد بل جعلت اختبر قتال العرب واما في ساحة القتال ومع اني اعرف على ما رايت من فرسان العرب انهم نخبة ابطال هذا الزمان ويندر وجود مثلهم في الهند والصين والحبشة وكل مكان لكني اعدك بالفوز والنصر عليهم وقد اختبرت كبيرهم وصغيرهم وعرفت عيار شجاعتهم ورتبها بشجاعتي فعرفت بما ازيد عليهم . فسر كسرى منهُ وامل بالخير والنجاح وقال لهُ اذا جئتني بالامير حمزة واخيهِ عمر العيار وهبتك نصف ملكي لان الاول اذلني واخذ بنتي واموالي بالرغم عني وبدد لي كثيرًا من جنودي وخرق حرمتي واخيرًا قتل ابن عمي واعز الناس عندي وعمر ايضاً فقد قتل مرزباني الاكبر ورفاقهُ وترك بلادي حتى اليوم بلا مرزبان وما من واحد يقدر ان يقوم بهذه الخدمة الا بعد ان يدرس قاعدة الدين عشرين سنة قال لا بد من قتل عمر العيار والامير حمزة وكل فارس وبطل من اعدائك ولا ادع احدًا يخاصمك

فهذا ما كان من كسرى وقومهِ واما ما كان من العرب فانهم رجعوا في المساء فرحين وقد اشتغلوا قلوبهم في ذاك اليوم وتاملوا بالنصر والظفر ونوال المراد وقد دعا الامير حمزة اليهِ طوربان وقال لها حيث قد قضي غرضك ونلت مرادك من قتل عدوك فما من حاجة بعد الى ان تقاتلي معنا لاننا لا نرغب في ان يقال عنا اننا نستنجد نساءنا مع ان ما من ضرورة تدعونا الى ذلك وكلنا ابطال وفرسان وفينا الكفاءة الى الدفاع والهجوم . قالت اني اطيع امرك واصغي اليك اصغاء صحيحاً لاني كنت لا اطيق ان اذكر او ارى زوبين الغدار وكلما لاح في خاطري ما عملهُ معي وكيف غدر بي اخيرًا واخذني للذبح والحرق يطير صوابي واتمنى ان اشرب جرعة من دمهِ وكنت اخاف ان يقتل من غيري ولذلك كنت احرك ولدي على عداوتهِ وبينما الرضعة كنت احكي لهُ خيانة هذا الغادر حتى اذا صار بهِ الكفاءة قتلهُ وفرّج كربي . ثم التفت حمزة الى ولدهِ عمر اليوناني وقال لهُ اني لا اذن لك بعد الان ان تدعها تباشر حربًا وقتالاً بل تبقى في خدرها كباقي النساء . قال اني اطيع امرك ولكني لا اريد ان اعارضها بشيء ومهما ترغب فيهِ

تفعله لانها سيدة كريمة ذات تعقل وآداب وبسالة وحكمة ومن كان مثلها لا يملك بل يملك . فقال الامير سعد اني لا ادع امي تباشر حرباً ما زلت انا حياً الا اذا دعتها الضرورة الى ذلك وحكم القضاء به . ورجعت طوربان الى خدرها ومعها ابنها الامير سعد وهي فرحة به وقد طفئت جمرة غضبها وخمد اضطراب افكارها . ونام المتقاتلان في ذاك المكان يحارسان تحت مشيئة الرحمان . الى ان اشرقت شمس اليوم الثاني وضربت طبول الحرب والقتال . فاصطف الصفان . وترتب الفريقان . واشار سلطان العرب بالهجوم فهجمت الفرسان . كانها اسود خفان والتقى الجيشان والتطما كانهما بحران زاخران . فقامت القيامة من كل ناح . ونادى منادي الموت وصاح وعملت في الصدور عوامل الرماح . وفي الرقاب البيض الصفاح . وانقضى ذالك النهار على مثل اليوم الاول بل اكثر . فيه ارتفع شان العرب اي ارتفاع . واتسع مجدهم اي اتساع

قال وباتوا تلك الليلة على مثل ما تقدم وعند الصباح عادوا الى القتال وداموا على مثل هذه الحال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن قاتلوا الى اخر النهار وفازوا فوزاً عظيماً وقتلوا كثيراً من الاعجام وفي المساء عادوا الى الخيام وقد تكلموا بقرب تشتيت الاعجام وانقراضهم الى اخر الايام . واما كسرى وقومه فانهم اجتمعوا في الصيوان الكبير . وقال كسرى اننا في كل هذه الايام ما فزنا بنجاح ولا نلنا بعض مرام . وعلى ما اظن اننا سنغرق كما في مثل غير مرة ولم ار داهور البطل المشهور يفعل ما كان ينتظر منه . فقال بختك انه فعل وما قصر وهو يريد ان يترك العرب الى ان يتعبوا ويسكروا بخمر فوزهم ثم يضربهم فيبددهم ولا بد من ذلك عاجلاً كان او آجلاً . فقال داهور ان سبب التاخير هو كون رجال العرب فرسان وجبابرة وما منهم الا من يحسن الضرب والطعن والجولان كاشد فارس عجمي وعليه فلو كان رجالك من الثابتين اثناء الحرب والقتال لفزنا بالمطلوب . وحيث قد وصل الكيل الى حده فاني في الغد سابرز بنفسي واطلب اليهم النزال وان تاتي اليّ فرسانهم ومن جاء يقتلته في الحال ولا ريب اني بذلك ابيدهم ويعلم العالم اجمع اني وحدي الذي كسرت شوكة العرب وازلت سلطانهم فلا يجسر احد فيما بعد على مقاومتك ويعرف ان في خدمتك كثير من اعظم فرسان العرب . فقال له لا تطل مدة الحرب فان صبري قد فرغ وفرساني تقتل يوماً بعد يوم فوعده بختك عن داهور بكل ما يريد وانصرفت الجمهرة وذهب كل واحد الى صيوانه الى ان كان اليوم الثاني وفيه نهض العرب والعجم وتقدموا الى ساحة القتال وقبل ان يتم ترتيبهم وانتظامهم خرج داهور من بين رجاله وتقدم الى الساحة القتال وبين يديه موكب عظيم من الرجال والخدم وعندما صار في الوسط وقف وامر خدامه ان تتاخر والتفت هو الى جهة العرب واشار اليهم طالباً براز ابطالهم وفرسانهم

ومناديًا الامير حمزة في اولهم . ولم ينته من كلامه حتى سقط اليه الامير وصدمه صدمة جبار عنيد . وبعد ان تجاولا كثيرًا بالكلام اصطدما والتقيا والتحما وصاحا وهمها . وبربرا ودمدما . وتطاعنا بالرماح الطوال . وقد احدق بهما الرجال . ينظرون نهاية هذه الحال . وما منهم الا من قوم سنانه . واوقف جواده موجهًا الى جهة العدو عنانه . حتى اذا اصاب فارسه منكرًا صاح وهجم . وحمزة وداهور في قتال عظيم . ونزال جسيم . احر من شهاب نار الجحيم . وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان . كانهما كفتا ميزان . وقد ارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن النظار . ووضعهما تحت حجاب الاخطار . وقد ضاقت منهما الانفاس . ووقعا بالقنوط والياس . حتى تقصفت في ايديهما الرماح . فاعتمدا على البيض الصفاح . وجرداها من الاغماد . وارسلاها تخيل لتغمد في الاوراد . فلله درهما من بطلين شديدين . وجبارين عنيدين . واسدين درغامين . وفارسين هامين . تعلمت منهما الفرسان . كيفية الحرب والطعان . وقد نظروهما يدخلان من اضيق الابواب او يخرجان . سالمين من نكبات الزمان ولم يقدر احدهما ان يرجح على الاخر في قتاله . او يزيد عليه مقدار ذرة في نزاله . وتحيرت منهما الالباب . واخذ الجميع الاعجاب . هذا وكسرى ناظر الى ما يقع بين الفارسين وقد علق املاً كبيرًا بموز داهور لما راه شديد الباس امام حمزة لا يميل ولا يتزعزع وقد قال لبختك الان يظهر فعل داهور واذا قتل حمزة انتهينا من حروب العرب واذللناهم الى اخر الايام . قال سوف ترى ما يرضيك الا تراه شديد البطش والاقتدار قد شغل حمزة واوقعه بالارتباك ولم يبق له من بين يديه خلاص . ولا نجاة ولا مناص . وكذلك سلطان العرب والفرسان فانهم راوا ما لم يكن لهم في حساب . واضحوا في شدة قلق وارتياب . ينتظرون النهاية وانقضاء النهار ليرجع الامير بسلام لانهم خافوا عليه كل الخوف لما شاهدوه من شدة قتال داهور واما الامير حمزة فانه بذل جهده في قتال خصمه وابدى كل ما عنده من الشجاعة والاقدام وتاكد ان داهور من اشد الفرسان الذين لاقوهم في زمانه . وانه يرجح عليه بالثبات والصبر على القتال . واشتد الضرب حتى لم يعد يرى بينهما الا شرارًا يتطاير الى الجو الاعلى من وقع السيوف على الطوارق . وتلهثا وتنهدا وتنفسًا . وقد اخذهما التعب والملال . وضعفت منهما الاوصال . وفيما هما على مثل هذه الحال . راى الامير ان فيل داهور قد نفخ بخرطومه في الارض فاطار ترابها بكثافة ثم لاحه وقصد ان يضرب به اليقظان . فاسرع الضربة سيف من يده على ذاك الخرطوم الذي لا تعمل به الصوارم ولا تخرقه الصواعق فقطعه نصفين . وفي اثناء ذلك رفع داهور يده بالحسام وتمكن من ان ضرب به حمزة باسرع من ريح الشمال فوقع على راسه وقطع الخوذة واصاب الدماغ وشعر الامير كان راسه قد طار . ورات فرسان العرب ما حل باميرها فصاحت وارتمت باسرع من لمح البصر وفعلت مثل ذلك فرسان الاعجام وقد امرها كسرى ان

لا تخلى عن داهور الذي رجع في الحال فقدم له قومه فيلاً اخر فركبه وعاد الى الحرب والتقى بالامير سعد فصدمه واخذ معه في القتال والطعن والنزال. واما الامير فانه رجع الى الوراء واخذه عمر الى صيوان مهردكار ودعا له في الحال باسطون الحكيم ليضمد له جرحه فنزع الخوذة عن راسه وشاهد ان الجرح بليغاً فجعل يصع له الماء البارد والامير يتوجع ويتالم ويتحرق وقد ايقن بالهلاك وقرب الاجل لان الجرح كان في مكان مميت والضربة شديدة

هذا وفرسان العرب والعجم في قتال شديد وحرب تملك الزرد النضيد . وقد اشغل سعد داهور والباقون اشغلوا قلوبهم من الاعجام وانزلوا عليهم سلطان الفناء والاعدام . وما منهم الا من يتمنى ان ياخذ بثار الامير في ذلك النهار ويشفي فواده من الاعداء الاشرار . غير ان قصر الوقت حال دون المطلوب . والشمس مالت الى جهة الغروب . وطلبت الاحتجاب والاختباء . غضبة مما وقع في ذاك النهار من الهلاك والفناء . وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع العرب والعجم عن القتال والعرب لا يصدقون بان يروا اميرهم حياً وقد شغلت افكارهم واضطربت قلوبهم ولما وصلوا اليه وجدوه يتالم ويتوجع وراوا الجرح بليغاً جداً فخافوا من قرب اجله وجعلوا يبكون وينوحون عليه ويتوجعون لاجله . ولذلك عقدوا شورًا فيما بينهم . واجتمعوا عند السلطان فقال لهم اعلموا اننا اذا بقينا على القتال اما نفوز واما نتاخر لان داهور يريد ان يديم البراز فيصطاد واحداً بعد واحد ولا بد من النظر في امرنا وان كنا نكمل النجاح ونقول ان لا بد من ان واحداً من فرساننا تساعده العناية عليه لكن بعد ان نخسر غيره وجل ما يهمنا ان ننظر في حال ابي الى ان يشفى ومن الصواب ان نترك هذه الارض ونرحل الى حلب او الى مكة فاذا اصاب ابي مصاب لا نفرح ولو ملكنا المدائن وقتلنا الف رجل مثل داهور وكسرى وبختك . فقال سعد اني ارغب في البقاء ودوام الحرب ولا بد لي من قتل داهور واخذ ثار جدي منه . وجعل كل واحد من الامراء والملوك يبدي راياً واختلفوا في ذلك وحينئذ قال عمر العيار ان الراي في ذلك للسلطان ولا نعرف ماذا يكون لنا في الاستقبال ومن الصواب ان اذهب الى الوزير بزرجمهر واعرض عليه امرنا واستشيره في ذلك لانه رجل خبير وحكيم عاقل ينظر في الامور بعين النظر ويعرف بذكائه وخبرته كيفية المصير فاستصوبوا رايه وتركوا الحكم لبزرجمهر وللسلطان . وفي الحال غير عمر زيه وسار الى ان وصل الى صيوان كسرى فوجد اعيان الفرس بحظ زائد وكسرى يضحك من داهور ويقدمه اليه ويقول له اني اعترف بانك فارس فرسان هذا الزمان ولا يوجد مثلك قط لان ما من فارس او بطل قدر ان يجرح حمزة وجهاً لوجه في ساحة النزال الا انت وقد اشفيت لي فوادي في ضربتك هذه . قال سوف ترى ما ابدي لك في عساكر الاعجام وفرسانهم وان حمزة والحق يقال من الفرسان الاشداء لم ترَ عيني

اقدر منهُ او اشد باعًا من باعهِ لانهُ ضرب فيلي ضربت قطع لهُ خرطومهُ وإذا لم يكن ضرب سيف زمانهِ الا هذه الضربة فاني اعترف لهُ بوحدانية الشجاعة لان جلد الفيل لا تقطع فيهِ الصوارم ولا السهام فهو اشد من الحديد صلابة . فقال بختك ان حمزة لا بد ان يموت من هذه الضربة لان الجرح في راسهِ وجرح الراس بعيد الشفاء . قال كسرى اذا مات وهبت داهور نصف مالي ومملكتهُ في ملكي وفي كل ما يريد من بلادي

ودام الحديث بين الاعجام الى ان انقضت السهرة وانصرف كل الى صيوانهِ وسار بزرجمهر الى صيوانهِ وهو متكدر الخاطر حزين القلب تكاد الدنيا ان لا تسعهُ وفي ظنهِ ان عمرًا لا بد ان يقصدهُ في تلك الليلة ولما دخل الصيوان دخل خلفهُ عمر وقبل يديهِ وعرض عليهِ واقعة الحال وما هو جارٍ على الامير من الوجع والالم . فقال لهُ اني اشور عليكم بالرحيل من هذه الديار وان تقيموا في مكة المطهرة الى ان يشفى الامير وما من نفع في بقائكم في هذه الارض فقد قتلتم كثيرًا من رجال الاعجام غير انكم لا تقدرون على قتل داهور فهو بطل لا نظير لهُ في زمانهِ ولا بد من ان ياتيكم الفرج وانتم في مكة المطهرة ويظهر لي ان العناية لم تشاء الان ان تسعدكم بل بدأ الطالع نحسًا . ثم دفع اليهِ قارورة دواء وقال لهُ خذ هذا الدواء وادفعهُ الى اسطون الطبيب فهو يعرف كيف يستعملهُ وما من باس على اميركم فسوف يشفى ويعود الى الحرب كما كان . فمدحهُ عمر وقبل يديهِ وودعهُ وكرَّ راجعًا وجاء صيوان العرب فوجدهم بانتظاره . فاعاد عليهم ما كان من امر الوزير بزرجمهر وانهُ يشور عليهم بالسفر والرحيل الى مكة المطهرة في نفس تلك الليلة فاجاب الجميع ونهض كل الى غرفتهِ وطائفتهِ ليسرعوا بالرحيل قبل الصباح وسار عمر الى صيوان اخيهِ حمزة فوجدهُ على حالهِ فدفع الدواء الى اسطون فاخذهُ وسكب منهُ على الجرح فارتاح الامير . وحينئذٍ حملهُ على هودج فوق ظهور البغال وهو ملقى على ظهره فوق فراشهِ وعنده مهردكار تلازمهُ وتخدمهُ واسطون يعالجهُ ويبرد من جروحاتهِ . وعند ذلك ركب السلطان وامر ان ترفع الاحمال على البغال وتسير العساكر بالمحل فنعلوا دون ان يخرج منهم صوت ويسمع لهم غوغاء وضجة ولم يكن الا القليل حتى اخلي معسكر العرب تلك الارض وسار في طريق مكة المطهرة كما اشار عليهم الوزير بزرجمهر . وعند الصباح نهض الاعجام ونظروا الى نحو العرب فلم يروا منهم واحدًا فاسرعوا الى كسرى واخبروهُ بذلك فعقد ديوانًا واجتمع عندهُ الاعيان والملوك وقال لهُ بختك ها قد صح ما كنا نرجوهُ فان العرب هربوا من هذه الارض لما رأوا ان لا نجاة لهم وان اميرهم قد مات او قارب الممات وعندي من الراي ان نرسل خلفهم الديادبة لنعرف الى اين يسيرون فنتأثرهم ونقاتلهم الى ان نفنيهم دفعة واحدة ما زال عندنا البطل داهور يزيل عنا الضيم ويقهر لنا الاعداء ولا بد من ارجاع علم بيكار الاشتهار واخذ طوربان

ومهردكار والاستيلاء على الاموال والغنائم وكل ما هو عندهم . فارسلوا الديادبة لكي تراقبهم فساروا وبعد يومين عادوا واخبروهم انهم رحلوا وا في طريق مكة ليقيموا هناك فقال بختك لقد صدق قولي فانهم لا يقصدون ذاك المكان الا بعد ان يقطعوا الرجاء واليأس ومن ثم اتفق رأي كسرى وجماعتهِ على المسير الى ارض مكة وملاحقة العرب الى ان يفنوا عن آخرهم واخذوا يتهيئون ويستعدون للمسير خلفهم وفي آثارهم وكسرى يزيد من اكرام داهور الهندي .ومن تعظيمهِ واعتباره ويعدهُ المواعد الحسنة

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من العرب فانهم داموا في مسيرهم مدة ايام حتى وصلوا الى مكة وعرف اهل المدينة بقدومهم فخرج الجميع الى ملتقاهم من الكبير الى الصغير مع الامير ابرهيم امير مكة وعند وصولهم الى العرب تقدموا من علم بيكار الاشتهار وسلموا على السلطان والفرسان وسألوا عن حمزة فاخبرهم عمر بانهُ مجروح في راسهِ وان الجرح عظيم الاهمية لكنهُ سليم العاقبة لا خوف منهُ . فتكدر الامير ابرهيم من ذلك الا انهُ كان من الاتقياء فشكر الله على كل حال وسألهُ ان يشفيهُ ويعلق كل امله بهِ . ومن ثم عادوا الى تلك الارض المقدسة فدخلوها وضربوا خيامهم فيها ومن خلفها وسرحوا بانعامهم واغنامهم .واقاموا للراحة ينتظرون شفاء الامير والفرج الموعود بهِ من عالم العناية .وما مضى الا ايام قليلة حتى قدر الامير على الانتباه والتمييز فرأى امهُ واباهُ عندهُ وزوجاتهِ وفرسانهُ فاحتار في ذلك وقال ابن انا الان فقالوا لهُ في مكة عند ابيك وامك . فاظهر الغيظ وقال كيف جئتم هذا المكان والبستمونا العار عند الاعجام ولا بد لكسرى ان يقول ان العرب هربوا خوفًا من داهور وان كنت قد جرحت لهنا فان بينكم مثلي كثير وكلكم تقدرون على قتال داهور فلما الخوف والهرب .فقالوا وحياتك ايها الامير ان الهرب لم يكن بخاطرنا وجل ما كنا نرغب ان نديم القتال الى ان نفني او تفنى الاعجام الا ان بزرجمهر اشار علينا ان نرحل عن نهروان ونأتي هذا المكان الى ان تشفى انت ويأتينا الفرج من العزيز الرحمن . فلما سمع ذلك قنع وعذرهم وقال لهم اخيرًا انتم تعلمون ان كسرى متقوٍ الان بداهور وقد رأى عمل ما عمل فزاد طمعهُ بنا ولذلك لا يتركنا ولا بد لهُ من ان يأتي هذا المكان لمحاربتنا ونزع علم بيكار الاشتهار لاسما واخذ مهردكار وطوربان وتفريق سلطتنا وارجاع العرب الى الذل والهوان ولذلك اريد منكم ان تهتموا بانفسكم وتعتمدوا على بعضكم البعض لتلاقوهُ الى ان اكون قدرت على الحرب والقتال فوعدوه بانهم يفدون بنفوسهم امامهُ الى ان يموتوا عن آخرهم

ومضى على ذلك شهر من الزمان والعرب في ذاك المكان وحينئذٍ جاءت اليهم الاخبار بان كسرى قرب من المدينة المنورة بجيوشهِ الجرارة ومعهم داهور الهندي .فاهتم العرب واخذوا

في ان يحصنوا الى ان وصل الاعجام ولاحت راياتهم واحتاطوا بالمدينة وضربوا خيامهم في ضواحيها واخذوا لانفسهم الراحة كل ذاك اليوم وفي اليوم الثاني جلس كسرى في صيوانه واجتمع اليه كل اعيانه ووزرائه واعوانه فامر بختك ان يكتب كتاباً الى العرب يغلظ عليهم بالكلام ويامرهم بالطاعة ونزع العصيان فاجاب طلبهُ وكتب في الحال

من الملك الاكبر كسرى انوشروان سلطان سلاطين هذا الزمان الى الامير قباط ابن الامير حمزة البهلوان

اعلم ايها الامير انكم قد اعتديتم وجرتم وظلمتم وتماديتم وقصد ابوك عنادي فتهاملت عنهُ وشفقت عليهِ فعكر ان ذلك عن عجز مني او ضعف في فرساني فصرف كل همتهِ الى عنادي والتعدي عليَّ وفعل افعالاً قبيحة جداً لا مجال لذكرها الان حتى اخيراً لقي شرَّ عملهِ وقتلهُ داهور الهندي الذي لا يصطلى لهُ بنار ولا مثيل لهُ في هذه الايام . وعليهِ فاني اطلب اليك قبل كل شيء ان تسلمني علم بيكار الاشتهار وبنتي مهردكار وبنت ابن عمي طوربان التي قتلتم ابوها افلنطوش واحرقتم قلبي عليهِ وتردوا الي كل الاموال التي هي عندكم وفي يدكم وتدفعوا ليدي كل ما هو متاخر عليكم من الجزية منذ عشرين عام الى هذه الايام . وفي الاخير توثقون عمر العيار بالحبال وتسلموه عن طوع واختيار لاقتلهُ واخذ لنفسي منهُ بالثار . وبعد كل شيء تتفرقون فيذهب كل ملك الى بلاده وقومهِ فاعفو عن الجميع واحسب ان لا عداوة بيننا فاذا فعلتم ذلك كان الخير والنجاح لكم وسلمتم من غضبي ونلتم رحمتي وشفقتي فاني اقسم بالنار ذات الشرار وبكل نجم دوار انهُ قبل ان تمضي ثلاثة ايام ازحف عليكم بجيشي وكل ابطالي وفرساني فافنيكم عن اخركم واسحقكم كالدقيق واخرب مدينتكم ولا ادع للعرب اسماً يذكر مدى الايام ولا يخفاكم ان عندي داهور الهندي وحيد عصرهِ ونتيجة دهره وقد وعدني ان يفعل باجمعكم كما فعل باميركم فارسلوا اليَّ الجواب حالاً حالاً

وبعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب عرضهُ على كسرى فاعجبهُ وختمهُ بخاتمهِ وارسلهُ مع رسولهِ الى السلطان قباط فسار به حتى دخل صيوان البون شاه وتقدم الى ان وقف امام السلطان فسلم بترتيب واحتشام ودفع اليهِ الكتاب . فلم يقبل السلطان ان ياخذهُ منهُ بل اراد ان يعرفهُ ان اباهُ حيّاً فقال لهُ ادفع الكتاب الى ابي الامير حمزة فارس العرب واميرها فارتاع الرسول لانهُ كان يعلم ان حمزة قتل وكل الاعجام يتصورون ذلك ويتوهمونهُ فالتفت واذا بهِ يراه بعينهِ جالساً في الديوان الا انهُ متغير الالوان بسبب مرضهِ حيث لم يكن قد شفي بعد الى النهاية . فتقدم منهُ وقبل يديهِ واعطاه الكتاب فاخذهُ منهُ وناولهُ الى ابنهِ قباط وقال للرسول الا يظن قومكم وملككم اني مت وانتهى عمري قال نعم ياسيدي ولذلك تحيرت وارتبت عند ما

سمعت باسمك . وبعد ان قرأ عمر العيار وزير العرب الكتاب وفهم الجميع معناه فما منهم الا من اغتاظ واضطرب من كلام كسرى وتهديده . وعليه قال الامير للرسول اذهب الى مولاك واخبره ان لا جواب عندنا الا القتال والحرب والنزال وسوف نبيد مملكة ونهلك سلطانه ونجازي داهور على عمله واخبره ان سلطان العرب لم يقبل ان يكتب اليه الجواب لما تضمنه كتابه من قباحة المعنى والتهديد والوعيد . فاجاب الرسول بالطاعة وقبل ان يخرج قال له حمزة اني عودتك في مثل هذه الزيارة ان اكرمك بالف دينار فخذها قبل ذهابك . ثم امر ان يعطى الالف دينار فقبضها وسار حتى دخل على كسرى ووقف بين يديه . فقال له اين جواب الكتاب . قال اعلم ياسيدي ان الامير حمزة لم يقبل ان يكتب اليك كتاباً وقد قال لي ما هو كذا وكذا وان كتابك هو قبيح المعنى لا جواب له . فاعترض عليه بختك وقال له لا تقل حمزة فان حمزة قد مات وشرب كاس الافات . قال كلا ياسيدي فاني اقول انه باق في الحياة على حسب عادته وقد شاهدته عياناً وكلمته شفاهاً وانا اعرفه جيداً وفي كل كتاب اسير اليه فاضطرب كسرى وارتاع وقال يا بختك اننا ما عملنا شيئاً وظننت اننا قطعنا راس الحية ومن السهل سحق ذنبها فجاء الامر بالعكس وها ان حمزة قد شفي ورجع كما كان ولا بد ان يعود الى حرب داهور في هذه المرة لياخذ لنفسه بالثار منه . فقال داهور لا تخف من ذلك فاني ساقتله ولو قام من الموت الف مرة ففي كل مرة اقدر على ارجاعه فكن براحة من هذا القبيل ومتى خرج العرب الى قتالنا رايت ما يسرك . ولكن اريد منك انه اذا اجتمع الجمعان لا تهجم عساكرنا بل ابرز بنفسي . قال لا يمكن ان نقاتل العرب وهم داخل المدينة لانهم حتى الساعة لم يخرجوا لقتالنا وعندي ان من اللازم قطع الطرقات والتضييق على من هم في الداخل حتى نرى ما يكون من امرنا وامرهم . واكتفى الاعجام اذ ذاك بالتضييق على اهالي مكة وحصروهم في الداخل لبينما يلتزموا ان يخرجوا من المدينة لقتالهم ومحاربتهم . واما العرب فانهم كانوا بانتظار الامير حمزة الى ان يشفى تماماً ويمكنهم ان يحاربوا وهو معهم وكان عندهم من المؤن والذخائر ما يكفيهم الى سنين واعوام

هذا والامير حمزة يتقدم ويتعافى يوماً فيوماً وهو مع زوجاته يزوره جميعهن في كل يوم واما مهردكار فانها كانت لا تفارقه قط ولا تبعد عنه لانه كما تقدم معنا في بداية هذه القصة انها كانت مخلصة له الود كثيراً ومتعشقة بوجه لا يمكن ان يكون اشد منه ولا افضل واشرف وقد احتملت كل عذاب وكدر وتعب من اجله وبعد ان كانت لا تخرج من قصرها في بيت ابيها وهي عائشة على الترفه والتنعم يخدمها الجوار والعبيد وكل اسباب الراحة بين يديها اصبحت مقيمة في صيوان كواحد من العرب تنتقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب متحملة صبارة

البرد وحرارة الشمس ومرارة السفر والعذاب فضلاً عما لحق بها من الهم والبكاء والنوح من دواعي الحروب المتواصلة ومصائب الامير وعذابهِ وكانت تتمنى راحة ورجوعة عن عداوة ابيها . كل هذا كانت تلاقيهِ مفضلة رضاءهُ على كل شيء ومع كل ذلك فانها كانت ترى منهُ بعض الاحيان بروداً وفتوراً وكلما راى فتاة جميلة يميل اليها ويطلب زواجها غير ملتفت الى خاطرها ولا مراعٍ مودتها ومحبتها ومن الواجب عليهِ لكونهِ اميراً ذا قوة ومروءة وبسالة وآداب ان لا ينظر الى غيرها قط ولا يميل الى سواها ليقدر حبها حق قدرهِ وان يحفظ نفسهُ لها كما حفظت نفسها لهُ ويعهد باتكاله عليها كما تعهد باتكالها عليهِ . ولكن لم تكن كل القلوب كبعضها وقد اعتاد العرب ان ياخذوا اكثر من زوجة ولذلك لم يرَ ان من شرط المحافظة على ادبهِ ان لا ينظر الى غير مهردكار على ان الايام والحوادث التي قلبتهُ لم تدع قلبهُ على حالهِ بل غيرت منهُ كثيراً فنسي وعصى وخصوصاً ان الله سبحانهُ وتعالى يقصد امراً خفياً لتكثر اولاد الامير ويأتوا الى مساعدتهِ ويقيموا في خدمتهِ حتى بعد قضاء المقدر عليهِ وانلال عرش كسرى تتسهل طرق النجاح للعرب وتنمو بامر الله مملكتهم وعليهِ فان مهردكار كانت تلاقي اشد الاخطار وترضى بان تتغاضى عن ذلك برضى الامير منهُ وكان زكاء عقلها وفرط تعقلها يحملانها على اظهار زيادة حبها لهُ مؤملة ان المعاملة الحسنة تزيد في اميالهِ لنحوها مهما حال دون ذلك من الموانع والمصاعب ومهما اخذ من الزوجات وجاءه من البنين عالمة انها ارتبطت بهِ الارتباط الوحيد الذي تنتظرهُ البنت من حياتها وترجو من بعدهِ الراحة والهناء والانضمام الى مساعد معين يشترك معها في شدائها ورخائها وتعاستها ويقاسمها افراحها واحزانها وكانت مهردكار ترى نفسها مع ما عليهِ من عدم الراحة من اسعد نساء زمانها بسبب قربها من الامير وان ما يظهرهُ لها من عدم المبالاة لا بد ان يقضي عليهِ ذات يوم اما بشدة الحب فيعرف عظم ما تحملتهُ واما بالعكس فتميت نفسها وتتخلص من هذه الحياة لان الموت خير لها من ان ترى محبة الامير تنفر من صوبها او تقل او تكون اقل من محبتها كما هي . وكان كل ما يقع عليها من هذا الوجه تعلل لها عللاً واسباباً فتعذرهُ من اجلها فما تزوج بفتاة الا وقالت في نفسها انهُ مضطر الى ذلك وان الظروف قضت عليهِ بهِ ولا حكى لها كلمة عن هجرهِ من ابيها وندمهِ على زواجها الا وفكرت ان الغيظ حملهُ على ذلك وان قلبهُ لا يمكن ان يتحد مع لسانهِ في هذا المعنى لانها تعرف انهُ حارب كثيراً وخاطر بحياتهِ كثيراً من اجلها . ولكن شتان بين وفاء الزوج ووفاء الزوجة لانهُ مهما اخلص الود واراد المحافظة على نفسهِ حباً بها لا يمكن ان يكون ذلك قرين الصحة الى الحد الاخير ما لم يكن الدين سبباً على العفة ومراعاة جانب زوجتهِ حق المراعاة لكنما الزوجة اذا ارادت فعلاً اخلاص الود لزوجها ووطدت العزم على تخصيص نفسها بهِ قامت بذلك حق

القيام وذلك لانهُ بقدر ما يكون القلب رقيقًا يكون عشقهُ شديدًا وحبهُ خالصًا وكلما قسا تقسو بهِ العواطف الحبية ومن المقرر الثابت ان قلوب النساء ارق بكثير من قلوب الرجال وانهن اكثر شفقة ومودة وان الغش لا يتولد بهن من نفسهِ اذا لم يكتسبنهُ من غيرهن هذا اذا كان كلاً منهما صحيح العقل ولا ريب ان القارئ سيطلع على ما يكون من الامير حمزة مع مهردكار بعد زمان ليس بطويل من تلك الايام

ولما شفي الامير ورجع الى عادتهِ واصبح كانهُ لا جرح ولا اصيب بنكبة من نكبات الحروب والايام واراد ان يعود الى الحرب والقتال والطعن والنزال على حسب عادتهِ وهو يرغب في ان يلتقي بداهور الهندي لياخذ لنفسهِ منهُ بالثار ويعدمهُ الحياة وحينئذٍ سال ابنة السلطان قباط ان يامر العساكر بالخروج الى ضواحي المدينة لمحاربة الاعجام ففعل وفي الحال خرج القبائل الذين في المدينة المنورة وقد ضربوا طبول القتال واصطفوا بقصد الحرب والنزال فعمل الاعجام كاعمالهم وباقل من ساعة حمل الطائفتان على بعضهم البعض وارتجت لحملها جنبات تلك الارض . ووقع قتال عظيم لم يسبق لهُ نظير قبل تلك الايام اسودت بهِ السماء وحجبت عن الارض بغبار المتقاتلين وما برحوا على ذلك الى المساء وعند المساء رجع الجميع الى الخيام وباكروا في اليوم الثاني الى الحرب وكانت اعظم من اليوم الاول . وفي اليوم الثالث كذلك الى ان مضى نحو خمسة عشر يومًا على مثل هذه الحالة وفي اليوم السادس عشر برز داهور على ظهر فيلهِ وطلب الامير حمزة فبرز اليهِ في الحال وصدمهُ صدمة الابطال واخذ معهُ في الطعن والضرب . والاخذ والرد والكر والفر حتى تعب كل التعب ولم ياخذ احدهما من الاخر لا حقًا ولا باطلاً وعند المساء رجعا عن القتال وفي قلب كل منهما نيران الاشتعال كيف لم ينل من خصمهِ ما يطلبهُ ويرجوهُ ويرغبهُ وفي اليوم التابع عادا الى مثل ذلك وفي المساء انفصلا وداما في قتال مدة عشرة ايام دون ان ينال الواحد من الاخر مرامًا او يلوح لهُ فيهِ وجه مطمع وفي اليوم العاشر رجع الامير حمزة غضبانًا جدًا ومتكدرًا من ثبات داهور دون ان يقدر على اخذ ثارهِ منهُ وعرف انهُ اشد باسًا من فرسان العرب باجمعهم . ولما اجتمعوا عند المساء في صيوان اليون شاه دار الحديث فيما بينهم بشان داهور فقال الامير اني والحق يقال اكاد اعجز عن قتالهِ وحربهِ ونزالهِ وما قاتلت في زماني فارسًا مثلهُ ولا اظن اني الاقي ولا اعرف كيف اقدر ان اتخلص منهُ واخلص ثاري ولا اعرف هل ان النصر يكون في الاخر لي او لهُ . وحينئذٍ نهض اندهوق بن سعدون وقال اعلم ايها الامير اني كنت احب قبل الان ان استأذن منك بقتالهِ غير اني كنت اخشى من ذلك ولا سيما اني اعرف موكدًا ان داهور اشد مني باسًا ولولا ذلك لما قدر ان يثبت امامك يومًا واحدًا والان حيث اني اريد ان افديك بنفسي ارجوك السماح لي والاذن

بقتاله فاما يقتلني واما اقتله وأريح الدنيا من شره ومن بعده يتفرق العجم واذا قتلت انا فعندنا مثلي فرسان وابطال كثيرون ولكن اذا قتلت انت فما عندنا مثلك قط . فقال الامير ان ذلك رابع المستحيل فقد عرفت ان داهور بطل نادر المثال ولا اريد ان اخاطر باحد من فرساني لاجله فكل واحد عندي منكم يساوي الف داهور لانكم تعبدون الله سبحانه وتعالى وتخدمون مكة المطهرة . ولا بد لي من مداومة القتال بنفسي ولو ان الله سبحانه وتعالى يريد لي مكروهًا لما شفاني من تلك الضربة المميتة . وحينئذٍ قال الامير سعد اني كنت احب ان اجرب نفسي مع داهور باجداه فاتعلم منه ما ينفعني فارتاع الامير من ذلك لانه يعرف عناد سعد وقال له اياك من ان تفكر بمثل هذا الامر فما من احد يقاتله غيري لان لي ثارًا عليه . قال اسمح لي ولو يومًا واحدًا فاذا نجوت لا اعود الى قتاله واذا قتلت يكون بمساعدة من الله وبدعائك . قال هذا لا يكون قط ولا تفعل ما لا نريده . فقال عمر العيار ان امر قتال داهور مفوض لخاطر الوزير بزرجمهر فاريد ان اذهب اليه واستشيره في هذا الامر واعرض عليه واقعة الحال ولا بد له من فكر يبديه ولو كان داهور يموت عن يد اخي حمزة لما بقي الى اليوم واخاف ان نقع في مصيبة جديدة وكان عمر قد قال ذلك ليقلل من امل سعد ببراز داهور ويمنع اخاه عن برازه لانه خاف عليه وربما فكر بعمل حيلة لخلاص العرب . فاجاب الجميع طلبه وشكروه على رايه . وحينئذٍ نهض عمر وتزيا بزي واحد من حجاب كسرى وخرج في الحال باسرع من ريح الشمال واختلط بين الاعجام وباقل من ربع ساعة وقف بين يدي كسرى كواحد من حجابه وصغى الى ما يقولون وسمع كسرى وقومه يتباحثون بشان العرب وقد قال له داهور اني تعبت جدًا من قتال حمزة واما اعترف انه بطل عظيم مهو خصمي في الميدان ولو صرفت الدهر في قتاله لما قدرت ان اصل اليه او قدر ان يصل اليَّ لاننا كلانا متساويان واريد ان نترك الحرب مدة ايام الى ان ارتاح مما لاقيت لان ليس في الاعجام واحدًا اخر يحمل عني الاثقال او يحميهم من ضربات الاعداء بخلاف العرب فانهم كلهم فرسان وابطال فاذا قتل الواحد قام الاخر مقامه واذا مرض احدهم سد غيره مسده . فقال بختك اننا نحمل في العدد بالعساكر فيمكنك ان ترتاح ولا نقاتل معنا يومًا او يومين ومن ثم اطلب البراز فياتيك حمزة ويكون في هذا القتال غير مرتاح لانه يكون قاتل وناضل . فاستصوب كسرى كلامه واجاب طلبه وانه في الصباح اذا نهض العرب الى القتال يباكرهم رجالة ويقاتلونهم الى المساء

وبعد انفصاء الشهرة سار عمر العيار في اثر بزرجمهر حتى دخل صيوانه فدخل خلفه واجتمع به على انفراد وقبل يديه وبلغه سلام العرب واخبره عن صحة اخيه واستشاره في امر القتال وانه جاء مخصصًا اليه بهذا الشان . قال لو جئتم اليَّ وسالتموني في الاول لما تركتكم تقاتلون ابدًا

الجزء الثاني عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

كيف ان امي اخفت عني امرها وماذا تقصد بذلك قالت لا ريب انها تخاف من ان تترك
بلادك وتذهب اليهِ وهو في عداوة عظيمة مع كسرى ملك الانس الاكبر ولهُ اكثر من عشرين
سنة وقد لاقى اموراً كثيرة فطارة خاسراً وطوراً فائزاً ولكن اخبرك انهُ اشد العالم بسالةً
ونشاطاً وكرامة واني اتمنى ان اكون عندهُ لو كان يكفي ذلك لان امي لا تفارق ملكها ولا تترك
بلادها وليس لها غيري فالتزمت ان ابقى عندها . وبعد ذلك جاءت اسما برّي بسيف الشاه
يافوت الازرق ودفعتهُ الى رستم فرتم وقالت لهُ ان هذا السيف لا يثمن بثمن فهو الاعجوبة بين
سيوف الانس والجان . قال لها حسناً فعلتِ واشكرك على ذلك ثم جاءتهُ بفرس ادهم وقالت لهُ
ان هذه اسمها سلمى الدهماء وهو اشبه بفرس ابيك اليقظان فلما راهُ زاد فرحهُ بهِ وسرّ سروراً
عظيماً وقال لها جزاك الله خيراً فاني بحاجة الى مثل هذا السيف والجواد . ثم انها اخذتهُ ودارت
بهِ في كل النواحي حتى تفرج على كل ممالكها وصرف نحو اربعين يوماً وبعد ذلك طلب اليها
ان ترجع بهِ الى بلادهِ . فاجابت الى ذلك وامرت خادمها كندك المارد ان يطير بهِ الى بلاده
فحملهُ وحمل الجواد وطار بهما في الجوّ الاعلى حتى وصل الى قيصرية فانزلهُ في الخارج ووضعهُ
ورجع الى جبال قاف فركب الجواد وهو من تحتهِ كالبرج المشيد ونزل الى البلد فوجد قومهُ
وجماعتهُ باضطراب عظيم وقلق زائد ولما راوهُ انحدروا اليهِ وسلموا عليهِ وهم يتعجبون من فرسهِ
وحالهِ وسالوهُ في اي مكان كان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها ومن ثم انصرف الى
امهِ فوجدها باكية نائحة . فقال لها لما هذا البكاء قالت لهُ من اجل فرقتك فاني كنت مشغلة
الفكر بسببك قال اني جئت ولا لزوم للبكاء بل للفرح وكثيراً ما رايتك على مثل هذه
الحالة فاسالك فتقولين لي تذكرت اباك الى غير ذلك من التقولات الفارغة مع انك تخفين
الحقيقة وتزعمين ان ابي ملكاً فاخبريني من هو ابي وكيف كانت قصتك معهُ لارى هل ان ما
سمعتهُ صحيحاً . فتاكدت انهُ اطلع على حالة ابيهِ وعرفهُ . فقالت لم يبقَ من وجهٍ للاخفاء واني
اريد ان اطلعك على حال ابيك ولو ما اطلعك احد عليهِ لان الوقت حكم بذلك فابوك هو
الامير حمزة العرب ابن الامير ابراهيم امير مكة وقد جاء هذه البلاد وتزوج بي وحكت لهُ القصة
من اولها الى اخرها وقالت لهُ اني كنت ناوية كل النية ان لا اخبرك بامر ابيك خوفاً من ان

تترك بلادك وتذهب اليوناني في غنى عنك وهو رجل يحب الحروب والغارات وقد عاكس اكبر ملوك هذا العالم وسيدهم الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان واخذ منه بنته بالرغم عنه وتركه ذليلاً حقيرًا الى اخر الازمان . ولما غبت في هذه الايام وشغل فكرنا من اجلك خفت ان تكون اطلعت على سر المسألة وعرفت ما هو مخفي عليك فذهبت الى هنالك ولم تعلم احدًا بذلك فارسلت رسولاً الى حلب فغاب اكثر من شهر ثم عاد اليّ واخبرني ان العرب ذهبوا الى نهروان فقتلوا ابن عم كسرى وجماعته ثم جمع عليهم كسرى ١٢ كرة من العساكر فحاربوهم عدة ايام وكادوا يبددون شملهم غير ان في الاخير تبارز ابوك مع فارس من الهنود يركب الافيال فجرحه وبعد ان جرحه رحل العرب كلهم الى مكة ولم ياتوا حلب مع ان نساءهم واولادهم هناك . ولا يعلم احد ماذا صار به ولذلك تراني ابكي وانوح واندب حظي كيف اني لم اكن عنده لاخدمه واداري جرحه واكون قادرة على الحصول على رضاه كغيري وربما يكون هذا الجرح مميتًا فيموت ولا اراهُ ولا يرى ولده رستم ويسر به وندمت كثيرًا على ما سبق مني . فلما سمع رستم هذا الكلام قال لقد صح ما سمعته يا اماه من ان ابي هو الامير حمزة واعتب عليك كيف اخفيت عني امره وكيف تقبلين واننا اجلس هنا براحة وحظ وهو يقاتل الفرسان ٢ بكار الذين اتمنى ان اقاوم في الميدان وخصوصًا ركبة الافيال الا تعلمين ان مثلي اذا كان عند ابي يفوز به على العجم ولا ريب اني اعضده واساعده . فقالت له اني اعرف ذلك ولكن عند ابيك نحو ثلاثين فارس مثلك من نخبة الفرسان وابطالها كل واحد يتكفل بمائة الف فارس عند القتال بعضهم يقاتلون على الافيال وبعضهم على الخيول ولا سيما ان عندهم عمر العيار ابو عيارك سيار فانه آفة العرب ومدبرهم ومنجيهم من الشدائد والاخطار لا نظير له في العالم قاطبة الا اذا كان ابنه سيار فاذا تعلم منه فن العيارة نفع العرب كثيرًا ثم اطلعته على ان عمرًا تزوج باحدى جواريها فجاءت بهذا الولد فاخنصه لخدمته كما اختص ابوه اباهُ فقال لها كوني حاضرة فان لا صبر لي على فراق ابي واني بعد ثلاثة ايام ساسير الى مكة المطهرة وارى ابي هناك فان كان حيًّا اجتمعت به واقمت عنده كل الايام واي شيء ارتجي في هذه البلاد واذا كان قد مات سرت الى بلاد كسرى وقتلته ونزعته عن الايوان وعدت مجمعت العرب من جديد ولا ارجع ما لم اخذ بثار ابي من قاتله

وفي اليوم الثاني جاء الى سرايته واجتمع بالامير صيصان وقال له نبه على رجالك ان تستعد الى السفر فاني قد عزمت على الرحيل الى مكة المشرفة . قال ماذا تريد ان تفعل هناك قال مرادي ان اذهب الى ابي الامير حمزة البهلوان فاقيم عنده حياتي بطولها ولا افارقه . فقال له من ابي حمزة البهلوان والدك وهو فارس الحجاز وبطل هذا الزمان ومذل كسرى انوشروان

وعندهُ من الابطال والفرسان ما لا يوجد مثلهم في هذه الاكوان . قال وهل تعرفهُ قال كيف لا وقد مرَّ من بلادنا مرارًا فاضفناه وترحبنا بهِ خوفًا من سطوتهِ لانهُ جبارٌ لا يصطلى لهُ بنار ولا يقف امامهُ لا صنديد ولا جبار وعنده فارس اسمهُ اندهوق بن سعدون من الهنود يقاتل على الافيال وعنده ايضًا المعتدي حامي السواحل وهو نادرة هذا الزمان وقد تزوج باختهِ سلوى وعنده بشير ومباشر وقاهر الخيل ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وانضم الى خدمتهِ الملك النجاشي ملك الحبش وعمر الاندلسي امير المغاربة وفارس الغرب وملوك التركمان والاكراد . وعندهُ ابنهُ عمر اليوناني ابن بنت ملك اليونان وابنهُ الامير سعد فارس هذا الزمان من طوربان بنت ابن عم كسرى الذي لا يلقاها فارس في ساحة الميدان وعنده ملك القسطنطينية وملك اليونان وغيرهم من الملوك العظام وفي الاخير انضم الى خدمتهِ وتحت رايتهِ فرهود صاحب التكرور وملك السودان وهو من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام . ولو كنت اعرف بان اباك الامير حمزة لاخبرتك عنهُ من زمان ولا تركتك تبقى هنا ولا يومًا واحدًا وانا على الدوام استقصي اخبارهُ واسال السياح والسعاة عما جرى بينهُ وبين كسرى لان هذه العداوة تهم العالم اجمع واصبح كل الناس من الشرق الى الغرب ينتظرون نتيجتها ليعرفوا نهايتها ولم يُسمع ان حربًا اتصلت الى اكثر من عشرين سنة وكم هو جميل ان تكون مع ابيك واخوتك . فزاد شوق رستم الى ذلك وقال لا بد من المسير فهل سمعت ان ابي مجروحًا قال سمعت ذلك وانهُ اخذ الى مكة وسمعت ان الجرح غير مخطر وانا انتظر ان اسمع ماذا جرى بعد جرحهِ قال سنسعى نحن خلف ذلك . واشتهر في المدينة ان الملك ووكيلة الصيصان سيسيران الى مكة وقد اخبر بابيهِ الامير حمزة فاخذ كثيرون منهم ان يستعدوا للسفر معهُ الى مكة المطهرة وبعد ثلاثة ايام ركب فرسهُ وتقلد بسلاحهِ ورفع امهُ وجاريتها ام سيار على هودج من الحرير وسار عن قيصرية بعد ان اقام عليها حاكمًا من قبلهِ واوصاهُ بالعدل والانصاف وسار في ركابهِ نحو ثمانين الف فارس ما عدا العبيد والخدم وسار بين يديهِ سيار العيار كانهُ السهم الطيار وركب العساكر وما برحوا في مسيرهم ورستم يتمنى ان يطير ليصل الى مكة ويشاهد اباهُ واخوتهُ واهلهُ وهو يتصور كيف يجتمع بابيهِ اذا راه حيًا وكم يفرح بهِ اذا راه وشاهد منهُ انهُ فارس عظيم ثقيل العيار وهو يسال الله ان يكون اباه في قيد الحياة ولم يبقي بينهُ وبين مكة نحو يومين واستلموا الطريق القويم قال رستم للصيصان سر انت على مسير العساكر واعتني بوالدتي وانا ارغب في ان اسبقكم واجتمع بابي واعرفهُ بنفسي فلم يقدر على مخالفتهِ وسار كما تقدم معنا وبين يديهِ سيار العيار الى ان التقى بهِ عمر وجرى ما جرى واخبر بان اباه قد مات فزادهُ حسرة وضاعت كل اماله ولم يبقَ همهُ الا ان ياخذ لنفسهِ بالثار

فهذا ما كان من قصة رستم فرتم ولنرجع الى سياق الحديث قلنا بقي في قتال داهور وهو يصول ويجول من حواليه كانه القضاء المنزل حتى اتعبه واكربه وضيع منه صوابه وشاهد تقصيره وعرف انه ما عاد يقدر على الثبات واذ ذاك سد عليه طرقه وطرائقه وصاح بصوت اشبه بالرعود القواصف ورن في اذان تلك الجموع الغزيرة التي كانت مع كثرتها ساكنة لا تبدي حركة منتظرة نهاية القتال ماخوذة من افعال الامير رستم الذي لم يخلق على وجه البسيطة في ذالك الزمان اقدر منه بالجولان وسرعة الضرب والطعان فكان من هذا الصوت ان استدعى انتباه الجميع وسمعة البعيد والقريب من جيوش مملكتي الفرس والعرب وقال في صياحه هلموا ايها العرب اصحاب الشرف والحسب وكل من اليهم انتسب وانظروا فعل ابن الامير حمزة البهلوان في عدوه داهور المنديه القرنان وتذكروا هذه الضربة الى اخر الزمان وتناقلوها لسانا عن لسان . وانسانا عن انسان . ثم رفع يده بالحسام حتى بان ما تحت ابطه وصاح يالثارات الامير حمزة يا لثارات الامير حمزة ونزل بالسيف يهوي كانه الرعد القاصف وراى داهور ذلك فارتبك ولم يعد يعرف يمينه من شماله ورأى الموت عيانا ومد يده بالطارقة ليلتقي سيف الامير رستم وهو سيف الشاه ياقوت الازرق فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين واصاب الخوذة فابراها واصاب راس داهور من اعلاه فلقه ونزل السيف باسرع من لمح البصر حتى اصاب ظهر الفيل فنزل به نحو شبر بن فوقع داهور قطعتين وضرب الفيل بخرطومه الارض من شدة الالم واراد ان يضرب رستم به وينتقم لنفسه منه فاسرع بان ضربه ضربة ثانية القاه مائتا وسمع صوتا من عموم العرب لا شلت يداك يانسل الاخيار وبالعكس صاحت رجال الاعجام وتمنت قطع يداه ووقع كسرى وبخنك بالغيظ والكدر وفي تلك الدقيقة صاح الامير حمزة بفرسان العرب ان تحمل من كل ناحية ومكان وحمل هو في مقدمتها كانه الاسد الريبال فارتمت العربان على الاعجام واشغلوا فيهم ضرب الحسام وقد ترجح لهم الفوز والنجاح في ذاك اليوم العظيم الاخطار الكثير الزحام فدافع العجم دفاعا قويا وقاتلوا قتالا شديدا على امل الثبوت الى اخر النهار ومن ثم يطلبون الهرب تحت ظلام الاعتكار فقامت القيامة وقلت السلامة واخذ الجبان الندامة فاندفقت الادمية كالسواقي من كل ناحية ومكان وتجد ولت في حفر الارض كالغدران ولم يسبق ان سمع بمثل ذاك اليوم منذ قديم الازمان لان رستم فرتم فعل افعال الجان . فافنى جموع كسرى وشردها . واضاعها وبددها . وفعل مثله الامير حمزة البهلوان وهو مسرور القلب فرحان . باعمال ابنه عروس الميدان . وبطل الدهر والاوان . وكذلك عمر اليوناني فانه من فرحه ياخيه طال واستطال . واجهد نفسه في القتال وفرق الجموع من اليمين ومن الشمال . وتركهم عبرة لمن ياتي بعده في الاجيال . وهكذا الامير سعد فقد اكثر الكر والفر والقرب والبعد وهو يمدد بالرجال على

بساط الوهاد . ويضرب فيهم ضرباً يذهب بهم الى راحة الرقاد . اما اندهوق والمعتدي وباقي الفرسان الاقيال فقد فعلوا افعال أسود الدحال . وطلبوا العزم بان لا يرجعوا عن ساحة القتال الاّ بعد تفريق الاعجام الارزال . وفيها الحرب قائمة على ساق وقدم وقد اختلطت بعضها تلك الامم مسلمة بارواحها الى سلطان العدم . واذا بالامير صيصان قد وصل ورأى المعركة مشتبكة فحمل وحملت من خلفه فرسان الرومان من خلف الاعجام وعملوا في اقفيتهم بالصارم الصمصام . فتوهموا ان الارض كلها رجال وخاف كسرى من ان يقع في ايديهم او يصاب بمصاب فامر حراسه ان تسرع به من ذلك المكان وكرّ راجعاً يركض ومن خلفه بختك وبزرجمهر وباقي اعيان الفرس ولما رأى قومه ان ملكهم قد هرب الووا اعنة خيولهم وطلبوا الفرار واملوا بالخلاص من العرب فلم يمكنهم منه حتى التمكن بل دنا ومدوا القتل في اقفيتهم الى الظلام وقد قتلوا منهم كثيرًا ومن ثم رجعوا الى المدينة سالمين غانمين فرحين الاّ الامير رستم فانه جعل يبكي وقد تقدم منه الامير حمزة وقال له ياولداه هلمّ اليّ لاسلم عليك . فقال له قبل كل شيء وقبل ان اسلم على احد منكم دلوني على قبر ابي الامير حمزة لانزل عليه وابكي هنالك فلا اكون عرفت احدًا قبله لابي حمزة قوة الفؤاد على ان اراهُ ولم يسمح لي الزمان ان اقبل يديه واريد ان ابشر تراب ضريحه باني اخذت له بالثار من عدوه الغدار واعدهُ اني لا ارجع حتى افني الاكاسرة والاعجام ولا ادع واحدًا من عبدة النار واذا كان ذلك لا يكفي لحقت بني الانسان الذين لا يعبدون الواحد الديان فلما سمع حمزة كلامه تاكد انه يظنه ماتًا فرمى بنفسه عليه وقال له ابشر يا ولدي فقد نلت من زمانك ما تمنيته فانا هو ابوك حمزة وجعل يقبله فقبل يديه وهو يتعجب ويكاد لا يصدق انه ابوه بعد ان تحقق موته وحينئذٍ وصلت مريم بنت قيصر فنزلت عن الهودج وسلمت عليه باحتشام وقالت لابنها هوذا ابوك يا اماه . فقال اني اعجب من ذلك لان عمي عمرًا اخبرني انه قتل وان الذي قتله هو داهور المهدي . فقال عمر لا تصدق ذلك فهذا ابوك وما قلت لك ذلك الا لازيدك ميلاً للانتقام والحمد لله فقد قضيت الغرض وشفيت المرض

قال ومن ثم تقدم اليه جده الامير ابرهيم وسلم عليه فقبل يديه وتبرك من ركبته وسلم عليه اخوه عمر اليوناني والملك النجاشي وباقي فرسان العرب وملوكها وساروا به الى صيوان اليونان شاه والتقى باخيه السلطان قباط فقبل كل منهما الاخر وسلم عليه وجلس بقربه وهو ماخوذ من كثرة فرسان العرب وجعل كل واحد يهنيه بدوره ويسلم عليه وقد عاد فقبل يدي ابيه ثانياً وقال له لا تلمني يا ابتاه على تقاعدي عن خدمتك الى هذا اليوم فاني كنت لا اعرف انك ابي وقد كتمت امي عني حديثكم ولو عرفته منذ الاول لكنت من زمان هنا واي شيء احب لديّ من اكون مع ابي واخوتي واهلي . فقال له ان امك معذورة في ذلك لانك وحيد عندها وحيث

كنت صغيرًا كان لا يسعها ان تشغلي فكرك بغير ما يفيدك فاخذت عنك خبرنا واما عندما رايت انك صرت كافيًا وافيًا بالمطلوب جاءت بك . واقام الامير رستم هناك باقي السهرة وقد اعاد عليهم قصته من الاول الى الاخر وبعد ذلك ساروا به الى صيوان ضرب له بين قومه الرومان . وفي اليوم الثاني عملوا له الولائم والدعوات وذبحوا الاغنام واصبحت المدينة المنورة زينة في الوجود ترهج وتبتهج باولئك الابطال والفرسان وسادات ذاك الزمان وصرفوا نحوًا من شهرين على مثل هذه الحال وقد غنم الكبير والصغير من احوال الاعجام وغنائمهم التي تركوها وصار صغيرهم وخادمهم يحوى على خيول وجمال وبغال واغنام وعدد الى غير ذلك كانه من الاغنياء وبعد مضي شهرين . جمع السلطان سادات وملوكهم وقال لهم انتم تعلمون ان كسرى لا يستخف به ولا يهمل فاذا تركناه على حاله عاد فجمع العساكر والابطال اكثر من الاول باضعاف وعاد الينا لان ما دام الوزير بختك عندهُ لا يتركهُ ان يسكت عن قتالنا . ومن الموافق ان نسير باجمعنا من هذا المكان وننزل في ضواحي المدائن ونطلب الى كسرى ان يسلمنا بختك وان يصالحنا على شروط نطلبها اليه فان اجاب قتلنا بختك وعدنا من هناك والا حاصرنا المدائن وهدمنا الايوان ونزعنا ملك كسرى الى اخر الايام . فاستصوب الجميع كلامهُ ورايهُ وعولوا عليهِ الى ان كان بعد عشرة ايام ركب الملك العربي وهو قباط ابن الامير حمزة بن ابرهيم ورفع فوق راسهِ علم بيكار الاشتهار ومشى بين يديهِ الخدم والعيارون واحتاط بهِ الحرس من كل ناح ومشت الفرسان كل قبيلة تحت امرة سيدها وتحت علمها المخصوص فمن مصريين واحباش وروماني ويونان ومعاربة وسودان وسوريين وهنود واكراد وتركمان غير الى ذلك من كثرة الاجناس وتنوعها وما زالوا في مسيرهم عدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى المدائن وهناك ضربوا خيامهم وسرحوا بانعامهم ووصل الخبر الى كسرى في الحال فخاف من ان يهجموا على المدينة فيدخلوا اليها ويملكوها وامر بان تقفل الابواب جيدًا ولا تفتح فيما بعد وحاصر في الداخل ينتظر الفرج وملاقاة امره مع العرب وهو حزين جدًا على ما لحق بهِ من الفشل والخسارة والذل والعار وقد قلت قيمته وضعفت سلطنته وكسرت شوكته . وبعد ان استقر بالعرب الجلوس اخذ الملك قباط وكتب كتابًا الى كسرى يقول له فيهِ

بسم الله الواحد القهار العزيز الجبار . خالق الليل والنهار لا اله الا هو رحيم رحمن له وحدهُ الملك والعظمة والسلطان

من الملك قباط ابن الامير حمزة ملك ملوك العربان الى الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

اعلم ايها الملك الاكبر اننا وان كنا قد فزنا عليك واستظهرنا ونلنا ما نتمناهُ الا اننا ما

ما فكرت فان الوقت حرج ونحن تحت الحصار . قال اني صرفت الجهد ولم ارَ الا طريقة واحدة وهي ان تبعث بوزيرك بزرجمهر الى سلطان العرب ويكون الواسطة لصرفهم عن المدينة لانهم يحترمونهُ ويحبونهُ كواحد منهم ولما كان الامير حمزة يحضر في ديواننا كان لا يخالف ابداً بزرجمهر ولا ريب انهُ اذا سالم الانصراف انصرفوا واذا بقوا فيكون هو قد حملهم على ذلك وهذا اعتقادي ويقيني . فلما سمع كسرى هذا الكلام تمسك بهِ وقال لبزرجمهر اي وزيري اني افوض اليك هذه المهمة واسالك دفع العرب عن المدينة واذا قصدت ذلك فانك تقدر عليهِ لا محالة . قال سابذل جهدي فيهِ وانت تعلم اني ارغب في حسم النزاع بينك وبينهم وكلما اجتهدت في اطفاء جمرة العدو ان اجتهد غيري في اشعالها ولذلك لا اظن ان العرب يصغون اليَّ اذا لم يوافقهم كلامي قال لا بد من مسيرك اليهم فانت امين على بلادي فدبر ما شئت من هذا الوجه واصرف الغاية الى اقناعهم . فنهض بزرجمهر وركب بغلتهُ ومشى خدامهُ في ركابهِ وخرج من المدينة وبقي سائراً حتى وصل الى معسكر العرب . وهناك وصل الخبر الى الامير بقدومهِ فاسرع في الحال الى ملاقاتهِ مع فرسان العرب اجمع ولما وصلوا اليهِ ترجل وسلم عليهم فسلموا عليهِ وقبلوا يديهِ ومشوا امامهُ باحتشام واحترام حتى دخل صيوان البهلوان شاه فلاقاه السلطان الى الباب وسلم عليهِ واجلسهُ الى جانبهِ وامر ان يؤتى لهُ بالشراب وقال لهُ الامير لم تاتنا ياسيدي الا لغاية مهمة لا نعلمها فافدنا عنها هل ان كسرى قبل ان يسلمنا بختك ويقبل الشروط التي اشار بها ولدي قباط سلطان العرب . قال اعلم ان بختك طلب الى كسرى ان يرسلني اليكم بشان الصلح وادفعكم عن المدينة وكنت احب ان لا اجيئكم في ذلك لكنهُ الحَّ عليَّ بهِ . فقال السلطان قباط انظر ايها الوزير الحكيم في كل شيء تريده فاننا باجمعنا طوع امرك وتحت ارادتك ولا نعصى لك امراً قط فاذا امرتنا بالرحيل رحلنا واذا امرتنا بالبقاء بقينا . قال اني مرتاب في هذا الامر لان بختك اذا رحلتم يعود الى اضرام نار البغض في قلب كسرى فيعيده الى الحرب والقتال ويجمع ضدكم الفرسان والابطال وربما اكثر من الاول باضعاف ولا اعلم ماذا تنتهي اليهِ فيما بعد احوالكم مع انكم الان قادرون على اجباره على كل ما تريدون وحل عابتي ان تقرضوا الدولة الكسروية لا لقلة اماني لها ولا نقصاً بها بل لانها تبغض كل من يعبد الله سبحانهُ وتعالى وعاملة على عبادة النار في المساء والصباح وباقي الاوقات واي شيء احب لديَّ من ان ارى الاعجام باجمعهم يسجدون لله ويوحدونهُ ويسبحونهُ ويسمعون كلمتهُ ويهدمون معابد النيران . ومن وجه اخر اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل ويشتبه كسرى في اماني ويظن اني اتفقت معكم على دوام العناد

فحينئذٍ قال لهُ الامير حمزة اننا نحترم قدومك علينا فلا نعيدك بالخيبة فاخبر كسرى اننا

صالحناه ولا نريد منهُ شرطاً غير اننا لا نرحل عن بلاده بل نبقى نحو شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة فيمكن لرجالنا ان يدخلوا المدينة ولرجال الاعجام ان ياتوا معسكرنا دون ان يكون بيننا من العداوة ما يمنع ذلك ومن ثم نرى ما يكون من امره وهل ان باطنهُ صفى الى الغاية ويمكن في هذه المدة ان نرتاح نحن ايضاً من اتعاب السفر . واسارك ايضاً ان بختك لا يمكن ان يرانا بالقرب من المدينة ويسكت عن عداوتنا فاذا بدأ منهُ شيء جديد يكون الحق عليهِ ونحتج امام كسرى بانهُ ما عمل على الوفاء بل يقصد لنا الشر . فاستصوب بزرجمهر ذلك واقام عندهم نحو ساعتين وقد تناول الطعام وشرب الشراب وودعهم وعاد الى المدينة ففتحت لهُ الابواب ودخل وسار الى الديوان . فقال لهُ كسرى احمرايها الوزير العاقل هل قبل العرب واجابوا الى الصلح . قال اني صرفت وقتاً بالمحاورة معهم وجل ما قدرت ان اجريهُ هو انهم قبلوا بالصلح وان لا يطلبوا لذلك شروطاً ولكن لم يقبلوا بالرحيل لخوفهم ان بختك يعيد اليك جرثومة الانتقام فتجمع العساكر بقصد حربهم فادعوا ان يقيموا مدة شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة وما من مانع يمنع اختلاط العسكرين اذ لا يكون بينهما لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وكل ما مضى يكون منسياً من الطرفين فقط لا يحضرون الى ديوانك ولا يحضر احد من قومنا الى ديوانهم فلما سمع كسرى ذلك سرَّ سروراً لا مزيد عليهِ وقال لا بد من ان في هذه المدة نرى طريقة الى مرضاة العرب وحيث وعدوا بعدم القتال فانهم يقومون بوعدهم وكذلك بختك فانهُ رأى ان العرب قد تنازلوا عن قتلهِ فلم يعد يهتم الا بهلاكهم وامن على نفسهِ من الموت والهلاك

واجلى العرب عن المدينة وبعدوا قليلاً عنها وانتشر خبر السلام بين العرب والعجم فسرَّ لهُ جميع سكان المدينة وفكروا ان الحرب ستنقضي بعد مدة ولا يكون من ثم عداوة بين الفريقين وصار اهل البلد يخرجون الى معسكر العرب ويبيعونهم من فاكهتهم واثمارهم ولم يبقَ من مانع يمنعهم عن بعضهم البعض ودامت هذه الحال الى مدة سبعة ايام غير ان في كل هذه المدة كان لهيب العدوان يشتعل في قلب بختك الوزير حتى كاد يقتلهُ واعمى الحسد بصره واضاع صوابهُ ففضل الموت على هذه الحالة واخذ يبحث عن طريقة تكدر العرب وتضعفهم وكان يحب حرق قلب الامير حمزة وتركهُ بلا راحة طول حياتهِ ويضعف شوكتهُ ويذلهُ ولم يرَ وسيلة الى ذلك الا السعي الى قتل اولادهِ واحداً بعد واحدٍ اما بالحيل والخداع واما بطريقة اخرى . ولما تقرر في ذهنهِ هذا الامر جعل يفكر في اتمامهِ وكان يؤكد انهُ اذا قتل الامير رستم وعمر اليوناني مات الامير حمزة حزناً عليهما وكانت احزانهُ اخرة قلق وعدم راحة وعناء وما برح على ذلك الى ان لاح لهُ وجه الحيلة . وحينئذٍ اجتمع بقرمز تاج ابن كسرى وقال لهُ اني اريد ان

اطلعك على امر الك فيهِ الخير والنجاح ولكن قبل كل شيء ارغب في ان تقسم لي بكتمان الامر وعدم اظهاره امام أحد من كبير وصغير قبل اتمامهِ . فاقسم لهُ بذلك وشد الاقسام . فقال اعلم ايها السيد العظيم اني في هذا اليوم اجتمعت بابيك ودار بيني وبينهُ الكلام بشان الملك فقال لقد سئمت نفسي وارى ان ايام حياتي الاخيرة لم تكن ايام راحة وهناء ولذلك اريد التنازل عن الملك لولدي خرسف لانهُ حكيم عاقل وصاحب تدبير وهمة ونشاط . فاعترضت عليهِ في ذلك وقلت لهُ اذا كنت قد نويت كل النية على التنازل فسلم الملك الى ابنك قرمزتاج لانهُ ذو همة ونشاط واشد ادراكًا من اخيهِ خرسف فقال لي ان قرمزتاج محب للعرب وفي كل يوم يذهب الى ما بينهم واني حتى اليوم ما رايت منهُ عملاً يذكر يستحق بهِ ان يكون ملكًا على بلاد الاعجام وطال بيني وبينهُ الجدال ولم اوافقهُ عليهِ وحاولت ان اترك المخابرة بهذا الشان الى يوم اخر بينما اكون قد اجتمعت بك ودبرنا طريقة ترضي ابيك ويظهر بها فضلك على العجم . فلما سمع قرمزتاج ذلك انعطف اليهِ قبلهُ وقال لبختك انت ابي فدبر امري وانظر في ان لا ياخذ الملك اخي خرسف فاني لا اطيق ذلك ولو خسرت روحي واذا ساعدتني عليهِ شاركتك في الحكم وجعلت لك الارزاق زيادة عما لك الان . قال اني فكرت في ذلك كثيرًا فلم ارَ الاَّ طريقة واحدة وهي اقدر بها ان اسمع ابوك واقوده وازيل من راسهِ الحجة التي يحتج بها ويلزمك لذلك ان تكون حكيماً حسرًا الى حين يسعد الامر . قال قل ما تشاء فاني اخاطر بروحي لاجل غايتي . قال انت تعلم الان ان السلام واقع بيننا وبين العرب الى مدة شهرين وبعد ذلك لا بد من عودتهم الى الحرب فيسرعون الملك منا وقد رايت رأيًا حسنًا وهو ان تتوصل الى اسر احد اولاد الامير حمزة وتخفي امره ثم باسر غيره حتى تضعف العرب فاذهب اولاً الى عمر اليوناني وكل الطعام عندهُ وابسط مودتك اليهِ وفي اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث اعزمهُ الى قصرك واحذر من ان يعلم احد بذلك ومن ثم تقبض عليهِ وتسلمهُ الى ابيك واقول لهُ هوذا ولدك يهتم بامر الملك ويظهر بان اعمالهُ ناجحة ثم ارى ما يكون وعليَّ فيما بعد تدبير الاحوال ونهاية العمل فقال قرمزتاج سوف انهي لك ما اشرت وافعل ما اردت فكن مطمئنًا ولا ادع اخي ياخذ الملك ويكون ابي راضيًا عليهِ اكثر مني .

ثم ان بختك فارق قرمزتاج واوصاه بالمحافظة على هذا السر كثيرًا واوصلاً يدع العرب يدركون ما هي غايتهُ واجتمع بالامير خرسف ابن كسرى الثاني وقال لهُ نفس الكلام الذي قالهُ لاخيهِ من ان اباه يرغب في تسليم الملك اليهِ وقد دافع في ذلك وعاندهُ كثيرًا فارتاح خرسف وسلم بكل ارادتهِ الى بختك وقال لهُ دبر في امري فمن غيرك لا اروم نجاحًا . قال اني رايت من الصواب ارضاء لخاطر ابيك ان تسعى الى رستم فرخ بن الامير حمزة وتصادقهُ وتضيفهُ ثلاثة ايام

سرًّا ثم لعزمهُ الى قصرك ليتناول الطعام عندك وحينئذٍ نقبض عليهِ ونسلمهُ الى ابيك فيعرف فضلك على اخيك واهتمامك بامر نجاح الدولة . قال سوف ترى مني ما يرضيك ولا بد من اسر رستم فرتم بالحيلة التي دبرناها وبذلك اكون مستحقًا الملك وممتازًا بالاعمال على اخي . وسرَّ الوزير بختك لما راى ان الاثنين انقادا اليهِ ولاح لهُ ان اولاد الامير سيقعا في يديهِ قريبًا فيعدمهما الحياة ومن ثم يدبر في هلاك غيرهما . وفي الصباح خرج قرمزتاج من المدينة وسار حتى جاء صيوان عمر اليوناني فدخل وسلم عليهِ فترحب بهِ كل الترحيب ولاقاه احترامًا لزيارتهِ وقال ابن كسرى اني رايت من العار علينا ان يكون السلام بيننا ونحن نتقاعد عن خدمتكم وزيارتكم اولاً لانكم ضيوفنا وفي بلادنا وثانيًا لاننا نرغب في ان تمكن المودة بين العرب والعجم ونقلع الشر ونزيل الاسباب ونعطي العرب حقهم ولو اطاعني ابي الان لقتل بختك بن قرقيش ورضي على ابيك وارتاح باقي عمره لكنهُ يحبهُ كثيرًا ويعتبر كلامهُ ويخاف سوءهُ وانا اصبحت مغتاظًا من ذلك ولا بد من ان نصطلح نحن ونجعل حدًّا لهذا العدوان مع اننا كلنا من الجنس البشري وعبادة الحكم هي اصح بكثير من عبادة النار الموجعة . فقال لهُ عمر ان الشر لا ينقلع من بيننا الا بعد أن تسلمونا بختك قال اني لا اقبل بالحرب بعد ذلك فكن شاهدًا عليَّ . وحينئذٍ امر عمر بان يوتى بالطعام والشراب ووقع بينهما الاصطحاب والتوداد واقام كل ذاك اليوم هناك وعند المساء عاد الى المدينة واطلع بختك على ما كان فمدح منهُ كثيرًا وسرَّ من اعمالهِ وحينئذٍ جاء خرسف فصرف قرمزتاج وقال لهُ لا تظهر امام اخيك شيئًا من هذا لانهُ ربما يكون ادرك غاية ابيك فجاء اليَّ لافر اليهِ الملك وادعهُ يسلمهُ اياه وهذا لا يمكن ابدًا فودعهُ وخرج فرحًا ثم دخل خرسف وقال لهُ اني ذهبت في هذا اليوم الى الامير واقمت عنده كل النهار وقد اكرمني مزيد الاكرام واضافني الضيافة الحسنة واعاد عليَّ مرارًا الرجاء باستئناف الزيارة فوعدتهُ ورجوتهُ زيارة فاجاب اني عندما ادعوه ياتي وانهُ يريد الفرجة على المدينة حيث لا يعرفها قبلاً ولا بد لهُ من المساعدة في حسم النزاع بين الدولتين اذا سلمناك اليهِ وقد وعدتهُ بذلك . قال تممت النار مسعاك واذا فعلت ذلك نلت السعادة والاقبال وفقت على اخيك وكان لك الحق في التملك على البلاد باجمعها وقد رايت اخاك الان عندي وهو يريد مرضاتي والاقتناع مع ابيهِ على تسليم الملك ليدهِ لانهُ ادرك ذلك وعرفهُ وربما كان ابوك هو الذي اخبره بهِ ووعدهُ بذلك فصدق خرسف هذا الكلام وعزم كل العزم على اتمام حيلتهِ ووعد الوزير انهُ في اليوم التالت لا بد من ان ياتي بالامير رستم الى المدينة وهو يدبر طريقة القبض عليهِ

ومن ثم فارقهُ وذهب الى قصره مشتغل البال خوفًا من ان يضيع الملك من يدهِ ومثلهُ كان اخوه قرمزتاج وفي اليوم الثاني ذهب كل واحد منهما الى صديقهِ وصرف النهار هناك ومكثا الحب

بينهما وعند المساء رجعا واخبرا بحنك بكل ما كان في ذلك اليوم وفي اليوم الثالث فعلا كالاول
وقبل انصراف النهار بقليل دعى فرمزتاج عمراً ان يزوره والح عليه وانهُ قد اعد لهُ الضيافة الى
مدة ثلاثة ايام ليقابل زيارتهُ بالمثل وانهُ يذهب واياه الى قصره ويعرف جميع الفرس بهذا الحب
ويؤملون النجاح ورجوع المحبة بين الجميع الى الابد فوعدهُ بكل خير وقال لهُ اني اذهب واياك
منذ الان وفي الحال سارا وبعد نحو دقائق قليلة سار ايضاً رستم وخرسف وهما لا يعلمان شيئاً
من امر عمر وفرمزتاج ومشيا في طريق المدائن هذا ما كان منهم واما ما كان من عمر العيار
فانهُ كان قد راى اولاد كسرى يخرجان من المدينة وكل واحد يسير الى صيوان واحد من
اولاد حمزة فقال في نفسهِ لا بد من دسيسة يدسها الان بحنك ولا بد من كشف عملهِ ومنع غايتهِ
وجعل يراقب الحركات في الليل والنهار الى ان راى في ذلك اليوم عمر اليوناني سائراً مع فرمزتاج
الى جهة المدينة فقال قد تمت الحيلة ولا بد من اخبار حمزة قبل بلوغهما ابواب المدينة وانطلق
راكضاً وقبل ان يصل الى صيوان الامير حمزة راى الامير رستم وخرسف ايضاً سائرين فعرف
باطن المسئلة واسرع حتى جاء صيوان اليونان شاه وقال لحمزة انهض وانظر فعل العجم لتتاكد لك
الخيانة فقد احتالوا على ابنيك وسحبوهما وهما الان سائرين الى المدينة ليقبضوا عليهما ويقتلوهما
فركض حمزة في الحال الى جوادهِ فركبه وسار بهِ عمر كالبرق الخاطف حتى اوصلهُ من اقرب
طريق الى باب المدينة واوقفهُ هناك وجواده يكاد يهلك من كثرة الجري والعرق يتدفق من
مسام جلدهِ واذ ذاك وصل اليهِ عمر اليوناني ومعهُ ابن كسرى الاكبر ولما وصلا اليهِ حياه
فرمزتاج وهو متكدر الخاطر وقد خفق قلبهُ وخاف من ان يكون حمزة قد لحظ الى هذه الدسيسة
فلم يجب الامير الا باللوم والتعنيف ولعن ابن كسرى وشتمهُ وقال لهُ لولا وعد الوزير بزرجمهر
بالهدنة والسلام لقتلتك الان وخربت المدينة قال وما هو ذنبي يا سيدي ونحن الان اصدقاء
وقد اقمت ثلاثة ايام عند ابنك وما خفت على نفسي. وكيف اغدر بهِ وهو صار كاخي قال لا
ريب انك تقصد الخيانة والا لما قصدت ان تدعوهُ الى الضيافة الى قصرك دون ان يكون لنا
اطلاع بذلك ومعرفة ولو تمت حيلتك لتعذر علينا معرفة مكانهِ وفي الحال وصل الامير رستم
وخرسف ففعل حمزة بهما كالاول وقد ارجع اولاده وطرد اولاد كسرى وجاء الصيوان وهو
يرتجف من الغضب ولما جلس كل واحد في مقامهِ استعاد حمزة القصة من ولديهِ فاخبره كل
واحد منهم بما كان من امره مع ضيفهِ وقال لهُ رستم انك تظلم خرسف لانهُ لا يقصد شراً ولا
يزال قلبي حزيناً عليهِ . قال عمر العيار ان كل الشر في قلبهِ والمقصد الوحيد هو القبض عليكما
فكل واحد جاء من اولاد كسرى خفية ولم يدع ان يعرف احدكما بالاخر . قال وما ذلك
بسبب لان كل واحد يصاحب واحداً فهما اولاد ملك عظيم ومن شرفاء الفرس ونحن ايضاً في

مقامها ولنا الحق بالاجتماع مع بعضنا وجل غايتي ان انفرج على المدينة واذا قصدوا الشر لنا لا يصادفون نجاحًا لاننا نقدر على الدفاع عن انفسنا حتى هلاكهم جميعًا فكونوا براحة على انفسنا فقال الامير حمزة اني اعرف جيدًا مكرهم وخداعهم فلا اريد بعد الان ان يخاطر احد من اولادي بنفسهِ واني احرم دخولي المدينة على كل واحد من فرساني بدون علمي وعلم السلطان قباط .
وكان عمر اليوناني قد ادرك هذه الغاية وعرف الحيلة فقال لابيهِ كن براحة يا ابي فاننا نعدك بان لا نعمل شيئًا فيما بعد الا بشورك ومعرفتك ولولا عمي عمر لنفذ فينا المقدر وتمت حيلة الفرس فالحمد لله على ما انعم علينا بهِ فهو لا يريد لنا شرًّا

وكان رستم لا يزال متصورًا في عقلهِ ان ابن كسرى لا يقصد لهُ شرًّا وان من غايتهِ ان يجازيهُ بالجميل على اكرامهِ اياه ولذلك كان قلبهُ لا يزال منعطفًا الى جهة خرسف ولكنهُ سكت احترامًا لابيهِ ووعده كاخيهِ . وكان يحتك في ذلك اليوم ينتظر رجوع اولاد كسرى ناجحًا وهو يعد نفسهُ بالقبض على ابني حمزة العظيمين وعند المساء ذهب الى قصر فرمرتاج وقد راهُ تعوَّق ولم يحضر اليهِ فدخل عليهِ وسالهُ عما كان من امره فقال لهُ قد ادرك الامير حمزة غايتنا واهاننا وطردنا فتكدرت من ذلك وندمت على كل ما جرى مني قال لا باس من ذلك فيجب ان تكون ثابت العزم قوي الجنان ويمكنك ان تقنع عمرًا ان لا غاية لك في دعوتهِ الا محبة وصداقة وان اباه قد ظلمك قال هذا لا اريدهُ ولا افعلهُ ولا يمكن ان يصدق عمرًا كلامي ولا يصغي الى قولي فدع اخي ياخذ الملك وحده وقد ادركت غايتهُ لانهُ يعمل كعملي وقد احتال الى ان جاء بالامير رستم الى باب البلد . قال لا تلوِ عزمك بل شده ولا بد من النجاح . قال لا مطمع لك باقناعي فاذهب الى اخي ودعهُ ينفذ غاية ابي وياخذ الملك وحده لاني لا انكر فضل حمزة وقد اطلق سبيلي بالوقت الذي كان يقدر فيهِ على هلاكي وانا اسير عنده واكرمني الاكرام الزائد وقد خجلت منهُ كثيرًا في الامس . ولما يئس منهُ تركهُ وجاء الى خرسف واستعاد منهُ الحديث فاخبره بهِ . قال لا بد ان رستم يقبل عذرك ويصدق اقسامك فاذهب اليهِ في الغد واقسم لهُ ان ما من شر نقصد وان جل غايتك اكرامهُ واحترامهُ واذا صدق قولك واجابك ونزل معك فتذلل بين يديهِ وتصنع كل التصنع حتى لا يبقى عنده وجه للشبهة ولا ارتياب . فوعده بكل نجاح

وفي اليوم الثاني خرج خرسف حسب عادتهِ وجاء صيوان رستم وهو باكي العين مظهرًا الحزن فلاقاه الامير رستم واظهر لهُ خجلهُ منهُ وقال لهُ ان ابي قد ظلمك وانت بدون شك لا تقصد لي ضيرًا وقد اطلعتهُ على ذلك وبينت لهُ غلطهُ فلم يصدق كلامي ولا يزال مصرًّا ان غايتك رديئة فقال لهُ اني اقسم لك بالمعبود الذي نعبده اني لا اقصد شرًّا وانت صرت منذ

الان اخي وما سعيت هذا المسعى ودعوتك لضيافتنا الاّ املاً بان تزورنا وترى حسن مقامك عندنا وتتفرج عليَّ بلادنا وقصورنا وفي الاخير تتسهل طرق المصالحة بين العرب والعجم. وهذا اطلبهُ منك لاني ساكون بعد ابي الحاكم في الامة الفارسية فاذا بقيت سالمة كان من خيري ونجاحي وفي كل نيتي ان احتال على بختك واقبض عليهِ واسلمك اياه فتسلمهُ الى ابيك ومن بعد ذلك يعود السلام بيننا و بينكم واما لا الوم اباك على فعلهِ وعلى عدم ركوبهِ انا لاننا طالما غدرنا بكم وهو يخاف من بختك لانهُ خبيث لا يامن قط للعرب ويرغب في هلاكهم و بسبب اعمالهِ سيقود بلادنا الى حفر الخراب اذا لم نتدارك الامر ونرتاح من شره . قال صدقت ان كل خوف ابي من غدر وزيركم الاول فهو مشهور بالخبث ولا بد من ان نقدمهُ له ليقتلهُ ويصدق صدق نيتك . ثم امر ان يقدم اليهِ الطعام والشراب وصرف النهار على الحظ وشرب العقار وعند المساء اراد خرسف ان يعود الى المدينة فلم يدعهُ رستم وقال لهُ بل من الواجب ان تنام هنا هذه الليلة قال لا اقدر على ذلك واذا نمت الليلة فيلزمني ان اذهب في الصباح ليرتاح فكر ابي لانهُ يعلم اني عند العرب وربما اشتغل بالهُ بختك وقال لهُ ان الاعداء مسكوا ابنك وقتلوهُ . قال نم الليلة هنا وفي الصباح اذهب واياك الى المدينة وابقى عندك كل النهار والمساء قال اذًا وعدتني بذلك صبرت الى الصباح وسرنا معًا فاقسم لهُ انهُ يذهب معهُ . فنام خرسف تلك الليلة عند رستم وتعجب من سلامة قلبهِ وكاد يطير من الفرح وامل انهُ في صباح اليوم القادم يبكر الى الذهاب وياخذه معهُ ولا يمكن ان يصادفهُ عمر العيار او الامير حمزة او غيرهما ولكن عينا عمر لا تنامان فانهُ كان راقبهُ كل المراقبة وعرف انهُ سينام هناك تلك الليلة فجاء وسهر عليهِ خوفًا من ان يغدر بهِ وصرف الليل ساهرًا ولما لم يرهُ قد فعل شيئًا وتاكد انهُ لا يقصد او بالحري لا يجسر ان يفعل شيئًا هناك خرج قبل الصباح واقام خلف الصيوان حتى راى الامير رستم وخرسف قد نهضا وركبا جواديهما وعولا على الذهاب وحينئذٍ تاثرهما وارسل ابنهُ سيارًا ان يسرع الى الامير حمزة ويخبره بقصد رستم من الدخول الى المدائن فلما سمع الامير ذلك طار صوابهُ ونهض الى اليقظان فركبهُ واطلق لهُ العنان حتى ادرك ولده وخرسف فاشهر السيف وقال لابن كسرى انك لا تزال مصرًا على الخبث والخداع حتى تحرمني ولدي فاني ارى في قتلك خيرًا وسلامة لاولادي فاعترض رستم في طريقهِ وقال لهُ ما يرحمك عليهِ يا ابي فانهُ كان لا يريد ان انزل معهُ المدينة خيفة منك وها انا راجع الان حسب امرك فاعفُ عنهُ . ثم امر خرسف ان ينطلق مسرعًا الى المدينة من وجه ابيهِ . ففعل ورجع الامير وابنهُ الى صيوان اليون شاه واجلسهُ بقرب اخيهِ الى ان ارتاح وحينئذٍ قال لولده قباط ولجميع الحضور انتم تعلمون ايها الفرسان اني اوصيت ولدي بعدم النزول الى البلد ووعدني بذلك وها اليوم قد

عصاني وعاد فانقاد الى خرسف وهم ينصبون له شراك الهلاك والعذاب فاذا وقع فيها يقع الهم والحزن عليَّ فانصفوني منهُ وكونوا انتم الحكم

وحينئذٍ التفت السلطان قباط الى اخيهِ وقال انا نعذرك على سلامة قلبك وحسن طويتك وما ذلك الاَّ كونك تجهل حالة الفرس وتظن انهم اهل زمام والصحيح انهم من الاوباش الادنياء ينصبون لك حبائل الخداع ليصطادوك وانت تعلم ان اباك يحب صالحك ويرضى في سلامتك وهم يسعون في قتلك ليحرقوا قلب ابيك عليك واخيرًا يعتذرون او يتظاهرون بالانكار ونحن لا نعرف كيف ذهبت او قتلت والاَّ لو اننا نتاكد شرف الفرس ومحافظتهم على الامانة وكرههم في الخيانة لتركناك تذهب وما في دهالك من مانع عندنا وقد غدروا بنا قبل الآن وكدت انا وامي وطوربان وابنها الامير سعد جميعنا نقتل ونحرق بالنار لو لم يسرع الى خلاصنا وزيري عمر العيار قال اني لا احب ان اخالف ابي واقسم لكم بالله العظيم اني ما عدت انزل البلد الا بامر ابي ولكني لا ازال اتردد في سلامة قلب ابن كسرى لانهُ يخلص الود لي كثيرًا ولا يحب الا ان يصيبني لهذه الغاية . فلما اطمئن قلب حمزة من قبل ابنهِ رستم وتاكد انهُ ما عاد يسير مع خرسف الى البلد ارتاح بالهُ وصار ينتظر نهاية المدة المضروبة للهدنة ليرى بعد ذلك ما يكون من امرهم وامر الاعجام

فهذا ما كان من حمزة واما ما كان من بختك فانهُ عندما عرف برجوع خرسف وحده جاء اليهِ وقال لهُ اظنك لم تفز بالمطلوب في هذا اليوم فحكى لهُ ما كان من امره مع رستم وكيف تخلص من شركهِ باتباع ابيهِ في اثرهِ وان كل ذلك كان من عمر العيار لانهُ راه يتاثرهما . فقال لهُ اني اعرف انهُ خبيث محتال وقد رآكما في الطريق فظن السوء وادرك معنى الامر فلم يبقَ لنا من مطمع فيهِ وانا اعرف واتاكد ان رستم يحبك كثيرًا ولا بد من مداومة الخروج اليهِ وتمكين الالفة . قال دعني من ذلك فاني متاكد انهُ ما عاد يصدقني ولا يمكن ان ياتي المدينة معي واذا وقع حمزة بي مرة اخرى اهلكني لا محالة قال اني لا اريد في هذه المرة ان تطلب اليهِ الاتيان الى المدينة بل بالعكس اظهر عدم رغبتك في ذلك وبعد يومين او ثلاثة ايام اذهب واياه الى الصيد واعمل ما هو كذا وكذا وعلمهُ ما يسعى عملهُ واوصاه بالحرص . فاجاب طلبهُ وبقي ذلك اليوم في البلد وفي اليوم الثاني جاء الى رستم وسلم عليهِ فارتاب وقال لو لم يقصد الشرَّ لما فعل ما فعل وعاد بعد ان لحق بهِ من الاهانة ما لحق فاظهر البرود والتنور في ملاقاتهِ فلم يعتن في ذلك بل قال لي لقد اقسمت يا اخي اني ما زلت حيًّا لا اقبل بدخولك معي المدينة الاَّ اذا كان ابوك وعمك عمر العيار معك وباقي الفرسان لانهُ لا يصدق بصدق نيتي وفي الاخير كاد يقتلني وحيث لم يبقَ لي صبر عنك فاريد منك ان تقبلني في كل يوم عندك فيكون

ابوك امينًا واكون انا ايضًا امينًا على نفسي لان الحياة عندي عزيزة جدًا فلا اخاطر بنفسي قط فلما سمع كلامهُ اعتقد انهُ لا يريد الشر . فقال لهُ انك وان كنت سليم النية لكنك ابن اكبر عدو لابي فلا يمكن ان يركن لكم وقد غدرتم بهِ كثيرا وانا لا اريد ان اخالف ابي فما عدت اريد الدخول الى المدينة الا بامره فابقَ انت عندي في كل يوم الى حين ينتهي امرنا . قال ارغب ان اتعلم منك بعض فنون الحرب وصيد الوحوش . واتسلى بك ولا افارق ركابك واعتقد كل الاعتقاد انك ستساعدني الى الحصول على عرش الفرس وطرد كسرى ابي وبختك ونزع هذا الشر لان الولايم لما كان يغضب ابوك عليَّ ولا يخاف عليك ومعظم خوفهِ من بختك الخبيث اللعين ولا ريب انهُ اذا عرف بوجودك في قصري ربما تسبب الى اغاظتي او فعل ما لم يكن لنا في حساب وفي الاخير اقع انا ويسبب لي الغدر والخيانة . فقال الامير رستم حبًّا وكرامة فاني اريدك في كل يوم واترافقك في الصيد والتنزه ولا سيما انك تعرف مكان الغزلان والوحوش فتدلني عليها وتذهب بي الى مرابضها لان هذه البلاد هي بلادك ومعتاد كل العادة عليها وتعرف داخلها وخارجها

وعلى ذلك اتفقا وكان رستم في كل يوم يذهب الى الصيد من الصباح الى المساء ويعود ومعهُ خرسف فيفترقان قبل نصف الطريق وياتي الاول الى قبيلتهِ والثاني يسير الى مدينتهِ الى ان كان ذات يوم خرج رستم الى الصيد وبين يديهِ سيار والى جانبهِ خرسف ولما سار بهِ في اكمة عالية تنحدر الى لحف جبل فيهِ من الوحوش شيء كثير ودار بهِ حول وادٍ عظيم في طريق صعبة المسلك لا يمكن المرور منها الا في وسط النهار وقبل العصر اوصلهُ الى سهل كثير الاشجار ترعى بهِ الغزلان في كل مكان وتسير اسرابًا فسرَّ رستم من ذلك وجعل يرمي منها كيف مال وهي تنفر بين يديهِ وسرَّ كثيرًا من اتيانهِ الى ذلك السهل ولا زال حتى غابت الشمس وهو مسرور مزيد السرور وقد اصطاد كثيرًا واراد الرجوع فتوقف خرسف وقال لهُ في اي طريق نسير الان لان الليل شديد الظلام ولا يمكن الصعود عليها لانها متشعبة الصخور وهي على شفير يصعب جدًا المرور منهُ في هذا الوقت . قال الا يوجد طريق نسير عليهِ غير الذي سلكناها في هذا النهار . قال يوجد ذلك لكن بعيد جدًا ولا نصل منهُ الى المدائن الا بعد عشرة ايام . قال الا يوجد في هذه الارض مكانًا نبيت فيهِ قال يوجد لان كثيرًا من الملوك وسادات الملوك والامراء يقصدون التنزه في هذه الجهات فيقسمون اشهرًا برمتها وفي اطرافهِ عدة قصور لاولئك الامراء وكلهم من رعايانا واتباع ابي ولا سيما انهُ يوجد بالقرب من هذا المكان قرية صغيرة مبنية في مكان مطل على السهل جميلة الموقع جدًا فيمكننا ان نذهب اليها ونبيت عند شيخها الى الصباح ونامره ان يسوي لنا من لحوم هذه الغزلان الكثيرة وما بقي نحملهُ معنا في الصباح موافقة

رستم ومعها سيار وكلاب الصيد واحمال الوحوش والغزلان مقدار ساعتين حتى اقبلا على تلك القرية وجاءا الى شيخها فترحب بهما وقبل ايادي خرسف وانزلة في مكانهِ وذبح لهُ الذبائح واكرم رستم ايضاً وبعد ان اكلا الطعام وصرفا السهرة وعولا على المنام اخذ رستم الى غرفة صغيرة لينام فيها وقبل ان يدخل الى سريرهِ خطر في فكرهِ ان يتفقد سياراً وفرسهُ سلمى الدهماء فخرج وما اجتاز الباب حتى راى شبحاً لاح لهُ امامهُ وهو يتلصص ليقرب من الغرفة وقد سترهُ الظلام فاشهر في يدهِ الحسام حتى انار المكان وقصد ان يضرب بهِ ذاك الشبح واذا بهِ سمع صوت فتاة وقد قالت لا تفعل يارستم فما هذا جزاء من يريد لك الخلاص من الهلاك والسلامة من الموت فارتاع من ذلك وتعجب منها وقال اي شيء تقصدين وممن تخلصني ومن انت وبنت من تكونين قالت انا بنت شيخ هذه القرية وقد اتيت لاخبرك بامر فيهِ خلاصك من الموت . وذلك انهُ منذ ثلاثة ايام جاء ابي كتاب مع رسول الوزير بختك يقول لهُ فيهِ انهُ في ذات ليلة من هذا الاسبوع سياتي قريتك في ظلام الليل الامير خرسف ابن ملكنا الاكبر كسرى انو شروان ومعهُ رستم ابن الامير حمزة البهلوان وغلام اسود اخر فاصبر عليهِ الى ان ينام ومن ثم احضر خمسين رجلاً بالسلاح يدخلون عليهِ وهو في سريرهِ فيميتونهُ ويميتون العبد واياك من ان ينجو احدهما والان خرسف يحتال ليسحبهُ اليك فلا بد من اتمام مسعاهُ فاياك ان تتاخر والاَّ اهلكك الملك الاكبر فاستعد ابي منذ ذلك الحين واستعان على قتلك برجال القرية وهم الان يتهياون بالسلاح الكامل ينتظرون وقوعك في تبات النوم العميق لكي يقتلوك وحيث قد رايتك وشاهدت جمالك وكمالك حزنت على صباك فاردت ان تنجو بنفسك الان وتاخذني معك الى ابيك وقومك قبل ان يحل بك العطب . فلما سمع رستم هذا الكلام غاب عن صوابهِ وكاد يقع الى الارض من شدة الغيظ وجعل يصك على اسنانهِ وبعد مضي دقائق قليلة انتبه الى نفسهِ ووعي الى حالهِ فقال للبنت اذهبي الى بيتك واستعدي فسوف اخذك معي ولكن سوف ترين ما افعل ثم عاد في الحال الى سلاحهِ فتقلدهُ وخرج خارج الغرفة ودنا من الفرس فوجد سياراً ساهراً فامرهُ ان يسرج الجواد ففعل فقادهُ بعيداً عن المكان نحو مائة خطوة وعرج عن الطريق ووضع يدهُ على ظهر الفرس واقام ينتظر تمام العمل وهو يعد نفسهُ بقتل خرسف اذا كان ما اخبر بهِ صحيحاً ولم يلبث الاَّ القليل حتى راى الرجال مع شيخ القرية مقبلين تحت ظلام الاعتكار ودنوا من المكان للذي كان نائماً فيهِ بتانٍ وفتحوا بابهُ ثم اشهروا سيوفهم وهجموا على السرير فلم يروا احداً فاضطربوا وعولوا على الخروج واذا بالامير رستم قد ركب وصاح فيهم وترك لسيفهِ مجالاً في رقابهم ولم يمضِ الاَّ نحو ساعة من الزمان حتى قتل اكثرهم وهرب الباقون وهم يتعوذون بالنار ذات الشرار وبقي رستم سائراً يضرب ويقتل من وقع امامهُ حتى وصل الى المكان الموجود فيهِ

خرسف فدخلة فوقف مرتعشًا متظاهرًا بالتجاهل وقال له ماذا تريد ولما انت على هذه الحالة فلم يجبهُ الاَّ بضربة حسام القته الى الارض قتيلاً وقطع راسهُ فسلمهُ الى سيار وعاد الى الجواد وقصدا المسير واذا ببنت شيخ القرية قد عارضتهُ وقالت له خذني معك ياسيدي وليس من العدل ان تتركني هنا قال كيف اتركك وانت علة حياتي وراحتي ولولاك لكنت الان من المائتين . ثم رفعها وراءهُ وسار تحت ظلام الاعتكار الى ان وصل الى ذلك السهل عند انبثاق الفجر فقبض على راس الطريق الذي جاء فيهِ مع خرسف وتدرج بهِ حتى جاء الوادي وادار حواليهِ ثم صعد الاكمة ونزل منها عند العصر فراى فرسان قومهِ متفرقين في تلك النواحي ورأى اباهُ يتقدم في نفس الطريق فاطلق لجوادهِ العنان ولما التقى بهِ سالهُ عن غيبتهِ قال كنت بالصيد وقد امسى عليَّ المساء فبت في مكان وتاخرت الى الان ولا بد ان اطلعك على ما وقع لي ثم دنا منهُ وقبل يديهِ وقال لي سامحني على عدم انقيادي الى امرك فاني كنت اظن ان خرسف من الصادقين حتى وقع لي ما هو كذا وكذا ولولا هذه الفتاة التي نراها لهلكت غير ان الله لا يصر بانقياء القلوب وانقياء الضمير

وكان باقي اخوتهِ والفرسان قد وصلوا وسمعوا القصة وما منهم الاَّ من تعجب من رداءة خرسف وتوفيق رستم وشكروا الله على سلامتهِ وهنوهُ بالرجوع وقال له الامير حمزة اننا في مساء الغد قد افتقدناك فما رايناك فظننا انك في المدينة فاردنا ان نرسل عمرًا فقال اذا لم ينزل المدينة وانهُ في الصيد ومعهُ خرسف وسيار ولا خوف عليهِ لانهُ سار في الجهة الخلفية ولا يمكن ان يصل الى المدينة الان ولا مرلة الاَّ من هذه الطريق واذا جاء من غيرها فينبغي له عشرة ايام . فصبرنا الى الصباح ولما لم تاتِ زاد انشغال بالنا فارسلنا بالعيارين الى البراري فقاموا عدة ساعات وعادوا دون ان يقف احد على امرك فلم ارَ بدًا من الركوب والمسير بنفسي وان اخذ آثارك فسرت كما تراني ومعي عمر العيار ونهض اخوتك يريدون مرافقتي والحمد لله على رجوعك قريبًا بالسلام ولا عدت تفعل مثل ما فعلت ولا تركن الى احد من الاعجام لانهم ليسوا بذي امانة ولا يعرفون الحلال من الحرام ولا سيا ما دام بختك ابن اللئام فانهُ يحملهم دائمًا على الانتقام قال قد امتحنت وعرضت خبثهم فما عدت اركن الى كبير ولا صغير منهم وكان بنية كسرى وبختك ان يقتل احد اولادك عدرًا ليحرق قلبك عليهِ فها قد قتلت احد اولادهِ ليتحرق قلبهُ ويموت من غيظهِ . ثم رجعوا جميعًا الى صيوان البون شاه وجاء جميع العربيين شادات وقواد والعيار وسلموا على الامير رستم مظهرين فرحهم برجوعهِ سالمًا وخلاصهُ من كيد اعدائهِ وفي المساء اخذ رستم راس خرسف ووضعهُ بجافة والصق عليهِ ورقة كتب فيها هذا جزاء من يقصد الخيانة والغدر وبعث بعيارهِ سيار ان يعلق الراس في باب الايوان حتى يراهُ الاعجام في الصباح . ومن ثم امر الامير فرسانهُ وابطالهُ ان يتقدموا من المدينة وان يحصروها ويضايقوا الاعجام ولا يدعوا

احداً يخرج منها او يدخل اليها وقال اننا اكرمناهم فليسوا من اهل الكرامة واردنا اكراماً لخاطر بزرجمهر الافراج عنهم فاغتنموا هذه الفرصة للغدر بنا ولو تم عملهم لاماتوني قهراً وحزناً

وعند الصباح خرج كسرى من قصره وجاء الايوان فوجد الناس مجتمعين عند بابه وبعضهم يمزق ثيابه وبعضهم ينتف لحيته وكلهم يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون ويندبون ويولولون فارتاع وتقدم وبين يديه الحجاب ليكتشف الخبر واذا به يرى راس ابنه خرسف ففعل كفعلهم ومزق ثيابه ووقع مغشياً عليه فرفعوه الى الديوان ورشوا على وجهه ماء الزهر الى ان وعي فلم يجسر احد ان يفوه بكلمة بل بقي الكل مطرقين الى الارض باكين ناقمين مضطربين فامر ان يوتى براس ابنه الى بين يديه ويضع في الارض وجعل يبكي وينوح ويندب كالنساء كل ذلك النهار وفي المساء اخذ الراس الى قصر الملك فاجتمع حوله النساء ودار الحزن في المدينة مقدار ثلاثة ايام وقد صبغت اسوار المدينة من كل الجهات وحزن الكبير والصغير وبختك خائف من ان يعرف الملك بدسيسته وانه كان السبب في وقوعه بيد العرب فيقتله لا محالة ولذلك كان يظهر من الحزن اشده ويتجاهل في سبب قتله ويلعن العرب ويشتمهم . وفي اليوم الرابع جاء كسرى الديوان وجلس حسب عادته وهو مغضب جداً وقال ماذا عملنا مع العرب ياترى حتى قتلوا ابني مع انا مساعدون لهم ووعدوا وزيري بزرجمهر بالحسنى والتاخر ولا بد من ان يكون لذلك من سبب احهله . فقال بختك ان العرب لا يصدقون ياسيدي ولا اعلم ما دبروا مع بزرجمهر حتى قتلوا ابنك واعدموك اياه وتركونا نحزن عليه الى الابد . فقال بزرجمهر ان العرب وعدوني وعداً صادقاً ولا ريب ان بختك دبر حيلة التي بها ابن سيده في حفرة الهلاك وتركنا في حصار لا نعلم عاقبته ولولا ذلك من اين للعرب وصول الى خرسف فانه كان يذهب اليهم في كل يوم وما ذهابه هذا الا لغاية اصلها الوزير بختك ولم يتركنا ان ندبر امرنا لندفع العرب عن بلادنا فحل هذا الكلام من كسرى محل القبول وقال لبختك لقد اصاب وزيري بزرجمهر فانت اصل الدسائس وعلة الاحزان فاني اقسم بالنار والنور انك اذا ما دبرت وسيلة نبعد بها العرب عن المدينة وتنهي امر هذا الخصام بيني وبينهم والا سلمتك اليهم وتركتهم يتمتعون بدمك وغيرك لا يطلبون وقد امهلتك الى ذلك مدة ايام فاما انك تجد الطريقة في رجوع الاعداء واما اصالح العرب بك . فبكى بختك وقال يمكن ان يظن بي سيدي الملك هذا الظن مع علمه بامانتي واني اعده بابعاد العرب ولا احرم من واسطة الى ذلك واذا كان يرى ان باهراق دمي البريء راحته وسلامة بلاده فليفعل وحسبي الى النار لا تحرمني من الثواب ومجازاة الذين يوشون بي عند سيدي الملك . قال لا ارغب في موتك اذا تمكنت من دفع الاعداء وغير هذا لا اريد وقد رق كسرى لبختك ولكنه بقي مصراً على قوله

وبقي العرب على حصار المدينة عدة ايام لا يتركون الطير يدخل اليها وهم بفرح زائد وعدوهم بالويل والحرب الى ان كان ذات يوم تذكر الامير رستم فرخ حسن ذاك السهل الذي اصطاد به الغزلان عندما كان معه ابن كسرى وكم اصطاد من الغزلان في ذاك اليوم وقد تركها محلها ولم يأتي بواحدة منها فاشتاق الى مطاردة الوحوش والنمور والسباع والغزلان فحدثته نفسه وحبه للصيد بالمسير الى السهل المذكور وقرر الفكر على ذلك وفي صباح اليوم الثاني نهض الى جواده فركبه وخرج من بين قومه واستلم الطريق وسار عليه حتى وصل بعد الظهر فرأى المياه جارية من كل باح تتاخر تارة وترد الى المياه اخرى فجعل يرمي منها بسهامه وسيار يتناولها وما زال على ذلك حتى اصطاد شيئاً كثيراً ثم نزل على جانب الماء وامر سياراً ان يضرم النار ويشوي له فيأكل ففعل وشوى له فاكل وشرب وغسل يديه واكل سيار ايضاً ثم قال هلمَّ بنا ياسيدي الى الرجوع قال اني استطيبت مناخ هذه الارض فلا ابرح منها الى الصباح فانام الليلة هنا وفي الصباح اصطاد ما تصل اليه يدي وارجع فاصل عند المساء وفيما هو على مثل ذلك واذا به يرى غزالة نظرت اليه بانس ودنت من الماء فشربت فنظر اليها واذا به يراها ظريفة التركيب ذهبية الجلد كبيرة العينين طويلة العنق جذابة المنظر فقام اليها واراد ان يلتقطها فنفرت قليلاً ولم تقبل ان تسلم نفسها اليه بل استغربته فزاد شوقاً الى مسكها بيده وبقي يتأثرها حتى غاب عن نظر سيار فاخذ الجواد وتبعه خوفاً عليه حتى ادركه وهو يركض خلف الغزالة حتى وصلت الى قصر قائم بين تلك الاشجار فدخلت في حوشه واختفت بين حيطانه فوقف متحيراً واخيراً خطر له ان يطرق الباب ليرى من داخل القصر فدنا منه وضرب المطرقة واذا بطاقة القصر قد فتحت ووقفت فيها صبية كأنها البدر في الاشراق معتدلة القد ذات بياض باهر متشرب بحمرة نقية وعنق متوسط الطول شديد البياض ايضاً وصدر واسع ناهر النهدين مرتفعين كحقق من لجين . وخصر سقيم رقيق وقد وضعت يديها على مصراعي الطاقة وقالت من الطارق فنظر الى الفوق وانعقد لسانه عن الجواب وقد اخذ قلبه من اول وهلة وصبر نحواً من ربع ساعة عن الجواب وهو محدق بها لا يدري بماذا يجيب وهي تفعل كفعله لانها رأت فيه من الحسن العجيب ودلائل الشجاعة ما لم تره في انسان مع انه شاب لم يبلغ اشده وبقيت ناظرة اليه الى ان اجاب وقال لها اعلمي ياست الملاح اني كنت اطارد غزالة فزادتني الى هنا واختفت عني وقد اختفت في هذا القصر فهل لي ان اراها قالت ان الغزالة في حمانا فاذا شئت سلمناك اياها وان شئت فاقبل فيها رجانا فجمع حواسه ثانياً وقال لها ما كان من امر امثالك قط ان يترك صيدته الا ليعتاض بسواها احب لديه منها فاما ان تعاد اليَّ واما ادخل في حماكم مثلها قالت ما اردنا ان نحميها منك الا ونحن فداها فهل لك ان تقبل ظبية شعورة ايسة بدلاً من

طيبتك النافرة الخائفة . قال ياحبذا ان تم ذلك فمن انتِ ومن عندكِ في القصر . قالت انا قمرشاه بنت حاكم بلاد خوارزم وعندي في هذا القصر بنت عمي ياقوت شاه لا غير فمن انت ولمن تنسب . قال انا رستم بن الامير حمزة البهلوان . فلما سمعت كلامهُ صفقت من الفرح وكادت ترمي بنفسها من الطاقة وصاحت مرحبًا بك ايها الامير والسيد الخطير فادخل الينا فانت المطلوب والمرغوب لاننا كنا نحسد مهردكار وطوربان حتى اوشك ان يساوينا بهما الزمان وكان سيار خلفهُ فربط الجواد وسار وراءهُ وفتش في القصر فلم يرَ غير خدم والفتاتين فارتاح ضميرهُ على مولاه واطمأن باله وعاد فاراح الجواد ونزع سرجهُ واخذ لنفسهِ مكانًا حصينًا يبات فيهِ تلك الليلة ويبقى محافظًا على حياة رستم وراحتهِ

ولما وصل رستم فرتم الى الداخل لاقتهُ قمرشاه وبنت عمها ياقوت شاه وهما من اجمل النساء جمالاً وكل واحدة تفوق الثانية جمالاً وكمالاً وبهاء واشراقًا وكانت قمرشاه لابسة ثوبًا من الديباج الابيض وعليهِ من الجواهر واعلى ما يعجز القلم عن وصفهِ والثانية ثوبًا من الحرير الازرق وعلى دوائرهِ من النسيج الاحمر الشامي وفي كل مقدار قيراط ياقوتة حمراء ترهج وتلمع كأَنها الكواكب تضيء في فلك ذاك الثوب وكلها تكتسب انوارها من نور شمس ياقوت المذكورة التي هي ابهر من الشمس والقمر وكل نور ساطع وسلمت كل واحدة عليهِ بدورها وقد اخذ من حسن الفتاتين وتمناهما لنفسهِ معًا وقد مشت كل واحدة من جهة وهو بينهما الى ان ادخلاهُ قاعة الجلوس فجلس على كرسي من الابنوس مجللة بالاطلس الاحمر وريش النعام . ولما استقرَّ بهِ المقام احضرن لهُ من الشراب الممزوج بماء الورد والسكر واحسنتا معاملتهُ كل الاحسان وبعد ذلك احضرتا الطعام الفاخر واكلوا معًا ولما رفعت صفرة الطعام احضرت بواطي المدام وصفت النقولات من كل الانواع الطيبة والزهور من اركى المشمومات وابهى الالوان وكل الاواني من الفضة المحلاة بالذهب فنهض وجلس الى بين الصبيتين وكل واحدة تسكب الخمر في جام وتسقيهِ وهو يفعل كفعلهما ويكثروا من التقبيل والمزاح ولما اشتد الغرام بقمرشاه اخذت كأْسًا فملأتها وانشدت

روحي بل بآبائي الكرام ... رشًا لعبت بهِ ايدي المدام
اذا ما اهتز عن ردفٍ طويا ... حشايانا على حرّ الاوام
ولولا عارضاهُ لما علمنا ... بان البدر يطلع في اللثام
لعوب باصطبار اخي شجونٍ ... طليع الدمع مأْنور الهيام
تذكر بالحمى ان شام برقًا ... زمان اللهو متسق النظام
وقصر واسع الاكناف رحبًا ... يجرر فيهِ اذيال الغرام

وقد نظمت لنا كف التصابي   عقود الوصل في كل المرامِ
وقد سقى وصلنا موصول دمعي   وحيا عهدنا عهد الغمامِ

ثم شربت الكاس الى اخرو وقبلته وقبلها وتعانقا ثم تناول الكاس وشرب بعد ان انشد

قفا نتشاكا ما نشاكاهُ وامقٌ   وقد ظعنت بالغانيات الايانقُ
كثير سهاد العين نزر هجوعه   يواصلُ طيفًا منهمُ ويفارقُ
تملك حب العامرية قلبهُ   وما عاقهُ عنها من الحي عائقُ
غرالية تغشى العيون جلالة   مغاربها احشاؤنا والمشارقُ
فان خطرت زهوًا فغصن منعمٌ   وان عبقت ريًّا فنمّ حدائقُ
وان يكُ في ثغر الحسان عذوبة   ففي ثغر من اهوى عذيبٌ وبارقُ
وبي حالة العشاق في كل حالةٍ   ولكنني لم ادرِ من انا عاشقُ
يشير باطراف البنان ويشتكي   اليم الجوى منا مشوقٌ وشائقُ

وبعد ان شرب الكاس قبل قمرشاه وانشد

لحظات ترمي الحشا بنبالِ   قاتلات ولات حين قتالِ
وخدود كالورد لونًا وطيبًا   صقلتها صبا البها والجمالِ
وثنايا كاللؤلؤ الرطب تذري   حسن نظم لها بعقد اللآلي
وقوام يحكي العوالي ولكن   فعله في القلوب فعل العوالي
من نصيري على الحبيب المفدى   بنفوس منا كرام عوالي
قمر يخجل الشموس ضياء   وقضيب يسقى بماء الدلالِ
وغزال المسك في الفم منهُ   نفحات تفوق مسك الغزالِ
راح يشدو بذكر خمرة وعد   عند سمعي فاسكرت آمالي
خمرة صورت عصارة جمرٍ   لظنون في اكؤس من آلِ
غادرتني ايدي هواهُ بجسمٍ   ناحلٍ ماحلٍ كربع بالي
اتمنى خيالهُ وبعيد   ان يزور الخيال طيف الخيالِ

ومن ثم اخذت ياقوت شاه الكاس وشربت وسقته وانشدت

احن بي بالتواصل بعد بعدك   لعلي احتني ثمرات وعدك
واسأل لك القليل من التلاقي   ولكن خشيتي من سوء ردك
سقى الرحمن اياما لقينا   بها راحًا على وردات خدك
ونلثم اقحوان الثغر طورًا   على جزع ونهصر غصن قدك

ونقتبل السعود لنا بصرحٍ | بدت بدر وجهها اقمار سعدك
نجرر فيهِ اذيال التصابي | وننشق عرفهُ من طيب ندك
الا ان النعيم لدون يومٍ | نواصل وصلك لدون صدك

فمال اليها وسقاها وشرب وتصور معنى جمالها وكمالها وبهائها وهي تشرق نورًا بذاك الثوب الازرق وانشد

صاد الاسود بمقلةٍ وسباء | وسبا العقول بطلعة وسناء
واتى بازرق ثوبهِ متوشحًا | فكأنهُ بدر بدا بسماء
خجلت شموس الافق منهُ عندما | وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقطب خرّت سجّدًا لما بدا | متخطرًا بالقامة الهيفاء
وبليل طرتهِ ضللت وانني | من صبح غرتهِ وجدت هدائي
فتبارك الرحمن ما احلاهُ من | رشاء غدا مرعاهُ في الاحشاء
ما كنت احسب قبل صيد الظبي لي | ان الاسود فرائس لظباء
حتى طعنت باسمر من قدهِ | وقتلت من الحاظهِ بظباء
فاذا انثنى واذا رنا وتذكر لي | بيض الظبا مع صعدةٍ سمراء
سلطان حسن في الملاحة قدهُ | قد حصهُ من شعرهِ بلواء
وبوجنتيهِ عجائب من بعضها | نار يشب ضرامها بالماء
كم رمت منهُ قربهُ فيجيبني | الحاظهُ اللاتي سفكن دمائي
من رام يجني قلبهُ في حدهِ | حتى يعدّ عدمًا من الاحياء

وصرفوا اكثر الليل على مثل تلك الحالة بين شرب مدام ومناشدة اشعار وتقبيل ومكاشفة اسرار الى ان اخذت الخمرة حدها وحينئذٍ قالت لهُ قمرشاه هلمّ بنا الى المنام. فقال امكنا على دين النار ولا يمكن ان اقرب منكما الاّ اذا كنتما تعبدا الواحد القهار فتكونا من نسائي ويكون لي نكما الخيار فامنت قمرشاه بالله العزيز الجبار فاخذها لنفسهِ زوجة واتاها وسرّ منها سرورًا عظيمًا . وهذه تأتي منهُ بولد ذكر يدعى بالامير قاسم ويكون كسوسة في معسكر العرب ياليت ما ولدتهُ امهُ وبعد ذلك امنت ياقوت شاه واعتنقت الشريعة الالهية فسرّ منها كثيرًا وتزوجها وهذه لم تلد منهُ قط لا بذكر ولا انثى

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير رستم فرتم وجاء نساؤهُ اليهِ وقبلت كل واحدة منهما يدهُ فقال لهما ماذا تقصدان بالقيام في هذا المكان وانتما منفردين عن بلادكما وقومكما فقالت قمرشاه ان هذا المكان مشهور بالنزهة وطيب المناخ فطلبنا الى ابي ان يبني لنا قصرًا فيهِ

جميلاً فنعل وصرنا في كل عام نحضر ونقيم فيهِ اشهر وعندنا كل ما نحتاجهُ فضلاً عن الخدم والعبيد ويزوروننا في كل مدة اهلنا وهم في امان علينا لعلمهم ان لا احد يجسر على الدنوّ من بنات الملوك ولاسيما ان ما من غريب في هذه الارض وكل البلاد تعرف ابي قال ان وجودكما هنا كان من حسن حظي لانال السعادة والحظ بكما

قال وكان في نفس ذاك الليل قد اغتاظ خدم القصر من فعل الامير والبنات فخرجوا وانطلقوا حتى جاءوا المدينة واخبروا حاكم مدينة خوارزم واخاه بما فعل بنتاهما . فغضبا الغضب الزائد وقالا لا بد من هلاكهما وهلاك رستم معًا لانهما نجستا دين النار واخذا شرذمة من العساكر وساروا جميعًا الى القصر وكان رستم غارقًا بالملذات مع زوجتيهِ فوصل الخبر الى قمرشاه فلم تتركهُ يعرف شيئًا من ذلك بل اسرعت الى باب القصر وكان من الحديد فاقفلتهُ واخذت المفاتيح وجلست تنتظر ما يكون من امر ابيها وعمها وقد خافت كل الخوف على حياة رستم حبيبها وحينئذٍ وصلت العساكر وطرق حاكم خوارزم الباب ونادى بنتهُ ان تفتح فلم تجب وشعر رستم بازدحام الرجال حول القصر فاسرع الى الطاقة وشاهد ما شاهد من اعمال ابي قمرشاه فتاقت نفسهُ الى القتال واراد ان يركب جواده وينزل اليهم وصاح بسيار ان يفتح باب القلعة فقال لهُ ان قمرشاه قد اقفلتهُ واخذت المفتاح فنزل الى الباب وعالج فتحهُ فراه متينًا فعاد اليها وطلب منها ان تدفع اليهِ المفاتيح فقالت لا تتعب عبثًا فاني لا ادفعها اليك ولو قطعتني اربًا اربًا . قال لها ويلك انك بعملك هذا تقصدين هلاكنا لاننا اذا بقينا داخل القصر كسر ابوك الابواب ودخل الينا وانا وحيد هنا والحال ضيق عليَّ جدًّا ولا يمكنني ان اقاتل وانا في سريري ولكن اذا خرجت اليهم وانا على ظهر جوادي بددت شملهم شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ولو كانوا بعدد رمل البحار . قالت هذا لا يمكن ابدًا لان الباب متينًا ولا اظن انهم يقوون على فتحهِ ولكن اذا نزلت انت اخاف ان يلحق بك ضربة من احد او كنت غير قادر على الثبات فيلحق بك ضرٌّ . قال لا تخافي عليَّ بل قفي وانظري ماذا افعل بهم وسوف تريني وقد بددتهم جميعًا ولا بد من خروجي والاَّ اخذت سيفي ورميت نفسي من الطاقة فقالت لهُ ياقوت اذا كان ولا بد لك فعندي راي حسن جدًّا بهِ الخير والنجاح . قال وما هو قالت ان ابي وعمي ورجال المدينة كلهم هنا فمن الموافق ان نخرج من دهليز القصر ونسحب تحت الظلام الى المدينة وندخل بغتةً فنلتجي نحن الى امينا ونجا خلاصنا من ابوينا فقال رستم وهل في المدينة عسكر كثير قالت كلا فان اكثر العساكر مع ابوينا فاستحسن هذا الراي وخطر لهُ ان يذهب اولاً الى المدينة ويقفل ابوابها واذا جاء ابو قمرشاه وابو ياقوت شاه طردهما عنها الاَّ اذا قبلا بتزويجهِ من بنتيهما وحينئذٍ وافق على راي ياقوت شاه واعتمدوا عليهِ جميعًا وعند اسوداد الليل انسحبوا الى المدينة وجاءوا

ابوابها ودخلوها وأتت قمرشاه وابنة عمها الى ابيها واخبرتاها بما كان من امرها مع رستم ابن الامير حمزة البهلوان وانها تزوجتا به وانسرتا منه كثيرًا ولما كان من طبع الامهات ان يسررن لبناتهن ويفرحن لفرحهن لم تتكدرا من ذلك وكل واحدة وعدت بنتها بمراضاة ابيها عند عودته ولا سيما عندما راوا رستم فرتم بديعًا في الصورة واللطافة واما رستم فانه في الصباح تقلد سلاحه ودخل ديوان حاكم خوارزم واشهر حسامه وصاح في من هناك ويلكم انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة العربان قاهر الانس والجان وقاتل داهور الهندي القرنان وقد ملكت هذه بنفسي فمن منكم اطاع عفوت عنه ومن عصى اهلكته فصاح الجميع بالامان لما سمعوا ذكر حمزة البهلوان وقالوا اننا كلنا عبيد للعرب فجلس على تخت المدينة ونشر خبر تسلطه عليها في كل النواحي وهابه الجميع واخلصوا له الود وانقادوا لامره فامر ان تقفل الابواب وتقام عليها الحراس واذا جاء حاكم خوارزم واخوه والعساكر الذين معهم يمنعونهم عن الدخول ويعلمونهم بان رستم اصبح الحاكم على البلد

فهذا ما كان منه واما ما كان امر حاكم خوارزم فانه لا زال مع قومه يعالجون كسر باب القصر حتى فتح ودخلوا وفتشوا فيه فلم يروا احدًا وعرفوا انهم هربوا منه فنزلوا واذ ذاك وصل اليهم الخبر بان رستم سار الى المدينة وملكها مع نسائه فكروا راجعين ومعهم العساكر ولما وصلوا من الابواب وجدوها مقفلة فسالوا الحراس فتحها فابوا وقالوا لا نقدر على ذلك واذا فتحنا الابواب اهلكنا الامير رستم لانه اصبح الحاكم على المدينة وطاعة الكبير والصغير وقد خلعوا طاعتكم واوصانا ان لا نفتح لكم الا اذا كنتم تقسمون له الايمان العظيم بانكم تقبلون به زوجًا لبناتكم وتنفون الغيظ من قلوبكم ولما سمع حاكم المدينة خاف كل الخوف وتشاور مع اخيه ورجاله واعتمدوا على التسليم وقال له احد اعيانه اننا اذا عملنا على العناد ادركنا العرب مع الامير حمزة واهلكونا عن اخرنا ومن الراي الحسن ان نتفق مع رستم ونقاد اليه ونتخذه سندًا لنا وغوثًا واي سند ترجونه لكم اعظم من هذا السند واي زوج يكون اعظم من رستم وافضل وهو ابن الامير حمزة العرب فارس فرسان هذا الزمان وقاهر كسرى انوشروان وامه بنت الملك قيصر ملك الطوائف النصرانية والامة المسيحية فراوا ذلك من الصواب وتقدموا من الابواب وقالوا للحراس اذهبوا الى صهرنا واخبروه باننا عبيد له ونرغب فيه من كل خاطرنا فاذا قبل دخلنا المدينة واقمنا بين يديه واذا ابى رحلنا عنه ولا نشهر في وجهه حسامًا بل نبقى راضين عنه واننا كنا في جهل ووعينا الى انفسنا فسار اولئك الحراس الى ان جاءوا الديوان واخبروا رستم بما كان من امر حاكم خوارزم وقومه فقال لهم افتحوا الابواب فاني سائر على اثركم الى ملاقاتهم ونهض في الحال وسار وبين يديه رجال الديوان والعظماء والاعيان ولما وصلوا من الابواب كانت قد فتحت فالتقوا

ببعضهم البعض وتصالحوا واعتذروا اليه ورضوا منه وفرحوا به وقد راوه بطلاً من الابطال وسيداً كريماً باهر المنظر حلو الخصائل . ومن بعد ذلك رجع الجميع الى دار الاحكام وقامت الافراح والولائم وجددوا عرس الامير رستم على زوجتيه قمرشاه وياقوت شاه وعقدوا له عليهما وصار بفرح زائد وحظ عظيم مدة ايام يصرف اكثر اوقاته في قصره مع زوجتيه والباقي في الصيد والقنص وقد ركن الى اهل المدينة كل الركون لانهم كانوا قد امنوا بالله تعالى وتركوا عبادة النار

ففي ذات يوم خرج حسب عادته الى الصيد فصرف اكثر النهار ورجع بعد ان اصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان والاراسب والنمورة وفي اثناء عودته مرّ من ناحية دار الحكومة فراى خيلاً غريبة مربوطة عند الابواب فدخل الديوان ونظر من هناك فوجد رجلاً عظيماً جالساً في الديوان وهو يتفاخر ويتعاظم ويتهدد من هناك ولا احد منهم يقدر ان يجيب بكلمة وهم اذلاء بين يديه وسمعه يقول لهم حيث قد تركتم عبادة النار ودخلتم في غير دين فلا بد من ارجاعكم واذلالكم فادفعوا الجزية وارجعوا الى ما كنتم عليه فاغتاظ الامير رستم من هذا الامير واستل سيفه وضربه فالقاه قتيلاً وامر سيار العيار ان يسحبه الى الخارج ويلقيه الى الكلاب . ولما راى عماه هذا الامر خافا واضطربا وقالا له ما كان لازم ان تعجل في ذلك وترمينا بالويل والخراب وتجلب لنا الهم والعذاب . فقال لهم واي عذاب تخافون وانا حاميكم ومن يكون هذا الرجل الذي تخافونه ولو كان كسرى انوشروان او ابي الامير حمزة البهلوان لما طاعتني النفس ان اصبر عليه بعد ان سمعته يهينكما . فقال له عمه ان هذا وزير الملك هندام صاحب بلاد الجزر فقد وصل اليه الخبر بتركنا دين النار فغاظه ذلك وارسله اليه لنكون في طاعته وتحت امره ويخلصنا منك والاً فانه يهدم بلادنا من اساسها ويقلع منا الاثار الى اخر الادهار وحيث قد قتلت هذا الوزير واصليت نار غضب سيده فلا بد من ركوبه علينا واننا نرى ان من الموافق ان نجمع اموالنا ونساءنا ونسير في الحال الى معسكر العرب ونضم الى ابيك وقومك قبل ان يدركنا ويلقينا بالمصائب والبلاء . فقال لهم لا يمكن ان اذهب الى ابي هرباً من الملك هندام ولا بد من ان اذهب اليه بثلثمائة فارس واخرب بلاده واهلك قومه واريكم ما افعل به فابقوا انتم في المدينة الى ان اعود اليكم . فقالوا انك لا تقدر ان تثبت وحدك امام جيوشه لانه كثير الارهاط والاعوان . قال اني اعرف نفسي ولا بد لي من ذلك . ثم انه قال لخدم الوزير سيروا الى سيدكم هندام وقولوا له ان هذه البلاد صارت في قبضة العرب وتحت طاعتهم وسلطانهم واني انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان مطيع الانس والجان قد قتلت وزيره وسأسير اليه لاقتله واعدمه الحياة

وبعد ان سار الخدم انتخب رستم ثلثمائة فارس من اشد فرسان خوارزم وسار يقطع بهم القفار قاصداً بلاد الجزر . ووصل العبيد الى الملك واخبروه بما سمعوا ورأوا ونسوا الوزير بين يديهِ فغضب من ذلك غضباً عظيماً واقسم بالنار والنور انهُ لا بد ان يبيد العرب عن اخرهم وياخذ بثار وزيرهِ ويهدم مدينة خوارزم الى الارض ولا يترك منها لا ديار ولا نافخ نار وكان لهذا الملك بنت اسمها حسانة بديعة الحسن والجمال ذات قدٍ معتدل وخصر رشيق وخد ناعم يندر وجود مثلها في زمانها وهي تدعي بنفسها انها افرس فارس وابسل من ركب الجواد ونقل الحسام فتقدمت من ابيها وقالت لهُ لا ينبغي ان تغضب وتتكدر من عمل بدوي تجاسر لقلة عقلهِ على اخراق هيبتك ولا يلزم الامر ان تزج نفسك بالمسير الى قتالهِ لا انت ولا رجالك بل اسير انا واقتل لك الامير رستم واخرب بلاد خوارزم فيعرفون عظم سطوتك ونفوذ شانك قال اني اخاف عليك من الامير رستم لانهُ فارس عظيم وقد وصل اليَّ صيتهُ بانهُ قهر كسرى وقتل داهور الهندي . فقالت لا تخف عليَّ فلو لم اقدر على ذلك لما طلبت اليك الاذن بهِ فاني اعرف مقدرتي واوكد ان لا فارس في هذا الزمان يقدر على الثبات امامي في ساحة القتال . فقال اليك ما تريدين واذا رايت من نفسك العجز والتقصير فارسلي اليَّ بالخبر في الحال لاسير اليك بالعساكر والابطال . ثم ان حسانة جمعت البنات وكان لها جيشاً منهنَّ وفرقت عليهن السلاح وركبت بهن تقصد ملاقاة الامير رستم فسارت النهار بطولهِ الى المساء وفي المساء نزلت وضربت الخيام ونامت في تلك الارض الى الصباح فعولت على الركوب والمسير واذا بالامير رستم قد وصل الى تلك الناحية وشاهد حسانة وجيشها وقد ظنهنَّ من الرجال فارسل سياراً يسال عن امرهم فقالت لهُ اننا فرسان الملك هدام وقد ارسلنا الى قتال الامير رستم لنعدمهُ الحياة وننزل بهِ الهلاك والهوان . قال لها هوذا رستم قد وصل وسوف ترون منهُ حرباً شديدة وتشاهدون الموت عياناً . فعاد سيار واخبر مولاه بانهم فرسان الملك هدام سائرين اليهِ فركب في الحال وقصد ساحة القتال ومن خلفهِ من معهُ من الرجال وركبت الاميرة حسانة وبناتها ولما التقيا تنافرا بالكلام وتجادلا بالتعنيف والملام . ثم هجما هجوم اسود الآجام وتصادما واي صدام والتحما واي التحام . واكثرا من الاخذ والرد والقرب والبعد والطعن بالرماح والضرب بالصفاح مقدار ثلاث ساعات من الزمان وحينئذٍ نظرت حسانة الى نفسها بانها مغلوبة لا محالة وذلت بين يدي الامير رستم لانها لم تكن من رجالهِ ولا هي من ابطالهِ وخافت على نفسها كل الخوف ولذلك صاحت تمهل يا فارس الزمان ولا تعجل عليَّ بالهلاك لاني متضايقة غاية الضيق واحب ان اتنسم الهواء واريك نفسي من انا فكف عنها القتال ورجع قليلاً الى الوراء وقال اني انصف خصمي بالحرب ولا اضايق عليهِ ولا احب الاسراف فافعلي ما انت فاعل

وعا اني امهلك وقتًا من الزمان فاذا رغبت في السلامة سلم نفسك اليّ فاكرمك واحسن معاملتك ومن ثم اعيدك الى وطنك عزيزًا واذا بقيت مصرًّا على العناد كان جزاؤك الاعدام فلم تجب حسانة بشيء. الا انها اظهرت الضجر من التعب والحر فنزعت عن راسها الخوذة وارخت شعرها على اكتافها وازاحت لثامها وبان وجهها البديع الجميل الذي يخجل كل بدر منير واخذت في ان تفك ازرارها عن صدرها وتستنشق نسيم الهواء البارد

ولما رأى الامير رستم اليها وتأكد انها من البنات ربات الخدور كاد يغيب صوابه ويضيع رشده ويقع الى الارض من شدة الحياء والخجل وعندما شاهد بدر محياها مشرقًا بتلك الانوار الساطعة زاد به الوسواس واختل اي اختبال وبقي صامتًا ناظرًا اليها متأملاً في حسنها ومعانيها وقد القى بطرف رمحه الى الارض واسند رأسه على الطرف الآخر وبقي متأملاً وهي تشاهد منه ذلك وتؤمل الفوز والنجاح ولما رأى بياض صدرها بعد ان فكت ازرارها وابرزت نهودها زادت به الحال وغاب عن صوابه لانه رأى حسنًا لم ير مثله قط لا في العرب ولا في العجم وارتخت منه المفاصل وحينئذٍ استغنمت تلك الفرصة وتناولت رمحًا باسرع من لمح البصر وقلبته في يدها وارسلته الى صدره فالقته طريحًا الى الارض ونزلت اليه وشدت اكتافه واوثقته بالحبال وقادته كالبعير ولم يع على نفسه الا وهو بين يديها تقوده وراءها وقد اعادت لباسها كما كان وسترت نفسها تحت ملابس الفرسان . وحينئذٍ جعل يعض على يديه ندمًا وقد تكدر مزيد الكدر وكاد يقتل نفسه من الحنق كيف ان بنتًا من بنات الاعداء تأسره. وكانت حسانة قد اشارت الى جماعتها البنات ان يحملن على قوم الامير رستم ففعلن وفي اقل من ساعة هربوا متكدرين مما اصاب الامير وحينئذٍ اخذت الامير ورجعت الى المدينة الى ابيها مفتخرة بنفسها تباهي على ابناء جنسها ولا زالت في مسيرها الى ان وصلت الى المدينة وارسلت فاخبرت ابيها بانها قد انهت العمل وجاءته بعدوه الذي قتل الوزير ففرح مزيد الفرح وتعجب من شجاعتها وبسالتها واقدامها ولما وصلت اليه قبلت يديه فقبلها بين عينيها ومدح من شجاعتها واجتمع اليها اعيان المدينة وسلموا عليها وهنأوها بالنصر وما منهم الا من تعجب من عملها كيف قدرت على اسر رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان . ولما استقرت في الديوان قدمت رستم الى ابيها وقالت له خذ هذا عدوك فاقتله في الحال وانزل به النكال ولا تشفق عليه ساعة ولا بد لي من ان اسير الى ابيه فافعل به وبفرسانه كما فعلت بهذا وافرج عن كسرى ثقل الحرب التي اتصلت شرارتها من الشرق الى الغرب فاصابت البعيد والقريب . فقال لها حبًا وكرامة فسأقتله في هذا النهار واريح الدنيا من شره واخذ بثار وزيري في الحال ثم قدم رستم وجعل يلومه ويعنفه وهو لا يبدي كلمة ولا يظهر حركة بل كان لا يعي من شدة الغيظ كيف غدرت به تلك الخبيثة

المحتالة وانفذت فيهِ سهام غرامها فذهب اسير اللواحظ لا اسير القتال

قال وكان عند الملك هندام وزير مسن قد حنكتهُ الليالي والايام خبيرًا باحوال الزمان يعرف تقلباتهِ ويدرك معنى الاحوال وقد رأى من حالة رستم غيظهُ وكدرهُ فثبت عندهُ انها ما اسرتهُ في القتال وانها احتالت عليهِ الى ان رمتهُ في شراك هواها واحب ان يخلص رستم من القتل الى ان يصل الخبر الى ابيهِ لانهُ كان يعبد الله العزيز الجبار ويكره عبادة النار ولذلك قال لحسانة اليوم علمت كل اهل المدينة ما لكِ من الفضل والشجاعة التي لم يسبقكِ الى مثلها فارس صنديد وبطل مجيد كيف لا وقد قهرتِ الامير رستم فرخ بن الامير حمزة العرب الذي قتل داهور الهندي وارعب جيش كسرى وطار صيتهُ وصيت ابيهِ في الآفاق غير اني لا اريد ان تعجلي في قتلهِ بل ارغب ان ترسلي بهذه الاخبار الى كل العمال واعيان البلاد وتدعيهم الى الحضور والفرجة على مصرع اسيركِ فيزيد بذلك قدركِ ويرتفع شأنكِ ويعرف البعيد والقريب انكِ اخذتِ شار ودبرت دولة ابيكِ وايضًا من الواجب ان ترسلي خبرًا الى الملك الاكبر كسرى انوشروان واعلميهِ بواقعة الحال فيغمركِ بالعطايا والانعام ويزيد في ملك ابيكِ ويدعوكِ اليهِ . فاي فخر لكِ اعظم من هذا الفخر الذي لم ينلهُ قط احد سواكِ . فلما سمعت كلام الوزير هب في رأسها حمر العظمة والفخار ورأت ان كلامهُ عين الاصابة . فقالت لا بد لي من انفاذ ما اشرت اليهِ ولا اقتل رستم ما لم تجتمع روساء الطوائف وحكام الاقضية والبلدان ويرونهُ اسيرًا بين يدي ومن ثم اقتلهُ بيدي واشفي غليل ابي من قتلهِ فاستحسن ابوها ذلك وقال افعلي ما ترغبين واكتبي الى كسرى وبشريهِ بذلك وادعي كل عمالنا لان بذلك رفعة مقامنا وبهِ ايضًا تزيد هيبتنا في قلوب الجميع فيخافنا البعيد والقريب . واما الوزير فانهُ سقط عن قلبهِ الهم والكدر وتأمل خلاصهُ من اقرب طريق . هذا ورستم لا بغي على احد لكنهُ ادرك ان خلاصهُ كان بواسطة الوزير فاخذهُ الى السجن حقيرًا اسيرًا مهانًا وقد صبر على نفسهِ وامل الخلاص باقرب وقت ومع كل ذلك فانهُ كان لا يزال يتصور محاسن حسانة ويميل قلبهُ اليها ويعجب من جمالها الباهر ويتمناها لنفسهِ لانهُ كان كابيهِ في بداية حياتهِ يميل الى مغازلة النساء ويسلم نفسهُ الى اهوائها ويؤخذ بمعاطيل الجمال . ولما انفرد بذاتهِ جعل يفكر بما وقع عليهِ وقد وعى الى ذاتهِ واخذ يتأمل فيما كان من امرهِ مع حسانة وهو تارة يعض على اصابعهِ كيدًا وغيظًا من تسليم نفسهِ الى غرامهِ ويفكر انهُ لو كان اسرها لسهل عليهِ جدًا الاستيلاء عليها والتزوج بها وطورًا يشرد بهِ هواهُ الى ان يتصور معنى حسنها وما رأى منها من استهلال جبينها الوضاح وكيف قد كشفت لهُ عن ذاك الصدر اليقق وذينك النهدين البارزين اللذين القيا بهِ الى السجن والاسر واذلاهُ واي اذلال . فكان الحب يتغلب عليهِ والجمال يشغل افكارهُ ويؤمل

ان تأتي العرب فتخلصة ومن ثم يعود الى حسانة فيأخذها زوجة بالرغم عليها ويذلها ويملك زمامها وتصبح في اسره الى طول حياتها

قال فهذا ما كان من رستم والملك هندام وابنتة واما ما كان من الرجال الذين هربوا من وجه حسانة بقيوا مجدين في مسيرهم واماهم سيار العيار حتى جاءوا خوارزم ودخلوا على حاكمها واخبروه بما وقع على الامير رستم فطار صوابة فاجتمع باخيه ورجال قومه وتشاوروا في ماذا يفعلون واخيرًا قرَّ رايهم ان يسيروا الى الامير حمزة ويطلعونة على ما جرى على ابنه لكي يسرع الى خلاصهِ وفي الحال ركبوا خيولهم وساروا مجدين الى جهة المدائن حيث يعلمون ان العرب نازلين هناك وما بعدوا عن المدينة الا القليل حتى التقوا بعمر العيار لانة كان يفتش على الامير رستم ويستقصي اخبارهُ من كل الجهات وذلك لان الامير حمزة كان قد اعتراه الحزن لغيابهِ وضاق صدرهُ وهو لا يعلم في اي جهة سار وخاف ان يكون كسرى قد احتال عليهِ والقاه في حفرة الهلاك دون ان يعلم بهِ احد ومثلة كان جميع العرب وفرسانهم لان ما من واحد منهم الا ويحب الامير رستم محبة عظيمة فوعدهم عمر العيار بالمسير اليهِ واستكشاف اخباره وسار الى خارج البلد وعرَّف انهُ سار في تلك الطريق فجعل يسير فيهِ ويفحص عن مكان وجوده ومسيره ويومل انهُ ان كان حيًّا لا بد ان يراه بوقت قريب ولا زال سائرًا الى ان التقى بحاكم خوارزم فتقدم منهم واذا بهِ يرى بينهم انهُ سيار فطار من الفرح ودنا منهُ وقال لهُ لما هذا التقاعد والتباعد وابن سيدك فجعل يبكي واخبره بانهُ اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام فوبخهُ ولامهُ وقال لهُ كيف تتقاعد عن المسير الينا والرجوع علينا . قال اننا سائرون الى الامير حمزة وهولاء هم حاكم خوارزم واخوه ورجالهُ وقد تزوج رستم ببنتين منهم . ثم اعاد عليهِ القصة من اولها الى اخرها فتقدم عمر وسلم عليهم وسلموا عليهِ واخبروهُ انهم ذاهبون الى العرب ليطلعوا الامير حمزة على خبر ابنهِ ليسعى في خلاصهِ قبل ان يلحق بهِ ضرر . فقال لا باس ارجعوا انتم الى المدينة وبعد قليل من الايام تكون عندكم سائر فرسان العرب ولا بد لنا من قتل الملك هندام وخراب بلاده الى حد اساساتها ليعرف كيف يخاصم العرب ويجسر على اسر سيد عظيم منهم . ثم ودعهم وكرَّ راجعًا كانهُ السهم اذا انطلق حتى وصل الى المدائن ودخل على اخيهِ وهو في صيوان اليونان شاه واخبره بامر ابنهِ وانهُ اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام صاحب الجزر وشرح لهُ القصة بتمامها . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابهُ وغاب هداهُ وصاح من ملء راسهِ هلموا ايها الفرسان واتركوا هذه الاراضي واسرعوا الى خلاص ابني قبل ان يقع بهِ الضرر او يقتلهُ الاعداء وما اتم كلامهُ حتى اسرع كل واحد الى جوادهِ ولم يقبل احد منهم ان يتعوق الى الغد وباقل من ساعة ركبوا باجمعهم ورفعوا احمالهم وتركوا تلك الارض واقلعوا عنها مسرعين في

طريق خوارزم كانهم الجراد المنتشر وفي ايام قليلة وصلوا اليها فخرج اهلها الى ملتقاهم وترحبوا بهم وسلموا عليهم وجاءت زوجنا رستم وقبلتا يديه وبكتا على بعد زوجيهما فطيب بخاطرهما ووعدهما بخلاصه باقرب آن ومن ثم رحل من ذاك المكان يقصد الملك هندام ومن خلفه الفرسان والابطال وفي وسطهم السلطان قباط وفوق راسه علم بيكار الاشتهار وبين يديه الحراس والخدم

قال ولما رحل العرب عن المدائن تعجب الاعجام وارتاعوا من هذا الامر واخبروا به ملكهم فقال لا بد من سبب لذلك قال اذا شئت ارسلنا خلفهم من يفحص لنا عن احوالهم ويأتينا باخبارهم قال دعهم يرحلون ولا تتعرض لهم ولا تفعل شيئاً تلقينا به بالويل والخراب . فاذا رحلوا ولم يرجعوا كان احسن وهذا الذي اريده ولا اريد ان اسمعك بعد الان تذكر لي حديثهم فسكت بختك في الحال لكنه في ثاني الايام بعث في استقصاء اخبارهم وارسل بالرسل والمكاتيب الى كل الجهات يستدعي العساكر ويجمع الابطال وفي نيته ان لا يرجع عن العرب حتى يبيدهم عن اخرهم واخذ يفكر في الطرق التي تبيدهم وتقرضهم عن اخرهم وسيرجع الى ما صار من العجم في غير هذا المقام

ولما وصل الامير حمزة الى بلاد الملك هندام انتشر خبره في كل البلاد فجفل الاهالي وهرب الكبير والصغير الى جهة المدينة وهم يتعجبون من كثرة العساكر وعظم ذاك الموكب الجسيم مع اختلاف اجناسه ووصل الخبر الى الملك هندام فجفل وارتاع وخاف على بلاده من الخراب وجمع اليه قومه واستشارهم في ماذا يفعل فاشاروا عليه بالطاعة فلم تقبل حسانة وقالت لابيها سوف ترى ما افعل لك بالامير حمزة وفرسان العرب ولا بد ان اقيدهم الى بين يديك واحداً فواحداً . فقال لها اني اخاف عليك في هذه المرة لان فرسان العرب كثيرون . قالت لا تخف وقد امتحنتني في غير هذه المرة وعلمت بسالتي وسوف اريك ما يكون من حمزة ولا بد ان ارمي راسه امامك في هذا المحل فيشهد جميع العالم ببسالتي . قال افعلي ما بدا لك وها ان فرساني بين يديك فخذيهم وقاومي العرب واذا رايت العجز فاخبريني لاذهب بنفسي . قالت لا يلزم هذا الامر فاني سأباشر الحرب بنفسي واطلب برار فرسان العرب وابطالهم واصطادهم كالعصافير واحداً بعد واحد

وبعد ذلك اخذت مائة بنت والبستهن ملابس الجنود وخرجت من المدينة قاصدة معسكر العرب وكان نازلاً بالقرب من هناك ولما وصلت اليه نزلت وضربت لها خيمة في تلك النواحي مع جماعتها وقد راى ذلك العرب وفرسانهم فتعجبوا واخذوا يضحكون من هذا العمل وقد قال سيار لحمزة ان هذا الفارس الذي اسر سيدي رستم فعزم على مبارزته . ولما كان الصباح نهضت

خشنانة ولبست ثيابها وتقلدت بسلاحها وبرزت الى ساحة القتال وصالت وجالت من اليمين والشمال . ثم وقفت في الوسط وطلبت مبارزة الامير حمزة البهلوان وفي الحال صار الامير حمزة امامها وهو كانه الاسد الكاسر وبدون سؤال ولا جواب حمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الضراب والطعان . وقد احدقت اليهما الفرسان . تنظر ما يكون بينهما من هذا الشان ومضى عليهما مقدار ساعة وقد راى الامير حسانة ضعيفة الثبات فاحتار في امره وتعجب كيف تمكنت من رستم وهو اشد فرسان العرب بسالة واقداماً وثباتاً واخذ في ان يزيد عليها و يضايقها من كل مكان حتى تاكدت انها هالكة لا محالة ولذلك صاحت بالامير مستجيرة وعولت على الحيلة فتوقف عن القتال فقالت له اصبر عليّ قليلاً وانصفني فانا بين يديك لا اهرب قط . فاجاب طلبها وهو لا يعلم انها تنت الى ان نزعت الخوذة عن راسها وارسلت بشعرها الحالك على اكتافها فغطى ظهر الجواد وازاحت اللثام عن وجهها الوضاح فبان كانه البدر بتمامه وقد زاد التعب وضيق النفس في احمرار خديها والعرق يسيل الى ذقنها ويسقط من هناك كحبات من اللؤلؤ الصافي . ومن ثم فكت ازرارها وارخت نهودها الى الهواء واخرجت منديلاً لتمسحها من العرق ونظر اليها الامير حمزة وهو محقق من القصة ياخذان بعقل الشيوخ فضلاً عن الشباب وحينئذ خطر في ذهنه انها ما اخذت ابنه اسيراً الا بمثل هذه الحيلة ومع انه كان يميل الى جمال النساء جداً لكن نفسه كانت قد شبعت منهن واصبح لا يؤخذ بحبائلهن ولو كان في اول امره لحق به ما لحق بولده لكنه ثبت جاشه وقاوم اميالهُ ولم يرسل بافكاره الى التمعن بما يراه من حسنها وجمالها بل صاح بها صيحات الاسود وقال لها لقد صار من العار عليّ ان اشهر عليكِ حساماً ولا بد لي من اسرك . ثم رفس جوادها برجله فالقاها الى الارض طريحة فانقض عليها عمر العيار واخذها اسيرة وهي على تلك الحالة . وحينئذ رجع البنات الى المدينة فلم يلحق بهن الامير ولا قاومهن بل رجع الى الخيام وهو يقول لا بد من زواجها برستم لانها اخذته اسيراً واضاعت عقله وهي جميلة للغاية وهو شاب يلعب براسه الجهل من اوله

قال ولما وصل البنات الى الملك هدام واخبرنه بما جرى على بنته وقع الرعب في قلبه وعول ان ينهض لمحاربة العرب فاوقفه الوزير وقال له لا ترم بنفسك في بحر الجهالة فتهلك انت وقومك ولو كانوا بعدد رمل البحار وما منعتكم عن قتل رستم الا خوفاً من هذا الامير الا تعلم ما جرى على الملك الاكبر كسرى انوشروان منهم وكم بددوا له جيشاً وكم اهلكوا فارساً صنديداً وقد جمع لهم الرجال من مشرق الارض الى مغربها فانظر موضع النظر وع نفسك قال ماذا افعل هل اترك بنتي في قبضة الاعداء واتقاعد عن خلاصها . قال لا تقدر على خلاصها بقوة السلاح وعندي ان تستدعي اليك رستم ابن الامير حمزة وتعرض عليه امر الصلح

وتعتذر اليهِ وتزوجهُ بنتك وهو يجهل ما بينك وبين العرب فيعدك بالامان واذ ذاك تطلعهُ على امرك وامر ابيهِ . فاستصوب هذا الراي ودعا اليهِ رستم وامر بحلهِ واجلسهُ بالقرب منهُ واكرمهُ مزيد الاكرام واعتذر اليهِ وقال لهُ هل تسمح لي بذنبي في اسرك وانا لا اعرف قدرك ولما عرفت من انت اردت ان ازوجك من بنتي واتخذك عوناً لي وتسامحني على ما سبق مني . قال اني تركت لك حقي بذلك وقبلت ان اتزوج بنتك ولا لوم عليها في اسري لانها جاهلة وما قصدت قتلي الاَّ بغضاً منها ولكن متى صارت زوجتي تلتزم الى محبتي . فاين هي الان . قال ان جهلها دفعها الى قبضة ابيك ولذلك اريد منك صرف هذا الامر ومراضاته وانا اسامحك بدم وزيري الذي قتلته . ثم قال الوزير اني اعرف ياسيدي رستم انكم من القوم الكرام لا تأخذون المذنب بجريتهِ ولا تصرون على الانتقام ولذلك ارجوك ان تجيب الملك هندام الى طلبهِ وتتزوج من بنتهِ ولك بذلك الفضل والجميل . قال اني اجبت الى ذلك ووعدت ولا بد من ارجاع ابي عن غايتهِ اكراماً لك وللملك هندام لانك فعلت معي الجميل من الاول واحييتني بعد ان كانت حسانة ترغب في قتلي . واذ ذاك نهض الوزير فقبلهُ وفعل مثل ذلك الملك هندام فقبل ايديهِ وشكر منهُ وفيما هم على تلك الحال واذا برسول الامير حمزة قد دخل على الملك هندام واعطاهُ رسالة منهُ يطلب اليهِ الخروج من المدينة للحرب والقتال وان يطلق سبيل رستم في الحال . ولما قرأ رستم هذا الكتاب قال للرسول اذهب الى ابي وقل لهُ اننا قد اصطلحنا ووقع بيننا الامان والسلام ولا بد لنا من الذهاب اليهِ في هذه الساعة فرجع الرسول الى الامير واخبرهُ بانهُ رأى ابنهُ مطلق السراح في ديوان الملك هندام ففرح وحينئذٍ وصل رستم ومعهُ الملك والوزير واعيان المدينة فخرج الامير الى ملتقاهم خارج الصيوان وقبل ابنهُ وسلم عليهِ وهناهُ بالسلامة وترحب بالوزير وهندام وادخلهم جميعاً الى الصيوان واحسن مثواهم واطلق سبيل حسانة فجاءت الصيوان وقبلت يدي ابيها وبكت امام الامير حمزة واعتذرت عما وقع منها . ثم قال حمزة لهندام اريد ان اقوم بزفاف ابني على بنتك باقرب وقت . قال افعل ما بدا لك فهي جاريتكم منذ هذه الساعة ففرحت حسانة بذلك ولم يكن يخطر لها قبلاً ببال . وهيأت نفسها واصلحت شأنها ودارت الافراح بالمدينة وبين العرب مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن زف رستم على حسانة ودخل بها وسرَّ منها وسرَّت منهُ ووقع الحب بينهما بعد ان كانت ترغب في هلاكهِ وهذه تروح منهُ حامل بذكر يدعى الخان المطان

واقام العرب في تلك النواحي مقدار شهرين تمام وهم على سرور وافراح وبسط وانشراح وقد ظن الامير حمزة ان الملك هندام صافي السريرة حسن الطوية فاراد ان يودعهُ ويرحل الى بلادهِ فاظهر كدرهُ من ذلك وقال لهُ اني كنت احب ان تبقوا الزمان عندنا لابقى انظر

الى بنتي لانها عزيزة جداً عندي . قال ان شئت ابقيت بنتك عندك الى ان يسمح الزمان لنا بالراحة فنرسل ونأخذها فاستصوب هذا الراي وكاد لا يصدقهُ وكذلك حسانة قبلت ان تبقى عند ابيها الى ان يأذن لها الزمان . وبعد ذلك تشاور العرب في بعضهم هل يذهبون الى مكة او يسيرون الى حلب او يرجعون الى المدائن . فقال الامير حمزة لسلطان العرب اني ارغب في الرجوع الى المدائن لاعلم ماذا فعل كسرى وبختك قال لا نرجع الان الى هناك بل نرحل الى حلب ونقيم فيها اياماً نراقب ما تفعل الاعجام . وباتوا تلك الليلة الى الصباح وفيهِ نهضوا وحملوا باحمالهم ورفعوا باموالهم واقلعوا عن تلك الارض يقصدون حلب وقد ودعوا الملك هدام وسكان تلك الاراضي ورحلوا مدة ايام حتى جاءوا مدينة حلب ونصبوا خيامهم في ضواحيها وسرحوا بانعامهم وعرف نصير الحلبي بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وكذلك رجال المدينة واهلها وكان اكثر نساء العرب في المدينة وقد جئن باولادهن الى آبائهن واجتمع المقيم بالغائب والغائب بالحاضر وهم فرحون بهذا الاجتماع

وسأل الامير حمزة صاحب حلب عن كسرى وعن اخباره هل سمع شيئاً جديداً قال جل ما سمعتهُ في هذه الايام انهُ يجمع العساكر والرجال حول المدينة ويريد الحمل على العرب وغير ذلك لا اعرف . فقال حمزة لعمر العيار اذهب الى المدائن وانظر لنا في هذا الامر عساك تعرف غاية كسرى والى اي جهة يريد ان يسير فانظر لنا من الذي اجتمع عندهُ من الفرسان والابطال ومن الذي يعول عليهِ في هذه المرة . فاجاب عمر الى ذلك وسار الى المدائن بكل سرعة حتى وصلها ودخل الديوان وقد شاهد عساكر كثيرة حول المدينة ورأى كسرى بانهماك مع بختك فصبر الى المساء حتى انفض الديوان فتبع بزرجمهر الى ان دخل خلفهُ القصر وهناك تقدم منهُ وقبل يديهِ وسلم عليهِ واخبرهُ بكل ما كان من امرهم وسالهُ عن قصد كسرى اهل ينوي تجديد الحمل على العرب . قال ان هذا لا ينتهي ما زال بختك في قيد الحياة لانهُ ظن ان ذهابكم عن المدينة كان لسبب خوفكم وضعفكم في البداية ثم عرف بسيركم الى حلب فتاكد لهُ انكم لا ترجعون فاشعل قلب كسرى واوغر صدرهُ حتى حملهُ على جمع العساكر والمسير خلفكم وقال لهُ ان ترك العرب مضرٌّ بالعجم ولا بد من اخذ الثار ودوام الحرب الى ان تساعدهم النار ومن جملة من كتب اليهم في هذه المرة فارس صنديد مشهور في مدينة حكم صداي في بلاد العجائب اسمهُ رعد المنفش ويقال عنهُ انهُ من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام وجاء الجواب بانهُ عن قريب يصل الى هذه الديار . قال هل ترى ان من اللازم الرجوع الى المدائن ومحاصرتها ام البقاء في حلب او المسير الى مكة . قال ان بقاءكم الان في حلب اوفق من الرجوع الى هنا وان كان هذا رعد المنفش لا يقاس بفرسانكم العظام لكن الايام عليكم اخذت في ان

تجور ولا بد من مرور غموس وهموم لان الدهر لا يستقيم على حالة فاذا اضحكك اليوم ابكاك في الغد ومتى رأيته مقبلاً فتأكد انه سيدبر واذا شاهدته ادبر فتيقن انه سيقبل وحيث ان لا بد من وقوع الحرب بينكم وبين الاعجام فاذا قصدكم كسرى الى حلب افضل بكثير من انكم تقصدونه انتم الى هنا لان يوم المدائن لم يأْتِ بعد

فمكث الامير عمر العيار في المدينة ثلاثة ايام وفي كل يوم يخرج الى ديوان الملك كسرى ويسمع ما يدار هنالك من الكلام وفي المساء يأْتي قصر بزرجمهر الى ان رأى الاعجام قد خرجت الى ملاقاة رعد المتقش فسرَّ لذلك واختلط بينهم وخرج معهم حتى بعدوا عن البلد مقدار ثلاث ساعات والتقوا بالعساكر وكان عددهم نحو مائتي الف فارس وفي مقدمتهم رعد المتقش وهو قصير القامة عريض الاكتاف كبير الدماغ يكاد يستوي طوله بعرضه وسمكه وسمة الشجاعة تلوح على وجهه وبالحقيقة انه كان يحب سفك الدماء كثيرًا حتى انه اليوم الذي لا يهرق فيه دمًا لا يلتذ بعيشه ولا ينام مرتاحًا فيلتزم في كل يوم وهو في بلاده ان يأْتي بالاغنام والنصلان فينحرها ويهرق دمها على الارض ويتركها الى قومه فيفرح وتنفرج كربته فسلم عليه بختك واعيان كسرى وترحبوا به ورجعوا جميعًا الى الايوان وبختك يزيد في تعظيمه وتكريمه ويمدح منه ومن شجاعته حتى دخل على كسرى فسلم عليه وقدم له احترامه فترحب به ببرود وقد امعن فيه النظر فلم يتصور فيه الثبات ولا حدثته نفسه بانه يقدر على مقاومة العرب وفرسانهم ولاحظ الوزير بختك ذلك فاراد ان ينزع من راس كسرى هذا الفكر ويحمله على الاعتقاد بانه افرس فرسان هذا الزمان . فقال له هذا ياسيدي رعد المتقش صاحب الغارات المشهورة في كل مكان والوقائع المشكورة المعروفة التي اكسبته الرفعة وعلو الشان وسوف ترى بعينيك ما يعمل لك بالاعداء ولا يمكن ان يعرف الانسان بمجرد النظر الى وجهه لان الابطال مستترة تحت اثوابها ولا بد ان تكشف لك الايام صدق قولي . فقال كسرى اني ارغب ذلك لكني اعرف ان لا فارس يقدر ان يقاوم فرسان العرب فاذا كان داهور الهندي هلك منهم فهل يقدر غيرهُ على هلاكهم . قال لا بد لرعد هذا البطل العظيم ان يبيدهم عن اخرهم لان الشجاعة ليست بكبر الجثة وعظم الهيكل بل بقوة الذراع وثبات الجنان وعن قليل تقع الحرب فترى افعاله وتشاهد حملاته وتتاكد صدق قولي . فقال كسرى ان كان الامر كما تقول فاني افضله على ملوك دولتي واشاركه في نعمتي ومن هذه الساعة اشدهُ بهلوان تختي وغفير مملكتي وامر ان يلبس ثوبًا من الارجوان ويشد وسطه بمنطقة من الذهب مخصوصة بمن يكون غفير بلاد الفرس وبعد ان رأى الامير عمر العيار ما رأى وسمع كلام بختك ودع الوزير بزرجمهر وسار يقصد مدينة حلب ولما وصلها وجد الامير والعرب بانتظاره وسألوهُ عما رأى فاخبرهم بكل شيء وبما شاهد من

رعد المنقش وسمع من بختك الوزير وقال له ايضاً ان من راي بزرجمهر ان تبقوا في حلب الى ان ياذن الله بالفرج ولا تذهبوا الى المدائن ولا بد للملك كسرى ان يقصدكم الى هذه البلاد. فقال الامير لا بد من البقاء هنا وانا في هذه المرة لا نخالف امر الوزير وفي كل مرة خالفناه كان علينا وبالاً. واقام العربان بانتظار الاعجام

قال وكان بختك قد استخبر وعرف ان العرب مقيمين في حلب فاخبر كسرى به فامر بركوب العساكر والمسير الى تلك المدينة وهو متيقن كل التيقن انه لا بد من الانتصار في هذه المرة وعلى امر كسرى انهوا الاستعداد وفي الصباح خرج هو وجماعته والاعيان وعلوا ظهور خيولهم وساروا على طريق حلب كالجراد المنتشر وعددهم ١٧ كرة ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا على سهل حلب وشاهدوا معسكر العرب فضربوا المضارب والخيام تجاههم وسرحوا بانعامهم خلفهم وقال رعد المنقش وقد استصغر جيش العرب ان الاعداء قليلو العدد ولا بد لنا من هلاكهم فلا يبلغون نصف عددنا قال ان العدد لا يقوم مقام الشجاعة فكلهم ابطال وفرسان. قال اني اتكفل لك بهلاك فرسانهم جميعاً وسترى عن قريب. فقال كسرى انه يخطر لي ان ارسل اليهم رسالة وادعوهم الى الطاعة وان يسلموني علم بيكار الاشتهار ويتفرقوا كل واحد الى بلاده عساهم يصغون ويسمعون وبذلك يهون علينا الامر كثيراً. فقال بختك ان هذا غير الاصابة كون العرب عصاة لا يعرفون مقامك ولا يصغون الى كلامك وكلما بعثت اليهم بكتاب زادوا وطمعوا وظنوا ان ذلك منك عن عجز وضعف لا عن رحمة وكرامة وشفقة واري من الصواب ان نفاجئهم في الصباح ونحمل عليهم حملة واحدة من الاربع جهات ولا نرجع عنهم حتى ندخلهم المدينة ومن بقي حياً منهم نتركاه يموت جوعا في داخل المدينة ولا نبارح هذا المكان سنيناً واياماً حتى ننال الفوز الى الحد الاخير واتفقوا على هذا الراي وصبروا الى اليوم الثاني وفي الصباح نهض العربان بعد ان ضربت طبول الحرب والطعان. وركبت الابطال والفرسان. وتقدمت الى اطراف الميدان. وقد خفقت الاعلام ولاح لكل فارس من فرسان ذلك المقام. ان ذلك اليوم كثير الاهوال عظيم الاحوال. وكان في مقدمة الاعجام رعد المنقش وفي مقدمة العربان الامير حمزة البهلوان وفي الجناح الايمن الامير رستم فرتم والاندهوق وجماعة من الفرسان وفي الجناح الايسر سعد اليوناني وابو عمر والمعتدي. وحالما وقعت العين على العين كثر الصياح من الطرفين وصاح الامير رستم وحمل كانه قضاء الله المنزل ومثله فعل الامير حمزة والاندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وعمر اليوناني وابنه سعد والملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وملوك التركمان وامراء الاكراد واصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وارتجت لحملاتهم جنبات تلك الارض بالطول والعرض. وما قل من

نصف ساعة قامت القيامة . وقلت السلامة . ووقعت الندامة . وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وكان يوماً عظيم الشان . لم يسمع بمثله في سالف الازمان فيه تدفقت الادمية كالغدران . وبذل ملك الموت ما لمن القوة والسلطان . فطرحت الجثث الى بساط الصحصحان . بعد ان لاقت اشد العذاب والويل . واندثرت تحت حوافر الخيل . ولم يكن يسمع الا تالم وتوجع وتشك وانين وهمهمة ودمدمة وتوعد وتهديد واصوات وقوع سيوف على درق او اسنة على زرد ولم يكن يوم الحشر اشد هولاً عن ذاك اليوم ولا رات ولا سمعت اذن اعظم اضطراباً منه فلله در الامير حمزة صاحب هذه السيرة فانه اباد الرجال . واهلك الابطال . واعظم من عمله كان عمل ابنه رستم فرتم فانه اخترق صفوف الاعجام وانزل عليهم مزاريب الغضب والانتقام . ففرق الكتائب وبدد المواكب . وترك القتول بين يديه كالتلول . وكلما راى جيشاً من الاعداء متجمعاً عليه كانه قضاء الله المنزل ففرقه باسرع من لمح البصر ولم يكن اشد فرسان الاعجام قادراً ان يثبت بين يديه او يرضى ان يقف في وجهه بعد ان يرى عجائب حملاته وسرعة ضرباته وطعناته ويشاهد منه انه يحمل من اول العسكر وباقل من لمح البصر يصير في الاخر وصوته يرن في آذن كل من المتقاتلين . وكذلك كانت تفعل باقي الفرسان وعمل رعد المنفش اعمالاً عجيبة في ذلك اليوم ولولا محاولة فرسان العرب ودفعهم لكان اهلك كثيراً منهم لانه كان اذا التقى بواحد لا يقدر ان يقتله الا بعد دفاع ونزال ومعاركة كثيرة ومع كل ذلك فانه قتل كثيراً من العرب وكانت فرسان الاعجام قد طرقتها كثرة الوقائع والحروب وعلمها التكرار والثبات في الدفاع والهجوم ففعلت فعلاً جسيماً ولا زالت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تقدم ضحايا على مذابح العدم الى ان اقبل الظلام واسرع النهار بالانهزام . فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلون الى الخيام وما منهم الا ومن صبغ بالدماء وتلطخت ثيابه واسود وجهه وما صدق ان ذهب النهار حتى رجع لاخذ الراحة ومناولة الطعام ورجع رعد المنفش وهو كانه شقيقة الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان . فسر كسرى من بسالته واقدامه وتامل فيه النجاح والتوفيق وقال له اذا انتهى لي النصر على يديك كنت انت الحاكم في بلادي والسيد عليها ولا احد يعلو عليك . قال اني القيت الرعب في هذا اليوم في قلوب اعدائك ولا بد انهم يتفرقون قريباً ويفرون من هذه الديار ولكن اقسم لك بالنار وبتربة اجدادك انهم لو ساروا داخل البحار لتاثرتهم واهلكت منهم الكبير والصغير ليتاكدوا ان في خدمتك فرسان لا ينتج مثلهم الزمان ولا تاتي بنظيرهم الايام . وقال بختك اعلم ياسيدي اني نظرت موضع النظر ولو كان في جيوشنا اثنان مثل رعد المنفش لانتهت الحرب في هذا النهار ووقع لنا النصر الذي نريده ومع كل هذا فاذا تعوقنا الى شهر او شهرين فلا باس فانه يفنيهم في الاخر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا كذلك فائزين من جهة ومتكدرين من اخرى وقد رأوا انه قد قتل من جيشهم جانب غير قليل ولذلك امر حمزة ان تتأخر العساكر ولا ينزل الى القتال الا ربعها فقط والباقون لا يحملون الا في آخر النهار بحيث تكون قد تعبت عساكر الاعجام . واختار منهم القواد والشجعان وقال اننا وحدنا مع مائة الف نفس تكفي لرد الاعداء وفي اليوم الثاني تجدد القتال وعظمت الاهوال . وزاد القيل والقال . وقتل كثير من الفريقين الى ان جاء المساء فرجعوا الجميع وفي الصباح عادوا الى مثل ما كانوا عليه وداموا على هذه الحالة مدة خمسة عشر يومًا حتى وقع النقص في عساكر الاعجام لان الراي الذي دبرهُ الامير حمزة كان موافقًا لهم وكان لا يحارب الا بالابطال المعدودين ويترك الباقين الى قرب المساء فيحملون وهم براحة على الاعداء المتعبين فيقتلون كثيرين منهم . وفي اليوم الاخير رجع رعد المنقش الى صيوان كسرى وهو متعب جدًّا وقد التقى في ذاك اليوم بالامير سعيد اليوناني فاشغله كل النهار ورجع دون ان يقتل احدًا فتكدر وقال للملك كسرى ان رجالك جبناء ضعفاء فما منهم من يسد عوزًا وانا وحدي التزم ان ادفع اعظم فرسان كفرسان العرب وارى ان عساكرنا على نقص متواصل ولا بد ان يفنوا بعد ايام اذا دامت الحال على مثل هذا المنوال ومن الراي الحسن ان تكفهم في الغد عن القتال حتى اذا افنيت الاوائل هان علينا هؤلاء الاواخر . قال اني كنت ارغب في ذلك وعندي ان تقتل لي الامير رستم والامير حمزة في الاول فاذا قتلت هذين الفارسين تفرّق الجميع وخافوا وركنوا الى الفرار . قال اني سأقتل الاثنين بيوم واحد اذا شاءت النار وكانت راضية علينا . وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحال الى ان كان اليوم الثاني نهض المعسكران وتقدموا الى ساحة الميدان وقبل ان يهجموا على بعضهم البعض برز رعد المنقش الى الوسط وصال وجال حتى حير عقول الرجال . ثم وقف في الوسط ونادى يطلب الابطال والفرسان وصناديد الشجعان وحينئذٍ سقط اليه فرهود صاحب التكرور وهو كأنه الغول وصدمه صدمة جبار صنديد وحمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الطعن والضرب والكر والفر والمحاولة حتى سبح الجوادان بالعرق وضاقت منهما الانفاس وكانا بطلان عظيمان وفارسان جسيمان وقد احدقت بهما كل عين وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان وما زال القتال واقعًا بينهما الى بعد الظهر وهناك صاح رعد المنقش وهجم على فرهود واختلف بينهما ضربتان فاصلتان ووقعت ضربة فرهود على طارقة رعد فاضاعها بمعرفته ووقعت ضربة رعد على طارقة فرهود وسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع في الارض لكنه جاء واقفًا وبقي الحسام في يده يدافع عن نفسه فهجم عليه رعد وطعنه برمحه فمال عنه وفصل الثبات على الهرب ورأى حمزة صعب الموقع الذي

و فرهود فاراد خلاصة من بين يدي خصمهِ فهجم على رعد وصاح بهِ وحينئذٍ كان قد لحق كسرى الفرح الزائد وسرَّ من عمل فارسهِ ولما رأى حمزة وقد هجم عليهِ خاف ان يبطش بهِ لانهُ مهان فامر عساكرهُ بالحمل فحملت دفعة واحدة على الامير فالتقاها بصدرهِ وهجم عليهِ و باسرع من لمح البصر انطرح الامير رستم على الاعداء وانطرحت من بعدهِ فرسان القبائل وملوك العربان من كل ناحية ومكان وقاتلوا قتال صناديد الابطال . وكان العيارون قد جاءُوا الى فرهود بجواد فركبهُ وعاد الى القتال والتقى برعد المنفش وفي نيتهِ ان يأخذ لنفسهِ منهُ بالثار فلم يقدر بل انجرح من حسامهِ ولولم يدركهُ الامير رستم في آخر النهار ويخلصهُ منهُ والاَّ كان قتلهُ واعدمهُ الحياة وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان عن ساحة القتال الى الخيام وكشف الامير حمزة على جرح فرهود فرآهُ غير بالغ فسلمهُ الى اسطون الطبيب ليعالجهُ واوصاهُ ان يعتني بهِ كل الاعتناء الى ان يشفى فاخذ في مداواتهِ

ثم ان الامير جمع اليهِ السادات وقال لهم انهُ لا بد في الغد ان يبرز رعد المنفش الى ساحة الميدان واريد ان ابرز اليهِ انا ولا اريد ان يسبقني احد منكم واخاف ان تصابون منهُ بسوء فقال لهُ الاندهوق اننا نخاف عليك نحن ولا نخاف على ارواحنا لانهُ اذا اصابك امر تفرقت الفرسان وانفرطت سبحة العرب واما اذا قتلنا كلنا فلا اسف علينا قال اني خائف من مثل هذا ولذلك لا اسمح لاحد بالبراز فاني اقدر على قتلهِ باقل من يوم . قالوا لا يمكن ابدًا لان كل واحد منا يريد ان يحرب نفسهُ معهُ وما نحن من جبناء الرجال ولا اقامتنا عندك الاَّ للحرب والقتال ولمثل هذا اليوم . وحينئذٍ قال الامير سعد اليوناني اني اقسمت بالله العظيم باجلاله اني لا ادع احدًا منكم يبرز اليهِ سواي وقد سألتني امي في ذلك وحركتني اليهِ منذ ايام وهي تقول لي لا تدع احدًا غيرك يبارز رعدًا واذا قتلتهُ ملت الفخر العظيم . فزجرهُ وقال لهُ لا اسمح لك ولا لغيرك بذلك فاني اختبرت رعدًا وتاكدت ان لا احد يقتلهُ سواي واخاف ان يلحق بكم ما لحق بفرهود وجعل كل واحد يقول لا بد لي في الغد من مبارزتهِ واشتدت المكالمة والخصام حتى وقف الامير رستم في الوسط وقال لو سألتموني في هذا الامر لتركت كل واحد منكم يبرز اليهِ دون ابي وما ذلك الا حفظًا لمقامهِ لا خوفًا عليهِ لانهُ ليس من رجالهِ ولا هو ممن يقف قبالهِ واما اقسم بالله العظيم و بالمسيح ابن مريم الذي احيى الاموات من العدم اني ابرز اليهِ بلا سلاح ولا عدة واكمل النصر والفوز عليهِ واسره بساعة من الزمان وعند الصباح فقول امام السلطان قباط واسألهُ ان يأذن منكم الفرسان الى البراز فمن الهمتهُ العناية امرهُ بالبراز وما زال لنا ملك فهو الولي والحاكم يفعل ما يريد ويختار فاستصوب الجميع هذا الراي وباتوا الى الصباح وفيهِ ركب رعد المنفش وبرز الى الميدان والملك كسرى يؤمل الفوز والنجاح على

زلنا نعتبرك ونحترم قدرك لانك سلطان جليل القدر عظيم الشان وجدي ابو امي وابي هو صهرك ولذلك لا نرغب في اخراق حرمتك ونحب ان نستئصل هذا الشر والعناد من بيننا وذلك لا يكون ولا يرتفع القتال ونعود الحال الى مجاريها الا بعد قتل بختك الوزير الذي كان السبب في كل ما جرى حتى قتل الوف والوف الوف بسببه منذ اول يوم دخل ابي المدائن الى هذا اليوم ولذلك نريد منك ان تسلمنا اياهُ لنقتلهُ بايدينا و بعد ذلك تعترف بسلطنة العرب واستقلالهم التام وان لا يكون للفرس عليهم فيما بعد لا جزية ولا ضريبة وان الملوك والبلدان التي دخلت في ايدينا تكون لنا مع ملحقاتها وتوابعها ومن شاء من الامراء والملوك ان يترك سلطة الفرس و يدخل تحت سلطة العرب يكون له الخيار فلا احد يعترضهُ في ذلك ومن شاء من الذين مع العرب ان يخرج عن طاعتهم الان و ينضم اليكم فلا نمنعهُ فاذا تم ذلك رحلنا عنك وتركنا لك بلادك وسالمناك الى الابد ونحن نامن على ذلك ما دام بختك لا يوجد في دولتك والاَّ ما زال حيًّا فانهُ لا يلبث ان يعود الى الافساد فسلمنا اياهُ تسلم بلادك والا زحفنا عليك وخربنا ملكك واهلكناك ونزعنا تاج الاكاسرة منك وحملناهُ الى العرب ونقلنا الدولة الكسروية الى العربية واندنا كل عبدة النار الى اخر الادهار فاذا احسنت كان خيرًا وسلامًا . والا فتلاقي ضيرًا وانتقامًا

وبعد ان فرغ من هذا الكتاب طواهُ و بعثهُ مع رسول الى كسرى فاخذه وسار به الى الايوان فصعده وتقدم من كسرى وهو في ديوانهِ وسلمهُ التحرير فقراه وعرف رموزهُ ومعناهُ والتفت الى بختك وقال له ماذا اجيب عنهُ والعرب يطلبون الينا ان نسلمهم اياك ليقتلوك ويعدموك الحياة وقد اصابوا في ذلك لانهم كانوا عبيدي وتحت طاعتي فعملت على هلاكهم حتى خرجوا عن طاعتي وعملوا على عداوتي وساعدهم الزمان واذا لم احمهم هلكت الى الابد وخسرت الاعجام السلطة ابدًا قال اصبر ياسيدي عليَّ بعض ايام وانا اتعهد لك بارجاع العرب عن بلادك ريثما انظر في طريقة تريح بالك وتحفظ حياتي وحياتك ولا تصدق ان العرب يرضون بي لانهم كذابون ويعلمون اني بتدبيري اقدر على انقراضهم وكبحهم فرغبوا في قتلي و بعد ذلك يسهل عليهم كل ما يطلبون وربما بعد قتلي طلبوا قتلك وحينئذٍ لا يعود يقف احد في طريقهم فاصرف الرسول الانَ الى ان نرى ما هو حسن . فسمع كسرى الى كلامهِ وخاف من ان يسلمهُ اليهم فينفقد تدبيره ومشورتهُ و يعدم من فطانتهِ وركائهِ . والتفت الى الرسول وقال له اننا سنرسل الجواب الى مولاك في غير هذا اليوم بحيث نكون قد فكرنا في طلبهِ فرجع الرسول واخذ بختك في التدبير والتفكر مدة ثلاثة ايام وهو يجهد نفسهُ ليرى طريقة يتخلص بها من العرب ويخلص المدائن وفي اليوم الرابع جاء ديوان الملك كسرى وهو باسم الوجه مسرور الخاطر فقال له اني